م ١٠٨٤
———
٥ ٢ أ

المستطرف من كل فن مستظرف ، تأليف الأبشيهي ، محمد بن أحمد – ٨٥٢هـ. كتبه محمد بن محمد الدسياوي سنة ٩٧٥هـ.

٦٣٦٣ ٣١٩ ق ٢٩ س ٢٥,٥×١٧ سم

نسخة جيدة وقديمة ، خطها نسخ معتاد ، طبع .

الأعلام ٦ : ٢٢٩ معجم المؤلفين ٩ : ٢٢

١- المجموعات ، أدب اللغة العربية أ- المؤلف ب – الناسخ ج – تاريخ النسخ .



١٢٥٥
———
١

٦/١٦/ ١٤٠٧هـ



دخل في ملكي بالإرث الشرعي من
المرحوم والدي حمدي حبيش
رحمه الله توفي ١ كانون ثاني
١٩٤٧م
احمد حبيش

هذا الكتاب كتاب لطيف مركوز ... والآن ...
تأليف الشيخ العلامة ... الفهامة فريد زمانه ووحيد عصره وأوانه الشهاب شهاب الدين أحمد ...
الكريم بابن أبي حجلة صاحب المؤلفات الرائقة والمصنفات اللائقة والأشعار الفائقة



الحمد لله

بهذا الكتاب ... ثمانون غزالاً

بهذا الكتاب ... سبعون غزالاً



ثم دخل في ملك ... الحنفي ... عفى الله عنه ... وصلى الله على سيدنا محمد ... ١٢٨٠

اذا المحنة بين الخيول تفرقعت ثبت السليم وغض المعقور

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الملك العظيم العلي الكبير الغني الحميد اللطيف الخبير المنفرد بالعز والبقا والارادة والتدبير الحي الحليم الذي ليس كمثله شي وهو السميع البصير تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شي قدير أحمده حمد عبد معترف بالعجز والتقصير واشكره على ما اعان عليه من قصد وتيسير واشهد ان لا آله الا الله وحده لا شريك له ولا مشير له ولا ظهير ولا وزير واشهد ان محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله البشير النذير السراج المنير المبعوث الى كافة الامة من غني وفقير ومامور وامير صلى الله عليه وعلى آله واصحابه صلوة يفوز قائلها بمغفرة واجر كبير وينجو بها في الآخرة من عذاب السعير وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير أما بعد فقد رايت جماعة من ذوي الهمم جمعوا اشيا كثيرة من الآداب والحكم وبسطوا مجلدات في التواريخ والنوادر والاخبار والحكايات واللطايف ورقايق الاشعار والقوافي وألفوا في ذلك كتبا كثيرة وتفرد كل منهم بغريب فوايد لم تكن في غيره من الكتب محصورة فاستخرت الله تعالى وجمعت من مجموعها هذا المجموع اللطيف وجعلته مشتملا على كل فن ظريف وسميته المستطرف من كل فن مستظرف واستدللت فيه بآيات كثيرة من القرآن العظيم واحاديث صحيحة من احاديث النبي الكريم وطرزته بحكايات حسنة عن الصالحين الاخيار ونقلت فيه كثيرا مما اودعه الزمخشري في كتابه ربيع الابرار وكثيرا مما نقله ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد ورجوت ان يجد مطالعه فيه كلما يقصد ويريد وجمعت فيه طرايف ولطايف عديدة من منتخبات الكتب النفيسة المفيدة واودعته الاحاديث النبوية والامثال الشعرية والالفاظ اللغوية والحكايات الجدية ومن الغرايب والدقايق والاشعار والرقايق ما يتشنف بذكره الاسماع وتقر برؤيته العيون وينشرح لمطالعته كل قلب محزون ففي كل معنى يكاد الميت يفهمه حسنا ويعشقه القرطاس والقلم وجعلته يشتمل على أربعة وثمانين بابا من احسن الفنون متوجة بالفاظ كانها الدر المكنون ففي كل باب منه در واي لقا كنظم عقود زينتها الجواهر فان نظم العقد الذي فيه جوهره على غير تاليف فما الدر فاخر وضمنته كل لطيفة ونتيجة كل طرفة وقرنت ابوابه بالفصول وجعلت ابوابه متقدمة وفصلتها في مواضعها مرتبة ليسهل على الطالب الى كل ما يريده عند حاجته اليه ويعرف مكانه بالاستدلال عليه فيجد كل معنى في بابه ان شا الله

والله المسؤول في تيسير المطلوب وان يلهم الناظر فيه ستر ما يراه فيه من خلل وعيوب انه على ما يشا قدير وبالاجابة جدير وحسبنا الله ونعم الوكيل

الباب الثالث

الباب الثالث والثمانون في الدنيا واحوالها وتقلبها باهلها والزهد فيها

الباب الرابع والثمانون في فضل الصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخر الابواب ختمتها بالصلوة على سيد العباد • ارجو بذلك شفاعته يوم المعاد

الباب الاول

في مباني الاسلام وفيه خمس فصول

الفصل الاول

في الاخلاص لله والثنا عليه عز وجل وهو ان يعلم ان الله عز وجل واحد لا شريك له • فرد لا مثيل له صمد لا ند له • ازلي دايم ابدي لا اول لوجوده ولا آخر لابديته • قيوم لا يفنيه الابد ولا يغيره الامد • بل هو الاول والآخر والظاهر والباطن • منزه عن الجسمية ليس كمثله شيء • وهو فوق كل شيء فوقية لا تزيده بعدا عن عباده وهو اقرب الى العبد من حبل الوريد • وهو على كل شيء شهيد • وهو معكم اينما كنتم • لا يشابه قربه قرب الاجسام • كما لا يشابه ذاته ذوات الاجسام • منزه عن ان يحده زمان • مقدس عن ان يحيط به مكان • ترا ابصار الابرار في دار القرار • على ما دلت عليه الآيات والاخبار • حي قادر جبار قاهر لا يعتريه عجز ولا قصور • ولا تاخذه سنة ولا نوم • له الملك والملكوت والعزة والجبروت • خلق الخلق واعمالهم وقدر ارزاقهم وآجالهم لا تحصى بعد دراته • ولا تتناهى معلوماته • عالم بجميع المعلومات • لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السموات • يعلم السر واخفى ويطلع على هواجس الضماير • وخفيات السراير • مريد للكاينات • مدبر للحادثات لا يجري في ملكه قليل ولا كثير جليل او حقير خيرا او شر نفع او ضر • الا بقضائه وقدره وحكمه ومشيته • فما شا كان وما لم يشا لم يكن • وهو المبدي المعيد الفعال لما يريد • لا راد لقضائه • ولا معقب لحكمه • ولا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته • ولا قوة له على طاعته • الا بمحبته وارادته • لو اجتمع الانس والجن والملايكة والشياطين على ان يحركوا في العالم ذرة او يسكنوها دون ارادته لعجزوا • سميع بصير متكلم بكلام لا يشبه كلام خلقه • وكل ما سواه سبحانه وتعالى حادث اوجده بقدرته • وما من حركة وسكون الا وله في ذلك حكمة دلت على وحدانيته قال تعالى ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب

قال ابو العتاهية

فيا عجبا كيف يعصى الاله • ام كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية • تدل على انه واحد

ولله في كل تحريكة • وتسكينة في الورى شاهد

وقال غيره

تامل ما يرتقي اليه بوهم • من جلال وقدرة وسناء
فالذي ابدع البرية اعلا • منه سبحان مبدع الاشياء

وقال علي كرم الله وجهه في بعض وصاياه لولده اعلم يا بني انه لو كان لربك شريك لاتتك رسله ولرايت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت افعاله وصفاته ولكنه اله واحد لا يضاده في ملكه احد وقال عليه السلام كلما يتصور في الاذهان فالله بخلافه

وقال لبيد بن ربيعه

الا كل شيء ما خلا الله باطل • وكل نعيم لا محالة زايل
وكل ابن انثى لو تطاول عمره • الى الغاية القصوى فللقبر آيل
وكل اناس سوف يدخل بينهم • دويهية تصفر منها الانامل
وكل امرئ يوما سيعرف سعيه • اذا حصلت عند الاله الحصايل

الحصايل هي ما يحصل من الاعمال وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال وهو على المنبر ان اشعر كلمة قالها شاعر الا كل شيء ما خلا الله باطل ثم بعد هذا الاعتقاد الاقرار بالشهادة بان محمدا صلى الله عليه وسلم رسول الله بعثه برسالته الى الخلايق كافة وجعله خاتم الانبيا ونسخ بشريعته الشرايع • وجعله سيد البشر • والشفيع المشفع في المحشر • وجب على الخلق تصديقه فيما اخبر به عنه من امور الدنيا والآخرة فلا يصح ايمان عبد حتى يؤمن بما اخبر به بعد الموت من سوال منكر ونكير وهما ملكان من ملايكة الله تعالى يسالان العبد في قبره عن التوحيد والرسالة ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك • ويؤمن بعذاب القبر وانه حق • وان الميزان حق • وان الصراط حق • وان الحساب حق • وان الجنة حق • وان النار حق • وان الله تعالى يدخل من يشا الى الجنة بغير حساب وهم المقربون وانه يخرج عصاة الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم من في قلبه مثقال ذرة من الايمان • ويؤمن بشفاعة الانبيا ثم بشفاعة العلما ثم بشفاعة الشهدا ويعتقد فضل الصحابة رضي الله عنهم ويحسن الظن بجميعهم على ما وردت به الاخبار • وشهدت به الآثار • فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به فهو من اهل الحق والسنة • مفارق لعصابة الضلال والبدعة • رزقنا الله الثبات على هذه العقيدة وجعلنا من اهلها • ووفقنا الى الممات على التمسك والاعتصام بحبلها • انه سميع مجيب فهذه العقيدة قد اشتملت على قواعد الاسلام الخمسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بني الاسلام على خمس شهادة ان لا اله الا الله

للمداومة عليها

وأن محمدا رسول الله وإقام الصلوة وإيتاء الزكوة وصوم رمضان والحج
الفصل الثاني في الصلوة وفضائلها قال الله تعالى حافظوا على الصلوات
والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين وقال تعالى وأقيموا الصلوة وآتوا الزكوة
اختلف في اشتقاق الصلوة ما هو فقيل هو من الدعاء وتسمية الدعاء صلوة معروف
في كلام العرب فسميت الصلوة صلوة لما فيها من الدعاء وقيل سميت بذلك لما فيها من الرحمة
قال تعالى إن الله وملائكته يصلون على النبي فهي من الله رحمة ومن الملائكة والناس دعاء
قال صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل أبي أوفى أي ارحمهم وقيل سميت بذلك من
الاستقامة وقولهم صليت العود على النار إذا قومته والصلوة تقيم العبد على طاعة الله
سبحانه وخدمته وتنهاه عن خلافه قال تعالى إن الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر
وقيل لأنها صلة بين العبد وربه وقال صلى الله عليه وسلم علم الإيمان الصلوة فمن
فرغ لها قلبه وحافظ عليها بحدودها فهو مؤمن وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
أنه قال على المنبر إن الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام وما أكمل لله صلوة قيل
وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله فيها وقالت عائشة
رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فإذا حضرت الصلوة
فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه وقيل للحسن ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها
قال لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وقال بعضهم لا يفوت أحدا صلوة
في جماعة إلا بذنب وكانت رابعة العدوية تصلي في اليوم والليلة ألف ركعة وتقول
ما أريد به ثوابا ولكن ليسر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول للأنبياء انظروا
إلى امرأة من أمتي هذا عملها في اليوم والليلة وقال بعضهم صليت خلف ذا
النون المصري فلما أراد أن يكبر رفع يديه وقال الله ثم بهت ورفع يديه ثانيا وقال
الله ثم بهت ورفع يديه ثالثا وقال الله أكبر فظننت أن قلبي تمزق من جلاله ومناجاته
لربه تعالى وقال ذا النون كذب من لم يمت بحب خلوة حبيبه وقد قيل

شعر

إذا هجم الصباح على الندامى ... وأسفر عنهم وهم ركوع
أطار الخوف أكبادا تلاهت ... وأهل الأنس في الدنيا هجوع

وكان سيدي الشيخ فتح الدين بن أمين الحكم المخزومي كثيرا ما يتمثل بهذه الأبيات
يقول

شعر

يا أيها الراقد كم ترقد ... قم يا حبيبي قد دنا الموعد
وخذ من الليل وساعاته ... حظا إذا ما هجع الرقد

من نام حتى يقضي ليله ... لم يبلغ المنزل أو يجهد

وكان سيدنا أويس القرني لا ينام ليله ويقول ما بال الملائكة لا يفترون ونحن
نفتر وقال حذيفة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى
الصلوة وقال هشام بن عروة كان أبي يطيل المكتوبة ويقول هي رأس المال
وقال أبو الطفيل سمعت أبا بكر الصديق رضي الله عنه يقول يا أيها الناس قوموا
إلى ناركم فأطفئوها فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الصلوة إلى الصلوة
كفارة لما بينهما ما اجتنبت الكبائر وجزأ محمد بن المنكدر رحمه الله الليل عليه وعلى
أمه وعلى أخته أثلاثا فماتت أخته فجزأه عليه وعلى أمه فماتت أمه فقام الليل كله
وكان مسلم بن يسار رحمه الله إذا أراد أن يصلي في بيته قال لأهله تحدثوا فلست
أسمع حديثكم وكان إذا دخل البيت سكت أهله لا يسمع لهم كلاما فإذا قام إلى الصلوة
تكلموا وضحكوا ووقع حريق إلى جنبه وهو في الصلوة فما شعر به حتى أطفئ وكان
الحمام يقع على رأس ابن الزبير رحمه الله في المسجد الحرام ويحسبه جذعا منصوبا
لطول انتصابه في الصلوة وكانت العصافير تقع على ظهر إبراهيم بن شريك رحمه الله
وهو ساجد كما تقع على الحائط وختم القرآن في ركعة واحدة أربعة من الأئمة عثمان
بن عفان وتميم الداري وسعيد بن جبير وأبو حنيفة رضي الله عنهم أجمعين ورأى
الأوزاعي رحمه الله شابا بين القبر والمنبر لابس جبة سنية ومغفر وهو يقول
يا سيدي قد فات القوم السري فقال يا ابن أخي لا يحول بينك إلا ما ترى وقد قيل

شعر

قد خاب من ترك الصلوة ولم يقم وقت الدجا ... فهو المضيع عمره من كل شيء يرتجى

وكانت الصحابة رضي الله عنهم يتنفلون على التهجد وقت الأسحار وما كان في هذه
الأمة أعبد من فاطمة عليها السلام كانت تقوم بالأسحار حتى تورمت قدماها
وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تورمت قدماه وهو المغفور له ما تقدم من
ذنبه وما تأخر وكانت دموعه تقع على مصلاه كوكف المطر وكان إبراهيم الخليل عليه
السلام يسمع لقلبه غليان وخفقان هذا خوف الحبيب والخليل مع ما أعطيا من
شرف المقام فالعجب كيف تطمئن قلب من أزعجته الآثام وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لرجل قال له ادع الله أن يجعلني رفيقك في الجنة عليك بكثرة السجود وقال
حاتم الأصم فاتتني الصلوة في الجماعة فعزاني أبو إسحق البخاري وحده ولو مات لي ولد لعزاني
أكثر من عشرة لأن مصيبة الدين عندهم أهون من مصيبة الدنيا وكان السلف
يعزون أنفسهم ثلثة أيام إذا فاتهم التكبير الأول وسبعا إذا فاتتهم الجماعة وقال

بن عباس ركعتان مقتصدتان في تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه ولبعضهم

حسر الذي ترك الصلوة وخابا ۰ وابى معادا صالحا ومآبا

ان كان يجحدها فحسبك انه ۰ أضحى بربك كافرا مرتابا

اوكان يتركها لنوع تكاسل ۰ غطى على وجه الصواب حجابا

فالشافعي ومالك رأيا له ۰ إن لم يتب حد الحسام عقابا

والرأي عندي للامام عذابه ۰ بجميع تاديب يراه صوابا

اللهم اعنا على الصلوة برحمتك ۰ وتقبلها منا بكرمك ۰ ولا تجعلنا من الغافلين برحمتك يا ارحم الراحمين ۰ ومما يستحسن الحاقه بهذا الفصل ذكر شيء من فضل السواك والاذان

اما السواك فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك عند كل صلوة ۰ وقال صلى الله عليه وسلم صلوة على اثر سواك خير من خمس وسبعين صلوة على غير سواك ۰ وقال حذيفة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام ليتهجد يشوص فاه بالسواك ۰ وقال صلى الله عليه وسلم السواك مطهرة للفم مرضاة للرب ۰ وقال صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما في السواك لبات مع الرجل في لحافه ۰ وقال صلى الله عليه وسلم افواهكم طرق ربكم فنظفوها ۰ والاختيار في السواك ان يكون بعود الاراك ويجزى غيره من العيدان وبالسعد والاشنان وبالخرقة الخشنة وغير ذلك مما ينظف ۰ ويستاك عرضا مبتديا بالجانب الايمن من فمه وينوي به الاتيان بالسنة قال الاصحاب يقول عند السواك اللهم بارك لي فيه يا ارحم الراحمين ويستاك في ظاهر الاسنان وباطنها ويمر بالسواك على اطراف اسنانه واضراسه وسقف حلقه امرارا خفيفا ويستاك بعود متوسط لا شديد اليبوسة ولا شديد اللين فان اشتد يبسه لينه بالماء ۰ وقد قيل من فضائل السواك انه يذكر الشهادة عند الموت

واما الاذان

فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من اذانه وقيل في قوله تعالى ومن احسن قولا ممن دعا الى الله نزلت في المؤذنين ۰ وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يغفر الله للمؤذن مد صوته ويشهد له ما سمعه من رطب ويابس ۰ وعن معاوية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المؤذنون اطول اعناقا يوم القيمة رواه مسلم ۰ وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا نودي للصلوة ادبر الشيطان وله ضراط حتى لا يسمع التاذين رواه البخاري ومسلم ۰ وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يسمع مدى صوت المؤذن جن ولا انس ولا شيء الا وشهد له

ويغفر ذا اكل الاذين بخلاف السواك [illegible]

يوم القيمة رواه البخاري والاحاديث في فضله كثيرة مشهورة والله اعلم بالصواب

الفصل الثالث في الزكوة وفضلها

قرن الله سبحانه وتعالى الزكوة بالصلوة في مواضع شتى من كتابه قال تعالى واقيموا الصلوة واتوا الزكوة وقال تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة وقال تعالى ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة وعن بريدة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ما حبس قوم الزكوة الا حبس عنهم القطر وعن عايشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم ما خالطت الزكوة مالا قط الا اهلكته وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم من كان عنده ما يزكي فلم يزك ومن كان عنده ما يحج فلم يحج سال الرجعة يعني قوله قال رب ارجعون ويلحق بهذا الفصل ذكر الصدقة وما جاء فيها وما اعد الله للمتصدقين من الاجر والثواب ودفع البلاء قال تعالى ان الله يجزي المتصدقين وقال تعالى والمتصدقين والمتصدقات والايات الكريمة في ذلك كثيرة والاحاديث الصحيحة فيه مشهورة روى الترمذي في جامعه بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الاصحاب عند الله خيرهم لصاحبه وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره ۰ وفي صحيح مسلم وموطا مالك وجامع الترمذي عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نقص مال من صدقة او قال ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو الا عزا وما تواضع عبد الا رفعه الله ۰ ودخلت امرأة شلا على عايشة رضي الله عنها فقالت كان ابي يحب الصدقة وامي تبغضها لم تتصدق في عمرها الا بقطعة شحم وخلقة فرايت في المنام كان القيمة قد قامت وكان امي قد غطت عورتها بالخلقة وفي يدها الشحمة تلحسها من العطش فذهبت الى ابي وهو على حافة حوض يسقي الناس ۰ فطلبت منه قدح ماء فسقيت امي فنوديت من فوق الا من سقاها فشل الله يدا ها فانتبهت كما ترين ۰ ووقف سايل على امراة تتعشى فقامت فوضعت لقمة في فيه ثم بكرت الى زوجها في مزرعة فوضعت ولدها وقامت لحاجة فاختلسته الذيبة فوقفت وقالت يا رب ولدي فاتى آت فاخذ بعنق الذيبة فاستخلصت ولدها من فيها بغير اذى ولا ضرر وقال لها هذه اللقمة بتلك اللقمة التي وضعتها في فم السايل ۰ وعشش ورشان على شجرة في دار رجل فلما همت فراخه بالطيران زينت امراة ذلك الرجل له اخذ فراخ ذلك الورشان ففعل ذلك مرارا وكلما فرخ الورشان اخذ فراخه فشكى الورشان الى سليمان عليه السلام وقال يا رسول الله اردت ان يكون لي اولاد يذكرون الله من بعدي فاخذها ذلك الرجل بامر امرأته ثم اعاد الورشان الشكوى فقال سليمان عليه السلام

الشيطانين اذا رايتماه يصعد الشجرة فشقاه نصفين فلما اراد الرجل ان يطلع الشجرة
اعترضه سائل فاطعمه كسرة من خبز شعير ثم صعد فاخذ الفراخ فشكى الورشان ذلك
الى سليمان عليه السلام فقال للشيطانين الم تفعلا ما امرتكما به فقالا اعترضنا ملكين
فطرحانا في الخافقين وقال النخعي رحمه الله كانوا يرون ان الرجل المظلوم اذا تصدق بشي دفع
عنه البلا وكان الرجل يضع الصدقة بين يدي الفقير ويتمثل قائما بين يديه ويسال له قبولها
حتى يكون هو في صورة السائل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصدقة تسد سبعين
بابا من الشر وعنه عليه السلام ردوا مذمة السائل ولو بمثل راس الطاير من الطعام وقال
صلى الله عليه وسلم اتقوا النار ولو بشق تمرة وقال عيسى عليه السلام من رد سائلا خائبا
لم تغش الملايكة ذلك البيت سبعة ايام وكان نبينا صلى الله عليه وسلم يناول المسكين بيده
وعنه صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يكسو مسلما الا كان في حفظ الله ما كانت عليه منه رقعة
وقال عبد العزيز بن عمير رحمه الله الصلوة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب
الملك والصدقة تدخلك عليه وعن الربيع بن خثيم رحمه الله انه خرج في ليلة شاتية
وعليه برنس خز فراى سائلا فاعطاه اياه وتلى قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا
مما تحبون وقال يحيى بن معاذ رحمه الله ما اعرف حبة توزن بجبال الدنيا الا من الصدقة
وعن عمر رضي الله عنه ان الاعمال تباهت فقالت الصدقة انا افضلكن وعن عبيد بن
عمير رضي الله عنهما يحشر الناس يوم القيمة اجوع ما كانوا قط واعطش ما كانوا قط
فمن اطعم لله اشبعه الله ومن سقى لله سقاه الله ومن كسى لله كساه الله وقال الشعبي
رحمه الله من لم ير نفسه الى ثواب الصدقة احوج من الفقير الى صدقته فقد ابطل صدقته
وضرب بها وجهه وكان الحسن بن صالح رحمه الله اذا جاءه سائل فان كان عنده ذهب او
فضة او طعام اعطاه وان لم يكن عنده شي من ذلك اعطاه دهنا او غيره مما ينتفع به
وان لم يكن عنده شي من ذلك اعطاه كحلا او خرج بابرة وخيط فرقع به ثوب السائل
ووجه رجل ابنه في تجارة فمضت اشهر ولم يقع له على خبر فتصدق برغيفين وارخ ذلك
اليوم فلما كان بعد سنة رجع ابنه سالما رابحا فسأله ابوه هل اصابك في سفرك بلا
او شدة فقال غرقت السفينة بنا في وسط البحر وغرقت جملة الناس واذا انا
بشابين اخذاني فطرحاني على الشط وقالا لي قل لوالدك هذا برغيفين فكيف لو تصدق
بزيادة وقال علي رضي الله عنه اذا وجدت من اهل الفاقة من يحمل لك زادك فيوافيك
به حيث تحتاج اليه فاغتنم حمله ولله در القايل حيث يقول

يبكي على الذاهب من ماله ... وانما يبقى الذي يذهب

وحكي ان رجلا عبد الله سبعين سنة فبينما هو في معبده ذات ليلة اذ وقفت به

امراة جميلة فسالته ان يفتح لها وكانت ليلة شاتية فلم يلتفت الى كلامها واقبل على عبادته
فولت المراة فنظر اليها فملكت قلبه وسلبت لبه فترك العبادة وتبعها فقالت له
الى اين قال اليك حيث اريد قال هيهات صار المراد مريدا والاحرار عبيدا ثم جذبها فادخلها
الى مكانه فاقامت عنده سبعة ايام فعند ذلك تفكر فيما كان فيه من العبادة وكيف
باع عبادة سبعين سنة بسبع ليال معصية فبكى حتى غشي عليه فلما افاق قالت له يا
هذا والله انت ما عصيت الله مع غيري وانا ما عصيت الله مع غيرك واني ارى في وجهك
اثر الصلاح فبالله عليك اذا اصطلحت مع مولاك فاذكرني قال فخرج هاربا على وجهه
فاواه الليل الى خربة فيها عشرة عميان وكان بالقرب منهم راهب يبعث اليهم في
كل ليلة بعشرة ارغفة فجا غلام الراهب بالخبز على عادته فمد ذلك الرجل العاصي يده
واخذ رغيفا فبقي رجل منهم لم ياخذ شيا فقال رغيفي قال الغلام قد فرقت عليكم العشرة
فقال ابيت طاويا فبكى الرجل العاصي وناول الرغيف لصاحبه وقال لنفسه انا احق
ان ابيت طاويا لاني عاص وهذا مطيع فنام فاشتد به الجوع حتى اشرف على الهلاك فامر الله
ملك الموت بقبض روحه فاختصمت فيه ملايكة الرحمة وملايكة العذاب فقالت ملايكة
الرحمة هذا رجل فر من ذنبه وجا طايعا وقالت ملايكة العذاب بل هو عاص فاوحى الله عز
وجل اليهم ان زنوا عبادة السبعين سنة بمعصية السبع ليال فوزنوها فرجحت المعصية
على عبادة السبعين سنة فاوحى الله اليهم ان زنوا معصية السبع ليال بالرغيف الذي
اثر به على نفسه فوزنوا ذلك فرجح الرغيف فتوفته ملايكة الرحمة وقبل الله توبته
وحكي ان رجلا جلس يوما ياكل هو وزوجته وبين يديهما دجاجة مشوية فوقف سايل
ببابه فخرج اليه وانتهره فاتفق بعد ذلك ان الرجل افتقر وزالت نعمته وطلق زوجته
فتزوجت بعده برجل فجلس في بعض الايام ياكل معها وبين يديهما دجاجة مشوية واذا بسايل
يطرق الباب فقال الرجل لزوجته ادفعي له هذه الدجاجة فخرجت بها اليه فاذا هو زوجها
الاول فدفعت اليه الدجاجة ثم رجعت وهي باكية فسالها عن بكايها فاخبرته ان السايل كان
زوجها وذكرت له قصتها مع ذلك السايل الذي انتهره زوجها الاول فقال لها وانا والله
ذلك السايل الذي انتهره والحكايات في معنى ذلك كثيرة وفيما اشرت اليه كفاية لمن وعى
وان ليس للانسان الا ما سعى والله الموفق للصواب **الفصل الرابع في الصوم وفضله
وما اعد الله للصايم من الاجر والثواب** قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا كتب عليكم
الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون قيل للصوم عموم وخصوص وخصوص الخصوص
فالعموم كف البطن والفرج عن قصد الشهوة وصوم الخصوص هو كف السمع والبصر
واللسان واليد والرجل وساير الجوارح عن الاثام وخصوص الخصوص صوم القلب عن الهمم

الدنيه وكفه عما سوى الله تعالى بالكلية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زكاة الجسد الصيام وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال للصائم فرحتان فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء ربه وقال وكيع في قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية انها ايام الصوم تركوا فيها الاكل والشرب وسمع بعضهم رجلا يقول ما اخبث ما للصائم فانتبه لنفسه ولزم الصوم وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من افطر يوما من رمضان من غير رخصة رخصها الله لم يقض عنه صيام الدهر وروي في صحيح النسائي عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا جاء رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب جهنم وسلسلت الشياطين وروي الزهري رحمه الله ان تسبيحة واحدة في شهر رمضان افضل من الف تسبيحة في غيره وروي عن قتادة رضي الله عنه قال كان يقال من لم يغفر له في شهر رمضان فلن يغفر له في غيره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس ما في شهر رمضان لتمنت امتي ان يكون رمضان السنة كلها ولو اذن الله عز وجل للسموات والارض ان تتكلم لشهدت لمن صام رمضان بالجنة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس من عبد يصلي في ليلة من شهر رمضان الا كتب الله له بكل ركعة الفا وخمسمائة حسنة وبنى له في الجنة بيتا من ياقوتة حمراء لها سبعون الف باب لكل باب منها قصر من ذهب وله بكل سجدة يسجدها شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل صائم دعوة فاذا اراد ان تقبل فليقل عند اول لقمة يا واسع المغفرة اغفر لي وعن ابن مسعود رضي الله عنه من صام يوما من شهر رمضان خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه فاذا انسلخ عنه الشهر وهو حي لم يكتب عليه حتى الحول ومن عطش نفسه في يوم شديد الحر من ايام الدنيا كان حقا على الله ان يرويه يوم القيمة وقال بعضهم الصيام زكوة البدن ومن صام الدهر فقد وهب نفسه لله عز وجل وروي في صحيح مسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن اذا اجتنبت الكبائر وروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال صيام ثلثة ايام من كل شهر صيام الدهر الايام البيض صبيحة ثلثة عشر واربعة عشر وخمسة عشر وفي صحيح البخاري عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وفضل الصوم على غيره ان خصه الله بالاضافة كما ثبت في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مخبرا عن ربه كل عمل ابن ادم له الا الصوم فانه لي وانا اجزي به وقد يكتفى في فضله بهذا الحديث الجليل وحسبنا الله ونعم الوكيل

الفصل الخامس في الحج

قال الله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من خرج من بيته حاجا او معتمرا فمات اجرى الله له اجر الحاج المعتمر الى يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم من استطاع الحج ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا وفي الحديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وفيه اعظم الناس من وقف بعرفة فظن ان الله لم يغفر له وهو افضل يوم في الدنيا وفي الخبر ان الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة وانه يبعثه الله وله عينان ولسان ينطق به يشهد لمن استلمه بحق وصدق وجاء في الحديث ان ادم لما قضى مناسكه لقيته الملئكة فقالوا يا ادم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وقال مجاهد ان الحجاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملئكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا وكان من سنة السلف ان يشيعوا الغزاة وان يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين اعينهم ويسالوهم الدعاء ويبادروا ذلك قبل ان يتدنسوا بالاثام وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله وعد هذا البيت ان يحجه في كل سنة ستمائة الف فان نقصوا اكملهم الله تعالى بالملئكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة فكل من حجها يتعلق باستارها ويسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها وحكي ان جميلة الموصلية بنت ناصر الدولة بن محمد بن حمدان حجت سنة ست وثمانين وثلثمائة فصارت تاريخا مذكورا قيل انها سقت اهل الموسم كلهم السويق بالطبرزد واستصحبت البقول المزروعة في المراكز على الجمال واعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين ونثرت على الكعبة عشرة الاف دينار ولم تستصبح فيها وعندها الا بشموع العنبر واعتقت ثلثمائة عبد ومائتي جارية واغنت الفقراء والمجاورين ولما بنى ادم عليه السلام البيت قال يا رب ان لكل عامل اجرا فما اجر عملي قال اذا طفت به غفرت لك ذنوبك قال زدني قال قد جعلته قبلة لك ولاولادك قال زدني قال اغفر لكل من استغفر من الطائفين به من اهل التوحيد من اولادك قال يا رب حسبي وقيل للحسن ما الحج المبرور قال ان ترجع زاهدا في الدنيا راغبا في الاخرة واول من كسى الكعبة الديباج عبد الله بن الزبير وكان كسوتها المسوح والانطاع وانه كان يطيبها حتى يوجد ريحها من داخل الحرم وكان حكيم بن حزام يقيم عشية عرفة وينحر البدن يوم النحر وكان يطوف بالبيت فيقول لا اله الا الله وحده لا شريك له نعم الرب ونعم الاله واحبه واخشاه ورئي الحسين بن علي رضي الله عنهما يطوف بالبيت ثم صار الى المقام فصلى ثم وضع خده على المقام فجعل يبكي ويقول عبيدك ببابك خويدمك ببابك سائلك ببابك مسكينك ببابك ويردد ذلك مرارا ثم انصرف فمر بمساكين ومعهم فلق خبز ياكلون فسلم عليهم فدعوه الى الطعام فجلس معهم وقال لولا انه صدقة لاكلت معكم ثم قال قوموا بنا الى منزلي فاطعمهم وكساهم وامر لهم بدراهم وحج عبد الله بن جعفر ومعه ثلثون راحلة وهو يمشي على رجليه حتى وقف بعرفات فاعتق ثلثين مملوكا وحملهم على ثلثين راحلة وامر لهم بثلثين الفا وقال اعتقتهم لله لعله

يعتقني من النار وقال الحسن بن علي رضي الله عنه اني لاستحيي من ربي ان القاه ولم امش
الى بيته فمشى من المدينة الى مكة عشرين مرة ومن لطيف ما انشد عمرو بن حيان الضرير
حين لم يفد اليه الحجاج شيئا يقول

شعر

كان الحجيج الآن لم يقربوا منا ولم يحملوا منها سواكا ولا نعلا
اتونا فما جاؤا بعود اراكة ولا وضعوا في كف طفل لنا نقلا

وقال اخر

حج في الدهر حجة حج فيها واحرما
واتانا من الحجاز بما راح محرما
فهو والحجة الذي ما نوى محرما

وتخاصم بدوي مع حاج عند منصرف الناس فقيل له اتخاصم رجلا من الحجاج فقال يحج لكيما
يغفر الله ذنبه ويرجع وقد حطت عليه ذنوب وقال ابو الشمقمق رحمه الله

شعر

اذا حججت بمال اصله دنس فما حججت ولكن حجت العير
ما يقبل الله الا كل طيبة ما كل من حج بيت الله مبرور

الباب الثاني في العقل والذكا والحمق

قال الله سبحانه في محكم كتابه ومنزل خطابه وقد ضرب سبحانه الامثال واوضحها وبين شرايع مصنوعاته
وشرحها فقال تعالى وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان في
ذلك لآيات لقوم يعقلون وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اول ما خلق الله العقل
فقال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر فادبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا
اعز علي منك بك آخذ وبك اعطي وبك احاسب وبك اعاقب واعلم ان العقل ينقسم الى قسمين
قسم لا يقبل الزيادة والنقصان وقسم يقبلهما اما الاول فهو العقل الغريزي المشترك
بين العقلاء واما الثاني فهو العقل التجربي وهو مكتسب وتحصل زيادته بكثرة التجارب
والوقايع وباعتبار هذه الحالة يقال ان الشيخ اكمل عقلا واتم دراية وان صاحب
التجارب اكثر فهما وارجح معرفة ولهذا قيل من بيضت الحوادث سواد لمته واخلق
التجارب لباس جدته واراه الله تعالى لكثرة ممارسته تصاريف اقداره واقضيته
كان جديرا برزانة العقل ورجاحة الدراية وقد يخص الله تعالى بالطافه الخفية من
يشا من عباده فيفيض عليه من خزاين رحمة مواهبه رزانة عقل ودراية معرفة تخرج
عن حد الاكتساب فيصير بها راجحا على ذوي التجارب والآداب ويدل على ذلك قصة

يحيى

يحيى بن زكريا عليهما السلام فيما اخبر الله تعالى به في محكم كتابه حيث يقول وآتيناه
الحكم صبيا فمن سبقت له سابقة من الله تعالى في قسم السعادة وادركته عناية ازلية
اشرقت على باطنه انوار ملكوتية وهداية ربانية فاتصف بالذكا والفطنة قلبه
واسفر عن وجه الاصابة صبحه وان كان حديث السن قليل التجربة كما نقل في قصة سليمان
وهو صبي حيث رد حكم داود عليهما السلام في امر الغنم والحرث وشرح ذلك فيما نقله
المفسرون ان رجلين دخلا على داود عليه السلام احدهما صاحب غنم والاخر صاحب حرث
فقال احدهما ان هذا دخلت غنمه في الليل الى حرثي فاهلكته فاكلته ولم تبق لي فيه شيا
فقال داود الغنم لصاحب الحرث عوضا عن حرثه فلما خرجا من عنده مرا على سليمان
عليه السلام وكان عمره في ذلك الوقت على ما نقله ايمة التفسير احدى عشرة سنة
فقال ما حكم بينكما الملك فذكرا له ذلك فقال لو غير هذا ارفق بالفريقين فعادا الى
داود عليه السلام وقالا له ما قال له ولده سليمان عليه السلام فدعاه داود وقال له ما هو
ارفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الغنم الى صاحب الحرث وكان الحرث كرما قد تدلت
عناقيده في قول اكثر المفسرين فياخذ صاحب الحرث والكرم الاغنام ياكل لبنها وينتفع
بدرها ونسلها ويسلم الكرم الى صاحب الاغنام ليقوم به فاذا عاد الكرم الى هيئته
وصورته التي كانت ليلة دخلت الغنم اليه سلم صاحب الكرم الغنم الى صاحبها وسلم
كرمه كما كان بعناقيده وصورته فقال له داود عليه السلام القضا كما قلت
وحكم بما قال سليمان عليه السلام وفي هذه القصة نزل قوله تعالى وداود وسليمان
اذ يحكمان في الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها
سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فهذه المعرفة والدراية لم تحصل لسليمان بكثرة التجربة
وطول المدة بل حصلت له بعناية ربانية والطاف الهية واذا افاض الله تعالى
شيا من انوار مواهبه في قلب من يشا من خلقه اهتدى الى مواقع الصواب ورجح
على ذي التجارب في كثير من الاسباب ويستدل على حصول كمال العقل في الرجل بما
يوجد منه وما يصدر عنه فان العقل معنى لا يمكن مشاهدته فان المشاهد من خصايص
الاجسام فاقول يستدل على عقل الرجل بامور متعددة منها ميله
الى محاسن الاخلاق واعراضه عن رذايل الاعمال ورغبته في اسدا صنايع المعروف
وتجنبه ما يكسبه عارا ويورثه سوء السمعة وقيل لبعض الحكما بم تعرف
عقل الرجل قال بقلة سقطه في كلامه وكثرة اصابته فيه فقيل له فان كان غايبا
فقال باحدى ثلثة اما برسوله واما بكتابه واما بهديته فان رسوله قايم مقام
نفسه وكتابه يصف نطق لسانه وهديته عنوان همته فبقدر ما يكون فيها من نقص

يحكم به على صاحبه وقيل من اكثر الاشيا شهادة على عقل الرجل حسن مداراته للناس ويكفي ان حسن المداراة يشهد لصاحبه بتوفيق الله تعالى اياه فانه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من حرم مداراة الناس فقد حرم التوفيق ومقتضاه ان من رزق مداراة الناس لا يحرم التوفيق وقالوا العاقل الذي يحسن المداراة مع اهل زمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة مائة درجة تسعة وتسعون منها لاهل العقل وواحدة لساير الناس وقال علي بن عبيدة رحمه الله العقل ملك والخصال رعية فاذا ضعف عن القيام عليها وصل الخلل اليها فسمعه اعرابي فقال هذا كلام يقطر عسله وقيل ابدي العقول تمسك اعنة النفس وكل شي اذا كثر رخص الا العقل فانه كلما كثر غلا وقيل لكل شي غاية وحد والعقل لا غاية له ولا حد ولكن الناس يتفاوتون فيه تفاوت الازهار في الاشجار واختلف الحكما في ماهيته فقال قوم هو نور وضعه الله طبعا وغريزة في القلب كالنور في العين وهو يزيد وينقص ويذهب ويعود وكما يدرك بالبصر شواهد الامور كذلك يدرك بنور العقل المحجوب والمستور وعمى القلب كعمى البصر قال تعالى فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور وقيل محل العقل الدماغ وهو قول ابي حنيفة رضي الله عنه وذهب جماعة الى انه في القلب كما يروى عن الشافعي رضي الله عنه واستدلوا بقوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها وقوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي عقل وقالوا التجربة مرآة العقل ولذلك حمدت آرا المشايخ حتى قالوا المشايخ اشجار الوقار لا يطيش لهم سهم ولا يسقط لهم وهم وعليكم بآرا الشيوخ فانهم ان عدموا ذكا الطبع فقد افادتهم الايام حيلة وتجربة قال الشاعر

الم تر ان العقل زين لاهله ٭ ولكن تمام العقل طول التجارب

وقال اخر

اذا طال عمر المرء في غير آفة ٭ افادت له الايام في كرها عقلا

وقال عامر بن قيس رحمه الله اذا عقلك عقلك عما لا يعنيك فانت عاقل وقال لا شرف الا شرف العقل ولا غنا الا غنى النفس وقيل يعيش العاقل بعقله حيث كان كما يعيش الاسد بقوته حيث كان قال الشاعر

اذا لم يكن للمرء عقل فانه ٭ وان كان ذا بيت على الناس هين

ومن كان ذا عقل اجل لعقله ٭ وافضل عقل عقل من يتدين

وقالوا العاقل لا يبطره المنزلة السنية كالجبل لا يتزعزع وان اشتد عليه الريح والجاهل يبطره ادنى منزلة كالحشيش يحركه ادنى ريح وقيل لعلي رضي الله عنه صف لنا العاقل قال هو الذي يضع الشي مواضعه وقال المنصور رحمه الله لولده

خذ

خذ عني ثنتين لا تقل في غير تفكير ولا تعمل بغير تدبير وقال ازدشير رحمه الله اربعة يحتاج الى اربعة الحسيب الى الادب والسرور الى الامن والقرابة الى المودة والعقل الى التجربة وقال القاسم بن محمد رحمه الله من لم يكن عقله اغلب الخصال عليه كان حتفه في اغلب الخصال عليه وقال ابو الدردا رضي الله عنه قال لي النبي صلى الله عليه وسلم يا عويمر ازدد عقلا تزدد من الله قربا وعليه عزا ويروى عن علي رضي الله عنه انه كان ينشد هذه الابيات يقول

ان المكارم اخلاق مطهرة ٭ فالعقل اولها والدين ثانيها

والعلم ثالثها والحلم رابعها ٭ والجود خامسها والعرف سادسها

والبر سابعها والصبر ثامنها ٭ والشكر تاسعها واللين عاشرها

والعين تعلم من عيني محدثها ٭ ان كان من حزبها او من اعاديها

والنفس تعلم اني لا اصدقها ٭ ولست ارشد الا حين اعصيها

وقال بعض الحكما العاقل من عقله في ارشاد ورايه في امداد وقوله سديد وفعله حميد والجاهل من جهله في اغرا وقوله سقيم وفعله ذميم ولا يكفي في الدلالة على عقل الرجل الاغترار بحسن ملبسه وملاحة سمته وتسريح لحيته وكثرة صلفه ونظافة بزته اذ كم من كنيف مبيض وجليد مفضض وقال الاصمعي رحمه الله رايت بالبصرة شيخا له منظر حسن وثياب فاخرة وحوله حاشية وهرج وعنده دخل وخرج فاردت ان اختبر عقله فسلمت عليه وقلت له ما كنية سيدنا فقال ابو عبد الرحمن الرحيم مالك يوم الدين قال الاصمعي فضحكت منه وعلمت قلة عقله وكثرة جهله ولم يدفع ذلك عنه غزارة خرجه ودخله وقد يكون الرجل موسوما بالعقل مرقوما بعين الفضل فتصدر منه حالة تكشف حقيقة حاله وتشهد عليه بقلة عقله واختلاله وقيل ان اياس بن معاوية القاضي رحمه الله كان من اكابر عقلا العالم وكان عقله يهديه الى سلوك طرق لا يكاد يسلكها من لم يهتد اليها فكان من جملة الوقايع التي صدرت منه وشهدت له بالعقل الراجح والفكر القادح انه كان في جماعة رجل مشهور بالامانة فاتفق ان رجلا اراد الحج فاودع عند ذلك الرجل الامين كيسا فيه جملة من الذهب ثم حج فلما عاد من الحج جا الى ذلك الرجل وطلب كيسه منه فانكره وجحده فجا الى القاضي اياس وقص عليه القصة فقال له القاضي هل اخبرت احدا غيري قال لا قال فهل علم الرجل انك جيت الي قال لا قال فانصرف واكتم امرك ثم عد الي بعد غد فانصرف ثم ان القاضي دعى ذلك الرجل المستودع فقال له قد حصل عندي اموال كثيرة ورايت ان اودعها عندك فاذهب وهي موضعا حصينا فمضى ذلك الرجل وحضر صاحب الوديعة فقال

في

له ايا سر القاضي امض الى خصمك واطلب منه وديعتك فان جحدك فقل له امض معي الى القاضي أنا بين أحاكم انا وانت عنده فلما جا اليه دفع اليه كيسه فجا الى القاضي واعلمه بذلك ثم ان ذلك الرجل المستودع جا الى القاضي طامعا في تسليم المال فسبه القاضي وابطل قوله وكان هذا من جملة ما يدل على عقله وصحة فكره ومما جا في بعض الخلق اختلفت الروم واجتمع ملوكها وقالوا الآن يشتغل المسلمون بعضهم ببعض فيمكننا الغرة منهم والوثبة عليهم وضربوا في ذلك مشاورات وتراجعوا فيه بالمناظرات واجمعوا على انه فرصة الدهر وكان رجل منهم من اهل العقل والراي والمعرفة غايبا عنهم فقالوا من الحزم عرض الراي عليه فلما اخبروه بما اجمعوا عليه قال لا ارى ذلك صوابا فسألوه عن علة ذلك فقال في غد اخبركم ان شا الله تعالى فلما اصبحوا أتوا اليه وقالوا قد وعدتنا ان تخبرنا في هذا اليوم بما عولنا عليه فقال سمعا وطاعة ثم امر باحضار كلبين عظيمين فداعدهما ثم حرش بينهما وحرض كل واحد على الآخر فتواثبا وتهارشا حتى سالت دماهما فلما بلغا الغاية فتح باب بيت عنده وارسل على الكلبين ذيبا عنده قد اعده فلما ابصراه تركا ما كانا عليه وتالفت قلوبهما ووثبا جميعا على الذيب فقتلاه فاقبل الرجل على اهل الجمع وقال مثلكم مع المسلمين مثل هذا الذيب مع الكلاب لا يزال الهرج بين المسلمين ما لم يظهر عدو من غيرهم تركوا العداوة بينهم وتالفوا على العدو فاستحسنوا قوله واستصوبوا رايه فهذه صفة العقلا

واما ذم الحمق

فقد قال ابن الاعرابي الحماقة مأخوذة من حمقت السوق اذا كسدت فكانه كاسد العقل والراي فلا يشاور ولا يلتفت اليه في امر من الامور والحمق غريزة لا ينفع فيها الحيلة وهي دا دواؤه الموت قال الشاعر

لكل داء دوا يستطاب به ۞ الا الحماقة اعيت من يداويها

والحمق مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاحمق ابغض الخلق الى الله تعالى اذ حرمه اعز الاشيا عليه وهو العقل ويستدل على صفة الاحمق من حيث الصورة بطول اللحية لان مخرجها من الدماغ فمن افرط طول لحيته قل دماغه ومن قل دماغه قل عقله ومن قل عقله فهو احمق واما صفته من حيث الافعال فترك نظره في العواقب وثقته بمن لا يعرفه والعجب وكثرة الكلام وسرعة الجواب وكثرة الالتفات والخلو من العلم والعجلة والخفة والسفه والظلم والغفلة والسهو والخيلا ان استغنى بطر وان افتقر قنط وان قال فحش وان سيل بخل وان سال الح وان قال لم يحسن وان قيل له لم يفقه وان ضحك قهقه وان بكا صرخ وانا قد اعتبرنا هذه الخصال فوجدناها في كثير من الناس فلا يكاد يعرف العاقل من الاحمق قال عيسى عليه السلام عالجت الاكمه والابرص فابراتهما وعالجت

الاحمق

الاحمق فلم يبرأ قيل اصطحب احمقان في طريق فقال احدهما للآخر تعال نتمنى على الله تعالى فان الطريق يقطع بالحديث فقال احدهما انا اتمنى قطايع غنم انتفع بلحمها ولبنها وصوفها وقال الآخر انا اتمنى قطايع ذياب ارسلها على غنمك حتى لا تترك منها شيا فقال ويحك هذا من حق الصحبة وحرمة العشرة فتصايحا وتخاصما واشتدت الخصومة بينهما وتماسكا بالاطواق ثم رضيا بان اول من يطلع عليهما يكون حكما بينهما فطلع عليهما شيخ بحمار عليه زقان من عسل فحدثاه بحديثهما فنزل بالزقين العسل وفتحهما حتى سال العسل على التراب ثم قال صب الله دمي مثل هذا العسل ان لم تكونا احمقين وعن جابر بن عبد الله يرفعه قال كان رجل يتعبد في صومعة فمطرت السما واعشبت الارض فراى حماره يرعى في ذلك العشب فقال يا رب لو كان لك حمار يرعى لرعيته مع حماري فبلغ ذلك بعض الانبيا فهم ان يدعو عليه فاوحى الله اليه لا تدعو عليه فاني اجازي العباد على قدر عقولهم فقال فلان ذو حمق وافر وعقل نافر ليس معه من العقل الا ما يوجب حجة الله تعالى عليه خطب سهل هند بنت سهل فحمقته فقال شعر

وما هو جي يا هند الا سجية ۞ اجرها ذيلي على حسن الخلايق
ولو شئت خادعت الفتى عن قلوصه ۞ ولا طمت في البطحا في كل شارق

ويقال للابله السليم القلب هو من بقر الجنة لا ينطح ولا يرمح والاحمق المؤذي من بقر سقر

الباب الثالث في القرآن وفضله وحرمته وما اعد الله لقاريه

من الثواب العظيم والاجر الجسيم قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وسمى الله تعالى القرآن كريما فقال انه لقرآن كريم وسماه حكيما فقال يس والقرآن الحكيم وسماه مجيدا فقال ق والقرآن المجيد انزله الله تعالى على سيد الانبيا صلى الله وسلم عليه فكان من اعظم معجزاته اعجز الله الفصحا عن معارضته وعن الاتيان باية من مثله قال تعالى قل فاتوا بسورة مثله وقال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا فهو النور المبين والحق المستبين لا شي اسطع من اعلامه ولا اصدع من احكامه ولا افصح من بلاغته ولا ارجح من فصاحته ولا اكثر من افادته ولا الذ من تلاوته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فيه خبر من قبلكم ونبو من بعدكم وحكم ما بينكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصفر البيوت جوف صفر من كتاب الله وقال الشعبي الذي يقرا القرآن انما يحدث عن ربه وقد غالب بن صعصعة على علي بن ابي طالب رضي الله عنه ومعه ابن الفرزدق فقال له من انت قال غالب بن صعصعة قال ذو الابل الكثيرة قال نعم قال فما فعلت ابلك قال اذهبتها النوايب وذعذعتها الحقوق قال ذلك خير سبلها

ثم قال له يا ابا الاخطل من ذا الذي معك قال ابني وهو شاعر قال علمه القرآن فهو خير له من
الشعر فكان ذلك في نفس الفرزدق حتى قيد نفسه وآلى على نفسه ان لا يحل قيده حتى يحفظ القرآن
فحفظه في سنة كاملة ٥ وذلك قوله ٥ بيت

وما صب رجلي في حديد مجاشع ٥ مع القيد الا حاجة لي اريدها ٥

وقال انس رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني لا تغفل عن قراءة القرآن اذا
اصبحت واذا امسيت فان القرآن يحيي القلب الميت وينهى عن الفحشاء والمنكر حكى
الزمخشري في كتابه ربيع الابرار قال ومن حكايات الحشوية ما قيل ان ابراهيم الخواص مر بمصروع
فاذن في اذنه فناداه الشيطان من جوفه دعني اقتله فانه يقول القرآن مخلوق وكان سفيان
الثوري اذا دخل شهر رمضان يفر من مذاكرة الحديث ومجالسة اهل العلم ويقبل على القرآن
في المصحف وكان ابو حنيفة والشافعي رضي الله عنهما يختمان في رمضان ستين ختمة وقال
علي رضي الله عنه من قرأ القرآن فمات فدخل النار فهو ممن يتخذ آيات الله هزوا وقال الشافعي
رحمه الله اللسان عدل على الاذن والقلب فاقرأ قراءة يسمعها اذنك ويفهمها قلبك وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ القرآن ثم رأى ان احدا اوتي افضل مما اوتي فقد استصغر
ما عظم الله وعنه صلى الله عليه وسلم قال ان القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل يا رسول الله
وما جلاؤها قال قراءة القرآن وذكر الموت وقال عمر بن ميمون رحمه الله من نشر مصحفا
حين يصلي الصبح فقرأ مائة آية رفع الله له مثل عمل جميع اهل الدنيا وقال علي رضي الله عنه من قرأ
القرآن وهو قائم في الصلوة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس في الصلوة
فله بكل حرف خمسين حسنة ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات وعن ابن عباس رضي الله عنهما
لان اقرأ البقرة وآل عمران ارتلهما واتدبرهما احب الي من ان اقرأ القرآن هذرمة
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقرؤا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وعن
صالح المري رحمه الله قال قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي
يا صالح هذه القراءة فاين البكاء وكان عثمان رضي الله عنه يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة
وليلة السبت بالانعام الى هود وليلة الاحد بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بمريم الى طسم
موسى وفرعون وليلة الثلثا بالعنكبوت الى ص وليلة الاربعا بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة
الخميس وعن علي رضي الله عنه لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا خير في قراءة لا تدبر فيها
وكان عكرمة بن ابي جهل رضي الله عنه ولعن اباه اذا نشر المصحف غشي عليه ويقول هو كلام
ربي وابطأت عائشة رضي الله عنها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقال ما حبسك
قالت قراءة رجل ما سمعت احسن صوتا منه فقام حتى استمع اليه طويلا ثم قال هذا سالم بن حذيفة
الحمد لله الذي جعل في امتي مثله وقال ابن عيينة رضي الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقلت

فقلت يا رسول الله قد اختلفت علي القراآت فعلى قراءة من تأمرني فقال على قراءة ابي عمرو وثم
ابي عمرو ولم ازل اطلبه ان اقرأه كما قرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكما انزل عليه فقدمت
مكة فلقيت بها عدة ممن لقينا بعض ممن قرأ على الصحابة فقرأت عليهم فاشده بما يدلك فينبغي
للانسان ان يحافظ على تلاوة القرآن ليلا ونهارا سفرا وحضرا وقال الشيخ محيي الدين
رحمه الله في كتاب الاذكار وقد كانت للسلف رحمهم الله عادات مختلفة في القدر الذي يختمون فيه
فكانت جماعة منهم يختمون في كل شهر ختمة وآخرون في كل عشر ليال ختمة وآخرون في ثلث ليال
ختمة وجماعة كثيرون يختمون في كل يوم وليلة ختمة وختم جماعة في كل يوم وليلة ختمتين وختم
بعضهم في اليوم والليلة ثمان ختمات اربعا في الليل واربعا في النهار وروي ان مجاهدا رحمه الله
كان يختم القرآن في رمضان فيما بين المغرب والعشا واما الذين ختموا القرآن في ركعة فلا يحصون
لكثرتهم فمنهم عثمان بن عفان وتميم الداري وسعيد بن جبير رضي الله عنه وروينا في مسند الامام
رحمه الله المجمع على حفظه وجلالته واتقانه وبراعته ابي محمد الدارمي عن سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه
قال اذا وافق ختم القرآن اول الليل صلت عليه الملائكة حتى يصبح وان وافق ختمه اول النهار صلت
عليه الملائكة حتى يمسي قال الدارمي رحمه الله هذا حديث حسن عن سعد وافضل القراءة ما كان في
الصلوة واما في غير الصلوة فافضلها قراءة الليل والنصف الاخير منه افضل والقراءة بين المغرب
والعشا محبوبة واما قراءة النهار فافضلها بعد صلوة الصبح ولا كراهة في وقت من الاوقات ولا
في اوقات النهي عن الصلوة ويستحب الاجتماع عند الختم لحصول البركة وقيل ان الدعا يستجاب عند
ختم القرآن وان الرحمة تنزل عند ختمه ويستحب الدعاء عند الختم استحبابا مؤكدا شديدا ويجب
على القاري الاخلاص في قراءته وان يريد بها وجه الله تعالى وان لا يقصد بها توصلا الى شيء
سوى ذلك وان يتأدب مع القرآن ويستحضر في ذهنه انه يناجي الله سبحانه وتعالى ويتلو
كتابه فيقرأ على حال من يرى الله فانه ان لم يره فانه يراه وينبغي للقاري اذا اراد القراءة
ان ينظف فمه بالسواك وان يكون شأنه الخشوع والتدبر والخضوع فهذا هو المقصود المطلوب
وبه تنشرح الصدور وتتيسر الامور ودلائله اكثر من ان تحصر واشهر من ان تذكر
وقد بات جماعة من السلف رحمهم الله يتلو الواحد منهم آية واحدة ليلة كاملة يتدبرها ويستحب
البكاء والتباكي لمن لا يقدر على البكاء فان البكاء عند القراءة صفة العارفين وشعار عباد الله
الصالحين قال تعالى ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا وقال السيد الجليل
صاحب الكرامات والمعارف والمواهب واللطائف ابراهيم الخواص رضي الله عنه دواء القلب خمسة
اشيا قراءة القرآن بالتدبر وخلاء البطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين
وقد جاءت آثار بفضل رفع الصوت بالقراءة وآثار بفضيلة الاسرار قال العلماء ان اراد
القاري بالاسرار بعد الرياء فهو افضل في حق من يخاف ذلك فان لم يخف الرياء فالجهر افضل بشرط

ان لا يؤذي غيره من مصلٍّ او نائم او غيرهما والاحاديث في فضل القرآن وآداب حملة القرآن
كثيرة غير محصورة ومن اراد ان ينظر الى ذلك فلينظر في آداب حملة القرآن للشيخ شيخ مشايخ الاسلام
محيي الدين النواوي قدس الله روحه وقد جاء في فضل القرآن احاديث كثيرة وروي في فضل
قراءة سور من القرآن في اليوم والليلة فضل كثير منها يس وتبارك الملك والواقعة والدخان
فعن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يس في يوم وليلة
ابتغاء لوجه الله غفر له وفي رواية له من قرأ سورة الدخان في ليلة اصبح مغفورا له وفي رواية
عن ابن مسعود رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ سورة الواقعة
كل ليلة لم تصبه فاقة وعن جابر رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينام كل ليلة
حتى يقرأ الم تنزيل الكتاب وتبارك الملك وعن ابي هريرة رضي الله عنه من قرأ في ليلة اذا زلزلت
الارض كانت له كعدل نصف القرآن ومن قرأ قل يا ايها الكافرون كانت كعدل ربع القرآن
ومن قرأ سورة الاخلاص كانت له كعدل ثلث القرآن والاحاديث بنحو ما ذكرناه كثيرة وقد
اشرنا الى المقاصد ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الباب الرابع في العلم
والادب وفضل العالم والمتعلم لله تعالى

انما يخشى الله من عباده العلماء وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية ودراسته تسبيح والبحث عنه جهاد وطلبه
عبادة وتعلمه صدقة وبذله لاهله قربة لانه معالم الحلال والحرام وبيان سبل الجنة
والمؤنس في الوحشة والمحدث في الخلوة والصاحب في الغربة والدليل على السراء والمعين
على الضراء والزين عند الاخلاء والسلاح على الاعداء وبالعلم يبلغ العبد منازل الاخيار
في الدرجات العلى ومجالسة الملوك في الدنيا ومرافقة الابرار في الآخرة والفكر في العلم
يعدل الصيام ومذاكرته تعدل القيام وبالعلم توصل الارحام وتفصل الاحكام
وبه يعرف الحلال والحرام وبالعلم يعرف الله ويوحد وبالعلم يطاع ويعبد وعنه
عليه السلام يوزن مداد العلماء ودم الشهداء يوم القيمة فلا يفضل احدهما على الآخر
ولغدوة في طلب العلم احب الى الله تعالى من مائة غزوة ولا يخرج احد في طلب العلم الا
وملك موكل به يبشره بالجنة ومن مات وميراثه المحابر والاقلام دخل الجنة وقال
علي رضي الله عنه اقل الناس قيمة اقلهم علما وقال موسى عليه السلام الهي من احب الناس
اليك قال عالم يطلب علما وقال بعض السلف [illegible] الفقه للاديان والطب
للابدان والنجوم للازمان والنحو للسان وسئل الشعبي رضي الله عنه عن مسئلة فقال
لا علم لي بها فقيل له الا تستحي قال ولم استحي مما لا تستحي منه الملائكة حين قالت لا علم لنا وعن

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم رجلا وروي كفضل القمر
ليلة البدر على سائر الكواكب وقال رضي الله عنه من نصب نفسه للناس اماما فعليه ان
يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ومعلم نفسه
ومؤدبها احق بالاجلال من مؤدب الناس ومعلمهم وانشدوا في ذلك

يا ايها الرجل المعلم غيره ✿ هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء لذي السقام وذي الضنا ✿ كيما يصح به وانت سقيم
ونراك تصلح بالرشاد عقولنا ✿ ابدا وانت من الرشاد عديم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ✿ فاذا انتهت عنه فانت حكيم
فهناك يقبل ما تقول ويقتدى ✿ بالراي منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله ✿ عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال بعضهم

اني رايت الناس في عصرنا ✿ لا يطلبون العلم للعلم
الا مباهاة لاصحابه ✿ وعدة للظلم والخصم

نظر مزيد الى امرأته وهي صاعدة في السلم فقال انت طالق ان صعدت وطالق ان نزلت
وطالق ان وقفت فرمت نفسها الى الارض فقال لها فداك ابي وامي ان مات مالك
احتاج اليك اهل المدينة في احكامهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هلاك امتي
في شيئين ترك العلم وجمع المال وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن افضل الاعمال
فقال العلم بالله والفقه في دينه وكررها عليه فقال يا رسول الله اسألك عن العمل فتخبرني
عن العلم فقال ان العلم ينفعك معه قليل العمل وان الجهل لا ينفعك معه كثير العمل وقال
عيسى عليه السلام من علم وعمل وعلّم عُدّ في الملكوت الاعظم عظيما وقال الخليل العلوم اقفال
والسؤالات مفاتيحها وعثرة العالم مضروب بها الطبل وزلة الجاهل يخفيها الجهل وقال
يزيد بن ميسرة رحمه الله من اراد بعلمه وجه الله تعالى اقبل الله بوجهه ووجوه العباد اليه
ومن اراد بعلمه غير الله تعالى صرف الله عنه وجهه ووجوه العباد وقال الحسن رحمه الله
رايت اقواما من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون من عمل بغير علم كان ما يفسد اكثر
مما يصلح والعامل بغير علم كالسائر على غير طريق فاطلبوا العلم طلبا لا يضر بالعبادة واطلبوا
العبادة طلبا لا يضر بالعلم وعن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم
باجود الاجواد قالوا بلى يا رسول الله قال الله اجود الاجواد وانا اجود ولد آدم واجودهم
من بعدي رجل علم علما فنشره يبعث يوم القيمة امة وحده ورجل جاد بنفسه في سبيل الله
حتى قتل وقال الثوري رحمه الله كان يقال العالم الفاجر فتنة لكل مفتون وعن الفضيل

لو ان اهل العلم اكرموا انفسهم واعزوا هذا العلم وصانوه وانزلوه حيث انزله الله تعالى
اذا لخضعت لهم رقاب الجبابرة وانقاد لهم الناس وكانوا لهم تبعا ولكنهم اذلوا
انفسهم وبذلوا علمهم لابناء الدنيا فهانوا وذلوا فانا لله وانا اليه راجعون اعظم مصيبة
وللقاضي العلامة ابي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني وقد احسن كل الاحسان وكانما نسجت
في طراز حسان قال

شعر

ولم اقض حق العلم ان كنت كلما ۞ بدا طمع صيرته لي سلما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي ۞ لاخدم من لاقيت لكن لاخدما
ءاشقى به غرسا واجنيه ذلة ۞ اذا فاتباع الجهل قد كان احزما
فان قلت جد العلم كاب فانما ۞ كبا حين لم يحرس حماه واسلما
ولو ان اهل العلم صانوه صانهم ۞ ولو عظموه في النفوس لعظما
ولكن اهانوه فهان ودنسوا ۞ محياه بالاطماع حتى تجهما

وقيل من لم يتعلم في صغره لم يتقدم في كبره وقال الفضيل رحمه الله شر العلماء من يجالس
الامراء وخير الامراء من يجالس العلماء وقال لقمان رحمه الله جالس العلماء وزاحمهم
بركبتيك فان الله تعالى يحيي القلوب بنور الحكمة وقيل من عرف بالحكمة لاحظته العيون
بالوقار وكان ابن مسعود رضي الله عنه اذا راى طالبي العلم قال مرحبا بكم ينابيع الحكمة
ومصابيح الظلم خلقان الثياب جدد القلوب ريحان كل قبيلة وقال علي كرم الله وجهه
كفى بالعلم شرفا ان يدعيه من لا يحسنه ويفرح به اذا انتسب اليه وكفى بالجهل
ضيعة ان يتبرا منه من هو فيه ويغضب اذا نسب اليه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما اتى الله احدا علما الا اخذ عليه الميثاق ان لا يكتمه احدا ودعا بعضهم لاخر
فقال جعلك الله ممن يطلب العلم رعاية لا رواية وممن نظر حقيقة ما يحمله عما يحمله
وعن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال على باب الجنة شجرة تحمل ثمارا اكثدي
النسا تخرج من تحتها عين ماء يشرب منها العلماء والمتعلمون مثل اللبن الحليب والناس
عطاش وعن ابي مسعود رضي الله عنه من تعلم بابا من العلم ليعلمه الناس ابتغاء وجه الله
تعالى اعطاه الله اجر سبعين نبيا وعن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
ويل لامتي من علماء السوء يتخذون العلم تجارة يبيعونها لا اربح الله تجارتهم وقد قيل

شعر

العلم انفس ذخر انت ذاخره ۞ من يدرس العلم لم تدرس مفاخره
اقبل على العلم واستقبل مقاصده ۞ فاوله العلم اقبال وآخره

وقال الشعبي رحمه الله دخلت على الحجاج حين قدم العراق فسالني عن اسمي ثم قال

يا شعبي

يا شعبي كيف علمك بكتاب الله قلت عني يؤخذ قال كيف علمك بالفرائض قلت الي فيه
المنتهى قال كيف علمك بانساب الناس قلت انا الفيصل فيها قال كيف علمك بالشعر
قلت ديوانه قال لله ابوك ففرض لي اموالا وسودني على قومه فدخلت عليه وانا صعلوك
من صعاليك همدان وخرجت وانا سيدهم وقال البستي رحمه الله

اذا لم يزد علم الفتى قلبه هدى ۞ وسيرته عدلا واخلاقه حسنا
فبشره ان الله اولاه فتنة ۞ تغشيه حرمانا وتوسعه حزنا

وقال الهيثم بن جميل شهدت مالك بن انس رحمهم الله سئل عن ثمان واربعين مسئلة فقال
في ثنتين وثلثين منها لا ادري قال الاوزاعي رحمه الله شكت النواويس الى الله تعالى ما
تجد من نتن ريح الكفار فاوحي اليه بطون علماء السوء انتن مما انتم فيه وعن علي رضي الله عنه
من افتى للناس بغير علم لعنته السماء والارض وقد قيل لصالح بن جناح اللخمي رحمه الله

شعر

تعلم اذا ما كنت لست بعالم ۞ فما العلم الا عند اهل التعلم
تعلم فان العلم ازين للفتى ۞ من الحلة الحسناء عند التكلم

ودخل عبد الله بن مسلم الهذلي على المهدي رحمهما الله في القراء فاخذ عشرة الاف درهم ثم
دخل في الفقهاء فاخذ عشرة الاف درهم ثم دخل في الشعراء فاخذ عشرة الاف درهم ثم دخل
في الرماة فاخذ عشرة الاف درهم ثم دخل في المغنيين فاخذ عشرة الاف درهم ثم دخل في
القصاص فاخذ عشرة الاف درهم فقال المهدي لم ار كاليوم اجمع لما جمع الله في احد منك
وسال جماعة من الحكماء مجالسة رجل فتواروا عنه في بيت فرقي السطح وجعل يستمع من الكوة حتى
وقع عليه الثلج فصبر وشكر الله له ذلك فجعله امام الحكماء لا يختلفون في شيء الا صدروا
عن رايه وشكي رجل الى وكيع بن الجراح رحمه الله سوء الحفظ فقال استعينوا على الحفظ
بترك المعاصي وانشا يقول

شعر

شكوت الى وكيع سوء حفظي ۞ فارشدني الى ترك المعاصي
وذلك ان حفظ العلم فضل ۞ وفضل الله لا يؤتى لعاصي

ووجد في بعض الاثار عن بعضهم انه قال اذا اردت ان تكون احفظ الناس فقل عند رفع
الكتاب بسم الله وسبحان الله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
عدد كل حرف كتب ويكتب ابد الابدين ودهر الداهرين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم
قيل واذا اردت ان لا تنسى حرفا فقل قبل القراءة اللهم افتح علينا حكمتك وانشر علينا رحمتك
يا ذا الجلال والاكرام واذا اردت ان ترزق الحفظ فقل خلف كل صلوة مكتوبة امنت بالله الواحد
الاحد الحق لا شريك له وكفرت بما سواه ومن فوائد سيدي الشيخ الصالح شهاب الدين احمد بن

موسى بن عجيل رحمه الله في الحفظ يقرأ كل يوم عشر مرات ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما
وعلما الى قوله وكنا فاعلين يا حي يا قيوم يا رب موسى وهرون يا رب ابراهيم يا رب
محمد عليهم الصلوة والسلام الزمني الفهم وارزقني العلم والحكمة والعقل برحمتك يا ارحم
الراحمين وعن ابي يوسف رحمه الله قال مات لي ولد فامرت من يتولى دفنه ولم ادع مجلس
ابي حنيفة رضي الله عنه خيفة ان يفوتني يوم منه وقال محمد بن اسحق بن خزيمة رحمه الله
ما رايت تحت اديم السماء اعلم بالحديث ولا احفظ له من محمد بن اسمعيل رحمه الله ليس بحديث
قال البخاري رحمه الله احفظ مائة الف حديث صحيح ومائتي الف حديث غير صحيح وقال
ما وضعت في كتابي الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذلك وصليت ركعتين وقال اخرجته
من ستمائة الف حديث وصنفته في ستة عشر سنة وجعلته حجة فيما بيني وبين الله عز وجل
وقال مجاهد اتينا عمر بن عبد العزيز رحمه الله لنعلمه فما برحنا حتى تعلمنا منه
وقال الليث بن سعد رحمه الله ما هلك عالم قط الا ذهب ثلثا علمه ولو حرص الناس
ويقال اذا سئل عالم فلا يجيب انت فان ذلك استخفاف بالسائل والمسئول وقالوا
من خدم العلم خدمته المنابر وقد قيل

شعر

لا تدخروا غير العلوم فانها نعم الذخائر
فالمرء لو ربح البقاء مع الجهل لكان الخاسر

وللشافعي رضي الله عنه وارضاه

اخي لن تنال العلم الا بستة سانبيك عن تفصيلها ببيان
ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة وصحبة استاد وطول زمان

وقال الزهري رحمه الله العلماء اربعة سعيد بن المسيب بالمدينة وعامر الشعبي بالكوفة
والحسن البصري بالبصرة ومكحول بالشام رحمة الله عليهم اجمعين وقال بعضهم العلماء
سرج الازمنة وكل عالم سراج زمانه ويستضيء به اهل عصره وقيل لابراهيم بن عيينة
رحمه الله اي الناس اطول ندامة اما في الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره واما
في الاخرة فعالم مفرط وقد قيل

شعر

كن عالما وارض بصف النعال ولا تكن صدرا بغير الكمال
فان تصدرت بلا آلة صيرت ذاك الصدر صف النعال

وقيل لما اجتمع موسى بالخضر عليهما السلام جاء عصفور فاخذ بمنقاره من البحر قطرة ثم
حط على ورك الخضر ثم طار ثم نظر الخضر الى موسى وقال يا نبي الله ان هذا العصفور يقول
يا موسى انت على علم من علم الله علمك الله هو لا يعلمه موسى وانا على علم من علم الله علمني الله هو
لا تعلمه انت ولا الخضر وما علمي وعلمك وعلم الخضر في علم الله الا كهذه القطرة من هذا البحر

قال الله تعالى ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وقال تعالى وما يعلم جنود ربك الا
هو وقال ابن عباس رضي الله عنهما خلق الله تعالى اربعين الف عالم الجن والانس عالمان
والباقي لا يعلمها الا الله تعالى وقال موسى عليه السلام يا رب لو لم تخلق السموات والارض
ما كنت فاعلا بهما قال يا موسى كنت آمر دابة من دوابي ان تبتلعهما قال موسى يا رب
فاين تلك الدابة قال في مرج من مروجي قال موسى يا رب فاين ذلك المرج قال في علم
من علومي لا يعلمه الا انا وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال خرج علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ونحن في فكرة فقال فيم تتفكرون تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله فان الله تعالى
خلق من جانب المغرب ارضا يقال لها البيضاء مسيرتها تقطعه الشمس اربعين يوما فيها
خلق ما عصوا الله طرفة عين فقال عمر رضي الله عنه يا رسول الله اين ابليس منهم قال ما علموا
ابليس خلق ام ما خلق قالوا امن بني ادم قال ما علموا ادم خلق ام ما خلق فهذه كلها جماعة
الله في خلقه علم غيبه انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت
كل شيء واليه ترجعون وقال حماد بن سلمة مثل الذي يطلب الحديث ولا يعرف النحو
كمثل الحمار عليه مخلاة لا شعير فيها ومما قيل لابراهيم بن خلف المهراوي رحمه الله

النحو يبسط من لسان الالكن والمرء تعظمه اذا لم يلحن
واذا طلبت من العلوم اجلها فاجلها منها مقيم الالسن

وقال علي بن بشار رحمه الله

رايت لسان المرء وافد عقله وعنوانه فانظر بماذا تعنون
ولا تعد اصلاح اللسان فانه يخبر عما عنده ويبين
ويعجبني زي الفتى وجماله فيسقط من عيني ساعة يلحن

ودخل اعرابي السوق فوجدهم يلحنون فقال سبحان الله يلحنون ويربحون وكلم ابا موسى رحمه الله
بعض قواده فلحن فقال لم لا تنظرون في العربية قال بلغني ان من نظر فيها قل كلامه قال
ويحك لان يقل كلامك بالصواب خير لك من ان تكثر كلامك بالخطا وكان يقال مجالسة
الجاهل مرض العقل وقال ابو الاسود الدؤلي رحمه الله اذا اردت ان تعذب عالما فاقرن به
جاهلا قال الشاعر

جهلت ولا تدري بانك جاهل ومن لي بان تدري بانك لا تدري

وقال رجل للحسن رحمه الله انا افصح الناس قال لا تقل قال فخذ علي كلمة واحدة قال هذه
واحدة ابا جهل كناه المسلمون بذلك وكانت قريش تكنيه ابا الحكم وقال حسان رحمه الله

الناس كنوه ابا حكم والله كناه ابا جهل

واما ما جاء في الادب فقد قال بعض الحكماء العقل يحتاج الى مادة من الادب كما

كما تحتاج الابدان الى قوتها من الطعام وقال علي كرم الله وجهه الادب كنز عند الحاجة
على المروءة صاحب في المجلس انيس في الوحدة تعمر به القلوب الواهية وتحيى به الالباب
الميتة وينال به الطالبون ما حاولوا وقيل عقل بلا ادب كشجاع بلا سلاح وحكي
ان رجلا تكلم بين يدي المامون فاحسن فقال ابن من انت فقال ابن الادب يا امير المؤمنين
قال نعم نسبك انتسبت اليه ولهذا قيل المرء من حيث يثبت لا من حيث نبت ومن حيث
يوجد لا من حيث يولد قال الشاعر

كن ابن من شئت واكتسب ادبا ... يغنيك محموده عن النسب
ان الفتى من قال ها انا ذا ... ليس الفتى من قال كان ابي

وقال بعض الحكما من كثر ادبه كثر شرفه وان كان وضيعا وبعد صيته وان كان خاملا
وساد وان كان غريبا وكثرت حوائج الناس اليه وان كان فقيرا وقال بعض الشعرا

لكل شي زينة في الورى ... وزينة المرء تمام الادب
اذا انتمى منتم الى احد ... فانني منتم الى ادب

وقيل الفضل بالعقل والادب لا بالاصل والحسب وقيل المرء بفضله لا بفضيلته وبكماله
لا بجماله وبادابه لا بثيابه وقيل لبقراط ما الفرق بين من له ادب وبين من لا ادب له
قال كالفرق بين الحيوان الناطق وبين الحيوان الذي ليس بناطق ودخل ابو العالية على
ابن عباس رحمهما الله فاقعده معه على السرير واقعد رجلا من قريش تحته فراى سوء نظرهم
اليه وحموضة وجوههم فقال ما لكم تنظرون الى نظر الشحيح الى الغريم المفلس هكذا الادب
يشرف الصغير على الكبير ويرفع المملوك على المولى ويقعد العبيد على الاسرة وقال
جالينوس ان ابن الوضيع اذا كان اديبا كان نقص ابيه زائدا في منزلته وابن الشريف اذا كان
غير اديب كان شرف ابيه زائدا في سقوطه وقيل احسن الادب ان لا يفتخر المرء بادبه وسمع
معاوية رجلا يقول انا غريب فقال كلا الغريب من لا ادب له ويقال اذا فاتك الادب
فالزم الصمت فهو من اعظم الاداب منزلة ومما قيل لعبد الملك بن صالح رحمه الله

في الناس قوم اضاعوا مجد اولهم ... بما في المكارم والتقوى لهم ارب
سوء التادب ارداهم وارذلهم ... وقد يزين صحيح المنصب الادب

الباب الخامس في الآداب والحكم

قال الحكماء اذا اراد الله بعبد خيرا الهمه الطاعة والزمه القناعة وفقهه في الدين
وعضده باليقين فاكتفى بالكفاف واكتسى بالعفاف واذا اراد به سوءا حبب اليه
المال وبسط منه الآمال وشغله بدنياه ووكله الى هواه فركب الفساد وظلم العباد

الثقة

الثقة بالله ازكى امل والتوكل عليه اوفى عمل ومن لم يكن له واعظ من دينه لم تنفعه
المواعظ ومن سره الفساد ساءه المعاد وكل يحصد ما زرع ويجزى بما صنع لا يغرنك
صحة نفسك وسلامة امسك فمدة العمر قليلة وصحة النفس مستحيلة من اطاع هواه
باع دينه بدنياه ثمرة العلوم العمل بالمعلوم من رضي بقضاء الله لم يسخطه احد ومن قنع
بعطائه لم يدخله حسد افضل الناس من لم تفسد الشهوة دينه خير الناس من اخرج
الحرص من قلبه وعصى هواه في طاعة ربه نصرة الحق شرف ونصرة الباطل سرف
البخيل حارس نعمته وخازن لورثته من لزم الطمع عدم الورع اذا ذهب الحياء حل البلاء
علم لا ينفع كدواء لا ينجع من جهل المرء ان يعصي ربه في طاعة هواه ويهين نفسه في اكرام
دنياه ايام الدهر ثلثة يوم مضى لا يعود اليك ويوم انت فيه لا يدوم عليك
ويوم مستقبل لا تدري ما حاله ولا تعرف من اهله من كثر ابتهاجه بالمواهب اشتد
انزعاجه للمصائب لا تبيتن على غير وصية وان كنت من جسمك في صحة ومن عمرك في فسحة
عظ المسيء بحسن افعالك ودل على الجميل بجميل خلالك اياك وفضول الكلام فانه يظهر من
عيوبك ما بطن ويحرك من عدوك ما سكن كلام المرء بيان فضله وترجمان عقله فاقصر
على الجميل واقتصر منه على القليل كل امرئ يعرف بقوله ويوصف بفعله فقل سديدا
وافعل حميدا من عرف شانه وحفظ لسانه واعرض عما لا يعنيه وكف عن عرض اخيه
دامت سلامته وقلت ندامته كن صموتا صدوقا فالصمت حرز والصدق عز من
اكثر مقاله سئم ومن اكثر سؤاله حرم ومن استخف باخوانه خذل ومن اجترا على سلطانه
قتل ما عز من ذل جيرانه ولا سعد من حرم اخوانه اجل النوال ما وصل قبل السؤال
اولى الناس بالنوال ازهدهم في السؤال من حسن صفاؤه وجب اصطفاؤه من عاطك
تبع الشتم منه فغطه بحسن الحلم عنه من بخل بماله على نفسه جاد به على زوج عرسه اذا
اصطنعت المعروف فاستره واذا اصطنع اليك فانشره من جاور الكرام امن الاعدام
من طاب اصله زكى فرعه من انكر حسن الصنيعة استوجب حسن القطيعة من من
بمعروف سقط شكره ومن عجب بعمله حبط اجره من رضي من نفسه بالاساءة شهد على
نفسه بالرداءة من رجح في هيبته بالغ في خسته من رقى في درجات الهمم عظم في عيون
الامم من كبرت همته كثرت قيمته من ساء خلقه ضاق رزقه من صدق في مقاله زاد
في جماله من هان عليه المال توجهت اليه الآمال من جاد بماله جل ومن جاد بعرضه ذل
خير الاموال ما اخذ من الحلال وصرف في النوال وشر الاموال ما اخذ من الحرام وصرف
في الآثام افضل المعروف اغاثة الملهوف من تمام المروة ان تنسى الحق لك وتذكر الحق
عليك وتستكبر الاساءة منك وتستصغر الاساءة اليك من احسن المكارم عفو المقتدر

جود الرجل يحببه الى اضدادئه وبخله يبغضه الى اولاده لا تبني الى من احسن اليك ولا تنعم
على من انعم عليك من كثر ظلمه واعتداؤه قرب هلاكه وفناؤه من طال تعديه كثرت
اعاديه شر الناس من ينصر الظلوم ويخذل المظلوم ومن حفر حفر الاخيه كان حتفه فيه
من سل سيف العدوان اغمد في راسه من لم يرحم العبر سلب الرحمة ومن لم يقبل العثره
سلب القدره لا تحاج لمن بذهاب خوفه وعلك كك سيفه حتى تسلم به خير من نطق
تندم عليه من قال ما لا ينبغي سمع ما لا يشتهي جرح الكلام اصعب من جرح الحسام
اذا سكت عن جاهل فقد اوسعته جوابا واوجعته عتابا من اماته شهوته احيى مروته
من كثرت عوارفه كثرت معارفه من لم يقبل التوبة عظمت خطيئته اياك والبغي فانه
يصرع الرجال ويقطع الآجال الناس في الخير اربعة منهم من يفعله ابتدا ومنهم من يفعله
اقتدا ومنهم من يتركه حرمانا ومنهم من يتركه استحسانا فمن فعله ابتدا فهو كريم ومن فعله
اقتدا فهو حليم ومن تركه حرمانا فهو شقي ومن تركه استحسانا فهو دني من سالم سلم
ومن فيه الخير غنم ومن لزم الرقاد عدم المراد من دام كسله خاب امله العجول
مخطي وان ملك والمتثبت مصيب وان هلك من امارات الخذلان معادات الاخوان
استفساد الصديق من عدم التوفيق الرفق مفتاح الرزق من نظر في العواقب
سلم من النوايب من اسرع في الجواب أبطا في الصواب من ركب العجل ادرك الزلل
من ضعفت آراؤه قويت اعداؤه من قلت فضايله ضعفت وسايله من فعل ما شا
لقي ما سا من كثر اعتباره قل عثاره من ركب حدة غلب ضدة القليل مع التدبير
ابقى من الكثير مع عدم التدبير ظن العاقل اصح من يقين الجاهل قليل تحمد عقبته خير
من كثير تذم عاقبته من خاف سطوتك تمنى موتك اذا استشرت الجاهل اختار لك الباطل
من اعجبته آراؤه غلبته اعداؤه من قصر عن السياسة صغر عن الرياسة لا تشكون ضعفك
الى عدوك فانك تشمته بك وتطمعه فيك من لم يحمل لنفسه حمل الناس ومن لم يصبر على كده
صبر على الافلاس من افشى سرك افسد امرك الحازم من حفظ ما في يده ولم يؤخر شغل
يومه لغده من طلب ما لا يكون طال تعبه لا تفتح بابا يعييك سده ولا ترم سهما يعجزك
رده سو التدبير سبب التدمير اغمد سيفك ما ناب عنك لسانك ليس العجب من جاهل
يصحب جاهلا ولكن العجب من عاقل يصحب جاهلا لان كل شي ينفر من ضده ويميل الى جنسه
اذا نزل القدر بطل الحذر رب عطب تحت طلب ومنية تحت امنية لا يخلو المرؤ
من ودود يمدح وعدو يقدح الجوع خير من الخضوع الكذوب متهم وان صدقت لهجته
ووضحت حجته من طاوع طرفه اشتد حتفه من لم تسر حياته لم تغم وفاته من اعظم
الذنوب تحسين العيوب الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية اذا ملك الاراذل

هلك

هلك الافاضل من ساءت اخلاقه طاب فراقه من حسنت خصاله طاب وصاله
بعد يورث الصفا خير من قرب يورث الجفا اللسان سيف قاطع لا يؤمن حده والكلام
سهم نافذ لا يمكن رده من اطلع على جاره انتهكت حجب استاره اجهل الناس من قل صوابه
وكثر اعجابه اظهر الناس نفاقا من امر بالطاعة ولم يعمل بها ونهى عن المعصية ولم ينته عنها
من سلا عن المسلوب كمن لم يسلب ومن صبر على النكبة كمن لم ينكب الفضيلة بكثرة
الآداب لا بفراهة الدواب من زادت شهوته نقصت مروته من عرف بشي نسب اليه
ومن اعتاد شيا حرص عليه عند الجدال يظهر فضل الرجال من اخر الاكل لذ طعامه ومن
اخر النوم طاب منامه موت في دولة وعز خير من حياة في ذل وعجز مقاسات الفقر
هي الموت الاحمر ومسلة الناس هي الموت الاكبر خير بخير خير من باطل يسر كم من مرغوب
فيه يسوء ولا يسر ومرهوب منه ينفع ولا يضر عثرة الرجل تزل القدم وعثرة اللسان
تزيل النعم المزاح يورث الضغاين من حلم ساد ومن تفهم ازداد معاشرة ذوي الالباب
عمارة القلوب شر ما صحب المرؤ الحسد ربما اصاب الاعمى رشده واخطا البصير قصده
اليأس خير من التضرع الى الناس لا تكن ضاحكا في غير عجب ولا ماشيا في غير ارب من سعى بالنميمة
حذره القريب الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استبد برايه اشرف الغنا
ترك المنا من ضاق خلقه مله اهله الحسد للصديق من سقم المودة كل الناس راض
من عقله دنياك كلها الوقت الذي انت فيه استر سوآة اخيك لما يعلم فيك
خمول الذكر اسنى من الذكر الذميم العجلة اخت الندامة من كرم اصله لان قلبه
من قل لبه زاد عجبه ربما ادرك الظن الصواب ليس لمعجب راي ولا لمتكبر صديق
سل عن الرفيق قبل الطريق وعن الجار قبل الدار لا تعادي احدا فانك لا تخلو من عداوة
عاقل او جاهل فاحذر رحيلة العاقل وجهل الجاهل ضاحك معترف بذنبه خير من باك
مدل على ربه من قل سروره كان الموت راحة لا ترد على ذي خطا خطاه فيستفيد
منك علما ويتخذك عدوا لا تستحي من ذم من لو كان حاضرا لبالغت في مدحه ومدح من لو كان غايبا
لسارعت الى ذمه وقال ايضا المنفعة توجب المحبة والمضرة توجب البغضة والمخالفة
توجب العداوة والمتابعة توجب الالفة والعدل يوجب اجتماع القلوب والجور يوجب
الفرقة وحسن الخلق يوجب المودة وسو الخلق يوجب المباعدة والانبساط يورث المؤانسة
والانقباض يوجب الوحشة والكبر يوجب المقت والتواضع يوجب الرفعة والجود يوجب
الحمد والبخل يوجب الذم والتواني يوجب التضييع والحزم يورث السرور والحذر يوجب
السلامة واصابة التدبير توجب بقا النعمة وبالتاني تسهل المطالبة وبحسن المعاشرة تدوم
المحبة وبخفض الجانب تانس النفوس وبسعة خلق المرء يطيب عيشه والاستهانة توجب

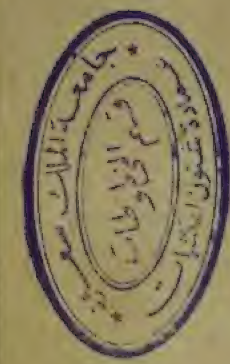
التباعد وبكثرة الصمت تكون الهيبة • وبعدل المنطق توجب الجلالة • وبالنصفة تكثر المواصلة • وبالافضال يعظم القدر • وبصالح الاخلاق تزكو الاعمال • واحتمال المؤن يوجب السودد • وبالحلم عن السفيه تكثر انصارك عليه • وبالرفق والتودد تستحق اسم الكرام • وبترك ما لا يعنيك يتم لك الفضل واعلم ان السياسة تكسو اهلها المحبة ومن صحة المودة الحسد للصديق على النعمة • والنظر في العواقب نجاة • ومن لم يعلم ندم • ومن صبر غنم • ومن سكت سلم • ومن اعتبر ابصر • ومن فهم علم • ومن اطاع هواه ضل • ومع العجلة الندامة • ومع التاني السلامة • وزارع البر يحصد السرور • وصاحب العقل مغبوط • وصداقة الجاهل تعب • اذا جهلت فاسئل • واذا زللت فارجع • واذا اسات فاندم • واذا ندمت فاقلع • المروات كلها تبع للعقل • والراي تبع للتجربة • العقل اصله التثبت وثمرته السلامة • والاعمال كلها تبع للقدر ولنختار العلماء اربع كلمات من اربع كتب من التوراة من قنع شبع • ومن الانجيل من اعتزل نجا • ومن الزبور من سكت سلم • ومن القران ومن يعتصم بالله فقد هدي الى صراط مستقيم واجمعت حكما العرب والعجم على اربع كلمات لا تحمل ظنك ما لا يطيق • ولا تعمل عملا لا ينفعك • ولا تغتر بامراة • ولا تثق بمال وان كثر •

الباب السادس في الامثال السايرة وفيه فصول

الفصل الاول فيما جا في ذلك من القران العظيم وحديث النبي الكريم

اعلم ان الامثال من اشرف ما وصل به اللبيب خطابه • وحلي بجواهره كتابه • وقد نطق كتاب الله تعالى وهو اشرف الكتب المنزلة بكثير منها ولم يخل كلام سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو افصح العرب لسانا واكملهم بيانا في ايراده واصداره من مثل وسنذكر بعده ان شا الله تعالى نبذة من امثال العرب والعامة فمن امثال كتاب الله تعالى ليس لها من دون الله كاشفة • لا يجليها لوقتها الا هو لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون • الان حصحص الحق • قضي الامر الذي فيه تستفتيان اليس الصبح بقريب • ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة • وحيل بينهم وبين ما يشتهون لكل نبا مستقر • قل كل يعمل على شاكلته • وعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان تصبهم سيئة يفرحوا بها • كل نفس بما كسبت رهينة • حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة • ما على الرسول الا البلاغ • كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة • ما على المحسنين من سبيل تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى • هل جزا الاحسان الا الاحسان • ولا ينبيك مثل خبير ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم • كل حزب بما لديهم فرحون • لا يكلف الله نفسا الا وسعها قل هل يستوي الخبيث والطيب • ففررت منكم لما خفتكم • وان كثيرا من الخلطا ليبغي بعضهم على بعض • يا ايها الذين امنوا لم تقولون ما لا تفعلون • الم تر الى الذين يزكون انفسهم

بالله



بل الله يزكي من يشا • يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشيا ان تبد لكم تسؤكم • وما تاتيهم من اية من ايات ربهم الا كانوا عنها معرضين • ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون • اعلموا ان الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم • ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون • فذكر انما انت مذكر لست عليهم بمصيطر • انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون • يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين فبيس القرين • فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين • فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى • كل يوم هو في شان • فباي حديث بعده يؤمنون • وما ربك بغافل عما يعملون • واهجرهم هجرا جميلا • من عمل صالحا فلنفسه ومن اسا فعليها • ان هي الا فتنتك • فاعتبروا يا اولي الابصار • وانه لقسم لو تعلمون عظيم • ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت • ولتعلمن نباه بعد حين • وكان بين ذلك قواما • لمثل هذا فليعمل العاملون • كل من عليها فان • كل نفس ذائقة الموت • افسحر هذا ام انتم لا تبصرون •

ومن الامثال من الحديث النبوي

انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى • نية المؤمن خير من عمله • افة العلم النسيان • من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه • اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه • انزلوا الناس منازلهم • اليد العليا خير من اليد السفلى • من مات غريبا مات شهيدا • مطل الغني ظلم • يد الله على الجماعة • الجار ثم الدار • الرفيق ثم الطريق • من غشنا فليس منا • سيد القوم خادمهم • الحيا شعبة من الايمان • تخيروا لنطفكم • ابدا بمن تعول • حدث عن البحر ولا حرج • المجالس بالامانات • كل ميسر لما خلق له • اطلبوا الخير عند حسان الوجوه • اياك وما يعتذر منه • الوحدة خير من الجليس السوء • استعينوا على الحوائج بالكتمان • الندم توبة • المؤمن لا يكون طعانا ولا لعانا • دع ما يريبك الى ما لا يريبك • من كثر سواد قوم فهو منهم • انصر اخاك ظالما او مظلوما انتظار الفرج عبادة • الاعمال بخواتيمها • كاد الفقر يكون كفرا • نعم صومعة الرجل بيته •

الفصل الثاني في امثال العرب

ان من البيان لسحرا • ان الجواد قد يعثر • ان البلا موكل بالمنطق • انف في السما واست في الما ان الذليل الذي ليست له عضد • اي الرجال المهذب • انما هو كبرق الخلب • اذا ادبر الدهر عن قوم كفى عدوهم امرهم • ان اخا الهيجا من يسعى معك • ومن يضر نفسه لينفعك اياك اعني واسمعي يا جاره • ان لم يكن وفاق ففراق • انك لا تجني من الشوك العنب • اذا جاء القضا ضاق الفضا • ان المناكح خيرها الابكار • اذا كنت مناطحا فناطح بذوات القرون اوى الى ركن بلا قواعد • اياك ان يضرب لسانك عنقك • اكل وحمد خير من اكل وذم افة المروة خلف الموعد • اذا قلت له زن طاطا راسه وحرك • اذا ما اتاك الخصمان وقد فقيت عينه فلا تقض له حتى ياتيك خصمه فلعله قد فقيت عيناه • الناس اخوان

وشي في الشم بلغ السيل الزبى ترك الذنب ايسر من طلب التوبة تسترد ي تنفرجي
اتبع السيئة الحسنة تمحها اتق شر من احسنت اليه اجع كلبك يتبعك حافظ على
الصديق ولو في الحريق الخيل اعرف بفرسانها رمتني بدائها وانسلت رب اكلة منعت اكلات
استراح من لا عقل له رب رمية من غير رام الرياح مع السماح رب اخ لك لم تلده امك
رب طمع ادى الى عطب ربما كان السكوت جوابا رب ملوم لا ذنب له رب عين انم
من لسان رحم الله من اهدى الي عيوبي ركوب الحمار ولا المشي على الطنافس زوج
من عود خير من قعود سبق السيف العذل سبك من بلغك السب سحابة صيف عن قليل
تقشع شر ايام الديك يوم تغسل رجلاه الطاعة النسا ندامة اطلب تظفر طرف الفتى
يخبر عن لسانه ظاهر العتاب خير من باطن الحقد الظلم مرتعه وخيم عند الصباح يحمد القوم
السرى عين عرفت فذرفت عند النطاح يغلب الكبش الاجم العبد يقرع بالعصا
والحر تكفيه الملامة اعقلها وتوكل الحساب قبل العقاب عند الرهان تعرف السوابق
عند الامتحان يكرم المرء او يهان عند النازلة تعرف اخاك في القمر ضيا والشمس اضوا
منه القول ما قالت حذام لقد اسمعت لو ناديت حيا اقلل طعامك تحمد منامك
كل فتاة بابيها معجبة كل كلب ببابه نباح كاد العروس يكون ملكا كثرة العتاب توجب
البغضا اكثر مصارع الرجال تحت بروق المطامع الكلام انثى والجواب ذكر كل انا
يرشح بما فيه كما تزرع تحصد كل امرئ في بيته صبي كلب جوال خير من اسد رابض لقد
ذل من بالت عليه الثعالب ليس الخبر كالمعاينة لكل مار بنوه ولكل فرس كبوه
لكل قاد مردهشه لعل له عذرا وانت تلوم لكل ساقطة لاقطة لكل مقام مقال
لسان من رطب ويد من خشب للباطل جولة ثم يضمحل لكل غد طعام ليس النائحة الثكلى
مثل المستاجرة لكل دهر دولة ورجال لا مخبأ لعطر بعد عروس لا يلدغ المؤمن من جحر
مرتين لا يضر السحاب نباح الكلاب لا تقتني كلبا من كلب سوء جروا يقتل الرجل بين
فكيه ما حك جلدك مثل ظفرك من عتب على الدهر طال عتابه معاتبة الاخوان خير من
فقدهم النفس مولعة بحب العاجل هذه بتلك والبادي اظلم يا حبذا الامارة ولو على
الحجارة يكسو الناس واسته عارية يبرك منك وان كانت شلا والسلام

الفصل الثالث في امثال العامة والمولدين

التسلط على المماليك دناءة اجلس حيث تؤخذ بيدك وتبر ولا تجلس حيث تؤخذ برجلك
وتجر اجرأ الناس على الاسد اكثرهم له رؤية الحاجة تفتق الحيلة الحاوي لا ينجو من الحيات
الحبة تدور الى الرحا ترجع المؤذي ردي كلما حلو تدحض الاصوات توابل الله في ارضه
السلامة احدى الغنيمتين الشاة المذبوحة لا يالمها السلخ الطير بالطير يصاد

اطلع

اطلع القرد في الكنيف فقال هذه المرآة لهذا الوجه الظريف العادة طبع خامس الغايب
حجته معه الخضوع عند الحاجة رجولية الناس اتباع لمن غلب النكاح يفسد الحب الدمع
بين الملا تفريج الجوامع العور ملوزة العينين الحر حر وان مسه الضر والعبد عبد
وان ملك الدر الثقيل اذا انخفض مار طاعون اصبح من خلى على رجليه الغنى فيا وشتاما
الحمل للزرانيخ والاسم للنورة البغل الهرم لا يفزعه صوت الجلجل يدل وافر وقلب كافر
تزاوروا ولا تجاوروا تعاشروا كالاخوان وتعاملوا كالاجانب ثمرة العجلة الندامة
جواهر الاخلاق يفضحها المعاشرة حيثما سقط لقط خذ للمر بانفك خذ القليل
من اللئيم وذمه ذل من لا سفيه له ريق الحد وسم قاتل رب ساع لقاعد زكاة البدن
العلل زلق الحمار وكان من شهوة المكاري زلة الرجل عظم يجبر وزلة اللسان لا تبقي
ولا تذر سلطان غشوم خير من فتنة تدوم سوا قوله وبوله سفير السوء يفسد ذات
البين شهر ليس لك فيه رزق لا تعد اياما صديق الوالد عم الولد ضرب الطبل تحت الكسا
طاعة الولاة بقا العز غش القلوب يظهره فلتات الالسن وصفحات الوجوه غنى المرء في
الغربة وطن فرس الموت دفي الموت وقح قم يسبح وقلب يذبح فلان كالكعبة يزار
ولا يزور قيل للزامر بغضا للزمر قال الزمر ذكي والريح في كمي كل قليلا تحس كثيرا
كلامه ريح في قفص كالابرة تكسو الناس وهي عارية كلمة حكمة من جوف خرب كاد المريب
يقول خذوني كنت سندان فصرت مطرقة كلما فاتك من الدنيا فهو غنيمة كلما طار قصر
جناحه لو كان المزاح فحلا ما انتج الا الشرا لسان الجاهل مفتاح حتفه لكل جديد لذة لو
ضاعت صفعة ما وجدت الا في قفاه لو كان في البومة خير ما فاتت الصياد من اعتمد
على شرف ابائه فقد عقهم من سعادة المرء ان يكون خصمه عاقلا وبالله التوفيق

الفصل الثالث
في الامثال من المنظوم

الا كل شي ما خلا الله باطل … وكل نعيم لا محالة زائل
اذا جا موسى والقى العصا … فقد بطل السحر والساحر
الم تر ان المرء تدوى يمينه … فيقطعها عمدا ليسلم سائره
اذا انت لم تعط طبيبك كلما … يسوؤك افضيت الدوا الى السقم
اذا انت حملت الخؤون امانة … فانك قد اسندتها شر مسند
اكل خليل هكذا غير منصف … وكل زمان بالكرام بخيل
اذا انت عبت الامر ثم اتيته … فانت ومن تزري عليه سوا
اساءت اذا احسنت ظني بكم … والحزم سوء الظن بالناس

الحادثات اذا لم تخطوبها ٭ فلها مساو مرة ومحاسن
الخير يأتيك متصلا ٭ والشر يسبق سيله مطره
العلم ينهض بالخسيس الى العلا ٭ والجهل يقعد بالفتى المنسوب
الكفر بالنعمة يدعو الى ٭ زوالها والشكر ابقى لها
الناس في طلب المعاش وانما ٭ بالجد يرزق منهم من يرزق
ايها السائل عما قد مضى ٭ هل جديد مثل ملبوس خلق
انما انفسنا عاريه ٭ والعواري حكمها ان تسترد
ان العدو اذا ابدى مسالمة ٭ اذا رأى منك يوما غرة وثبا
اتمنى على الزمان محالا ٭ ان ترى مقلتاي طلعة حر
ايا دارهم ما انت انت بدارهم ٭ ولا انا مذ سار الركاب بهم انا
اذا ملك لم يكن ذا هبه ٭ فدعه فدولته ذاهبه
ندمت ندامة الكسعي لما ٭ رأت عيناه ما صنعت يداه
اذا ثارت خطوب الدهر يوما ٭ عليك فكن لها ثبت الجنان
اذا كنت لا ترضى بما قد ترى ٭ فدونك محل الاله فاختنق
لعمرك ما المكروه الا ارتقابه ٭ وابرح مما حل ما يتوقع
ان الامور اذا بدت لزوالها ٭ فعلامة الادبار فيها تظهر
اذا ضاع شي بين امي وبينها ٭ فاحداهما لا شك في ذلك اخذه
اذا كان رب البيت بالطبل ضاربا ٭ فلا تلم الصبيان فيه على الرقص
اذا ما اراد الله اهلاك نملة ٭ سمت بجناحيها الى الجو تصعد
خفض الجاش واصبرن رويدا ٭ فالرزايا اذا توالت تولت
ولرب نازلة يضيق بها الفتى ٭ ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت ولو لم تضق لما انفرجت ٭ والعسر مفتاح كل ميسور
ولم ار كالمعروف اما مذاقه ٭ فحلو واما وجهه فجميل
واذا افتقرت الى الذخائر لم تجد ٭ ذخرا يكون كصالح الاعمال
اذا انت لم تعرض عن الجهل والخنا ٭ اصبت حليما او اصابك جاهل
واذا خشيت من الامور مقدرا ٭ وهربت منه فنحوه تتوجه
والرزق يخطي باب عاقل قومه ٭ ويبيت بوابا لباب الاحمق
لا تنظرن الى الجهالة والحجى ٭ وانظر الى الاقبال والادبار
اذا لم تستطع امرا فدعه ٭ وجاوزه الى ما تستطيع

فيوم علينا ويوم لنا ٭ ويوم نساء ويوم نسر
فلا يغررك طول الحلم مني ٭ فما ابدا تصادفني حليما
وكان رجاي ان اعود ممتعا ٭ فصار رجاي ان اعود مسلما
لا تسأل المرء عن خلائقه ٭ في وجهه شاهد من الخبر
ما كان في الجذع من ابركم ٭ فانه في المسجد الجامع
وتجلدي للشامتين اريهم ٭ اني لريب الدهر لا اتضعضع
ولا خير فيمن لا يوطن نفسه ٭ على نائبات الدهر حين تنوب
اذا صوت العصفور طار فؤاده ٭ وليث حديد الناب عند الثرائد
كالكلب ان جاع لم يعدك بصبصة ٭ وان ينل شبعا ينبح من الاشر
تكاثرت الظباء على خراش ٭ فما يدري خراش ما يصيد
ما قام عمرو في الولاية قائما ٭ الا وافعده الدهر
كم تايه بولاية ٭ وبعزله يعدو البريد
اهين عامرا تكرم عليه فانما ٭ اخو عامر من مسه بهوان
يحمحم للشعير اذا رآه ٭ ويعبس ان رأى وجه اللجام
يواسي الغراب الذئب في اكل صيده ٭ وما صادت الغربان في سعف النخل
وهون حزني عن خليلي انني ٭ اذا شئت لاقيت الذي مات صاحبه
واذا اتتك مذمتي من ناقص ٭ فهي الشهادة لي باني كامل
عتبت على سلم فلما تركته ٭ وجربت اقواما بكيت على سلم
اذا محاسني اللاتي ادل بها ٭ عدت ذنوبا فقل لي كيف اعتذر
من لم يعدنا اذا مرضنا ٭ ان مات لم نشهد الجنازه
ومن يك ذا عيال ومقتر ٭ من الزاد يطرح نفسه اي مطرح — شرح
ولربما منع الكريم وما به ٭ بخل ولكن سوء حظ الطالب
اقلب طرفي لا ارى غير صاحب ٭ يميل مع النعماء حيث تميل
اخوان صدق ما راوك بغبطة ٭ فاذا افتقرت فقد هوى بك ما هوى
يريك البشاشة عند اللقاء ٭ ويبريك في الغيب بري القلم
اذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن ٭ قضاء ولكن ذاك غرم على غرم
كنت من كربتي افر اليهم ٭ فهم كربتي فاين الفرار
قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه ٭ خلق وجيب قميصه مرقوع
اذا اعتاد الفتى خوض المنايا ٭ فايسر ما تمر به الوحول

سبحان وحسبه لجينا ... فأبدي الكير عن خبث الحديد

وما للمرء خير في حياة ... اذا ما عد من سقط المتاع

الباب السابع في البيان والبلاغة والفصاحة من الرجال والنساء وفيه فصول

الفصل الاول في البيان والبلاغة

اما البيان فقد قال الله تعالى الرحمن علم القرآن علمه البيان وقال عليه السلام ان من البيان لسحرا. قال ابن المعتز اللسان ترجمان القلوب وصيقل العقول واما حقيقته فقد قال الجاحظ البيان اسم جامع لكل ما كشف لك عن المعنى. واما البلاغة فانها من حيث اللغة هي ان يقال بلغت المكان اذا اشرفت عليه وان لم تبلغه وتدخله قال الله تعالى فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف قال بعض المفسرين ام لكم ايمان علينا بالغة اي وثيقة كأنها قد بلغت النهاية. قال اليوناني البلاغة وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة. وقال الكندي يجب للبليغ ان يكون قليل اللفظ كثير المعاني وقيل البليغ من يحول الكلام على حسب الاماني ويخيط الالفاظ على قدود المعاني والكلام البليغ ما كان لفظه فحلا ومعناه بكرا. وقيل لاعرابي من ابلغ الناس قال اقلهم لفظا واحسنهم بديهة. وقال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله في حد البلاغة انها بلوغ الرجل بعبارته كنه ما في قلبه مع الاحتراز عن الايجاز المخل والتطويل الممل ولهذه الاصول شعب وفصول لا يحتمل كشفها هذا المجموع ويحصل الغرض بهذا القدر وبالله التوفيق

الفصل الثاني في الفصاحة

قال الامام فخر الدين الرازي رحمه الله اعلم ان الفصاحة خلوص الكلام من التعقيد واصله من الفصيح وهو اللبن الذي اخذت عنه الرغوة واكثر البلغاء لا يكادون يفرقون بين البلاغة والفصاحة بل يستعملونهما استعمال الشيئين المترادفين على معنى واحد في تسوية الحكم بينهما ويزعم بعضهم ان البلاغة في المعاني والفصاحة في الالفاظ ويستدل بقولهم معنى بليغ ولفظ فصيح. وقال يحيى بن خالد رحمه الله ما رأيت رجلا قط الا هبته حتى يتكلم فان كان فصيحا عظم في صدري وان قصر سقط من عيني. وقد اختلف الناس في الفصاحة فمنهم من قال انها راجعة الى الالفاظ والمعاني ومنهم من قال انها تخص الالفاظ وحدها. واحتج من خص الفصاحة بالالفاظ فقط بان قال ترى الناس يقولون هذا اللفظ فصيح وهذه الالفاظ فصيحة ولا ترى قائلا يقول هذا المعنى فصيح فدل على ان الفصاحة من صفات الالفاظ دون المعاني فان قلنا انها تشمل اللفظ والمعنى لزم من ذلك تسمية المعنى بالفصيح وذلك غير مألوف في كلام الناس والذي اراه في ذلك ان الفصيح هو اللفظ الحسن المألوف في الاستعمال بشرط ان يكون معناه

المفهوم

المفهوم منه صحيحا حسنا ومن المستحسن في الالفاظ تباعد مخارج الحروف فاذا كانت بعيدة المخارج جاءت الحروف متمكنة في مواضعها غير قلقة ولا مكدودة والمعيب من ذلك كقول الشاعر: بيت

لو كنت كتمت الحب كنت كما ... كنا وكنت ولكن ذاك لم يكن

وقال بعضهم

ولا الضعف حتى يبلغ الضعف ضعفه ... ولا ضعف ضعف الضعف بل مثله الف

وقال اخر

وقبر حرب بمكان قفر ... وليس قرب قبر حرب قبر

وقيل ان هذا البيت لا يمكن انشاده في الغالب عشر مرات متوالية ويغلط المنشد فيه لان القرب في المخارج يحدث ثقلا في النطق به. وقيل من عرف بفصاحة اللسان لحظته العيون بالوقار وبالفصاحة والبيان استولى يوسف عليه السلام على مصر وملك زمام الامور واطلعه ملكها على الخفي من امره والمنشور قال الشاعر

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده ... ولم يبق الا صورة اللحم والدم

وسمع صلى الله عليه وسلم من العباس عمه كلاما فصيحا فقال له بارك الله يا عم في جمالك اي فصاحتك. وعرضت على المتوكل جارية شاعرة فقال ابو العيناء يستخبرها الحمد لله كثيرا فقالت لتحيين انشاءك ضريرا فقال يا امير المؤمنين قد احسنت في اساءتها فاشترها. وقال فيلسوف كما ان الآنية يمتحن باطنانها فيعرف صحيحها من مكسورها فكذلك الانسان يعرف حاله بمنطقه. وقال عبد الملك لرجل حدثني فقال يا امير المؤمنين افتتح فان الحديث يفتح بعضه بعضا. وقال المبرد قلت للمجنون اجزني هذا البيت

ارى اليوم يوما قد تكاثف غيمه ... وابراقه يوما بلا شك ماطر

فقال

وقد حجبت فيه السحائب شمسه ... كما حجبت ورد الخدود المعاجر

وقال الهيثم بن صالح لابنه رحمهما الله يا بني اذا اقللت من الكلام اكثرت من الصواب قال يا ابت فان انا اكثرت واكثرت يعني كلاما وصوابا قال يا بني ما رأيت موعوظا احق بان يكون واعظا منك. وقال الشعبي رحمه الله كنت احدث عبد الملك وهو يأكل فيحبس اللقمة ولا يدخلها فقلت اجزها اصلحك الله فان الحديث بين ورآيك فيقول والله لحديثك احب الي منها. وقال ابن عيينة رحمه الله الصمت منام العلم والنطق يقظته ولا منام الا بتيقظ ولا يقظة الا بمنام

وقال ابن المبارك رحمه الله

وهذا اللسان بريد الفؤاد ... يدل الرجال على عقله

مر رجل بابي بكر الصديق رضي الله عنه ومعه ثوب فقال له ابو بكر تبيعه فقال لا
يرحمك الله فقال ابو بكر لو تستقيمون لقومت السنتكم هلا قلت لا ويرحمك
الله • ومنه ما حكي ان المامون سال يحيى بن اكثم رحمهم الله عن شي فقال لا وايد الله
امير المومنين فقال المامون ما اظرف هذه الواو وما احسن موقعها • وكان الصاحب رحمه
الله يقول هذه الواو احسن من واوات الاصداغ • وتبلج مع ابن المنكدر رحمه الله
شبان فكانوا اذا راوا امراة جميلة قالوا اقد ابرقنا وهم يظنون ان ابن المنكدر لا يفطن
ذلك فراوا فية فيها امراة فقالوا ابارقه وكانت قبيحة فقال ابن المنكدر بل صاعقه
وكان اصحاب ابي علي الثقفي رحمه الله اذا راوا امراة جميلة يقولون حجة فعرضت لهم امراة
قبيحة فقالوا داحضة • ويقال اللسان سبع صغير الجرم عظيم الجرم والسلام

قال بعضهم

سحبان يقصر عن بحور بيانه ○ عجزا ويغرق منه تحت عباب
وكذاك قس ناطق بعكاظه ○ تعيى لديه بحجة وجواب

وكتب ابراهيم المهدي رحمه الله اياك والتتبع لوحشي الكلام طمعا في نيل البلاغة فان
ذلك العنا الاكبر وعليك بما سهل مع تجنبك لالفاظ السفل ويقال القول على حسب همة
القايل يقع والسيف بقدر عضد الضارب يقع • وقال الاحنف سمعت كلام ابي بكر حتى مضى
وكلام عمر حتى مضى وكلام عثمان حتى مضى وكلام علي حتى مضى ولا والله ما رايت فيهم ابلغ
من عايشة رضي الله عنهم اجمعين • وقال معاوية رحمه الله ما رايت ابلغ من عايشة رضي الله
عنها ما اغلقت بابا فارادت فتحه الا فتحته ولا فتحت بابا فارادت اغلاقه الا اغلقته

ومن غرايب الكنايات الواردة

على سبيل الرمز وهو من الذكا والفصاحة ما حكي ان رجلا حصل اسيرا في بكر بن وايل
وعزموا على غزو قومه فسالهم في رسول يرسله الى قومه فقالوا لا ترسله الا بحضرتنا
لئلا تنذرهم وتحذرهم فجاوه بعبد اسود فقال له اتعقل ما اقول لك قال نعم اني
لعاقل فاشار بيده الى الليل فقال ما هذا قال الليل قال ما اراك الا عاقلا ثم ملا كفيه
من الرمل فقال كم هذا قال لا ادري وانه لكثير قال ايما اكثر النجوم ام النيران قال
كل كثير ابلغ قومي التحية وقل لهم يكرموا فلانا يعني اسيرا كان في ايديهم من بكر بن وايل
فان قومه لي مكرمون وقل لهم ان العرفج قد ادبى وشكت النسا وامرهم ان يعروا ناقتي
الحمرا فقد طالوا ركوبها وان يركبوا جملي الاصهب بامارة ما اكلت معهم حيسا واسالوا
عن خبري اخي الحارث فلما ادى العبد الرسالة اليهم قالوا لقد جن الاعور والله ما نعرف
له ناقة حمرا ولا جملا اصهب ثم دعوا باخيه الحارث فقصوا عليه القصة فقال قد انذركم

اما قوله ان العرفج قد ادبى يريد ان الرجال قد استلاموا ولبسوا السلاح واما قوله
قد شكت النسا اي اتخذت الشكا للسفر وقوله اعروا الناقة الحمرا اي ارتحلوا عن الدهنا
واركبوا الجمل الاصهب وقوله اكلت معكم حيسا اي اخلاط من الناس قد عزموا على غزوكم
لان الحيس يجمع التمر والسمن والاقط فامتثلوا ما قال وعرفوا لحن الكلام وعملوا به فنجوا
واسرت طي غلاما من العرب فقدم ابوه ليفديه فاشتطوا عليه فقال ابوه والذي جعل
الفرقدين يمسيان ويصبحان على جبل طي ما عندي غير ما بذلته ثم انصرف وقال لقد
اعطيته كلاما ان كان فيه خير فهمه فكانه قال له الزم الفرقدين في هروبك على جبل
طي ففهم الابن ما اراده ابوه وفعل ذلك فنجا • وكانت علية بنت المهدي رحمه الله تهوى
خادما اسمه طل فحلف الرشيد ان لا تكلمه ولا تذكره في شعرها فاطلع الرشيد عليها وهي
تقرا في اخر سورة البقرة فان لم يصبها وابل فالذي نهاني عنه امير المومنين • ومن ذلك
قولهم تركت فلانا يامر وينهى وهو على شرف الموت اي يامر بالوصية وينهى عن النوح
ويقال ما رايت فلانا اي ما ضربته في رئته ولا كلمته اي ما جرحته فان الكلوم الجراح وما
رايت ربيعا فالربيع حظ الارض من الما والربيع النهر وما رايت كافرا ولا فاسقا
فالكافر السحاب والفاسق الذي تجرد من ثيابه وما رايت فلانا راكعا ولا ساجدا ولا
مصليا فالراكع العاثر الذي كبا لوجهه والساجد المدمن النظر الى الارض والمصلي الذي
يجي بعد السابق • وما اخذت لفلان دجاجة ولا فروجا فالدجاجة الكبة من الغزل
والفروجة الدراعة وما اخذت لفلان بقرة ولا ثورا فالبقرة العيال الكثير يقال
جا فلان يسوق بقرة اي عياله والثور القطعة الكبيرة من الاقط • وحكي ان معاوية
رحمه الله بينما هو جالس في بعض مجالسه وعنده وجوه الناس فيهم الاحنف بن قيس اذ دخل
رجل من اهل الشام فكان خطيبا وكان اخر كلامه ان لعن عليا رضي الله عنه ولعن لاعنه فقال
الاحنف يا امير المومنين ان هذا القايل لو يعلم ان رضاك في لعن المرسلين لعنهم فاتق الله
يا امير المومنين ودع عنك عليا فقد لقي ربه • وافرد في قبره • وخلى بعمله وكان والله المبرز
سيفه الطاهر ثوبه العظيمة مصيبته • فقال معاوية يا احنف لقد تكلمت بما تكلمت وايم
الله لتصعدن على المنبر فتلعنه طوعا او كرها فقال له الاحنف يا امير المومنين ان تعفني فهو
خير لك وان تجبرني على ذلك فوالله لا يجري على شفتاي هذا ابدا قال قم فاصعد قال اما
والله مع ذلك لانصفنك في القول والفعل قال وما انت قايل ان انصفتني قال اصعد
المنبر فاحمد الله واثني عليه بما هو اهله واصلي على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم اقول ايها الناس
ان امير المومنين معاوية امرني ان العن عليا الا وان معاوية وعليا اقتتلا واختلفا فادعى
كل واحد منهما انه بغي عليه وعلى فيته فاذا دعوت فامنوا رحمكم الله فاقول اللهم العنهما

كثيرا انشوا رحمكم الله يا معاوية لا ازيد على هذا ولا انقص حرفا ولو كان فيه ذهاب
روحي فقال معاوية اذا نخلك يا ابا عمرو وقال معاوية لعقيل بن ابي طالب ان عليا
قد قطعك ووصلتك ولا يرضيني منك الا ان تلعنه على المنبر قال افعل فصعد
المنبر ثم قال بعد ان حمد الله تعالى واثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ايها
الناس قد امرني معاوية ان العن علي بن ابي طالب معاوية بن ابي سفين فالعنوه [redacted]
[redacted] ثم نزل فقال له معاوية انك لم تبين من لعنت بيني وبينه فقال والله
لا زدت حرفا ولا نقصت آخر والكلام الى نية المتكلم ودخلت امراة على هرون
الرشيد وعنده جماعة من وجوه اصحابه فقالت يا امير المؤمنين اقر الله عينك
وفرحك بما اعطاك لقد حكمت فاقسطت فقال لها من تكوني ايتها المراة فقالت من
برمك ممن قتلت رجالهم واخذت اموالهم فقال اما الرجال فقد مضى فيهم قدر الله
واما المال فمردود اليك ثم التفت الى الحاضرين فقال اتدرون ما قالت هذه المراة
فقالوا ما نراها قالت الا خيرا قال ما اظنكم فهمتم ذلك اما قولها اقر الله عينك اي
اسكنها عن الحركة واذا سكنت عن الحركة عميت واما قولها وفرحك بما اعطاك اخذته
من قوله تعالى حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة واما قولها لقد حكمت فاقسطت اخذته
من قوله تعالى واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا وحكي ان بعضهم دخل على عدو
من النصارى فقال له اطال الله بقاك واقر عينك وجعل يومي قبل يومك والله انه
ليسرني ما يسرك فاحسن اليه واجازه على دعائه وامر بصلة وكان ذلك دعا عليه
معنى اطال الله بقاك فلو وقع منفعة المسلمين به في اداء الجزية واما قوله اقر الله عينك فمعناه
سكن الله حركتها اي اعماها واما قوله جعل الله يومي قبل يومك اي جعل الله يومي الذي
ادخل فيه الجنة قبل يومك الذي تدخل فيه النار واما قوله ليسرني ما يسرك فان العافية
تسره كما تسر الآخر فانظر الى الاشتراك وفايدته ولولا الاشتراك ما بقيا لمستتر مراد
ولا سلم له من التخليص فياد وكان حماد الراوي رحمه الله لا يقرا القرآن فكلفه بعض الخلفاء القراة
في المصحف فصحف في نيف وعشرين موضعا من جملتها واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال
بيوتا ومن الشجر ومما يغرسون بالسين المهملة والغين المعجمة وما كان استغفار ابراهيم لابيه الا
عن موعدة وعدها اباه بالباء الموحدة ليكون لهم عدوا وحربا وما يجحدوا باياتنا الا كل جبار
كفور هم احسن اثاثا وزيا عذابي اصيب به من اشاء صبغة الله ومن احسن من الله صبغة
سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين بل الذين كفروا في عزة وشقاق بالغين المعجمة والراء فقرن
الشقاق بالعزة وهذا لا يقع الا الاذكيا وحكي ان المأمون ولي عاملا على
بلاد وكان يعرف منه الجور في حكمه فارسل اليه رجلا من ارباب دولته ليمتحنه فلما قدم عليه

اظهر

اظهر له انه قدم في تجارة لنفسه ولم يعلمه انه من عند امير المؤمنين يشكر سيرته عند
ليزداد امير المؤمنين فيه رغبة فكتب كتابا فيه بعد الثنا على امير المؤمنين اما بعد فقد
قدمنا على فلان فوجدناه اخذا بالعزم عاملا بالحزم فقد عدل بين رعيته وساوى بينهم
في اقضيته اغنى القاصد وارضى الوارد وانزلهم منه منازل الاولاد واذهب ما بينهم من
الضغاين والاحقاد وعمر منهم المساجد الداثرة وافرغهم من عمل الدنيا واشغلهم بعمل الآخرة
وهم مع ذلك اعني لامير المؤمنين يريدون النظر الى وجهه فكان معنى قوله اخذا بالعزم
اي اذا عزم على ظلم او جور فعله في الحال فقد عدل بين رعيته وساوى في اقضيته اي اخذ
كلما معهم حتى ساوى بين الفقير والغني عمر منهم المساجد الداثرة وافرغهم من عمل الدنيا واشغلهم
بعمل الآخرة يعني انك صاروا فقرا لا يملكون شيا من الدنيا ومعنى قوله يريدون النظر
الى وجه امير المؤمنين اي يشكون حالهم وما نزل بهم اليه وحكي ان بعض الملوك
طلع يوما الى قصره يتفرج فحانت منه التفاتة فراى امراة على سطح دار الى جنب داره لم ير
الراوون احسن منها فالتفت الى بعض جواره وقال لمن هذه قالت يا مولاي هذه زوجة غلامك
فيروز قال فنزل الملك وقد خامره حبها وشغف بها فاستدعى بفيروز وقال له
يا فيروز قال لبيك يا مولاي قال خذ هذا الكتاب وامض به الى البلد الفلاني واتني
بالجواب فاخذ فيروز الكتاب وتوجه الى منزله فوضع الكتاب تحت فراشه وجهز امره
وبات ليلته فلما اصبح ودع اهله وسار طالبا لحاجة الملك ولم يعلم بما دبره الملك واما
الملك فانه لما توجه فيروز قام مسرعا وتوجه مختفيا الى دار فيروز فقرع الباب قرعا
خفيفا فقالت امراة فيروز من بالباب قال انا الملك سيد زوجك ففتحت له فدخل فجلس
فقالت له ارى اليوم مولانا عندنا فقال زايرا فقالت اعوذ بالله من هذه الزيارة وما
اظن فيها خيرا فقال لها انني انا الملك سيد زوجك وما اظنك عرفتني قالت بل عرفتك
يا مولاي وعلمت انك الملك ولكن سبقك الاوايل في قولهم ابيات

سانزك ماكم من غير ورد • وذاك لكثرة الوراد فيه
اذا سقط الذباب على طعام • رفعت يدي ونفسي تشتهيه
وتجتنب الاسود ورود ماء • اذا كان الكلاب ولغن فيه
ويرتجع الكريم خميص بطن • ولا يرضى مناهمة السفيه

واحسن يا مولاي القايل ايضا

قل للذي شغف الغرام به • وصاحب الغدر غير مصحوب
والله لا قال قايل ابدا • قد اكل الليث فضلة الذيب

ثم قالت ايها الملك تاتي الى موضع شرب كلبك تشرب منه قال فاستحيا الملك من كلامها

وخرج وتركها فنسي نعله في الدار فهذا ما كان من امر الملك واما ما كان من امر فيروز
فانه لما خرج وسار تفقد الكتاب فلم يجده في راسه فرجع الى داره فوافق وصوله خروج الملك
من داره فوجد نعل الملك في الدار فطاش عقله وعلم ان الملك لم يرسله في هذه السفرة الا لامر
يفعله به فسكت ولم يبد كلاما واخذ كتاب الملك وسار الى حاجة الملك فقضاها وعاد
الى الملك فدفع اليه مائة دينار فمضى فيروز الى السوق واشترى ما يليق بالنسا وهيا
هدية حسنة واتى الى زوجته فسلم عليها وقال لها قومي الى زيارة بيت ابيك قالت وما
ذاك قال ان الملك انعم علينا واريد تظهري ذلك قالت حبا وكرامة ثم قامت من ساعتها
وتوجهت الى بيت ابيها ففرحوا بها وبما جاءت به معها واقامت عند اهلها مدة شهر فلم
يذكرها زوجها ولا المّ بها فاتى اليه اخو زوجته وقال له يا فيروز اما ان تعرفنا
سبب غضبك واما ان نحاكمك الى الملك فقال ان شئتم الحكم فافعلوا فما تركت لها
علي حقا فطلبوه الى الملك فاتى معهم وكان القاضي اذ ذاك عند الملك جالسا الى جانبه
فقال اخ الصبية ايد الله مولانا قاضي القضاة اني آجرت هذا الغلام بستانا سالم
الحيطان ببير معين عامر واشجارها مثمر فاكل ثمره وهدم حيطانه واخرب بيره
فالتفت القاضي الى فيروز وقال ما تقول يا غلام فقال فيروز ايها القاضي قد سلمت
اليه البستان احسن ما كان فقال له القاضي هل سلم اليك البستان كما قال قال
نعم ولكن اريد منه ما السبب لرده قال له القاضي ما قولك قال والله ما رددت
البستان كرها فيه وانما جئت يوما من الايام فوجدت فيه اثر الاسد فخفت ان
يغتالني فحرمت دخول البستان اكراما للاسد قال وكان الملك متوكيا فاستوى
جالسا وقال يا فيروز ارجع الى بستانك آمنا مطمئنا فوالله ما رايت مثل بستانك
ولا اشد احترازا من حايطه على شجره قال فرجع فيروز الى داره ورد زوجته ولم يعلم القاضي
ولا غيره بشيء من ذلك السبب وهذا ما كان منه والله اعلم وهذا كله مما ياتي به
الانسان من غريب الكنايات على سبيل الرمز ومنه ما يجره المستنزه الى شيء من الراحه
في كتمان حاله مع لزوم الصدق ورضى الخصم بما وافق مراده لان في المعاريض مندوحة عن
الكذب كما روي في غزوة بدر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان سايرا باصحابه يقصد بدرا
فلقيه رجل من العرب فقال ممن القوم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم من ماء فاخذ ذلك
الرجل يتفكر ويقول من ماء من ماء لينظر اي العرب يقال له ماء فسار النبي صلى الله عليه وسلم
باصحابه لوجهه وكان قصده ان يكتم امره وقد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال الله عز وجل فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق وكما روي عن ابي بكر
الصديق رضي الله عنه انه قال للكافر الذي ساله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقت

وقت ذهابهما الى الغار هو رجل يهديني السبيل وقد صدق رسول الله صلى الله عليه
وسلم لقد هداه وهدانا السبيل ولا سبيل اوضح ولا اقوم من الاسلام وكما حكي
عن الشافعي رضي الله عنه لما ساله بعض المعتزله بحضرة الرشيد ما تقول في القرآن فقال
الشافعي رضي الله عنه اياي تعني قال نعم قال مخلوق فرضي خصمه منه بذلك ولم يرد الشافعي
الا نفسه وكما حكي عن ابن الجوزي رحمه الله انه سئل على المنبر وتحته جماعة من مماليك
الخليفة وخاصته وهم فريقان قوم سنية وقوم شيعية فقيل له من افضل الخلق بعد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر او علي فقال افضلهما بعده من كانت ابنته تحته فارضى الفريقين
ولم يرد الا ابا بكر وعائشة رضي الله عنهما وكانت تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم او هي
فاطمة وكانت تحت علي رضي الله عنهما وهذه حيلة منه حسنة وكلمة سنت حقوق الفريقين
منها وسنة

الفصل الثالث في ذكر الفصحاء من الرجال

دخل الحسن بن الفضيل رحمه الله على بعض الخلفاء وعنده كثير من اهل العلم فاحب الحسن ان يتكلم
فزجره وقال اصبي يتكلم في هذا المقام فقال يا امير المؤمنين ان كنت صبيا فلست باصغر
من هدهد سليمان عليه السلام ولا انت باكبر من سليمان حين قال له الهدهد احطت بما لم
تحط به ثم قال الا ترى ان الله تعالى فهم سليمان عليه السلام ولو كان الامر بالكبر لكان
داود عليه السلام اولى ولما افضت الخلافه الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اتتهم الوفود
واذا فيهم وفد الحجاز فنظر الى صغير السن وقد اراد ان يتكلم فقال ليتكلم من هو اسن منك
فانه احق بالكلام منك فقال يا امير المؤمنين لو كان القول كما تقول لكان في مجلسك
هذا من هو احق به منك فقال صدقت فتكلم فقال يا امير المؤمنين انا قدمنا عليك
من بلد نحمد الله الذي من بك علينا ما قدمنا عليك رغبة منا ولا رهبة اما الرغبة
فقد اتتنا منك في منازلنا واما الرهبة فقد امنا جورك بعدلك فنحن وفد الشكر والسلام
فقال له عمر رضي الله عنه عظني يا غلام فقال يا امير المؤمنين ان ناسا غرهم حلم الله وثناء
الناس عليهم فلا تكن ممن يغره حلم الله وثناء الناس عليه فتزل قدمك وتكون من الذين قال
الله فيهم ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون فنظر عمر رضي الله عنه في سن الغلام
فاذا له اثنى عشر سنة فانشد عمر رضي الله عنه يقول شعر

تعلم فليس المرء يولد عالما ۞ وليس اخو علم كمن هو جاهل
فان كبير القوم لا علم عنده ۞ صغير اذا التفت عليه المحافل

وحكي ان البادية قحطت على ايام هشام رحمه الله فقدمت عليه العرب فهابوا
ان يكلموه وكان فيهم درواس بن حبيب وهو ابن ستة عشر سنة له ذوابة وعليه شملتان
فوقعت عليه عين هشام فقال لحاجبه ما شاء احد ان يدخل علي الا دخل حتى الصبيان فوثب

ورواس حتى وقف بين يديه مطرق فقال يا أمير المؤمنين ان الكلام نشرًا وطيًّا وانه
لا يعرف ما في طيه الا بنشره فان اذن لي امير المؤمنين ان انشره نشرته فاعجبه كلامه
وقال له انشره لله درك فقال يا أمير المؤمنين انه اصابتنا سنون ثلث سنة اذابت
الشحم وسنة اكلت اللحم وسنة دقت العظم وفي ايديكم فضول مال فان كانت لله ففرقوها
على عباده وان كانت لهم فعلام تحبسونها عنهم وان كانت لكم فتصدقوا بها عليهم فان الله
يجزي المتصدقين فقال هشام رحمه الله ما ترك لنا الغلام في واحدة من الثلث عذرا
فامر للبوادي بمائة الف دينار وله بمائة الف درهم ثم قال له اما لك حاجة قال ما لي حاجة
في خاصة نفسي دون عامة المسلمين فخرج من عنده وهو من اجل القوم وقيل ان سعد بن ضمرة
الاسدي رحمه الله لم يزل يغير على النعمان بن المنذر يستلب امواله حتى عيل صبره فبعث اليه
يقول ان لك عندي الف ناقة على انك تدخل في طاعتي وكان صغير الجثة فاقتحمته عينه ونقصه
فقال مهلا ايها الملك ان الرجال ليسوا بعظم اجسامهم وانما المرء باصغريه قلبه ولسانه
ان نطق نطق ببيان وان صال صال بجنان ثم انشا يقول شعر

يا ايها الملك المرجو نائله • اني لمن معشر شم الذرى زهر
فلا تغرنك الاجساد ان لنا • احلام عاد وان كنا الى قصر
كم من طويل اذا ابصرت جثته • تقول هذا غداة الروع ذو ظفر
فان ألم به امر فظعت به • رأيته خاذلا للاهل والزمر

فقال صدقت هل لك بالامور علم اني لانقض منها المفتول وابرم منها المحلول واجيلها
حتى تحول ثم انظر فيها الى ما تؤول ليس للدهر بصاحب من لا ينظر في العواقب قال فتعجب من
فصاحته وعقله ثم امر له بالف ناقة ثم قال له يا سعد ان اقمت واسيناك وان رحلت
وصلناك فقال قرب الملك احب الي من الدنيا وما فيها فانعم عليه وادناه وجعله احد ندمائه
وحكي ان هرقل ملك الروم كتب الى معاوية بن ابي سفيان رحمه الله يسأله عن الشيء ولا
شيء وعن دين لا يقبل الله غيره وعن مفتاح الصلوة وعن غرس الجنة وعن صلوة كل شيء
وعن اربعة فيهم الروح ولم يرتكضوا في اصلاب الرجال ولا ارحام النساء وعن رجل لا قوم له
وعن قبر سار بصاحبه وعن قوس قزح ما هو وعن بقعة طلعت عليها الشمس مرة واحدة ولم
تطلع عليها قبلها ولا بعدها وعن ظاعن ظعن مرة ولم يظعن قبلها ولا بعدها وعن شجرة نبتت من
غير ماء وعن شيء يتنفس ولا روح له وعن اليوم وامس وغد وبعد غد وعن البرق والرعد
وصوته وعن المحو الذي في القمر فقيل لمعاوية لست هناك ومتى اخطأت في شيء من ذلك
تسقط من عينه فاكتب الى ابن عباس يخبرك عن هذه المسائل فكتب اليه فاجابه بقوله
اما الشيء فالماء قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حي واما لا شيء فانها الدنيا لانها

تبيد وتفنى واما دين لا يقبل الله تعالى غيره فلا اله الا الله واما مفتاح الصلوة
فالله اكبر واما غرس الجنة فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم واما صلوة كل شيء
فسبحان الله وبحمده واما الاربعة الذين فيهم الروح ولم يركضوا في اصلاب الرجال ولا ارحام
النساء فآدم وحوى وعصى موسى والكبش الذي فدي به اسحق واما الرجل الذي لا ابا له فالمسيح
واما الرجل الذي لا قوم له فآدم واما القبر الذي سار بصاحبه فالحوت سار بيونس في
البحر واما قوس قزح فامان من الله تعالى لعباده من الغرق واما البقعة التي طلعت عليها
الشمس مرة واحدة فالبحر انفلق لبني اسرائيل واما الظاعن الذي ظعن مرة ولم يظعن قبلها
ولا بعدها فجبل طور سيناء كان بينه وبين الارض المقدسة اربع ليال فلما عصت بنو اسرائيل
اطاره الله تعالى بجناحين فنادى منادٍ ان قبلتم التوراة كشفته عنكم والا القيته عليكم
فاخذوا التوراة محذورين فرده الله عز وجل الى موضعه فذلك قوله تعالى واذ نتقنا
الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم الآية واما الشجرة التي نبتت بغير ماء فشجرة اليقطين
التي انبتها الله تعالى على يونس عليه السلام واما الذي يتنفس بلا روح فالصبح واما اليوم
فعمل واما امس فمثل واما غد فاجل واما بعد غد فامل واما البرق فمخاريق بايدي الملئكة
تضرب بها السحاب واما الرعد فاسم الملك الذي يسوق السحاب وصوته زجره واما المحو
الذي في القمر فقول الله عز وجل وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار
مبصرة ولولا ذلك المحو لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل ودعا بعض البلغاء لعبد
له فقال تمم الله عليك ما انت فيه وحقق ظنك فيما ترجوه وتفضل عليك بما لم تحتسبه
وحكي ان الحجاج سأل الغضبان بن القبعثري رحمه الله يوما عن مسائل يمتحنه بها
من جملتها ان قال من اكرم الناس قال افقههم واصدقهم في اليمين وابذلهم للمسلمين واكرمهم للفقير
واطعمهم للمسكين قال فمن الام الناس قال المعطي على الهوان المقتر على الاخوان الكثير الالوان
قال فمن شر الناس قال اطولهم جفوة وادومهم صبوة واكثرهم خلوة واشدهم قسوة قال
فمن اشجع الناس قال اضربهم للسيف واتركهم للكثيف قال فمن اجبن الناس قال المتأخر
عن الصفوف المتقبض عن الزحوف المرتعش عند الوقوف المحب ظلال السقوف الكاره
لضرب السيوف قال فمن اثقل الناس قال المتقعر في الكلام الضنين بالسلام المهذار في
الكلام المبقبق على الطعام قال فمن خير الناس قال اكثرهم احسانا واقومهم ميزانا وادومهم
غفرانا واوسعهم ميدانا قال لله ابوك قال فكيف يعرف الرجل الغريب الرجل العاقل
احسيبا ام غير حسيب قال اصلح الله الامير ان الرجل الحسيب يدلك عليه ادبه وعقله
وشمائله وعزة نفسه وكثرة احتماله وبشاشته وحسن مداراته على اصله فالعاقل
البصير بالاحساب يعرف شمائله والنذل الجاهل يجهله فمثله كمثل الدرة اذا وقعت عند

من لا يعرفها اذا راها واذا انظر اليها العقلاء اكرموها وعرفوها فهي عندهم بمحل فيهنيهم
بها بغبطة حسنة قال الحجاج لله ابوك فما العاقل والجاهل قال اصلح الله الامير
العاقل الذي لا يتكلم هذرا ولا ينظر شزرا ولا يضمر غدرا ولا يطلب عذرا والجاهل
هو المهذار في كلامه المنان بطعامه الضنين بسلامه المتطاول على امامه الفاحش
على غلامه قال لله ابوك فما الحازم الكيس قال المقبل على شانه التارك لما لا يعنيه
قال فما العاجز قال المعجب برايه الملتفت الى ورائه قال هل عندك من النساء خبر قال
اصلح الله الامير اني بهن لخبير ان شاء الله قال اخبرني عن امهات الاولاد قال اصلح الله الامير
ان النساء بمنزلة الاضلاع ان عدلتها انكسرت ولها جوهر لا يصلح الا على المداراة فمن داراهن
انتفع بهن وقرت عينه ومن ساورهن كدرن عيشه وتكدرت عليه حياته وتنغصت
لذاته فاكرمهن اعفهن وخيرهن احسنهن العفة فاذا زلن عنها فهي انتن من الجيفة قال
يا غضبان اني موجهك الى ابن الاشعث وافدا فما انت قائل له قال اصلح الله الامير ما يرديه
ويؤذيه ويضنيه قال اني اظنك لا تقول له ما قلت وكاني بصوت جلاجلك يجلجل في قصري
هذا قال كلا اصلح الله الامير ساحدد له لساني واجريه في ميداني قال فعند ذلك
امره بالمسير الى كرمان فلما توجه الى ابن الاشعث رحمه الله وهو على كرمان
بعث الحجاج عينا عليه اي جاسوسا وكان يفعل ذلك مع جميع رسله فلما قدم الغضبان
على ابن الاشعث قال له ان الحجاج قد هم بخلعك وعزلك فخذ حذرك وتغدى به قبل ان
يتعشى بك فاخذ حذره عند ذلك ثم امر للغضبان بجائزة سنية وخلعة فاخرة وانصرف
الغضبان راجعا فاتى الى رملة كرمان في شدة الحر والقيظ وهي رملة شديدة الرمضاء فضرب
قبته فيها وحط عن رواحله فبينما هو كذلك واذا باعرابي من بكر بن وائل قد اقبل على
بعير قاصدا نحوه وقد اشتد الحر وحميت الغزالة وقت الظهيرة وقد ظمي ظما شديدا
فقال السلام عليك ورحمة الله وبركاته قال الغضبان هذه سنة وردها فريضة قد
فاز قائلها وخسر تاركها ما حاجتك يا اعرابي قال اصابتني الرمضاء وشدة الظما فيممت
قبتك ارجو بركتها قال الغضبان فهلا يممت قبة هي اكبر من هذه واعظم قال ايتهن هي
قال قبة الامير بن الاشعث قال تلك لا يوصل اليها قال فهذه امنع منها قال
الاعرابي ما اسمك يا عبد الله قال اخذ قال وما تعطي قال اكره ان يكون لي اسمان قال
بالله من اين انت قال من الارض قال فاين تريد قال امشي في مناكبها قال الاعرابي وهو
يرفع رجلا ويحط اخرى من شدة الحر قال اتقرض الشعر قال انما يقرض الفار قال افتسجع
قال انما تسجع الحمامة قال يا هذا ائذن لي ان ادخل قبتك قال ورآك اوسع لك قال
قد احرقني الشمس قال ما لي عليها من سلطان قال اني لا اريد طعامك ولا شرابك قال

لا تتعرض لما لا تصل اليه ولو تلفت روحك قال الاعرابي سبحان الله قال نعم من قبل
ان تطلع راسك واضراسك قال الاعرابي ما عندك غير هذا قال هراوة اضرب بها راسك
فاستغاث الاعرابي يا جار بني كعب قال بئس الشيخ انت فوالله ما ظلمك احد فتستغيث قال
الاعرابي ما رايت اقسى منك اتيتك مستغيثا فحجبتني وطردتني هلا ادخلتني قبتك وطارحتني
الحديث قال ما لي بمحادثتك من حاجة قال الاعرابي بالله ما اسمك ومن انت قال انا الغضبان
بن القبعثرى قال اسمان منكران خلقا من غضب قال قف متوكئا على باب بيتك برجلك هذه
العرجاء قال قطعها الله ان لم تكن خيرا من رجلك قال الغضبان لو كنت حاكما لجرت في حكومتك
لان رجلي في الظل قاعدة ورجلك في الرمضاء قائمة قال الاعرابي اني اظنك حروريا قال
اللهم اجعلني ممن يتحرى الخير ويريده قال اني لاظن عنصرك فاسدا قال ما اقدرني على اصلاحه
قال الاعرابي لا ارضاك الله ولا حياك ثم ولى وهو يقول شعر

لا بارك الله في قوم تسودهم ... اني اظنك والرحمن شيطانا
اتيت قبته ارجو ضيافته ... فاظهر الحقد والغضبان حرمانا

فلما قدم الغضبان على الحجاج وقد بلغه الجاسوس ما جرى بينه وبين ابن الاشعث وبين الاعرابي
قال له يا غضبان كيف وجدت ارض كرمان قال اصلح الله الامير ارض يابسة بها الجيش
ضعاف هزلى ان كثروا جاعوا وان قلوا ضاعوا قال له الحجاج اما انك صاحب الكلمة التي
بلغني عنك قلت لابن الاشعث تغد بالحجاج قبل ان يتعشى بك فوالله لاجلسنك عن الوساد
ولانزلنك عن الجياد ولاشهرنك في البلاد قال الامان ايها الامير فوالله ما ضرت من
قيلت فيه ولا نفعت من قيلت له فقال الم اقل لك كاني بصوت جلاجلك يجلجل في قصري هذا
اذهبوا به الى السجن فذهبوا به وقيد وسجن فمكث ما شاء الله ثم ان الحجاج ابتنى الخضراء
بواسط فاعجب بها وقال لمن حوله كيف ترون قبتي هذه وبناءها فقالوا اصلح الله الامير
بنيتها في غير بلدك لغير ولدك لا تدوم لك ولا يسكنها وارثك ولا يبقى لك ولا انت لها باق
قال صدق الغضبان ردوه الى السجن فلما حملوه قال سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا
له مقرنين قال انزلوه فلما انزلوه قال رب انزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين
قال اضربوا به الارض فلما ضربوا به الارض قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم
تارة اخرى قال جروه فاقبلوا يجرونه وهو يقول بسم الله مجراها ومرساها ان ربي
لغفور رحيم قال الحجاج ويلكم اتركوه فقد غلبني دهاء وخبثا ثم عفى عنه وانعم عليه وخلى
سبيله وحدث الزبيري قال دخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المامون رحمهم الله وكان
ضياعهم قد اخذت فقال السلام عليك يا امير المؤمنين محمد بن عبد الملك بين يديك
سليل نعمتك وغصن من اغصان دوحتك اتاذن لي بالكلام فقال تكلم فقال

الحمد لله رب العالمين ولا اله الا الله رب العرش العظيم وصلى الله والملائكة على محمد
خاتم النبيين ونستمنح الله لحياطة ديننا ودنيانا ورعاية ادنانا واقصانا ببقائك
يا امير المؤمنين ونسال الله تعالى ان يمد في عمرك من اعمارنا وان يقيك الاذى باسماعنا عنا
وابصارنا بان الحق لا تعفوا آثاره ولا يهدم مناره ولا ينبت حبله ولا يزول ما دمت
بين الله وبين عباده والامين على بلاده يا امير المؤمنين هذا مقام العائذ بظلك الهارب
الى كنفك الفقير الى رحمتك وعدلك من تعاود النوائب وسهام المصائب وكلب
الدهر وذهاب النعمة وفي نظر امير المؤمنين ما يفرج كربة المكروب ويبرد غليل
القلوب وقد تقدم امر امير المؤمنين في الضياع التي افادناها نعم ايامه الطيبين
ونوافل اسلافه الراشدين وقد قمت مقامي هذا متوسلا بآبائك الطيبين
بالرشيد خير الهداة الراشدين والمهدي ناصر المسلمين والمنصور منكل الظالمين
ومحمد خير المحمدين بعد خاتم النبيين متوسلا اليك بالطاعة التي افرغت عليها عصبي
واحسكت بها نفسي ودبت بها حياتي متقوذا من شماتة الاعداء وحلول البلاء
ومفارقة النشأة بعد الرخا يا امير المؤمنين قد مضى جدك المنصور وعمك صالح بن علي
جدي وبينهما من الرضاع والنسب ما علمه امير المؤمنين وعرفه وقد انبت الله الحق في
نصابه واقره في داره وارسابه يا امير المؤمنين ان الدهر ذو اغتيال وقد بلغت
حالا بعد حال فارحم يا امير المؤمنين الصبية الصغار والعجائز الكبار الذين سقاهم
الدهر كدرا بعد صفو ومرا بعد حلو وهبنا لهم اباءك التي عذتنا صغارا وكبارا
وشبانا واشياخا وامشاجا في الاصلاب ونطفا في الارحام وقدمنا في القرابة
بحيث قدمنا الله منك في الرحم فان رقابنا قد ذلت بسخطك ووجوهنا قد عفت
لطاعتك فاقلنا عثراتنا يا امير المؤمنين ان الله قد سهل بك الاثور وجلى بك
الدهور وملا من خوفك القلوب والصدور بك يردع الفاسق ويقمع المنافق
فارتبط نعم الله عليك عندك بالعفو والاحسان فان كل راع مسؤول عن رعيته
وان النعم لا تنقطع المزيد فيها حتى ينقطع الشكر عليها يا امير المؤمنين انه لا عفو اعظم
من عفو امام قادر عن مذنب عاثر وقد قال جل ثناؤه وليعفوا وليصفحوا الا تحبون
ان يغفر الله لكم حاطك الله امير المؤمنين بستره الصافي وصنعه الكافي ثم انشا
يقول

شعر

امير المؤمنين اتاك ركب ... لهم قربى وليس لهم تلاد
هم الصدر المقدم من قريش ... وانت الرأس يتبعك العباد
لئن طابت بك الدنيا ولذت ... وارجو ان يطيب بك المعاد

فكيف

فكيف بنا لهم لحظات عين ... وكيف نقل سودد لك البلاد

قال فاستحسن المأمون كلامه وامر له بالخلعة الفاخرة والجوائز السنية وامر
له برد ضياعه وقرب منزلته وادناه ودفع اليه من المال ما اسعده واغناه والسلام

ومن حكايات الفصحا ونوادر البلغا

ما حكي ان عبد الملك بن مروان جلس يوما وعنده جماعة من خواصه واهل مسامرته
فقال ايكم ياتيني بحروف المعجم في بدنه وله علي ما يتمناه فقام اليه سويد بن غفلة فقال
انا لها يا امير المؤمنين قال هات قال يا امير المؤمنين اولها انف بطن
ترقوة ثغر جمجمة حلق خد دماغ ذكر رقبة زند ساق شفة صدر ضلع طحال
ظهر عين غبب فم قفا كف لسان منخر نخوع هامة وجه يد فهذا آخر
حروف المعجم والسلام على امير المؤمنين فقام بعض اصحاب الملك وقال يا امير المؤمنين
قال انا اقولها من جسد الانسان مرتين فضحك عبد الملك وقال لسويد اسمعتها قال
قال اصلح الله الامير انا اقولها ثلثا فقال عبد الملك ولك ما تمناه فابتدا يقول
انف اسنان اذن بطن بنصر بز ترقوة ثغرة ثنية ثغر ثنايا ثدي جمجمة جنب
جبهة حلق حنك حاجب خد خنصر خاصرة دبر دماغ دردير ذكر ذقن ذراع
رقبة راس ركبة زند زردمة زب ربا فهنالك ضحك عبد الملك حتى استلقى على ظهره
من شدة الضحك ثم قال سويد ساق سرة سبابة شفة شعر شارب صدر صدغ
صلعة ضلع ضفيرة ضرس طحال طرة طبز ظهر ظفر ظنج عين عنق عاتق
غبب غلصمة غنة فم فك فؤاد قلب قفا قدم كف كتف كعب لسان لحية
لوح مرفق منخر منكب نخوع ناب نني هامة هيف هنة وجه وجنة ورك
يمين يسار يافوخ ثم نهض مسرعا وقبل الارض بين يدي امير المؤمنين فضحك عبد الملك
وقال والله ما نزيد عليه شيئا اعطوه ما تمناه ثم اجازه وانعم عليه وبالغ في الاحسان
اليه وكان الحجاج بن يوسف الثقفي رحمه الله من الفصحا وكان على عتوه واسرافه جوادا
وكان اذا ضحك واستغرق في الضحك اتبع ذلك بالاستغفار مرات وكان يطعم على الف
خوان وكان يطوف على الموائد ويقول يا اهل الشام مزقوا الخبز لئلا يعود اليكم ثانيا
وكان يجلس على كل مائدة عشر رجال في كل يوم وكان يقول اري الناس يتخلفون عن طعامي
فقيل له انهم يكرهون الحضور قبل ان تدعوهم فقال قد جعلت رسولي اليكم كل يوم الشمس
اذا طلعت حكي عن عبد الملك بن عمير رحمه الله انه قال لما ابصر امير المؤمنين
عبد الملك بن مروان رحمه الله اضطراب اهل العراق جمع اهل بيته واولي النجدة من جنده
ثم قال ايها الناس ان العراق كدر ماؤها وكثر غوغاؤها واملولح عذبها

وعظم خطبها • وظهر ضرامها • وعسر اخماد نيرانها • فمن يمهد لهم بسيف قاطع •
وذهن جامع • وقلب ذكي • وانف فيخمد نيرانها • وتردع غيلانها • وينصف مظلومها
ويداوي الجرح حتى يندمل فتصفوا البلاد • وتأمن العباد • فسكت القوم ولم يتكلم احد •
فقام الحجاج وقال يا امير المؤمنين انا للعراق قال ومن انت لله ابوك • قال انا الليث
الصمصام • والهزبر الهشام • انا الحجاج بن يوسف • قال ومن قال من بني ثقيف • كهوف
الحتوف • ومستحلي السيوف • قال اجلس لا امّ لك فلست هنالك • ثم قال ما لي ارى الليوث
مطرقة • والالسن متعلقة • فلم يجبه احد فقام الحجاج فقال انا مجندل الفساق ومطفي
نار النفاق • قال ومن انت قال قاسم الظلمة • ومعدن الحكمة الحجاج بن يوسف
معدن العفو والعقوبة • وآفة المنكر والريبة • قال اليك عني فلست هنالك • ثم قال
من للعراق فسكت القوم فقام الحجاج وقال انا للعراق فقال اذا اظنك صاحبها
والظافر بغنائمها • وان لكل شيء يا ابن يوسف آية وعلامة • فما آيتك وما علامتك
قال العقوبة والعفو • والازورار والبسط • والادنا والابعاد • والجفا والبر •
والتاهب والحزم • وخوض غمرات الحروب • بجنان غير هيوب • فمن جادلني قطعته •
ومن نازعني قصمته • ومن خالفني نزعته • ومن دنا مني اكرمته • ومن طلب الامان
اعطيته • ومن سارع الى الطاعة بجلته • فهذه آيتي وعلامتي وما عليك يا امير المؤمنين
ان تبلوني • فان كنت للاعناق قطاعا • وللاموال جماعا • وللارواح نزاعا • ولك في
الاشيا نفاعا • والا فليستبدل بي امير المؤمنين • فان الناس كثيرون ولكن من يقوم بهذا
الامر قليل فقال عبد الملك انت لها فما الذي تحتاج اليه قال قليل من الجند والمال •
فدعا عبد الملك صاحب جنده • فقال هيئ له من الجند شهوته • والزمهم طاعته • وحذرهم
مخالفته • ثم دعا الخازن فامره بمثل ذلك • فخرج الحجاج قاصدا نحو العراق قال
عبد الملك بن عمير فبينما نحن في المسجد الجامع بالكوفة اذ اتى آت فقال هذا الحجاج قدم
اميرا على العراق • فتطاولت نحوه الاعناق • وافرجوا له عن صحن المسجد • فاذا نحن به يمشي
وعليه عمامة حمرا متلثما بها ثم صعد المنبر فلم يتكلم بكلمة واحدة • ولا نطق حرفا • حتى غص
المسجد باهله • واهل الكوفة يومئذ ذو حالة حسنة • وهيئة جميلة • فكان الواحد منهم
يدخل المسجد ومعه العشرون والثلاثون من اهل البيت ومواليه • واتباعه عليهم
الخز والديباج قال وكان في المسجد يومئذ عمير بن ضابي التميمي رحمه الله فلما راى الحجاج
على المنبر قال لصاحب له اشتمه لكم قالوا اكفف حتى نسمع ما يقول فابى ابن ضابي وقال
لعن الله بني امية حين يولون ويستعملون هذا على العراق وضيع الله العراق حيث يكون
هذا اميرها فوالله لو كان هذا كلاما كما هو ما كان بشيء والحجاج ساكت ينظر يمينا وشمالا

فلما

فلما رأى المسجد قد غص باهله قال هل اجتمعتم فلم يرد احد عليه شيا قال اني لا اعرف قدر
اجتماعكم فهل اجتمعتم فقال رجل من القوم قد اجتمعنا اصلح الله الامير فكشف لثامه ونهض
قائما فكان اول شي نطق به ان قال والله اني لارى رؤوسا اينعت وقد حان قطافها واني
لصاحبها • واني لارى الدما تترقرق بين العمايم واللحا والله يا اهل العراق ان امير المؤمنين
نثر كنانته بين يديه فجمع عيدانها فوجدني امرها عودا واصلبها مكسرا فرماكم بي لانكم
طالما آثرتم الفتنة • واضجعتم في مراقد الضلال • والله لانكلن بكم في البلاد ولاجعلنكم
مثلا في كل واد • ولاضربنكم ضرب غرايب الابل • واني يا اهل العراق لا اعد الا وفيت •
ولا اعزم الا امضيت • فاياي وهذه الزرافات والجماعات • وقيل وقال • وكان ويكون
يا اهل العراق انما انتم اهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان
فكفرت بانعم الله • فاتاها وعيد القرى من ربها • فاستوثقوا واستقيموا • واعملوا ولا
تميلوا • وتابعوا وبايعوا • واجتمعوا واستمعوا • فليس مني الاهذار والاكثار •
انما هو هذا السيف • ثم لا ينسلخ الشتا من الصيف • حتى يذل الله لامير المؤمنين صعبكم
ويقيم له اودكم • ثم اني وجدت الصدق مع البر • ووجدت البر في الجنة • ووجدت الكذب
مع الفجور • ووجدت الفجور في النار • وقد وجهني امير المؤمنين اليكم وامرني ان انفق
فيكم • واوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن ابي صفرة • واني اقسم بالله لا آخذ رجلا تخلف
بعد اخذ عطائه بثلثة ايام الا ضربت عنقه • يا غلام اقرا كتاب امير المؤمنين فقرا واذا فيه
بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عبد الملك بن مروان الى من بالكوفة من المسلمين يسلم عليكم
فلم يرد احد شيا فقال الحجاج اكفف يا غلام ثم اقبل على الناس فقال يسلم عليكم امير
المؤمنين فلا تردون شيا هذا ادبكم الذي تتأدبون به اما والله لاؤدبنكم ادبا غير هذا
الادب اقرا يا غلام فقرا حتى بلغ قوله يسلم عليكم امير المؤمنين فلم يبق احد الا قال وعلى
امير المؤمنين السلام • ثم نزل بعدما فرغ من خطبته وقراءته ووضع للناس عطاياهم
فجعلوا يأخذون حتى اتاهم شيخ يرعش فقال يا امير المؤمنين اني على الضعف كما ترى ولي
ابن اقوى على الاسفار مني فتقبله بديلا عني قال نقبله ايها الشيخ فلما ولى قال له قائل
اتدري من هذا ايها الامير قال لا قال هذا عمير بن ضابي الذي يقول شعر

هممت ولم افعل وكدت وليتني • تركت على عثمان تبكي حلائله

ولقد دخل هذا الشيخ على عثمان رضي الله عنه وهو مقتول فوطي في بطنه فكسر ضلعين
من اضلاعه فقال الحجاج ردوه فلما ردوه قال له الحجاج انت الفاعل بامير المؤمنين
عثمان ما فعلت يوم قتل بالدار ان في قتلك ايها الشيخ اصلاحا للمسلمين يا سياف اضرب عنقه
فضرب عنقه وكان من امره بعد ذلك ما عرف وسطر والله اعلم بالصواب

ومن حكايات الحجاج

ما حكي انه لما اسرف في قتل اسرى دير الجماجم واعطى الاموال بلغ ذلك امير المؤمنين عبد الملك بن مروان فشق ذلك عليه وكتب اليه يقول اما بعد فقد بلغني عنك اسراف في الدما وتبذير في العطا وقد حكمت عليك في الدما في الخطا الدية وفي العمد القود وفي الاموال ان تردها الى مواضعها ثم تعمل فيها برايي فانما هو مال الله تعالى ونحن امناوه فان كنت اردت الناس لي فما اغناني عنهم وان كنت اردت نفسك فما اغناك عنهم وسياتيك مني امران لين وشدة فلا يؤمنك الا الطاعة ولا يوحشك الا المعصية فاذا اعطاك الله عز وجل الظفر فلا تقتلن جانيا ولا اسيرا ثم كتب اليه في اسفل الكتاب يقول

شعر

اذا انت لم تترك امورا كرهتها * وتطلب رضاي بالذي انت طالبه
فان تر مني غفلة قرشية * فيا رب ما قد غص بالما شاربه
وان تر مني وثبة اموية * فهذا وهذا كل ذا انا صاحبه
فلا تامنني والحوادث جمة * فانك مجزا بالذي انت كاسبه
ولا تعد ما ياتيك مني وان تعد * يقم به يوما عليك نوادبه
فلا تمنعن الناس حقا علمته * ولا تقطعن ما ليس للناس واجبه
فانك ان تعطي الحقوق فانما * النوافل شي لا يثيبك واهبه

فلما ورد هذا الكتاب على الحجاج كتب الى امير المؤمنين جوابه يقول اما بعد فقد ورد كتاب امير المؤمنين يذكر اسرافي في الدما وتبذيري للاموال ولعمري ما بالغت في عقوبة اهل المعصية ولا تعديت حقوق اهل الطاعة فان كان قتلي العصاة اسرافا واعطاي المطيعين تبذيرا فليمض لي امير المؤمنين ما سلف ووالله ما اصبت القوم خطا فاديهم ولا ظلمتهم فاقيدهم ولا قتلت الا لك ولا اعطيت الا فيك والسلام عليك ورحمة الله وبركاته اتم سلام ثم كتب في اسفل الكتاب يقول هذه الابيات

شعر

اذا انا لم ابغ رضاك واتقي * اذاك فضوى لا تواري كواكبه
وما لامرى بعد الخليفة جنة * تقيه من الامر الذي هو راكبه
اذا قارف الحجاج فيك خطيئة * فقامت عليه بالصياح نوادبه
اذا انا لم ادن الشفيق لنصحه * واقصي الذي تسري الي عقاربه
واعطي المواسي في البلاء عطية * ترد الذي ضاقت علي مذاهبه
فمن يتقي لومي ويرجو مودتي * ويخشى غدا والدهر جم نوائبه

والامر

والامر اليك اليوم ما قلت قلته * وما لم تقله لم اقل ما يقاربه
ومهما اردت اليوم مني اردته * وما لم ترده اليوم مني اجانبه
تقفت بي على حد الرضا لا اجوزه * مدا الدهر حتى يرجع الدر حالبه
والا فدعني والامور فانني * شفيق رفيق احكمته تجاربه

فلما انتهى الكتاب الى عبد الملك قال خاف ابو محمد صولتي ولم يعاود لامر كرهته ان شا الله تعالى فمن يلمني على محبته اكتب اليه يا غلام ان الشاهد يرى ما لا يرى الغايب وانت يا غلام اعلى عينا والسلام وقيل ان الحجاج تقلد الامارة وله ابن عشرين سنة ومات وله ثلث وخمسون سنة وكان من عنف السياسة وثقل الوطاة وظلم الرعية والاسراف في القتل بالاسلحة وصف واحصي من قتله باشره سوى من قتله في حروبه فكانوا مائة الف وعشرون الفا ووجد في سجنه خمسون الف رجل وثلثون الف امراة وكان حبس الرجال والنسا في موضع واحد ولم يكن لحبسه سقف يستر الناس من الحر والبرد وقيل للشعبي اكان الحجاج مومنا قال نعم بالطاغوت وقال لو جات كل امة بخبيثها وفاسقها وجينا بالحجاج وحده لزدنا عليهم والله اعلم وقد مضى القول في ذكر الفصحا من الرجال وحكاياتهم وما اعان الله تعالى عليه واستحضرته من اخبارهم وانا قايل ان شا الله تعالى ما استحضرته من ذكر فصحا النسا واخبارهم وحكاياتهم وبالله المستعان

ذكر فصحا النسا وحكاياتهم

حكي عن ابي عبد الله النميري رحمه الله انه قال كنت يوما مع المامون وكان بالكوفة فركب للصيد ومعه سرية من العسكر فبينما هو سائر اذ لاحت له طريدة فاطلق عنان جواده وكان على سابق من الخيل فاشرف على نهر ما من نهر الفرات واذا هو بجارية عربية خماسية القد قاعدة النهر كانها القمر ليلة تمامه وبيدها قربة قد ملاتها ما وشالتها على كتفها وصعدت من حافة النهر فانحل وكاها فصاحت برفيع صوتها يا ابت ادرك فاها قد غلبني فوها لا طاقة لي بفمها قال فعجب المامون من فصاحتها ورمت الجارية القربة من يدها فقال لها المامون يا جارية من اي العرب انت فقالت انا من بني كلاب قال وما حملك ان تكوني من الكلاب فقالت والله لست من الكلاب وانما انا من قوم كرام غير لئام يقرون الضيف ويضربون بالسيف ثم قالت يا فتى من اي الناس انت قال او عندك علم بالانساب قالت نعم فقال لها انا من مضر الحمرا قالت من اي مضر قال من اكرمها نسبا واعظمها حسبا وخيرها اما وابا من تهابه مضر كلها قالت اظنك من كنانة قال انا من كنانة قالت من اي كنانة قال من اكرمها مولدا واشرفها محتدا واطولها في المكرمات يدا ممن تهابه كنانة وتخافه فقالت اذا انت من قريش قال من اجلها ذكرا واعظمها فخرا

ممن تهابه قريش كلها وتخافه لحياه . قالت والله اذا انت من بني هاشم ومن ابي هاشم
قال من اعلاها منزلة واشرفها قبيلة ممن تهابه هاشم وتخافه فتحدرت لك قبلت
الارض وقالت السلام عليك يا امير المؤمنين وخليفة رب العالمين قال
فعجب المامون وطرب طربا شديدا ثم قال والله لا تزوجن هذه الجارية لانها من اكبر
الغنايم ووقف حتى لاحقته عساكره فنزل هناك وانفذ خلف ابيها وخطبها منه فزوجه
بها فاخذها وعاد مسرورا بها وهي والدة ولده العباس والله تعالى اعلم وحكي ان
هند ابنة النعمان كانت احسن اهل زمانها فوصف للحجاج حسنها فانفذ اليها يخطبها
وابذل لها مالا جزيلا وتزوج بها وشرط لها عليه بعد الصداق مايتي الف درهم
ودخل بها ثم انها انحدرت معه الى بلد ابيها المعرة وكانت هند فصيحة اديبة
فاقام بها الحجاج في المعرة مدة طويلة ثم ان الحجاج رحل بها الى العراق فاقامت معه
ما شا الله ثم دخل عليها في بعض الايام وهي تنظر في المرآة وتقول

شعر

وما هند الا مهرة عربية . سليلة افراس تحللها بغل
فان ولدت فحلا فلله درها . وان ولدت بغلا فجا به الفحل

فانصرف الحجاج راجعا ولم يدخل عليها ولم تكن علمت به فاراد الحجاج طلاقها فانفذ
اليها عبد الله بن طاهر وانفذ لها معه مايتي الف درهم وهي التي كانت لها عليه وقال
له يا ابن طاهر طلقها بكلمتين ولا تزد عليها فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها
يقول لك ابو محمد الحجاج كنت فبنت وهذه المايتي الف التي كانت لك قبله فقالت اعلم
يا ابا الطاهر انا والله كنا فما حمدنا وبنا فما ندمنا وهذه المايتي الف درهم لبشارتك
بخلاصي من كلب ثقيف ثم بعد ذلك بلغ امير المؤمنين عبد الملك بن مروان خبر طلاقها
ووصف له جمالها فارسل اليها يخطبها فارسلت اليه كتابا تقول فيه بعد الثنا عليه
اعلم يا امير المؤمنين ان الانا ولغ فيه الكلب فلما قرا عبد الملك الكتاب ضحك من قولها
وكتب لها يقول اذا ولغ الكلب في انا احدكم فاغسلوه سبعا وعفروه الثامنة بالتراب
فاغسلي الانا يحل الاستعمال فلما قرأت كتاب امير المؤمنين لم يمكنها المخالفة فكتبت
اليه بعد الثناء عليه والله يا امير المؤمنين لا احل العقد الا بشرط فان قلت ما هو الشرط
قلت ان يقود الحجاج محملي من المعرة الى بلدك التي انت فيها ويكون ماشيا حافيا على ما التي
كان فيها اولا فلما قرا عبد الملك ذلك ضحك ضحكا شديدا وانفذ الى الحجاج يامره بذلك
فلما قرا الحجاج رسالة امير المؤمنين اجاب ولم يخالف وامتثل الامر وانفذ الى هند
يامرها بالتجهيز فتجهزت وسار الحجاج في موكبه حتى وصل المعرة بلد هند في محمل الدق

وركب

وركب حوالها جواريها وخدمها واخذ الحجاج بزمام البعير يقوده ويسير بها فجعلت
هند تتواعد عليه وتضحك مع الهيفا دايتها ثم قالت للهيفا يا دايه اكشفي لي سجف المحمل
فكشفته فوقع وجهها في وجه الحجاج فضحكت عليه فانشا الحجاج يقول بيت

فان تضحكي مني فيا طول ليلة . تركتك فيها كالقبا المفرج

فاجابته تقول

وما نبالي اذا ارواحنا سلمت . بما فقدناه من مال ومن نسب
فالمال مكتسب والعز مرتجع . اذا النفوس وقاها الله من عطب

ولم تزل كذلك تضحك وتلعب الى ان قربت من بلد الخليفة فرمت بدينار على الارض وقالت
يا جمال انه قد سقط منا درهم فادفعه الينا فنظر الحجاج الى الارض فلم يجد الا دينارا فقال
انما هو دينار فقالت بل هو درهم فقال بل دينارا فقالت الحمد لله الذي سقط منا درهما
عوضنا الله دينارا فخجل الحجاج وسكت ولم يرد جوابا ثم دخل بها على عبد الملك فتزوج بها
وكان من امرها ما كان وقد وجدت في بعض النسخ ما هو اعم من هذا وقد اقتصرت على القليل منه
اذ فيه الغرض وزياده وقيل ان جارية عرضت على الرشيد ليشتريها فتاملها وقال
لولا خد جاريتك فلولا كلف بوجهها وخنس بانفها لاشتريتها فلما سمعت الجارية مقالة امير
المؤمنين قالت مبادرة يا امير المؤمنين اسمع مني ما اقول فقال لها قولي فانشات تقول

شعر

ما سلم الظبي على حسنه . كلا ولا البدر الذي يوصف
الظبي فيه خنس بين . والبدر فيه كلف يعرف

فتعجب من فصاحتها وامر بشرائها وقيل وعرضت على المامون ايضا جارية وكانت بارعة في الجمال
فايقة في الكمال غير انها كانت تعرج برجلها فقال لولا عرج بها واخذ بيدها وارجع فلولا عرج
بها لاشتريتها فقالت الجارية يا امير المؤمنين انه في وقت حاجتك لا تكن بحيث تراه
فاعجبه سرعة جوابها وامر بشرائها وقد حكي ان كريم الملك كان من ظراف الكتاب
فمر يوما تحت جوسق بستان فراى جارية ذات وجه زاهر وكمال باهر لا يستطيع
احد وصفها فلما نظر اليها ذهل عقله وطار لبه فعاد الى منزله وارسل اليها هدية
نفيسة مع عجوز كانت تخدمه وكانت الجارية عازبة وكتب لها رقعة يعرض فيها بالزيارة
في جوسقها فلما قرأت الرقعة قبلت الهدية ثم ارسلت اليه مع العجوز عنبر على ورد ذهب
وربطت ذلك في منديل وقالت هذا جواب رقعته فلما راى الملك ذلك لم يفهم ما معناه
وتحير في امره وكان له ابنة صغيرة السن فلما رات اباها متحيرا في ذلك قالت يا ابت
انا علمت معناه قال وما هو لله درك فقالت منشدة هذه الابيات

أهدت لك العنبر في جوفه • زر من التبر خفي الحجام
فالزر والعنبر معناهما • زرهكذا مختفيا في الظلام

قال فتعجب من فطنتها وفصاحتها واستحسن ذلك منها وحكي ان طايفة من بني تميم كانوا يكسرون اول النعل فمرت فتاة منهم جميلة المنظر على جماعة فناداها شخص منهم اراد ان يوقعها فيما ينسب لهم وفيما يريده فقال لاي شيء يا بني تميم ما تكسرون فقالت ولم لا تكسر النعل فضحك عليها وقال افعل ان شاء الله فخجلت من قوله وتغير وجهها واذا رادت ان توقعه كما اوقعها فقالت له هل تحسن شيئا من العروض قال نعم قالت فقطع لي • حولوا عنا كنيستكم يا بني حماله الحطب • فقطعه ووقف على عن ثم اتى بالنون والالف مع بقية الحروف فضحكت عليه واضحكت اصحابه وبحث لم يبرح حتى اخذتني بتارك وحكي ان رجلا شاعرا كان له عدو فبينما هو سائر ذات يوم في بعض الطرق واذا بعدوه الى جانبه فعلم الشاعر ان عدوه قاتله لا محالة فقال له يا هذا انا اعلم ان المنية قد حضرت ولكن سالتك الله اذا انت قتلتني امض الى داري وقف بالباب وناد الا ايها البنتان ان اباكما وكان للشاعر ابنتين فلما سمعتا قول الرجل الا ايها البنتان ان اباكما اجابتاه قتيل خذا بالثار ممن اتاكما ثم تعلقتا بالرجل وحملاه الى الحاكم فاستقرره فاقر بقتله فقتله بابيهما وقيل ان كثير عزة مارا بالطريق يوما واذا بعجوز عمياء على قارعة الطريق تمشي فقال لها تنحي عن الطريق فقالت ويحك ومن تكون قال انا كثير عزة فقالت قبحك الله وهل مثلك يتنحى له عن الطريق قال ولم قالت الست القائل • لهذه الابيات •

وما روضة بالحزن طيبة الثرى • يمج الندا جثجاثها وعرارها
باطيب من اردان عزة موهنا • اذا اوقدت بالمجمر اللدن نارها
ويحك يا هذا لو تبخر بالمجمر اللدن • مثلي ومثل امك لطاب ريحها
لم لا قلت مثل سيدك امرئ القيس •
وكنت اذا ما جئت بالليل طارقا • وجدت بها طيبا وان لم تطيب

فقطعته ولم يرد جوابا وقيل واتى الحجاج بامراة من الخوارج فقال لاصحابه ما تقولون في هذه قالوا عاجلها بالقتل ايها الامير فقالت الخارجية لقد كان وزرا اصحابك خيرا من وزرايك يا حجاج قال ومن هو صاحبي قالت فرعون استشارهم في موسى عليه السلام فقالوا ارجئه واخاه • واتي باخرى من الخوارج فجعل يكلمها وهي لا تنظر اليه فقيل لها الامير يكلمك وانت لا تنظرين اليه فقالت اني لاستحي ان انظر الى من لا ينظر الله اليه وحكي ابن الجوزي رحمه الله في كتابه المنتظم في مناقب عمر رضي الله عنه قال لما ولي عمر الخلافة بلغه ان صدقة ازواج النبي صلى الله عليه وسلم خمسماية درهم وان

فاطمة

فاطمة رضي الله عنها كان صداقها على علي كرم الله وجهه اربعماية درهم فنادى اجتهاد امير المومنين عمر رضي الله عنه ان لا يزيد احد على صداق البضعة النبوية فاطمة رضي الله عنها فصعد المنبر فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال يا ايها الناس لا تزيدوا في مهور النساء على اربعماية درهم فمن زاد القيت زيادته في بيت مال المسلمين فهاب الناس ان يكلموه فقامت امراة في يدها طول فقالت له كيف يحل لك هذا والله تبارك وتعالى يقول واتيتم احداهن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا فقال عمر رضي الله عنه امراة اصابت ورجل اخطا وقيل جات امراة الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالت يا امير المومنين يصوم النهار ويقوم الليل فقال لها نعم الرجل زوجك وكان في مجلسه رجل يسمى كعب فقال يا امير المومنين ان هذه المراة تشكو زوجها في امر مباعدته اياها عن فراشها فقال له كما فهمت كلامها احكم بينهما فقال علي بزوجها فاحضروه فقال له ان هذه المراة تشكوك قال في امر طعام ام شراب قال بل في امر مباعدتك اياها عن فراشها فانشات المراة تقول • شعر •

يا ايها القاضي الحكيم انشده • الهى خليلي عن فراشي مسجده
نهاره وليله لا يرقده • ولست في امر النسا احمده

• فانشا الزوج يقول •

زهدني في فرشها وفي الحلل • اني امرؤ اذهلني ما قد نزل
في سورة النحل وفي السبع الطول • وفي كتاب الله تخويف جلل

• وانشا القاضي يقول •

ان لها حقا عليك لم يزل • في اربع نصيبها لمن عقل
فاعطها ذاك ودع • عنك التواني والعلل

ثم قال ان الله تعالى احل لك من النساء مثنى وثلث ورباع ولك ثلثة ايام بلياليهن ولها يوم وليلة فقال عمر رضي الله عنه لا ادري من ايكم اعجب امن كلامها ام من حكمك بينهما اذهب فقد وليتك البصرة •

حكاية المتكلمة بالقرآن •

قال عبد الله بن المبارك رحمه الله خرجت حاجا الى بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي عليه افضل الصلوة والسلام فبينما انا في الطريق واذا بسواد على الطريق فتميزت ذلك واذا هي عجوز عليها درع وخمار من صوف فقلت السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقالت سلام قولا من رب رحيم • فقلت لها يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان فقالت ومن يضلل الله فلا هادي له فعلمت انها ضالة عن الطريق فقلت لها اين تريدين فقالت سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى فعلمت انها قد قضت حجها وهي تريد بيت المقدس فقلت لها انت منذ كم في هذا الموضع فقالت ثلث ليال سويا فقلت

ها آرى معك طعاما تاكلين منه فقالت هو يطعمني ويسقين فقلت فبأي شي تتوضين
فقالت فان لم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فقلت لها ان معي طعاما فهل لك في الاكل منه
قالت فاتموا الصيام الى الليل قلت ليس هذا شهر رمضان قالت ومن تطوع خيرا فان الله
شاكر عليم قلت قد ابيح لنا الافطار في السفر قالت وان تصوموا خير لكم قلت فلم لا
تتكلمين مثل ما اكلمك قالت ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد قلت فمن اي الناس
انت قالت ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا
قلت قد اخطأت فاجعليني في حل قالت لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم قلت فهل لك
ان احملك على ناقتي فتدركي القافلة قالت وما تفعلوا من خير يعلمه الله قال فانخت ناقتي
فقالت قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم فغضضت بصري عنها وقلت اركبي فلما ارادت ان
تركب نفرت الناقة فمزقت ثيابها فقالت ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم فقلت
لها اصبري حتى اعقلها قالت ففهمناها سليمان فشددت لها الناقة وقلت لها اركبي
فلما ركبت قالت سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون
قال فاخذت بزمام الناقة وجعلت اسعى واصيح قالت واقصد في مشيك واغضض من
صوتك فجعلت امشي رويدا رويدا واترنم بالشعر قالت فاقرؤوا ما تيسر من القرآن
فقلت لقد اوتيت خيرا كثيرا قالت وما يذكر الا اولوا الالباب فلما مشيت بها قليلا قلت
الك زوج قالت يا ايها الذين آمنوا لا تسئلوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم فسكت ولم اكلمها
حتى ادركت بها القافلة قلت هذه القافلة فمن لك فيها قالت المال والبنون زينة الحيوة
الدنيا فعلمت ان لها اولادا قلت فما شانهم في الحج قالت وعلامات وبالنجم هم يهتدون
فعلمت انهم ادلا الركب فقصدت بها القباب والعماريات قلت هذه القباب فمن
لك فيها قالت واتخذ الله ابراهيم خليلا وكلم الله موسى تكليما يا يحيى خذ الكتاب بقوة
فناديت يا ابراهيم يا موسى يا يحيى واذا انا بشباب كانهم الدنانير قد اقبلوا فلما استقر بهم
الجلوس قالت فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فليأتكم
برزق منه فمضى احدهم واشترى طعاما وقدموه بين يدي فقالت كلوا واشربوا هنيئا
بما اسلفتم في الايام الخالية فقلت الآن طعامكم حرام علي حتى تخبروني بامرها فقالوا
لها اربعين سنة لا تتكلم الا بالقرآن مخافة ان تزل فيسخط عليها الرحمن
فسبحان القادر على ما يشاء وهو ذو الفضل العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل

الباب الثامن في الاجوبة المسكتة
والمستحسنة ورشقات اللسان ونحو ذلك

قيل ان معن بن زائدة دخل على المنصور رحمه الله فقال له هبة يا معن تعطي مروان

بن ابي حفصة مائة الف على قوله بيت

معن بن زائدة الذي زادت به ۔ شرفا الى شرف بني شيبان

فقال كلا يا امير المؤمنين انما اعطيته على قوله شعر

ما زلت يوم الهاشمية معلنا ۔ بالسيف دون خليفة الرحمن
فمنعت حوزته وكنت وقاءه ۔ من وقع كل مهند وسنان

فقال احسنت والله يا معن وامر له بالجوائز والخلع ووفد ابن ابي محجن على معاوية رحمهما
الله فقام خطيبا فاحسن فحسده معاوية فقال انت الذي اوصاك ابوك بقوله

اذا مت فادفني الى جنب كرمة ۔ تروي عظامي في الممات عروقها
ولا تدفنني بالفلاة فانني ۔ اخاف اذا ما مت ان لا اذوقها

فقال بل انا الذي يقول ابي

لا تسأل الناس ما مالي وكثرته ۔ وسائل الناس ما جودي وما خلقي
اعطي الحسام غداة الروع حصته ۔ وعامل الرمح ارويه من العلق
واطعن الطعنة النجلاء عن عرض ۔ واكتم السر فيه ضربة العنق
ويعلم الناس اني من سراتهم ۔ اذ سما نص المرعة الفرق

فقال له معاوية احسنت والله يا ابن ابي محجن وامر له بصلة وجائزة وقيل اخذ عبد الملك
بن مروان بعض اصحاب شبيب الحارثي فقال

ومنا يزيد والبطين وقعنب ۔ ومنا امير المؤمنين شبيب

فقال يا امير المؤمنين انما قلت ومنا امير المؤمنين شبيب واردت بذلك مناداتك
فكان ذلك سببا لنجاته ودخل شريك بن الاعور رحمه الله على معاوية وكان دميما فقال
له معاوية انك لدميم والجميل خير من الدميم وانك لشريك وما لله شريك وان اباك
الاعور والصحيح خير من الاعور فكيف سدت قومك فقال له انك معاوية وما معاوية
الا كلبة عوت فاستعوت الكلاب وانك ابن صخر والسهل خير من الصخر وانك لابن حرب
والسلم خير من الحرب وانك لابن امية وما امية الا امة صغرت فكيف صرت امير المؤمنين
ثم خرج من عنده وهو يقول

ايشتمني معاوية بن حرب ۔ وسيفي صارم ومعي لساني
وحولي من ذوي يزن ليوث ۔ ضراغمة تهش الى الطعان
يعير بالدمامة من سفاه ۔ وربات الحجال من الغواني

ودخل يزيد بن ابي مسلم صاحب شرطة الحجاج على سليمان بن عبد الملك بعد موت الحجاج فقال
له سليمان قبح الله رجلا اجرك رسنه واولاك امانته فقال يا امير المؤمنين رأيتني والامر

ان تقبل وهو عنى مدبر فلو رأيتني والامر على مقبل لاستكثرت مني ما استصغرت واستعظمت مني ما استحقرت • فقال سليمان اترى الحجاج استقر في جهنم فقال يا أمير المؤمنين لا تقل ذلك فان الحجاج وطأ لكم المنابر وذلل لكم الجبابرة وهو يجيء يوم القيمة عن يمين ابيك وشمال اخيك فحيثما كانا كان • وقال يهودي لعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه ما بالكم لم تلبثوا بعد نبيكم خمسة عشر سنة حتى تقاتلتم فقال علي رضي الله عنه ولم انتم لم تجف اقدامكم من البلل حتى قلتم يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة • ووجد الحجاج مكتوبا على منبره قل عنتع بكفرك قليلا انك من اصحاب النار فكتب تحته قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور • ودخل عقيل على معاوية وقد كف بصره فاجلسه معه على سريره ثم قال له انتم معشر بني هاشم تصابون في ابصاركم فقال له عقيل وانتم معشر بني امية تصابون في بصايركم وقيل اجتمعت بنو هاشم يوما عند معاوية فاقبل عليهم وقال يا بني هاشم ان خيري لكم غير ممنوع وان بابي لكم لمفتوح فلا يقطع خيري عنكم ولا يرد بابي دونكم ولما نظرت في امري وامركم رايت امرا مختلفا انكم ترون انكم احق بما في يدي مني واذا اعطيتكم عطية فيها قضاء حقوقكم قلتم اعطانا دون حقنا وقصر بنا عن قدرنا فصرت كالمسلوب والمسلوب لا حمد له هذا مع انصاف قائلكم واسعاف سايلكم قال فاقبل عليه ابن عباس رضي الله عنه وقال والله ما منحتنا شيا حتى سالناه ولا فتحت لنا بابا حتى قرعناه ولئن قطعت عنا خيرك فخير الله اوسع منك ولئن اغلقت دوننا بابا فلنكفن انفسنا عنك واما هذا المال فليس لك منه الا ما للرجل من المسلمين ولولا حقك في هذا المال لم ياتك منا زائرا يحمله خف او حافر اكفاك ام ازيدك فقال كفاني يا ابن عباس • وقال معاوية يوما يا ايها الناس ان الله تبارك وتعالى حبا قريشا بثلث فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم وانذر عشيرتك الاقربين ونحن عشيرته الاقربين وقال وانه لذكر لك ولقومك ونحن قومه وقال لايلاف قريش ايلافهم ونحن قريش فاجابه رجل من القوم وقال على رسلك يا معاوية فان الله تعالى يقول وكذب به قومك وانتم قومه • وقال ولما ضرب ابن مريم مثلا اذا قومك منه يصدون وانتم قومه وقال وقال الرسول يا رب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا وانتم قومه ثلاثة بثلاثة ولو زدتنا لزدناك وقال معاوية ايضا لرجل من اليمن ما كان اجهل قومك حين ملكوا عليهم امراة فقال اجهل من قومي قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السما او ايتنا بعذاب اليم ولم يقولوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندنا فاهدنا اليه وخطب معاوية يوما فقال ان الله تعالى يقول وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا

بقدر معلوم فعلام تلوموني اذا قصرت في عطائكم فقال الاحنف انا والله لا نلومك على ما في خزاين الله ولكن على ما انزله لنا من خزاينه فجعلته في خزاينك وحلت بيننا وبينه • وقالت يوما الجارية بن قدامة ما كان اهونك على قومك اذ سموك جارية فقالت وما اهونك على قومك اذ سموك معاوية وهي الانثى من الكلاب قال اسكت لا ام لك قال ام لي ولدتني اما والله ان القلوب التي ابغضناك بها لبين جوانحنا والسيوف التي قاتلناك بها لفي ايدينا وانك لم تملكنا قهرا ولم تملكنا عنوة ولكنك اعطيتنا عهدا وميثاقا واعطيناك سمعا وطاعة فان وفيت لنا وفينا لك وان فزعت الى غير ذلك فانا قد تركنا وراءنا رجالا اشدادا واسنة حدادا فقال له معاوية لا كثر الله مثلك في الناس يا جارية قال قل معروفا فان شر الدعاء محيط باهله • وقيل دخل مجنون الطاق يوما الى الحمام وكان بخير ميزر فراه ابو حنيفة رضي الله عنه وكان في الحمام فغمض عينيه فقال له المجنون متى اعماك الله قال حين هتك سترك • ومن ذلك ما ذكر ان الحجاج خرج يوما متنزها فلما فرغ من تنزهه صرف عنه اصحابه وانفرد بنفسه فاذا هو بشيخ من بني عجل فقال له من اين ايها الشيخ قال من هذه القرية قال كيف ترون عمالكم قال شر عمال يظلمون الناس ويستحلون اموالهم قال فكيف قولك في الحجاج قال ذلك ما ولي العراق اشر منه قبحه الله وقبح من استعمله قال اتعرف من انا قال لا قال انا الحجاج فقال الشيخ وانا فلان بن فلان مجنون بني عجل اصرع في كل يوم مرتين قال فضحك الحجاج وامر له بصلة • وقال رجل لصاحب منزل اصلح الله خشب هذا السقف فانه يقرقع قال لا تخف فانه يسبح قال اخاف ان تدركه رقة قلب فيسجد • وقالت عجوز لزوجها اما تستحي ان تزني ولك حلال طيب قال اما حلال فنعم واما طيب فلا • وقال ملك لوزيره ما خير ما يرزقه العبد قال عقل يعيش به قال فان عدمه قال ادب يتحلى به قال فان عدمه قال مال يستره قال فان عدمه قال فصاعقة تحرقه وتريح منه العباد والبلاد • وتنبأ رجل في زمن المنصور فقال له المنصور انت نبي سفلة قال جعلت فداك كل انسان يبعث الى شكله •

وَمِنَ الاجوبة المستحسنة ما ذكر

ان ابراهيم مغني الرشيد غنا يوما بين يديه فقال احسنت احسن الله اليك فقال يا امير المؤمنين انما احسن الله الي بك فامر له بمائة الف وقال عبد الله بن يحيى لابي العينا كيف الحال قال انت الحال فانظر انت كيف لنا فامر له بمال جزيل واحسن صلته وكان عمرو بن سعد بن سلم رحمه الله في حرس المامون ليلة فخرج المامون يتفقد الحرس فقال عمرو عمرك الله بن مسعدة اسعدك الله بن سلم سلمك الله قال انت تكلونا الليلة قال الله يكلوك يا امير المؤمنين فالله خير حفظا وهو ارحم الراحمين • فقال المامون

يا ان اخا الهيجا من يسعى معك • ومن يضر نفسه لينفعك

في الحاشية: فقال الشيخ وانا

ومن اذا ريب زمان صدعك ❊ شتت فيه شمله لجمعك

فقال ادفعوا اليه اربعة آلاف دينار فقال عمرو وددت لو ان الابيات طالت وقال المعتصم للفتح بن خاقان وهو صبي صغير ارأيت يا فتح احسن من هذا الفص لفص كان في يده فقال نعم يا امير المؤمنين اليد التي هو فيها احسن منه فاعجبه جوابه وامر له بصلة وكسوة وقيل انه قال سائل العباس رضي الله عنه انت اكبر ام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكبر وانا ولدت قبله وقال معاوية لسعيد بن مرة الكندي رحمه الله انت سعيد فقال امير المؤمنين السعيد وانا ابن مرة وقال المامون للسيد بن انس رحمه الله انت السيد قال امير المؤمنين السيد وانا ابن انس وقال الحجاج للمهلب رحمه الله وهو يماشيه انا اطول ام انت قال الامير اطول وانا ابسط قامة اراد الطول وهو الفضل والاجوبة بهذا المعنى كثيرة لو لم يتبعها لخرجت ولكني اقتصرت على هذا واوجزت وفيما ذكرته من ذلك كفاية واسال الله العون والعناية وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

الباب التاسع في
ذكر الخطب والخطباء والشعراء وسرقاتهم
وكبوات الجياد وهفوات الامجاد ونحو ذلك

قيل خطب المامون ذات يوم فقال اتقوا الله عباد الله وانتم في مهل بادروا الاجل ولا يغرنكم الامل فكان الموت قد نزل فشغلت المرء شواغله وتولت عنه بواطله وهنئت اكفانه وبكاه جيرانه وصار الى التراب الخالي بجسده البالي فهو في التراب عفير والى ما قدم فقير قال الشعبي ما سمعت احدا قط يخطب الا تمنيت ان يسكت مخافة ان يخطي ما خلا زيادا فانه لا يزداد اكثارا الا ازداد احسانا وخطب علي رضي الله عنه فقال في خطبته عباد الله الموت الموت ليس منه فوت ان اقمتم اخذكم وان فررتم منه ادرككم الموت معقود بنواصيكم فالنجا النجا والوحا الوحا فان وراءكم طالبا حثيثا وهو القبر الا ان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار الا انه يتكلم في كل يوم ثلاث مرات فيقول انا بيت الظلمة انا بيت الوحشة انا بيت الديدان الا وان وراء ذلك اليوم يوم اشد منه يوم يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير وتذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد الا وان وراء ذلك اليوم نارا حرها شديد وقعرها بعيد وحليها حديد وماؤها صديد ليس لله فيها رحمة قال فبكى المسلمون بكاء شديدا فقال الا وان وراء ذلك اليوم جنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين اجارنا الله واياكم من العذاب الاليم وخطب الحجاج بن يوسف رحمه الله فقال في خطبته

ان ابراهيم بن عبد الله بن الحسن رحمه الله خطب بالبصرة فقال ايها الناس كل كلام في غير ذكر الله لغو وكل صمت في غير فكر فهو سهو والدنيا حلم والآخرة يقظة والموت متوسط بينهما ونحن في اضغاث احلام والسلام وقيل اجتمع الناس عند معاوية وقام الخطباء لبيعة يزيد فاظهر قوم الكراهة فقام رجل من عذرة يقال له يزيد بن المقنع فاخترط من سيفه شبرا ثم قال امير المؤمنين هذا واشار الى معاوية فان يهلك فهذا واشار الى يزيد فمن ابى فهذا واشار الى سيفه فقال له معاوية انت سيد الخطباء.

فصل في ذكر الشعراء وسرقاتهم قيل مما استدعى شارد الشعر مثل الماء الجاري والشرف العالي والمكان الخضر الخالي وقيل انسك على النابغة الجعدي رحمه الله اربعين يوما فلم ينطق بالشعر ثم ان بني جعدة غزوا فظفروا فاستخفه الطرب والفرح فرام الشعر فذل له ما استصعب عليه فقال له قومه والله لنحن باطلاق لسان شاعرنا اسر منا بالظفر بعدونا وقال ابو نواس رحمه الله ما قلت الشعر حتى رويت لستين امراة منهم الخنساء وليلى فما ظنك بالرجال وقال الخليل رحمه الله الشعراء امراء الكلام يتصرفون فيه انى شاؤا واجاز فيه ما لا يجوز لغيرهم من اطلاق المعنى وتقييده ومن تسهيل اللفظ وتعقيده وقيل اوفد زياد رحمه الله ابنه عبيد الله على معاوية فقال له اقرات القران قال نعم قال افرضت الفرائض قال نعم قال ارويت الشعر قال لا فكتب الى يزيد بارك الله في ابنك فاروه الشعر فقد وجدته كاملا واني سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ارووا الشعر فانه يدل على مكارم الاخلاق وينهى عن مساويها وتعلموا الانساب فرب رحم مجهولة قد وصلت بعرفان النسب وتعلموا من النجوم ما يدلكم على سبلكم في البر والبحر ولقد هممت بالهرب يوم صفين فما ثبتني الا قول القائل

أقول لها اذا جشأت وجاشت ❊ مكانك تحمدي او تستريحي

وقيل لم يرو اعلم بالشعر والشعراء من خلف الاحمر رحمه الله كان يعمل الشعر على السنة الفحول من القدماء فلا يتميز عن مقولهم ثم انسك وكان يختم القران كل يوم وليلة وبذل له بعض الملوك مالا جزيلا على ان يتكلم في بيت شعر شكوا فيه فابى وكان الحسن بن علي رضي الله عنه يعطي الشعراء فقيل له في ذلك فقال خير مالك ما وقيت به عرضك وقال ابو الزناد رحمه الله ما رايت اروى للشعر من عروة فقلت له ما ارواك يا ابا عبد الله فقال وما روايتي مع رواية عائشة رضي الله عنها ما كان ينزل بها شيء الا انشدت شعرا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا ما يتمثل بهذا كفى الاسلام والشيب للمرء ناهيا فجعل لا يطيقه فقال ابو بكر رضي الله عنه اشهد انك رسول الله وتلا قوله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له

ولنذكر نبذة من سرقات الشعراء وسقطاتهم

فمن قول قيس بن الحطيم وهو شاعر الاوس وشجاعها حيث يقول

وما المال والاخلاق الا معارة • فما اسطعت من معروفها فتزود

وكيف يخفى ما آخذ من ابيات قصيدة طرفة بن العبد وهي معلقة على الكعبة يقول فيها

لعمرك ما الأيام الا معارة • فما اسطعت من معروفها فتزود

وقول عبدة بن الطبيب

فما كان هلكه هلك واحد • ولكنه بنيان قوم تهدما ذيل

اخذه من قول امرئ القيس

فلو انها نفس تموت سوية • ولكنها نفس تساقط انفسا

سئل في ذلك فقال من سرق شيئا واسترقه فقد استحقه وهو ان يسرق الشاعر المعنى دون اللفظ

فمن السرقة الفاحشة قول كثير في عبد الملك بن مروان رحمه الله

اذا ما أراد الغزو لم يثن همه • حصان عليها عقد در يزينها

اخذه من قول الحطيئة ولم يغير سوى الروي

اذا ما اراد الغزو لم يثن همه • حصان عليها لؤلؤ وشنوف

وجرير رحمه الله على سعة بحره وقدرته على غرر الشعر وابكار الكلام نقل قوله

فلو كان الخلود بفضل قوم • على قوم لكان لنا الخلود

اخذه من قول زهير وهو شعر مشهور

يحفظه الصبيان وتروية النساء

فلو كان حمد يخلد المرء لم يمت • ولكن حمد المرء غير مخلد

وقال الشماخ

وامر ترجي المرء ليس بنافع • وآخر تخشى ضيره لا يضيرها

اخذه فقال

ترجي النفوس الشيء لا تستطيعه • وتخشى من الأشياء ما لا يضرها

يقول

وأحسن من نور تفتحه الصبا • بياض العطايا في سواد المطالب

ياخذ من قول الاخطل

رأيت بياضا في سواد كأنه • بياض العطايا في سواد المطالب

ومن سقطات الشعراء ما قيل

ان ابو العتاهية كان مع تقدمه في الشعر كثير السقط روي انه لقي محمد بن مارد بمكة فمازحه وضاحكه ثم انه دخل على الرشيد فقال يا امير المؤمنين هذا شاعر البصرة يقول قصيدة في كل سنة وانا اقول في السنة مائتي قصيدة فأدخله الرشيد اليه وقال

ماهذا الذي يقول ابو العتاهية فقال يا امير المؤمنين لو كنت أقول كما يقول

الا عتبة الساعة • اموت الساعة الساعة

كنت قلت كثيرا ولكني اقول

ان عبد الحميد يوم تولى • هد ركنا ما كان بالمهدود

ما درى نعشه ولا حاملوه • ما على النعش من عفاف وجود

فاعجب الرشيد قوله وامر له بعشرة الاف درهم فكاد ابو العتاهية يموت غما واسفا وكان بشار رحمه الله يسمونه ابا المحدثين ويسلموا اليه في الفضيلة والسبق وبعض اهل اللغة يستشهد بشعره لزوال الطعن عليه فيها ومع ذلك قال شعر

انما عظم سلمى حسبي • قصب السكر لا عظم الجمل

واذا أدنيت منها بصلا • غلب المسك على ريح البصل

هذا مع قوله

اذا قامت لمشيتها تثنت • كأن عظامها من خيزران

ومع قوله في الفخر

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا • واسيافنا ليل تهاوت كواكبه

ومع قوله ايضا

اذا انت لم تشرب مرارا على القذى • ظمئت واي الناس تصفو مشاربه

وابو الطيب المتنبي رحمه الله في فضله المشهور واخذه بزمام الكلام وقوته على دقائق المعنى وعلى ما في شعره من الحكم والامثال السائرة يقول

وضاقت الأرض حتى صار هاربهم • اذا رأى غير شيء ظنه رجلا

وغير شيء معناه المعدوم والمعدوم لا يرى ومما يستهجن من قوله وتكاد ان تمجه الاسماع

قوله ايضا

تقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا • قلاقل عيش كلهن قلاقل

وقوله ايضا وقد جمع بين قبح اللفظ وبرد المعنى

إن كان مثلك كان أو هو كائن • فبرئت حينئذ من الاسلام

ومن معانيه المسروقة قوله

وهب نفوس أهل النهب أولى • بأهل المجد من نهب القماش

اخذه من قول ابي تمام

ان الاسود اسود الغاب همتها • يوم الكريهة في المسلوب لا السلب

قال ابو عبد الله الزبيري رحمه الله اجتمع راوية جرير وراوية كثير وراوية جميل

وراوية الاحوص وراوية نصيب فافتخر كل منهم وقال صاحبي اشعر فحكموا السيدة سكينة بنت الحسين رحمة الله عليهم لعقلها وبصرها بالشعر فخرجوا حتى استاذنوا عليها وذكروا لها امرهم فقالت لراوية جرير اليس صاحبك الذي يقول

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا • وقت الزيارة فارجعي بسلام

واي ساعة احلى من الزيارة بالطروق قبح الله صاحبك وقبح شعره فهلا قال ادخلي بسلام • ثم قالت لراوية كثير اليس صاحبك الذي يقول

يقر بعيني ما يقر بعينها • واحسن شيء ما به العين قرت

وليس شيء اقر لعينها من النكاح افيحب صاحبك ان ينكح قبح الله صاحبك وقبح شعره

ثم قالت لراوية جميل اليس صاحبك الذي يقول

فلو تركت عقلي معي ما طلبتها • ولكن طلابيها لما فات من عقلي

فما اراه هوي وانما طلب عقله قبح الله صاحبك وقبح شعره ثم قالت لراوية نصيب اليس صاحبك الذي يقول

اهيم بدعد ما حييت فان امت • فوا حزنا من ذا يهيم بها بعدي

ثم قالت لراوية الاحوص اليس صاحبك الذي يقول

من عاشقين تواعدا وتراسلا • ليلا اذا نجم الثريا حلقا

باتا بانعم ليلة والذها • حتى اذا وضح الصباح تفرقا

قبحه الله وقبح شعره هلا قال تعانقا فلم تثن على واحد منهم واحجمت رواتهم عن جوابها

وروى ابن الكلبي رحمه الله قال لما افضت الخلافة الى عمر بن عبد العزيز رحمه الله وفدت اليه الشعراء كما كانت تفد على الخلفاء قبله فاقاموا ببابه اياما لا يؤذن لهم في الدخول حتى قدم عدي بن ارطاه وكان منه بمكانة فتعرض له جرير فقال

يا ايها الرجل المرجي مطيته • هذا زمانك اني قد خلا زمني

ابلغ خليفتنا ان كنت لاقيه • اني لدى الباب كالمشدود في قرن

وحش المكانة من اهلي ومن ولدي • نائي المحلة عن داري ومن وطني

قال نعم يا ابا عبد الله فلما دخل على عمر رضي الله عنه قال يا امير المؤمنين الشعراء ببابك والسنتهم مسمومة وسهامهم صائبة فقال عمر ما لي وللشعراء فقال يا امير المؤمنين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مدح فاعطى وفيه اسوة لكل مسلم قال صدقت فمن بالباب منهم قال ابن عمك عمر بن ربيعة القرشي قال لا قرب الله قرابته ولا حيا وجهه

اليس هو القائل

الا ليتني في يوم تدنو منيتي • شممت الذي ما بين عينيك والفم

ولبث

وليت طهوري كان ريقك كله • وليت حنوطي من مشاشك والدم

ويا ليت سلمى في القبور ضجيعتي • هنالك او في جنة او جهنم

فليت عدو الله تمنى لقاءه في الدنيا ثم يعمل عملا صالحا والله لا دخل علي ابدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت من الشعراء قال جميل بن معمر فقال اليس هو القائل

الا ليتنا نحيا جميعا فان نمت • يوافي لدى الموتى ضريحي ضريحها

فما انا في طول الحياة براغب • اذا قيل قد سوى عليها صفيحها

اظل نهاري لا اراها وتلتقي • مع الليل روحي في المنام وروحها

والله لا دخل علي ابدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت من الشعراء قال كثير بن عزة فقال

اليس هو القائل

رهبان مدين والذين عهدتهم • يبكون من حذر العذاب قعودا

لو يسمعون كما سمعت حديثها • خروا لعزة خاشعين سجودا

ابعده الله فوالله لا دخل علي ابدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت من الشعراء قال الاحوص الانصاري فقال ابعده الله والله لا دخل علي ابدا اليس هو القائل وقد افسد على رجل من المدينة جاريته حتى هرب بها منه

الله بيني وبين سيدها • يفر عني بها واتبعه

فمن بالباب غيره من الشعراء ممن ذكرت فقال همام بن غالب الفرزدق قال

اليس هو القائل يفخر بالزنا

هما دلتاني من ثمانين قامة • كما انقض باز اقتم الريش كاسره

فلما استوت رجلاي في الارض قالتا • احي يرجى ام قتيل نحاذره

فقلت ارفعوا الامراس لا يشعروا بنا • ووليت في اعقاب ليل ابادره

والله لا دخل علي ابدا فمن بالباب غيره ممن ذكرت من الشعراء قال الاخطل التغلبي قال

اليس هو القائل

ولست بصائم رمضان عمري • ولست باكل لحم الاضاحي

ولست بزاجر عيسا بكورا • الى بطحاء مكة للنجاح

ولست بقائم كالعير يدعو • قبيل الصبح حي على الفلاح

ولكني ساشربها شمولا • واسجد عند منبلج الصباح

ابعده عني فوالله لا دخل علي ابدا ولا وطئ لي بساطا وهو كافر فمن بالباب غيره ممن ذكرت من الشعراء قال جرير فقال اليس هو القائل

زارت صائدة القلوب فليتني • داومت زورتها برد سلام

ان كان ولا بد فهذا فاذن له فخرجت فقلت ادخل يا جرير فدخل وهو يقول شعر

ان الذي بعث النبي محمدا • جعل الخلافة في الامام العادل
وسع الخلائق عدله ووقاره • حتى ارعووا واقام ميل المايل
اني لارجو منه نفعا عاجلا • والنفس مولعة بحب العاجل

فلما مثل بين يديه قال يا جرير اتق الله تعالى ولا تقل الا حقا غير كذب فانشا يقول

شعر

كم باليمامة من شعثا ارملة • ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر
ممن يعدك يكفي فقد والده • كالفرخ في العش لم يدرج ولم يطر
انا لنرجوا اذا ما الغيث اخلفنا • من الخليفة ما نرجوا من المطر
ان الخلافة جاته على قدر • كما اتى ربه موسى على قدر
هذي الارامل قد قضيت حاجتها • فمن لحاجة هذا الارمل الذكر

فقال والله يا جرير لقد وليت الامر وما املك الا ثلثون دينارا فعشرة اخذها عبد الله وعشرة اخذتها ام عبد الله ثم قال لخادمه ادفع اليه العشرة الثالثة ثم قال والله يا امير المومنين انها لاحب مال اكتسبته ثم خرج فقالت له الشعرا ما وراك يا جرير قال ورايي ما يسؤكم خرجت من عند امير يعطي الفقرا ويمنع الشعرا واني عنه راض ثم انشا يقول

رايت رقى الجن لا يستفزهم • وقد كان شيطاني من الجن راقيا

وما جاء في كبوات الجياد وهفوات الامجاد

قال الاحنف الشريف من عدت سقطاته وقالوا كل صارم ينبو وكل جواد يكبو وكان الاحنف رحمه الله حليما سيدا يضرب به المثل وقد عدت له سقطة وهو ان عمرو بن الاهتم دس اليه رجلا يسفهه فقال يا ابا بحر ما كان ابوك في قومه فقال كان اوسطهم لم يسدهم ولم يتخلف عنهم فرجع اليه ثانيا ففطن انه من قبل عمرو بن الاهتم فقال ما كان ابيك قال كانت له فتوة ومروة ومكارم اخلاق ولم يكن اهتم سلاحا وقال سعيد بن المسيب رحمه الله ما فاتني الاذان في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ اربعين سنة ثم قام يريد الصلوة فوجد الناس قد خرجوا من المسجد وقال قتادة رحمه الله ما نسيت شيا قط ثم قال يا غلام ناولني نعلي قال النعل في رجلك وكان هشام بن عبد الملك رحمه الله من رجال بني امية ودهاتهم وعدت له سقطات كثيرة منها ان الحادي حدا به يوما فقال ان عليك ايها البختي اكرم من مشى به المطي فقال لهشام صدق وذكر عنده سليمان اخيه فقال والله لا شكونه يوم القيمة الى امير المومنين عبد الملك ولما ولي عبد الملك الخلافة قال الحمد لله الذي انقذني من النار بهذا المقام وقال النابغة اي الرجال المهذب والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الباب

الباب العاشر في التوكل على الله والرضا بما قسم والقناعة وذم الحرص والطمع وما اشبه ذلك وفيه فصول

الفصل الاول في التوكل

قال الله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وقال تعالى وعلى ربهم يتوكلون وقال تعالى ومن يتوكل على الله فهو حسبه وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة اقوام افيدتهم مثل افيدة الطير رواه مسلم قيل معناه متوكلون وقيل قلوبهم رقيقة وعن البرا بن عازب رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتعود بطانا واوحى الله الى داود عليه السلام يا داود من دعاني اجبته ومن استغاثني اغثته ومن استنصرني نصرته ومن توكل علي كفيته فانا كافل المتوكلين وناصر المستنصرين وغياث المستغيثين ومجيب الداعين وحكي انه كان في زمن الرشيد رحمه الله قد حصل للناس غلا سعر وضيق حتى اشتد على الناس عظيما فامر الخليفة هرون الرشيد الناس بكثرة البكا والدعا وامر بكسر الات الطرب ففي بعض الايام روي عبد يصفق ويرقص ويغني فحمل الى الخليفة فساله عن فعل ذلك من دون الناس فقال ان سيدي عنده خزانة بر وانا متوكل عليه ان يطعمني منها ولهذا انا لا ابالي فانا ارقص وافرح فعند ذلك قال الخليفة اذا كان هذا توكل مخلوق على مخلوق فالتوكل على الله تعالى اولى فسلم للناس احوالهم وامرهم بالتوكل على الله تعالى وحكي ان حاتما الاصم كان رجلا كثير العيال وكان له اولاد ذكور واناث ولم يكن يملك حبة واحدة وكان قدمه التوكل فجلس ليلة مع اصحابه يتحدث معهم فعرضوا بذكر الحج فدخل الشوق في قلبه فدخل على اولاده فجلس معهم يحدثهم ثم قال لهم لو اذنتم لابيكم ان يذهب الى بيت ربه في هذا العام حاجا ويدعو لكم ماذا عليكم لو فعلتم فقالت زوجته واولاده انت على هذه الحالة ما تملك شيا ونحن على ما ترى من الفاقة فكيف تريد ذلك ونحن بهذه الحالة وكانت له ابنة صغيرة فقالت ماذا عليكم لو اذنتم لابيكم ولا يهمكم ذلك دعوه يذهب حيث شا فانه اكال للرزق وليس برازق فذكرتهم ذلك فقالوا صدقت والله هذه الصغيرة يا ابانا انطلق حيث احببت فقام من وقته وساعته واحرم بالحج وخرج مسافرا واصبح اهل بيته يدخل عليهم جيرانهم يوبخوهم كيف اذنوا له في الحج وتاسف على فراقه اصحابه وجيرانه فجعل اولاده يلومون تلك الصغيرة ويقولون لو سكت ما تكلمنا فرفعت الصبية راسها الى السما وقالت الهي وسيدي ومولاي عودت القوم بفضلك وانت لا تضيعهم ولا تخيبهم ولا تخجلني معهم فبينما هم كذلك اذ خرج امير البلد متصيدا فانقطع عن عسكره واصحابه فحصل له عطش شديد فاجتاز ببيت الرجل الصالح حاتم الاصم فاستسقى منهم ماء فقرع الباب فقالوا من انتم قالوا الامير ببابكم يستسقيكم فرفعت زوجة حاتم راسها الى السما وقالت الهي

وسيدي سبحانك البارحة بتنا جياعا واليوم يقف الامير على بابنا ثم انها اخذت كوزا
جديدا وملأته ماء وقالت للمناولة منها اعذرونا فاخذ الامير الكوز وشرب منه فاستطاب
الشرب من ذلك الماء فقال لمن هذه الدار يا امير قالوا الامير لعبيد من عباد الله الصالحين يعرف بحاتم
الاصم فقال الامير لقد سمعت به فقال الوزير يا سيدي لقد سمعت البارحة انه احرم بالحج
وسافر ولم يخلف لعياله شيئا واخبرت انهم البارحة باتوا بلا عشا فقال الامير ونحن ايضا
قد ثقلنا عليهم اليوم وليس هذا من المروة ان يثقل مثلنا على مثلهم ثم حل الامير منطقته من
وسطه ورمى بها في الدار ثم قال لاصحابه من احبني فليلق منطقته فحل اصحابه مناطقهم ورموا
بها اليهم ثم انصرفوا فقال الوزير السلام عليكم اهل البيت لآتينكم الساعة بثمن هذه
المناطق فلما نزل الامير رجع اليهم الوزير بثمن المناطق مالا جزيلا فلما رأت الصغيرة ذلك
بكت بكا شديدا فقالوا لها ما هذا البكا انما يجب ان تفرحي فان الله قد وسع علينا فقالت
يا أم انما ابكي كيف بتنا جياعا ونظر الينا مخلوق نظرة واحدة فاغنانا بعد فقرنا فالكريم
الخالق اذا نظر الينا لا يكلنا الى احد اللهم انظر الى ابينا ودبره باحسن التدبير وأما ما كان
من امر حاتم فانه لما خرج محرما ولحق بالقوم توجع امير الركب فطلب طبيبا فلم يجد
فقال هل من عبد صالح فدل على حاتم فلما دخل عليه وكلمه دعا له فعوفي فامر له بما يركب
وما يأكل وما يشرب فنام تلك الليلة متفكرا في امر عياله فقيل له في منامه يا حاتم من اصلح
معاملته معنا اصلحنا معاملتنا معه ثم اخبر بما كان من امر عياله فاكثر من الثناء
على الله سبحانه وتعالى فلما قضى حجه ورجع تلقته اولاده فعانق الصغيرة وبكى ثم قال
صغار قوم كبار قوم آخرين ان الله لا ينظر الى اكبركم وانما ينظر الى اعرفكم به فعليكم
بمعرفته والاتكال عليه فانه من يتوكل على الله فهو حسبه ومن كلام الحكماء من
ايقن ان الرزق الذي قسم له لا يفوته تعجل الراحة ومن علم ان الذي قضي عليه لم يكن ليخطئه
فقد استراح من الجزع ومن علم ان مولاه خير له من العباد وقصده كفاه همه وجمع شمله
وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم يوما فقال
لي يا غلام اني اعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك اذا
سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان
ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعت على ان يضروك بشيء
لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الاقلام وجفت الصحف رفع للرشيد ان
بدمشق رجلا من بني امية عظيم المال والجاه كثير الخيل والخدم يخشى على المملكة منه
وكان الرشيد يومئذ بالكوفة قال منارة فاستدعاني الرشيد وقال اركب الساعة
الى دمشق وخذ معك مائة غلام وأتني بفلان الاموي وهذا كتابي الى العامل لا توصله

له الا اذا امتنع عليك واذا اجاب فقيده وعادله لتجد ان تحصي جميع ما تراه وما يتكلم به
واذكر لي حاله وماله وقد اجلتك لذهابك ستا ولمجيئك ستا ولمقامك يوما افهمت
قلت نعم فسرت على بركة الله تعالى فخرجت اطوي المنازل ليلا ونهارا لا انزل الا للصلوة ولقضا
الحاجة حتى وصلت ليلة السابع باب دمشق فلما فتح الباب دخلت قاصدا نحو دار الاموي
فاذا دار عظيمة هائلة ونعمة طائلة وخدم وحشم ونعمة ظاهرة وحشمة وافرة ومصاطب
متسعة وغلمان فيها جلوس فهجمت الدار بغير اذن فبهتوا وسألوا عني فقيل رسول امير
المؤمنين فلما صرت في وسط الدار رأيت اقواما محتشمين ظننت ان المطلوب فيهم فسألت
عنه فقيل هو بالحمام فاكرموني واجلسوني وامروا بمن معي ومن صحبني الى مكان آخر وانا اتفقد
الدار واتأمل الاحوال حتى اتى الرجل من الحمام ومعه جماعة كثيرة من كهول وشبان وحفدة
وغلمان فسلم خفيا وسألني عن امير المؤمنين فاخبرته انه في عافية فحمد الله تعالى ثم احضرت
له اطباق الفاكهة فقال تقدم يا منارة فتأملت التكبر اذ لم يكنني فقلت ما آكل فلم يعاوده
ورأيت ما لم اره الا في دار الخلافة ثم قدم الطعام فوالله ما رأيت احسن ترتيبا ولا اعطر
رائحة ولا اكثر منه فقال تقدم يا منارة فكل فقلت ليس لي به حاجة فلم يعاودني ونظرت
الى اصحابي فلم اجد احدا منهم عندي فجزعت لكثرة حفدته وعدم من عندي فلما غسل يديه
احضر له البخور فتبخر ثم قام فصلى الظهر فاتم الركوع والسجود واكثر من الدعا بعدها فلما
فرغ استقبلني وقال ما اقدمك يا منارة فناولته كتاب امير المؤمنين فقبله ووضعه
على رأسه ثم قرأه فلما فرغ استدعى جميع بنيه وخواصه واصحابه وسائر غلمانه فضاقت الدار
بهم على سعتها فطار عقلي وما شككت انه يريد القبض علي فقال الطلاق يلزمه والحج والعتق
والصدقة وسائر ايمان البيعة لا يجتمع منكم اثنان في مكان واحد حتى ينكشف امره ثم اوصاهم
على الحرم ثم استقبلني وقدم رجليه وقال هات اقيادك يا منارة فدعا بالحداد فقيده وحمل
حتى وضع في المحمل وركبت معه في المحمل وسرنا فلما صرنا بظاهر دمشق ابتدأ يحدثني بانبساط ويقول
هذه الضيعة لي تحمل كل سنة كذا وكذا وهذا البستان لي فيه من غرائب الاشجار وطيب الثمار كذا
وكذا وهذه المزارع يحصل لي فيها كل سنة كذا وكذا فقلت يا هذا الست تعلم ان امير المؤمنين اهمه
امرك حتى انفذ في خلفك وهو بالكوفة ينتظرك وانت ذاهب اليه ما تدري ما تقدم عليه وقد
اخرجك من منزلك ومن بين اهلك ونعمتك فريدا وحيدا وانت تحدثني حديثا غير مفيد ولا نافع لك
ولا سألتك عنه وكان شغلك بنفسك اولى بك فقال انا لله وانا اليه راجعون لقد اخطأت
فراستي فيك يا منارة وما ظننت انك عند الخليفة بهذه المكانة الا بوفور عقلك واذا انت
جاهل عامي لا تصلح لمخاطبة الخلفا اما خروجي على ما ذكرت فاني على ثقة من ربي الذي بيده ناصيتي
وناصية امير المؤمنين فهو لا يضر ولا ينفع الا بمشيئة الله تعالى فان كان قد قضى علي بامر

فلا حيلة لي بدفعه ولا قدرة لي على منعه وان لم يكن قدر الله على شيء فلو اجتمع امير المومنين وسائر من على وجه الارض على ان يضروني بشيء لم يستطيعوا ذلك ومالي ذنب فاخافه وانما هذا واش وشى عند امير المومنين بهتانا وامير المومنين كامل العقل فاذا اطلع على براءتي فهو لا يشغل بمضرتي وعلى عهد الله لا كلمتك بعد هذا الاجوابا ثم اعرض عني واقبل على التلاوة وما زال كذلك حتى وافينا الكوفه بكرة اليوم الثالث عشر واذا النجب قد استقبلتنا من عند امير المومنين تكشف عن اخبارنا فلما دخلت على الرشيد قبلت الارض فقال لي هات يا منارة اخبرني من يوم خروجك عني والى يوم قدومك فابتدات احدثه باموري كلها مفصلة والغضب يظهر في وجهه فلما انتهيت الى جمعه اولاده وغلمانه وخواصه وضيق الدار بهم وتفقيدي لاصحابي فلم اجد احدا منهم اسود وجهه فلما ذكرت مبيته عليهم بتلك الاعمال المختلطة تهلل وجهه ولما قلت انه مد رجليه اسفر واستبشر فلما اخبرته بحديثي معه في ضياعه وبساتينه وما قلت له وما قال لي قال هذا رجل محسود على نعمته ومكذوب عليه وقد ازعجناه وارعبناه وشوشنا عليه وعلى اولاده واهله اخرج اليه وانزع قيوده واد خله علي مكرما ففعلت فلما دخل قبل الارض فرحب به امير المومنين واجلسه واعتذر اليه فتكلم بكلام فصيح فقال له امير المومنين سل حوائجك قال سرعة رجوعي الى بلدي وجمع شملي باهلي وولدي قال هذا كاين فسل غيره قال عدل امير المومنين في عماله ما احوجني الى سؤال قال فاخلع عليه امير المومنين ثم قال يا منارة اركب الساعة معه حتى ترده الى المكان الذي اخذته منه في حفظ الله وودايعه ورعايته ولا تقطع اخبارك عنا وحوائجك فلا يتوكل المتوكلون الا على الله تعالى فانه من توكل عليه كفاه ومن دعاه لباه ومن ساله اعطاه ما تمناه وروى ان هذه الكلمات وجدها كعب الاحبار مكتوبة في التوراة فكتبها يا ابن ادم لا تخافن من ذي سلطان ما دام سلطاني باقيا وسلطاني لا ينفد ابدا يا ابن ادم لا تانس لغيري وانا لك فان طلبتني وجدتني وان انست لغيري فتك وفاتك الخير كله يا ابن ادم خلقتك لعبادتي فلا تلعب وقسمت رزقك فلا تتعب وفي اكثر منه فلا تطمع ومن اقل منه فلا تجزع فان انت رضيت بما قسمته لك اراحت قلبك وبدنك وكنت عندي محمودا وان لم ترض بما قسمته لك وعزتي وجلالي لاسلطن عليك الدنيا تركض فيها كركض الوحش في البرية ثم لا ينالك منها الا ما قسمته لك وكنت عندي مذموما يا ابن ادم خلقت السموات السبع والارضين السبع ولم اعي بخلقهن ايعييني رغيف اسوقه لك من غير تعب يا ابن ادم انا لك محب فبحقي عليك كن لي محبا يا ابن ادم لا تطالبني برزق غد كما لا اطالبك بعمل غد فاني لم انس من عصاني فكيف من اطاعني وانا على كل شيء قدير وبكل شيء محيط قال الشاعر

فما ثم الا الله في كل حالة • فلا تتكل يوما على غير لطفه
فكم حالة تاتي ويكرهها الفتى • وخيرته فيها على رغم انفه

ولمؤلفه رحمه الله

توكل على الرحمن في الامر كله • فما خاب عبدا من عليه توكلا
وكن واثقا بالله واصبر لحكمه • تنال الذي ترجوه منه تفضلا

الفصل الثاني في القناعة

والرضى بما قسم الله تعالى جاء في تفسير قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مومن فلنحيينه حيوة طيبة ان المراد بها القناعة وقال صلى الله عليه وسلم القناعة مال لا ينفد وقيل يا رسول الله ما الغنى قال الاياس عما في ايدي الناس واياكم والطمع فانه الفقر الحاضر وكان سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه من القناعة بالجانب الاوفر وكان يشتهي الشيء فيدافعه سنة وقال الكندي رحمه الله العبد حر ما قنع والحر عبد ما طمع وقال بشر بن الحارث رحمه الله خرج فتى في طلب الرزق فبينما هو يمشي فاعيى فاوى الى خراب يستريح فيه فبينما هو يدير بصره فيه اذ وقعت عيناه على اسطر مكتوبة فتاملها واذا فيها مكتوب

شعر

اني رايتك قاعدا مستقبلي • فعلمت انك للهموم قرين
هون عليك وكن بربك واثقا • فاخو التوكل شانه التهوين
طرح الاذى عن نفسه في رزقه • لما تيقن انه مضمون

قال الجاحظ رحمه الله انما خالف الله تعالى بين طبايع العباد ليوفق بينهم في مصالحهم ولولا ذلك لاختاروا كلهم الملك والسياسة والتجارة والفلاحة وفي ذلك بطلان المصلحة وذهاب المعايش فكل صنف من الناس مزين لهم ما هم فيه فالحايك اذا اراد من صاحبه تقصيرا او خلفا قال ويلك يا حجام والحجام اذا راى مثل ذلك من صاحبه قال يا حايك فجعل الله الخلاف سببا للايتلاف فسبحانه من مدبر قادر حكيم الا ترى الى البدوي في بيته قطعة كساء مخطط بعظام الجيف كلبه معه في بيته لباسه شملة من صوف او شعر ودواوه بعر الابل وطيبه القطران وبعر الظبا وحلي زوجته الودع وعاره المقل وصيده اليربوع وهو في مغارة لا يسمع فيها الا صوت بومة وعوا ذيب وهو قانع بذلك مفتخر به وقال سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه يا بني اذا طلبت الغنا فاطلبه بالقناعة فانها مال لا ينفد واياك والطمع فانه فقر حاضر وعليك باليأس فانك لم تياس من شيء الا اغناك الله عنه واصابت داود الطائي ضايقة كبيرة فجاءه حماد بن ابي حنيفة رضي الله عنه باربعماية درهم من تركة ابيه فقال هي من مال رجل ما اقدم عليه احد في زهده وورعه

وطيب كسبه فقال لو كنت اقبل من احد شيا لقبلته لعظمها للبيت واكرامًا للحي ولكني احب
ان اعيش في عز القناعة وقال عيسى عليه السلام اتخذوا البيوت منازل والمساجد
مساكن وكلوا من بقل البرية واشربوا من الماء القراح واخرجوا من الدنيا بسلام وانشد
المبرد يقول

شعر

ان ظن زيد بما في بطن راحته ۰ فالارض واسعة والرزق مبسوط
ان الذي قدر الارزاق حكمته ۰ لم ينسني قاعدا والرحل محطوط

وقال لواحد بن زيد رحمه الله ما احسب ان شيا من الاعمال يتقدم الصبر الا الرضى ولا
اعلم درجة ارفع من الرضى وهي راس المحبة قيل متى يكون العبد راضيًا عن ربه قال اذا سرته
المصيبة كما تسره النعمة وكان عبد الله بن رحمه الله من ندماء المهدي فسكر يوما
فنامت الصلوة فجاءت جارية له بجمرة ووضعتها على رجله فانتبه من سكره مذعورا
فقالت له اذا لم تصبر على نار الدنيا فكيف تصبر على نار الاخرة فقام فصلى الصلوات
وتصدق بما عملكه وذهب يبيع البقل فدخل عليه فضيل وابن عيينة فاذا تحت راسه
لبنة وما تحت جنبه شي فقالوا له انه لن يدع احد شيا لله الا عوضه الله منه بدلا فما
عوضك عما تركت له قال الرضى بما انا فيه وقال الثوري رحمه الله ما وضع احد يده في
قصعة غيره الا ذل له وقال الفضيل رحمه الله من رضي بما قسم الله تعالى له بارك الله له
فيه وكان عيسى عليه السلام يقول الشمس في السما جلالي ونور القمر سراجي وبقل البرية
فاكهتي وشعر الغنم لباسي ابيت حيث يدركني الليل ليس لي ولد يموت ولا بيت يخرب انا
الذي كببت الدنيا على وجهها وانشد يقول

ان القناعة من يحلل بساحتها ۰ لم يلق في ظلها هما يورقه

وقال عيسى عليه السلام انظروا الى الطير تغدو اخماصا وتروح لبس معها شي من ازوادها
لا تحرث ولا تحصد والله يرزقها فان زعمتم انكم اكبر بطونا من الطير فهذه الوحوش من البقر
والحمر لا تحرث ولا تحصد والله تعالى يرزقها قيل وفد عروة بن اذينة على هشام بن عبد الملك
رحمه الله فشكى اليه خلته فقال الست القايل

شعر

لقد علمت وما الاسراف من خلقي ۰ ان الذي هو رزقي سوف ياتيني
اسعى اليه فيعييني تطلبه ۰ ولو قعدت اتاني لا يعييني

وقد جيت من الحجاز الى الشام في طلب الرزق فقال يا امير المومنين وعظت فابلغت وخرج
فركب ناقته فكر بها الى الحجاز راجعا فلما كان من الليل نام هشام على فرشه فذكر عروة
فقال رجل من قريش قال حكمة ووفد علي فجبهته ورددته خايبا فلما اصبح وجه اليه بالفي
دينار فقرع عليه الرسول باب داره بالمدينة فاعطاه المال وقال ابلغ امير المومنين

مني

مني السلام وقل له كيف رايت قولي سعيت فاكذبت فرجعت فاتاني رزقي في منزلي ولما
ولي عبد الله بن عامر رحمه الله العراق قصده صديقان له انصاري وثقفي فلما سارا تخلف الانصاري
وقال الذي اغنى ابن عامر العراق قادر على ان يعطيني فوفد الثقفي وقال اخو الحطين فلما
دخل على عبد الله بن عامر قال له ما فعل زميلك الانصاري قال رجع الى اهله فامر للثقفي بالف
الف دينار وبعث الى الانصاري بثمانية الاف دينار فخرج الثقفي وهو ينشد ويقول

شعر

امامة ما حرص الحريص بنافع ۰ فتغنى ولا زهد القنوع بضاير
خرجنا جميعا من مساقط روسنا ۰ على ثقة منا بجود ابن عامر
فلما انخنا الناعجات ببابه ۰ تخلف عني اليثربي ابن جابر
وقال ستكفيني عطية قادر ۰ على ما يشا اليوم للخلق قاهر
فان الذي اعطى العراق ابن عامر ۰ لربي الذي ارجوه لسد مفاقر
فقلت حلا لي وجهه ولحاله ۰ سيجعل لي حظا لفتى المتزاور
فابت وقد ايقنت ان ليس نافعا ۰ ولا ضاير شيا خلاف المقادر

واوحى الله تبارك وتعالى الى موسى عليه السلام اتدري لم رزقت الاحمق قال لا يا رب قال
ليعلم العاقل ان طلب الرزق ليس بالاحتيال وقد قيل لبعض العرب

ولا تجزع اذا اعسرت يوما ۰ فقد ايسرت في الزمن الطويل
ولا تظنن بربك ظن سوء ۰ فان الله اولى بالجميل
وان العسر يتبعه يسارا ۰ وقول الله اصدق كل قيل
فلو ان العقول تسوق رزقا ۰ لكان المال عند ذوي العقول

وقال الله تبارك وتعالى ليونس عليه السلام انظر الى الارض فنظر اليها فانفجرت فراى دودة
على صخرة معها الطعام فقال له الم تراني لم اغفل عنها فكيف اغفل عنك وانت نبي وابن نبي
ودخل علي رضي الله عنه المسجد وقال لرجل امسك علي بغلتي فاخذ الرجل لجامها ومضى
وترك البغلة فخرج علي رضي الله عنه وفي يده درهمان ليكافي بهما الرجل على امساك بغلته
فوجد البغلة واقفة بغير لجام فركبها ومضى ودفع لغلامه الدرهمين يشتري بهما لجاما فوجد
الغلام اللجام في السوق قد باعه السارق بدرهمين فقال علي رضي الله عنه ان العبد ليحرم
نفسه الرزق الحلال بترك الصبر ولا يزداد على ما قدر له وقيل لراهب من اين تاكل فاشار
الى فيه وقال الذي خلق هذه الرحى ياتيها بالطحن وقد قال بعضهم

كسوت جميل الصبر وجهي فصانه ۰ به الله عن غشيان كل بخيل
فما عشت لم آت البخيل ولم اقم ۰ على بابه يوما مقام ذليل

وان قليلا يستر الوجه ان يُرى * الى الناس منه ولا الخير قليل

وصلى معروف الكرخي رحمه الله خلف امام فلما انفتل من صلوته قال الامام لمعروف من اين تاكل قال اصبر حتى اعيد صلاتي خلفك قال ولم قال لان من شك في رزقه شك في خالقه وقال ابو حاتم رحمه الله ما لم يكتب لي لو ركبت الريح ما ادركته وقال ابو عمرو بن ابي عمر النوقاني رحمه الله هذه الابيات

شعر

غلا السعر في بغداد من بعد رخصه * واني في الحالين بالله واثق

فلست اخاف الضيق والله واسع * غناه ولا الحرمان والله رازق

وقال القهستاني

غني بلا دين عن الخلق كلهم * وان الغنى الاعلى عن الشيء لا به

وقال منصور الفقيه

الموت اسهل عندي * بين القنا والاسنه

والخيل تجري سراعا * مقطعات الاعنه

من ان يكون لنذل * فضل علي ومنه

وانشد اعرابي يقول

ايا مالكا لا تسال الناس والتمس * بكفيك فضل الله والله واسع

ولو تسال الناس التراب لاوشكوا * اذا قيل هاتوا ان يملوا ويمنعوا

وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني قال عليك باليأس عما في ايدي الناس واياك والطمع فانه فقر حاضر وقيل اذا وجدت الشيء في السوق فلا تطلبه من صديق وقيل لاعرابية من اين معاشكم فقالت لو لم نعش الا من حيث نعلم لم نعش وقال اعرابي احسن الاحوال حالة يغبطك بها من دونك ولا يحقرك معها من فوقك وقد قال المحري رحمه الله

اذا كنت تبغي العيش فابغ توسطا * فعند التناهي يقصر المتطاول

توقى البدور النقص وهي اهلة * ويدركها النقصان وهي كوامل

وقال اخر

اقنع بايسر رزق انت نائله * واحذر ولا تتعرض للارادات

فما صفا البحر الا وهو منتقص * ولا تعكر الا في الزيادات

وقال هشام بن ابراهيم البصري رحمه الله

وكم ملك جانبته عن كراهة * لاغلاق باب او لتشديد حاجب

ولي في غنى نفسي مراد ومذهب * اذا انصرفت عني وجوه المذاهب

وقيل ينبغي للمرء ان يكون في دنياه كالمدعو الى الوليمة ان اتته صحيفة تناولها وان جاوزته

لم

لم يرصدها ولم يطلبها وقال شقيق بن ابراهيم البلخي قال لي ابراهيم بن ادهم رحمهم الله اخبرني عما انت عليه قلت ان رزقت اكلت وان منعت صبرت قال هكذا تعمل كلاب بلخ فقلت كيف تعمل انت قال اذا رزقت آثرت واذا منعت شكرت وقد قال بعضهم

هي القناعة فالزمها تعش ملكا * لو لم يكن منك الا راحة البدن

وانظر لمن ملك الدنيا باجمعها * هل فاز منها بغير القطن والكفن

وقال اخر

ان القناعة كنز الغنا * فصرت باذيالها ممتسك

فلا ذا يراني على بابه * ولا ذا يراني له منهمك

فصرت غنيا بلا درهم * امر على الناس شبه الملك

وجاء فتح الموصلي رحمه الله الى اهله بعد العتمة فلم يجد عندهم شيئا للعشاء وهم بغير سراج فجلس ليلته يبكي من الفرح ويقول باي يد كانت مني وباي شيء تركت مثلي على هذه الحالة والسلام

الفصل الثالث في ذم الحرص والطمع وطول الامل

قال الله تعالى الهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او تصدقت فابقيت وروي عن عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا عائشة ان اردت اللحوق بي فليكفك من الدنيا كزاد الراكب واياك ومجالسة الاغنياء ولا تستخلقي ثوبا حتى ترقعيه وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال صلاح اول هذه الامة بالزهد واليقين وهلاك آخر هذه الامة بالحرص والامل وقيل الحرص ينقص من قدر الانسان ولا يزيد في رزقه شيئا وقيل لحكيم ما بال الشيخ احرص على الدنيا من الشاب قال لانه ذاق من طعم الدنيا ما لم يذقه الشاب وما احسن ما قال بعضهم

اذا طاوعت حرصك كنت عبدا * لكل دنية تدعوا اليها

وقال اخر

قد شاب راسي وراس الدهر لم يشب * ان الحريص على الدنيا لفي تعب

وقيل للاسكندر رحمه الله ما سرور الدنيا قال الرضى بما رزقت منها قال فما غمها قال الحرص عليها وقال لو رايت الاجل لنسيت الامل وغروره وقال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه اشترى اسامة بن زيد وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الا تعجبون من اسامة المشتري الى شهر ان اسامة لطويل الامل وقال ابن عباس رضي الله عنه كان نبي الله يخرج فيبول ثم يمسح بالتراب فاقول ان الماء منك قريب فيقول ما يدريني لعلي ما ابلغه وعن ابي هريرة رضي الله عنه رفعه لا يزال الكبير شابا في اثنتين حب المال وطول الامل

وقيل لمحمد بن واسع كيف تجدك قال قصير الاجل طويل الامل سيئ العمل وتقال
من جرا في عنان امله كان عاثرا باجله لو ظهرت له فتضحت الآمال ولقد احسن
ابو العباس احمد بن مروان في قوله

شعر

وذي حرص تراه يلم وفرا ٭ لوارثه ويدفع عن حماه
ككلب الصيد يمسك وهو طاو ٭ فريسته لياكله سواه

ولقد احسن من قال في العباس الحقيقي

اذا ما نازعتك النفس حرصا ٭ فامسكها عن الشهوات امسك
ولا تحرص ليوم انت فيه ٭ وغد فرزق يومك رزق امسك

ومن كلام الحكما اياكم وطول الامل فان من الهاه امله اخزاه عمله وقال عبد الصمد
بن المعدل **بيت** ولي امل قطعت به الليالي ٭ اراني قد فنيت به وداما
وقال الحسن رحمه الله اياكم وهذه الاماني فانه لم يعط احد بالامنية خيرا
قط في الدنيا ولا في الآخرة **وقال قيس بن ساعدة رحمه الله**

وما قد تولى فهو لا شك فايت ٭ فهل ينفعني ليتني ولعلني

وقال اخر

ولا تحلل بالاماني فانها ٭ عطايا احاديث النفوس الكواذب

وقال اخر

الله اصدق والآمال كاذبة ٭ وجل هذا المنا في الصدر وسواس

وقال اخر

شط المزار بعدوى وانتهى الامل ٭ فلا خيال ولا رسم ولا طلل
الا رجاي فما ادري اندركه ٭ ام يستمر فياتي دونه الاجل

وقال ابو العتاهية رحمه الله

لقد لعبت وجد الموت في طلبي ٭ وان في الموت لي شغلا عن اللعب
لو شمرت فكرتي فيما خلقت له ٭ ما اشتد حرصي على الدنيا ولا كلب

وله ايضا رحمه الله

تعالى الله يا سلم ابن عمرو ٭ اذل الحرص اعناق الرجال
هب الدنيا تقاد اليك عفوا ٭ اليس مصير ذلك للزوال

قلت

ايا من عاش في الدنيا طويلا ٭ وافنى العمر في قيل وقال
واتعب نفسه فيما سيفنى ٭ وجمع من حرام ومن حلال

هب الدنيا تقاد اليك جمعا ٭ اليس مصير ذلك للزوال

وما جا في الطمع وذمه

قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع وقال ايضا رضي
الله عنه ما الخمر صرفا باذهب بعقول الرجال من الطمع وفي الحديث اياك والطمع فانه الفقر
الحاضر وقال العبيد ثلثة عبد رق وعبد شهوة وعبد طمع وقال من اراد ان يعيش حرا
ايام حياته فلا يسكن الطمع قلبه وقيل اجتمع كعب وعبد الله بن سلام رحمهما الله فقال له
كعب يا ابن سلام من ارباب العلم قال الذين يعملون به قال فما اذهب العلم عن قلوب العلما
بعد ان علموه قال الطمع وشره النفس وطلب الحوايج الى الناس واجتمع الفضيل وسفين وابن كريمة
اليربوعي رحمهم الله فتواصوا ثم افترقوا وهم مجمعون على ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر
عند الطمع وقيل لما خلق الله تعالى ادم عليه السلام عجن بطينته ثلثة اشيا الحرص والطمع والحسد
فهي تجري في اولاده الى يوم القيمة فالعاقل يخفيها والجاهل يبديها ومعناه ان الله تعالى خلق شهوته
فيه وما احسن ما قال اسمعيل القراطيسي رحمه الله

حسبي بعلمي ان نفع ٭ ما الذل الا في الطمع
من راقب الله نزع ٭ عن سوء ما كان صنع
ما طار طير وارتفع ٭ الا كما طار وقع

وقال ساتق البربري رحمه الله

يخادع ريب الدهر عن نفسه الفتى ٭ سفاها وريب الدهر عنها يخادعه
ويطمع في سوف ويهلك دونها ٭ وكم من حريص اهلكته مطامعه

وقيل للشعبي رحمه الله ما بلغ من طمعك قال اني دخلت جاري فافتت عليه وما رايت
رجلان يتسارران في جنازة الا قدرت ان الميت اوصى لي بشي من ماله وما زفت عروس الا
كنت ابغي رجا ان يغلط بها الي وقد قيل **شعر**

لا تغضبن على امرئ ٭ لك مانع ما في يديه
واغضب على الطمع الذي ٭ استدعاك تطلب ما لديه

الباب الحادي عشر في المشورة والنصيحة والتجارب والنظر في العواقب

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وشاورهم في الامر واختلف اهل التاويل في امره
بالمشاورة مع ما امده به من التوفيق على ثلثة اوجه **احدها** انه امره في الحرب ليستقر
له الراي الصحيح فيعمل عليه وهذا قول الحسن رحمه الله **الثاني** انه امره بها وان كان غنيا عنها لما علم فيها من
الفضل وهو قول الضحاك رحمه الله **الثالث** انه امره بها ليستن به المسلمون وان

وان كان في غنى عن مشورتهم وهو قول سفين رحمه الله * وقال ابن عيينة رحمه الله
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد امرا شاور فيه الرجال وكيف يحتاج الى
مشورة المخلوقين والخالق مدبر امره ولكنه تعليم منه ليشاور الرجل الناس وان كان عالما
وقال صلى الله عليه وسلم ما خاب من استخار ولا ندم من استشار ولا افتقر من
اقتصد وقال عليه السلام من اعجب برايه ضل ومن استغنى بعقله زل * وكان يقال
ما استنبط الصواب بمثل المشاورة وقال حكيم رحمه الله المشورة موكل بها التوفيق
لصواب الراي * وقال الحسن رحمه الله الناس ثلثة فرجل رجل * ورجل نصف رجل
ورجل لا رجل فاما الرجل فذو الراي والمشورة * واما النصف رجل فالذي له راي
ولا يشاور * واما الرجل الذي ليس برجل فالذي ليس له راي ولا يشاور وقال
المنصور لولده رحمه الله خذ عني ثنتين لا تقل في غير تفكر ولا تعمل بغير تدبير وقال
الفضل رحمه الله المشورة فيها بركة واني لاستشير حتى هذه الحبشية الاعجمية وقال
اعرابي لا مال اوفر من العقل * ولا فقر اعظم من الجهل * ولا ظهر اقوى من المشورة وقيل
من بدا بالاستخارة وثنى بالاستشارة فحقيق ان لا يخيب رايه وقيل الراي السديد
احمى من البطل الشديد ٥ قال ابو القاسم السمرقندي رحمه الله ٥
٥ وما الفطرة ذو السنان مسدد ٥ بحارض يوم الروع رايا مسددا ٥
وقال الامام علي رضي الله عنه خاطر من استغنى برايه وسمع محمد بن داود رحمه الله
وزير المامون يقول

بيت

٥ اذا كنت ذا راي فكن ذا عزيمة ٥ فان فساد الراي ان يترددا ٥

واضاف اليه

٥ وان كنت ذا عزم فانفذه عاجلا ٥ فان فساد العزم ان يتقيدا ٥

ولمحمد بن ادريس الطائي رحمه الله

٥ ذهب الصواب برايه فكانما ٥ اراؤه قد استنفدت من التاييد ٥
٥ فاذا بدا اخطبت تبلج رايه ٥ صبحا من التوفيق والتسديد ٥

ولمحمود الوراق رحمه الله

٥ ان اللبيب اذا تفرق امره ٥ فتق الامور مشاورا ومناظرا ٥
٥ واخو الجهالة يستبد برايه ٥ فتراه يعتسف الامور مخاطرا ٥

وقال الرشيد رحمه الله حين بدا له
في تقديم الامين على المامون في العهد ٥ ٥

٥ لقد بان وجه الراي لي غير انني ٥ عدلت عن الامر الذي كان احزما ٥

فكيف

٥ فكيف يرد الدر في الضرع بعدما ٥ توزع حتى صار نهبا مقسما ٥
٥ اخاف التواء الامر بعد استوائه ٥ وان ينقض الحبل الذي كان ابرما ٥

بيت مفرد

٥ خليلي ليس الراي في جنب واحد ٥ اشيرا علي اليوم ما تريان ٥

ومدح رجل عضد الدولة فقال وجه فيه الف عين وفم فيه الف لسان وصدر فيه الف
قلب وقال ازدشير بن بابك اربعة تحتاج الى اربعة * الحسب الى الادب * والسرور الى
الامن * والقرابة الى المودة * والعقل الى التجربة * وقال لا تستحقر الراي الجليل من الرجل الحقير
فان الدرة لا تستهان بهوان غائصها * وقال جعفر بن محمد رحمه الله لا تكونن اول مشير
واياك والراي الفطير وتجنب ارتجال الكلام ولا تشيرن على مستبد برايه ولا على متلون ولا
على لجوج وقيل ينبغي ان يكون المستشار صحيح العلم مهذب الراي فليس كل عالم يعرف الراي الصائب
وكم ناقد في شيء صحيح في غيره ٥ وقال ابو الاسود الدؤلي رحمه الله ٥
٥ وما كل ذي لب بمؤتيك نصحه ٥ وما كل مؤت نصحه بلبيب ٥
٥ ولكن اذا ما استجمعا عند واحد ٥ فحق له من طاعة بنصيب ٥
وكانت اليونان والفرس لا يجمعون وزراءهم على امر يستشيرونهم فيه وانما يستشيرون
الواحد منهم من غير ان يعلم الاخر به لمعان شتى منها لئلا يقع بين المتشاورين منافسة
فتذهب اصابة الراي لان من طباع المشتركين المتنافسين الطعن من بعضهم على بعض وربما
سبق احدهم بالراي الصواب فحاسدوه وعارضوه وفي اجتماعهم على المشاورة ايضا
تعرض السر للاذاعة فاذا كان كذلك واذيع السر لم يقدر الملك على مقابلة من اذاعه
للابهام فان عاقب الكل عاقبهم بذنب واحد وان عفى عنهم الحق الجاني بمن لا ذنب له * وقيل اذا
اشار عليك صاحبك براي ولم تحمد عاقبته فلا تجعلن ذلك عليه لوما وعذابا بان تقول
فعلت انت ولولا انت فهذا كل مجرو لوم وخفة * وقال افلاطون اذا استشارك
عدوك فجرد له النصيحة لانه بالاستشارة خرج من معاداتك الى موالاتك * وقيل من بذل
نصحه واجتهاده لمن لا يشكره فهو كمن صنع معروفا لاحمق * وقال الشاعر يمدح من له راي
وبصيرة ٥ بصير باعقاب الامور كانما ٥ تخاطبه من كل امر عواقبه ٥
وقال ابن المعتز رحمه الله المشورة راحة لك وتعب على غيرك * وقال الاحنف رحمه الله
لا تشاور الجائع حتى يشبع * ولا العطشان حتى يروى * ولا الاسير حتى يطلق * ولا المقل حتى يجد *
ولما اراد نوح بن مريم قاضي مرو ان يزوج ابنته استشار جارا له مجوسيا فقال سبحان الله
الناس يستفتونك وانت تستفتيني قال لا بد ان تشير علي قال ان رئيس الفرس كسرى كان
يختار المال * ورئيس الروم قيصر كان يختار الجمال * ورئيس العرب كان يختار النسب * ورئيسكم

محمد صلى الله عليه وسلم كان يختار الدين فانظر لنفسك بمن تقتدي وكان يقال من اعطى
اربعا لم يمنع اربعا من اعطى الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطى التوبة لم يمنع القبول
ومن اعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن اعطى المشورة لم يمنع الصواب وقال بعضهم خمر الراي
خير من فطيره وتاخيره خير من تقديمه وقالت الحكما لا تشاور معلما ولا راعي غنم ولا كثير
القعود مع النسا ولا صاحب حاجة يريد قضاها ولا خايفا ولا حاقنا وقيل اذا استخار
الرجل ربه واستشار صحبه واجتهد رايه فقد قضى ما عليه ويقضي الله في امره ما يحب
وقيل سبعة لا ينبغي لذي لب ان يشاورهم جاهل وعدو وحسود ومراي وجبان
وبخيل وذو هوى فان الجاهل يضل والعدو يريد الهلاك والحسود يتمنى زوال النعمة
والمراي واقف مع رضى الناس والجبان من رايه الهرب والبخيل حريص على جمع المال فلا راى
له في غيره وذو الهوى اسير هواه فهو لا يقدر على مخالفته وحكي ان رجلا من اهل
يثرب رحمه الله يعرف بالاسلمي قال ركبني دين اثقل كاهلي وطالبني به مستحقوه واشتدت حاجتي
الى ما لا بد منه فضاقت علي الارض ولم اهتدي الى ما اصنع فشاورت من اثق به من ذوي
المروة والراي فاشار علي بقصد المهلب بن ابي صفرة بالعراق فقلت له يمنعني بعد المشقة
وتيه المهلب ثم اني عدلت عن ذلك المشير الى استشارة غيره فلا والله ان زادني على ما
ذكره الصديق الاول فرايت ان قبول المشورة خير من مخالفتها فركبت ناقتي وصحبت رفقة
في الطريق وقصدت العراق فلما وصلت دخلت على المهلب فسلمت عليه وقلت اصلح الله
الامير اني قطعت اليك الدهنا وضربت اكباد الابل من يثرب فانه قد اشار علي ذوي الحجى
والراي بقصدك لقضا حاجتي فقال هل اتيتنا بوسيلة او بقرابة او عشيرة قلت لا
ولكني رايتك اهلا لقضا حاجتي فان قمت بها فانت اهل لذلك انت وان يحل دونها
حايل لم اذم يومك ولم اياس من غدك فقال المهلب رحمه الله لحاجبه اذهب
وادفع اليه ما في خزانة مالنا الساعة فاخذني معه فوجد في خزانته ثمانين الف درهم
فدفعها الي فلما رايت ذلك لم املك نفسي فرحا وسرورا ثم عاد الحاجب بي اليه
مسرعا فقال هل ما وصلك يقوم بدفع حاجتك فقلت نعم ايها الامير وزيادة فقال
الحمد لله على نجح سعيك واجتنايك جنى مشورتك وتصديق ظن من اشار علينا بقصد
قال الاسلمي رحمه الله فلما سمعت كلامه وقد احرزت صلته وقبضت عليها انشدت
وانا واقف بين يديه اقول

شعر

يا من على الجود صاغ الله راحته ... فليس يحسن غير البذل والجود
عمت عطاياك اهل الارض قاطبة ... فانت والجود منحوتان من عود
من استشار فباب النجح منفتح ... لديه في ما ابتغاه غير مردود

ثم عدت الى المدينة فقضيت ديني ووسعت على اهلي وجازيت المشير علي وعاهدت الله تعالى
اني لا اترك الاستشارة في جميع اموري مهما عشت وحكي عن الخليفة المنصور رحمه الله
انه كان صدر من عمه عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس رحمه الله امور مولمة لا تحملها حرمة
الخلافة ولا يتجاوز عنها سياسة الملك فحبسه عنده ثم بلغه عن ابن عمه عيسى بن موسى بن علي
رحمه الله وكان واليا بالكوفة ما افسد عقيدته فيه واوحشه منه وصرف وجه ميله
اليه عنه فتالم المنصور من ذلك وساءته ونار رجفه وقل امنه وتزايد خوفه وحزنه
فادت فكرة المنصور الى ان دبر تدبيرا وكتمه عن جميع حاشيته وستره واستحضر ابن عمه عيسى
بن موسى واجراه على عادة اكرامه ثم اخرج من كان بحضرته واقبل على عيسى وقال له يا ابن العم
اني مطلعك على امر لا اجد غيرك من اهله ولا ارى سواك مسعدا لي على حمل ثقله فهل انت في
موضع ظني بك وعامل فيه بقا نعمتك التي هي منوطة ببقا ملكي فقال له عيسى بن موسى
انا عبد امير المومنين ونفسي طوع يديه وامره ان عمي وعمك عبد الله قد فسدت
بطانته واعتمد ما في بعضه ما يبيح دمه وفي قتله صلاح ملكنا فخذه اليك واقتله سرا
ثم سلمه اليه وعزم المنصور على الحج مضمرا ان ابن عمه عيسى اذا قتل عبد الله الزمه
القصاص واسلمه الى اعمامه اخوة عبد الله ليقتلوه به قصاصا فيكون قد استراح
من الاثنين عبد الله وعيسى قال علي رحمه الله فلما اخذت عمي وافكرت في قتله رايت
من الراي ان اشاور في قضيته من له راي عسى ان اصيب الصواب في ذلك فاحضرت
يونس بن فروة الكاتب رحمه الله وكان لي حسن ظن في رايه وعقيدة صالحة في
معرفته فقلت له ان امير المومنين دفع الي عمه وامرني بقتله وان اخفي امره فما
امرك وما رايك في ذلك وما تشير به علي فقال لي يونس ايها الامير احفظ نفسك
بحفظ عمك وعم امير المومنين فاني ارى لك ان تدخله في مكان داخل دارك وتكتم امره
عن كل من عندك وتتولى بنفسك حمل طعامه وشرابه اليه وتجعل دونه مغالق وابواب
واظهر لامير المومنين انك انفذت امره وانتهيت الى العمل بطاعته فكاني به اذا تحقق
منك انك فعلت ما امرك به وقتلت عمه امرك باحضاره على رووس الاشهاد فان اعترفت
انك قتلته بامره انكر ذلك واخذك بقتله وقتلك به قال عيسى بن موسى فقبلت
مشورة يونس وعملت بها واظهرت لامير المومنين اني انفذت امره فيه ثم حج المنصور فلما قدم
من حجه وقد استقر في نفسه اني قتلت عمه عبد الله دس الى عمومته اخوة عبد الله
وحثهم على ان يسالوه في اخيهم ويستوهبوه منه فجاوا اليه وقد جلس والناس بين يديه على
مراتبهم فسالوه في عبد الله فقال نعم ان حقوقكم تقتضي وتداري اسعافكم بحاجتكم كيف
وفيها صلة رحم واحسان الى من هو في مقام الوالد ثم امر باحضار عيسى بن موسى فاحضر لوقته

فقال يا عيسى كنت دفعت اليك قبل خروجي الى الحج عمي عبد الله ليكون عندك في منزلك
الى حين رجوعي فقال عيسى قد فعلت يا امير المؤمنين فقال المنصور وقد سالني فيه عمومتك
وقد رايت الصفح عنه وقضاء حاجتهم وصلة الرحم باجابة سؤالهم فاتنا به الساعة قال
عيسى فقلت يا امير المؤمنين الم تامرني بقتله والمبادرة الى ذلك قال كذبت ما امرتك
بذلك ولو اردت قتله لسلمته الى من هو بصدد ذلك ثم اظهر الغيظ وقال لعمومته قد
اقر بقتل اخيكم مدعيا اني امرته بقتله وقد كذب علي قالوا يا امير المؤمنين فادفعه الينا
لنقتله ونقتص منه فقال شانكم به قال عيسى رحمه الله فاخذوني الى الرحبة واجتمع الناس
علي فقام واحد من عمومتي الي وسل سيفه ليضربني فقلت له افاعل انت يا عم قال اي
والله كيف لا اقتلك وقد قتلت اخي فقلت لهم لا تعجلوا ردوني الى امير المؤمنين فردوني
اليه فقلت يا امير المؤمنين انما اردت قتلي بقتله والذي دبرته علي عصمني الله من فعله
وهذا عمك باق حي سوي وان امرتني بدفعه اليهم دفعته فاطرق وعلم ان ريح فكره
صادفت اعصارا وان انفراده بتدبيره قارف خسارا ثم رفع راسه وقال ايتنا
به فمضى عيسى واحضر عبد الله فلما راه المنصور قال لعمومته اتركوه عندي وانصرفوا حتى
ارى فيه رايا قال عيسى فتركته وانصرفت وانصرف اخوته فسلمت روحي وزالت كربتي وكان
ذلك ببركة الاستشارة ليونس وقبول اشارته والعمل بها ثم ان المنصور اسكن عبد الله
في بيت اساسه بني على الملح ثم ارسل الماء حوله ليلا فذاب الملح وسقط البيت فمات
عبد الله ودفن بمقابر باب الشام وسلم عيسى من هذه المكيدة ومن سهام مراميها البحلة

ومما جاء في النصيحة

اعلم ان النصيحة للمسلمين والخلائق اجمعين من سنن المرسلين قال الله تعالى اخبارا عن
نوح عليه السلام ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم
وقال شعيب عليه السلام ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين وروى ابو هريرة رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدين النصيحة ثلث قالوا لمن يا رسول الله قال لله
ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم فالنصح لله هو وصفه بما هو اهله وتنزيهه
عما ليس له باهل والقيام بتعظيمه والخضوع له ظاهرا وباطنا والرغبة في محابه والبعد عن
مساخطه وموالاة من اطاعه ومعاداة من عصاه والجهاد في رد العصاة الى طاعته قولا
وفعلا والنصيحة لكتابه اقامته في التلاوة وتحسينه عند القراءة وتفهم ما فيه والذب
عنه من تاويل المحرفين وطعن الطاعنين وتعليم ما فيه للخلائق اجمعين قال الله تعالى كتاب
انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولوا الالباب والنصيحة للائمة معاونتهم
للرسول عليه السلام احياء لسنته بالطلب لها واحياء طريقته في بث الدعوة وتاليف الكلمة

والتخلق بالاخلاق الطاهرة والنصيحة للائمة معاونتهم على ما تكلفوا القيام به في تنبيههم
عند الغفلة وارشادهم عند الهفوة وتعليمهم ما جهلوا وتحذيرهم ممن يريد بهم السوء
واعلامهم باخلاق عمالهم وسيرتهم في الرعية وسد خلتهم عند الحاجة ورد القلوب النافرة
اليهم والنصيحة لجماعة المسلمين الشفقة عليهم وتوقير كبيرهم والرحمة لصغيرهم
وتفريج كربهم وتوقي ما يشغل خواطرهم وفتح باب الوسواس عليهم واعلم ان جرعة النصيحة
مرة لا يقبلها الا اولوا العزم وقال ميمون بن مهران قال لي عمر بن عبد العزيز رحمه الله
قل لي في وجهي ما اكره فان الرجل لا ينصح اخاه حتى يقول له في وجهه ما يكره وفي منثور الحكم
ودك من نصحك وقلاك من مشى في هواك وقال ابو الدرداء رضي الله عنه ان شئتم لانصحن
لكم ان احب عباد الله الى الله الذين يحببون الله الى عباده ويعملون في الارض نصحا والسلام

ومما قيل لورقة بن نوفل رحمه الله

لقد نصحت لاقوام وقلت لهم ۞ اني النذير فلا يغرركم احد
لا شيء مما يرى يبقى بشاشته ۞ الا الاله ويردي المال والولد
لم تغن عن هرمز يوما خزائنه ۞ والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

وقال بعض الخلفاء ليزيد بن مزيد رحمه الله اني اعددتك لامر قال يا امير المؤمنين ان
الله تعالى قد اعد لك مني قلبا معقودا بنصيحتك ويدا مبسوطة لطاعتك وسيفا مجردا
على عدوك والسلام

وقال الاصمعي رحمه الله

النصح ارخص ما باع الرجال فلا ۞ ترد على ناصح نصحا ولا تلم
ان النصائح لا تخفى مناهلها ۞ على الرجال ذوي الالباب والفهم

وقال معاذ بن مسلم رحمه الله

نصحتك والنصيحة ان تعدت ۞ هوى المنصوح عز لها القبول
فخالفت الذي لك فيه حظ ۞ فنالك دون ما املت غول

وقد اشار فيروز بن حصين على يزيد بن المهلب رحمه الله ان لا يضع يده في يد الحجاج فلم
يقبل منه وصار اليه فحبسه وحبس اهله فقال فيروز شعر

امرتك امرا حازما فعصيتني ۞ فاصبحت مسلوب الامارة نادما
امرتك بالحجاج اذ انت قادر ۞ فنفسك ول اللوم ان كنت لائما
فما انا بالباكي عليك صبابة ۞ وما انا بالداعي لترجع سالما

ويقال من اصفر وجهه من النصيحة اسود وجهه من الفضيحة وقال طرفة

ولا تعدل النصح من ليس اهله ۞ وكن حين تستغني برايك غانيا
وان امرا يوما تولى برايه ۞ فدعه يصيب الرشد او يك غاويا

وقال آخر في مثله

من الناس من ان يستشيرك تجتهد ۞ له الراي يستغشيك ما لم تتابعه
فلا تمنحن الراي من ليس اهله ۞ فلا انت محمود ولا الراي نافعه

الباب الثاني عشر في
الوصايا الحسنة والمواعظ المستحسنة

قال الله تعالى ادع الي سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن وقال تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وقال تعالى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر والايات عن ما ذكرنا مشهورة روينا في صحيح مسلم عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من راى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان وقال شيخنا محيي الدين النواوي رحمه الله في قوله تعالى يا ايها الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم ان هذه الاية الكريمة مما يغتر بها اكثر الجاهلين ويحملونها على غير وجهها بل الصواب في معناها انكم اذا فعلتم ما امرتم به لا يضركم ضلالة من ضل ومن جملة ما امروا به الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والاية مرتبة المعنى من قوله تعالى ما على الرسول الا البلاغ قال محمد بن تمام رحمه الله الموعظة جند من جنود الله ومثلها مثل الطين يضرب به على الحائط فان استمسك نفع وان وقع اثر ومن كلام علي رضي الله عنه لا تكونن ممن لا تنفعه العظة الا اذا بالغت في ايلامه فان العاقل يتعظ بالادب والبهايم لا تتعظ الا بالضرب وانشد الجاحظ رحمه الله

وليس يزجركم ما توعظون به ۞ والبهم يزجرها الراعي فتنزجر

وكتب رجل الى صديق له يقول

اما بعد فعظ الناس بفعلك ولا تعظهم بقولك واستحي من الله بقدر قربه منك وخفه بقدر قدرته عليك والسلام وقيل من كان له من نفسه واعظ كان له من الله حافظ وقال لقمن رحمه الله الموعظة تشق على السفيه كما تشق الصعود الوعر على الشيخ الكبير واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام انك ان اتيتني عبدا ابقا كتبتك عندي حميدا ومن كتبته عندي حميدا لم اعذبه ابدا وقال الرشيد لمنصور بن عمار رحمه الله عظني واوجز فقال يا امير المؤمنين هل احد احب اليك من نفسك قال لا قال ان اردت ان تسيء الى من تحب فافعل وقال النبي صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه ايها الناس الايام تطوى والاعمال تفنى والابدان في الثرى تبلى وان الليل والنهار يتراكضان تراكض البريد ويقربان كل بعيد

ويخلقان كل جديد وفي ذلك عباد الله ما الهى عن الشهوات ورغب في الباقيات الصالحات ولما لقي ميمون بن مهران الحسن البصري رحمه الله قال قد كنت احب ان القاك فعظني فقرا الحسن افرايت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما اغنى عنهم ما كانوا يمتعون فقال عليك السلام يا ابا سعيد لقد وعظت احسن موعظة ولما ضرب ابن ملجم عليا رضي الله عنه دخل منزله فاعترته غشية ثم افاق ثم دعا الحسن والحسين رضي الله عنهما وقال لهما اوصيكما بتقوى الله تعالى والرغبة في الاخرة والزهد في الدنيا ولا تاسفا على شيء فاتكما منها وافعلا الخير وكونا للظالم خصما وللمظلوم عونا ثم دعا محمدا ولده وقال له اسمعت ما اوصيت به اخويك قال بلى قال فاني اوصيك به وعليك ببر اخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع امرا دونهما ثم اقبل عليهما وقال اوصيكما به خيرا فانه اخوكما وابن ابيكما وتعلمان ان اباكما كان يحبه فاحباه ثم قال يا بني اوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الرضى والغضب والقصد في الغنا والفقر والعدل على الصديق والعدو والعمل في النشاط والكسل والرضا عن الله تعالى في الشدة والرخا يا بني ما شر بعده الجنة بشر وما خير بعده النار بخير وكل نعيم دون الجنة حقير وكل بلاء دون النار عافية يا بني من ابصر عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره ومن رضي بقسمة الله تعالى لم يحزن على ما فاته ومن سل سيف البغي قتل به ومن حفر لاخيه بيرا وقع فيها ومن هتك حجاب اخيه كشف عورات بنيه ومن نسي خطيئته استعظم خطيئة غيره ومن اعجب برايه ضل ومن استغنى بعقله زل ومن تكبر على الناس ذل ومن خالط الانذال احتقر ومن دخل مداخل السوء اتهم ومن جالس العلماء وقر ومن مزح استخف به ومن اكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر خطاؤه ومن كثر خطاؤه قل حياؤه ومن قل حياؤه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ومن مات قلبه دخل النار يا بني الادب ميزان الرجل وحسن الخلق خير قرين يا بني العافية عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت الا من ذكر الله وواحدة في ترك مجالسة السفهاء يا بني زينة الفقر الصبر وزينة الغنا الشكر يا بني لا شرف اعلى من شرف الاسلام ولا كرم اعز من التقوى ولا شفيع انجح من التوبة ولا لباس اجمل من العافية يا بني الحرص مفتاح التعب ومطية النصب والسلام ولما حضرت هشام بن عبد الملك رحمه الله الوفاة نظر الى اهله يبكون حوله فقال جاد لكم هشام بالدنيا وجدتم له بالبكا وترك لكم جميع ما جمع وتركتم عليه ما حمل ما اعظم منقلب هشام ان لم يغفر الله له وقال الاوزاعي للمنصور رحمه الله في بعض كلامه يا امير المؤمنين اما علمت انه كان بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يابسة يستاك بها ويردع بها المنافقين فاتاه جبريل عليه السلام وقال يا محمد ما هذه الجريدة التي بيدك اقذفها لا تملأ قلوبهم رعبا فكيف من سفك دما المسلمين

وشق ابشارهم وانتهب اموالهم يا امير المؤمنين ان المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
دعا الى القصاص بخدشة خدشها اعرابي من غير عمد يا امير المؤمنين لو ان ذنوبا من النار صبت
ووضع على الارض لاحرقها فكيف بمن يتجرعه ولو ان ثوبا من النار وضع على الارض وما فيها لاحرقته
فكيف بمن يتقمصه ولو ان حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل الذاب فكيف بمن يتسلسل
بها ويرد فضلها على عاتقه وروى زيد بن اسلم عن ابيه رحمه الله قال قلت لجعفر بن ابي طالب
الهاشمي رضي الله عنه احذر ان ياتي رجل غدا ليس له في الاسلام نسب ولا آب ولا جد فيكون
اولى برسول الله صلى الله عليه وسلم منك كما كانت امراة اولى بنوح وكما كانت امراة نوح
وامراة لوط اولى بفرعون ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ومن اسرع به عمله لم يبطئ به
نسبه وروى زياد عن مالك بن انس رضي الله عنه قال لما بعث ابو جعفر الى مالك بن انس
وابن طاوس قال دخلنا عليه وهو جالس على فرش وبين يديه انطاع قد بسطت وجلاوزة
بايديهم السيوف يضربون الاعناق فاوما الينا ان اجلسوا فجلسنا فاطرق حينا طويلا
ثم رفع راسه والتفت الى ابن طاوس وقال له حدثني عن ابيك قال سمعت ابي يقول قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اشد الناس عذابا يوم القيمة رجل اشركه الله تعالى
في ملكه فادخل عليه الجور في حكمه فامسك ابو جعفر ساعة حتى اسود ما بيننا وبينه قال
مالك رضي الله عنه فضممت ثيابي خوفا ان ينالها شيء من دم ابن طاوس رضي الله عنهم ثم
قال له يا ابن طاوس ناولني هذه الدواة فامسك عنه طاوس فقال له ما يمنعك ان
تناولنيها قال اخاف ان تكتب بها معصية فاكون شريكك فيها فلما سمع ذلك منه
قال قوما عني فقال له ابن طاوس ذلك ما كنا نبغي قال مالك فما زلت اعرف لطاوس
فضله من ذلك اليوم وروي ان عمر بن الخطاب قال لكعب الاحبار رضي الله عنه يا كعب
خوفنا قال او ليس فيكم كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قال بلى يا كعب
ولكن خوفنا قال يا امير المؤمنين اعمل عملا لو وافيت يوم القيمة بعمل سبعين نبيا لازدريت
عملهم مما ترى فانكس عمر واطرق مليا ثم افاق فقال يا كعب خوفنا قال يا امير المؤمنين
لو فتح من جهنم قدر منخر ثور بالمشرق ورجل بالمغرب لغلى دماغه حتى يسيل من حرها فانكس
عمر ثم افاق فقال يا كعب زدنا قال يا امير المؤمنين ان جهنم لتزفر زفرة يوم القيمة
فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثى على ركبتيه حتى ان ابراهيم خليل الرحمن على ركبتيه ويقول
يا رب اني لا اسالك الا نفسي وقال سيدي ابو بكر الطرطوشي رحمه الله دخلت على
الافضل بن امير الجيوش وهو ملك مصر فقلت سلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد السلام
على ما سلمت ردا جميلا واكرمني اكراما جزيلا وامرني بدخول مجلسه وبالجلوس فيه فقلت
ايها الملك ان الله تبارك وتعالى قد احلك محلا عليا شامخا وانزلك منزلا شريفا باذخا

وملكك

وملكك طايفة من ملكه واشركك في حكمه ولم يرض ان يكون امر احد فوق امرك فلا
ترض ان يكون احد اولى بالشكر منك وان الله سبحانه وتعالى قد الزم طاعتك فلا يكون
احد اطوع منك وليس الشكر باللسان وانما هو بالفعال والاحسان قال الله تعالى اعملوا آل
داود شكرا واعلم ان هذا الذي اصبحت فيه من الملك انما صار اليك بموت من كان
قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار اليك فاتق الله تعالى فيما خولك فيه في هذه الامة فان الله
تعالى سايلك عن الفتيل والنقير والقطمير قال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها
وكفى بنا حاسبين واعلم ايها الملك ان الله سبحانه وتعالى قد اتى الدنيا بحذافيرها سليمان
بن داود عليهما السلام فسخر له الانس والجن والشياطين والوحوش والطير والبهايم وسخر
الريح تجري بامره رخاء حيث اصاب ثم رفع عنه حساب ذلك اجمع فقال له هذا عطاؤنا فامنن
او امسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها
بل خاف ان يكون استدراجا من الله تعالى ومكرا به فقال هذا من فضل ربي ليبلوني ااشكر
ام اكفر فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم واغث الملهوف اعانك الله على نصر
المظلوم وجعلك كهفا للملهوف وامانا للخائف ثم اتممت المجلس بان قلت قد درت البلاد
شرقا وغربا فما اخترت مملكة وارتحت لها ولذت لي الاقامة فيها غير هذه المملكة

ثم انشدت اقول

والناس اكيس من ان يحمدوا رجلا ... حتى يروا عنده آثار احسان

وقال الفضل بن الربيع رحمه الله حج هرون الرشيد سنة من السنين فبينما انا قائم ليلة
اذ سمعت قرع الباب فقلت من هذا قال اجب امير المؤمنين فخرجت مسرعا فقلت يا امير المؤمنين
لو ارسلت الي لاتيتك فقال ويحك قد حاك في نفسي شيء لا يخرجه الا عالم فانظر لي رجلا اساله
عنه فقلت ههنا سفيان بن عيينة فقال امض بنا اليه فاتيناه فقرعنا عليه الباب فقال من هذا
فقلت اجب امير المؤمنين فخرج مسرعا فقال يا امير المؤمنين لو ارسلت الي اتيتك ولما جلسنا
له حادثه ساعة اعليك دين قال نعم فقال يا ابا العباس اقض دينه ثم انصرفنا فقال ما
اغنى عني صاحبك شيئا انظر لي رجلا اساله فقلت ههنا الفضيل بن عياض فقال امض بنا اليه
فاتيناه فاذا هو قائم يصلي في غرفته يتلو آية من كتاب الله عز وجل وهو يرددها
فقرعت عليه الباب فقال من هذا فقلت اجب امير المؤمنين فقال ما لي ولامير المؤمنين فقلت
سبحان الله اما عليك طاعته واجبة ففتح الباب ثم ارتقى الى الغرفة فاطفا السراج ثم التجا
الى زاوية من زوايا الغرفة فجعلنا نجول عليه بايدينا فسبقت كف الرشيد كفي اليه
فقال اواه من كف ما الينها ان نجت غدا من عذاب الله عز وجل فقلت في نفسي ليكلمنه الليلة بكلام
نقي من قلب تقي فقال خذ لما جئنا اليه رحمك الله فقال وفيما جئت حططت على نفسك وجميع من

مخلت حملوا عليك حتى لو سالتهم ان يتحملوا عنك شقصا من ذنب ما فعلوا ولكان اشدهم حبا لك اشدهم هربا منك ثم قال ان عمر بن عبد العزيز رحمه الله لما ولي الخلافة دعا بسالم بن عبد الله ومحمد بن كعب القرظي ورجاء بن حيوة فقال لهم اني قد ابتليت بهذا البلاء فاشيروا علي فعد الخلافة بلاء وعدها انت واصحابك نعمة فقال له سالم بن عبد الله رحمه الله ان اردت النجاة غدا من عذاب الله فصم عن الدنيا وليكن افطارك فيها الموت وقال له محمد بن كعب رحمه الله ان اردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين عندك ابا واوسطهم اخا واصغرهم ولدا فبر اباك وارحم اخاك وتحنن على ولدك وقال له رجاء بن حيوة رحمه الله ان اردت النجاة غدا من عذاب الله فاحب للمسلمين ما تحب لنفسك واكره لهم ما تكره لنفسك ثم مت اذا شئت وانى لاقول هذا واني لاخاف عليك اشد الخوف يوم تزل الاقدام فهل معك رحمك الله مثل هولاء القوم من يامرك بهذا فبكى هرون بكاء شديدا حتى غشي عليه فقلت له ارفق بامير المؤمنين فقال زدني فقلت يا امير المؤمنين بلغني ان عاملا لعمر بن عبد العزيز رحمه الله شكى اليه سهرا فكتب عمر رحمه الله اليه يقول يا اخي اذكر سهر اهل النار في النار وخلود الابدان فان ذلك يطرد بك الى ربك نايما ويقظان واياك ان تزل قدمك من هذا السبيل فيكون اخر العهد منك وينقطع الرجا عنك فلما قرا كتابه طوي البلاد حتى قدم عليه فقال له عمر رضي الله عنه ما اقدمك قال له لقد خلعت قلبي بكتابك لا وليت ولاية ابدا حتى القى الله عز وجل فبكى هرون بكاء شديدا ثم قال له زدني قال يا امير المؤمنين ان العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم جاء اليه فقال يا رسول الله امرني امارة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس يا عم النبي نفس تحييها خير من امارة لا تحصيها ان الامارة حسرة وندامة يوم القيمة فان استطعت ان لا تكون اميرا فافعل فبكى هرون بكاء شديدا ثم قال له زدني يرحمك الله فقال له يا حسن الوجه انت الذي يسالك الله تعالى عن هذا الخلق يوم القيمة فان استطعت ان تقي هذا الوجه من النار فافعل واياك ان تصبح وتمسي وفي قلبك غش لرعيتك قال النبي صلى الله عليه وسلم قال من اصبح لهم غاشا لم يجد رايحة الجنة فبكى هرون بكاء شديدا ثم قال هل عليك دين قال نعم دين لربي لم يحاسبني عليه فالويل لي ان ساءلني والويل لي ان ناقشني والويل لي ان لم الهم حجتي قال انما اعني دين العباد فقال ان ربي لم يامرني بهذا وانما امرني ان اصدق وعده واطيع امره فقال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون الاية فقال له هرون هذه الف دينار تاخذها وانفقها على عيالك وتقوى بها على عبادة ربك فقال سبحان الله انا ادلك على سبيل النجاة وتكافيني بمثل هذا سلمك الله ووفقك ثم صمت فلم يكلمنا فخرجنا من عنده فقال هرون رحمه الله اذا دللتني على رجل فدلني على مثل هذا فان هذا سيد المسلمين واعلم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر له شروط وصفات قال سليمان الخواص من وعظ اخاه فيما

بينه

رقايق ... اذكر اذ يلقى حبه ... المتكلان بالانزع ... هيد من الاتبع فعيد ... من قول الا لديه رقيب حافظ عتيد حاضر وجاءت سكرة الموت بغتة وشدة بالحق ... ذلك ما كنت منه تحيد ... وتفزع وتفر

بينه وبينه فهي نصيحة ومن وعظه على رؤس الاشهاد فانما بكته قالت ام الدرداء رحمها الله من وعظ اخاه سرا فقد زانه ومن وعظه علانية فقد شانه وعن عبد العزيز بن ابي رواد رحمه الله قال كان الرجل اذا راى من اخيه شيئا امره في ستر ونهاه في ستر فيوجر ويوجر في ستره وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا رايتم اخاكم زل فقوموه وسددوه وادعوا الله تعالى ان يرجع به الى التوبة فيتوب عليه ولا تكونوا اعوانا للشيطان على اخيكم والله اعلم بالصواب

الباب الثالث عشر في الصمت وصون اللسان والنهي عن الغيبة وعن السعي بالنميمة ومدح العزلة وذم الشهرة وفيه فصول الفصل الاول

في الصمت وصون اللسان قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد وقال تعالى ان ربك لبالمرصاد اعلم انه ينبغي لكل مكلف ان يحفظ لسانه عن جميع الكلام الا كلاما تظهر المصلحة فيه ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الامساك عنه لانه قد ينجر الكلام المباح الى حرام ومكروه بل هذا كثير وغالب في العادة لا يعدلها شي وروينا في صحيحي البخاري ومسلم عن ابي هريرة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله فليقل خيرا او ليصمت قال الامام الشافعي رضي الله عنه اذا اراد الانسان الكلام فليفكر قبل كلامه فان ظهرت المصلحة تكلم وان شك لم يتكلم حتى تظهر وروينا في صحيحيهما ايضا عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله اي المسلمين افضل قال من سلم الناس من يده ولسانه وروينا في كتاب الترمذي عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال قلنا يا رسول الله ما النجاة قال امسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك قال الترمذي حديث حسن وروينا في كتاب الترمذي وابن ماجة عن ابي هريرة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه والاحاديث الصحيحة بنحو ذلك كثيرة وفيما اشرت اليه كفاية لمن وفق واما اثار السلف وغيرهم في هذا الباب فكثيرة ولا حصر لها لكن ننبه عليها بشي جا جا في ذلك بلغنا ان قس بن ساعدة واكثم بن صيفي رحمهما الله اجتمعا فقال احدهما كم وجدت في ابن ادم من العيوب قال هي اكثر من ان تحصر وقد وجدت خصلة ان استعملها الانسان سترت العيوب كلها قال وما هي قال حفظ اللسان وقال الشافعي رضي الله عنه لصاحبه الربيع رحمه الله يا ربيع لا تتكلم فيما لا يعنيك فانك اذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها وقال بعضهم مثل اللسان مثل السبع ان لم توثقه عدا عليك وعلى غيرك

ومما انشد في هذا الباب

احفظ لسانك ايها الانسان ۞ لا يلدغنك انه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه ۞ قد كان هاب لقاءه الشجعان

وقال الشافعي رضي الله عنه

لعمرك ان في ذنبي لشغلا ۝ لنفسي عن ذنب بني امية
على ربي حسابهم اليه ۝ تناهى علم ذلك لا الية

وقال الامام علي رضي الله عنه اذا تم العقل نقص الكلام وقال اعرابي شعر

رب منطق صدع جمعا ۝ وسكوت شعب صدعا

وقال وهيب بن الورد رحمه الله بلغنا ان الحكمة عشرة اجزا تسعة منها في الصمت والعاشرة في العزلة وقال علي بن هشام رحمه الله

شعر

لعمرك ان الحلم زين لاهله ۝ وما الحلم الا عادة وتحلم
اذا لم يكن صمت الفتى من بلادة ۝ وعي فان الصمت اولى واسلم

وقال ابن عيينة رحمه الله من حرم الخير فليصمت فان حرمهما فالموت خير له وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لابي ذر عليك بالصمت الا من خير فانه مطردة للشيطان وعون على امر دينك ومن كلام الحكماء من نطق في غير خير فقد لغا ومن نظر في غير اعتبار فقد سهى ومن سكت في غير فكر فقد لهى وقيل لو قرات صحيفتك لاغمدت صفيحتك ولو رايت ميزانك لختمت على لسانك ولما خرج يونس عليه السلام من بطن الحوت طال صمته فقيل له الا تتكلم فقال الكلام صيرني في بطن الحوت وقال حكيم رحمه الله اذا اعجبك الكلام فاصمت واذا اعجبك الصمت فتكلم وكان يقال من السكوت ما هو ابلغ من الكلام لان السفيه اذا سكت عنه كان في اغتمام وقيل لرجل بم سادكم الاحنف رحمه الله فوالله ما كان باكبركم سنا ولا باكثركم مالا فقال بقوة سلطانه على نفسه وقيل الكلمة اسيرة في وثاق الرجل فاذا تكلم بها صار في وثاقها وقيل اجتمع اربع ملوك فتكلموا فقال ملك الفرس ما ندمت على ما قلت مرة وندمت على ما قلت مرارا وقال قيصر انا على رد ما لم اقل اقدر مني على رد ما قلت وقال ملك الصين ما لم اتكلم بكلمة ملكتها فاذا تكلمت بها ملكتني وقال ملك الهند العجب ممن يتكلم بكلمة ان وقعت ضرت وان لم توقع لم تنفع وكان بهرام رحمه الله جالسا ليلة تحت شجرة فسمع منها صوت طاير فرماه فاصابه فقال ما احسن حفظ اللسان بالطاير والانسان لو حفظ هذا لسانه ما هلك وقال علي كرم الله وجهه بكثرة الصمت تكون الهيبة وقال عمرو بن العاص رضي الله الكلام كالدوا ان اقللت منه نفع وان اكثرت منه قتل وقال لقمان عليه السلام لولده يا بني اذا افتخر انسان بحسن كلامه فافتخر انت بحسن صمتك يقول اللسان كل صباح ومسا للجوارح كيف انتن فيقلن بخير ان تركتنا

قال الشاعر

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى ۝ ان البلا موكل بالمنطق

الفصل الثالث في تحريم الغيبة

اعلم

اعلم ان الغيبة من اقبح القبايح واكثرها انتشارا في الناس حتى لم يسلم منها الا القليل من الناس وهي ذكرك الانسان بما فيه وبما يكره سوا كان في دينه او في بدنه او في نفسه او في خلقه او في خلقه او في ماله او في ولده او في زوجه او في خادمه او في عمامته او في ثوبه او في مشيه او في حركته او في بشاشته او في خلاعته او غير ذلك مما يتعلق به سوا ذكرته بلفظك او بكتابك او برمزك او اشرت اليه بعينك او بيدك او براسك او نحو ذلك اما البدن فبقولك اعمى او اعرج او اعمش او قصير او طويل او اسود او اصفر واما الدين فبقولك خاين او ظالم او متهاون بالصلوة او متساهل في النجاسات او ليس بارا بوالديه او لا يضع الزكوة مواضعها او لا يجتنب الغيبة واما الدنيا فبقولك فلان قليل الادب او متساهل بالناس او لا يرى لاحد عليه حقا او كثير الكلام او كثير الاكل او كثير النوم او ما اشبهها او يقول فلان ابوه نجار او اسكافي او حداد او حايك يريد نقصه بذلك او فلان سيء الخلق او متكبر او مراي او معجب او عجول او جبار ونحو ذلك او فلان واسع الكم او طويل الذيل او وسخ الثوب ونحو ذلك

روينا في صحيح مسلم وسنن ابي داود والترمذي والنسائي عن ابي هريرة رضي الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل وان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته قال الترمذي حديث حسن صحيح وروينا في سنن ابي داود والترمذي عن عايشة رضي الله عنها قالت قلت للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة يعني قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بما البحر لمزجته اي خالطته مخالطة تتغير بها طعمه وريحه وروينا في سنن ابي داود عن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مررت باقوام لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هولاء يا جبريل قال هولا الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم وروي عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل يزني فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لم يغفر له حتى يغفر له صاحبها وعن انس رضي الله عنه من اغتاب المسلمين واكل لحومهم بغير حق وسعى بهم الى السلطان جي به يوم القيمة مزرقة عيناه ينادي بالويل والثبور يعرفه اهله ولا يعرفونه وقال معاوية بن قرة افضل الناس عند الله اسلمهم صدرا واقلهم غيبة وقال الاحنف رحمه الله في خصلتان لا اغتاب جليسي اذا غاب عني ولا ادخل في امر قوم لا يدخلوني فيه وقيل للربيع بن خثيم رحمه الله ما نراك تعيب احدا قال لست عن نفسي راضيا فاتفرغ لذم الناس فاذمهم ۝ وانشد يقول ۝ بيت

لنفسي ابكي لست ابكي لغيرها ۝ لنفسي من نفسي عن الناس شاغل

وقال كثير رحمه الله

وسعى الي بصرم عزة نسوة ۞ جعل الاله خدودهن نعالها

وقال محمد بن حرب رحمه الله اول من عمل الصابون سليمان عليه السلام واول من عمل السويق
ذو النون عليه السلام واول من عمل القراطيس يوسف عليه السلام واول من خبز الجواد وعروة
واول من كتب في القراطيس وبنى المداين في الاسلام الحجاج رحمه الله واول من اغتاب ابليس
اغتاب آدم عليه السلام واوحى الله تبارك وتعالى الى موسى عليه السلام ان المغتاب اذا
تاب فهو آخر من يدخل الجنة وان اصر فهو اول من يدخل النار وقيل لا تأمن من كذب لك ان
يكذب عليك ومن اغتاب عندك غيرك لا تأمن ان يغتابك عند غيرك وقيل للحسن البصري
رحمه الله ان فلانا اغتابك فاهدى اليه طبقا من رطب فاتاه الرجل فقال له اني اغتبتك
فاهديت الي فقال الحسن اهديت الي من حسناتك فاردت ان اكافيك وعن ابن المبارك
رحمه الله لو كنت مغتابا احدا لاغتبت والدي لانهما احق بحسناتي واذا حاكى انسان انسانا
ان يمشي متعارجا او متطاطا او غير ذلك من الهيآت يريد تنقيصه بذلك فهذا حرام وبعض
المتفقهين والمتعبدين يعرضون بالغيبة تعريضا يفهم به كما يفهم بالتصريح فيقال لاحدهم
كيف حال فلان فيقول الله يصلحنا ويصلحه الله يغفر له الله يصلحه نسأل الله العافية
نحمد الله الذي لم يبتلينا بالدخول الى الظلمة نعوذ بالله من الشر يعافينا الله من قلة الحيا
يتوب الله علينا وما اشبه ذلك مما يفهم منه تنقيصه فكل ذلك غيبة محرمة واعلم
انه كما يحرم على المغتاب ذكر الغيبة كذلك يحرم على السامع استماعها فيجب على من سمع انسانا
يبتدئ بغيبة ينهاه ان لم يخف ضررا فان خافه وجب عليه الانكار بقلبه ومفارقة ذلك
المجلس ان تمكن من مفارقته فان قال بلسانه اسكت وقلبه يشتهي سماع ذلك قال العلما
ان ذلك نفاق قال الله تعالى واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في
حديث غيره وقد قيل في ذلك

شعر

وسمعك صن عن سماع القبيح ۞ كصون اللسان عن النطق به
فانك عند سماع القبيح ۞ شريك لقائله فانتبه
وكم ازعج الحرص من طالب ۞ فوافى المنية في مطلبه

الفصل الثالث في تحريم السعاية بالنميمة

قال الله تعالى ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم وحسبك بالنمام خسة ورذيلة
وسقوطا وضعة والهماز المغتاب الذي ياكل لحوم الناس الطاعن فيهم وقال الحسن البصري
رحمه الله هو الذي يغمز باخيه في المجلس وهو من الهمز الكسر وقال علي والحسن البصري رضي الله
عنهما العتل الفاحش السيئ الخلق وقال ابن عباس رضي الله عنه العتل الفاتك الشديد

المنافق

المنافق وقال عبيد بن عمير رحمه الله العتل الاكول الشروب القوي الشديد يوضع في الميزان
فلا يزن شعيرة وقال الكلبي رحمه الله هو الشديد في كفره وقيل العتل الشديد بالخصومة
والزنيم هو الذي لا يعرف من ابوه قال الشاعر

زنيم ليس يعرف من ابوه ۞ بغي الام ذا حسب لئيم

وروينا في صحيحي البخاري ومسلم عن حذيفة رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا يدخل الجنة نمام وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير اما
احدهما فكان يمشي بالنميمة واما الاخر فكان لا يستتر ببوله وقال الامام ابو حامد الغزالي
رحمه الله النميمة انما تطلق في الغالب على من ينم قول الغير الى المقول فيه كقولك فلان يقول فيك
كذا فينبغي للانسان ان يسكت عن كل ما راه من احوال الناس الا ما في حكايته رواية لمسلم او دفع
معصية وينبغي لكل من حملت اليه نميمة وقيل له قال فيك فلان كذا ان لا يصدق من نم اليه لان
النمام فاسق وهو مردود الخبر وان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله ويبغضه في الله تعالى فانه
بغيض عند الله والبغض في الله واجب وان لا يظن بالمنقول عنه السو لقول الله تعالى اجتنبوا
كثيرا من الظن وسعى رجل الى بلال بن ابي بردة رحمه الله برجل وكان امير البصرة فقال له
انصرف حتى اكشف عن ذلك فكشف عنه فاذا هو لغير رشده يعني ولد زنا وقال ابو موسى
الاشعري رضي الله عنه لا ينم على الناس الا ولد بغي وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من
شراركم المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الاحبة الباغون العيوب وروى ابو هريرة رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون كل شغار
ملعون كل قتات ملعون كل منان والشغار المحرش بين الناس يلقي بينهم العداوة والقتات
النمام والمنان الذي يعمل الخير ويمن به ولهما السعاية الى السلطان والى كل ذي قدرة فهي المهلكة
والحالقة لانها تجمع الخصال الذميمة من الغيبة والنميمة والتغرير بالنفوس والاموال في
المنازل والاحوال وتسلب العزيز عزه وتحط المكين عن مكانته والسيد عن مرتبته فكم دم
اراق سعي ساع وكم حريم استبيح بنميمة نمام وكم من صفيين تقاطعا وكم من متواصلين
تباعدا وكم من محبين افترقا وكم من الفين تهاجرا وكم من زوجين تطالقا فليتق الله ربه
رجل ساعدته الايام وتراخت عنه الاقدار ان يصغي لساع او يستمع لنمام وجد
في حكم القدماء ابغض الناس الى الله تعالى المثلث قال الاصمعي رحمه الله هو الرجل الذي يسعى باخيه
الى الامام فيهلك نفسه واخاه وامامه وقال بعض الحكماء احذروا اعداء العقول
ولصوص المودات وهم السعاة والنمامون اذا سرق اللصوص المتاع سرقوا هم المودات وفي
المثل السائر من اطاع الواشي ضيع الصديق وقد تقطع الشجرة فتنبت ويقطع اللحم بالسيف فيندمل
واللسان لا يندمل جرحه ورفع انسان رقعة الى الصاحب بن عباد رحمه الله يحثه فيها على اخذ

مال بهم وكان ما لا كثيرا فكتب له على ظهرها النمامة قبيحة وإن كانت صحيحة والمنية رحمه الله والسليم جبره الله والساعي لعنه الله ولا حول ولا قوة إلا بالله وروينا في كتاب أبي داود والترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئا فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر ومن الناس من يتلون ألوانا ويكون بوجهين ولسانين ويأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه والوجيه لا يكون عند الله وجيها وقال صالح بن عبد القدوس رحمه الله

شعر

قل للذي لست أدري من تلونه ... أناصح أنت أم على غش تناجيني
إني لأكثر مما سمتني عجبا ... يد تشج وأخرى منك تأسيني
تغتابني عند أقوام وتمدحني ... في آخرين وكل منك يأتيني
هذان شيئان شتى بين بينهما ... فاكفف لسانك عن شتمي وتزييني

وقيل لا يلف لحوح جموح حيرين واحد متلون وكان يشبه المتلون بأبي براقش وأبي قلمون فأبو براقش طاير منقط بألوان النقوش يتلون في اليوم ألوانا ويقال للطايش الذي لا ثبات معه أبو رياح تشبيها بتمثال فارس من نحاس بمدينة حمص على عمود حديد فوق قبة بباب الجامع يدور مع الريح وعيناه ممدود وأصابعها ممدودة إلا السبابة إذا انت كل مهب الريح عرفوه فإنه يدور وربما صحف لنسيم وصبيه والذي تعمله الصبيان من قرطاس على قصبة يسمى أبا رياح أيضا ويقال أخلاق الملوك مثله في التلون وقد قال بعضهم

شعر

ويوم كأخلاق الملوك ملون ... وصحو وتغييم وطل ووابل
أشبهه إياك يا من صفاته ... دنو وإعراض ومنع ونايل

وكلم معاوية الأحنف رحمه الله في شيء بلغه عنه فأنكره الأحنف فقال له معاوية بلغني عنك الثقة فقال الأحنف إن الثقة لا يبلغ وكان الفضل بن سهل رحمه الله يبغض السعاية وإذا أتاه ساع قال له إن صدقناك أبغضناك وإن كذبناك عاقبناك وإن استقلتنا أقلناك وكتب في جواب كتاب ساع نحن نرى أن قبول السعاية أشر من السعاية لأن السعاية دلالة والقبول إجازة وليس من دل على شيء وأخبر به كمن قبله وأجازه فاتقوا الساعي فإنه لو كان في سعايته صادقا لكان في صدقه لئيما إذ لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة وقيل من سعى بالنميمة حذره الغريب ومقته القريب وقال المأمون رحمه الله النميمة لا تقرب مودة إلا أفسدتها ولا عداوة إلا جددتها ولا جماعة إلا بددتها فلا بد لمن عرف بها ونسب إليها أن يجتنب ويخاف معرفته ولا يوثق بمكانه وأنشد بعضهم

من نم في الناس لم تؤمن عقاربه ... على الصديق ولم تؤمن أفاعيه

كالسيل بالليل لا يدري به أحد ... من أين جاء ولا من أين يأتيه
الويل للعهد منه كيف ينقضه ... والويل للود منه كيف يفنيه

وقال صالح بن عبد القدوس رحمه الله

من يخبرك بشتم عن أخ ... فهو الشاتم لا من شتمك
ذاك شيء لم يواجهك به ... إنما اللوم على من أعلمك

وقال آخر

إن يعلموا الخير أخفوه وإن علموا ... شرا أذاعوا وإن لم يعلموا كذبوا
إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحا ... مني وما سمعوا من صالح دفنوا

وقال الحسن رحمه الله ستر ما عاينت أحسن من إشاعة ما ظننت وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه من سمع بفاحشة فأفشاها فهو كالذي أتاها والسلام

ومما جاء في النهي عن اللعن

روينا في صحيحي البخاري ومسلم عن ثابت بن الضحاك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن المؤمن كقتله وروينا في صحيح مسلم عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيمة وروينا في سنن أبي داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن العبد إذا لعن شيئا صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق أبواب السماء دونها ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها ثم تأخذ يمينا وشمالا فإذا لم تجد مساغا رجعت إلى الذي لعن إن كان أهلا لذلك وإلا رجعت إلى قائلها ويجوز لعن أصحاب الأوصاف المذمومة كقولك لعن الله الظالمين لعن الله الكافرين لعن الله اليهود والنصارى لعن الله الفاسقين لعن الله المصورين ونحو ذلك وثبت في الأحاديث الصحيحة أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن الواصلة والمستوصلة وأنه قال لعن الله آكل الربوا وأنه قال لعن الله المصورين وأنه قال لعن الله من لعن والديه ولعن الله من ذبح لغير الله وأنه قال لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد وأنه لعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال وجميع هذه الألفاظ في البخاري ومسلم وبعضها في أحدهما ومما قيل في العزلة ومدح الخمول وذم الشهوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمول نعمة وكل يتمنى والظهور نقمة وكل يتبرى وقال بعضهم

تخف بالخمول تعش سليما ... وجالس كل ذي أدب سليم

وقال أعرابي رب وحدة أنفع من جليس ورب وحشة أنفع من أنيس وكان أبو معاوية الضرير رحمه الله يقول في خصلتان ما يسرني بهما حمر النعم قلة الإعجاب بنفسي وخلو قلبي من اجتماع الناس إلي وقال رضي الله عنه خذوا حظكم من العزلة ومر محمد حسان رحمه الله على أطم من آطام

المدينة فنادى يا صاحباه فاجتمعت الخزرج فقالوا ما عندك قال قلت بيت شعر فاجبت
ان تسمعوه قالوا هات باحسان ٥ بيت

٥ وان امرئ امسى واصبح سالما ٥ من الناس الا من جنى انه لسعيد ٥

ولما بنى سعيد بن ابي وقاص رحمه الله منزله بالعقيق قال له رايت اسوا فهم لا عنه وجلسائهم لا اهيد فوجدت الاعتزال فيما هنا الان عافيه وقيل لعروة اخي مرداس رحمه الله لم لا تحدثنا ببعض ما عندك من الحلم فقال اكره ان يميل قلبي باجتماعكم الى حب الرياسة فاخسر الدارين وقال سفين بن عيينة دخلنا على الفضيل رحمهما الله في مرضه نعوده فقال ما جاء بكم لو لم تجيئوا لكان احب الي ثم قال نعم الشيء المرض لولا العيادة وقيل للفضيل رحمه الله ان ابنك يقول وددت لو اني بالمكان الذي ارى الناس ولا يروني فقال ويح علي لم لا اتمها فقال لا اراهم ولا يروني وقال على كرم الله وجهه طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وطوبى لمن لزم بيته واكل قوته واشتغل بطاعته وبكى على خطيئته وكان من نفسه في شغل والناس منه في راحة وقال سفين الزاهد في الدنيا الزهد في الناس وقيل لراهب في صومعته الا تنزل قال من مشى على وجه الارض عثر ٥

الباب الرابع عشر في الملك والسلطان وطاعة ولاة الاسلام وما يجب للسلطان على الرعية وما يجب لهم عليه ٥

روينا عن الحسن رضي الله عنه انه قال للحجاج سمعت ابا العباس يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقروا السلاطين وبجلوهم فانهم عز الله وظله في الارض اذا كانوا عدولا ٥ قال له الحجاج لم يكن فيها اذا كانوا عدولا قال قلت بلى وعن عمر رضي الله عنه قال قلت للنبي صلى الله عليه وسلم اخبرني عن هذا السلطان الذي ذلت له الرقاب وخضعت له الاجساد ما هو فقال ظل الله في الارض فاذا احسن فله الاجر وعليكم الشكر واذا اساء فعليه الاصر وعليكم الصبر وقال عليه السلام ايما راع استرعى رعيته ولم يحطها بالامانة والنصيحة من ورائها ضاقت عليه رحمة الله التي وسعت كل شيء وقال مالك بن دينار رحمه الله وجدت في بعض الكتب يقول الله تعالى انا ملك الملوك قلوب الملوك بيدي فمن اطاعني جعلتهم عليه رحمة ومن عصاني جعلتهم عليه نقمة لا تشغلوا السنتكم بسب الملوك ولكن توبوا الى الله يعطفهم عليكم وقال جعفر بن محمد رحمه الله كفارة عمل السلطان الاحسان الى الاخوان وقال كسرى لسبرين ما احسن هذا الملك لو دام ما انتقل الينا ومر طارق الشرطي بابن شبرمة في موكبه فقال بيت

٥ اراها وان كانت تحب كانها ٥ سحابة صيف عن قليل تقشع ٥

وجلس الاسكندر رحمه الله يوما فما رفع اليه فيه حاجة فقال لا اعد هذا اليوم من ايام ملكي

وقال

وقال ابو حطار رحمه الله ليس شيء اذل ولا اشر من عز الامراء والنهي ومن الظفر بالاعداء ومن تقليدها المنن اعناق الرجال لان بهذه الامور نصيب الروح وحظ الذهن وقيمة النفس ٥ وقيل الملك خلافة الله في عباده ولن يستقيم امر خلافته مع مخالفته وقال الحجاج سلطان تخافه الرعية خير من سلطان يخافها وقال ازدشير لابنه يا بني الملك والدين اخوان لا غنى باحدهما عن الاخر فالدين اس والملك حارس وما لم يكن له اس فمهدوم وما لم يكن له حارس فضائع قيل لما دنت وفاة هرمز وامراته حامل عقد التاج على بطنها وامر الوزراء بتدبير الملك حتى ولد فملك واغار العرب على نواحي فارس في صباه فلما ادرك ركب وانتخب من اهل النجدة فرسانا واغار على العرب فانهكهم بالقتل ثم خلع اكتاف سبعين الف فسمي ذو الاكتاف وامر العرب حينئذ بارخاء الشعور ولبس المصبغات وان يسكنوا بيوت الشعر وان لا يركبوا الخيل الا اعراء وقيل من اخلاق الملوك حب التفرد وكان ازدشير اذا وضع التاج على راسه لم يضع احد على راسه قصب ريحان واذا ركب في لبسه لم ير على احد مثلها واذا اختتم بخاتم كان حراما على اهل المملكة ان يختموا بمثله وكان سعيد بن العاص رحمه الله بمكة اذا اعتم لم يعتم احد بمثل عمامته ما دامت على راسه وكان الحجاج اذا وضع على راسه طويلة لم يجترئ احد من خلق الله تعالى ان يدخل عليه بمثلها وكان عبد الملك اذا لبس الخف الاصفر لم يلبس احد مثله حتى ينزعه واخبرني من سافر الى اليمن انه لا ياكل الارز الا احد غير الملك وقيل من حق الملك ان يفحص عن احوال الرعية فحص المرضعة عن منام رضيعها وكان ازدشير متى شاء قال لرفيع اهل مملكته واوضعهم كان عندك في هذه الليلة كيت وكيت حتى كان يقال يا تيه ملك من السماء وما ذاك الا لتفحصه وتيقظه وكان علم عمر رضي الله عنه بمن نأى عنه كعلمه بمن بات معه على وسادة واحدة ولقد اتقى معاوية اثره وتعرف رجل الى زياد رحمه الله فقال اتتعرف الي وانا اعرف منك ومن ابيك واعرف هذا البرد الذي عليك فقرع الرجل حتى ارتعد من كلامه وعن بعض العباسيين رحمهم الله قال كلمت المامون في امراة خطبتها وسالته النظر اليها فقال يا ابا فلان من قصتها وفعلها وشانها وحليتها كيت وكيت فوالله ان زال يصفها ويصف احوالها حتى بهت منه ٥ وجماع في طاعة ولاة الاسلام ٥

امر الله تعالى بذلك في كتابه على لسان نبيه فقال تعالى يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وروينا في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واقام الصلوة وايتاء الزكوة والسمع والطاعة والنصح لكل مسلم وسئل كعب الاحبار عن السلطان فقال ظل الله في ارضه من ناصحه اهتدى ومن غشه ضل وعن حذيفة رضي الله عنه لا تسبوا السلطان فانه ظل الله في ارضه به يقوم الحق ويظهر الدين وبه يدفع الله الظلم ويهلك الفاسقين وقال

عمر بن عبد العزيز رحمه الله لمؤدبه كيف كانت طاعتي لك قال احسن طاعة قال فاطعني كما
كنت اطيعك خذ من شاربك حتى تبدو شفتاك ومن ثوبك حتى تبدو عقباك **وعن**
ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى
الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى اميري فقد عصاني **وقد ورد** في الآثار الصحيحة
ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بالسمع والطاعة لولي الامر وسد محبته ونصيحته والدعاء له
ولو تتبعت ذلك لطال الكلام **لكن اعلم** ارشدك الله واياي الى الاتباع وجنبنا الزيغ
والابتداع ان من قواعد الشريعة المطهرة والملة الحنيفية المطهرة ان طاعة الائمة فرض
على كل الرعية وان طاعة السلطان تؤلف شمل الدين وتنظم امور المسلمين وان عصيان
السلطان يهدم اركان الملة وان ارفع منازل السعادة طاعة السلطان وان طاعته عصمة
من كل فتنة وبطاعة السلطان تقام الحدود وتؤدى الفروض وتحقن الدماء وتؤمن السبل
وما احسن ما قالت الحكماء ان طاعة السلطان هدى لمن استضاء بنورها وان الخارج عن طاعة
السلطان منقطع العصمة بريء وان طاعة السلطان حبل الله المتين ودينه القويم وان
الخروج عنها خروج من انس الطاعة الى وحشة المعصية ومن غش السلطان ضل وزل
ومن اخلص له المحبة والنصح حل من الدين والدنيا في ارفع محل وان طاعة السلطان واجبة قد من الذمة
امر الله تعالى بها في كتابه العظيم المنزل على نبيه الكريم وقد اقتصرنا على ما اوردناه
واكتفينا بما بيناه ونسال الله تعالى ان يلهمنا رشدنا وان يعيذنا من شرور انفسنا امين

الباب الخامس عشر فيما
يجب على من صحب السلطان والتحذير من صحبته

اما صحبة السلطان فقد قال ابن عباس رضي الله عنه قال لي ابي يا بني اني ارى امير المؤمنين
يستخليك ويستشيرك ويقدمك على الاكابر من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم واني اوصيك
بخصال ثلث لا تفشين له سرا ولا تجربن له كذبا ولا تغتابن عنده احدا **وقال بعض**
الحكماء اذا زادك السلطان تانيسا فزده اجلالا واذا جعلك السلطان اخا فاجعله ابا واذا
زادك قربا فزده تذللا لئلا يستدعي عداوته واذا ابتليت بالدخول على السلطان مع الناس فاخذوا
في الثناء عليه فعليك بالدعاء ولا تكثر في الدعاء له عند كل كلمة فان ذلك شبيه بالوحشة والغربة
وقال مسلم بن عمرو رحمه الله ينبغي لمن خدم السلطان ان لا يغتر بالسلطان اذا ادناك ولا تتغير اذا
اقصاك **وروي** ان بعض الملوك استصحب حكيما فقال له اصحبك على ثلث خصال قال
وما هي قال لا تهتك لي سترا ولا تشتم لي عرضا ولا تقبل في قول قائل ولا تستشير في قال
هذا لك فمالي عندك قال لا افشي لك سرا ولا اؤخر لك نصيحة ولا اوثر عليك احدا قال نعم
الصاحب المستصحب انت **وقال** بزرجمهر اذا خدمت ملكا من الملوك فلا تطعه في معصية

خالفك

خالفك فان احسانه اليك ثواب احسان الملك وايقاعه بك اغلظ من ايقاعه وقالوا
اصحب الملوك بالهيبة لهم والوقار لانهم انما احتجبوا عن الناس بقيام الهيبة فلا تترك
الهيبة وان طال انسك بهم تزداد رغبا وقالوا اعلم السلطان كانك تتعلم منه واشر عليه كانك
تستشيره واذا اخلاك السلطان من نفسه بحيث يسمع منك ويثق بك فاياك والدخول بينه
وبين بطانته فانك لا تدري متى تتغير بينك فيكونون عونا عليك واياك ان تعادي من اذا
شاء ان يطرح ثيابه ويدخل مع الملك في ثيابه فعل ذلك في الاوصاف القديمة احذروا مجاورة
المحل وفيه قيل

بيت

ليس الشفيع الذي ياتيك متزرا • مثل الشفيع الذي ياتيك عريانا

وقال يحيى بن خالد رحمه الله اذا صحبت السلطان فداره مداراة المراة العاقل لصحبة الزوج
الاحمق

واما ما جاء في التحذير من صحبة السلطان

فقد اتفقت حكماء العرب والعجم عن النهي عن صحبة السلطان قال في كتاب كليلة ودمنة اشياء
لا يسلم عليها الا القليل صحبة السلطان وائتمان النساء على الاسرار وشرب السم على التجربة
وكان يقال قد خاطر بنفسه من ركب البحر واعظم منه خطرا صحبة السلطان **وقال**
بعض الحكماء اخوف الامور بالتثبت فيها امور السلطان فانه من صحب السلطان بغير عقل فقد لبس
شعار الغرور وفي حكم الهند صحبة السلطان على ما فيها من العز والثروة عظيمة الخطر **وقيل**
للحافي رحمه الله لم لا تصحب السلطان على ما قيل فيك من الادب قال لاني رايته يعطي عشرة
الاف في غير شيء ويرمي من القصر في غير شيء ولا ادري اي الرجلين اكون **وقال** معاوية
لرجل من قريش اياك والسلطان فانه يغضب غضب الصبي ويبطش بطش الاسد **وقال**
ميمون بن مهران رحمه الله قال لي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يا ميمون احفظ عني اربعا
لا تصحبن سلطانا وان امرته بمعروف وان نهيته عن منكر ولا تخلون بامراة وان اقراتها
القران ولا تصل من قطع رحمه فانه لك اقطع ولا تتكلم بكلام تعتذر عنه غدا وكم قد
راينا وبلغنا من صحب السلطان من اهل الفضل والعقل والعلم والدين ليصلحه به فسد
هو به فكان كما قيل

بيت

عدوى البليد الى الجليد سريعة • والجمر يوضع في الرماد فيخمد

ومثل من صحب السلطان ليصلحه مثل من ذهب ليقيم حائطا مائلا فاعتمد عليه ليقيمه فخر
الحائط عليه فاهلكه وفي كتاب كليلة ودمنة لا يسعد من ابتلي بصحبة السلطان فانه لا عهد
لهم ولا وفاء ولا قريب ولا حميم ولا يرغبوا فيك الا ان يطمعوا فيما عندك فيقربونك عند ذلك
واذا قضوا حاجتهم منك تركوك ورفضوك ولا ود للسلطان ولا اخا والذنب عنده لا يغفر
وقال بعض الحكماء صاحب السلطان كراكب الاسد تخافه الناس وهو لمركوبه اخوف

وقال محمد بن واسع رحمه الله لسف التراب ولقم النقب خير من الدنو من ابواب السلطان وقال ابن السماك رحمه الله الذباب على العذرة احسن من العابر على الملوك وقيل من صحب السلطان قبل ان يتادب فقد غدر نفسه وقال ابن المعتز رحمه الله من شارك ابنا الدنيا في عز الدنيا شاركهم في ذل الاخرة وعنه ايضا اذا زادك الملك تانيسا فاكرما فرده تهيبا واحتشاما وقال ابو علي الصنعاني رحمه الله اياك والملوك فان من والاهم اخذ ماله ومن عاداهم اخذ راسه وقيل مكتوب على باب قرية من قرى بلخ اسمها بوهان ابواب الملوك تحتاج الى ثلثة عقل وصبر ومال وتحته مكتوب عذب عدو الله من كان له واحد منها لم يقرب باب السلطان وقال حسان بن الربيع رحمه الله لا تغترن بالملك فانه مملوك ولا بالمراة فانها خون ولا بالدابة فانها شرود وقال عبيد وابن عمير رحمهما الله ما ازداد رجل من السلطان قربا الا ازداد من الله بعدا ولا كثرت اتباعه الا كثرت شياطينه ولا كثر ماله الا كثر حسابه والسلام

الباب السادس عشر
في الوزراء وصفاتهم وشبه ذلك

قال موسى عليه السلام واجعل لي وزيرا من اهلي فلو كان السلطان يستغني عن الوزراء لكان احق الناس بذلك كليم الله موسى بن عمران عليه السلام ثم ذكر حكمة الوزراء فقال اشدد به ازري واشركه في امري فدلت الاية على ان الوزارة تشتد قواعد المملكة وان يفضي اليها السلطان بعجزه وبجره اذا استكملت فيه الخصال المحمودة كي نسبحك كثيرا دلت الاية على ان الصحبة للعلما والصالحين واهل الخيرة والمعرفة ينتظم بها امور الدنيا والاخرة وكما يحتاج اشجع الناس الى السلاح وافره الخيل الى السوط واحد الشفار الى المسن كذلك يحتاج اجل الملوك واعظمهم واعلمهم الى الوزير روى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة الا كانت له بطانتان بطانة تامره بالمعروف وتحضه عليه وبطانة تامره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من عصمه الله وقال وهب بن منبه رحمه الله قال موسى لفرعون آمن ولك الجنة ولك ملكك قال حتى اشاور هامان فشاوره في ذلك فقال له هامان بينما انت اله تعبد فصرت تعبد فانف واستكبر وكان من امره ما كان وعلى هذا النمط كان وزير الحجاج يزيد بن اسلم ابا لوجا وليس القرنا شر قرين لشر حدين ذا اشرف منازل الادميين النبوة ثم الخلافة ثم الوزارة وفي الامثال نعم الظهير الوزير واول ما يظهر نبل السلطان وقوة تمييزه وجودة عقله في انتخاب الوزراء وانتقا الجلسا ومحادثة العقلا فهذه مثلاث خلال تدل على كماله وبهذه الخلال يحمد في الخلق ذكره ويرسخ في النفوس عظمته والمرء موسوم بقرينه وكان

يقال

يقال حلية الملوك وزينتهم وزراؤهم وفي كتاب كليلة ودمنة لا يصلح السلطان الا بالوزراء والاعوان وقال شريح بن عبيد رحمه الله لم يكن في بني اسرائيل ملك الا ومعه رجل حكيم اذا راه غضبان كتب له صحايف في كل صحيفة ارحم المسكين واخش الموت واذكر الاخرة فكلما غضب الملك ناوله صحيفة حتى يسكن غضبه ومثل الملك الخير والوزير الشرير الذي يمنع الناس خيره ولا يمكنهم من الدنو منه كالماء الصافي فيه التمساح فلا يستطيع المرء دخوله وان كان سابحا وكان الى الماء محتاجا ومثل السلطان مثل الطبيب ومثل الرعية كمثل المرضى ومثل الوزير كمثل السفير بين المرضى والاطبا فاذا اكذب السفير بطل التدبير وكما ان السفير اذا اراد ان يقتل احدا من المرضى وصف للطبيب نقيض دايه فاذا سقاه الطبيب على صفة السفير هلك العليل كذلك الوزير ينقل الى الملك ما ليس في الرجل فيقتله الملك فمن ههنا شرط ان يكون الوزير صدوقا في لسانه عدلا في دينه مامونا في خلافه بصيرا بامور الرعية ويكون بطانة الوزير ايضا من اهل الامانة والبصيرة ويحذر الملك ان يولي الوزارة لئيما فان اللئيم اذا ارتفع جفا اقاربه وانكر معارفه واستخف بالاشراف وتكبر على ذوي الفضل ودخل بعض الوزراء على بعض الخلفا وكان الوزير من اهل العقل والادب فوجد عنده رجلا ما كان الخليفة يميل اليه ويقربه لادبه فقال منشدا

شعر

يا ملكا طاعته لازمة ... وحبه مفترض واجب
ان الذي تشرف من اجله ... يزعم ان هذا كاذب

واشار الى الرجل فساله يا امير المؤمنين عن ذلك فساله فلم يجد له بدا من ان يقول هو صادق فاعترف بالاسلام وكان بعض الملوك قد كتب ثلث رقاع وقال للوزير اذا رايتني غضبان فادفع الي رقعة بعد رقعة فكان في الواحدة انك لست باله وانك ستموت وتعود الى التراب فياكل بعضك بعضا وفي الثانية ارحم من في الارض يرحمك من في السماء وفي الثالثة اقض بين الناس بحكم الله فانهم لا يصلحهم الا ذلك ولما كانت امور المملكة عايدة الى الوزرا وازمة الملوك في ايدي الوزرا استوفيهم من العقلا المثل السايرقوا لولا الخبز عودة الامير اذا عسك الوزير واذا اجلك الوزير فلا تخش الامير ومثل السلطان كالدار والوزير بابها فمن اتى الدار من بابها ربح ومن اتاها من غير بابها انزعج وموقع الوزارة من المملكة كموقع المراة من البصر وكما ان من لم ينظر في المراة لا يرى محاسن وجهه وعيوبه كذلك السلطان اذا لم يكن له وزير لا يرى محاسن وجه دولته وعيوبها ومن شروط الوزير ان يكون كثير الرحمة للخلق رووفا بهم واعلم انه ليس للوزير ان يكتم السلطان نصيحة ولو استثقلها وموضع الوزير من السلطان والمملكة

كومنع الحسين من الانسان وكما ان المراة لا تريك وجهك الا بصفا جوهرها وجودة صقلها ونقايها من الصدا كذلك السلطان لا يكمل امره الا بجودة عقل الوزير وصحة فهمه ونقا قلبه والسلام وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الباب السابع عشر

في ذكر الحجاب والحجابة والولاية وما فيها من الغرر

والخطر اما الحجاب فقد قيل لا شي اضيع للمملكة واهلاك للرعية من شدة الحجاب وقيل اذا سهل الحجاب انجحل الرعية عن الظلم واذا عظم الحجاب هجمت على الظلم وقال ميمون بن مهران رحمه الله كنت عند عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقال لحاجبه من بالباب قال رجل اناخ الآن يزعم انه ابن فلان مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن له فلما دخل قال حدثني ابي انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من ولي شيا من امور المسلمين ثم حجب عنهم حجبه الله عنه يوم القيمة فقال لحاجبه الزم بيتك فما رؤي على بابه بعد ذلك حاجب وكان خالد بن عبد الله القسري رحمه الله يقول لحاجبه اذا اخذت مجلسي فلا تحجبن عني احدا فان الوالي لا يحتجب الا لثلث عي يكره ان يطلع عليه احد او ريبة يخاف منها ان تظهر او بخل يكره معه ان يسال شيا وكانت العجم تقول ما شي اضيع للمملكة من شدة حجاب الملك ولا شي اهيب للرعية واكف لهم عن الظلم من سهولته وقيل لبعض الحكما ما الجرح الذي لا يندمل قال حاجة الكريم الى اللئيم ثم يرده بغير قضاها قيل فما الذل قال وقوف الشريف بباب الدني ثم لا يؤذن له ووقف عبد الله بن العباس بن الحسن العلوي رحمه الله على باب المامون يوما فنظر اليه الحاجب ثم اطرق فقال عبد الله لقوم معه انه لو اذن لنا لدخلنا ولو صرفنا لانصرفنا ولو اعتذر الينا لقبلنا فاما النظرة بعد النظرة والتوقف بعد التعرف فلا افهم معناه ثم تمثل بقول

وما عن رضى كان الحمار مطيتي • ولكن من يمشي سيرضى بما ركب

ثم انصرف فبلغ ذلك المامون فضرب الحاجب ضربا شديدا وامر لعبد الله بصلة جزيلة وعذره وآب

قال الشاعر

رايت اناسا يسرعون تبادرا • اذا فتح البواب بابك اصبعا

ونحن جلوس ساكنون رزانة • وحلما الى ان يفتح الباب اجمعا

ووقف رجل خراساني بباب ابي دلف حينا فلم يؤذن له فكتب رقعة وتلطف في وصولها اليه وفيها اذا كان الكريم له حجاب • فما فضل الكريم على اللئيم

فاجابه بقول

اذا كان الكريم قليل مال • ولم يعذر تعلل بالحجاب

وابواب الملوك محجبات • فلا تستنكرن حجاب باب

ومن محاسن النظم في ذم الاحتجاب قول بعضهم

ساهجركم حتى يلين حجابكم • على انه لا بد سوف يلين

خذوا حذركم من نبوة الدهر انها • ان لم تكن خانت فسوف تخون

وقال آخر

ماذا على ابواب داركم الذي • لم يعطنا اذنا ولم يستاذن

لو ردنا ردا جميلا عنكم • او كان يدفع بالتي هي احسن

وقال آخر

امرت بالتسهيل في الاذن لي • ولم ير الحاجب ان تاذنا

فلم ترني بعدها عايدا • ولم تره لي مستاذنا

وقال آخر

ولقد رايت بباب دارك جفوة • فيها لحسن صنيعك المتكدر

ما بال دارك حين تدخل جنة • وبباب دارك منكر ونكير

وقال آخر

اذا جئت الى عند بابك حاجبا • يحياه من فرط الجهالة حايك

ومن عجب نعناك جنة قاصد • وحاجبها من دون رضوان مالك

وقال آخر

سانزلك بابا انت تملك اذنه • ولو كنت اعمى عن جميع المسالك

ولو كنت بواب الجنان تركتها • وحولت رحلي مسرعا نحو مالك

وقال آخر

ماذا يفيدك ان تكون محجبا • والعبد بالباب الكريم يلوذ

ما انت الا في الحصار معي فلا • تحجب فكل محاصر ماخوذ

وقال آخر

سانزل هذا الباب ما دام اذنه • على ما ارى حتى يلين قليلا

فما خاب من لم ياته متعمدا • ولا فاز من قد نال منه وصولا

اذا لم نجد للاذن عندك موضعا • وجدنا الى ترك المجي سبيلا

استاذن رجل على امير فقال للحاجب قل له ان الكرا قد خطب الى نفسي وانما في مهجة راهبة فخرج الحاجب فقال له الرجل ما الذي قال لك قال قال كلاما ما لا افهمه وهو يريد ان لا ياذن لك وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه اغا امهل فرعون مع دعواه لسهولة

اذنه وبذل طعامه وقال عمرو بن مرة الجهني رحمه الله لمعاوية سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ما من امير يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسكنة الا
اغلق الله ابواب السموات دون حاجته وخلته ومسكنته وجا النامي رحمه الله ليحضر امرا
فحجبه فانشا يقول

شعر

ساصبر ان جفوت فكم صبرنا • لمثلك من امير او وزير
رجوناهم فلما اخلفونا • تمادي فيهم غير الدهور
فبتنا بالسلامة وهي غنم • وبادوا في المحابس والقبور
ولما ان نسل منهم سرورا • راتنا فيهم كل السرور

واستاذن سعد بن مالك رضي الله عنه على معاوية فحجبه فهتف بالبكا فاتى اليه الناس
وفيهم كعب فقال له ما يبكيك فقال وما لي لا ابكي وقد ذهب الاعلام من اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومعاوية يلعب بهذه الامة فقال له كعب لا تبك فان في الجنة قصرا من
ذهب يقال له عدن اهله الصديقون والشهدا وانا ارجو ان تكون من اهله وانشد
يقول

شعر

قل للذين تحجبوا عن راغب • بمنازل من دونها الحجاب
ان حال عن لقياكم ابوابكم • فالله ليس لبابه بواب

واما ما جا في ذكر الولايات وما فيها من الخطر

فقد قال الله تبارك وتعالى يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق
ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله جا في التفسير ان من اتباع الهوى ان يحضر الخصمان
بين يديك وتود ان الحق للذي احببت خاصة في قلبك وبهذا سلب سليمان بن داود عليه السلام
ملكه وما ذاك الا ان انسانا من اهل جرادة المراة وكانت من اكرم نسائه عليه تحاكموا اليه ٧١
مع غيرهم فاحب ان يكون الحق لاهل جرادة فيقضي لهم فعوقب حين لم يكن هواه فيهم واحدا
وقال معقل بن يسار رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد
يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصيحة الا لم يجد رايحة الجنة وروى عبد الرحمن بن سمرة
رضي الله عنه قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن لا تسال الامارة فانك
ان اعطيتها عن غير مسالة اعنت عليها وان اعطيتها عن مسالة وكلت اليها وفي الحديث
من ولي من امر المسلمين شيا ثم لم يحطهم بنصيحة كما يحيط اهل بيته فليتبوا مقعده من النار
وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث الى عامل يستعمله على الصدقة فابى وقال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا كان يوم القيمة يوتى بالوالي فيقف على جسر جهنم
فيامر الله الجسر فينتفض انتفاضة فيزول كل عضو منه عن مكانه ثم يامر الله تعالى العظام

فترجع الى اماكنها فان كان لله مطيعا اخذ بيده واعطاه كفلين من رحمته وان كان لله عاصيا
انخرق به الجسر فهوى به في نار جهنم مقدار سبعين خريفا فقال عمر رضي الله عنه قد سمعت من النبي
صلى الله عليه وسلم ما لم اسمع قال نعم وكان سلمان وابو ذر رضي الله عنهما حاضرين فقال سلمان
اي والله يا عمر ومع السبعين سبعون خريفا في واد يلتهب التهابا فقال عمر بيده على جبهته
انا لله وانا اليه راجعون من ياخذها بما فيها فقال سلمان من ارغم الله انفه والصق خده
بالارض وروى ابو داود في السنن قال جا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله ان ابي عريف على الما واني اسالك ان تجعل لي العرافة من بعده فقال النبي صلى الله
عليه وسلم العرفا في النار وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان اشد الناس عذابا يوم القيمة الامام الجاير وقالت عايشة رضي الله عنها سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول يوتى بالقاضي العدل يوم القيمة فيلقى من شدة الحساب ما يود انه لم يقض
بين اثنين في عمره وروى الحسن البصري رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا عبد الرحمن بن سمرة
يستعمله فقال يا رسول الله خر لي فقال اقعد في بيتك وقال ابو هريرة رضي الله عنه ما من امير
يومر على عشرة الا جي به يوم القيمة مغلولا انجاه عمله او اهلكه وقال طاوس لسليمان بن
عبد الملك رحمهما الله هل تدري يا امير المومنين من اشد الناس عذابا يوم القيمة قال سليمان قل
فقال طاوس اشد الناس عذابا يوم القيمة من اشركه الله في ملكه فجار في حكمه فاستلقى سليمان
على سريره فما زال يبكي حتى قام عنه جلساوه وقال ابن سيرين رحمه الله جا صبيان الى ابي عبيدة
السلماني رحمه الله يتخايرون اليه في الواحهم فلم ينظر اليها وقال هذا حكم ولا اتولى حكما ابدا
وقال ابو بكر بن ابي مريم رحمه الله حج قوم فمات صاحب لهم بارض فلاة فلم يجدوا ما
فاتاهم رجل فقال لو اذلكم على الما فقالوا احلفوا لي ثلثا وثلثين يمينا انه لم يكن مسرافا ولا مكاسا
ولا عرافا ولا بريدا ويروي ولا عرافا وانا ادلكم على الما فحلفوا له ثلاثا وثلاثين يمينا كما تقدم
فاعانهم على غسله ثم قال والله تقدموا فصلى عليه ثم التفتوا فلم يجدوا احدا فكانوا يرون انه الخضر
عليه السلام وقال ابو ذر رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر
اني احب لك ما احب لنفسي واني اراك ضعيفا فلا تتامرن على اثنين ولا تلين مال يتيم والله اعلم

الباب الثامن عشر في القضاء
وذكر القضاة وقبول الرشوة والهدية على الحكم وما يتعلق
بالديوان وذكر القصاص والمتصوفة وفيه فصول

الفصل الاول فيما جا في القضاة واخذ العهود وما يجب عليهم قال الله تعالى

فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط وقال تعالى ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من حكم بين اثنين تحاكما اليه وتراضيا به فلم يقض بينهما بالحق

فعليه لعنة الله وعن ابي حازم قال دخل عمر على ابي بكر رضي الله عنهم فسلم عليه فلم يرد
عليه فقال لعبد الرحمن بن عوف اخاف ان يكون وجد علي خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكلم عبد الرحمن ابا بكر فقال اتاني وبين يدي خصمان وقد فرغت لهما قلبي وسمعي وبصري وعلمت
ان الله سائلي عنهما وعما قالا وقلت • وادعى رجل على علي عند عمر رضي الله عنهما وعلي جالس
فالتفت اليه عمر وقال يا ابا الحسن قم فاجلس مع خصمك فقام فجلس مع خصمه فتناظرا وانصرف
الرجل ورجع الى مجلسه فتبين لعمر التغير في وجه علي فقال يا ابا الحسن مالي اراك متغيرا اكرهت
ما كان قال نعم قال وما ذاك قال كنيتني بحضرة خصمي هلا قلت يا علي قم فاجلس مع خصمك فاخذ
عمر براس علي وقبل بين عينيه ثم قال بابي انتم بكم هدانا الله وبكم اخرجنا من الظلمات الى النور
وعن ابي حنيفة رضي الله عنه انه قال القاضي كالغريق في البحر الاخضر الى متى يسبح وان كان سابحا
واراد عمرو بن هبيرة ان يولي ابو حنيفة رضي الله عنهم القضا فابى فحلف ليضربنه بالسياط
وليسجننه فضربه حتى انتفخ وجه ابي حنيفة وراسه من الضرب فقال الضرب بالسياط في الدنيا
اهون علي من مقامع الحديد في الاخرة وعن عبد الملك بن عمير رحمه الله عن رجل من اهل اليمن
قال افضل سيل باليمن في خلافة ابي بكر رضي الله عنه فكشف عن باب مغلق فظنناه كنزا
فكتبنا الى ابي بكر به فكتب الينا لا تحركوه حتى يقدم عليكم ابناي ثم فتح واذا برجل على سرير
عليه سبعون حلة منسوجة بالذهب وفي يده اليمنى لوح مكتوب فيه هذه الابيات

اذا خان الامير وكاتباه • وقاضي الارض داهن في القضاء
فويل ثم ويل ثم ويل • لقاضي الارض من قاضي السماء

واذا راسه سيف اشد خضرة من البقل مكتوب عليه هذا سيف ابن عاهر بن ازدر اللام • وتقدمت امراة الى قاض فقالت جاءتك شهود فسكت فقال كاتبه ان القاضي يقول لك
جاءت شهود لك معك قالت نعم الا قلت مثل ما قال كاتبك كبر سنك ونقص عقلك
وكبرت لحيتك حتى غطت على لبتك ما رايت ميتا يقضي بين الاحياء غيرك • ومما قيل عن
بعضهم في قاضي

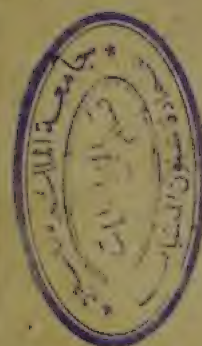
شعر

ابكي واندب ملة الاسلام • اذ صرت مقعد معقد الحكام
ان الحوادث كما علمت كثيرة • وازالك بعض حوادث الايام

وعن ابي اوفى رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله مع القاضي ما لم يجر فاذا جار
برئ الله منه ولزمه الشيطان وقال الابرص الكلبي يمدح بعض القضاة •

رفعت وعطلت الحكومة قبله • في آخرين وصلها زوافنها
حتى اذا ما قام القف بينها • بالحق حين جحت ارفاضها

وقال محمد بن حرب بلغني ان نصر بن علي رحمهما الله ارادوه على القضاء بالبصرة واجتمع



الناس اليه فكان لا يجيبهم فلما الحوا عليه دخل بيته ونام على ظهره والقى ملاءته على وجهه
وقال اللهم ان كنت تعلم اني لهذا الامر كاره فاقبضني اليك فقبض وعن انس رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم القضاة جسور للناس يمرون على ظهورهم يوم القيمة وقال
حفص بن غياث رحمه الله لرجل كان يسأله عن مسائل القضا لعلك تريد ان تكون قاضيا •
لان يدخل الرجل اصبعه في عينه فيقتلعها ويرمي بها خير له من ان يكون قاضيا وقيل اول
من اظهر الجور من القضاة بلال بن ابي بردة بن ابي موسى الاشعري كان امير البصرة وقاضيها
وكان يقول ان الرجلين يتقدمان الي فاجد احدهما اخف على قلبي من الاخر فاقضي له
وتقدم المامون بين يدي يحيى بن اكثم رحمه الله مع رجل ادعى عليه ثلثين الف دينار وقال والله
ما دفعت هذا المال الا خشية ان تقول العامة اني ماردك من جهة العدل ثم امر ليحيى
بثلثين الف دينار ونصدق بثلثين وقد قدم للدعو واحد من خدام المعتضد بالله
الى ابي يوسف بن يعقوب رحمهم الله في حكومة فارتفع الخادم على خصمه في المجلس فزجره عن
ذلك فلم يقبل فقال ابو يوسف رحمه الله قفاه انا مر بعسا واه خصمك فيمتنع يا غلام ايتني
بعمرو بن عمرو النخاس يعدو اليه الساعة ببيع هذا العبد وحمل ثمنه الى المعتضد
امير المؤمنين ثم اخذ بيده فساوى خصمه فلما انقضى الحكم رجع الخادم الى المعتضد وبكى
بين يديه واخبره بالقصة فقال لو باعك لاجزت بيعه ولم اردك الى ملكي فليس منزلتك
عندي تزيل مرتبة الحكم فانه عمود السلطان وقوام الاديان وقيل المضروب بهم المثل
في الجهل وتحريف الاحكام قاضي منى وقاضي لشكر وقاضي ايدج وهو الذي قال فيه
ابو اسحق العتابي رحمه الله

شعر

يا رب علج اعلج • مثل البعير الاهوج
رايته مطلعا • من خلف باب مرتج
وخلفه غربية • تدهن طروا بج
فقلت من هذا ترى • فقيل قاضي ايدج

وقاضي شلبه وهو الذي قال فيه ابو الحسن الجوهري رحمه الله شعر

رايت راسا كدبه • واللحية منه كالمدبه
فقلت من انت قل لي • فقال قاضي شلبه

وتقدمت امراة جميلة الى الشعبي رحمه الله فادعت عنده فقضى لها فقال هذيل الاشجعي
رحمه الله هذه الابيات

شعر

فتن الشعبي لما • رفع الطرف اليها
فتنته ببنان • كيف لو راى معصميها

وَمشت مشيا رُويدًا * ثم هزت منكبيها
تقتضي جورًا على الخصم * ولم يقض عليها

فتناشدها الناس ونددا ولوها حتى بلغت الشعبي وضرب الشعبي ثلثين سوطا فحكي بن ابي ليلى رحمه الله قال انصرف الشعبي يوما من مجلس القضا ونحن معه فمررنا بجارية تغسل الثياب وهي تقول فتن الشعبي لما فتن الشعبي ولا تعرف بقية البيت فلقنه وقال رفع الطرف اليها ثم قال ابعده الله اما انا ما قضينا الا بحق وانشد بعضهم في ابن الحكم بيت

تماوتن اذا مشيت تخشعا * حتى تصيب وديعة ليتيم

الفصل الثاني في الرشوة والهدية على الحكم وما جا في الديون اما الرشوة

فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعن الله الراشي والمرتشي وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تولوا اليهود ولا النصارى فانهم يقبلون الرشى ولا يحل في دين الله الرشا قال الشهيدي رحمه الله فاصحابنا اليوم اقبل للرشا منهم وفي نوابغ الحكم ان البراطيل تنصر الاباطيل وعن ابن مسعود رضي الله عنه من شفع شفاعة ليرد بها حقا او يدفع بها ظلما واهدي له فقبل فذلك السحت فقيل له اما كنا نرى السحت الا الاخذ على الحكم قال الاخذ على الحكم كفر

وانشد بعضهم

وكنت اذا خاصمت خصما كببته * على الوجه حتى خاصمتني الدراهم
فلما تنازعنا الخصومة غلبت * علي وقالت قم فانك ظالم

واما الدين وما جا فيه نعوذ بالله من غلبة الدين وقهر الرجال روي عن ابي امامة رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتي بجنازة لم يسال عن شي من عمل الرجل ويسال عن دينه فان قيل عليه دين كف عن الصلوة عليه وان قيل ليس عليه دين صلى عليه ثم اتي بجنازة فلما قام ليكبر سال صلى الله عليه وسلم هل على صاحبكم دين قالوا ديناران فعدل عنه صلى الله عليه وسلم وقال صلوا على صاحبكم فقال علي رضي الله عنه هما علي يا رسول الله بري منهما فتقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى عليه ثم قال لعلي جزاك الله خيرا فك الله رهانك كما فككت رهان اخيك انه ليس من ميت يموت وعليه دين الا وهو مرتهن بدينه ومن فك رهان ميت فك الله رهانه يوم القيمة وقال بعض الحكما الدين هم بالليل وذل بالنهار وهو ساجور الله في ارضه فاذا اراد الله تعالى ان يذل عبدًا جعله طوقا في عنقه وجا سعد بن ابي وقاص يتقاضى دينا له على رجل فقال اخرج الى الغور فقال اشهد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو ان رجلا قتل في سبيل الله ثم احيي ثم قتل لم يدخل الجنة حتى يقضي دينه وعن الزهري رضي الله عنه قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على احد عليه دين ثم قال بعد انا اولى بالمومنين من انفسهم

من مات وعليه دين فعلي قضاؤه ثم صلى عليهم وعن جابر رضي الله عنه لا هم الا هم الدين ولا وجع الا وجع العين وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من تزوج امراة بصداق ينوي ان لا يؤديه اليها فهو زان وقال حبيب بن ثابت رضي الله عنه ما احتجت الى شي اقترضه الا استقرضته من نفسي اراد ان يصبر الى ان يمكن الميسرة ونظيره قول القائل

واذا غلا شي علي تركته * فيكون ارخص ما يكون اذا غلا

وقال بعضهم

لقد كان القريض سمير قلبي * فالهتني القروض عن القريض

وقال غيلان بن مرة رحمه الله

واني لاقضي الدين بالدين بعدما * يرى طالبي بالدين ان لست قاضيا

فاجابه ثعلب بن عمير رحمه الله

اذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن كان غرمًا على غرم

واستقرض الاصمعي رحمه الله من خليل له فقال حبا وكرامه ولكن سكن قلبي برهن يساوي ضعفه بما تطلب فقال يا ابا سعيد ما شك لي قال بلى وان خليل الله كان واثقا به وقد قال ولكن ليطمئن قلبي اللهم اقض عنا ديننا في الدنيا والاخرة برحمتك يا ارحم الراحمين يا رب العالمين

الفصل الثالث في ذكر القصاص والمتصوفة وما جا في الريا ونحو ذلك

روي عن خباب بن الارت رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل لما قصوا هلكوا وروي ان كعبا رحمه الله كان يقص فلما سمع الحديث ترك القصص وقال بن عمر رضي الله عنهما لم يقص احد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا على عهد ابي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم وانما كان القصص حين كانت الفتنة وقال ابن المبارك سالت الثوري رحمهما الله من الناس فقال العلما فقلت من الاشراف قال المتقون قلت من الملوك قال الزهاد قلت من الغوغا قال القصاص الذين يستاكلون اموال الناس بالكلام قلت من السفلة قال الظلمة قيل وهب رجل لقاص خاتما بلا فص فقال وهب الله لك في الجنة غرفة بلا سقف وقال قيس بن جبير النهشلي رحمه الله الصدقة التي عند القصاص من الشيطان وقيل لعايشة رضي الله عنها ان اقواما اذا سمعوا القران صعقوا فقالت القران اكرم من ان تذهب منه عقول الرجال وسئل بن سيرين رحمه الله عمن سمع القران فصعق قال ميعاد ما بيننا وبينهم ان يجلسوا على حائط فيقرا عليهم القران من اوله الى آخره فان صعقوا فهو كما قالوا وكان عمر باص يبكي بمواعظه فاذا اطال مجلسه بالبكا اخرج من كمه طنبورا صغيرا فيحركه ويقول مع هذا الغم الطويل يحتاج الى فرح ساعة وقال بعضهم قلت لصوفي بع جبتك فقال اذا باع الصياد شبكته باي شي يصيد وسئل

بعض الحلي عن المتصوفة فقال أكله رقصه وغلط عيسى عليه السلام بني اسرائيل فاقبلوا
بمن قولك الثياب فقال ما ذنب الثياب اقبلوا على القلوب فطهروها وأما ما جاء في الرياء
ونحوه فقد قال الله تبارك وتعالى يراؤون الناس ولا يذكرون الله الا قليلا وعن معاذ بن جبل
رضي الله عنه قال قال لي النبي صلى الله عليه وسلم يا معاذ احذر أن يرى عليك آثار المحسنين
وانت تخلو من ذلك فتحشر مع المرائين وقيل لو ان رجلا عمل عملا من البر فكتمه فهو افتح الرياء وقيل
كل ورع يحب صاحبه أن يعلمه غير الله فليس من الله في شيء وعن شداد بن أوس رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال أخوف ما أخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا يا رسول الله وما
الشرك الاصغر قال الرياء قيل بينما عابد يمشي ومعه غمامة على راسه تظله جاء رجل يريد
ان يستظل معه فنحاه وقال ان اقمت معي لم تعلم الناس ان الغمامة تظلني فقال الرجل قد علم
الناس اني لست ممن تظله الغمامة فحولها الله تعالى الى ذلك الرجل وقال عبد الاعلى السلمي
رحمه الله العاص قوما يزعمون اني مرائي وكنت امس والله صائما ولا اخبرت بذلك احدا اللهم
اصلح فساد قلوبنا واستر فضائحنا برحمتك يا ارحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

الباب التاسع عشر
في العدل والاحسان والانصاف

اعلم ارشدك الله ان الله تبارك وتعالى امر بالعدل ثم علم سبحانه ان كل النفوس ليس تصلح على العدل
بل تطلب الاحسان وهو فوق العدل فقال تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي
القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي فلو وسع الخلق العدل ما قرن به الاحسان فمن لم يصلح
حتى يزاد على العدل فكيف يصلح اذا منع عنه العدل ولم يبلغ اليه والعدل ميزان الله تعالى
في الارض الذي يؤخذ به للضعيف من القوي وللمحق من المبطل واعلم ان عدل الملك يوجب
محبته وجوره يوجب الافتراق عنه وافضل الازمنة ازمنة ائمة العدل وروينا من طريق
ابي نعيم عن ابي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمل الامام العادل في رعيته
يوما واحدا افضل من عمل العابد في اهله مائة عام او خمسين عاما وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة وروينا في سنن ابي داود من حديث ابي هريرة رضي الله
عنه قال ثلاثة لا ترد دعوتهم الامام العادل والصائم حتى يفطر ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح
لها ابواب السماء وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال لكعب اخبرني عن جنة عدن قال يا امير المؤمنين
لا يسكنها الا نبي او صديق او شهيد او امام عادل قال ارجو ان لا اجور واما الشهادة فمن لي بها
قال الحسن رحمه الله فجعله الله صديقا شهيدا حكما عدلا وسأل الاسكندر رحمه الله حكماء
اهل بابل أيما ابلغ عندكم الشجاعة ام العدل قالوا اذا استعملنا العدل استغنينا عن الشجاعة
ويقال عدل السلطان انفع من خصب الزمان وقيل اذا رغب الملك عن العدل رغبت الرعية عن طاعته

وكتب

وكتب بعض العمال لعمر بن عبد العزيز رحمه الله يشكو اليه من خراب مدينته ويسأله مالا
يرمها به فكتب اليه عمر يقول قد فهمت كتابك فاذا قرأت كتابي فحصن مدينتك بالعدل ونق طرقها
من الظلم فانه مرمتها والسلام ويقال ان الحاصل من خراج سواد العراق في زمن امير المؤمنين
عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان مائة الف الف وسبعة وثلاثين الف الف فلم يزل ينقص حتى صار في
زمن الحجاج ثمانية عشر الف الف فلما ولي عمر بن عبد العزيز ارتفع في السنة الاولى ثلاثون الف
الف وفي الثانية ستون الف الف وقيل اكثر فقال لئن عشت لابلغنه الى ما كان في ايام
امير المؤمنين عمر بن الخطاب فمات في تلك السنة ومن كلام كسرى لا ملك الا بالجند ولا جند
الا بالمال ولا مال الا من البلاد ولا بلاد الا بالرعايا ولا رعايا الا بالعدل ولما مات سلم بن
سعيد رحمه الله كان عليه ديون للناس ولامير المؤمنين المنصور فكتب المنصور لعامله استوف
لامير المؤمنين حقه وفرق ما بقي بين الغرماء فلم يلتفت الى كلامه وضرب للمنصور بسهم من
المال كما ضرب لاحد الغرماء ثم كتب للمنصور اني رأيت امير المؤمنين كاحد الغرماء فكتب اليه
المنصور ملأت الارض بك عدلا وكان احمد بن طولون رحمه الله والي مصر وكان متحليا
بالعدل مع تجبره وسفكه الدماء وكان يجلس للمظالم وينصف المظلوم من الظالم وروي ان رجلا
من بعض العقلاء غصبه بعض الولاة ضيعة له فاتى الى المنصور رحمه الله وقال اصلحك الله
يا امير المؤمنين هل اذكر حاجتي ام اضرب لك مثلا قبلها فقال بل اضرب المثل قال ان الطفل
الصغير اذا اتاه امر يكرهه فانما يفزع الى امه اذ لا يعرف غيرها وظنا ان لا ناصر له سواها
فاذا ترعرع واشتد كان فراره الى ابيه فاذا بلغ وصار رجلا وحدث به امر شكاه الى الوالي لعلمه
انه اقوى من ابيه فاذا ازداد عقله شكا الى السلطان لعلمه انه اقوى ممن سواه فاذا لم ينصفه
السلطان شكا الى الله عز وجل لعلمه انه اقوى من السلطان وقد نزلت بي نازلة وليس فوقك احد
اقوى منك الا الله عز وجل فان انصفتني والا رفعت امرها الى الله تعالى في الموسم فاني متوجه الى بيته
وحرمه فقال بل ننصفك وامر بان يكتب الى واليه برد ضيعته اليه وحكي ان ولد العباس
رحمه الله استدعى مغنية وهو يصطبح يوما فلقيها بعض صلحاء مصر ومعها غلام يحمل عودها فكسره
فدخل العباس اليه واخبره بذلك فامر باحضار ذلك الرجل الصالح فلما احضر اليه قال انت الذي
كسرت العود قال نعم قال فعلمت لمن هو قال نعم هو لابنك العباس قال فما اكرمته لي فقال
اكرمه لك معصية الله عز وجل والله تعالى يقول والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض
يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر والنبي صلى الله عليه وسلم يقول لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق
فاطرق احمد بن طولون راسه ثم قال كل منكر رأيته فغيره وانا من ورائك ووقف يهودي لعبد
الملك بن مروان رحمه الله فقال يا امير المؤمنين ان بعض خاصتك ظلمني فانصفني منه واذقني
حلاوة العدل فاعرض عنه ثم وقف له ثانيا فلم يلتفت اليه فوقف له مرة ثالثة وقال يا امير المؤمنين

انا نجد في التوراة المنزلة على موسى كليم الله ان الامام لا يكون شريكا في ظلم احد حتى يرفع اليه
فاذا رفع اليه ولم يزله فقد شركه في الظلم والجور فلما سمع عبد الملك كلامه فزع وبعث في الحال
الى من ظلمه فعزله واخذ لليهودي حقه وكان الاسكندر رحمه الله يقول يا عباد الله انما
الهكم الله الذي في السماء ينصر نوحا بعد حين الذي يسقيكم عند الحاجة واليه مفزعكم عند
الكرب والله لا يبلغني ان الله احب شيئا الا احببته واستعملته الى يوم اجلي ولا يبغض شيئا
الا ابغضته وهجرته الى يوم اجلي وقد انبئت ان الله تعالى يحب العدل في عباده ويبغض
الجور من بعضهم على بعض فويل للظالم من سيفي وسوطي ومن ظهر منه العدل من عمالي فليتكئ
في مجلسي كيف شاء وليتمن على ما يشاء فلم تخطئه امنيته والله تعالى المجازي كلا بعمله ويقال
اذا لم يعمر الملك ملكه بالانصاف خرب ملكه بالعصيان وقيل مات بعض الاكاسرة فوجد
له سفط ففتح فوجدوا فيه حبة رمان كاكبر ما يكون من النوى معها رقعة مكتوب فيها
هذا من حب رمان عمل في خراجه بالعدل وقيل تظلم اهل الكوفة الى المامون رحمه الله
من واليهم فقال ما علمت في عمالي اعدل واقوم منه بامر الرعية واعود بالرفق عليهم منه
فقال رجل يا امير المومنين ما احد اولى بالعدل والانصاف منك فان كان بهذه الصفة
فعلى امير المؤمنين ان يوليه بلدا بلدا حتى يلحق كل بلد من عدله مثل الذي لحقنا ويأخذ بقسطه
منه كما اخذنا واذا فعل ذلك لم يصبنا منه اكثر من ثلث سنين فضحك المامون وعزله عنهم
وقدم المنصور رحمه الله البصرة قبل الخلافة فنزل بواصل بن عطا فقال بلغني
ابيات عن سليم بن يزيد العدوي في العدل فقم بنا اليه فاشرف عليهم من غرفة فقال
لواصل من هذا الذي معك قال عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فقال رحب
على رحب وقرب على قرب فقال انه يحب ان يسمع ابياتك في العدل فانشد يقول

شعر

حتى متى لا نرى عدلا نسر به ۞ ولا نرى لولاة الحق اعوانا
مستمسكين بحق قائمين به ۞ اذا تلون اهل الجور الوانا
يا للرجال لداء لا دواء له ۞ وقائد ذي عمى يقتاد عميانا

فقال المنصور وددت لو اني رايت يوم عدل ثم مت وقيل لما ولي عمر بن عبد العزيز رحمه الله
اخذ في رد المظالم فابتدأ باهل بيته فاجتمعوا الى عمة له كان يكرمها وسالوها ان تكلمه فقال
لها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سلك طريقا فلما قبض سلك اصحابه ذلك الطريق فلما
قضي الامر الى معاوية جره يمينا وشمالا وايم الله لئن مد في عمري لاردنه الى ذلك الطريق الذي
سلكه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه فقالت له يا ابن اخي اني اخاف عليك منهم يوما
عصيبا قال كل يوم اخافه دون يوم القيمة فلا امننيه الله وقال ابن منبه رحمه الله

اذا

اذا اهتم الوالي بالجور او عمل به ادخل الله النقص في مملكته لذلك وقال الوليد بن هشام
رحمه الله ان الرعية لتفسد بفساد الوالي وتصلح بصلاحه وقال ابن عباس رضي الله عنه ان ملكا
من الملوك خرج يسير في مملكته مستخفيا مكانه فنزل على رجل له بقرة فراحت البقرة فحلبت له حلاب
ثلثين بقرة فتعجب الملك لذلك وحدثته نفسه باخذها فلما راحت من الغد حلبت له النصف مما
حلبت بالامس فقال له الملك ما بال حلابها انتقص ارعت في غير مرعاها بالامس فقال لا ولكن اظن
ملكنا هم باخذها فنقص لبنها فان الملك اذا ظلم او هم بالظلم ذهبت البركة فتاب الملك
وعاهد ربه في نفسه ان لا ياخذها فراحت من الغد وحلبت عادتها ومن المشهور بارض
المغرب ان السلطان بلغه ان امراة لها حديقة فيها القصب الحلو وان كل قصبة منها تعصر
قدحا فعزم على اخذها منها ثم اتاها وسالها عن ذلك فقالت نعم ثم انها عصرت قصبة فلم تعصر
نصف قدح فقال لها اين الذي كان يقال فقالت هو الذي بلغك الا ان يكون السلطان قد عزم على
اخذها مني فارتفعت البركة منها فتاب الملك واخلص النية لله وعاهد ربه ان لا ياخذها منها ابدا
ثم امرها فعصرت قصبة فجاءت ملء القدح وحكى سيدي ابي بكر الطرطوشي رحمه الله في كتابه
سراج الملوك قال حدثني بعض الشيوخ ممن كان يروي الاخبار بمصر قال كان بصعيد مصر نخلة
تحمل عشرة ارادب ولم يكن في ذلك الزمان نخلة تحمل نصف ذلك فغصبها السلطان فلم تحمل شيئا في
ذلك العام ولا تمرة واحدة وقال لي شيخ من اشياخ الصعيد رحمه الله اعرف هذه النخلة
وهي تحمل عشرة ارادب سنين وسنة وكان صاحبها يبيعها في سنين الغلاء كل وسق بدينار وحكي
ايضا رحمه الله قال شهدت في الاسكندرية والصيد مطلق للرعية والسمك يعلو الماء منه
لكثرته وكانت الاطفال تصيده بالخرق ثم حجره الوالي ومنع الناس من صيده فذهب
السمك حتى لا يكاد يوجد الى يومنا هذا وهكذا تتعدى سرائر الملوك وعزائمهم ومكنون ضمائرهم
الى الرعية ان خيرا فخير وان شرا فشر وقال اصحاب التواريخ في كتبهم قالوا
كان الناس اذا اصبحوا في زمن الحجاج يتساءلون اذا تلاقوا من قتل البارحة ومن صلب ومن جلد
ومن قطع وكان الوليد صاحب ضياع واتخاذ مصانع وكان الناس يتساءلون في زمانه عن
البنيان والمصانع والضياع وشق الانهار وغرس الاشجار ولما ولي سليمان بن عبد الملك رحمه
الله كان صاحب طعام ونكاح فكان الناس يتحدثون في الاطعمة الرفيعة ويتغالون في المناكح
والسراري ويعمرون مجالسهم بذكر ذلك ولما ولي عمر بن عبد العزيز رحمه الله كان الناس
يتساءلون كم تحفظ من القران وكم وردك كل ليلة وكم يحفظ فلان ومتى يختم وكم يصوم من
الشهور وما اشبه ذلك فينبغي للامام ان يكون على طريقة الصحابة والسلف ويقتدي بهم
في الاقوال والافعال فمن خالف ذلك فهو لا محالة هالك وليس فوق السلطان العادل منزلة
الا نبي مرسل او ملك مقرب وقيل ان مثله مثل الرياح التي يرسلها الله تعالى بشرا بين يدي

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرًا • فالظلم مصدره يفضي الى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه • يدعو عليك وعين الله لم تنم

وقال محمد بن سويد وزير المامون رحمه الله

فلا تأمنن الدهر حرًا ظلمته • فما ليل حر ان ظلمت بنائم

ومما احسن ما قال بعضهم

أتهزوا بالدعآ وتزدريه • وما تدري بما صنع الدعآ

سهام الليل نافذة ولكن • لها امد وللامد انقضا

وقال ابو الدردآ رضي الله عنه اياك ودعوة اليتيم ودعوة المظلوم فانها تسري بالليل والناس نيام وقال الهيثم بن فراس السامي من بني سامة بن لوي في الفضل بن مردان رحمهما الله

شعر

تجبرت يا فضل بن مروان فاعتبر • فقبلك كان الفضل والفضل والفضل

ثلثة املاك مضوا لسبيلهم • اباد هم الموت المشتت والقتل

الفضل بن الربيع والفضل بن يحيى والفضل بن سهيل **ووجد** تحت فراش يحيى بن خالد البرمكي رقعة مكتوب فيها هذه الابيات

وحق الله ان الظلم لوم • وان الظلم مرتعه وخيم

الى ديان يوم الدين نمضي • وعند الله تجتمع الخصوم

ووجد القسم بن عبيد الله وزير المكتفي رحمه الله في مصلاه رقعة فيها هذا الكلام بغى وللبغي سهام تنتظر • انفذ في الاحشا من وخز الابر • سهام ايدي القانتين في السحر **وقال** منصور بن المعتمر لابن هبيرة رحمه الله حين اراده على القضا ما كنت لالي ذلك بعدما حدثني ابراهيم قال وما حدثك قال حدثني عن علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة نادى مناد اين الظلمة واعوان الظلمة واشباه الظلمة حتى من برا لهم قلما او لاق لهم دواة فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى بهم في جهنم **وروى** هرون بن محمد بن عبد الملك الزيات رحمه الله قال جلس ابي للمظالم يوما فلما انقضى المجلس راى رجلا جالسا فقال له الك حاجة قال نعم تدنيني اليك فاني مظلوم قد اعوزني العدل والانصاف اليك قال ومن ظلمك قال انت ولست اصل اليك فاذكر حاجتي قال وما يحجبك وقد ترى مجلسي مبذولا قال يحجبني عنك هيبتك وطول لسانك وفصاحتك قال ففيم ظلمتك قال في ضيعتي الفلانية اخذها مني غصبا بغير ثمن فاذا وجب عليها خراج اديته باسمي لئلا يثبت لك اسم في ملكها فيبطل ملكي فوكيلك ياخذ غلتها وانا اؤدي خراجها وهذا لم يسمع مثله في المظالم فقال له محمد هذا قول يحتاج الى بينة وشهود واشيا فقال له

ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار

وأسر هذه الاشيآ ان هي الا الجور وعد ولك عن العدل فضحك محمد وقال صدقت والبلآ موكل بالمنطق واني لا آري فيك مصطنعا ثم دفع له برد ضيعته وان يعطى له ماتي دينار يستعين بها على عمارة ضيعته وصيره من اصحابه وكان قبل ان يتوصل الى الانصاف واعادة ضيعته يقال له يا فلان كيف الناس فيقول بشر بين مظلوم لا ينتصر وظالم لا ينتهي فلما صار من اصحاب محمد ورد عليه ضيعته وانصفه قيل له كيف الناس الان قال بخير قد اعمل معهم الانصاف ودفع عنهم الاجحاف وردت عليهم الغصوب وكشفت عنهم الكروب وانا ارجو لهم ببقايك نيل كل مرغوب

ومما نقل في الاسرار الاسرايلية

عن موسى عليه السلام ان رجلا من ضعفا بني اسرايل كان له عايلة وكان صيادا يصطاد السمك ويقوت منه اطفاله وزوجته فخرج يوما للصيد فوقع في شبكته سمكة كبيرة ففرح بها ثم اخذها ومضى بها الى السوق ليبيعها ويصرف ثمنها لعياله فلقيه بعض الحواشية فراى السمكة معه فاخذها منه فمنعه الصياد فرفع خشبة كانت بيده وضرب راس الصياد ضربة موجعة واخذ السمكة منه غصبا بلا ثمن فدعى الصياد عليه وقال الهي خلقتني ضعيفا وجعلته قويا عنيفا فخذ لي بحقي عاجلا فقد ظلمني ولا صبر لي الى الاخرة ثم ان ذلك الظالم الغاصب انطلق بالسمكة الى منزله وسلمها الى زوجته وامرها ان تشويها فلما شوتها وضعتها بين يديه على المايدة لياكل منها فتحت السمكة فنكزت اصبعه نكزة اطارت بها فواده فقام وشكى الى الطبيب الم يده وما حل به فراها فقال دواها ان تقطع الاصبع لئلا يسري الالم الى الكف والبدن فقطع اصبعه فازداد الالم وارتعدت من خوفه فرايصه فقال له الطبيب ينبغي ان تقطع اليد الى المعصم لئلا يسري الى الساعد فقطعها فانتقل الالم الى الساعد فقطعها وما زال هكذا وكلما قطع عضوا انتقل الالم الى العضو الذي يليه فخرج هايما على وجهه مستغيثا الى ربه ليكشف عنه ما نزل به فراى شجرة فقصدها فاخذه النوم عندها فلما نام راى في منامه قايلا يقول له يا مسكين الى كم تقطع اعضاك امض الى خصمك الذي ظلمته وارضه فانتبه من النوم وفكر في امره فعلم ان الذي اصابه من جهة الصياد فدخل المدينة وسال عنه واتى اليه فوقع بين يديه يتمرغ على رجليه وطلب منه الاقالة مما جناه ودفع اليه شيا من ماله وتاب من فعله فرضي عنه خصمه الصياد فسكن في الحال المه وبات تلك الليلة فرد الله عليه يده كما كانت ونزل الوحي على موسى عليه السلام يا موسى وعزتي وجلالي لولا ان ذلك الرجل العاصي ارضى خصمه لعذبته مهما امتدت به حياته

ومما تضمنته اخبار الاخيار رحمهم الله

ما روي عن انس رضي الله عنه قال بينما امير المومنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاعد اذ جاه رجل من اهل مصر فقال يا امير المومنين هذا مقام العايذ بك فقال عمر لقد عذت بمجيب فما شانك قال سابقت على فرسي ابنا لعمرو بن العاص وهو يومئذ امير على مصر فجعل يقنعني

بصوته ويقول انا ابن الاكرمين فبلغ ذلك عمرًا اباه فخشي ان آتيك فحبسني في السجن فانفلت
منه فهذا حين اتيتك فكتب عمر الى عمرو بن العاص رضي الله عنهم اذا اتاك كتابي هذا فاشهد
الموسم انت وولدك فلان وقال للمصري اقم حتى ياتيك فقدم عمرو وشهد الموسم فلما قضى
عمر الحج وهو قاعد مع الناس وعمرو بن العاص وابنه الى جانبه قام المصري فرمى عمر اليه
بالدره قال أنس فلقد ضربه ونحن نشتهي ان يضربه فلم ينزع حتى احببنا ان ينزع من كثرة
ما ضربه وعمر يقول اضرب قال يا امير المؤمنين قد استوفيت واستغنيت قال فضعها
على صلعة عمرو فقال يا امير المؤمنين قد ضربت الذي ضربني قال اما والله لو فعلت لما منعك احد
حتى تكون انت الذي تنزع ثم قال يا عمرو متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم امهاتهم احرارا
فجعل يعتذر ويقول اني لم اشعر بهذا **ولما ظلم احمد بن طولون قبل ان يعدل**
استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا الى السيدة نفيسه يشكونه اليها فقالت لهم متى يركب
قالوا في غد فكتبت رقعة ووقفت في طريقه وقالت يا احمد بن طولون فلما رآها عرفها
فترجل عن فرسه واخذ الرقعة منها وقراها واذا فيها مكتوب ملكتم فاسرتم
وقدرتم فقهرتم وخولتم فعسفتم وردت اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم ان
سهام الاسحار نفذه لا سيما من قلوب اوجعتموها واجساد اعريتموها اعملوا ما شئتم
فانا صابرون وجوروا فانا مستجيرون واظلموا فانا الى الله متظلمون وسيعلم الذين
ظلموا اي منقلب ينقلبون **قال** فعدل لوقته وساعته فيتعين على كل عاقل ان يكف يده
عن الظلم ويسلك سنن العدل ويتعامل بالنصفه ويراقب الله تعالى في السر والعلانية ويعلم
ان الله يجازي على الخير والشر ويعاقب الظالم على ظلمه والسلام **حكى** ابو محمد الحسن بن
محمد الصالحي رحمه الله قال كنا حول سرير المعتضد بالله ذات يوم نصف النهار فنام بعد ان
اكل فانتبه منزعجا وقال يا خدام فاسرعنا الجواب فقال ويلكم اعينوني والحقوا بالشط
فاول ملاح ترونه منحدرًا في سفينة فارغة فاقبضوا عليه وائتوني به ووكلوا بالسفينة من
يحفظها فاسرعنا فوجدنا ملاحا في سماوية منحدرة وهي فارغة فقبضنا عليه ووكلنا بالسماوية
وصعدنا به فلما رآه الملاح كاد يتلف فصاح عليه المعتضد صيحة عظيمة كادت روحه ترهق
معها وقال اصدقني يا ملعون عن قصتك مع المراة التي قتلتها اليوم والا ضربت عنقك فتلعثم
وقال نعم كنت اليوم في المشرعة الفلانية فنزلت امراة لم ار مثلها وعليها ثياب فاخرة وحلي
كثير وجوهر فطمعت فيها واحتلت عليها حتى سددت فمها وغرقتها واخذت جميع ما كان معها ثم
طرحتها في الماء ولم اجسر على حمل سلبها الى داري لئلا يفشو الخبر علي فعمدت الى الهروب والانحدار
الى واسط فصبرت الى ان خلا الشط في هذه الساعة من الملاحين واخذت في الانحدار فتعلق
بي هؤلاء القوم وحملوني قال فاين الحلي والسلب قال في صدر السفينة تحت البواري فقال

المعتضد

المعتضد علي به الساعه فحضروا به وامر بتغريق الملاح ثم امر ان ينادي ببغداد من خرجت
له امراة الى المشرعة الفلانية سحرا وعليها ثياب وحلي فليحضر فحضر في اليوم الثاني اهلها واعطوا
صفتها وصفة ما كان عليها فسلم اليهم قال فقلت يا مولاي اوحي اليك بهذه الحالة فقال
رايت في منامي رجلا شيخا ابيض الراس واللحية والثياب وهو ينادي يا احمد اول ملاح ينحدر
الساعة فاقبض عليه وقرره على المراة التي قتلها اليوم وسلبها ثيابها واقم عليه الحد ولا تفتك
فكان ما شاهدتم والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

الباب الحادي والعشرون في
بيان الشروط التي توخذ على العمال وسيرة السلطان
واستجباء الخراج واحكام اهل الذمة وفيه فصلان

الفصل الاول في سيرة السلطان واستجباء الخراج والانفاق من بيت المال وسيرة
العمال **قال** جعفر بن يحيى رحمه الله الخراج عماد الملوك وما استعوذ بمثل العدل ولا
استنور بمثل الظلم واسرع الامور في خراب البلاد تعطيل الارضين وهلاك الرعية وانكسار
الخراج من الجور **ومثال** السلطان اذا اجحف باهل الخراج حتى يضعفوا عن عمارة الارضين مثل من
يقطع لحمه وياكله من الجوع فهو ان شبع من ناحية فقد ضعف من ناحية وما ادخل على نفسه من الوجع
والضعف اعظم مما دفع عن نفسه من الم الجوع ومثل من كلف الرعية فوق طاقتهم كالذي يطين
سطحه بتراب اساس بيته واذا ضعف المزارعون عجزوا عن عمارة الارضين فيتركونها فتخرب
الارض فيهرب المزارع فتضعف العمارة ويضعف الخراج وينتج ذلك ضعف الاجناد واذا ضعف
الجند طمع الاعداء في السلطان **وروي** ان المامون رحمه الله ارق ذات ليلة فاستدعى سميرا
يحدثه بحديث فقال يا امير المؤمنين كان بالبصرة بومة وبالموصل بومة فخطبت بومة الموصل
الى بومة البصرة ابنتها لابنها فقالت بومة البصرة لا اجيب خطبة ابنك حتى تجعل لي في صداق
ابنتي مائة ضيعة خراب فقالت بومة الموصل لا اقدر عليها ولكن ان دام والينا سلمه الله
علينا سنة واحدة فعلت ذلك قال فاستيقظ لها المامون وجلس للمظالم وانصف الناس
من بعضهم بعضا وتفقد امور الولاة والعمال **قال** ابو الحسن بن علي الاسدي رحمه الله قال
اخبرني ابي قال وجدت في كتاب قبطي باللغة الصعيدية مما نقل بالعربية انه بلغ ما كان
يستخرج لفرعون يوسف الصديق من اموال مصر للخراج سنة واحدة من الذهب العين اربعة
وعشرون الف الف واربعمائة الف دينار من ذلك ما يصرف في عمارة البلاد لحفر الخلجان والانفاق
على الجسور وسد الترع ثم تقويته من غير رجوع عليه بها لاقامة العوامل والتوسعة في البذار
وغير ذلك من الالات واجرة من يستعان به لحمل البذار وسائر نفقات تنظيف الارض ثمانية
الف دينار وما يصرف للارامل والايتام وان كانوا غير محتاجين حتى لا تخلوا امثالهم من بر

فرعون ارتفاعه الف دينار وما يصرف في الصدقات مما يصيب مساوينادي برئت الذمة
من رجل كشف وجهه لفاقة ولم عيش فحضر لذلك جمع كثير ما بين الف دينار فاذا فرقت
الاموال على اربابها دخل امنا فرعون اليه وهنوه بتفرقة الاموال ودعوا له بطول البقاء
ودوام العز والنجا والسلامة والقوا اليه حال الفقرا وتجبير سحنتهم ويمد لهم السماط
فياكلون بين يديه ويشربون وينحل من كل واحد منهم سبب فاقته فان كان ذلك من آفة
الزمان زاد عليه مثل الذي كان له وما يصرف في صدقات فرعون الراتبة لسنة مائتا
الف دينار ويحصل بعد ذلك مما يتسلمه يوسف عليه السلام للملك ويجعله في بيت المال
لنوايب الزمان اربعة عشر الف الف وستماية الف دينار وقال ابو دهم رحمه الله كان
ارض مصر ارضا مدبرة حتى ان الما يجري تحت منازلها وافنيتها فيحبسونه حيث شاوا
وذلك قول فرعون اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي الآية وكان ملك مصر عظيما
لم يكن في الارض ملك اعظم منه وكانت الجنات على شاطي النيل متصلة لا ينقطع منها شي عن شي
والزرع كذلك من اسوان الى رشيد وكانت ارض مصر تروى من ستة عشر ذراعا لما دبروا
من جسورها وخلجانها والزرع ما بين الجبلين من اولها الى آخرها وذلك قوله تعالى كم تركوا
من جنات وعيون وزروع ومقام كريم الآية وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنه استعمل
فرعون هامان على حفر خليج سردوس فاخذ في حفره وتدبيره فجعل اهل القرى يسالونه
ان يجري لهم الخليج تحت قريتهم ويعطوه مالا فكان يذهب به من قرية الى قرية من
المشرق الى المغرب ومن الشمال الى القبلة ويسوقه كيف اراد فليس خليج بمصر اكثر طوفا
منه فاجتمع له من ذلك اموال عظيمة جزيلة فحملها الى فرعون واخبره بالخبر فقال له فرعون
ينبغي للسيد ان يعطف على عبيده ويفيض عليهم من خزائنه وذخائره ولا يرغب فيما بايديهم
رد على اهل القرى اموالهم فرد عليهم ما اخذ منهم فهذه سيرة من لا يعرف الله ولا يرجو
لقاه ولا يخاف عذابه ولا يؤمن بيوم الحساب فكيف يجب ان تكون سيرة من يقول
لا اله الا الله محمد رسول الله ويؤمن بالحساب والثواب والعقاب وقال ابن عباس
رضي الله عنه في قوله تعالى واجعلني على خزائن الارض قال هي خزائن مصر ولما استوثق امر
يوسف عليه السلام وكمل وصارت الاشيا اليه واراد الله ان يعوضه على صبره لما لم يركب
محارمه وكانت مصر اربعين فرسخا في مثلها وما اطاع يوسف فرعون وتاب عنه الا بعد
ان دعاه الى الاسلام وافتقرت زليخا وعمي بصرها وجعلت تتكفف الناس فقيل لها لو تعرضتي
للملك لعله يرحمك ويغنيك فطالما حفظتيه واكرمتيه ثم قيل لها لا تفعلي لانه ربما
يتذكر ما كان منك اليه من المراودة والحبس فيسي اليك ويكافيك على ما اسويتك اليه
فقالت انا اعلم بحلمه وكرمه فجلست على رابية في طريقه يوم خروجه وكان يركب في زها مائة الف

من عظما قومه واهل مملكته فلما احست به قامت اليه ونادت سبحان من جعل الملوك عبيدا
بمعصيتهم والعبيد ملوكا بطاعتهم فقال يوسف عليه السلام من انت فقالت انا التي كنت اخدمك
بنفسي وارجل شعرك بيدي واكرم مثواك عندي وكان مني ما كان وقد ذقت وبال امري
وذهبت قوتي وتلف مالي وعمي بصري وصرت اسال الناس فمنهم من يرحمني ومنهم من لا يرحمني بعدما
كنت مغبوطة اهل مصر كلها صرت مرحومتهم بل محرومتهم وهذا جزا المفسدين فبكى يوسف عليه السلام
بكا شديدا وقال لها هل بقي في قلبك من حبك اياي شيا فقالت والذي اتخذ ابراهيم خليلا
لنظرة اليك احب الي من ملي الارض ذهبا وفضة فمضى يوسف عليه السلام وارسل اليها فقال
لها ان كنت ايما تزوجتك وان كنت ذات بعل اغنيناك فقالت لرسول الملك اعوذ بالله من ان
يستهزي بي هو لم يردني ايام شبابي وجمالي فكيف يقبلني وانا عجوز عميا فقيرة فامر بها يوسف
عليه السلام فجهزت وتزوج بها ودخلت عليه فصف يوسف عليه السلام قدماه وقام يصلي
ودعا باسم الله الاعظم فرد عليها حسنها وجمالها وشبابها وبصرها كهيئتها يوم راودته
عن نفسه فواقعها فاذا هي بكر فولدت له افرائيم بن يوسف وميشا وطاب في الاسلام
عيشهما حتى فرق الموت بينهما فسبحان القوي والضعيف والغني ان لا ينسى الفقير فرب
مطلوب يصير طالبا ومرغوب يصير راغبا ومسول يصير سايلا وراحم يصير مرحوما
فنسال الله تعالى ان يرحمنا برحمته وان يغنينا من فضله وسعته ولما ملك يوسف
عليه السلام خزائن الارض كان يجوع ويأكل خبز الشعير فقيل له تجوع وبيدك خزائن الارض قال
اخاف ان اشبع فانسى الجياع وروي ان عمر رضي الله عنه استعمل على مدينة حمص رجلا يقال
له عمير بن سعد رحمه الله فلما مضت السنة كتب اليه عمر ان يقدم عليه فلم يشعر به عمر رضي الله عنه
ان قدم عليه حافيا وعكازته بيده واداوته ومزوده وقصعته على ظهره فلما نظر اليه عمر
قال له اجئتنا ام البلاد بلاد سو فقال يا امير المومنين اما نهاك الله تعالى ان تجهر
بالسو وعن سو الظن وقد جئتك بالدنيا احرها بقرابها قال وما معك من الدنيا قال
عكازة اتوكا عليها وادفع بها عدوا ان لقيته ومزودي احمل فيه طعامي وركوتي هذه احمل
فيها ما اشرب وطهوري وقصعتي هذه اتوضا فيها واغسل فيها راسي واكل فيها طعامي فوالله
يا امير المومنين ما الدنيا الا تبعا لما معي قال فقام عمر رضي الله عنه من مجلسه الى قبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر فبكى بكا شديدا ثم قال اللهم الحقني بصاحبي غير مفتضح
ولا مبدل ثم عاد الى مجلسه فقال له ما صنعت في عملك يا عمير قال اخذت الابل من اهل الابل والجزية
من اهل الذمة عن يد وهم صاغرون ثم قسمتها بين الفقرا والمساكين وابنا السبيل فوالله
يا امير المومنين لو بقي عندي منها شي لاتيتك به فقال له عمر عد الى عملك فقال عمير رحمه الله
انشدك الله ان تردني الى اهلي فاذن له فاتى اهله فبعث عمر رضي الله عنه رجلا يقال له

حبيب بمائة دينار فقال له امض الى عمير وانزل عليه ثلثة ايام فان كان خائنا لم يخف عليك في عيشه واهل بيته وان لم يكن خائنا خاف عليك فادفع اليه المائة دينار فاتاه حبيب فنزل به ثلثة ايام فلم يرد عليه الا الشعير فلما مضت ثلثة ايام قال يا حبيب ارايت ان تتحول الى جيراننا فلعلهم ان يكونوا اوسع عيشا منا فانا والله لو كان عندنا غير هذا لاثرناك به قال فدفع له المائة دينار وقال بعث بها امير المؤمنين اليك فدعا بفرو خلق لامراته فجعل يصر فيها الخمسة دنانير والستة والسبعة ويبعث بها الى اخوانه من الفقراء الى ان نفدها فقدم حبيب على عمر رضي الله عنهما وقال يا امير المؤمنين جئتك من عند ازهد الناس وما عنده من الدنيا لا قليل ولا كثير فامر له عمر رضي الله عنه بوسقين من طعام وثوبين فقال يا امير المؤمنين اما الثوبين فاقبلهما واما الوسقين فلا حاجة لي بهما عندنا اهلي صاع من بر هو كافيهم حتى ارجع اليهم وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه صر اربعمائة دينار وقال للغلام اذهب بها الى ابي عبيدة بن الجراح ثم تربص في البيت عنده ساعة ثم حتى تنظر ما يصنع بها فذهب بها الغلام اليه وقال يقول لك امير المؤمنين اجعل هذه في بعض حاجتك فقال وصله الله ورحمه ثم دعا بجاريته وقال اذهبي بهذه الخمسة الى فلان وبهذه الخمسة الى فلان حتى انفدها فرجع الغلام فاخبره بما وقع ووجده قد اعد مثلها لمعاذ بن جبل رضي الله عنه وانظر ما يكون من امره فمضى اليه وقال له كما قال لعبيدة بن الجراح ففعل كما فعل ابو عبيدة فرجع الغلام واخبر عمر رضي الله بما راى فقال انهم اخوة بعضهم من بعض

الفصل الثاني في احكام اهل الذمة

روى عبد الرحمن بن غنم رحمه الله قال كتبنا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى اهل الشام نقول بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب لعبد الله عمر امير المؤمنين من نصارى مدينة كذا انكم لما قدمتم علينا سالناكم الامان لانفسنا وذرارينا واموالنا واهل ملتنا وشرطنا لكم على انفسنا ان لا نحدث في مدايننا ولا فيما حوالها ديرا ولا كنيسة ولا قلية ولا صومعة راهب ولا نجدد ما خرب منها ولا ما كان مختطا منها في خطط المسلمين في ليل ولا نهار وان نوسع ابوابها للمار وابن السبيل وان ننزل من مر بنا من المسلمين ثلث ليال نطعمهم ولا ناوي في كنايسنا ومنازلنا جاسوسا ولا نكتمه عن المسلمين ولا نعلم اولادنا القرآن ولا نظهر شرعنا ولا ندعوا اليه احدا ولا نمنع احدا من ذوي قراباتنا الدخول في دين الاسلام ان ارادوه وان نوقر المسلمين ونقوم لهم من مجالسنا اذا ارادوا الجلوس ولا نتشبه بهم في شي من ملابسهم من قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا نتكلم بكلامهم ولا نتكنى بكناهم ولا نركب بالسروج ولا نتقلد بالسيوف ولا نتخذ شيئا من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش على خواتيمنا بالعربية ولا نبيع الخمور وان نجز مقادم رؤوسنا ونلزم زينا حيثما كنا وان نشد الزنانير على اوساطنا

ولا نظهر صليبا ننا ولا كتبنا في شي من اسواق المسلمين ولا طرقهم ولا نضرب بالنواقيس في كنايسنا الا ضربا خفيفا ولا نرفع اصواتنا بالقراءة في كنايسنا ولا نرفع اصواتنا مع موتانا ولا نظهر النيران في شي من طرق المسلمين ولا اسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرى عليه سهام المسلمين ولا نطلع على منازلهم شرطنا ذلك على انفسنا وعلى اهل ملتنا وقبلنا عليه الامان فان نحن خالفنا في شي مما شرطناه لكم وضمنا على انفسنا فلا ذمة لنا وقد حل بنا ما يحل باهل المعاندة والشقاق فكتب اليه عمر رضي الله عنه ان امض ما سالوه والحق فيه حرفين واشترطهما عليهم مع ما اشترطوا على انفسهم ان لا تشتروا شيئا من سبايا المسلمين ومن ضرب مسلما عمدا فقد خلع عهده وروي ان بني تغلبة دخلوا على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فقالوا يا امير المؤمنين انا قوم من العرب افرض لنا قال نصارى قالوا نصارى قال ادعوا لي حجاما ففعلوا فجز نواصيهم وشق من اردیتهم حزما يحتزمون بها وامرهم ان لا يركبوا بالسروج ويركبوا على الاكف من شق واحد وروي ان امير المؤمنين جعفر المتوكل رحمه الله اقصى اليهود والنصارى ولم يستعملهم واذلهم وابعدهم وخالف بين زيهم وزي المسلمين وقرب اهل الحق وابعد عنه اهل الباطل فاحيى الله به الحق وامات به الباطل فهو يذكر بذلك ويترحم عليه ما دامت الدنيا وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول لا تستعملوا اليهود والنصارى فانهم اهل رشى في دينهم ولا يحل الرشى ولما استقدم عمر ابا موسى الاشعري رضي الله عنهما من البصرة وكان عاملا عليها للحساب دخل على عمر وهو في المسجد فاستاذن لكاتبه وكان نصرانيا فقال له عمر قاتلك الله وضرب بيده على فخذه وليت ذميا على المسلمين اما سمعت الله تعالى يقول يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض الآية هلا اتخذت حنيفيا فقال يا امير المؤمنين لي كتابته وله دينه فقال لا اكرمهم اذ اهانهم الله ولا اعزهم اذ اذلهم الله ولا ادنيهم اذ اقصاهم الله وكتب بعض العمال الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان العدو قد كثر وان الجزية قد كثرت نستعين بالاعاجم فكتب اليه انهم اعداء الله وانهم لنا غششة فانزلوهم حيث انزلهم الله ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بدر لحقه رجل من المشركين بالحرة فقال له اني اريد ان اتبعك واصيب معك فقال له تؤمن بالله ورسوله قال لا قال فارجع فلن استعين بمشرك ثم لحقه عند الشجرة فقال جئتك لاتبعك واصيب معك قال تؤمن بالله ورسوله قال لا قال ارجع فلن استعين بمشرك ثم لحقه عند ظهور البيدا ففرح به المسلمون وكان له قوة وجلد فقال له مثل ذلك فقال تؤمن بالله ورسوله قال نعم قال فخرج به وهذا اصل عظيم في ان لا يستعان بكافر هذا وقد خرج ليقاتل بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم ويراق دمه فكيف استعمالهم على رقاب المسلمين وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله

إلى عماله ألا لا تولوا على أعمالنا إلا أهل القرآن فكتبوا إليه أنا قد وجدنا فيهم
خيانة فكتب لهم إن لم يكن في أهل القرآن خير فأحذر أن لا يكون في غيرهم **قال** أصحاب
الشافعي رضي الله عنه ويلزمهم أن يتميزوا عن المسلمين في اللباس وأن يلبسوا قلانس يميزونها
عن قلانس المسلمين بالحمرة ويشدوا الزنانير في أوساطهم ويكون في رقابهم خاتم من رصاص أو
نحاس أو جرس يدخلون به الحمام وليس لهم أن يلبسوا العمائم ولا الطيلسانات وأما المرأة
فإنها تشد الزنار من تحت الإزار وقيل من فوق الإزار وهو الأولى ويكون في عنقها خاتم يدخل
به الحمام ويكون أحد خفيها أسود والآخر أبيض ولا يركبون الخيل ولا البغال والحمر إلا بالأكف
عرضا ولا يركبون بالسروج ولا يتصدرون في المجالس ولا يبدؤون بالسلام ويلجئون
إلى أضيق الطرق ويمنعون أن يتطاولوا على المسلمين في البنيان وتجوز المساواة وقيل لا
وإن تملكوا دارا عالية أقروا عليها ويمنعون من إظهار المنكر والخمر والخنزير والناقوس
والجهر بالتوراة والإنجيل ويمنعون من المقام في أرض الحجاز وهي مكة والمدينة واليمامة
وإن امتنعوا من أداء الجزية والتزام أحكام أهل الملة انتقض عهدهم وإن زنا أحد منهم بمسلمة
أو أصابها بنكاح أو آوى عينا من الكفار أو دل على عورة المسلمين أو فتن مسلما عن دينه
أو قتله أو قطع عليه الطريق ينتقض ذمته **فصل** وفي تقدير الجزية اختلاف بين
العلماء أنها مقدرة بالأقل والأكثر على ما كتب به عمر إلى عثمان بن حنيف رضي الله عنهما بالكوفة
فوضع على الغني ثمانية وأربعين درهما وعلى من دونه اثني عشر درهما وذلك بمحضر من الصحابة
ولم يخالفه أحد وكان الصرف اثني عشر بدينار وهذا مذهب أبي حنيفة وأحمد بن حنبل
وأحد قولي الشافعي رضي الله عنهم ويجوز للإمام أن يزيد على ما قدره عمر رضي الله عنه ولا
يجوز أن ينقص منه ولا جزية على النساء والمماليك والصبيان والمجانين **فصل** وأما
الكنائس فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهدم كل كنيسة قبل الإسلام ومنع أن تجدد
كنيسة وأن لا يظهر عليه خارج من كنيسة ولا يظهر صليب خارج من كنيسة إلا كسر على رأس
صاحبه وكان عروة بن محمد رحمه الله يهدمها بصنعاء وهذا مذهب علماء المسلمين أجمعين وشدد
في ذلك عمر بن عبد العزيز رحمه الله وأمر أن لا يترك في دار الإسلام بيعة ولا كنيسة بحال
قديمة كانت أو حديثة وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

الباب الثاني والعشرون في
اصطناع المعروف وإغاثة الملهوف وقضاء
حوائج المسلمين وما أشبه ذلك

قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى في عون أخيه ومنفعته فله ثواب المجاهدين في سبيل الله

وعن

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الخلق كلهم عيال الله فأحب الخلق إليه
أنفعهم لعياله رواه البزار والطبراني في معجمه ومعنى عيال الله فقراء الله تعالى وهو يعولهم
وروينا في مسند الشهاب عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال خير الناس
أنفعهم للناس وعن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده رضي الله عنهم قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لله خلقا خلقهم لقضاء حوائج الناس آلى على نفسه أن لا يعذبهم
بالنار فإذا كان يوم القيامة وضعت لهم منابر من نور يحدثون الله تعالى والناس في الحساب
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سعى لأخيه
المسلم في حاجة فقضيت له أو لم تقض غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وكتب له
براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قضى لأخيه حاجة كنت واقفا له عند ميزانه فإن رجح وإلا شفعت له
رواه أبو نعيم في الحلية **وروينا** في مكارم الأخلاق لأبي بكر الخرائطي رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى في حاجة أخيه المسلم كتب الله له بكل خطوة
سبعين حسنة وكفر عنه سبعين سيئة فإن قضيت حاجته على يديه خرج من ذنوبه كيوم
ولدته أمه فإن مات في خلال ذلك دخل الجنة بغير حساب **وعن** ابن عباس رضي الله
عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مشى مع أخيه في حاجة فناصحه فيها جعل
الله بينه وبين النار سبع خنادق ما بين الخندق والخندق مثل ما بين السماء والأرض رواه
أبو نعيم وابن أبي الدنيا **وعن** عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
إن لله عند أقوام نعما يقرها عندهم ما كانوا في حوائج المسلمين ما لم يملوهم فإذا ملوهم نقلها
الله تعالى إلى غيرهم رواه الطبراني **وروينا** من طريق الطبراني رحمه الله بإسناد جيد عن
ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من عبد أنعم الله عليه نعمة
فأسبغها عليه ثم جعل حوائج الناس إليه فتبرم فقد عرض تلك النعمة للزوال **وعن** أنس بن
مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أغاث ملهوفا كتب الله له
ثلاثا وسبعين حسنة واحدة منها يصلح بها آخرته ودنياه والباقي في الدرجات **وعن** أبي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتدرون ما يقول الأسد في زئيره
قالوا الله ورسوله أعلم قال يقول اللهم لا تسلطني على أحد من أهل المعروف رواه أبو منصور
الديلمي في الفردوس **وعن** ابن عمر رضي الله عنه قال قيل يا رسول الله أي الناس أحب إليك قال
أنفع الناس للناس قيل فأي الأعمال أفضل قال إدخال السرور على المؤمن قيل وما سرور المؤمن
قال إشباع جوعته وتنفيس كربته وقضاء دينه ومن مشى مع أخيه في حاجة كان كصيام شهر
واعتكافه ومن مشى مع مظلوم يعينه ثبت الله قدمه يوم تزل الأقدام ومن كف غضبه

ستر الله عورته وان الخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن انس رضي الله
عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من لقي اخاه المسلم بما يحب ليسره بذلك سره
الله يوم القيمة رواه الطبراني في الصغير باسناد حسن وعن جعفر بن محمد عن ابيه عن جده
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ادخل رجل على مؤمن سرورا الا خلق الله
تعالى من ذلك السرور ملكا يعبد الله عز وجل ويوحده فاذا صار العبد في قبره اتاه ذلك السرور
فيقول اما تعرفني فيقول من انت فيقول انا السرور الذي ادخلتني على فلان انا اليوم اونس
وحشتك والقنك حجتك واثبتك بالقول الثابت واشهدك مشاهدك يوم القيمة واشفع
لك الى ربك واريك منزلك في الجنة رواه ابن ابي الدنيا وعن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه يرفعه
اذا اراد احدكم الحاجة فليبكر لها يوم الخميس وليقرا اذا خرج من منزله آخر سورة آل عمران
وآية الكرسي وانا انزلناه في ليلة القدر وام الكتاب فان فيها حوايج الدنيا والآخرة
ومن كلام الحكماء اذا سالت كريما حاجة فدعه يفكر فانه لا يفكر الا في خير واذا سالت
لئيما حاجة فعاجله لئلا يشير عليه طبعه ان لا يفعل وسال رجل رجلا حاجة ثم توانى عن طلبها
فقال له المسؤول اغتنم عن حاجتك فقال ما نام عن حاجته من اسهرك لها ولا عدل بها عن محجة
النجح من قصدك بها فتعجب من فصاحته وقضى حاجته وامر له بمال جزيل وقال سلم بن
قتيبة لقد سالني فتى لكونك بالعطية ابسط من لساني بالمسالة فامر له بالف دينار وقال
علي كرم الله وجهه فوت الحاجة اهون من طلبها الى غير اهلها وعنه لا تكثر على اخيك الحوايج فان
العجل اذا افرط في مص ثدي امه نطحته وقال ذو الرياستين رحمه الله لثمامة بن اشرس
ما ادري ما اصنع بكثرة الطلاب فقال زل عن موضعك وعلي ان لا يلقاك منهم احد فقال
صدقت وجلس لقضاء حوائجهم وحدث ابو جعفر بن محمد بن القاسم الكرخي رحمه الله قال
عرضت على ابي الحسن علي بن محمد بن الفرات رحمه الله رقعة في حاجة لي فقراها ووضعها من
يده ولم يوقع فيها شيئا فاخذتها وقمت وانا اقول متمثلا بحيث يسمع ما اقول

شعر

وَاذا خطبت الى كريم حاجة ۝ وابى فلا تقعد عليه بحاجب
فلربما منع الكريم وما به ۝ بخل ولكن سوء حظ الطالب

فقال وقد سمع ما قلت يا ابا جعفر ارجع بغير سوء حظ الطالب ولكن اذا اسانا الحاجة
فعاودونا فان القلوب بيد الله تعالى واخذ مني الرقعة ووقع فيها ما اردت وسال اسحق
بن يحيى اسحق بن ابراهيم المصعبي رحمه الله ان يوصل له رقعة الى المامون فقال لكاتبه ضمها الى
رقعة فلان فقال

شعر

تأن لحاجتي واشدد عراها ۝ فقد اضحت بمنزلة الضياع

اذا

اذا شاركتها بيان اخرى ۝ اضر بها مشاركة الوجاع

وقال ابو دلف العجلي رحمه الله

اضحت حوايجنا اليك مناخة ۝ معقولة برحابك الوصال
اطلق فديتك بالنجاح عقالها ۝ حتى تنوء معا بغير عقال

وقال مسلم الخاسر رحمه الله

اذا اذن الله في حاجة ۝ اتاك النجاح على رسله
فلا تسال الناس من فضلهم ۝ ولكن سل الله من فضله

ولله در القائل حيث يقول

ايها المادح العباد ليعطى ۝ ان لله ما بايدي العباد
فسل الله ما طلبت اليهم ۝ وارج فضل المقسم العواد

وعن عبد الله بن الحسن رحمه الله قال اتيت باب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في حاجة فقال
اذا كانت لك الي حاجة فارسل الي رسولا واكتب الي كتابا فاني استحيي من الله تعالى ان يراك على
بابي وعن علي رضي الله عنه قال والذي وسع سمعه الاصوات ما من احد اودع قلبا سرورا
الا خلق الله تعالى من ذلك السرور لطفا فاذا نزلت به نائبة جرى اليها كالماء في انحداره حتى
يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقيل لجابر بن عبد الله يا جابر من كثرت نعمة الله عليه كثرت
حوائج الناس اليه فان قام بما يجب لله فيها عرضها للدوام والبقاء وان لم يقم فيها بما يجب لله عرض
نعمته لزوالها نعوذ بالله من زوال النعمة ونساله التوفيق والعصمة بمنه وكرمه امين

الباب الثالث والعشرون
في محاسن الاخلاق ومساويها قال الله تعالى

لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وانك لعلى خلق عظيم فخص الله تعالى نبيه عليه السلام بمزيد من كرم الطباع
ومكارم الاخلاق ومن الحياء والكرم والصفح وحسن العهد ما لم يوته غيره ثم ما اثنى الله تعالى
على نبي من انبيائه بمثل ما اثنى عليه بحسن الخلق فقال تعالى انك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضي
الله عنها كان خلقه القران يغضب لغضبه ويرضى لرضاه وكان الحسن رضي الله عنه اذا ذكر رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال هو اكرم ولد آدم على الله عز وجل واعظم الانبياء منزلة عنده لقد
اوتي مفاتيح الدنيا فاختار ما عند الله تعالى وكان ياكل على الارض ويجلس على الارض ويقول
انما انا عبد آكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد وكان يلبس المرقوع والصوف ويرقع ثوبه
ويخصف نعله ويركب الحمار ويردف خلفه وياكل الخشن من الطعام وما شبع من خبز بر ثلثة ايام
متوالية حتى لقي الله تعالى ومن دعاه لباه ومن صافحه لم ينزع منه يده حتى يكون هو الذي يدعها
ويعود المريض ويشيع الجنائز ويجالس الفقراء اعظم الناس مخافة وانصبهم لله بدنا

... النبي صلى الله عليه وسلم

واجدهم في امر الله لا يأخذه في الله لومة لائم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر
انا والله ما كان تخلق دونه الابواب ولا كان دونه حجاب صلى الله عليه وسلم وقالت عائشة
رضي الله عنها ما ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحاسن الناس لرجحت وهي قوله عليه السلام
انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم باخلاقكم وفي رواية اخرى تسعوهم ببسط الوجه
والخلق الحسن وعنه صلى الله عليه وسلم حسن الخلق زمام من رحمة الله في انف صاحبه والزمام
بيد الملك والملك يجره الى الخير والخير يجره الى الجنة وسوء الخلق زمام من عذاب الله في انف
صاحبه والزمام بيد الشيطان والشيطان يجره الى الشر والشر يجره الى النار وقال
بعض السلف الحسن الخلق ذو قرابة عند الاجانب والسيء الخلق اجنبي عند اهله وقال الفضيل رحمه الله
لان يصحبني فاجر حسن الخلق احب الي من ان يصحبني عابد سيء الخلق لان الفاجر اذا حسن خلقه خف
على الناس واحبوه والعابد اذا ساء خلقه مقتوه وقد قيل بيت

اذا ارام التخلق جاذبته ... خلائقه الى الطبع المقدم

قيل ليس لسيء الخلق توبة لانه لم يخرج من ذنب الا دخل في اخر لسوء خلقه وعن عائشة رضي الله عنها
قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بلغه عن الرجل شيء لم يقل ما بال فلان يقول
ولكن يقول ما بال اقوام يقولون هذا حتى لا يفضح احدا صلوات الله وسلامه عليه وعنه
صلى الله عليه وسلم ما من شيء في الميزان اثقل من خلق حسن وقال صلى الله عليه وسلم من صدق
لسانه زكى عمله ومن حسنت سيرته زيد في رزقه ومن حسن بره لاهل بيته زيد في عمره ثم
قال وحسن الخلق وكف الاذى يزيدان في الرزق وقيل سوء الخلق يعدي لانه يدعو الى ان يقابل
بمثله وكتب الحسن بن علي الى اخيه الحسين رضي الله عنهم في اعطائه الشعرا فكتب اليه الحسين
انت اعلم مني بان خير المال ما وقي به العرض فانظر الى شرف ادبه وحسن خلقه كيف ابتدا كتابه
بانت اعلم مني ووقع بينه وبين اخيه كلام فقيل له ادخل على اخيك فهو اكبر منك فقال اني
سمعت جدي صلى الله عليه وسلم يقول ايما اثنين جرى بينهما كلام فطلب احدهما رضى الآخر كان
سابقه الى الجنة وانا اكره ان اسبق اخي الاكبر فبلغ ذلك الحسن فجاء اليه عاجلا وقد قيل

شعر

وانى لالقى المرء اعلم انه ... عدو وفي احشائه الطعن كامن
فامنحه بشرى فيبرح قلبه ... سليما وقد ماتت لديه الضغائن

وسرق لبعض حاشية جعفر بن سليمان رحمه الله جوهرة نفيسة وباعها بالجزيل فانفذ
الى الجوهريين بصفتها فقالوا اباعها فلان من مدة ثم ان ذلك الرجل الذي سرقها امسك واحضر
بين يديه فلما رآه تغير لونه قال له اراك قد تغير لونك الست يوم كذا طلبت مني هذه
الجوهرة فوهبتها لك واقسم بالله لقد انسيت هذا ثم امر للجوهريين بثمنها وقال للرجل

خذها

خذها الآن ولتكن حلالا لا بالثمن الذي تطيب نفسك لا من خائف ودخل محمد بن عباد
على المأمون رحمهما الله فجعل يحمحم بيده وجارية على رأسه تتبسم فقال لها المأمون مم تضحكين
فقال ابن عباد انا اخبرك يا امير المؤمنين تتعجب من فتحي واكرامك لي فقال لا تعجبي فان تحت هذه
اللحية كرما ومجدا وقال الشاعر

وهل ينفع الفتيان حسن وجوههم ... اذا كانت الاعراض غير حسان
فلا تجعل الحسن الدليل على الفتى ... فما كل مصقول الحديد يمان

ويحكى ان بهرام الملك رحمه الله خرج يوما للصيد فانفرد وراى صيدا وتبعه طامعا
في لحاقه حتى انقطع عن اصحابه فنظر الى راع تحت شجرة فنزل عن فرسه ليبول وقال للراعي
احفظ علي فرسي حتى ابول فعمد الراعي الى العنان وكان ملبسا ذهبا كثيرا فاستغفل بهرام
واخرج سكينا فقطع اطراف اللجام فرفع بهرام نظره اليه فاستحى واطرق ببصره الى الارض
واطال الجلوس حتى اخذ الرجل حاجته فقام بهرام ووضع يده على عينيه وقال للراعي قدم الي
فرسي فانه قد دخل في عيني من سافي الريح فما اقدر على فتحها فقدمه اليه فركب وسار الى ان وصل
الى عسكره فقال لصاحب مراكبه ان اطراف اللجام قد وهبتها فلا تتهمن بها احدا
وذكر ان انوشروان رحمه الله وضع الموائد للناس في يوم نوروز وجلس وجوه مملكته
الاعوان فلما فرغوا من الطعام جاؤوا بالشراب واحضرت الفواكه والمشموم في آنية
الذهب والفضة فلما رفعت آلة المجلس اخذ بعض من حضر جام ذهب وزنه الف مثقال فشاله
واخفاه تحت ثيابه وانوشروان يراه ففقده الشرابي فقال بصوت عال لا يخرجن احد
حتى يفتش فقال كسرى ولم فاخبره بالقصة فقال قد اخذه من لا يرده ورآه من لا ينم عليه
فلا تفتش احدا فاخذ الرجل الجام ومضى فكسره وصاغ منه منطقة وحلية لسيفه وجدد له
كسوة جميلة فلما كان في مثل يوم جلوس الملك دخل ذلك الرجل بتلك الحلية فدعاه كسرى وقال
له هذا من ذاك فقبل الارض وقال نعم اصلحك الله وقال عبد الله بن طاهر رحمه الله
كنت عند المأمون يوما فنادى بالخادم يا غلام فدخل غلام تركي وهو يقول ما ينبغي للغلام
ان يأكل ولا يشرب كلما خرجنا من عندك تصيح يا غلام الى كم يا غلام يا غلام فنكس رأسه طويلا
فما شككت انه يأمر بضرب عنقه ثم قال يا عبد الله ان الرجل اذا حسنت اخلاقه ساءت
اخلاق خدمه واذا ساءت اخلاقه حسنت اخلاق خدمه ولا نستطيع ان نسيء اخلاقنا
لتحسن اخلاق خدمنا وقال ابن عباس رضي الله عنه ورد علينا الوليد بن عتبة بن ابي سفيان
المدينة واليا وكان وجهه ورقة من ورق المصاحف فوالله ما ترك فينا فقيرا الا اغناه ولا
مديونا الا ادى عنه دينه ينظر الينا بعين ارق من الماء ويكلمنا بكلام احلى من الجنى ولقد
شهدت منه مشهدا لو كان من معاوية لذكرته تغدينا عنده يوما فاقبل الفراش بصحفة فعثر

الوسادة فبدرت الصحفة من يده والله ما ردها الا اذ فقده وانكب جميع ما فيها في حجره وثمّ
الغلام واقفا ما معه من روحه الا ما تقيم جسده فقام الوليد رحمه الله فدخل وغير ثيابه
ثم اقبل الينا بثوب اسارير وجهه ثم اقبل على الغلام وقال له يا ابا قيس ما اراننا الا روعناك اذهب
انت واولادك احرار لوجه الله تعالى ومرض احمد بن داود فعاده المعتصم رحمهما الله
وقال نذرت ان عافاك الله ان اتصدق بعشرة الاف دينار فقال له احمد يا امير المؤمنين فاجعلها
لاهل الحرمين فقد لقوا من غلاء الاسعار شدة فقال نويت ان اتصدق على من ههنا واطلق
لاهل الحرمين مثلها فقال له احمد رحمه الله متع الله الاسلام واهله بك يا امير المؤمنين فانك
كما قال النميري لابيك الرشيد رحمه الله

شعر

ان المكارم والمعروف اودية ‌ احلك الله منها حيث تجتمع
من لم يكن بامين الله معتصما ‌ فليس بالصلوات الخمس ينتفع

وقيل للاحنف بن قيس رحمه الله ممن تعلمت حسن الخلق فقال من قيس بن عاصم رحمه الله بينما
هو ذات يوم جالس في داره اذ جاءته خادم له بسفود عليه شواء فسقط من يدها فوقع على ابن
له فمات فدهشت الجارية فقال لا روع عليك انت حرة لوجه الله تعالى وكان ابن عمر رضي الله
عنه اذا رأى احدا من عبيده يحسن صلوته يعتقه فعرفوا ذلك من خلقه فكانوا يحسنون الصلوة
مراءاة له فكان يعتقهم فقيل له في ذلك فقال من خدعنا في الله انخدعنا له وروي ان ابا
عثمان الزاهد رحمه الله اجتاز بسكة وقت الهاجرة فالقي عليه من فوق سطح طشت رماد
فتغير اصحابه من اجله وبسطوا السنتهم في الملقي فقال ابو عثمان رحمه الله لا تقولوا شيئا فان
من استحق ان يصب عليه النار فصولح بالرماد لم يجز ان يغضب وقيل لابراهيم بن ادهم
رحمه الله هل فرحت في الدنيا قط فقال نعم مرتين احدهما كنت قاعدا ذات يوم فجاء انسان
فبال علي والثانية كنت جالسا فجاء انسان فصفعني وروي ان علي بن ابي طالب كرم الله
وجهه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا فرآه مضطجعا فقال اما تسمع يا غلام قال
نعم قال فما حملك على ترك جوابي قال امنت عقوبتك فتكاسلت قال اذهب فانت حر
لوجه الله تعالى وحكي ان ابا عثمان الحيري رحمه الله دعاه انسان الى ضيافة فلما
وافى باب الدار قال له يا استاذ ليس لي وجه في دخولك فانصرف رحمك الله فانصرف
فلما وافى منزله عاد اليه الرجل وقال له يا استاذ ندمت على ما كان واخذ يعتذر اليه
وقال له احضر الساعة فقام معه فلما وافى باب الدار قال له مثل ما قال في المرة الاولى
ثم فعل به ذلك اربع مرات وابو عثمان رحمه الله ينصرف ويحضر فقال له يا استاذ انما اردت
اختبارك والوقوف على اخلاقك وجعل يعتذر اليه ويمدحه فقال له ابو عثمان لا تمدحني
على خلق تجده في الكلاب فان الكلب اذا دعي حضر واذا زجر انزجر وقال الحارث

بن قمي رحمه الله يعجبني من القراء كل فصيح مضحاك فاما الذي تلقاه ببشر ويلقاك
بوجه عبوس فلا كثر الله في المسلمين مثله ومن محاسن الاخلاق ما حكي عن يحيى
بن اكثم رحمه الله قال كنت نائما ذات ليلة عند المأمون رحمه الله فعطش فامتنع ان يصيح
بغلام يسقيه وانا نائم فينغص علي نومي فرايته وقد قام يمشي على اطراف اصابعه
حتى اتى موضع الماء وبينه وبين المكان الذي فيه الكيزان المعلقة نحو من ثلثمائة خطوة
فاخذ منها كوزا وشرب ثم رجع يمشي على اطراف اصابعه حتى قرب الفراش الذي انا
فيه فخطى خطوات خائف لئلا ينبهني حتى صار الى فراشه ثم رايته اخر الليل وقد قام
يبول وكان يقوم في اول الليل واخره فقعد طويلا يحاول ان اتحرك فيصيح بالغلام
فلما تحركت وثب قائما وصاح بالغلام وتاهب للصلوة ثم جاءني فقال كيف اصبحت
يا ابا محمد وكيف كان مبيتك قلت خير مبيت جعلني الله فداك يا امير المؤمنين قال
لقد استيقظت للصلوة فكرهت ان اصيح بالغلام فازعجك فقلت يا امير المؤمنين
قد خصك الله باخلاق الانبياء واحب لك سيرتهم فهناك الله بهذه النعمة واتمها
عليك فامر لي بالف دينار وانصرفت قال يحيى وبت عنده ايضا ذات ليلة فانتبه
وقد عرض له السعال فجعلت ارمقه وهو يحشي فاه بكم قميصه يدفع به السعال حتى
غلبه فسعل واكب على الارض لئلا يعلو صوته فانتبه قال يحيى وكنت معه ايضا
ذات يوم في بستان ندور فيه فجعلنا نمر بالريحان ونأخذ منه الطاقة والطاقتين
ونقول للقيم اصلح هذا الحوض ولا تغرس في هذا الحوض من البقول قال يحيى ومشينا في
البستان من اوله الى اخره وكنت انا مما يلي الشمس والمأمون مما يلي الظل فكان يجذبني ان
اتحول الى الظل ويكون هو في الشمس فامتنع من ذلك حتى اذا رجعنا بعد ان بلغنا اخر البستان
قال والله يا يحيى لتكونن في مكاني ولاكونن في مكانك حتى اخذ نصيبي من الشمس كما اخذت وتاخذ
انت نصيبك من الظل كما اخذت فقلت والله يا امير المؤمنين لو قدرت ان اقيك من هول
المطلع بنفسي لفعلت فلم يزل بي حتى تحولت الى الظل وتحول هو الى الشمس ووضع يده على عاتقي وقال
بحياتي عليك الا ما وضعت يدك على عاتقي مثل ما فعلت انا فانه لا خير في صحبة من لا ينصف
فانظر الى اخلاقهم رضي الله عنهم ما احسنها والى افعالهم ما ازينها فنسأل الله تبارك وتعالى
ان يحسن اخلاقنا وان يبارك لنا في ارزاقنا انه على ما يشاء قدير وحسبنا الله ونعم الوكيل

الباب الرابع والعشرون
في حسن المعاشرة والمودة والاخوة والزيارة
وما اشبه ذلك

اعلم ان المودة والاخوة سبب التآلف والتآلف سبب القوة والقوة حصن منيع وركن

شديد به يمنع الضيم ويناك الغنايم وينجح المقاصد وقد من الله تعالى على قوم وذكرهم
نعمته عندهم بان جمع قلوبهم على الصفا ورد هابعدا لفرقة الى الالفة والاخا فقال تعالى
اذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعدا فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ووصف نعيم
الجنة وما اعد فيها من الكرامة لاوليايه اذ جعلهم اخوانا على سرر متقابلين وقد سن رسول
الله صلى الله عليه وسلم الاخا وندب اليه واخا بين الصحابة رضي الله عنهم وقد ذكر الله تعالى
اهل جهنم وما يلقون فيها من الالم اذ يقولون فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقال علي
كرم الله وجهه الرجل بلا اخ كالشمال بلا يمين

والنشد بعضهم

وما المرء الا باخوانه ... كما يقبض الكف بالمعصم
ولا خير في الكف مقطوعة ... ولا خير في الساعد الاجذم

وقال زياد رحمه الله خير ما اكتسب المرء الاخوان فانهم معونة على حوادث الزمان
ونوايب الحدثان وعونا في السرا والضرا

ومن كلام علي رضي الله عنه

عليك باخوان الصفا فانهم ... عماد اذا استنجدتهم وظهور
وليس كثيرا الف خل وصاحب ... وان عدوا واحدا لكثير

وقال الاوزاعي رحمه الله الصاحب للصاحب كالرقعة في الثوب ان لم يكن مثله
شانته وقال عبد الله بن طاهر رحمه الله المال غاد ورايح والسلطان ظل زايل
والاخوان كنوز وافره وقال المامون للحسن بن سهل رحمهما الله نظرت في اللذات كلها
فوجدتها كلها مملولة سوى سبعة قال وما السبعة يا امير المومنين قال خبز الحنطة
ولحم الغنم والما البارد والثوب الناعم والرايحة الطيبة والفراش الوطي والنظر
الى الحسن من كل شي قال فاين انت يا امير المومنين من محادثة الرجال قال صدقت وهي
اولاهن وقال سليمان بن عبد الملك رحمه الله اكلت الطيب ولبست اللين وركبت الفاره
وامتطيت العذرا فلم يبق من لذتي الا صديق اطرح معه مونة التحفظ وكذلك قال
معاوية رحمه الله نكحت النسا حتى صرت ما اعرف بين المراة والحايط واكلت الطعام حتى
لا اجد ما استمريه وشربت الاشربة حتى رجعت الى الما وركبت المطايا حتى اخترت نعلي
ولبست الثياب حتى اخترت البياض فما بقي من اللذات ما تتوق اليه نفسي الا محادثة اخ كريم

وانشد بعضهم

وما بقيت من اللذات الا ... محادثة الرجال ذوي العقول
وقد كنا نعدهم قليلا ... فقد صاروا اقل من القليل

وقال اخر

ما غاب المرء اللبيب كنفسه ... والمرء يصلحه الجليس الصالح

وقال اخر

اذا ما اتت من صاحب لك زلة ... فكن انت محتالا لزلته عذرا

وقيل لابن السماك رحمه الله اي الاخوان احق ببقا المودة قال الوافر دينه الوافي عقله
الذي لا يملك على القرب ولا ينساك على البعد ان دنوت منه داناك وان بعدت عنه
راعاك ان استعنته عضدك وان احتجت اليه رفدك وتكون مودة فعله اكثر من مودة
قوله

وانشد بعضهم

ان اخاك الصدوق من يسعى معك ... ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب زمان صدعك ... شتت فيه شمله ليجمعك

وقال ابو تمام رحمه الله

من لي بانسان اذا اغضبته ... وجهلت كان الحلم رد جوابه
واذا صبوت الى المدام شربت من ... اخلاقه وسكرت من اادابه
وتراه يصغي للحديث بطرفه ... وبقلبه ولعله ادرى به

وقيل لخالد بن صفوان رحمه الله اي اخوانك احب اليك قال الذي يسد خلتي ويغفر
زلتي ويقيل عثرتي وقيل من لا يواخي الا من لا عيب فيه قل صديقه ومن لم يرض من صديقه
الا بايثاره على نفسه دام سخطه ومن عاتب على ذنب كثر تعبه قال الشاعر

ومن لم يغمض عينه عن صديقه ... وعن بعض ما فيه يمت وهو عاتب

وقال اخر

اذا كنت في كل الامور معاتبا ... صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
وان انت لم تشرب مرارا على القذا ... ظمئت واي الناس تصفو مشاربه

وقالوا اذا رايت من اخيك امرا تكرهه او خلة لا تحبها فلا تقطع حبله ولا تصرم وده ولكن
داو كلمته واستر عورته وابقه وابرا من عمله قال الله تعالى فان عصوك فقل اني بري مما
تعملون ولم يامر بقطعهم وانما امر بالبراة من عملهم السو ومن اداب المعاشرة
السياسة والبشر وحسن الخلق والادب روي عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال من اخلاق النبيين والصديقين البشاشة اذا تراوا والمصافحة اذا تلاقوا وقال
القعقاع بن شور الهذلي رحمه الله وان جالسه رجل يجعل له نصيبا من ماله ويعينه على حوايجه
ودخل يوما على معاوية فامر له بماية الف وكان رجل قد فسح له في المجلس فدفعها للذي فسح له
فانشد يقول

شعر

وكنت جليس قعقاع بن شور ... وما يشقى بقعقاع جليس
ضحوك السن ان نطقوا بخير ... وعند الشر مطراق عبوس

وقال ابن عباس رضي الله عنه لجليسي علي ثلث ان ارميه بطرفي اذا اقبل واوسع عليه
اذا جلس واصغي له اذا احدث وقال لكل شي محل ومحل العقل مجالسة الناس وكانت تحته
صبحات الانجم وطيب الطعم وتقول ايضا صبحات الا فالج وكل طير صالح وقد وصف المامون
ثمامة رحمه الله بحسن المحاشرة فقال انه يتصرف مع القلوب تصرف السحاب مع الجنوب وقيل
ان ابا الحسن السفاح كان يحدث ابا بكر الهذلي رحمه الله اذ عصفت ريح فارمت طشتا من سطح
الى المجلس فارتاع من حضر ولم يتحرك الهذلي ولم تزل عينه مطابقة لعين السفاح فقال
ما اعجب شانك يا هذلي فقال ان الله تعالى يقول ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وانما لي
قلب واحد فلما غمره السرور بمحادثة امير المومنين لم يكن فيه مجال فلو انقلبت الخضراء على الغبراء
ما احسست بها ولا رعت لها فقال السفاح لئن بقيت لك لارفعن مكانك ثم امر له بمال
جزيل وصلة كثيرة وكان اسما بن خارجة رحمه الله يقول ما غلبني احد قط غلبة رجل يصغي
الى حديثي وفي نوابع الكلم اكرم حديث اخيك بانصاتك وصنه من وصمة التفاتك وقيل
من حق الملك اذا تثاوب او القى المروحة من يده او مد رجليه او تمطا او اتكى او فعل ما
يدل على كسل ان يقوم من بحضرته وكان ازدشير الملك رحمه الله اذا تمطى قام سماره
ومن حق الملك ان لا يعاد عليه حديث وان طال الدهر وقال عطاء بن رباح رحمه الله ان
الرجل ليحدثني بالحديث فانصت له كاني لم اسمعه قط وقد سمعته به من قبل ان يولد وقيل
المروة طلاقة الوجه والتودد الى الناس وقال معاذ رضي الله عنه ان المسلمين اذا التقيا
فضحك كل واحد منهما في وجه صاحبه ثم اخذ بيده تحاتت ذنوبهما كتحاتت ورق الشجر وقيل
البشر دال على السخا كما يدل النور على الثمر وقيل من السنة اذا حدثت القوم ان لا تقبل على
رجل واحد من بين جلسائك ولكن اجعل لكل منهم نصيبا وقيل لا تتقدم الاصاغر على الاكابر
في ثلث اذا ساروا ليلا او خاضوا سيلا او واجهوا خيلا وقال علي كرم الله وجهه لا يكون
الصديق صديقا حتى يحفظ اخاه في ثلث في نكبته وغيبته ووفاته ومما جاء في ذكر
اخوان هذا الزمان القليلين الموافاة الذين ليس لهم عندهم لصديق مصافاة وقال
وهب بن الورد رحمه الله صحبت الناس خمسين سنة فما وجدت رجلا غفر لي زلة ولا اقالني
عثرة ولا ستر لي عورة وقال علي رضي الله عنه اذا كان الغدر طباعا فالثقة بكل احد عجز
وقيل لا خدهم ما الصديق فقال اسم وضع على غير مسمى وحيوان غير موجود

وقال روح بن زنباع اقمت مع عبد الملك سبع عشرة سنة فما اعدت عليه حديثا الا مرة واحدة فقال قد سمعته منك وعن الشعبي ما حدثت بحديث مرتين رجلا بعينه صح

قال الشاعر

سمعنا بالصديق وما نراه • على التحقيق يوجد في الانام
واحسبه محالا ثم كلم • على وجه المجاز من الكلام

قال ابو الدردا رضي الله عنه كان الناس ورقا لا شوك فيه فصاروا شوكا لا ورق فيه

ووا

وقال جعفر الصادق رضي الله عنه لبعض اخوانه اقلل من معرفة الناس وانكر من عرفت منهم
وان كان لك مائة صديق فاطرح تسعة وتسعين وكن من الواحد على حذر وقيل لبعض الولاة
كم لك من صديق قال اما في حال الولاية فكثير وانما يحصول وقد قيل • بيت •

الناس اخوان من دامت له نعم • فالويل للحر ان زلت به القدم

ولما عزل علي بن عيسى الوزير رحمه الله سنظر ببابه احدا من اصحابه الذين كانوا يالفونه في دولته
فلما ردت اليه الوزارة احتفوا ببابه كما كانوا • وقال بعضهم •

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها • وكلما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون اخا الدنيا فان وثبت • يوما عليه بما لا يشتهي وثبوا

وقال آخر

فما اكثر الاصحاب حين تعدهم • ولكنهم في النائبات قليل

وقال آخر

اياك تغترا وتخدعك بارقة • من ذي خداع يرى بشرا والطافا
فلو قلبت جميع الارض قاطبة • وسرت في الارض اوساطا واطرافا
لم تلق فيها صديقا صادقا ابدا • ولا اخا يبذل الانصاف انصافا

وما احسن ما قال بعضهم

خليلي جربت الزمان واهله • فما نالني منهم سوى الهم والعنا
وعاشرت ابناء الزمان فلم اجد • خليلا يوافي بالعهود ولا انا

وقال آخر

لما رايت بني الزمان وما بهم • خل وفي للشدائد اصطفي
فعلمت ان المستحيل ثلاثة • الغول والعنقا والخل الوفي

دوبيت

وكل خليل ليس في الله وده • فاني به في وده غير واثق

وقال آخر

اذا ما كنت متخذا خليلا • فلا تامن خليلك ان يخونا
فانك لم يخنك اخ امين • ولكن كل ما تلقى امينا

وقال آخر

تحب عدوي ثم تزعم انني • اودك ان الراي منك لعازب
وليس اخي من ودني بلسانه • ولكن اخي من ودني وهو غائب
ومن ماله مالي اذا كنت معدما • ومالي له ان اعوزته النوائب

وقال آخر

اخوك اخوك من تدنو وترجو ٭ مودته وان دعي استجابا
اذا حاربت حارب من تعادي ٭ وزاد سلاحه منك اقترابا

وقال ابو بكر الخالدي رحمه الله

واخ رخصت عليه حتى ملني ٭ والشي مملول اذا ما يرخص

وقال آخر بيت

ما في زمانك من يعز وجوده ٭ ان رمته الا صديق منصف

ويجب على الانسان ان لا يصحب الا من له دين وتقوى فان المحبة في الله تنفع في الدنيا والآخرة

وما احسن ما قال بعضهم

وكل صحابة في الله تبقى ٭ على الحالين من فرج وضيق
وكل محبة فيما سواه ٭ فكالحلفا في لهب الحريق

ويجتنب المرء معاشرة الاشرار ومصاحبة الفجار ومن ساءت خلقته وقبحت بين الناس سيرته قال الله تعالى الاخلا يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقال تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم فاثبت الله تعالى المماثلة بيننا وبين البهايم وذلك انما يكون في اخلاق خاصة فما من احد من الخلق الا وفيه خلق من اخلاق البهايم ولهذا تجد اخلاق الخلايق مختلفة فاذا رايت الرجل الجاهل في خلايقه الغليظ في طباعه القوي في بدنه الذي لا يؤمن جنايته فالحقه بعالم الثور والعرب تقول اجهل من ثور واذا رايت الرجل هجاما على اعراض الناس فقد ماثل عالم الكلاب فان داب الكلب ان يجفو من لا يجفوه ويؤذي من لا يؤذيه فعامله بما كنت تعامل به الكلب اذا نبح الست تذهب وتتركه واذا رايت انسانا قد جبل على الخلاف ان قلت لا قال نعم وان قلت نعم قال لا فالحقه بعالم الحمير فان ذاب الحمار ان ادنيته بعد وان ابعدته قرب وانت تنتفع به ولا يمكنك مفارقته واذا رايت انسانا يهجم على الاموال والارواح فالحقه بعالم الاسود وخذ حذرك منه كما تاخذ حذرك من الاسد واذا ابليت بانسان خبيث كثير الروغان فالحقه بعالم الثعالب واذا رايت من يمشي بين الناس بالنميمة ويفرق بين الاحبة فالحقه بعالم الطيران وهي دابة صغيرة تقول العرب عند تفرق الجماعة منهم طيران فتفرقوا واذا رايت انسانا لا يسمع العلم والحكمة وينفر من مجالس العلم ويالف اخبار اهل الدنيا فالحقه بعالم الخنافس فانه يعجبها اكل القذرات وملامسة النجاسات وتنفر من ريح المسك والورد واذا طرح عليه واحد منهما مات لوقته واذا رايت الرجل يصنع نفسه كما تصنع المراة لبعلها ويبيض ثيابه ويعدل عمامته وينظر في عطفيه

فالحقه

فالحقه بعالم الطواويس واذا ابليت بانسان حقود لا ينسى الهفوات ويجازي بعد المدة عليها فالحقه بعالم الجمال والعرب تقول احقد من جمل فيجتنب قرب الرجل الحقود وعلى هذا النمط فليتحرز العاقل من صحبة الاشرار واهل الخداع من لا وفا له فانه اذا فعل ذلك سلم من مكايد الخلق واراح قلبه وبدنه ٭ ومما ورد في الزيارة والاستدعا اليها قال تعالى وجبت محبتي للمتحابين في والمتباذلين في والمتزاورين في اليوم اظلهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي وقال صلى الله عليه وسلم من عاد مريضا او زار اخا ناداه منادٍ ان طبت وطاب ممشاك وتبوات منزلا من الجنة وقيل المحبة شجرة اصلها الزيارة

قال الشاعر

زر من تحب ولو شطت بك الدار ٭ وحال من دونه حجب واستار
لا يمنعنك بعد من زيارته ٭ ان المحب لمن يهواه زوار

وتكون الزيارة غبا لقوله صلى الله عليه وسلم زر غبا تزدد حبا ويكون كما

قالت الشاعرة ايضا

عليك باغباب الزيارة انها ٭ اذا كثرت صارت الى الهجر مسلكا
الم تر ان الغيث يسام دايما ٭ ويسال بالايدي اذا هو امسكا

ويقال الاكثار من الزيارة ممل والاقلال منها مخل وكتب صديق الى صديق له يقول

قال الشاعر

اذا ما تقاطعنا ونحن ببلدة ٭ فما فضل قرب الدار منها على البعد

وقال آخر

وان مروري بالبلاد التي بها ٭ سليمى ولم المم بها لجفاء

وقال آخر

فلا انا من آل سعيد بسول ٭ حبذا ما يقول لي واقول

وقال آخر

ازور بيوتا لاصقات ببيتها ٭ وقلبي في البيت الذي لا ازوره

وزار محمد بن يزيد المهلبي المستعين رحمه الله فوهبه مائتي الف درهم واقطعه ارضا ثم انشا يقول

شعر

وخصصتني بزيارة ابقت لنا ٭ مجدا على طول الزمان مؤمل
وقضيت ديني وهو دين فادح ٭ لم يقضه مع جوده المتوكل

وكتب المامون رحمه الله الى جاريته خيزران يستدعيها للزيارة فقالت شعر

نحن في افضل السرور ولكن ٭ ليس الا بكم يتم السرور

عجيب ما نحن فيه يا أهل ودي • انكم غبتم ونحن حضور
فاعدوا المسير بل ان قدرتم • ان تطيروا مع الرياح فطيروا

وقيل لفيلسوف أي الرسل انجح قال الذي له جمال وعقل وقيل إذا ارسلتم رسولا في حاجة فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم وقال لقمن عليه السلام لابنه يا بني لا تبعث رسولا جاهلا فان لم تجد حكيما فكن رسول نفسك وقد قيل

دوبيت

اذا ابطا الرسول فقل نجاح • ولا تفرح اذا عجل الرسول

الباب الخامس والعشرون
في الشفقة على خلق الله والرحمة بهم وفضل الشفاعة
واصلاح ذات البين وفيه فصلان

الفصل الأول في الشفقة على خلق الله والرحمة بهم قال الله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم وقد وصف الله تعالى نفسه لعباده فقال ان الله بالناس لرؤف رحيم وقال تعالى الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم قال المفسرون الرحمن اسم رقيق يدل على العفو واللطف والكرم والمنة والحلم على الخلق والرحيم مثله وقيل رحمان الدنيا ورحيم الآخرة وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يضع الله الرحمة الا على رحيم قلنا يا رسول الله كلنا رحيم قال ليس الذي يرحم نفسه واهله وخاصته ولكن الذي يرحم المسلمين رواه ابو يعلى والطبراني وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من لا يرحم لا يرحم ومن لا يغفر لا يغفر له وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم وعن ابي بكر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله عز وجل ان كنتم تريدون رحمتي فارحموا خلقي رواه ابو محمد بن عدي في الكامل وروينا من طريق الطبراني عن الشعبي عن النعمان بن بشير رضي الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتواصلهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر قال الطبراني رضي الله عنه رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فسالته عن هذا الحديث فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واشار بيده صحيح صحيح صحيح ثلثا وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من مسح على راس يتيم كان له بكل شعرة تمر على يده نور يوم القيمة ودخل عامل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فوجده مستلقيا وصبيان يلعبون في بطنه فانكر ذلك فقال له عمر رضي الله عنه كيف انت مع اهلك فقال اذا دخلت يسكت الناطق فقال اعتزل فانك لا ترفق باهلك وولدك فكيف ترفق بامة محمد صلى الله عليه وسلم وروي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابدال امتي

لا يدخلون الجنة بالاعمال ولكن يدخلونها برحمة الله تعالى وسخاوة النفس وسلامة الصدر والرحمة لجميع المسلمين والله اعلم **الفصل الثاني في الشفاعة** واصلاح ذات البين قال الله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء مقيتا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله ليسال العبد عن جاهه كما يساله عن عمره فيقول جعلت لك جاها فهل نصرت به مظلوما او قمعت به ظالما او اغثت به مكروبا وقال صلى الله عليه وسلم افضل الصدقات ان تعين بجاهك من لا جاه له وعن ابي بردة عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتاني طالب حاجة فاشفعوا له لكي تؤجروا او يقضي الله تعالى على لسان نبيه ما شاء وعن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة صدقة اللسان قيل يا رسول الله وما صدقة اللسان قال الشفاعة تفك بها الاسير وتحقن بها الدم وتجري بها المعروف الى اخيك وتدفع عنه كريهته رواه الطبراني في المكارم وقال علي رضي الله عنه الشفيع جناح الطالب وقال رجل لبعض الولاة ان الناس يتوسلون اليك بغيرك فينالون معروفك ويشكرون غيرك وانا اتوسل اليك بك ليكون شكري لك لا لغيرك وقيل كان المنصور رحمه الله تعالى مجاف ... محمد بن جعفر بن عبد الله بن عباس وكان الناس لعظم قدره عنده يفزعون اليه في الشفاعات فثقل ذلك على المنصور فحجبه مدة ثم لم يصبر عنه فامر الربيع ان يكلمه في ذلك فكلمه وقال اعف يا امير المؤمنين لا تشغل عليه في الشفاعات فقبل ذلك منه فلما توجه الى الباب اعترضه قوم من قريش معهم رقاع فسالوه ايصالها الى المنصور فقص عليهم القصة فابوا ان لا ياخذها فقال اقذفوها في كمي فدخل عليه وهو في الخضرا مشرف على مدينة السلام وما حولها من البساتين فقال له اما ترى الى حسنها يا ابا عبد الله فقال له يا امير المؤمنين بارك الله لك فيما اتاك وهناك باتمام نعمته عليك فيما اعطاك فما بنت العرب في دولة الاسلام ولا العجم في سالف الايام احصن ولا احسن من مدينتك ولكن سمجتها في عيني خصلة قال وما هي قال ليس لي فيها ضيعة فتبسم وقال قد حسنتها في عينك ثلث ضياع قد اقطعتها لك فقال والله انت يا امير المؤمنين شريف الموارد كريم المصادر فجعل الله باقي عمرك اكثر من ماضيه ثم اقام معه يومه ذلك فلما نهض ليقوم بدت الرقاع من كمه فجعل يردها ويقول ارجعن خايبات خاسرات فضحك المنصور وقال بحقي عليك الا ما اعلمتني بخبر هذه الرقاع فقال انت يا ابن معلم الخير الاكرما وتمثل عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بقوله

شعر

لسنا وان احسابنا كرمت • يوما على الاحساب نتكل
نبني كما كانت اوائلنا • تبني ونفعل مثل ما فعلوا

ثم تصفح الرقاع وقضى حوائجهم عن آخرها قال محمد فخرجت من عنده وقد ربحت وارتجعت وقال المبرد

اتاني رجل اشفع له في حاجة يريدها فانشدني لنفسه يقول

شعر

اني قصدتك لا اْدلي بمعرفة • ولا بقربى ولكن قد فشت نعمك

فبت حيران مكروبًا يؤرقني • ذل الغريب ويغشيني الكرا كرمك

ما زلت انكب حتى زلزلت قدمي • فاحتل لتثبيتها اذ زلزلت قدمك

فلو هممت بغير العرف ما علقت • به يداك ولا انقادت له شيمك

قال فشفعت له وانلته من الاحسان ما قدرت عليه وكتب رجل الى يحيى بن خالد رحمه الله رقعة

وَاذا فيها شفيعي اليك الله لا رب غيره • وليس الى رد الشفيع سبيل

فامر بلزوم الدهليز وكان يعطيه كل صباح الف درهم فلما استوفى ثلثين الفا ذهب فقال

يحيى والله لو اقام الى اخر عمره ما قطعتها عنه وقد قيل • شعر •

وقد جيتكم بالمصطفى متشفعا • وما خاب من بالمصطفى يتشفع

الى باب مولاي رفعت ظلامتي • عسى الهم عني والمصايب ترفع

وقال اخر

تشفع بالنبي وكل عبد • يجار اذا تشفع بالنبي

وروى ان جبريل عليه السلام قال يا محمد لو كانت عبادتنا الله على وجه الارض لعملنا ثلث خصال

سقي الما للمسلمين • واعانة اصحاب العيال • وستر الذنوب على المسلمين اذا اذنبوا والله اعلم •

الباب السادس والعشرون في الحيا والتواضع ولين الجانب وخفض الجناح وفيه فصلان الفصل الاول في الحيا

قالت عايشة رضي الله عنها مكارم الاخلاق عشرة • صدق الحديث • وصدق اللسان • واداء الامانة • وصلة الرحم • والمكافاة بالصنيع • وبذل المعروف • وحفظ الذمام للجار • وحفظ الذمام للصاحب • وقرى الضيف • وراسهن الحيا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شيت • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحيا شعبة من الايمان وقال عليه السلام من كسي بالحيا ثوبه لم ير الناس عيبه وعن زيد بن علي عن ابايه يرفعونه من لم يستح فهو كافر وقال ابو موسى الاشعري رضي الله عنه اني لادخل البيت المظلم اغتسل فيه من الجنابة فانحني حيا من ربي وقال بعضهم الوجه المصون بالحيا كالجوهر المكنون في الوعا وقال الخواص رحمه الله ان العباد عملوا على اربع منازل على الخوف والرجا والتعظيم والحيا فارفعها منزلة الحيا لما ايقنوا ان الله تعالى يراهم على كل حال قالوا سواء علينا رانا او رآنا وكان الحاجز لهم عن معاصيه الخوف منه وقال لقناعة دليل الامانة

والامانة

والامانة دليل الشكر • والشكر دليل الزيادة • والزيادة دليل بقا النعمة • والحيا دليل الخير كله

الفصل الثاني في التواضع ولين الجانب

وخفض الجناح قال الله تعالى واخفض جناحك للمومنين وقال تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين • وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم • افضل العبادة التواضع • وقال عليه السلام لا ترفعوني فوق قدري فتقولوا في ما قالت النصارى في المسيح فان الله عز وجل اتخذني عبدا قبل ان يتخذني رسولا واتاه صلى الله عليه وسلم رجل فكلمه فاخذته رعدة فقال له صلى الله عليه وسلم هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد وكان صلى الله عليه وسلم يرقع ثوبه ويخصف نعله ويخدم في مهنة اهله ولم يك متكبرا ولا متجبرا اشد الناس حيا واكثرهم تواضعا وكان اذا احدث بشي مما اتاه الله قال ولا فخر وقال صلى الله عليه وسلم ان العفو لا يزيد العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله وان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله وان الصدقة لا تزيد المال الا نما فتصدقوا يزيدكم الله وقال عدي بن ارطاة لاياس بن معاوية رحمهما الله انك لسريع المشية قال ذاك ابعد من الكبر واسرع في الحاجة وخرج معاوية على ابن الزبير وابن عامر رحمهم الله فقام اليه ابن عامر وجلس ابن الزبير فقال معاوية لابن عامر اجلس فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من احب ان يتمثل له الناس قياما فليتبوا مقعده من النار وقال التواضع سلم الشرف • ولبس مطرف بن عبد الله رحمه الله الصوف وجلس مع المساكين فقيل له في ذلك فقال اني كان جبارا فاحببت ان اتواضع لربي لعله ان يخفف عني تجبره وقال مجاهد رضي الله عنه ان الله تعالى لما اغرق قوم نوح شمخت الجبال وتواضع الجودي فرفعه فوق الجبال وجعل قرار السفينة عليه وقال الله تبارك وتعالى لموسى عليه السلام لم كلمتك من بين الناس قال لا يا رب قال لاني رايتك تتمرغ في التراب بين يدي تواضعا لي • وقيل من رفع نفسه فوق قدره استجلب مقت الناس وقال ابو مسلم صاحب الدعوة رحمه الله ما تاه الا وضيع ولا فاخر الا لقيط وكل من تواضع لله رفعه الله فسبحان من تواضع كل شي لعز جبروت عظمته وقدرته • وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

الباب السابع والعشرون في العجب والكبر والخيلا وما اشبه ذلك

اعلم ان الكبر والاعجاب يسلبان الفضايل ويكسبان الرذايل وحسبك من رذيلة تمنع سماع النصح وقبول التاديب والكبر يكسب المقت ويمنع من التالف وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر وقال صلى الله عليه وسلم من جر ثوبه خيلا لا ينظر الله اليه وقال الاحنف بن قيس رحمه الله ما تكبر احد الا من ذلة يجدها في نفسه ولم تزل الحكما تتحامى الكبر وتانف منه • ونظر افلاطون رحمه الله الى رجل جاهل معجب بنفسه في مشيه فقال

جعلني الله مثلك في نفسي وقال بعض الحكماء ما رأيت متكبرا إلا تحول رأيه يعني أنكر عليه
واعلم أن الكبر يوجب المقت ومن يمقته رجاله لم يستقم حاله والعرب تجعل جذيمة الأبرش
غاية في الكبر فقالوا إنه كان لا ينادم أحدا للتكبر ويقول إنما ينادمني الفرقدان وكان ابن
نوابة من أقبح الناس كبرا روي أنه قال لغلامه اسقني ماء فقال نعم قال إنما يقول نعم من يقدر
أن يقول لا اصفعوه فصفع ودعا أكارا فكلمه فلما فرغ دعا بماء فتمضمض به استقذارا لمخاطبته
ويقال فلان وضع نفسه في درجة لو سقط منها لتكسر وقال الجاحظ رحمه الله المذكورون
بالكبر من قريش بنو مخزوم وبنو أمية ومن العرب بنو جعفر بن كلاب وبنو زرارة بن قيس
وأما الأكاسرة فكانوا لا يعدون الناس إلا عبيدا وأنفسهم إلا أربابا وقيل لرجل من بني
عبد الدار ألا تأتي الخلافة فقال أخاف أن لا يحمل الجسر شرفي وقيل للحجاج بن أرطاة ما لك
لا تحضر الجماعة فقال أخشى أن يزاحمني البقالون وقيل أتى وائل بن حجر رحمه الله إلى النبي
صلى الله عليه وسلم فأقطعه أرضا وقال لمعاوية اعرض هذه الأرض عليه واكتبها له فخرج معه
معاوية في هاجرة شديدة ومشى خلف ناقته وأحرقه حر الشمس فقال له أردفني خلفك على
ناقتك قال لست من أرداف الملوك قال فأعطني نعليك قال ما بخل يمنعني يا ابن أبي سفيان ولكن
أكره أن يبلغ أقيال اليمن أنك لبست نعلي ولكن امش في ظل ناقتي فحسبك به شرفا وقيل إنه
لحق زمن معاوية ودخل إليه فأقعده معه على السرير وحدثه وقال المساور بن هند رحمه الله
لرجل أتعرفني قال لا قال أنا المساور بن هند قال ما أعرفك قال فتعسا ونكسا لمن لم يعرف القمر

قال الشاعر

فقولا لأحمق يلوي التيه أخدعه ● لو كنت تعلم ما في التيه لم تته
التيه مفسدة للدين منقصة ● للعقل مهلكة للعرض فانتبه

وقيل لا يتكبر إلا كل وضيع والسلام. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

الباب الثامن والعشرون
في الفخر والمفاخرة والتفضيل والتفاوت

فمن شواهد المفاخرة قوله تعالى أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون نزلت في علي
بن أبي طالب رضي الله عنه وعقبة بن أبي معيط تفاخرا وقوله تعالى أفمن يلقى في النار خير أم من
يأتي آمنا يوم القيامة نزلت في أبي جهل وعمار بن ياسر رضي الله عنه والنسب إلى سيدنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم أشرف الأنساب وقد قال صلى الله عليه وسلم أنا سيد ولد آدم ولا فخر وقد
نفى الله تعالى الفخر بالأنساب بقوله عز وجل إن أكرمكم عند الله أتقاكم فالفخر في دار الأنساب
بالتقوى وقد قال صلى الله عليه وسلم إن ربكم واحد وإن أباكم واحد وإنه لا فضل لأسود
على أحمر ولا لعربي على عجمي إلا بالتقوى هل بلغت وقال الأصمعي بينما أنا أطوف بالبيت ذات ليلة

إذ رأيت شابا متعلقا بأستار الكعبة ينشد ويقول شعر

يا مجيب دعا المضطر في الظلم ● يا كاشف الضر والبلوى مع السقم
قد نام وفدك حول البيت وانتبهوا ● وأنت يا حي يا قيوم لم تنم
أدعوك ربي حزينا هائما قلقا ● فارحم بكائي بحق البيت والحرم
إن كان جودك لا يرجوه ذو سفه ● فمن يجود على العاصين بالكرم

وأنشد أيضا بعده يقول

ألا أيها المقصود في كل حاجة ● شكوت إليك الضر فارحم شكايتي
ألا يا رجائي أنت تكشف كربتي ● فهب لي ذنوبي كلها واقض حاجتي
أتيت بأعمال قباح رديئة ● وما في الورى عبد جنى كجنايتي
أتحرقني بالنار يا غاية المنى ● فأين رجائي ثم أين مخافتي

ثم سقط على الأرض مغشيا عليه فدنوت منه فإذا هو زين العابدين بن علي بن الحسين بن أبي طالب
رضي الله عنهم فرفعت رأسه في حجري وبكيت فقطرت دمعة من دموعي على خده ففتح عينيه
وقال من هذا الذي يهجم علينا قلت عبيدك الأصمعي سيدي ما هذا البكاء والجزع وأنت من أهل
بيت النبوة ومعدن الرسالة أليس الله تعالى يقول إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل
البيت ويطهركم تطهيرا فقال هيهات يا أصمعي إن الله تعالى خلق الجنة لمن أطاعه ولو كان
عبدا حبشيا وخلق النار لمن عصاه ولو كان شريفا قرشيا أليس الله تعالى يقول فإذا نفخ
في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون
ومن خفت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في
جهنم خالدون. والفخر فما ثبت عنه من الأخبار النبوية وحجته العقل فإن العرب تفتخر
بما فيها من البيان طبعا لا تكلفا وجبلة لا تعلما ولم يكن لهم من ينطق بفضلهم إلا هم ولا ينبه
عن مناقبهم سواهم وكان كعب بن زهير رحمه الله إذا أنشد شعرا قال لنفسه أحسنت وجاوزت
والله الإحسان فيقال له أتحلف على شعرك فيقول إني لأبصر به منكم وقال الكميت رحمه الله
إذا قال قصيدة صنع لها خطبة في الثناء عليها وكان يقول عند إنشادها أي علم بين جنبي ولسان
بين فكي وقال الجاحظ رحمه الله لو لم يصف الطبيب مصالح دوائه للمعالجين ما وجد له طالب
ولما أبدع ابن المقفع رحمه الله في رسالته التي سماها اليتيمة نزلها على المثل سكنت من النفوس
موضع إرادته من تعظيمها ولو لم يحلها بهذا الاسم كانت كسائر رسائله وسنذكر في هذا الباب
إن شاء الله تعالى شيئا من نظم البلغاء ونثرهم في الافتخار ومن تفاخر منهم بعون الله وفضله
وتيسيره قال أبو بكر الهذلي رحمه الله سايرت المنصور فعرض لنا رجل على ناقة حمراء
يطوي الفلاة وعليه جبة خز وعمامة عدنية وفي يده سوط يكاد يمس الأرض فلما رآه المنصور رحمه الله

امرني به فدعوته فسألته عن نسبه وبلاده وعن قومه وعشيرته وعن ولاة الصدقة فاحسن الجواب فاعجبه ما رأى منه فقال انشدني فانشده شعر الأوس بن حجر وغيره من الشعراء من بني عمرو وبني تميم وحدثه فقال انشدني بيت شعر لطيف لابن تميم وهو قوله

ان الامور اذا اوردتها صدرت • ان الامور لها ورد واصدار

فقال ويحك ما كان طريف منك حيث قال هذا البيت قال كان اثقل العرب على عدوه بعكاظ فكلهم اقر له بهذه الخلافة فقال والله يا اخا بني تميم لقد احسنت اذا ومننت صاحبك ولكني احق ببيته منه ومن شعر ابي النعمان رحمه الله

اني من القوم الذين هم هم • اذا مات منهم سيد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غار كوكب • بدى كوكب تأوي اليه كواكبه
اضاءت لهم احسابهم ووجوههم • دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه
وما زال فيهم حيث كان مسود • تسير المنايا حيث سارت كتائبه

ولما قدم معاوية رحمه الله المدينة صعد المنبر فخطب وقال من علي رضي الله عنه فقام اليه الحسن فحمد الله تعالى واثنى عليه ثم قال ان الله عز وجل لم يبعث نبيا الا جعل له عدوا من المجرمين فانا ابن علي وانت ابن صخر وامك هند وامي فاطمة وجدتك قتيلة وجدتي خديجة فلعن الله ادنانا حسبا واخملنا ذكرا واعظمنا كفرا واشدنا نفاقا فصاح اهل المسجد آمين آمين فقطع معاوية خطبته ودخل منزله وروي ان معاوية رحمه الله خرج حاجا فمر بالمدينة فقسم بين اهلها اموالا ولم يحضر الحسن بن علي رضي الله عنه فلما خرج من المدينة اعترضه الحسن بن علي فقال معاوية مرحبا برجل تركنا حتى نفد ما عندنا تعرض لنا ليبخلنا فقال له الحسن لم ينفد ما عندك وخراج الدنيا يجبى اليك فقال معاوية اني قد امرت لك بمثل ما امرت به لاهل المدينة وانا ابن هند فقال له الحسن قد رددته عليك وانا ابن فاطمة ودخل الحسين رضي الله عنه يوما على يزيد بن معاوية فوجده يفتخر ويقول نحن ونحن ولنا من الشرف والفخر كذا وكذا والحسين ساكت فاذن المؤذن فلما قال اشهد ان محمدا رسول الله قال الحسين يا يزيد جدك هذا فخجل ولم يرد جوابا وفي ذلك يقول علي بن محمد بن جعفر رحمهم الله

شعر

لقد فاخرتنا من قريش عصابة • بمط خدود وامتداد اصابع
فلما تنازعنا الفخار قضى لنا • عليهم بما نهوى نداء الصوامع
ترانا سكوتا والشهيد بفضلنا • عليهم جهير الصوت من كل جامع

وله ايضا رحمه الله

اني وقومي من انساب قومهم • كمسجد الخيف من بحبوحة الخيف

ماعلق

ما علق السيف منا بابن عاشرة • الا وهمته امضى من السيف

وتفاخر العباس بن عبد المطلب وطلحة بن شيبة وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهم فقال العباس انا صاحب السقاية والقائم عليها وقال طلحة انا خادم البيت وعندي مفتاحه وقال علي لا ادري ما تقولون انا صليت الى هذه القبلة قبلكما بستة اشهر فانزل الله تعالى اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين وتفاخر رجلان على عهد موسى عليه السلام فقال احدهما انا فلان بن فلان حتى عد تسعة آباء مشركين فحق على الله ان يجعله عاشرهم في النار والذي انتمى الى اب مسلم فحق على الله ان يجعله مع ابيه المسلم في الجنة دار السلام

وقال سلمان الفارسي رحمه الله

ابي الاسلام لا اب لي سواه • اذا افتخروا بقيس او تميم

وتفاخر جرير والفرزدق عند سليمان بن عبد الملك رحمهم الله فقال الفرزدق انا ابن محيي الموتى وانكر سليمان قوله فقال يا امير المؤمنين قال الله تعالى ومن احياها فكانما احيى الناس جميعا وجدي فدى الموؤدات فاستحياهن فقال سليمان مع شعرك لفقيه وكان صعصعة جد الفرزدق اول من فدى الموؤدات وللعباس بن عبد المطلب رحمه الله

شعر

ان القبائل من قريش كلها • ليرون اني هام اهل الابطح
ويرى لنا فضلا على ما دونها • فضل المنار على الطريق الاوضح

وارسل الحكم بن عبد الرحمن المرواني من الاندلس رحمه الله الى صاحب مصر رحمه الله يفتخر عليه

شعر

الستنا بني مروان كيف تبدلت • بنا الحال او دارت علينا الدوائر
اذا ولد المولود منا تهللت • له الارض واهتزت اليه المنابر

وكتب اليه كتابا يهجوه فيه ويسبه فكتب اليه صاحب مصر اما بعد فانك عرفتنا فهجوتنا ولو عرفناك لاجبناك والسلام وكان ابو العباس السفاح رحمه الله يعجبه السمر ومنازعة الرجال بعضهم بعضا فحضر عنده ذات ليلة ابراهيم بن مخرمة الكندي وخالد بن صفوان بن الاهتم فخاضوا في الحديث وتذاكروا مضر واليمن فقال ابراهيم بن مخرمة رحمه الله يا امير المؤمنين ان اليمن هم العرب الذين دانت لهم الدنيا ولم يزالوا ملوكا ورثوا الملك كابرا عن كابر وآخرا عن اول منهم النعمان بن المنذر ومنهم عياض صاحب البحرين ومنهم من كان يأخذ كل سفينة غصبا وليس من شيء له خطر الا اليهم ينسب ان سئلوا اعطوا وان نزل بهم ضيف اقروه فهم العرب العاربة وغيرهم العرب المستعربة فقال ابو العباس ما اظن التميمي رضي بقولك ثم قال ما تقول انت يا خالد

قال ان اذن لي امير المؤمنين في الكلام تكلمت قال تكلم ولا تهب احدا قال أخطأ الفهم بغير علم ونطق بغير صواب وكيف يكون ذلك لقوم ليس لهم السن فصيحة ولا لغة صحيحة نزل بها كتاب ولا جاءت بها سنة يفخرون بالنعمان والمنذر ونفخر عليهم بخير الانام واكرم الكرام ومصباح الظلام ورسول الملك العلام محمد عليه افضل الصلوة والسلام فلله المنة علينا وعليهم فمنا النبي المصطفى والخليفة المرتضى ولنا البيت المعمور وزمزم والحطيم والمقام والحجر والبطحا وما لا يحصى من الآثار والصديق والفاروق وذو النورين والرضى والولي واسد الله وسيد الشهداء ومنا عرفوا الدين واتاهم اليقين فمن زاحمنا زاحمناه ومن عادانا اصطلمناه

ثم اقبل خالد على ابراهيم رحمهما الله فقال له اللك علم بلغة قومك قال نعم قال فما اسم العين قال الجمجمة قال فما اسم السن قال البدن قال فما اسم الاذن قال الصنان قال فما اسم الاصابع قال الشناتير قال فما اسم الذئب قال الكنع قال افعالم انت بكتاب الله عز وجل قال نعم قال ان الله تعالى يقول انا انزلناه قرانا عربيا وقال تعالى بلسان عربي مبين وقال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه فنحن العرب والقرآن بلساننا قد نزل الم تر ان الله تعالى قال والعين بالعين ولم يقل الجمجمة بالجمجمة وقال تعالى والسن بالسن ولم يقل والبدن بالبدن وقال تعالى والاذن بالاذن ولم يقل والصنان بالصنان وقال تعالى يجعلون اصابعهم في اذانهم ولم يقل شناترهم في صناتهم وقال تعالى فاكله الذئب ولم يقل فاكله الكنع ثم قال خالد لابراهيم رحمهما الله اني اسئلك باربع ان اقررت بهن آمنت وان جحدت بهن كفرت قال هات ما هن قال الرسول عليه السلام منا او منكم قال بل منكم قال فالقرآن انزل علينا او عليكم قال بل انزل عليكم قال فالمنبر فينا او فيكم قال فيكم قال فالبيت لنا او لكم قال لكم قال فاذهب فما كان بعد هؤلاء فهو لكم بل ما انتم الا سائس قرد او دابغ جلد او ناسج برد قال فضحك ابو العباس من ذلك واقر لخالد وحباهم جميعا وقال بشار بن برد يفتخر

شعر

اذا نحن ملنا صولة مضرية   هتكت حجاب الشمس او قطرت دما

اذا ما امرنا سيدا من قبيلة   ذرا منبر صلت علينا وسلما

وقال السموال بن عاديا

اذا المرء لم يدنس من اللوم عرضه   فكل رداء يرتديه جميل

وان هو لم يحمل على النفس ضيمها   فليس الى حسن الثناء سبيل

تعيرنا انا قليل عديدنا   فقلت لها ان الكرام قليل

وما قل من كانت بقاياه مثلنا   شباب تسامى للعلا وكهول

وما ضرنا انا قليل وجارنا   عزيز وجار الاكثرين ذليل

لنا جبل يحتله من نجيره   منيع يرد الطرف وهو كليل

رسا اصله تحت الثرى وسما به   الى النجم فرع لا ينال طويل

وانا اناس ما نرى القتل سبة   اذا ما راته عامر وسلول

يقرب حب الموت آجالنا لنا   وتكرهه آجالهم فتطول

وما مات منا سيد حتف انفه   ولا طل منا حيث كان قتيل

تسيل على حد الظباة نفوسنا   وليست على غير الظباة تسيل

فنحن كماء المزن ما في نصابنا   كهام ولا فينا يعد بخيل

وننكر ان شئنا على الناس قولهم   ولا ينكرون القول حين نقول

اذا سيد منا خلا قام سيد   قؤول بما قال الكرام فعول

وما اخمدت نار لنا دون طارق   ولا ذمنا في النازلين نزيل

وايامنا مشهورة في عدونا   لنا غرر مشهورة وحجول

واسيافنا في كل شرق ومغرب   بها من قراع الدارعين فلول

معودة ان لا تسل نصالها   فتغمد حتى يستباح قبيل

سلي ان جهلت الناس عنا وعنهم   وليس سواء عالم وجهول

فان بني الديان قطب لقومهم   تدور رحاهم حولهم وتجول

ولما قدم وفد بني تميم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعهم خطيبهم وشاعرهم فخطب خطيبهم مفتخرا فلما سكت امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثابت بن قيس ان يخطب فخطب بمثل ما خطب خطيبهم واحسن ثم سكت فقام شاعرهم وهو الزبرقان بن بدر فقال

شعر

نحن الملوك فلا حي يفاخرنا   فينا العلا وفينا تنصب البيع

ونحن نطعمهم في القحط ما اكلوا   من العبيط اذا لم يونس القزع

ونحن نلوم غيظا في ازمتنا   للنازلين اذا ما انزلوا شبعوا

تلك المكارم حزناها مقارعة   اذا الكرام على امثالها اقترعوا

ثم جلس فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت رضي الله عنه قم فقام وقال

شعر

ان الذوائب من فهر واخوتهم   قد بينوا سنة للناس تتبع

يرضى بها كل من كانت سريرته   تقوى الاله وبالامر الذي شرعوا

قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم   او حاولوا النفع في اشياعهم نفعوا

سجية تلك منهم غير محدثة   ان الخلائق فاعلم شرها البدع

لو كان في الناس سبّاقون بعدهم ۝ فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم ۝ عند الدفاع ولا يوهنون ما رقعوا
ولا يضنون عن جار بفضلهم ۝ ولا يمسهم في مطمع طمع
خذ منهم ما أتوا عفواً إذا عطفوا ۝ ولا يكن همك الأمر الذي منعوا
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم ۝ إذا تفرقت الأهواء والشيع

فقال التميميون عند ذلك وربكم إن خطيبهم لأخطب من خطيبنا وإن شاعرهم أشعر من شاعرنا وما انتصفنا ولا قاربنا ۝ وقال آخر من بني فقعس مفتخراً

أشقى آل شداد علينا ۝ وما يرعى لشداد فصيل
فإن نحر مفاصلنا نجرها ۝ علالاً في أنامل من يصول

وقال سالم بن وابصة رحمه الله

عليك بالقصد فيما أنت فاعله ۝ إن التخلق يأتي دونه الخلق
وموقف مثل حد السيف قمت به ۝ أحمي الذمار وترميني به الحدق
فما زلقت ولا أبديت فاحشة ۝ إذا الرجال على أمثالها زلقوا

وأما التفاضل والتفاوت

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا نظر إلى خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل قرأ يخرج الحي من الميت لأنهما كانا من خيار الصحابة رضي الله عنهما وأبواهما أعدا الله ورسوله ومن كلام علي رضي الله عنه لمعاوية أما قولك أنا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن ليس أمية كهاشم ولا حرب كعبد المطلب ولا أبو سفيان كأبي طالب وقال أحمد بن سهل رحمه الله الرجال ثلاثة سابق ولاحق وماحق فالسابق الذي سبق بفضله واللاحق الذي لحق بأبيه في شرفه والماحق الذي محق شرف آبائه ۝ كفلت زينب رضي الله عنها بنت عثمن أبا الزناد صاحب الحديث وأشعب الطماع ربتهما قال أشعب وكنت أسفل وكان يعلو حتى بلغنا أنا وهو ما بين الغايتين ۝ وقال أبو العوادل زكريا بن هرون رحمه الله

شعر

علي وعبد الله بينهما أب ۝ وشتان ما بين الطبايع والعقل
ألم تر عبد الله يلحى على الندا ۝ علياً ويلحاه علي على البخل

وحج أبو الأسود الدؤلي رحمه الله بامرأته وكانت شابة جميلة فعرض لها عمر بن أبي ربيعة تغازلها فأخبرت أبا الأسود فأتاه فقال محرضاً

شعر

وإني ليثنيني عن الجهل والخنا ۝ وعن شتم أقوام خلائق أربع

حباً

حباً وإسلاماً وتقوى وأنني ۝ كريم ومثلي قد يضر وينفع
فشتان ما بيني وبينك إنني ۝ على كل حال مستقيم وأضلع

وقال ربيعة الرقي رحمه الله

لشتان ما بين اليزيدين في الندى ۝ يزيد سليم والأغر بن حاتم
يزيد سليم سالم المال والفتى ۝ فتى الأزد للأموال غير سالم
فلا يحسب القيسي أني هجوته ۝ ولكنني فضلت أهل المكارم

وقال عبد الله بن طاهر في أخيه الحسين رحمهما الله

يقول أنا الكبير فعظموني ۝ ألا ثكلتك أمك من كبير
إذا كان الصغير أعم نفعاً ۝ وأجلد عند نائبة الأمور
ولو بانت الكبير بيوم خير ۝ فما فضل الكبير على الصغير

الباب التاسع والعشرون
في الشرف والسودد وعلو الهمة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من رزق فضل معروفه وكف أذاه فذلك السيد وقيل لقيس بن عاصم رحمه الله بم سدت قومك قال لم أخاصم أحداً إلا وأجعل للصلح موضعاً وقال العاص رحمه الله ما شاتمت رجلاً مذ كنت رجلاً لأني لا أشاتم إلا أحد رجلين فإني أحق من أجله وأما اللئيم فأنا أحق من رفع نفسه منه وقالوا من نعت السيد أن يكون يملأ العين جمالاً والسمع مقالاً وقيل قدم وفد من العرب على معاوية وفيهم الأحنف بن قيس رحمه الله فقال الحاجب إن أمير المؤمنين يحرم عليكم وأن لا يتكلم أحد إلا لنفسه فلما وصلوا إليه قال الأحنف لولا عزم أمير المؤمنين لأخبرته أن رادفة ردفت ونازلة نزلت ونائبة نابت والكل بهم حاجة إلى المعروف من أمير المؤمنين فقال معاوية حسبك يا أبا بحر فقد كفيت الشاهد والغائب وقال رجل للأحنف رحمه الله بم سدت قومك ولا أنت بأشرفهم بيتاً ولا أصبحهم وجهاً ولا أحسنهم خلقاً قال بخلاف ما فيك قال وما ذاك قال تركي من أمرك ما لا يعنيني كما عناك من أمري ما لا يعنيك وقيل السيد من يكون للأولياء كالغيث الغادي وعلى الأعداء كالليث العادي وكان سبب ارتفاع عرابة الأوسي وسودده أنه قدم من سفر فجمعه والشماخ بن ضرار المزني الطريق فتحادثا فقال له عرابة رحمه الله ما الذي أقدمك المدينة يا شماخ قال قدمتها لأمتار منها فملأ له رواحله زاداً وتمراً وأتحفه بتحف غير ذلك فأنشد شماخ رحمه الله يقول

شعر

رأيت عرابة الأوسي يسمو ۝ إلى الخيرات منقطع القرين
إذا ما راية رفعت لمجد ۝ تلقاها عرابة باليمين

وأما علو الهمة فمن علت همته شرفت نفسه. عمارة بن حمزة رحمه الله قيل انه دخل على المنصور
يوما وقعد في مجلسه فقام رجل فقال مظلوم يا امير المؤمنين قال ومن ظلمك قال عمارة غصبني
ضيعتي فقال المنصور رحمه الله يا عمارة قم واقعد مع خصمك فقال ما هو لي بخصم ان كانت
الضيعة له فلست انازعه فيها وان كانت لي فقد وهبتها له ولا اقوم من مكان شرفني به امير
المؤمنين ورفعني ولا يقال قعد في ادنى منه لاجل ضيعة. وتحدث السفاح هو وام سلمة رحمهما
الله في نزاهة نفس عمارة فقالت له ادع به وهب له سبحتي هذه فان شراها خمسون الف
دينار فان هو قبلها علمنا انه غير نزه النفس فوجه اليه فحضر فحادثه ساعة ورمى
اليه بالسبحة وقال هي من الطرف وهي لك فجعلها عمارة بين يديه ثم قام وتركها فقالت
انسيها فبعث بها اليه مع خادم فقال للخادم هي لك فرجع الخادم وقال قد وهبها لي
فاعطت ام سلمة الخادم الف دينار واستعادتها منه واهدى عبد الله بن السري الى عبد الله
بن طاهر لما ولي مصر مائة وصيف مع كل وصيف الف دينار ووجه اليه بذلك ليلا فرده
وكتب اليه لو قبلت هديتك ليلا لقبلتها نهارا وما آتاني الله خير مما آتاكم بل انتم بهديتكم
تفرحون وكان سبب فتح المعتصم رحمه الله عمورية ان امرأة من الثغر لطمت فنادت
وامحمداه وامعتصماه فبلغه الخبر فركب وتبعه الجيش فلما فتحها قال لبيك ايتها المنادية
وكان سعيد بن عمرو بن العاص رحمه الله ذا نخوة وهمة قيل له عند الموت ان المريض يستريح
الى الانين والى شرح ما به الى الطبيب اما الانين فهو جزع وعار والله لا يسمع الله مني انينا
فاكون عنده جزوعا واما وصف ما بي للطبيب فوالله لا يحكم غير الله في نفسي فان شاء امسكها
وان شاء قبضها ومن كبر النفس ما روي عن قيس بن زهير انه اصابته الفاقة واحتاج
وكان يأكل الحنظل حتى قتله ولم يخبر احدا بحاجته. ومن الشرف والرياسة حفظ الجوار وحمى
الذمار وكانت العرب تعد ذلك دينا وتدعو اليه حقا واجبا تحافظ عليه وكان
ابو سفيان بن حرب رحمه الله اذا نزل به جار قال له يا هذا انك قد اخترتني جارا واخترت
دارا فجناية يدك علي دونك وان جنت عليك يدك فاحتكم حكم الصبي على اهله وكان
الفرزدق رحمه الله يجير من عاذ بقبر ابيه غالب بن صعصعة وممن استجار بقبر ابيه فاجاره
امرأة من بني جعفر بن كلاب خافت لما هجا الفرزدق بني جعفر ان يسميها وينسبها فعاذت بقبر
ابيه فلم يذكر لها اسما ولا نسبا ولكن قال بيت

عجوز تصلي الخمس عاذت بغالب ۞ فلا والذي عاذت به لا اضيرها

وقال مروان بن ابي حفصة رحمه الله

هم يمنعون الجار حتى كانما ۞ لجارهم بين السماكين منزل

وقال ابن نباتة رحمه الله

ولو

تعالى

ولو يكون سواد الشعر في دمي ۞ ما كان للشيب سلطان على لمتي
وقيل ان الحجاج اخذ يزيد بن المهلب بن ابي صفرة وعذبه واستاصل موجوده وسجنه
فتوصل يزيد رحمه الله بحسن تلطفه وارغب السجان واستماله وهرب هو واياه وقصد الشام
الى سليمان بن عبد الملك بن مروان رحمه الله وكان الخليفة في ذلك الوقت الوليد بن عبد الملك
رحمه الله فلما وصل يزيد بن المهلب الى سليمان بن عبد الملك اكرمه واحسن اليه واقامه عنده
فكتب الحجاج الى الوليد يعلمه ان يزيد هرب من السجن وانه عند سليمان بن عبد الملك اخي امير المؤمنين
وولي عهد المسلمين وامير المؤمنين اعلى رايا فكتب سليمان الى اخيه الوليد رحمهما الله بذلك يقول
يا امير المؤمنين اني اجرت يزيد بن المهلب هو وابوه واخوته من عهد ابينا قديما وحديثا
ولم اجر عدوا لامير المؤمنين وقد كان الحجاج قصده وعذبه وغرمه اربعة عشر الف
درهم ظلما ثم طالبه بعدها بثلاثة الاف الف درهم فان راى امير المؤمنين ان لا يخزيني في
ضيفي فليفعل فانه اهل الفضل والكرم فكتب اليه الوليد انه لا بد ان ترسل الي يزيد
مقيدا مغلولا فلما ورد ذلك على سليمان احضر ولده ايوب فقيده ودعا بيزيد المهلب
ايضا فقيده ثم شد قيد هذا الى هذا بسلسلة وغلهما جميعا على بغلين وحملهما الى اخيه
الوليد وكتب اليه اما بعد يا امير المؤمنين فقد وجهت اليك يزيد وابن اخيك ايوب بن سليمان
فان هممت بقتل يزيد فبالله عليك ابدا بقتل ايوب من قبله ثم اجعل يزيد ثانيا واجعلني
اذا شئت ثالثا والسلام فلما دخل يزيد بن المهلب وايوب بن سليمان على الوليد وهما في
سلسلة اطرق الوليد استحياء وقال قد اسانا الى ابي ايوب اذ بلغنا به هذا المبلغ فاخذ
يزيد يتكلم ويحتج لنفسه فقال له الوليد ما يحتاج الى الكلام قد علمنا عذرك وعلمنا ظلم
الحجاج لك ثم انه استحضر حدادا وازال عنهما الحديد واحسن اليهما ووصل ايوب ابن اخيه بثلثين
الف درهم ووصل يزيد بن المهلب بعشرين الف درهم وردهما الى سليمان وكتب الى الحجاج
يقول له لا سبيل لك على يزيد بن المهلب فاياك ان تعاودني فيه بعد اليوم فصار يزيد الى سليمان ابن
عبد الملك واقام عنده في اعلى المراتب وافضل المنازل وكان رجل من الشيعة يسعى
في فساد الدولة فجعل المهدي رحمه الله لمن دل عليه واتى به مائة الف درهم فدخل رجل بغداد
فابصر به فقبض عليه فمر به معن بن زائدة فقال له يا ابا الوليد اجرني اجارك الله فقال معن للرجل
ما لك وما له فقال ان امير المؤمنين طلبه فقال خل سبيله قال لا افعل فامر بعض غلمانه فاخذه
غصبا واردفه خلفه ومضى الرجل فاخبر امير المؤمنين المهدي بالقصة فارسل خلف معن
فلما دخل عليه قال له يا معن اتجير علي قال نعم يا امير المؤمنين قتلت في يوم واحد في طاعتكم
خمسة الاف رجل هذا مع ايام كثيرة تقدمت فيها طاعتي فما تروني اهلا ان اجير والي رجلا
استجار بي فاستحيى المهدي واطرق طويلا ثم رفع راسه وقال قد اجرنا من اجرته يا ابا الوليد

قال ان رآى امير المؤمنين ان يحبو جاري فيكون قد احيا وأغناه قال المهدي وقد امرت بخمسين الف درهم فقال يا امير المؤمنين ينبغي ان يكون صلاة الخلفاء على قدر جنايات الرعية وان ذنبا لرجل عظيم فان رأى امير المؤمنين ان يجزل صلته فليفعل قال قد امرت له بمائة الف درهم فرجع معن الى منزله ودعا بالرجل ودفع له المال ووعظه وقال لا تتعرض لمساخط الخلفاء • وكان جعفر بن ابي طالب رحمه الله يقول لابنه يا ابت اني لاستحيي ان اطعم طعاما وجيراني لا يقدرون على مثله فكان ابوه يقول اني لارجو ان يكون فيك خلف من عبد المطلب وسقط الجراد قريبا من بيت بن حنبل فجاء اهل الحي وقالوا نريد جارك فقال اما اذا جعلتموه جاري فوالله لا تصلون اليه واجار حتى طار فسمي مجير الجراد والحكايات عن ذلك اكثر ان تحصر لكثرتها والله اعلم • وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم • تسليما كثيرا

الباب الثلاثون في

الخير والصلاح وذكر السادة الصحابة والاولياء والصالحين رضوان الله عليهم اجمعين

اعلم ان افضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم وفضائلهم اكثر من ان تحصر واشهر من ان تذكر واني والله احبهم واحب من يحبهم واسال الله تعالى ان يميتني على محبة نبي محمد ومحبتهم وان يحشرنا في زمرتهم انه على ما يشاء قدير •

وقال بعضهم

اني احب ابا حفص وشيعته • كما احب عتيقا صاحب الدار

وقد رضيت عليا قدوة علما • وما رضيت بقتل الشيخ في الدار

كل الصحابة ساداتي ومعتقدي • فهل علي بهذا القول من عار

وروى عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصبح منكم اليوم صائما قال ابو بكر انا قال فمن اطعم اليوم منكم مسكينا قال ابو بكر انا قال فمن عاد منكم اليوم مريضا قال ابو بكر انا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمعت في احد الا دخل الجنة وقال صلى الله عليه وسلم لو كان بعدي نبي لكان عمر قال ولما قدم عمر رضي الله عنه الشام وقف على طور سيناء فارسل البطريق طعاما عظيما عليهم وقال له انظر الى ملك العرب فرآه على فرس وعليه جبة صوف مرقعة وهو مستقبل الشمس بوجهه ونعلاه في قربوس السرج وعمر رضي الله عنه يدخل يده فيها ويخرج فلق خبز يابس يمسحها من اللبن ويلوكها فوصفه للبطريق فقال لا نرى لنا بمحاربة هذا طاقة اعطوه ما شاء واما امير المؤمنين عثمان رضي الله عنه ففضائله كثيرة ومناقبه مشهورة فهو جامع القرآن ومن استحيت منه ملائكة الرحمن وقال جميع بن عمير رضي الله عنه دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت لها من

كان احب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة قلت انما اسالك عن الرجال قالت زوجها وما يمنعه فوالله ان كان لصواما قواما ولقد سالت نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم في يده فردها الى فيه قلت فما حملك على ما كان فارسلت خمارها وبكت وقالت امر قضي علي وقال معاوية لضرار بن حمزة الكناني رحمه الله صف لي عليا فاستعفى فالح عليه فقال اما اذ لا بد فانه والله كان بعيد المدى شديد القوى يتفجر العلم من جوانبه • وتنطق الحكمة من نواحيه • يستوحش من الدنيا وزهرتها • ويستانس بالليل وظلمته • كان والله غزير العبرة • طويل الفكرة • يقلب كفه • ويخاطب نفسه • يعجبه من اللباس ما قصر • ومن الطعام ما خشن • كان والله يجيبنا اذا سالناه • ويأتينا اذا دعوناه • ونحن والله مع قربنا وقربه منا لا نكلمه هيبة له • يعظم اهل الدين ويحب المساكين • لا يطمع القوي في باطله • ولا ييأس الضعيف من عدله • واشهد الله لقد رايته في بعض مواقفه • وقد ارخى الليل سدوله وغارت نجومه • وقد مثل في محرابه قابضا على لحيته • يتململ تململ الخائف • ويبكي بكاء الحزين فكأني الآن اسمعه يقول يا دنيا يا دنيا الي تعرضت ام الي تشوقت هيهات غري غيري • قد ابنتك ثلثا لا رجعة لي فيك فعمرك قصير • وعيشك حقير • وخطرك كبير آه من قلة الزاد ووحشة الطريق قال فوكفت دموع معاوية رحمه الله فما علكها على لحيته وهو يمسحها وقد اختنق القوم بالبكاء • ثم قال رحم الله ابا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه يا ضرار قال حزني عليه والله حزن من ذبح واحدها في حجرها • فلا ترقا عبرتها ولا تسكن حيرتها • ثم قام وخرج من عنده قيل واول من سل سيفا في سبيل الله تعالى الزبير بن العوام رضي الله عنه وذلك انه صاح اهل مكة ليلة فقالوا قتل محمد فخرج متجردا وسيفه معه صلتا فتلقاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ما لك يا زبير قال سمعت انك قتلت قال فماذا اردت ان تصنع قال اردت والله استعرض اهل مكة • وروي انه ضبط بسيفي من قدرت عليه فضمه رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه واعطاه ازاره فاستتر به وقال له انت حواري ودعا له قال الاوزاعي رحمه الله كان للزبير الف مملوك يؤدون الضريبة وكان لا يدخل بيته مالهم منها درهم بل كان يتصدق بها وباع دارا له بستمائة الف درهم فقيل له يا ابا عبد الله غبنت قال كلا والله لتعلمن اني لم اغبن اشهدكم انها في سبيل الله تعالى وهبط جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد فقال من حملك على ظهره وكان من حمله على ظهره طلحة رضي الله عنه حتى استقل على الصخرة قال عليه السلام حملني طلحة قال جبريل اقرئه السلام واعلمه اني لا اراه يوم القيامة في هول من اهوالها الا استنقذته منه • ومن هذا الذي على يمينك قال المقداد قال ان الله يحبه ويامرك ان تحبه • ومن هذا الذي بين يديك يتقي منك قال عمار قال بشر عمارا بالجنة وحرمت النار على عمار ومر ابو ذر رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم

ومعه جبريل عليه السلام في صورة دحية الكلبي فقال لجبريل هذا ابو ذر لو سلم لرددنا
عليه فقال هل تعرفه يا اخي يا جبريل فقال والذي بعثك بالحق لهو في ملكوت السموات السبع
اشهر منه في الارض قال عليه السلام فبما نال هذه المنزلة قال بزهده في هذا الحطام الفاني
وقال ابن عمر رضي الله عنهما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ليدفع
بالمسلم الصالح عن مائة الف بيت من جيرانه ثم قرأ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت
الارض الاية وقال ابو بكر السفاح لابي بكر الهذلي لم يبلغ الحسن رحمه الله ما بلغ قال
جمع كتاب الله وهو ابن ثنتي عشرة سنة لم يجاوز سورة الى غيرها حتى يعرف تاويلها ولم يقلب
درهما في تجارة قط ولم يل عملا لسلطان ولم يامر بشيء حتى يفعله ولم ينه عن شيء حتى
يدعه فقال السفاح رحمه الله بهذا بلغ وقال الجاحظ رحمه الله كان الحسن رضي الله عنه
يستثنى به من كل غاية فيقال فلان ازهد الناس الا الحسن وافقه الناس الا الحسن وافصح
الناس الا الحسن واخطب الناس الا الحسن وقال بعضهم عمر بن عبد العزيز ازهد
من اويس لان عمر رضي الله عنه ملك الدنيا وزهد فيها واويس رضي الله عنه لم يملكها ولو قيل
لو ملكها لفعل كما فعل عمر فقال ليس من لم يجرب كمن جرب وقال انس في ثابت البناني
رضي الله عنهما ان للخير مفاتيح وان ثابتا من مفاتيح الخير وكان حبيب العجمي رحمه الله من
خيار الناس وهو الذي اشترى نفسه من ربه اربع مرات باربعين الفا كان يخرج البدرة
فيقول يا رب اشتريت نفسي منك بهذه ثم يتصدق بها رضي الله عنه وكان ايوب السختياني
رضي الله عنه من ازهد الناس واورعهم ذكر عند ابي حنيفة رضي الله عنه يوما فقال رحم الله
ايوب لقد شهدت مقاما عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم لا اذكر ذلك المقام الا اقشعر
جلدي وقال سفين الثوري رضي الله عنه جهدت على ان اكون في السنة ثلثة ايام على ما عليه
ابن المبارك رضي الله عنه فلم اقدر وكان الخليل بن احمد النحوي رضي الله عنه من ازهد الناس
واعلاهم نفسا وكان الملوك يقصدونه ويبذلون له الاموال فلا يقبل منها شيئا وكان يحج سنة
ويغزو سنة حتى مات رحمه الله وقال بن خارجة رحمه الله جالست ابن عون رحمه الله عشرين
سنة فما اظن الملكين كتبوا عليه شيئا وروي انه غسل كرز بن وبرة رحمه الله فلم يوجد على بدنه
مثقال من لحم وعن محمد بن الحسن قال كان ابو حنيفة رضي الله عنهم واحد زمانه لو انشقت عنه
الارض لانشقت عن جبل من الجبال في الكرم والحلم والعلم والمواساة والورع وحج وكيع
بن الجراح رضي الله عنه اربعين حجة ورابط في عبادان اربعين ليلة وختم بها القرآن اربعين
ختمة وتصدق باربعين الفا وروي اربعة الاف حديث وما روي واصحابه على الارض
ووقف عمر بن عبد العزيز على عطاء بن ابي رباح رضي الله عنهما وهو اسود مفلفل الشعر يفتي
الناس في الحلال والحرام فتمثل بقوله ملك المكارم لا عقبان من لبن ومن مشايخ

الرسالة رضي الله عنهم وارضاهم سيدي ابو عبد الله محمد بن اسمعيل المغربي استاذ ابراهيم
بن شيبان رحمهم الله كان عجيب الشان وكان لا ياكل مما وصل اليه ايدي بني ادم سنين كثيرة
وكان اكله من اصول العشب شيئا تعود اكله ومنهم سيدي فتح بن شخرف بن داود يكنى ابا
نصر رحمه الله من الزاهدين الورعين لم ياكل الخبز ثلثين سنة قال احمد بن عبد الجبار سمعت
ابي يقول صحبت فتح بن شخرف ثلثين سنة فلم اره رفع راسه الى السماء ثم رفع راسه يوما فقال
طال شوقي اليك فعجل قدومي عليك وقال محمد بن جعفر سمعت انسانا يقول غسلنا فتح بن شخرف
فراينا على فخذه مكتوبا لا اله الا الله فتوهمناه مكتوبا واذا هو عرق تداخل الجلد ومات ببغداد
وصلي عليه ثلثا وثلثين مرة اقل قوم كانوا يصلون عليه خمسة وعشرين الفا الى ثلثين الفا رحمه الله
ومنهم سيدي فتح بن سعيد الموصلي يكنى ابا نصر من اقران بشر الحافي وسري السقطي كبير
الشان في باب الورع والمعاملات قال ابراهيم بن نوح الموصلي رجع فتح الموصلي الى اهله
بعد صلوة العتمة وكان صائما فقال عشوني فقالوا ما عندنا شيء نعشيك به فقال
ما بالكم جلوس في الظلمة قالوا ما عندنا شيء نسرج به فجلس يبكي من الفرح ويقول الهي
مثلك يترك مثلي ومثل هولاء بلا عشاء وبلا سراج باي يد كانت مني فما زال يبكي الى الصباح
قال فتح رحمه الله رايت غلاما بالبادية لم يبلغ الحنث وهو يمشي وحده ويحرك شفتيه
فسلمت عليه فرد السلام فقلت الى اين فقال الى بيت ربي فقلت بماذا تحرك شفتيك
قال اتلو كلام الله تعالى فقلت انه لم يجر عليك قلم التكليف فقال رايت الموت ياخذ من
هو اصغر مني فقلت خطوك قصير وطريقك بعيد فقال انما علي نقل الخطا وعليه الابلاغ
فقلت واين الزاد والراحلة فقال زادي يقيني وراحلتي رجلاي فقلت اسئلك عن الخبز
والماء فقال يا عماه ارايت لو دعاك مخلوق الى منزله اكان يجمل بك ان تحمل زادك الى
منزله قلت لا فقال ان سيدي قد دعا عباده الى بيته واذن لهم في زيارته فحملهم ضعف
يقينهم على حمل زوادتهم واني استقبحت ذلك وحفظت الادب معه افتراه يضيعني
فقلت حاشا وكلا ثم غاب عن بصري فلم اره الا بمكة فلما راني قال انت ايها الشيخ
بعد على ذلك اليقين ومنهم سيدي ابو عثمان سعيد بن اسمعيل الحيري رحمه الله
صحب شاه الكرماني ويحيى بن معاذ الرازي وكان يقال في الدنيا ثلثة لا رابع لهم
ابو عثمان الحيري بنيسابور والجنيد ببغداد وابو عبد الله بن الجلاء بالشام ومن كلامه رحمه
الله لا يكمل الرجل حتى يستوي في قلبه اربعة اشيا المنع والعطا والذل والعز وقال منذ
اربعين سنة ما اقامني الله في حال فكرهته وما نقلني الى شيء فسخطته ومنهم سيدي سليمان
الخواص رحمه الله ويكنى ابا تراب كان احد الزهاد المعروفين والعباد الموصوفين
سكن الشام ودخل بيروت وكان اكثر مقامه ببيت المقدس قيل اجتمع حذيفة المرعشي

وابراهيم بن ادهم ويوسف بن اسباط فتذاكروا الفقر والغنى وسليمان ساكت فقال
بعضهم الغنى من كان له بيت يسكنه وثوب يستره وسداد من عيش يكفه عن فضول الدنيا
وقال بعضهم الغنى من لم يحتج الى الناس فقيل لسليمان ما تقول انت فبكى وقال رايت
جوامع الغنى في التوكل ورايت جوامع الشر في القنوط والغنى حق الغنى من اسكن الله في قلبه من غناه
يقينا ومن معرفته توكلا ومن عطاياه وقسمته رضا فذلك الغني حق الغنى وان امسى طاويا
واصبح معوزا فبكى القوم من كلامه رحمهم الله ومنهم سيدى سليمان بن عبد الرحمن بن احمد بن
عطية الداراني احد رجال الحلقة قدس الله سره وكان من جلة السادات وارباب الجد
في المجاهدات من كلامه من احسن في نهاره كفي في ليله ومن احسن في ليله كفي في نهاره ومن صدق
في ترك شهوته ذهب الله بها من قلبه والله تعالى اكرم من ان يعذب قلبا بشهوة تركت له
وقال لكل شيء علامة وعلامة الخذلان ترك البكا وقال ولكل شيء صدى وصدا نور القلب
شبع البطن ومنهم سيدى احمد بن ابي الحوارى رحمه الله قيل من كلامه شكوت الى ابي سليمان
رحمه الله الوسواس فقال اذا اردت ان ينقطع عنك فاي وقت احسست به فافرح
فانك اذا فرحت به انقطع عنك لانه لا شيء ابغض الى الشيطان من سرور المؤمن وان
اغتممت به زادك وقال ذا النون المصري رحمه الله سمعوا ليلا على ابي سليمان
الداراني رحمه الله فسمعوه يقول يا رب ان طالبتني بسريرتي طالبتك بتوحيدك وان
طالبتني بذنوبي طالبتك بكرمك وان جعلتني من اهل النار اعلمت اهل النار بحبي اياك ومنهم
علي بن الحسين الحداد رحمه الله من كلامه سالت ابا سليمان رحمه الله باي شيء تعرف الابرار قال
بكتمان المصائب وصيانة الكرامات وروى عنه انه قال نمت ليلة عن وردي فاذا حوراء
تقول لي اتنام وانا ازين لك في الخدور خمسماية عام ومنهم ابو محمد عبد الله بن حسن
رحمه الله من زهاد المتصوفة كوفي الاصل ولكنه سكن انطاكية من كلامه لا تغتم الا من شيء
يضرك غدا ولا تفرح الا بشيء يسرك غدا وله كرامات ظاهرة وبركات متواترة ومنهم
ابو عبد الله محمد اللبان بن يوسف رحمه الله اصبهاني الاصل كتب عن ستماية شيخ ثم غلب عليه الانفراد
والخلوة الى ان خرج الى مكة بشرط التصوف وقطع البادية على التجريد وكان في ابتدا امره
يكتسب كل يوم ثلثة دراهم وثلث درهم فياخذ من ذلك لنفسه دانقا ويتصدق
بالباقي ويختم مع العمل كل يوم ختمة فاذا صلى العتمة في مسجد خرج الى الجبل الى قريب
الصبح ثم يرجع الى العمل وكان يقول في الجبل يا رب اما ان تهب لي معرفتك او تأمر الجبل فينطبق
علي فاني لا اريد الحيوة بلا معرفتك ومنهم سيدى يحيى بن معاذ الرازي قدس الله سره
يكنى ابا زكريا احد رجال الطريقة كان اوحد وقته من كلامه لا تكن ممن يفضحه يوم موته
ميراثه ويوم حشره ميزانه وقال ليكن حظ المؤمن منك ثلث خصال ان لم تنفعه فلا تضره

وان لم

وان لم تسره فلا تغمه وان لم تمدحه فلا تذمه وقال الصبر على الخلوة من علامات الاخلاص
وقال بئس الصديق صديق يحتاج الى ان يقال له اذكرني في دعائك وقال على قدر حبك
لله يحبك الخلق وعلى قدر خوفك من الله تهابك الخلق وعلى قدر شغلك بالله تشتغل في امرك
الخلق وقال من كان غناه في كيسه لم يزل فقيرا ومن كان غناه في قلبه لم يزل غنيا ومن قصد
بحوائجه الخلق لم يزل محروما وروى انه قدم بلخ فجعل يتكلم على الناس في علم الاسرار
فاتته امراة من نسائها فقالت لكم تريد ان تاخذ من هذه البلدة قال ثلثون الف اصرفها
في دين علي بخراسان فقالت لك ذلك على ان تخرج من ساعتك فرضي بذلك وحملت اليه المال
وخرج من الغد فقيل لتلك المراة فيما فعلت فقالت انه كان يريد ان يظهر اسرار اولياء الله تعالى
للسوقة والعامة فغرت على ذلك ومنهم سيدى يوسف بن الحسين الرازي رحمه الله يكنى ابا يعقوب كان
الرازي ح
وحيد وقته في اسقاط التصنع عالما اديبا صحب ذا النون المصري وابا تراب النخشبي رحمهما الله
من كلامه اذا اردت ان تعلم العاقل من الاحمق فحدثه بالمحال فان قبل فاعلم انه احمق وقال اذا
رايت المريد يشتغل بالرخص فاعلم انه لا يجيء منه شيء وقال لان القى الله تعالى بجميع المعاصي احب
الي من ان القاه بذرة من التصنع وقال ابو الحسين الدراج رحمه الله قصدت زيارة بن الحسين
الرازي من بغداد فلما دخلت الري سالت عن منزله فكل من اساله يقول ايش تعمل بذلك الزنديق
فضيقوا صدري حتى عزمت على الانصراف فبت تلك الليلة في مسجد ثم قلت في نفسي جئت هذا البلد
فلا اقل من زيارته فلم ازل اسال عنه حتى وصلت الى مسجده فوجدته جالسا في المحراب وبين يديه مصحف
يقرا فيه فدنوت منه وسلمت عليه فرد السلام وقال من اين قلت من بغداد فقال تحسن تقول شي
قلت نعم فانشات اقول

بيت

رايتك تبني دائبا في قطيعتي ولو كنت ذا حزم لهدمت ما تبني

فاطبق المصحف ولم يزل يبكي حتى بل لحيته وثوبه ورحمته من كثرة بكائه ثم التفت الي وقال يا بني
اتلوم اهل الري على قولهم يوسف بن الحسين زنديق وها انا ذا من وقت صلوة الصبح اقرا القران
لم تقطر من عيني قطرة وقد قامت علي القيمة بهذا البيت ومنهم سيدى حاتم بن علوان الاصم قدس
الله سره يكنى ابا عبد الرحمن من اكابر مشايخ خراسان صحب شقيق البلخي رحمه الله من كلامه
الزم خدمة مولاك تاتيك الدنيا راغمة والاخرة راغبة وقال من ادعى ثلثا بغير ثلث فهو كذاب
من ادعى حب الله تعالى من غير ورع عن محارمه فهو كذاب ومن ادعى حب الجنة من غير انفاق ماله فهو كذاب
ومن ادعى محبة النبي صلى الله عليه وسلم من غير محبة الفقراء فهو كذاب وسال له رجل على ما بنيت
امرك في التوكل على الله تعالى قال على خصال اربع علمت ان رزقي لا ياكله غيري فاطمانت به نفسي
وعلمت ان عملي لا يعمله غيري فانا مشغول به وعلمت ان الموت ياتيني بغتة فانا ابادره
وعلمت اني لا اخلو من عين الله تعالى حيث كنت فانا مستحي منه وسبب تسميته بالاصم ما حكا

ابو علي الدقاق رحمه الله ان امراة جاءت الى حاتم تسأله عن مسألة فاتفق انه خرج منها صوت فخجلت المراة فقال حاتم ارفعي صوتك فاراها انه اصم فسرت المراة بذلك وقالت لم يسمع الصوت فغلب عليه هذا الاسم رحمه الله ومنهم الحسين بن احمد الكاتب رحمه الله من اكابر مشايخ المصريين صحب ابا بكر المصري وابو علي الروذباري وكان اوحد مشايخ وقته من كلامه روايح نسيم المحبة تفوح من المحبين وان كتموها وتظهر عليهم دلائلها وان اخفوها وتدل عليهم وان ستروها

وانشدوا في ذلك

اذا ما اسرت انفس الناس ذكره • تبينته فيهم ولم يتكلموا
تطيب به انفاسهم فيذيعها • وهل سر مسك اودع الريح يكتم

ومنهم سيدي جعفر بن نصير الخلدي رحمه الله يكنى ابا محمد بغدادي المنشأ والمولد صحب الجنيد رحمه الله وانتمى اليه وحج قريبا من ستين حجة روي انه مر بمقبرة الشونيزية وامراة على قبر تندب وتبكي بكاء بحرقة فقال لها ما لك تبكي فقالت ثكلى بولدي فانشأ يقول

شعر

يقولون ثكلى ومن لا يذق • فراق الاحبة لم يثكل
لقد جرعتني ليالي العراق • شرابا امر من الحنظل

روي انه كان له فص فوقع في دجلة وكان عنده دعاء مجرب للضالة اذا دعي به عادت فدعا به فوجد الفص في وسط اوراق كان يتصفحها وصورة الدعاء ان يقول يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه اجمع علي ضالتي وروي انه يقرأ قبله سورة الضحى ثلاثا وروى الحافظ ابو بكر الخطيب رحمه الله في تاريخه انه قال وجدت في بعض حال المزين الكبير الصوفي فقال زودوني شيا فقلت ان ضاع منك شيا واردت ان يجمع الله بينك وبينه او بين انسان فقل يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد اجمع بيني وبين كذا فان الله يجمع بينك وبين ذلك الشي او ذلك الانسان ومنهم سيدي معروف بن فيروز الكرخي قدس الله سره يكنى ابا محفوظ من كبار المشايخ مجاب الدعوة وهو استاذ السري وكان ابواه نصرانيين فاسلماه الى مؤدب بهم وهو صبي فكان المؤدب يقول له قل ثالث ثلثة فيقول بل هو الواحد الصمد فيضربه المؤدب فضربه على ذلك يوما ضربا مفرطا فهرب منه فكان ابواه يقولان ليته يرجع الينا على اي دين شاء فنوافقه عليه فرجع الى ابويه فدق الباب فقيل من بالباب فقال معروف فقالا على اي دين انت قال على دين الاسلام فاسلم ابواه وكان مشهورا باجابة الدعوة من كلامه اذا اراد الله بعبد خيرا فتح عليه باب العمل واغلق عليه باب الفترة والكسل وكان يعاتب نفسه ويقول يا مسكين لم تبكي وتندب اخلص وتخلص وقال السري سالت معروفا عن الطايعين لله باي شي قدروا على الطاعة لله عز وجل قال بخروج الدنيا من قلوبهم ولو كانت في قلوبهم ما صحت لهم سجدة والسلام

ومن انشاداته رحمه الله

الماء يغسل ما بالثوب من درن • وليس يغسل قلب المذنب الماء

وقال ابراهيم الاطروش رحمه الله كان معروف قاعدا يوما على الدجلة ببغداد فمر به صبيان في زورق يضربون بالملاهي ويغنون فقال له اصحابه اما ترى هولاء يعصون الله على هذا الماء فادع الله عليهم فرفع يديه الى السماء وقال الهي وسيدي كما فرحتهم في الدنيا اسالك ان تفرحهم في الاخرة فقال له اصحابه انما قلنا لك ادع عليهم ولم نقل لك ادع لهم فقال اذا فرحهم في الاخرة تاب عليهم في الدنيا ولم يضركم شي وقال السري رحمه الله رايت معروفا في المنام كانه تحت العرش والله تعالى يقول لملائكته من هذا فقالوا انت اعلم يا رب قال هذا معروف الكرخي سكران لا يفيق الا بلقائي وقيل له في مرضه اوص فقال اذا مت فتصدقوا بقميصي هذا فاني احب ان اخرج من الدنيا عريانا كما دخلتها عريانا وقال ابو بكر الخياط رحمه الله رايت في المنام كاني دخلت في المقابر فاذا اهل القبور جلوس على قبورهم وبين ايديهم الريحان واذا معروف الكرخي رحمه الله بينهم يذهب ويجي فقلت يا ابا محفوظ ما فعل الله بك او ليس قد مت قال بلى ثم انشد يقول

بيت

موت التقي حيوة لا نفاد لها • قد مات قوم وهم في الناس احياء

ومنهم سيدي قاسم بن عثمان الجرعي رحمه الله يكنى ابا عبد الملك من اجلة المشايخ صحب سليمان الداراني وغيره وكان من اقران السري من كلامه من اصلح فيما بقي من عمره غفر له ما مضى وما بقي ومن افسد فيما بقي من عمره اخذ بما مضى وما بقي وقال السلامة كلها في الاعتزال عن الناس والفرح كله في الخلوة بالله عز وجل وسيل عن التوبة فقال التوبة رد المظالم وترك المعاصي وطلب الحلال واداء الفرايض وروي انه قال رايت في الطواف حول البيت رجلا فقربت منه فاذا هو لا يزيد قوله اللهم انك قضيت حاجة المحتاجين وحاجتي لم تقض فقلت ما لك لا تزيد على هذا الكلام فقال احدثك كنا سبعة رفقا من بلاد شتى غزونا ارض العدو فاستاسرونا كلنا فاعتزل بنا لتضرب اعناقنا فنظرت الى السماء واذا سبعة ابواب مفتحة عليها سبع جوار من الحور العين على كل باب جارية فقدم رجل منا فضربت عنقه فرايت جارية في يدها منديل فهبطت الى الارض فضربت اعناق ستة منا وبقيت انا وجارية وباب فلما قدمت لتضرب عنقي استوهبني بعض خواص الملك فوهبني له فسمعتها تقول اي شي فاتك يا محروم واغلقت الباب فانا يا اخي متحسر على ما فاتني قال قاسم بن عثمان رحمه الله اراه افضلهم لانه راى ما لم يروا وترك يعمل على الشوق ومنهم ابو بكر دلف بن جحدر الشبلي كان جليل القدر مالكي المذهب عظيم الشان صحب الجنيد ومن في عصره وكان يبالغ في تعظيم الشرع المطهر وكان اذا دخل شهر رمضان جد في الطاعة وقال هذا شهر عظمه ربي فانا اولى بتعظيمه وسيل رحمه الله

عن قول النبي صلى الله عليه وسلم خير عمل المرء كسب يمينه فقال اذا كان الليل خذ ماء وتهيأ للصلوة وصل ما شئت ومد يديك وسل الله عز وجل فذلك عمل يمينك ولما حج رحمه الله وراى مكة المشرفة شرفها الله تعالى وقع مغشيا عليه فلما افاق انشا يقول

بيت

هذه دارهم وانت محب • فما بقا الدموع في الاماق

روى عنه انه قال كنت يوما جالسا فجرى بخاطري ان بخيل فقلت مهما فتح به علي اليوم دفعته الى اول من يلقاني فبينما انا متفكر اذ دخل علي شخص ومعه خمسون دينارا فقال لي اجعل هذه في مصالحك فاخذ قطامته وخرجت واذا انا بفقير مكفوف بين يدي مزين يحلق راسه فتقدمت اليه وناولته الصرة فقال ادفعها للمزين فقلت انها لدنانير فقال اوليس قد قلنا انك بخيل فناولتها للمزين فقال من عادتنا ان الفقير اذا جلس بين ايدينا لا ناخذ منه اجرا فرميتها بالدجلة وقلت ما اعزك احد الا اذله الله ومنهم سيدي زرقان بن محمد اخي ذا النون المصري صاحب سياحة كان بجبل لبنان حكى عنه يوسف بن الحسين رحمه الله قال بينما انا في جبل لبنان اذ ورد اذ ابصرت بزرقان اخي ذا النون المصري جالس على عين ما وقت صلوة العصر فسلمت عليه وجلست من ورائه فالتفت الي وقال ما حاجتك قلت بيتان من شعر سمعتهما من اخيك ذا النون المصري اعرضهما عليك قال قل فقلت سمعت ذا النون المصري رحمه الله يقول

شعر

قد بقينا مذبذبين حيارى • نطلب الوصل ما اليه سبيل
فدواعي الهوى يخف علينا • وخلاف الهوى علينا ثقيل

فقال زرقان ولكني اقول

قد بقينا مذهلين حيارى • حسبنا ربنا ونعم الوكيل
حيث ما الوركان ذاك منانا • والبه في كل امر نميل

قال فعرضت اقوالهما على طاهر المقدسي رحمه الله فقال رحم الله ذا النون رجع الى نفسه فقال ما قال ورجع زرقان الى ربه فقال ما قال وقال ابو عبد الرحمن السلمي رحمه الله زرقان بن محمد اخي ذا النون واظنه اخوة مواخاة لا اخوة نسب وكان من اقرانه واجل رفقائه ومنهم ابو عبد الله الساجي سعيد بن يزيد رحمه الله كان من اقران ذا النون المصري ومن استاذي احمد بن ابي الحوارى له كلام حسن في المعرفة وغيرها روي عنه انه قال اصابتني ضيقة وشدة فبت وانا متفكر في المسير الى بعض اخواني فسمعت قائلا يقول لي في النوم ايجمل بالحر المريد • اذا وجد عند الله ما يريد • ان يميل بقلبه الى العبيد • فانتبهت وانا اغنى الناس ومنهم سيدي بشر بن الحارث الحافي قدس الله روحه يكنى ابا نصر احد رجال الطريقة

اصله

اصله من مرو وسكن بغداد كان من كبار الصالحين واعيان الاتقيا المتورعين صحب الفضيل بن عياض رحمه الله وروي عن سري السقطي وغيره من كلامه لا تكون كالملاحي بامنك عدوك وكيف يكون فيك خير وانت لا يامنك صديقك وقال ايضا اول عقوبة يعاقب بها ابن آدم في الدنيا مفارقة الاحباء وغنيمة المؤمن غفلة الناس عنه واخفا مكانه عنهم وقال ايضا التكبر على المتكبرين من التواضع وسئل رحمه الله عن الصبر الجميل فقال الصبر الجميل الذي لا شكوى فيه الى الناس وقيل عنه لقيه سكران فجعل يقبله ويقول يا سيدي يا ابا نصر وبشر لا يدفعه عن نفسه فلما ولى الرجل تغرغرت عينا بشر وجعل يقول رجل احب رجلا على خير توهمه لعل المحب قد نجا والمحبوب لا يدري ما حاله وروي ان امراة جات الى احمد بن حنبل رحمه الله تسال له فقالت اني امراة اغزل الليل والنهار ولا ابيع غزل الليل من غزل النهار فهل علي في ذلك شي فقال يجب عليك ان تبيني فلما انصرفت قال لاحمد اذهب فانظر اين تدخل فرجع وقال قد دخلت دار بشر فقال قد عجبت ان تكون المسلة الا من بيت بشر ولما مرض مرضه الذي توفي فيه قالوا له نرفع امرك الى الطبيب فقال انا بعين الطبيب يفعل بي ما يريد فالحوا عليه فقال لاخته ادفعي اليهم الما فدفعته لهم في قارورة وكان بالقرب منهم طبيبا نصرانيا فدفعوا اليه القارورة فقال حركوا الما فحركوه ثم قال ضعوه فوضعوه فقالوا ما هذا وصفت لنا قال وبما ذا وصفت لكم قالوا وصفت لنا بانك احذق اهل زمانك فقال انا كما قد وصفت لكم غير ان هذا الما ان كان ما نصراني فهو ما راهب قد فتت الخوف كبده وان كان ما مسلم فهو ما بشر الحافي ما في زمانه اخوف منه فقالوا هو ما بشر الحافي فقال انا اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فلما رجعوا الى بشر قال لهم اسلم الطبيب قالوا ومن اعلمك بذلك قال لما خرجتم من عندي نوديت يا بشر ببركة مائك اسلم الطبيب توفي رحمه الله سنة سبع وعشرين ومائتين ومنهم ابو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي رحمه الله من اجل المشايخ كبير الشان من كلامه ما زلت اسوق نفسي الى الله عز وجل وهي تبكي حتى سقتها وهي تضحك وسئل رحمه الله باي شي وجدت هذه المعرفة قال ببطن جايع وبدن عار وقيل له ما اشد ما لقيت في سبيل الله تعالى قال لا يمكن وصفه قيل وما اهون ما لقيته نفسك منك قال اما هذا فنعم دعوتها الى شي من الطاعات فلم تجبني فمنعتها الما سنة وقال الناس كلهم يهربون من الحساب ويخافون منه وانا اسال الله تعالى ان يحاسبني فقيل له لم قال لعله يقول فيما بين ذلك يا عبدي فاقول لبيك فقوله لي يا عبدي احب الي من الدنيا وما فيها ثم بعد ذلك يفعل بي ما يشا وقال له رجل دلني على عمل اتقرب به الى ربي فقال احبب اوليا الله ليحبوك فان الله تعالى ينظر الى قلوب اوليائه فلعله ينظر الى اسمك في قلب وليه فيغفر لك وسئل رحمه الله عن المحبة

فقال استقلال الكثير من نفسك واستكثار القليل من حبيبك توفي سنة احدى وستين
ومائتين ومنهم شيخ الطايفة سيدي ابو القاسم الجنيد بن محمد القواريري رحمه الله شيخ
وقته وفريد عصره اصله من نهاوند ومولده ومنشاه ببغداد وصحب جملة من المشايخ منهم
خاله السري والحارث المحاسبي ودرس الفقه على ابي ثور وكان يفتي في حلقته وهو
ابن عشرين سنة من كلامه علامة اعراض الله تعالى عن العبد ان يشغله بما لا يعنيه وقال
ايضا الادب ادبان ادب السر وادب العلانية حفظ الجوارح عن الذنوب ورؤي في يده
يوما سبحة فقيل له انت مع تمكنك وشرفك تاخذ بيدك سبحة فقال ترحمه الله سبب
وصلنا به الى ما وصلنا لا نتركه ابدا وقال حسن بن محمد السراج رحمه الله سمعت الجنيد
يقول رايت ابليس في منامي وكانه عريان فقلت له الا تستحي من الناس فقال يا لله
هولاء عندك من الناس لو كانوا من الناس ما تلاعبت بهم كما تتلاعب الصبيان
بالاكرة ولكن الناس غير هولاء فقلت ومن هم فقال قوم في مسجد الشونيزي
قد اضنوا قلبي وانحلوا جسمي كلما هممت بهم اشاروا الى الله تعالى فاكاد ان احترق
قال الجنيد فانتبهت من منامي ولبست ثيابي وجئت الى مسجد الشونيزي بليل
فلما دخلت المسجد واذا انا بثلاثة انفس جلوس ورؤسهم في مرقعاتهم فلما احسوا بي
قد دخلت اخرج احدهم راسه وقال يا ابا القاسم انت كلما قيل لك شي تقبله قيل ان
الثلاثة الذين كانوا في مسجد الشونيزي ابو حمزة وابو الحسن النوري وابو بكر الدقاق
رحمهم الله وقال محمد بن القاسم الفارسي رحمه الله بات الجنيد رحمه الله ليلة العيد في
الموضع الذي كان يتعبد فيه في البرية فاذا هو وقت السحر بشاب مكتف في عباة وهو
يبكي ويقول

شعر

بحرمة غيبتي كم ذا الصدود … الا تعطف علي الا تجود
سرور العيد كم عم النواحي … وحزني في ازدياد لا يبيد
فان كنت اقترفت خلالي سوى … فعذري في الهوى الا اعود

توفي الجنيد رحمه الله سنة سبع وتسعين ومائتين ببغداد وصلى عليه نحو من ستين
الفا رضوان الله عليهم اجمعين امين ومن صحبته وانتفعت بصحبته وفاضت
الخيرات علي ببركته سيدي الشيخ الامام العالم العامل ابو المعالي وابو الصدق ابو بكر
بن عمر الطرطوشي المالكي قدس الله روحه ونور ضريحه كان اوحد زمانه في الزهد والورع
قامعا لاهل الضلال والبدع وله اسرار ظاهرة وبركات متواترة فقد طاع امره
الخلايق حضرا وغربا وانتشر ذكره في البلاد شرقا وغربا واتت الملوك الى
بابه واختاروا ان يكونوا من جملة اصحابه ما اتاه مكروب الا فرج الله كربته ولا

طالب

طالب حاجة الا قضى الله حاجته كان محافظا على النوافل ملازما للفرض وكان اكثر
اكله من المباح من نبات الارض وله في علم الحقيقة اقوال وكم قد رايناله مكاشفات
واحوال ولو تتبعت مناقبه لا تسع الكلام ولكن اقول كان اوحد عصره والسلام
رضي الله عنه وارضاه وجعل الجنة متقلبه ومثواه واعاد علينا من بركاته وبركات
الاولياء والصالحين بمنه وكرمه امين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

الباب الحادي والثلاثون

في مناقب الصالحين وكرامات الاولياء

اعلم ان كرامات الاولياء لا تنكر ومناقبهم اكثر من ان تحصر نسال الله تعالى ان يحشرنا
معهم في زمرة نبينا عليه السلام يوم الحشر انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وهو حسبنا
ونعم الوكيل حكاية قال مالك بن دينار رحمه الله احتبس المطر عنا بالبصرة فخرجنا
نستسقي مرارا فلم نجد للاجابة اثرا فخرجت انا وعطا السلمي وثابت البناني ويحيى البكا
ومحمد بن واسع وابو محمد السختياني وحبيب الفارسي وحسان بن ثابت بن ابي سنان وعتبة
وعتبة الغلام وصالح المزني حتى اذا صرنا الى المصلاة بالبصرة خرج الصبيان من المكاتب
ثم استسقينا فلم نجد للاجابة اثرا فانتصف النهار وانصرف الناس وبقيت انا وثابت
البناني بالمصلاه فلما اظلم الليل اذا انا بعبد اسود مليح رقيق الساقين عليه جبة صوف
قومت ما عليه بدرهمين فجا بما وتوضا ثم جا الى المحراب وصلى ركعتين خفيفتين ثم
رفع طرفه الى السما فقال الهي وسيدي لم ترد عبادك فيما لا ينقصك انفد ما عندك
ام نقص ما في خزاينك اقسمت عليك بحبك لي الا ما استسقيتنا غيثك الساعة قال
فما تم كلامه حتى تغيمت السما وجا مطر كافواه القرب قال مالك رحمه الله فتعرضت له
وقلت له يا اسود اما تستحي بما قلت قال وما قلت قلت قولك بحبك لي وما يدريك
انه يحبك فقال تنح عني يا من اشتغل عنه بنفسه افتراه بداني بذلك الا لمحبته ثم قال
محبته لي على قدره ومحبتي على قدري فقلت له يرحمك الله اوقف قليلا فقال اني مملوك علي
فرض من طاعة مالكي الصغير قال فانصرف وجعلنا نقفوا اثره على البعد حتى دخل دار
نخاس فلما اصبحنا اتينا النخاس فقلت يرحمك الله عندك غلام تبيعه منا للخدمة قال
نعم ومايه غلام للبيع قال فجعل يعرض علينا غلاما بعد غلام حتى عرض علينا سبعين غلاما
فلم اعجبني منهم فقال عودوا علي في غير هذا الوقت فلما اردنا الخروج دخلنا حجرة
خربة خلف داره واذا بالاسود قايم يصلي فقلت هو حبيبي ورب الكعبة فجيت الى النخاس
وقلت بعني هذا الغلام فقال يا ابا يحيى هذا غلام ليس له همة في الليل الا البكا
وفي النهار الا الخلوة والوحدة فقلت له لك الثمن وما عليك فدعاه فجاء وهو يتناعس

فقال الشيخ بما شئت بعد ان تبريني من عيوبه قال فاشتريته بعشرين دينارا وقلت له ما اسمك قال ميمون فاخذت بيده اريد المنزل فالتفت الي وقال يا مولاي الصغير لما اشتريتني وانا لا اصلح لخدمة المخلوقين فقلت والله انما اشتريتك لاخدمك انا بنفسي فقال ولم فقلت الست صاحبنا بالامس بالمصلى قال وقد اطلعت على ذلك قلت انا الذي عارضتك البارحة بالمصلى قال فجعل يمشي حتى اتى المسجد فاستاذنني ودخل المسجد فصلى فيه ركعتين وقال الهي وسيدي سر كان بيني وبينك اظهرت عليه غيرك فكيف الآن يطيب عيشي اقسمت عليك الا ما قبضتني اليك الساعة فلم يرفع راسه فحركته فاذا هو ميت رحمه الله قال فمددت يديه ورجليه فاذا هو ضاحك وقد غلب البياض على السواد ووجهه كالقمر ليلة البدر واذا شاب قد دخل من الباب وقال السلام عليكم اعظم الله اجرنا واجركم في اخينا ميمون بكفاكم الكفن فناولني ثوبين ما رايت مثلهما قط فكفناه فيهما قال مالك رحمه الله فقبره نستسقي ونطلب الحوائج من الله تعالى رحمة الله عليه **وحكي** عن حذيفة المرعشي رحمه الله وكان قد خدم ابراهيم الخواص رحمه الله وصحبه مرة فقيل له ما اعجب ما رايت منه قال بقينا في طريق مكة اياما ما راينا طعاما ناكله فدخلنا الكوفة فاوينا الى مسجد خراب فنظر الي ابراهيم وقال يا حذيفة ارى اثر الجوع فقلت هو كما يرى الشيخ فقال علي بدواة وقرطاس فاحضرتهما اليه فكتب بسم الله الرحمن الرحيم انت المقصود اليه بكل حال والمشار اليه بكل معنى ثم قال منشدا

شعر

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر ٭ أنا جائع أنا ضائع أنا عاري

هي ستة فأنا الضمين لنصفها ٭ فكن الضمين لنصفها يا باري

مدحي لغيرك لهب نار خضتها ٭ فأجر عبيدك من لهيب النار

قال حذيفة رحمه الله ثم دفع الرقعة الي وقال لا تعلق قلبك بغير الله وادفع هذه الرقعة لاول من تلقاه فخرجت فاذا رجل على بغلة فدفعتها اليه فقلت هو في المسجد الفلاني فدفع الي صرة فيها ستمائة درهم فاخذتها ومضيت فوجدت رجلا فسالته من هذا الرجل الذي هو راكب على البغلة قال هو رجل نصراني قال فجئت الى ابراهيم واخبرته بالقصة فقال لا تمس الدراهم فان صاحبها ياتي الساعة فلما كان بعد ساعة واذا بالنصراني قد اقبل راكبا على بغلته فترجل واكب على ابراهيم يقبل راسه ويديه وقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فبكى ابراهيم الخواص رحمه الله فرحا به وسرورا وقال الحمد لله الذي هدانا للاسلام وشريعة محمد عليه السلام **وحكي** ان بعضهم كان ملاحا بنهر النيل بمصر قال كنت اعدي من الجانب الغربي الى الجانب الشرقي وبالعكس فبينما انا ذات يوم في الزورق واذا انا بشيخ مشرق الوجه

فقال

فقال السلام عليك فرددت عليه السلام فقال احملني الى ذلك الجانب لله فقلت نعم فطلع للزورق وعديت به الى الجانب الغربي وكان ذلك الفقير رقاعا وبيده ركوة وعصى فلما اراد النزول قال لي اني اريد احملك امانة قلت وما هي قال اذا كان غدا وقت الظهر تجدني عند تلك الشجرة ميتا فغسلني وكفني في الكفن الذي تجده عند راسي وصل علي وادفني تحت الشجرة وهذه الرقعة والعصا والركوة يا تيك من يطلبهم منك فادفعهم اليه ولا تحتقره قال الملاح ثم ذهب وتركني فتعجبت من قوله وبت تلك الليلة فلما اصبحت انتظرت الوقت الذي قال لي فلما جاء وقت الظهر انسيت ثم تذكرت الى قريب العصر فسرت سرعة فوجدته تحت الشجرة ميتا ووجدت كفنا جديدا تحت راسه يفوح المسك منه فغسلته وكفنته فلما فرغت من غسله حضر عندي جماعة عظيمة لم اعرف واحدا منهم فصلينا عليه ودفنته تحت الشجرة كما عهد الي ثم عدت الى الجانب الشرقي وقد دخل الليل ونمت فلما طلع الفجر وبانت الوجوه اذا انا بشاب قد اقبل فحققت النظر في وجهه فاذا هو من صبيان الملاهي كان يخدمهم فاقبل وعليه ثياب رقاق وهو مخضوب الكفين وطاره تحت ابطه فسلم علي فرددت عليه السلام فقال يا ملاح انت فلان بن فلان قلت نعم قال هات الوديعة التي عندك فقلت لابد تخبرني فقال لا ادري الا اني البارحة كنت عند فلان في عرسه فسهرنا نرقص ونغني الى ان ذكر الله تعالى الذاكرون على الموائد فقمت لاستريح واذا انا برجل قد ايقظني وقال ان الله سبحانه وتعالى قد قبض فلانا الولي واقامك مقامه فسر الى فلان بن فلان صاحب الزورق وقال تصدق بها على من شئت واخذ الركوة والعصا ولبس المرقعة وسار وتركني اخرق وابكي لما حرمت من ذلك واقمت يومي ذلك ابكي الى الليل ثم نمت فرايت رب العزة في النوم يا عبدي اثقل عليك ان مننت على عبد عاص بالرجوع الي انما ذلك فضلي اوتيه من اشاء من عبادي وانا ذو الفضل العظيم **وحكي** ابو اسحق الاصطخري رحمه الله قال خرجت سنة الى الحج فبينما انا في البادية تايه وقد جن الليل وكانت ليلة مقمرة اذ سمعت صوت شخص ضعيف يقول يا ابا اسحق قد انتظرتك من الغداة فدنوت منه فاذا هو شاب نحيف الجسم قد اشرف على الموت وحوله رياحين كثيرة منها ما اعرف ومنها ما لا اعرف فقلت له من انت ومن اين انت قال من مدينة شمشاط كنت في عزة ورفعة وطالبتني نفسي بالعزلة والغربة فخرجت وقد اشرفت على الموت فدعوت الله تعالى ان يقيض لي وليا من اوليائه وارجو ان تكون انت هو فقلت الك حاجة قال نعم لي والدة واخوة واخوات فقلت هل اشتقت اليهم قط قال لا الا اليوم اشتقت ان اشم ريحهم فتمنيت ازيدهم فاحتوشتني السباع والهوام وبكين معي وحملن الي هذه الرياحين التي تراها قال ابو اسحق فبينما انا معه يرق له قلبي فاذا انا بحية عظيمة في فيها باقة نرجس كبيرة فقالت دع ولي الله فان الله تعالى يغار على اوليائه قال فغشي علي وغشي عليه

فما انتبت الا وقد خرجت روحه رضي الله عنه قال فدخلت مدينة شمساط بعدما حججت
فاستقبلتني امرأة بيدها ركوة ما رأيت بالشاب اشبه به منها فلما رأتني نادت يا ابا اسحق
ما شأن الشاب الغريب الذي قدم علينا عزيبا فاني منتظرته منذ كذا وكذا فذكرت لها
القصة الى ان قلت لها قد اردت ان اشم ريحهم فصاحت اواه اواه قد بلغ والله الشم ثم
شهقت شهقة خرجت روحها فخرجت اليها بنات اتراب عليهن مرقعات ومروط
فكفلن امرها وتولين حاجتها وهن مستترات رضي الله عنهم وقد قيل

شعر

يا نسيما هبت من وادي قبا • خبريني كيف حال الغربا
كم سالت الدهر ان يجمعنا • مثل ما كنا عليه فابا

وحكي ان رجلا كان يعرف بدينار العيار وكانت له والدة صالحة تعظه ولا يتعظ
فمر في بعض الايام بمقبرة فاخذ منها عظما فانفتت في يده ففكر في نفسه وقال ويحك
يا دينار كاني بك وقد صار عظمك هكذا رفاتا والجسم ترابا فندم على تفريطه وعزم على
التوبة ورفع راسه الى السما وقال الهي وسيدي القيت اليك مقاليد امري فاقبلني وارحمني
ثم اقبل نحو امه متغير اللون منكسر القلب فقال يا اماه ما يصنع بالعبد الآبق اذا اخذه
سيده قالت يخشن ملبسه ومطعمه ويغل قدمه فقال اريد جبة من صوف واقراصا من
شعير وتفعلين بي كما يفعل بالعبد الآبق لعل مولاي يرى ذلي فيرحمني ففعلت به ما اراد
فكان اذا اجنه الليل اخذ في البكا والعويل ويقول لنفسه ويحك يا دينار الك قوة على النار
كيف تعرضت لغضب الجبار فلم يزل كذلك الى الصباح فقالت له امه يوما يا بني ارفق بنفسك
فقال دعيني اتعب قليلا لعلي استريح كثيرا يا اماه ان لي غدا موقفا طويلا بين يدي رب جليل
ولا ادري ايؤمر بي الى ظل ظليل او الى شر مقيل يا بني استرح قليلا قال الراحة اطلب كانك يا اماه غدا
بالخلايق يساقون الى الجنة وانا اساق الى النار مع اهلها فتركته وما هو عليه فاخذ في البكا
وقراءة القران فقرا في بعض الليالي فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون ففكر فيها وجعل
يبكي حتى غشي عليه فجاءته امه ليلة فنادته فلم يجبها فقالت له يا حبيبي وقرة عيني اين الملتقى
فقال بصوت ضعيف يا اماه ان لم تجديني في عرصات القيمة فاسالي مالكا خازن النار عني
ثم شهق شهقة فمات رحمه الله فغسلته امه وجهزته وخرجت تنادي ايها الناس هلموا الى الصلاة
على قتيل النار فجا الناس من كل جانب فلم يرا اكثر جمعا ولا اغزر دمعا من ذلك اليوم فلما دفنوه
نام بعض اصدقائه تلك الليلة فراه يتبختر في الجنة وعليه حلة خضرا وهو يقرا الاية
فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون وعزته وجلاله سالني ورحمني وتجاوز عني الا اخبروا
والدتي بذلك وحكي سري السقطي رحمه الله قال ارقت ليلة ولم اقدر على النوم فلما

طلع

طلع الفجر صليت فلما اصبحت دخلنا البيمارستان واذا انا بجارية مغلولة مقيدة وهي تنشد
وتقول

شعر

تغل يدي الى عنقي • وما خانت وما سرقت
وبين جوانحي كبد • احس بها قد احترقت

فقلت للقيم ما هذه الجارية قال هذه جارية اختل عقلها فحبست لعلها تصلح فلما سمعت كلامه
تبسمت ثم انشات تقول

شعر

معشر الناس ما جننت ولكن • انا سكرانة وقلبي صاحي
لم غللتم يدي ولم آت ذنبا • غير هتكي في حبه وافتضاحي
انا مفتونة بحب حبيب • لست ابغي عن بابه من براح
ما على من احب مولى الموالي • وارتضاه لنفسه من جناح

قال فلما سمعت كلامها بكيت بكا شديدا فقالت يا سري هذا بكاوك من الصفة فلو عرفته حق
المعرفة قال هي تكلمني اذ جا سيدها فلما راني عظمني فقلت والله هي احق مني بالتعظيم فلم فعلت
بها هذا قال لتقصيرها في الخدمة وكثرة بكائها وشدة حنينها وانينها كانها ثكلى لا تنام
ولا تدعنا ننام وقد اشتريتها بعشرين الف درهم لصناعتها لانها مطربة قلت فما كان بدو امرها
قال كان العود في حجرها يوما وكانت جعلت تقول

شعر

وحقك لا نقضت الدهر عهدا • ولا كدرت بعد الصفو ودا
ملات جوانحي والقلب وجدا • فكيف اقر يا سكني واهدا

فقلت لسيدها اطلقها وعلي ثمنها فقال وافقراه من اين لك عشرين الف درهم يا سري
فقلت لا تعجل فقال تكون في البيمارستان حتى توفيني ثمنها قلت نعم قال سري فانصرفت
وعيني تدمع وقلبي يخشع والله ما عندي درهم من ثمنها فبت طول ليلتي اتضرع الى الله تعالى
واذا انا بطارق يطرق الباب ففتحت فدخل رجل معه ستة من الخدم معهم خمس بدر فقال
اتعرفني يا سري قلت لا قال انا احمد بن المثنى كنت نائما فهتف بي هاتف وقال يا احمد هل
لك في معاملتنا فقلت ومن اولى مني بذلك فقال احمل الى سري السقطي خمس بدر
من اجل الجارية تحفة فان لنا بها عناية ورافة قال سري رحمه الله فسجدت لله شكرا وجلست
انتظر الفجر فلما طلع الفجر جلسنا وذكرنا وانصرفنا نحوها فسمعناها تقول

شعر

قد تصبرت الى ان • عيل من حبك صبري
ضاق من غلي وقيدي • وامتلاني منك صدري

وليس يخفى عنك أمري * يا مُنى قلبي وذخري
أنت قد تعتق رقي * وتدك اليوم أسري

قال السري السقطي رحمه الله فبينما أنا أشهدها وإذا بمولاها قد جاء وهو يبكي فقلت لا بأس عليك قد
جئناك برأس مالك وربح عشرة آلاف فقال والله لو أعطيتني ما بين الخافقين ما فعلت وهي
حرة لوجه الله تعالى فتعجبت وقلت ما كان هذا كلامك بالأمس فقال حسبي لا توبخني فالذي
وقع لي من التوبيخ كفاني وأشهدك أني قد خرجت من جميع مالي صدقة في سبيل الله وإني هارب
إلى الله تعالى فبالله لا تردني من صحبتك فقلت نعم ثم التفت فرأيت صاحب المال يبكي فقلت ما
يبكيك قال يا أستاذ ما قبلني مولاي لما ندبني إليه ورد علي ما بذلت أشهدك أني قد
خرجت من جميع ما أملكه في سبيل الله وكل عبد أملكه وجارية أحرار لوجه الله تعالى قال
سري فقلت ما أعظم بركتك يا جارية فنزعنا الغل من يدها والقيد من رجلها وأخرجناها من
البيمارستان فنزعت ما كان عليها من فاخر الثياب ولبست خمارا من صوف ومدرعة
من شعر وولت قال سري رحمه الله فتوجهت أنا ومولاها وصاحب المال إلى مكة فبينما
نحن نطوف إذ سمعنا صوتا فتبعناه فإذا هي امرأة كالخيال فلما رأتني قالت السلام
عليك يا سري فقلت وعليك السلام من أنت فقالت لا إله إلا الله وقع الشك بعد
المعرفة فتأملتها فإذا هي الجارية فقلت لها ما الذي أفادك الحق بعد انفرادك عن الخلق
فقالت آنسني به وأوحشني من غيره ثم توجهت إليه وقالت إلهي قد خلفتني في دار لا أرى
فيها أنيسا فقد طال شوقي إليك فعجل قدومي عليك ثم خرت ميتة رحمة الله عليها فلما
نظر مولاها إليها بكى وجعل يدعو ويضعف كلامه إلى أن خر إلى جانبها ميتا فدفناهما
جميعا في قبر واحد رحمة الله عليهما وقد قيل

شعر

بحرمة ما قد كان بيني وبينكم * من الود إلا ما رجعتم إلى الوصل
ولا تحرموني نظرة من جمالكم * فلم تجدوا في الحي عبدا لكم مثلي
فوالله ما يهوى فؤادي سواكم * ولو رشقوه بالأسنة والنبل

وحكي عن الحسن البصري رحمه الله قال نزل سائل بمسجد فسأل الناس أن يطعموه كسرة
فلم يطعموه فقال الله تعالى لملك الموت اقبض روحه فإنه جائع فقبض روحه فلما جاء المؤذن
رآه ميتا فأخبر الناس بذلك فجاؤوا وتواعدوا على دفنه فلما رجع المؤذن وجد الكفن في المحراب
مكتوب عليه هذا الكفن مردود عليكم بئس القوم أنتم استطعمكم فقير فلم تطعموه حتى مات
جوعا أحبابنا لم نكله إلى غيرنا وحكي أبو علي المصري رحمه الله قال كان لي جار شيخ يغسل
الموتى فقلت له يوما حدثني بأعجب ما رأيته من الموتى فقال جاءني شاب في بعض الأيام مليح
الوجه حسن الثياب فقال أتغسل لنا هذا الميت قلت نعم فتبعته حتى أوقفني على باب

فدخل

فدخل فيه فإذا الجارية أشبه الناس بالشاب قد خرجت وهي تمسح عينيها فقالت أنت
الغاسل فقلت نعم قالت بسم الله ادخل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فدخلت وإذا
بالشاب الذي جاءني يعالج سكرات الموت وروحه في لبته وقد شخص بصره وقد وضع كفنا
وحنوطا عند رأسه فلم أجلس إليه حتى قبضت روحه فقلت سبحان الله هذا ولي من أولياء الله تعالى
حيث عرف بوقت وفاته فأخذت في غسله وأنا أرتعد فلما أدرجته أتت الجارية أخته
فقبلته وقالت لي أرسل الحذو جيئك إن كانت تحسن بأعجوبة أنت فارتعدت من كلامها
وعلمت أنها لاحقة به فلما فرغت من دفنه جئت أهلي فقصصت عليهم القصة ولبثت بها
إلى عند تلك الجارية ووقفت بالباب فاستأذنت فقالت بسم الله تدخل زوجتك فدخلت
زوجتي وإذا بالجارية مستقبلة القبلة وقد ماتت فغسلتها زوجتي وأنزلتها على أخيها
رحمة الله عليهما وقد قيل لبعضهم

شعر

أيا أحبابنا بنتم عن الدار فاشتكت * لبعدكم آصالها وضحاها
وفارقتم الدار الأنيسة فاستوت * رسوم مغانيها وفاح كلاها
كأنكم يوم الفراق رحلتم * بنومي فعيني لا تصيب كراها
وكنت شحيحا من دموعي بقطرة * فقد صرت سمحا بعدكم بدماها
يراني بشاشا خليلي يظن بي * سرورا وأحشائي الهموم ملاها
وكم ضحكت في القلب منا حرارة * يشب لظاها لو كشفت غطاها
رعى الله ليلات بطيب حديثكم * تقضت وحياها الحيا وسقاها
فما قلت آها بعدها لمسامر * من الناس إلا قال قلبي آها

وحكي أنه كان في بني إسرائيل رجل من العباد الموصوفين بالزهد وكان قد سخر الله تعالى
له سحابة تسير معه حيث يسير فاعتراه فتور في بعض الأيام فأزال الله عنه السحابة وحجب
إجابته فكثر لذلك حزنه وشجونه وطال أمده وأنينه وما زال يشتاق لزمن الكرامة ويبكي
ويتأسف ويتحسر ويتلهف فقام بعض الليالي وصلى ما شاء الله وبكى وتضرع ودعا إلى الله عز وجل
ونام فقيل له في منامه إذا أردت أن يرد الله عليك سحابتك فأت الملك الفلاني في بلد كذا
واسأله أن يدعو لك فإن الله تعالى يرد عليك سحابتك قال فسار الرجل يقطع الأرض
حتى وصل إلى تلك البلدة التي ذكرت له في منامه فدخل إليها وسأل من يرشده إلى قصر الملك
فجاء إليه وإذا عند باب القصر غلام جالس على كرسي عظيم من ذهب أحمر مرصع بالجوهر والناس
بين يديه يسألونه حوائجهم وهو يعرف الناس فوقف الرجل الصالح بين يديه وسلم عليه فقال
له من أنت وما حاجتك فقال رجل من بلاد بعيدة قاصدا الاجتماع بالملك فقال له الغلام لا سبيل
إليه اليوم فسل حاجتك أقضيها لك إن استطعت فقال إن حاجتي لا يقضيها إلا الملك

فقال له الغلام ان الملك ليس له الا يوم واحد في الجمعة يجتمع اليه الناس فيه فاذهب
حتى ياتي ذلك اليوم فانصرف ذلك الرجل ودخل الى مسجد داثر واقام يعبد الله تعالى فيه
وانكر على الملك احتجابه عن الناس فلما كان ذلك اليوم الذي يجلس فيه الملك جا الى القصر فوجد
خلقا كثيرا عند الباب ينتظرون الاذن فوقف مع جملة الناس فلما خرج الوزير اذن للناس
في الدخول ودخل ارباب الحوائج ودخل صاحب السحابة معهم واذا بالملك جالس وبين يديه
ارباب دولته على مراتبهم فجعل راس النوبة يقدم الناس واحدا بعد واحد حتى وصلت نوبة
صاحب السحابة فلما نظر اليه الملك قال مرحبا بصاحب السحابة اجلس حتى افرغ من حوائج
الناس وانظر في امرك فتحير صاحب السحابة في امره فلما فرغ الملك من حوائج الناس
قام من مجلسه واخذ بيد صاحب السحابة وادخله معه في قصره ثم مشى به في دهليز القصر
فلم يجد في طريقه الا مملوكا واحدا فسار به حتى انتهى الى باب من حديد واذا انا بمهدوم
وحيطان مايلة وبيت خرب فيه برش وليس هناك ما يساوي عشرة دراهم الا
سجادة مرقعة من صوف وجعل على راسه قلنسوة من شعر ثم جلس واجلس صاحب
السجادة معه ونادى يا فلانة قالت لبيك قال اتدري من هو ضيفنا الليلة قالت
نعم هو صاحب السحابة فدعي بالحاجة فخرجت فاذا هي امراة كالشن البالي عليها مسح
شعر خشن وهي شابة قال الرجل فالتفت الي الملك وقال لي يا اخي نطلعك على حالنا
او نقضي حاجتك وتنصرف فقلت والله لقد شغلني حالكما عما جيت بسببه قال
الملك الله اعلم انه كان لي في هذا الامر اباء كرام صالحون يتوارثون المملكة كابرا
عن كابر فلما ماتوا وصاروا الى رحمة الله تعالى ووصل الامر الي بغض الله الي الدنيا
واهلها فاردت ان اسيح في الارض واترك للناس لهم من يسوس امرهم فيملكونه عليهم
فخفت عليهم دخول الفتنة وتضييع الشرايع وتبديل شمل الدين فبايعوني وانا والله كاره
فتركت امورهم على ما كانت وجعلت السماط على عادته والحراس على حالها والمماليك
على دعائم اغير شيئا واقعدت المماليك على الابواب بالسلاح ارهابا لاهل الشر وردا
عن اهل الخير وتركت القصر مرتبا على حاله وفتحت له بابا وهو الذي يوصلني الى هذه
الخرابة فادخل فيها وانزع ثياب الملك والبس هذا واظفر الخوص وابيعه واتقوت
من ثمنه انا وهذه التي رايتها وهي ابنة عمي زهدت في الدنيا كزهدي فيها واجتهدت
حتى صارت كالشن البالي والناس لا يعلمون ما نحن فيه ثم اقمت لي نايبا يقوم عني طول
الجمعة وعلمت اني مسؤول فجعلت لي يوما في الجمعة ابرز فيه للناس واكشف ظلامتهم
كما رايت وانا على هذه الحالة مدة فاقم عندنا يرحمك الله حتى نبيع خوصياتنا ونبتاع من
ثمنها طعاما لنفطر معا وتبيت عندنا الليلة ثم تنصرف لحاجتك ان شاء الله تعالى

فلما كان آخر النهار دخل علينا غلام خماسي العمر فاخذ ما عملاه من خوص وسار به الى
السوق فباعه واشترى من ثمنه خبزا وفولا واشترى بباقي ثمنه خوصا فلما كان وقت
المغرب افطرا وافطرت معهما وبت عندهما فقاما من نصف الليل يصليان ويبكيان فلما
كان عند السحر قال الملك اللهم ان هذا يطلب منك رد سحابته فانك قد رددته علينا
اللهم اردها عليه انك على كل شي قدير والمراة تومن على دعائه واذا بالسحابة قد طلعت
من قبل السما فقال لك البشارة بقضا حاجتك وتعجل اجابتك قال فودعتهما وانصرفت
والسحابة معي كما كانت فانا بعد ذلك لا اسال الله تعالى بسرهما شيا الا اعطاني وقد قيل

شعر

استعمل الصبر تحيى بعد الحسلا ... ولازم الباب حقا تبلغ الاملا
ومرغ الخد في اعتابه سحرا ... واحمل لمرضاته في الحب كل بلا
فما يفوز بوصل يا اخي سوى ... صب لثقل الهوى والوجد قد حملا
هذا الحبيب ينادي في الدجا سحرا ... فانهض وكن رجلا بالسعي قد وصلا

وحكي عن ابن دينار رحمه الله قال خرجت الى مكة حاجا فبينما انا اسير اذ
رايت شابا ساكتا لا يذكر الله تعالى فلما جن الليل رفع وجهه نحو السما وقال يا من تسره
الطاعات ولا تضره المعاصي هب لي ما يسرك واغفر لي ما لا يضرك ثم رايته بذي الحليفة
وقد لبس احرامه والناس يلبون وهو لا يلبي قلت هذا جاهل فدنوت منه وقلت له
يا فتى قال لبيك قلت لم لا تلبي قال يا شيخ وما تغني التلبية وقد بارزته بذنوب
سالفات وجرائم مكتوبات والله اني اخشى ان اقول لبيك فيقال لا لبيك ولا سعديك
لا اسمع كلامك ولا انظر اليك فقلت بلى تفعل فانه حليم اذا رضي لم يغضب واذا اغضب
رضي واذا اوعد وفا واذا توعد عفا فقال لي يا شيخ اتشير علي بالتلبية قلت نعم
فبادر الى الارض واضطجع ووضع خده على التراب واخذ حجرا فوضعه على خده الاخر
واسبل دموعه وقال لبيك اللهم لبيك قد خضعت لك وهذا مصرعي بين يديك
فاقام كذلك ساعة ثم مضى فما رايته الا بمنى وهو يقول اللهم ان الناس قد نحروا وذبحوا
وتقربوا اليك وليس لي شي اتقرب به اليك سوى نفسي فتقبلها مني ثم شهق شهقة
وخر ميتا رحمه الله وحكي انه كان بمدينة بغداد رجل يعرف بابي عبد الله
الاندلسي رحمه الله وكان شيخا لكل من بالعراق وكان يحفظ ثلاثين الف حديث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان يقرا القران بجميع الروايات فخرج في بعض السنين الى السياحة
ومعه جماعة من اصحابه مثل الشبلي وغيرهم من مشايخ العراق رحمهم الله قال
الشبلي ولم نزل في خدمته ونحن مكرمون بعبادة الله تعالى الى ان وصلنا الى قرية من قرى

الكنا وطلبنا ما نتوضى به فلم نجده فجعلنا ندور بتلك القرية واذا نحن بكنايس
وبها شمامسة وقساقسة ورهبان وهم يعبدون الاصنام والصلبان فتعجبنا من قلة
عقولهم ثم انصرفنا الى بير في اخر القرية واذا بجوار يستقين الما على البير وبينهن جارية
حسنة الوجه ما فيهن اجمل ولا احسن منها وفي حلقها القلايد الذهب والصلبان فلما
راها الشيخ تغير وجهه وقال هذه ابنة من فقيل له هذه ابنة ملك هذه المدينة
فقال لهم لا بد لها ابوها ويكرمها ولا يدعها تستقي الما قالوا يا سيدي ابوها يفعل ذلك
بها حتى اذا تزوجها رجل اكرمته وخدمته ولا تعجبها نفسها فجلس الشيخ ونكس راسه
ثم اقام ثلثة ايام لم ياكل ولم يشرب ولم يكلم احدا غير انه يودي الفريضة والمشايخ
واقفون بين يديه لا يدرون ما يصنعون قال الشبلي رحمه الله فتقدمت اليه
وقلت له يا سيدي ان اصحابك ومريديك متعجبون من سكوتك ثلثة ايام وانت
ساكت لا تكلم احدا قال فاقبل علينا وقال يا قوم اعلموا ان الجارية التي قد رايتها
بالامس قد شغفتني حبا واشتغل قلبي بها وما بقيت اقدر افارق هذه الارض
فقلت له يا سيدي انت شيخ العراق ومعروف بالزهد في ساير الافاق وهدى
على يديك اثنى عشر الفا فلا تفضحنا واياهم بحرمة الكتاب العزيز فقال يا قوم جرى
القلم بما حكم ووقعت في بحار العدم وقد انحلت عني عقدة الولاية وطويت اعلام
الهداية ثم انه بكى بكا شديدا وقال يا قوم انصرفوا فقد نفذ القضا والقدر
فتعجبنا من امره وسالنا الله تعالى ان يجيرنا من مكره ثم بكينا وبكى حتى اروى الثرى
ثم انصرفنا عنه راجعين الى بغداد فخرج الناس الى لقايه ومريديه فجعل الناس
فلم يروه فسالوا عنه فعرفناهم بما جرى فمات من مريديه جماعة كثيرة حزنا عليه
واسفا وجعل الناس يبكون ويتضرعون الى الله عز وجل ان يرده عليهم وغلقت
الرباطات والزوايا والخوانق ولحق الناس حزنا عظيما فاقمنا سنة كاملة وخرجت
مع اصحابي نكشف خبره فاتينا القرية فسالنا عن الشيخ فقيل لنا انه في البرية يرعى
الخنازير فقلنا وما السبب في ذلك فقالوا انه خطب الجارية من ابيها وابى ان يزوجها
الا لمن هو على دينها ويلبس العباه ويشد الزنار ويخدم الكنايس ويرعى الخنازير
قال الشبلي رحمه الله فانصدعت قلوبنا وانهملت بالبكا عيوننا وسرنا
اليه واذا به قايم قدام الخنازير فلما رانا نكس راسه واذا عليه قلنسوة النصارى
وفي وسطه زنارهم وهو متوكي على العصاه التي كان يتوكا عليها الى المحراب
فسلمنا عليه فرد علينا السلام فقلنا يا شيخ ما ذاك وما ذا وهذه الكروب
والهموم بعد تلك الاحاديث والعلوم فقال يا اخواني واحبابي ليس لي من الامر شي

سيدي

سيدي يصرف في حيث شا وحيث اراد قد ابعدني عن بابه بعد ان كنت من جملة
احبابه فالحذر الحذر يا اهل وداده من صده وبعاده والحذر الحذر يا اهل المودة
والصفا من القطيعة والجفا ثم رفع طرفه الى السما وقال يا مولاي لم يكن ظني فيك
هذا ثم جعل يستغيث ويبكي ثم نادى يا شبلي اتعظ بغيرك فنادى الشبلي باعلى صوته بك
المستعان وانت المستغاث وعليك المتكل اكشف عنا هذه الغمة بحلمك فقد همنا امر
لا كاشف له غيرك قال فسمعت الخنازير بكاهم وضجيجهم فاقبلوا اليهم وجعلوا يمرغون
وجوههم بين ايديهم وزعقوا زعقة واحدة دويت منها الجبال فظننت ان القيمة قد قامت
ثم ان الشيخ بكى بكا شديدا قال الشبلي فقلنا له هل ان ترجع معنا الى بغداد فقال وكيف
لي بذلك وقد استرعيت الخنازير بعد ان كنت ارعى القلوب فقلت له يا شيخ كنت تحفظ
القران وتقراه بالسبع فهل بقيت تحفظ منه شيا قال انسيته كله الا آيتين قلت وما
هما قال قوله تعالى ومن يهن الله فما له من مكرم ان الله يفعل ما يشا والثانية قوله تعالى
ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سوا السبيل فقلت يا شيخ كنت تحفظ ثلثين الف حديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهل بقيت تحفظ منها شيا فقال حديثا واحدا وهو قوله
صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه قال الشبلي رحمه الله فتركناه وانصرفنا
ونحن متعجبون من امره فسرنا ثلثة ايام واذا نحن به وهو امامنا قد تطهر من نهر وطلع
وهو يشهد شهادة الحق ويجدد اسلامه فلما رايناه لم نملك انفسنا من الفرح والسرور
فنظر الينا وقال يا قوم اعطوني ثوبا طاهرا فاعطيناه فلبسه ثم صلى وجلس فقلنا
الحمد لله الذي ردك علينا وجمع شملنا بك فصف لنا ما جرى لك وما كان من امرك فقال
يا قوم لما وليتم من عندي سالته بالوداد القديم وقلت يا مولاي انا المذنب الجاني
فعفى عني بجوده وبستره غطاني فقلنا نسالك بالله تعالى هل كان لمحنتك من سبب قال
نعم لما وردنا القرية وجعلتم تدورون حول الكنايس قلت في نفسي ما قدر هولا عندي
وانا مومن موحد فنوديت في سري ليس هذا منك ولو شينا عرفناك ثم احسست بطاير
قد خرج من قلبي وكان ذلك طاير الايمان قال الشبلي رحمه الله ففرحنا به فرحا
شديدا وكان يوم قدومنا به يوم عظيم مشهود وفتحت الزوايا والرباطات والخوانق
ونزل الخليفه للقا الشيخ وارسل اليه الهدايا وصار يجتمع عنده لسماع الحديث اربعون
الفا واكثر واقام على ذلك زمانا طويلا ورد الله عليه ما كان نسيه من القران والحديث
وزاده على ذلك بكرمه فبينما نحن جلوس عنده في بعض الايام بعد صلوة الصبح واذا بطارق
يطرق باب الزاوية فنظرت من الباب واذا الشخص ملتف بكسا اسود فقلت ما الذي
تريد فقال قل لشيخكم ان الجارية الرومية التي تركتها بالقرية قد جات لخدمتكم قال فدخلت

وعرفت الشيخ فاصفر لونه وارتعد ثم امر بدخولها فلما دخلت عليه بكت بكا
شديدا فقال لها الشيخ كيف كان مجيك ومن اوصلك الى ههنا قالت يا سيدي لما
ولبث من قرنتنا جائني اخبرني بك فبت ولم ياخذني قرار فرايت في منامي شخصا وهو يقول
ان احببت ان تكوني من المومنات فاتركي ما انت عليه من عبادة الاصنام واتبعي ذلك
الشيخ وادخلي في دينه فقلت وما دينه قال دين الاسلام قلت وما هو قال شهادة ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله فقلت كيف لي بالوصول اليه فقال غمضي عينيك واعطيني يدك ففتحتي
بي قليلا ثم قال افتحي عينيك ففتحتها واذا انا بشاطي الدجلة فقال امضي الى تلك الزاوية
واقري الشيخ مني السلام وقولي له ان اخاك الخضر يسلم عليك قال فادخلها الشيخ الى
عند جواره وقال لها تعبدي ههنا فكانت اعبد اهل زمانها تصوم النهار وتقوم الليل
حتى نحل جسمها وتغير رسمها فمرضت مرض الموت واشرفت على الوفاة ومع ذلك لم يراها
الشيخ فقالت قولوا الشيخ يدخل علي قبل الموت فلما بلغ الشيخ ذلك دخل عليها فلما راته بكت
فقال لها لا تبكي فان اجتماعنا غدا في القيمة في دار الكرامة ثم انتقلت بالوفاة الى رحمة الله تعالى
فلم يلبث الشيخ بعدها الا اياما قلايل حتى مات رحمه الله قال الشبلي رحمه الله فرايته
في المنام وقد تزوج بسبعين حورية فقلت ما تزوج بالجارية قال هما مع الذين انعم الله
عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين وحسن اوليك رفيقا ذلك الفضل
من الله وكفى بالله عليما وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

الباب الثاني والثلثون
في ذكر اشرار الفجار وما يرتكبون من الفواحش
والوقاحة والسفاهة

عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قبل قيام الساعة يرسل
الله تعالى ريحا باردة طيبة فتقبض روح كل مومن مسلم ويبقى شرارها يتهارجون كتهارج
الحمر وعليهم تقوم الساعة وقال مالك بن دينار رحمه الله كفى بالمرء اثما ان يكون صالحا
وهو يقع في الصالحين وقال لقمان عليه السلام لابنه يا بني كذب من قال ان الشر يطفي الشر
فان كان صادقا فليوقد نارين ثم لينظر هل تطفي احديهما الاخرى وانما يطفي الخير الشر كما
يطفي الما النار ووصف بعضهم رجلا من اهل الشر فقال فلان عري من حلية التقى
ونحى عنه طابع الهوى لا تثنيه يد المراقبة ولا تكفه خيفة المحاسبة هو لدعايه دينه
مضيع ولدواعي شيطانه مطيع وقد قيل

بيت

كانه التيس قد اودي به هرم ... فلا لحم ولا صوف ولا عن

قيل من شا لقي ما سا وقيل زنا رجل بجارية فاحبلها فقالوا له يا عدو الله هلا اذا ابتليت

بفاحشة عزلت قال بلغني ان العزل مكروه قالوا له فما بلغك ان الزنا حرام وقيل
لاعرابي كان يعشق قينة ما يضرك لو اشتريتها ببعض ما تنفق عليها قال فمن لي اذ ذاك بلذة
الخلسة ولقا السارقة وانتظار الموعد وقال ابو العينا رحمه الله رايت جارية مع النخاس
وهي تحلف ان لا ترجع لمولاها فسالتها عن ذلك فقالت يا سيدي انه يواقعني من قيام ويشتمني
باعراب ويلحن في القران ويصوم الخميس والاثنين ويفطر في رمضان ويصلي الضحى ويترك الصبح
فقلت لا كثر الله في المسلمين مثله وكانت طلمة القواد وهي صغيرة في المكتب تسرق ادوية الصبيان
واقلامهم فلما شبت زنت فلما كبرت قادت وقال صاحب المسالك والممالك ان عامة ملوك
الهند يرون الزنا مباحا خلا ملك قمار وقال الزمخشري رحمه الله اقمت بقمار سنين فلم ار ملكا
اغير منه وكان يعاقب على الزنا والشرب بالقتل وقمار ينسب اليها العود كما ينسب الى مندل

قال سكن الدارمي رحمه الله

ولا ذنب للعود القماري انه ... يحرق ان غنت عليه رواهه

قال ابن عباس رحمه الله عهدت الناس وهواهم تبع لاديانهم وان الناس اليوم اديانهم
تبع لاهوائهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسب امري من الشر ان يخيف اخاه المسلم

وما جا في الوقاحة والسفاهة وذكر الفواحش

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ادرك الناس من كلام النبوة الاولى اذا لم تستح
فاصنع ما شيت وفي ذلك قيل

شعر

اذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا ... وتستح مخلوقا فما شيت فاصنع

وقال ابن سلام العاقل شجاع القلب والاحمق شجاع الوجه وذم رجل قوما فقال وجوههم
وايديهم حديد اي وقاح بخلا وذكر رجل رجلا وقحا فقال لزوق الحجارة لو صبيا ولو خلي باستار
الكعبة لسرقها

قال الشاعر

لو ان لي من جلد وجهك رقعة ... لجعلت منها حافرا للاشهب

وقال اخر

اذا رزق الفتى وقاحا ... تقلب في الامور كما يشا

وقال انوشروان رحمه الله اربعة قباح وهي في اربعة اقبح البخل في الملوك والكذب في
القضاه والحسد في العلما والوقاحة في النسا ويقال من جسر ايسر ومن هاب خاب

قال الشاعر

ولا تكونن في الامور هيوبا ... فالى خيبة يصير الهيوب

وقال الامام علي رضي الله عنه اذا هبت امرا فقع فيه فان شر توقيه اعظم مما يخاف منه
وقال ايضا الغوغا اذا اجتمعوا ضروا واذا افترقوا نفعوا فقيل قد علمنا مضرة اجتماعهم

فما منفعة افتراقهم قال يرجع اهل المهن الى مهنهم فينتفع الناس بهم كرجوع البنا الى بنايه
والنساج الى منسجه والخباز الى مخبزه • وقال بعض السلف لا تسبوا الغوغا فانهم يطفئون
الحريق ويخرجون الغريق • وقيل ما قل سفها قوم الا ذلوا • وقال حكيم رحمه الله لا يخرج احد
من بيته الا وقد اخذ في حجزته قيراطين من جهل فان الجاهل لا يدفعه الا الجهل او السفه •

قال الشاعر

الا لا يجهلن احد علينا • فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وقيل الجاهل من لا جهل له اي من لا له سفيه يدفع عنه • وقيل بينما امير المومنين عمر رضي الله
عنه جالس ذات يوم اذ جا اعرابي فلطمه فقام اليه واقد ابن عمر رضي الله عنه فجلد به الارض
فقال عمر رضي الله عنه ليس بحر من ليس في قومه سفيه • قال الشاعر •

ولا بد من جهل اذا ما تهتضموا • اخا الحلم ما لم يستعن بجهول •

وقال صالح بن جناح رحمه الله

اذا كنت بين الجهل والحلم قاعدا • وخيرت اني شئت فالحلم افضل
ولكن اذا انصفت من ليس منصفا • ولم يرض منك الحلم فالجهل امثل

وقال الاحنف بن قيس رحمه الله

وذي ضغن امت القول منه • بحلم فاستمر على المقال
ومن حلم وليس له سفيه • يلاقي المعضلات من الرجال

وقال اخر

فان كنت محتاجا الى الحلم انني • الى الجهل في بعض الاحايين احوج
ولي فرس بالخير للخير ملجم • ولي فرس بالشر للشر مسرج
فان رام تقويمي فاني مقوم • ومن رام تعويجي فاني معوج

وقال اخر

فان قيل حلم قيل للحلم موضع • وحلم الفتى في غير موضعه جهل

اللهم انا نعوذ بك من ان نجهل او يجهل علينا برحمتك يا ارحم الراحمين • يا رب العالمين

الباب الثالث والثلثون في

الجود والسخا والكرم ومكارم الاخلاق واصطناع المعروف وذكر الانجاد واحاديث الاجواد

اعلم ان الجود بذل المال وانفعه ما صرف في وجه استحقاقه وقد ندب الله تبارك وتعالى
اليه بقوله لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون • وقيل ان الجود والسخا بمعنى واحد وقيل من
اعطى البعض وامسك البعض فهو صاحب سخا ومن بذل الاكثر فهو صاحب جود ومن اثر غيره

بالحاضر

بالحاضر وبقي هو في مقاسات الضرر فهو صاحب ايثار وافضل السخا السماحة وقد يكون
المعطي بخيلا اذا اصعب عليه البذل والممسك سخيا اذا كان لا يصعب عليه العطا فمن الايثار
ما حكي عن حذيفة العدوي رحمه الله انه قال انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي
في القتلى ومعي شي من الما وانا اقول ان كان به رمق سقيته فاذا انا به بين القتلى فقلت اسقيك
فاشار الي ان نعم فسمع اخر يقول اه فاشار الي ان انطلق اليه فاذا هو هشام بن العاص رحمه الله
فقلت اسقيك فاشار الي ان نعم فسمع اخر يقول اه فاشار الي ان انطلق اليه فجيته فاذا هو
قد مات فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات • ومن عجايب ما ذكر في الايثار
ما حكاه ابو محمد الازدي رحمه الله قال لما احترق المسجد بمصر ظن المسلمون ان النصارى
احرقوه فاحرقوا خانا لهم فقبض السلطان جماعة من الذين احرقوا الخان وكتب رقاعا فيها
القطع والجلد والقتل ونثرها عليهم فمن وقعت عليه رقعة فعل به ما فيها فوقعت رقعة فيها
القتل بيد رجل فقال والله ما كنت ابالي لولا ام لي وكان بجنبه بعض الفتيان فقال في رقعتي
الجلد وليست لي ام فخذ رقعتي واعطني رقعتك ففعل فقتل ذلك الفتى وتخلص هذا من القتل
وقيل لقيس بن سعد رحمه الله هل رايت قط اسخى منك قال نعم نزلنا بالبادية على امراة فجا
زوجها فقالت انه نزل بك ضيفان فجا بناقة فنحرها وقال شانكم فلما كان من الغد جا
باخرى ونحرها وقال شانكم فقلنا ما اكلنا من التي نحرت البارحة فقال اني لا اطعم اضيافي
الغابر فبقينا عنده اياما والسما تمطر وهو يفعل كذلك فلما اردنا الرحيل وضعنا ماية
دينار في بيته وقلنا للمراة اعتذري عنا اليه ومضينا فلما ارتفع النهار واذا برجل يصيح
خلفنا قفوا ايها الركب اللئام اعطيتموني ثمن قراي ثم انه لحقنا وقال خذوها والا طعنتكم
برمحي فاخذناها وانصرفنا • وقال بعض الحكما • اصل المحاسن كلها الكرم
واصل الكرم نزاهة النفس عن الحرام وسخاوها بما ملكت على الخاص والعام وجميع خصال
الخير من فروعه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجافوا عن ذنب السخي فان الله اخذ بيده كلما
عثر وفاتح له كلما افتقر • وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال ما سيل رسول الله صلى الله عليه
وسلم في شي فقال لا • وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال السخي قريب من الله قريب من الناس قريب
من الجنة بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل
سخي احب الى الله من عابد بخيل • وقال بعض السلف منع الجود سو ظن بالمعبود وتلا قوله تعالى
وما انفقتم من شي فهو يخلفه وهو خير الرازقين • وقال الفضيل رحمه الله ما كانوا يعدون
القرض معروفا • وقال اكثم بن صيفي رحمه الله صاحب المعروف لا يقع وان وقع وجد له متكا
وقيل للحسن بن سهل رحمه الله لا خير في السرف ولا سرف في الخير فقلب اللفظ واستوفى المعنى • ووجد
مكتوب على حجر انتهزوا الفرص عند امكانها ولا تحمل على نفسك هم ما لا ياتك واعلم ان تقتيرك

على نفسك توفير لخزانة غيرك وكم من جامع لبعل حليلته وقال علي رضي الله عنه ما
جمعت من المال فوق قوتك فانما انت فيه خازن لغيرك وقال النعمان بن المنذر
رحمه الله يوما لجلسائه من افضل الناس عيشا وانعمهم بالا واكرمهم طباعا واجلهم
في النفوس قدرا فسكت القوم فقام فتى فقال ان افضل الناس من عاش الناس في فضله
فقال صدقت وكان اسما بن خارجة رحمه الله يقول ما احب ان ارد حاجة من احد
لانه ان كان كريما اصون عرضه وان كان لئيما اصون عنه عرضي وكان مورق العجلي
رحمه الله يتلطف في ادخال السرور والرفق على اخوانه فيضع عند احدهم البدرة ويقول
امسكها حتى اعود اليك ثم يرسل يقول له انت في حل منها وقال الحسن باع طلحة بن
رضي الله عنه ارضا بسبعمائة الف فلما جاءه بالمال قال ان رجلا يبيت هذا عنده لا يدري
ما يطرقه لغرير بالله تعالى ثم قسمه في المسلمين ولما دخل المنكدر على عائشة رضي الله عنها
قال لها يا ام المؤمنين اصابتني فاقة فقالت ما عندي شيء ولو كان عندي عشرة آلاف درهم
لبعثت بها اليك فلما خرج من عندها جاءتها عشرة آلاف من عند خالد بن اسيد رحمه الله
فارسلت بها في اثره فدخل السوق فاشترى جارية بالف درهم فولدت له ثلاثة اولاد
فكانوا عباد المدينة محمد وابو بكر وعمر بنو المنكدر واكرم العرب في الاسلام طلحة
بن عبد الله رضي الله عنه جاءه رجل فسأله برحم بينه وبينه فقال هذا حائطي بمكان كذا
وقد اعطيت فيه مائة الف درهم فان شئت فالمال وان شئت فالحائط وقال
زياد بن جرير رحمه الله رأيت طلحة رضي الله عنه فرق مائة الف في مجلس وانه ليخيط ازاره بيده
وذكر الامام ابو علي القالي رحمه الله في كتابه الامالي ان رجلا جاء الى معاوية رحمه الله
فقال له سألتك بالرحم الذي بيني وبينك الا ما قضيت حاجتي فقال له معاوية امن قريش
انت قال لا قال فاية رحم بيني وبينك قال رحم آدم فقال رحم مجفوة والله لاكونن اول
من وصلها ثم قضى حاجته وروي ان الاشعث بن قيس رحمه الله ارسل الى عدي بن حاتم
يستعير منه قدورا كانت لابيه حاتم فملأها مالا وبعث بها اليه وقال انا لا نعيرها فارغة
وكان الاستاذ ابو سهل الصعلوكي رحمه الله من الاجواد ولم يناول احدا شيئا وانما
كان يطرحه في الارض فيتناوله الآخذ منها وكان يقول الدنيا اقل خطرا من ان يرى يدي
من اجلها فوق يد اخرى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى
وسأل معاوية الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الكرم فقال هو التبرع بالمعروف قبل السؤال
والرأفة بالسائل مع البذل وقدم رجل من سعد من قريش رحمه الله فمر على رجل من الاعراب
على قارعة الطريق قد اقعده الدهر واضر به المرض فقال له يا هذا اعنا على الدهر فقال
لغلامه ما بقي معك من النفقة فادفعه اليه فصب في حجره اربعة آلاف درهم فذهب

ليقوم

فلم يقدر من الضعف فبكى فقال له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت ما دفعنا
اليك قال لا والله ولكن ذكرت ما تأكل الارض من كرمك فابكاني وقال بعضهم قصد
رجل الى صديق له فدق عليه الباب فخرج اليه وسأله عن حاجته فقال علي دين كذا وكذا فدخل
الدار واخرج اليه ما كان عنده ودخل الدار باكيا فقالت له زوجته هلا تعللت حين شق
عليك الاجابة فقال انما ابكي لاني لم اتفقد حاله حتى احتاج الى ان سألني ويروى ان عبد الله
بن ابي بكر رحمه الله كان احد الاجواد عطش يوما في طريقه فاستسقى من منزل امرأة فاخرجت
له كوزا ووقفت خلف الباب وقالت تنحوا عن الباب وليأخذه بعض غلمانكم فاني امرأة من العرب
مات خادمي منذ ايام فشرب عبد الله الماء وقال يا غلام احمل اليها عشرة آلاف درهم فقالت
سبحان الله اتسخر بي فقال يا غلام احمل اليها عشرين الفا فقالت اسأل الله العافية فقال
يا غلام احمل اليها ثلاثين الفا فما امست حتى كثر عليها خطابها وكان رضي الله عنه ينفق على
اربعين دارا من جيرانه عن يمينه واربعين دارا عن يساره واربعين دارا امامه واربعين دارا
خلفه ويبعث اليهم الاضاحي والكسوة في الاعياد ويعتق في كل عيد مائة مملوك ولما مرض
قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنه استبطأ اخوانه في العيادة فسأل عنهم فقيل انهم يستحيون
مما لك عليهم من الدين فقال اخزى الله مالا يمنع الاخوان من الزيارة ثم امر مناديا فنادى
من كان لقيس عنده مال فهو منه في حل فكسرت عتبته بالعشي لكثرة العواد وكان عبد الله
بن جعفر رضي الله عنه من الجود بالمكان المشهور وله فيها اخبار يكاد سامعها ينكرها لبعدها
عن المعهود وكان معاوية رضي الله عنه يعطيه مائة الف الف درهم في كل سنة فيفرقها في الناس
ولا يرى الا وعليه دين ومر رجل ببهيمة ثم خرج بها ليبيعها بثمن لعبد الله بن جعفر فقال
يا صاحب البهيمة اتبيعها قال لا ولكنها لك هبة ثم تركها له وانصرف الى بيته فلم يلبث الا
يسيرا واذا بالحمالين على بابه عشرين نفرا عشرة منهم يحملون حنطة وخمسة لحما وكسوة واربعة
يحملون فاكهة ونقلا وواحد يحمل مالا فاعطاه جميع ذلك واعتذر اليه ولما مات
معاوية وفد عبد الله بن جعفر على يزيد رضي الله عنهم فقال كم كان امير المؤمنين معاوية
يعطيك من المال قال كان رحمه الله يعطيني الف الف فقال يزيد رحمه الله قد زدناك
لترحمك عليه الفي الف فقال بابي انت وامي فقال ولهذا الفا الف قال اما اني لا اقولها
لاحد بعدك فقيل ليزيد اعطيت هذا المال كله لرجل واحد من مال المسلمين فقال والله
ما اعطيته الا لجميع اهل المدينة ثم وكل به يزيد من صحبه وهو لا يعلم لينظر ما يفعل
فلما وصل المدينة فرق جميع المال حتى احتاج بعد شهر الى الدين وخرج رضي الله عنه
هو والحسن وابو حبة الانصاري رضي الله عنهم من مكة الى المدينة فاصابتهم السماء
بالمطر فلجأوا الى خباء اعرابي فاقاموا عنده ثلاثة ايام حتى سكنت السماء فذبح لهم الاعرابي

في

شاة فلما ارتحلوا قال عبد الله للاعرابي ان قدمت المدينة فسل عنا فاحتاج الاعرابي بعد سنين فقالت امرأته لو اتيت المدينة فلقيت اولئك الفتيان فقال قد انسيت اسماءهم فقالت سل عن ابن الطيار فاتى المدينة فلقي سيدنا الحسن رضي الله عنه فامر له بمائة ناقة بفحولها ورعاتها ثم اتى الحسين رضي الله عنه وقال كفانا ابو محمد مؤنة الابل فامر له بالف شاة ثم اتى عبد الله رضي الله عنه وقال لكفاني اخواي الابل والشياه فامر له بمائة الف درهم • ثم اتى دحية رضي الله عنه فقال له والله ما عندي مثل ما اعطوك ولكن ائتني بابلك فاوقرها لك تمرا فلم يزل اليسار في عقب الاعرابي من ذلك اليوم
وخرج عبد الله رضي الله عنه الى ضيعة له فنزل على نخيل قوم فيها غلام اسود يقوم عليها فاتى بقوته ثلاثة اقراص فدخل كلب فدنا من الغلام فرمى اليه بقرص فاكله ثم رمى اليه بالثاني فاكله ثم رمى اليه بالثالث فاكله وعبد الله ينظر فقال يا غلام كم قوتك كل يوم قال ما رايت قال فلم آثرت الكلب على نفسك قال ما هي بارض كلاب وانما جاء من مسافة بعيدة جائعا فكرهت رده قال فما انت اليوم صانع قال اطوي يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر رضي الله عنه الام على السخاء وان هذا لاسخى مني فاشترى الحائط والغلام وما بها من الآلات واعتق الغلام ووهب الحائط له فقال الغلام ان كان ذلك لي فهو في سبيل الله فاستعظم عبد الله ذلك منه وقال يجود هذا واعجز انا لا كان هذا ابدا وقال الحسن والحسين لعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم يوما انك قد اسرفت في بذل المال فقال بابي انتما ان الله عز وجل عودني ان يتفضل علي وعودته ان اتفضل به على عباده واخاف ان اقطع العادة فيقطع عني المادة وامتدحه نصيب رحمه الله فامر له بخيل واثاث ودنانير ودراهم فقال له رجل مثل هذا الاسود يعطى هذا المال فقال ان كان هو اسود فشعره ابيض ولقد استحق بما قال اكثر مما نال وهل اعطيناه الا مالا يفنى وثيابا تبلى واعطانا مدحا يروى وثناء يبقى وكان سيدنا ابن عباس رضي الله عنهما من الاجواد اتاه رجل وهو بفناء داره فقام بين يديه وقال يا ابن عباس ان لي عندك يدا وقد احتجت اليها فصعد فيه بصره فلم يعرفه فقال له ما يدك فقال رايتك واقفا بزمزم وغلامك يمنح لك من مائها والشمس قد ظهرت لك فظللتك بطرف كسائي حتى شربت فقال اجل اني لاذكر ذلك ثم قال لغلامه ما عندك قال مائتا دينار وعشرة آلاف درهم قال فادفعها اليه وما اراها تفي بحق يده وحبس معاوية عن الحسن بن علي رضي الله عنه صلاته فقيل له لو وجهت الى ابن عمك عبد الله بن عباس فانه قدم بنحو الف الف فقال الحسن واين تقع الف الف من عبد الله فوالله لهو اجود من الريح اذا عصفت واسخى من البحر اذا زخر ثم وجه اليه

مع رسوله بكتاب ذكر فيه حبس معاوية صلاته عنه وضيق حاله وانه محتاج الى مائة الف درهم فلما قرا عبد الله كتابه انهملت عيناه وقال ويلك يا معاوية اصبحت لين المهاد رفيع العماد والحسين يشكو ضيق الحال وكثرة العيال ثم قال لوكيله احمل الى الحسين نصف ما املكه من ذهب وفضة ودابة واخبره اني شاطرته فان قنع به والا احمل اليه النصف الباقي فلما اتاه الرسول قال انا لله وانا اليه راجعون ثقلت والله على ابن عمي وما حسبت انه يسمح لنا بهذا كله رضي الله عنهم اجمعين وقدم عبد الله بن عباس على معاوية رضي الله عنهم فاهدى اليه من هدايا النوروز حللا كثيرة ومسكا وآنية من ذهب وفضة ووجهها اليه مع حاجبه فلما وضعها بين يديه نظر الى الحاجب وهو ينظر اليها فقال هل في نفسك منها شيء قلت نعم والله ان في نفسي ما كان في نفس يعقوب بن يوسف عليهما السلام فضحك عبد الله رضي الله عنه وقال خذها فهي لك فقال جعلت فداك اخاف ان يبلغ ذلك معاوية فيجد علي قال فاختمها بخاتمك وادفعها الى الخازن فاذا كان وقت خروجنا حملها اليك ليلا فقال الحاجب والله لهذه الحيلة في الكرم اكثر من الكرم وجاءه رجل من الانصار فقال يا ابن عم محمد انه ولد لي في هذه الليلة مولود واني سميته باسمك تبركا وان امه ماتت فقال بارك الله في الهبة واجرك على المصيبة ثم دعا بوكيله وقال له انطلق الساعة واشتر للمولود جارية تحضنه وادفع اليه مائة دينار لينفقها على تربيته ثم قال للانصاري عد الينا بعد ايام فانك جئتنا وفي العيش يبس وفي المال قلة فقال الانصاري جعلت فداك لو سبقت حاتما بيوم ما ذكرته العرب
وقال ابو جهم بن حذيفة رحمه الله يوما لمعاوية نحن عندك يا امير المومنين كما قال الشيخ كلال رحمه الله

شعر

نقلبه لنخبر حالتيه • فنخبر منهما كرما ولينا
نميل الى جوانبه كانا • اذا ملنا نميل على ابينا
تقلبنا مما نخاف وان ظننا • به خيرا اراناه يقينا

فامر له بمائة الف درهم • وانشده عبد الله بن الزبير رحمه الله يقول

تكون الناس قرنا بعد قرن • فلم ار غير ختال وقال
ولم ار في الخطوب اشد وقعا • وامضى من معاداة الرجال
وذقت مرارة الاشياء طرا • فما شيء امر من السؤال

فاعطاه مائة الف درهم ودخل عليه الحسن يوما وهو مضطجع على سريره فسلم عليه واقعده عند رجليه وقال له الا تعجب من قول ام المومنين عائشة تزعم اني لست للخلافة اهلا ولا لها موضعا فقال له الحسن رضي الله عنه اوعجبا ما قالت قال معاوية رضي الله عنه

بل كل العجب قال الحسين اعجب من هذا جلوسي عند رجليك فاستحى معاوية واستوى
جالسا ثم قال اقسمت عليك يا ابا محمد الا اخبرتني كم عليك من دين قال مائة الف
درهم فقال يا غلام اعط محمدا ثلثمائة الف درهم مائة الف يقضي بها دينه ومائة الف
يفرقها على مواليه ومائة الف يستعين بها على نوائبه وسوغها اليه الساعة وكان
معن بن ابي زائدة رحمه الله من الاجواد وكان عاملا على العراق بالبصرة فحضر بابه شاعر
واقام مدة يريد الدخول عليه فلم يتهيأ له ذلك فقال يوما لبعض الخدم اذا دخل الامير
البستان فعرفني فلما دخل اعلمه بذلك فكتب الشاعر بيتا ونقشه على خشبة والقاها
في الماء الذي يدخل البستان وكان معن رحمه الله جالسا على القناة فلما رأى الخشبة اخذها
وقراها واذا فيها مكتوب

بيت

أيا جود معن ناج معنا بحاجتي ... فليس الى معن سواك رسول

فقال من الرجل صاحب هذه فاتي به اليه فقال كيف قلت فانشده البيت فامر له
بعشرة بدر فاخذها وانصرف ووضع معن رحمه الله الخشبة تحت بساط فلما كان في
اليوم الثاني اخرجها من تحت البساط فنظر فيها ودعا بالرجل وامر له بمائة الف
درهم فلما كان في اليوم الثالث فعل معه مثل ذلك فتفكر الرجل وخاف ان ياخذ منه ما اعطاه
فخرج من البلد بما معه فلما كان في اليوم الرابع طلب فلم يوجد فقال معن والله لقد ساء
ظنه ولقد هممت ان اعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهما ولا دينارا الا اعطيته له
وفيه يقول القائل

شعر

يقولون معن لا زكاة لماله ... وكيف يزكي المال من هو باذله
اذا حال حول لم تجد في دياره ... من المال الا ذكره وجمائله
تراه اذا ما جئته متهللا ... كانك تعطيه الذي انت سائله
تعود بسط الكف حتى لو انه ... اراد انقباضا لم تطعه اناملة
فلو ان ما في كفه غير نفسه ... لجاد بها فليتق الله سائله

ومن قول معن رضي الله عنه

دعيني انهب الاموال حتى ... اعف الاكرمين عن اللئام

وكان يزيد بن المهلب رضي الله عنه من الاجواد الاسخياء له اخبار في الجود عجيبة من
ذلك ما حكاه عقيل بن ابي رحمه الله قال لما اراد يزيد بن المهلب الخروج الى واسط اتيته
فقلت ايها الامير ان رايت ان تاذن لي فاصحبك قال اذا قدمت واسطا فاتنا
ان شاء الله تعالى فسار فاقمت فقال لي اخواني اذهب اليه فقلت كان جوابه فيه ضعف
قالوا وتريد من يزيد جوابا اكثر مما قال فسرت حتى قدمت عليه فلما كان في الليل

دعيت

دعيت للسمر فتحدث القوم حتى ذكروا الجواري فالتفت الي يزيد وقال ايه يا عقيل

فقلت

اذا عنا القوم من ذكر الجواري ... فاما الاعزبون فلن يقولوا

فقال لي انك لن تبقى عزبا فلما رجعت الى منزلي واذا الخادم قد اتاني ومعه جارية
وبدرة فيها عشرة الاف درهم وفرس وفرش بيت وفي الليلة الثانية كذلك فمكثت عشر
ليال وانا على هذه الحالة فلما رايت ذلك دخلت في العاشر فقلت ايها الامير قد والله اغنيت
واقنيت فان اردت ان تاذن لي في الرجوع فاكبت عدوي واسر صديقي فقال انا
اخيرك بين خلتين اما ان تقيم فنوليك او ترحل فنغنيك فقلت او لم تغنني ايها الامير
فقال انما هذا اثاث البيت ومصلحة القدوم فنا ولي من فضله ما لا اقدر على صفته
وحدث ابو اليقظان عن ابيه رحمه الله قال حج يزيد بن المهلب رضي الله عنه فطلب
حلاقا يحلق شعره فجاء حلاق فحلق راسه فامر له بخمسة الاف درهم فتحير الحلاق ودهش
فقال هذه الخمسة الاف لي امضي الى ام فلان اخبرها اني قد استغنيت فقال
اعطوه خمسة الاف اخرى فقال امراته طالق ان حلق راس احد بعدك وقيل ان
الحجاج حبسه في خراج وجب عليه ومقداره مائة الف درهم فجمعت له وجاء الفرزدق
ليزوره فقال للحاجب استاذن لي عليه فقال انه في مكان لا يمكن الدخول عليه فيه
فقال الفرزدق انما اتيت متوجعا لما هو فيه ولم ات ممتدحا فاذن له فلما ابصره
قال

شعر

ابا خالد ضاقت خراسان بعدكم ... وقال ذووا الحاجات اين يزيد
فما نطرت في الشرق بعدك نطرة ... ولا اخضر بالمروين بعدك عود
وما لسرور بعد عزلك بهجة ... وما لجواد بعد جودك جود

فقال يزيد للحاجب ادفع اليه المائة الف التي جمعت لنا ودع الحجاج ولحمي يفعل فيه
ما شاء فقال الحاجب للفرزدق انما منعتك بهذا لما خفت من خولك ثم دفعها اليه
واخذها وانصرف وقال مروان بن ابي الجنوب رحمه الله امر لي المتوكل رضي الله عنه
بمائة وعشرين الفا وخمسين ثوبا ورواحل كثيرة فقلت ابياتا في شكره فلما بلغت قولي

فامسك ندى كفيك عني ولا تزد ... فقد خفت ان اطغى وان اتجبرا

قال والله لا امسك حتى اغرقك بجودي وامر له بضياع تقوم بالف الف
وقال ابو العيناء رحمه الله تذاكر الناس السخاء فاتفقوا على ال المهلب في الدولة
المروانية وعلى البرامكة في الدولة العباسية ثم اتفقوا على ان احمد بن داود اسخى
منهم جميعا وافضل وسئل اسحق الموصلي رحمه الله عن سخاء اولاد يحيى بن خالد فقال

الشاعر صح

اما الفضل فيرضيك فعله واما جعفر فيرضيك قوله واما محمد فيفعل بحسب ما يجد وفي يحيى يقول القائل

شعر

سألت الندى هل انت حر فقال لا ● ولكنني عبد ليحيى بن خالد
فقلت شرا قال لا بل وراثة ● توارثني من والد بعد والد

وفي الفضل يقول القائل

شعر

اذا نزل الفضل بن يحيى ببلدة ● رأيت بها غيث السماحة ينبت
فليس بسعال اذا سأل حاجة ● ولا بمكب في ثرى الارض ينكت

وفي محمد يقول القائل

شعر

سألت الندى والجود مالي اراكما ● تبدلتما ذلا بعز مؤبد
وما بال ركن المجد امسى مهدما ● فقالا اصبنا بابن يحيى محمد
فقلت فهلا متما بعد موته ● وقد كنتما عبديه في كل مشهد
فقالا اقمنا كي نعزى بفقده ● مسافة يوم ثم نتلوه في غد

وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه من كانت له حاجة فليرفعها الي في كتاب لاصون وجهه عن المسألة وجاء اعرابي فقال يا امير المؤمنين ان لي اليك حاجة الحيا يمنعني ان اذكرها فقال خطها في الارض فقال اني فقير فقال يا قنبر اكسه حلة فقال الاعرابي منشدا

شعر

كسوتني حلة تبلى محاسنها ● فسوف اكسوك من حسن الثنا حللا
ان الثنا ليحيي ذكر صاحبه ● كالغيث يحيي نداه السهل والجبلا
لا تزهد الدهر في عرف بدأت به ● كل امرئ سوف يجزى بالذي فعلا

فقال يا قنبر زده مائة دينار فقال يا امير المؤمنين لو فرقتها في المسلمين لاصلحت بها من شانهم فقال مه يا قنبر فاني سمعته صلى الله عليه وسلم يقول اشكروا لمن اثنى عليكم واذا اتاكم كريم قوم فاكرموه ولعبد الله بن جدعان رحمه الله

اني وان لم ينل مالي مدى خلقي ● وهاب ما ملكت كفي من المال
لا احبس المال الا حيث انفقه ● ولا تغيرني حال الى حال

ولبعض العرب

ابيت خميص البطن عريان طاويا ● واوثر بالزاد الرفيق على نفسي
وامنحه فرشي وافترش الثرى ● واجعل قرى الليل من دونه نفسي
حذارا لاحاديث المحافل في غد ● اذا ضمني يوما الى صدره رمسي

وسئل اسحق الموصلي رحمه الله عن المخلوع فقال كان امره كله عجب وكان لا يبالي

ابن قحذم مع جلسائه وكان عطاؤه عطاء من لا يخاف الفقر كان عند سليمان بن جعفر رحمه الله يوما فاراد الرجوع الى اهله فقال له سفر البر احب اليك ام البحر قال البحر ايسر علي قال زودوا له زرقه ذهبا وامروا له بالف الف درهم وشكى سعيد بن عمرو بن عثمان موسى بن شهوان الى سليمان بن عبد الملك رحمهم الله وقال قد هجاني يا امير المؤمنين فاستحضره سليمان وقال لا ام لك اتهجو سعيدا قال يا امير المومنين اخبر الخبر عشقت جارية مدنية واتيت سعيدا فقلت اني احب هذه الجارية وان مولاها اعطيت فيها مايتي دينار وقد اتيتك فقال لي بورك فيك فقال سليمان لبئس هذا موضع بورك فيك قال فاتيت يا امير المومنين سعيد بن خالد فذكرت له حالي فقال يا جارية هاتي مطرفا فاتت بمطرف خز ينطوي في كل زاوية منه مائة دينار فخرجت وانا اقول

شعر

ابا خالد اعني سعيد بن خالد ● اخا العرف لا اعني ابن بنت سعيد
ولكنني اعني ابن عائشة الذي ● ابوا ابويه خالد بن اسيد
عقيل الندى ما عاش يرضى به الندى ● فان مات لم يرض الندى بعقيد
ذروه ذروه قد رقدتم ● وما هو عن احسانكم برقود

فقال سليمان رحمه الله قل ما شئت ومر يزيد بن المهلب رضي الله عنه عند خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه باعرابية فذبحت له عنزا فقال لابنه ما معك من النفقة قال مائة دينار قال ادفعها اليها فقال هذه يرضيها اليسير وهي لا تعرفك قال ان كان يرضيها اليسير فانا لا ارضى لها الا الكثير وان كانت لا تعرفني فانا اعرف نفسي وقال بعض العرب لولده لا تزهدن في معروف فان الدهر ذو صروف فكم راغب كان مرغوبا اليه وطالب كان مطلوبا لديه وكن كما قال القائل

شعر

وعد من الرحمن فضلا ونعمة ● عليك اذا ما جاء للخير طالب
ولا تمنعن ذا حاجة جاء راغبا ● فانك لا تدري متى انت راغب

وقال يحيى البرمكي رحمه الله اعط من الدنيا وهي مقبلة فان ذلك لا ينقصك منها شيئا واعط منها وهي مدبرة فان منعك لا يبقي عليك منها شيئا فكان الحسن بن سهل رحمه الله يتعجب من ذلك ويقول لله دره ما اطبعه على الكرم واعلمه بالدنيا وقد اخذ يحيى رحمه الله بنظمه فقال

شعر

لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة ● فليس ينقصها التبذير والسرف
وان تولت فاحرى ان تجود بها ● فليس تبقى وباقي شكرها خلف

وقال بعضهم

لا تكثري في الجود لائمتي ... واذا بخلت فاكثري لومي
كفي فلست بحامل ابدا ... ما عشت هم غد على يومي

وقال علي رضي الله عنه لا تستحي من اعطاء القليل فالحرمان اقل منه واللام وكتب كلثوم بن عمرو الى بعض الكرماء رقعة يقول فيها

شعر

اذا انكرت ان تعطي القليل ولم ... تقدر على سعة لم يظهر الجود
بث النوال ولم يمنعك قلته ... فكل ما سد فقرا فهو محمود

فشاطره ماله حتى بعث اليه بنصف خاتمه وفرده نعله وباع عبد الله بن عتبة بن مسعود رضي الله عنه ارضا بثمانين الف فقيل له لو اتخذت لولدك من هذا المال ذخرا فقال رحمه الله اجعله ذخرا لي واجعل الله تعالى ذخرا لولدي وقسمه بين ذوي الحاجات وكان ابن مالك القشيري رحمه الله من الاجواد فقيل انه انفق ماله بعكاظ ثلث مرات فعاتبه خاله فقال يا خالي ذرني ومالي بما فعلت به نصيبات منه اني مودي فلن الطيبات الا ان يخلدني فانظر بكدك هل تستطيع تخليدي وقد قيل

بيت

الحمد لا يشترى الا بمكرمة ... ولن اعيش بمال غير محمود

وقال المهلب رحمه الله عجبت لمن يشتري المماليك بماله كيف لا يشتري الاحرار بفعاله ونزل بابي البختري وهب بن وهب القرشي رحمهما الله ضيف فتسارع عبيده الى انزاله وخدموه احسن خدمة وفعل به كل جميل فلما هم بالرحيل لم يقربه احد منهم ولم يعينوه فانكر ذلك عليهم فقالوا انا نعين النازل على الاقامة ولا نعينه على الرحيل وقد قيل

شعر

اذا ورد الحجاج ارضا مريرة ... تتبع اقصى دائها يشتفا بها
شفاها من الداء العضال الذي بها ... غلام اذا هز القناة سقاها

فقال لا تقولي غلام بل قولي همام فاعطاها خمسين ناقة فقالت ايها الامير اجعلها نعما نجعلها ابلا اناثا وقال ابو الفياض الطبري رحمه الله

وارى العز ضيعة لا يراه برفعة ... من لا يرى بذل التلاد تلادا
والجود اعلى كعب كعب قبلنا ... فمضى جوادا ابوه مات جوادا

بيت

ايقنت ان من السماح شجاعة ... وعلمت ان من السماحة جودا

وقال يحيى بن خالد لابنه جعفر رحمهما الله يا بني ما دام قلمك يرعف فامطره معروفا وقال احمد بن حمدون النديم رحمه الله عملت ام المستعين بساطا على صورة كل حيوان

من

من جميع الاجناس وصورة كل طائر من ذهب واعينهم يواقيت وجواهر انفقت عليه مائة الف الف دينار وثلثين الف دينار وسالته ان ينظر عليه وينظر اليه فكسل ذلك اليوم عن رؤيته قال احمد بن حمدون فقال لي والاترجة الهاشمي اذهبا فانظرا اليه وكان معنا الحاجب فمضينا ورايناه فوالله ما راينا في الدنيا احسن منه ولا شيئا حسنا الا وقد عمل فيه فمددت انا يدي الى غزال من ذهب عيناه ياقوتتان فوضعته في كمي ثم جئنا فوصفنا له حسن ما راينا فقال الاترجة يا امير المؤمنين انه قد سرق منه شيئا وغمزه على كمي بالغزال فقال لعبادي عليكم ارجعوا فخذوا ما احببتم فمضينا فملانا اكمامنا واقبيتنا واحضننا غشى كالحبالى فلما رآنا ضحك فقال لبقية الجلساء ونحن فما ذنبنا يا امير المؤمنين فقال قوموا وخذوا ما شئتم وجا فوقف على الطريق ينظر كيف يحملون ويضحك ونظر يزيد المهلبي رحمه الله سطلا من ذهب مملوا مسكا فاخذ بيده وخرج فقال له المستعين رحمه الله الى اين فقال الى الحمام يا امير المؤمنين فضحك من قوله وامر الخدام والفراشين ان ينهبوا الباقي فانتهبوه فوجهت اليه امه تقول له سر الله امير المؤمنين قد كنت احب ان يراه قبل ان يفرقه فاني انفقت عليه مائة الف الف وثلثين الف دينار فقال لتحمل اليه مثل ذلك حتى تجد مثله فعملت ومضى حتى رآه وفعل به كفعله في الاول ودخل طلحة بن عبد الله بن عوف رحمه الله السوق يوما فوافق فيه الفرزدق فقال يا ابن فراس اختر عشرا من الابل ففعل فقال اضمم اليها مثلها فلم يزل يقول مثل ذلك حتى بلغت مائة فقال هي لك فاخذها وانشا يقول

شعر

يا طلح انت اخو الندى وعقيده ... ان الندى ما مات طلحة ماتا
ان الندى القى اليك رحاله ... فبحيث بت من المنازل باتا

ووفد زياد الاعجم على عبد الله بن الحشرج بسابور فاكرمه وانعم عليه بالف دينار فقال

ان السماحة والمروة والندى ... في قبة ضربت على ابن الحشرج

فقال زدني فقال لكل شيء وعنه ووفد ابو عطاء السندي على نصر بن سيار رحمهما الله بخراسان مع رفيقان له فانزله واحسن اليه فقال ما عندك يا ابن عطاء فقال وما عسى ان اقول وانت اشعر العرب غير اني قلت بيتين فقال هات ما قلت فقلت

شعر

يا طالب الجود اما كنت تطلبه ... فاطلب على بابه نصر بن سيار
الواهب الخيل تخذو في اعنتها ... مع القيان وفيها الف دينار

فاعطاه الفه دينار ووصايف وكساه كسوة جميلة فقسم ذلك بين رفيقيه ولم ياخذ منها

شيئا فبلغ ذلك نصرا فقال يا له قاتله الله من سيدي ما اضخم قدره ثم امر له بمثله وقيل
اراد ابن عامر رحمه الله ان يكتب لرجل بخمسين الف فجرى القلم بخمسمائة الف فراجعه الخازن
في ذلك فقال انفذه الله لا نفاده وان خرج المال احسن من الاعتذار فاستشرفه
الخازن فقال اذا اراد الله بعبد خيرا حرف القلم عن مجرى ارادة كاتبه الى ارادته
وانا اردت شيئا واراد الجواد الكريم ان يعطي عبده عشرة اضعافه وكانت ارادة الله
الغالبة ووقف اعرابي على ابن عامر رحمه الله فقال يا قمر البصرة وشمس الحجاز ويا ابن
ذروة العرب وابن بطحاء مكة برحت بي الحاجة واكدت بي الآمال الا بفنائك فحي بقدر
الطاقة لا بقدر المجد والشرف والهمة فامر له بمائتي الف درهم وسمع المأمون رحمه الله
قول عمارة بن عقيل ۝ أأترك ان قلت دراهم خالد ۝ زيارته اني اذا للئيم ۝
فقال اوقلت دراهم خالد احملوا اليه مائتي الف درهم فبعثها خالد بن يحيى الى عمارة
وقال هذه قطرة من سحابك ولما عزل عبد الرحمن بن الضحاك رحمه الله عن المدينة بكى
ثم قال والله ما بكائي جزعا من العزل ولا اسفا على الولاية ولكني اخاف ان يلي هذه الوجوه
من لا يعرف لها حقها وقال العتبي رحمه الله اشرف عمرو بن هبيرة رحمه الله يوما من
قصره واذا باعرابي يرقل وله صوت فقال لحاجبه ان ارادني هذا فاوصله الي فلما
وصل الاعرابي ساله الحاجب فقال قصدت امير المؤمنين فدخل به عليه فلما مثل بين يديه
قال له ما حاجتك فقال الاعرابي منشدا ۝

شعر

۝ اصلحك الله قل ما بيدي ۝ ولا اطيق العيال اذ كثروا ۝
۝ اناخ دهرا على اكله ۝ فارسلوني اليك وانتظروا ۝

فاخذت عمرو الاريحية فجعل يهتز في مجلسه ثم قال ارسلوك الي وانتظروا اذا والله
لا تجلس حتى ترجع اليهم غانما ثم امر له بالف دينار وامر الرشيد رحمه الله ان يخرج
الى بعض المفترحات فقال ليحيى بن خالد لرجاء بن عبد العزيز وكان على نفقاته ما عندك
من الاموال قال سبعمائة درهم قال فاقبضها اليك يا رجاء فلما كان من الغد
دخل عليه رجاء يقبل يده وعنده منصور بن زياد فلما خرج من عنده قال ليحيى قد ظننت ان
رجاء توهم انا قد وهبنا المال له وانما امرناه بقبضه من الوكلاء ليحفظه علينا
لحاجتنا اليه في وجهتنا هذه فقال منصور انا استخبرك هذا قال اذا يقول لك
قبل يدي كما قبلت يدي فلا تقل له شيئا فقد تركتها له وروي ان الرشيد رحمه الله
وصل في يوم واحد بالف الف وثلثمائة الف وخمسين الفا ووصل المنصور رحمه الله
بني هاشم ووجوه قواده بعشرة آلاف الف دينار على ما ذكر وعن الاخفش الاصغر رحمه الله
قال كان اسيد بن عنقاء الفزاري رحمه الله من اكبر اهل زمانه واكثرهم ادبا وافصحهم

لسانا

لسانا فطال عمره ونكبه دهره فخرج عشية يتقبل فمر به عميلة الفزاري رحمه الله
ما اصارك يا عم الى ما ارى قال بخل مثلك بماله وصوني وجهي عن مسألة الناس فقال
والله لئن بقيت الى غد لاغيرن ما ارى من حالك فرجع ابن عنقاء الى اهله فاخبرها
بما قال له عميلة فقالت له قد غرك كلام غلام في جنح ليل فكانما القمت فيه حجرا
وبات متململا بين رجاء وياس فلما كان السحر سمع رغاء الابل وصهيل الخيل وسحب الاموال
فقال ما هذا قالوا هذا عميلة قد قسم ماله شطرين وبعث اليه بشطر ۝ فانشا يقول

شعر

۝ وانى على ما بي عميلة فاشتكى ۝ الى ماله حالي فواسى وما هجر ۝
۝ ولما رأى المجد استعارت ثيابه ۝ تردى رداء سابغ الذيل واتزر ۝
۝ غلام رماه الله بالحسن يافعا ۝ له سيمياء لا تشق على البصر ۝
۝ كان الثريا علقت في جبينه ۝ وفي انفه الشعرى وفي جيده القمر ۝

وكان عمر بن عبد الله بن معمر التيمي من الاجواد قيل كان لرجل جارية يهواها فاحتاج
الى بيعها فابتاعها منه ابن معمر بمال جزيل فلما قبضها انشأت تقول

شعر

۝ هنيئا لك المال الذي قد قبضته ۝ ولم يبق في كفي غير التحسر ۝
۝ ابوء بحزن من فراقك موجع ۝ اناجي به صدرا طويل التفكر ۝

فاجابها يقول

۝ فلولا قعود الدهر بي عنك لم يكن ۝ يفرقنا شيء سوى الموت فاعذري ۝
۝ عليك سلام لا زيارة بيننا ۝ ولا وصل الا ان يشاء ابن معمر ۝

فقال ابن معمر قد شئت وقد وهبتك الجارية وثمنها فخذها وانصرف ووفد
ابو الشمقمق رحمه الله الى مدينة سابور يريد محمد بن عبد السلام رحمه الله فلما دخلها صار
الى منزله فوجده في دار الخراج فدخل عليه يتوجع له فلما رآه قال منشدا ۝

شعر

۝ ولقد قدمت على رجال طالما ۝ قدموا الرجال عليهم فتمولوا ۝
۝ اخنى الزمان عليهم فكانما ۝ كانوا بارض اقفرت فتحولوا ۝

فقال ابو الشمقمق رحمه الله

۝ الجود فلسهم واذهب مالهم ۝ فاليوم ان راموا السماحة حملوا ۝

قال فخلع ثوبه وخاتمه ودفعهما اليه فكتب بذلك مستوفي الخراج الى الخليفة فوقع
للقائل باسقاط الخراج عن محمد بن عبد السلام في تلك السنة واسقاط ما عليه من البقايا

واثرله بمائة الف درهم معونة له على مؤنته وقال ابو العينا رحمه الله ضقت اضاقة شديدة فكتمتها عن اصدقائي فدخلت يوما على يحيى بن اكثم القاضي رحمه الله فقال ان امير المؤمنين جلس للمظالم واخذ القصص فنشط للحضور فقلت لم تمضيت معه الى دار امير المؤمنين فلما دخلنا عليه اجلسه واجلسني ثم قال يا ابا العينا بالالفة والمحبة ما الذي جاءك في هذه الساعة فانشدته اقول

شعر

لقد رجوتك دون الناس كلهم ... وللرجاء حقوق كلها تجب
ان لا يكن لك اسباب اعيش بها ... ففي العلى لك اخلاق هي السبب

فقال يا سلامه انظر اي شيء في بيت مال الخاصة ومال المسلمين فقال بقية من مال فقال ادفع له منه مائة الف درهم وابعث له مثلها في كل شهر فلما كان بعد احد عشر شهرا مات المامون رحمه الله فبكى عليه ابو العينا حتى قرحت جفونه فدخل عليه بعض ولده وقال يا ابتاه بعد ذهاب الحبيب ما الذي ينفع البكا فانشا يقول

شعر

شيئان لو بكت الدما عليهما ... عيناي حتى يوذنا بذهاب
لم يبلغ المعشار من حقيهما ... فقد الشباب وفرقة الاحباب

وكان احمد بن طولون رحمه الله كثير الصدقة وكان راتبه منها في الشهر الفي دينار سوى ما يطرا عليه من نذر او صلة وسوى مصلحة الذي يطبخ في دار الصدقة وكان الموكل بصدقته سليم الخادم فقال سليم رحمه الله يوما ايها الامير الوقف لعبا ثم اوادق الابواب لصدقاتك وان اليد تمتد الي وفيها الحنا وربما كان فيها الخاتم الذهب او السوار الذهب افاعطي ام اردد فاطرق طويلا ثم قال كل يد مدت اليك فلا تردها

وقال سلمة بن عياش في جعفر بن سليمان رحمهما الله

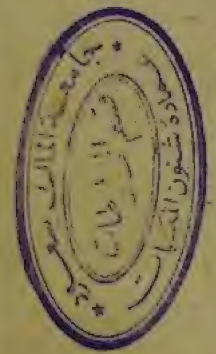
فما شم انفي ريح كف شممتها ... من الناس الا ريح كفك اطيب

فامر له بالف دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر وكان عبد العزيز بن عبد الله رحمه الله مضيافا جوادا فتغدى عنده اعرابي يوما فلما كان من الغد مر على بابه فراى الناس في الدخول على هيئتهم بالامس فقال اوكل يوم يطعم الامير الناس قالوا نعم فانشا يقول

شعر

كل يوم كانه عيد اضحى ... عند عبد العزيز او عيد فطر
وله الف جفنة مترعات ... كل قدر يمدها الف قدر

وتعشى الناس ليلة عند سعيد بن العاص رحمه الله فلما خرجوا بقي فتى من الشام قاعد فقال



له سعيد رحمه الله الك حاجة واطفى الشمعة كراهة ان يخجل الفتى فذكر ان اباه مات وخلف دينا وعيالا وساله ان يكتب له الى اهل دمشق ليقوموا ببعض اصلاح حاله فدفع له عشرة الاف درهم وقال له لا ادعك تقاسي الذل على ابوابهم ودخل رجل على ابن سليمان الوزير رحمه الله فقال له سالتك بالله العظيم ورسوله الكريم الا اجرتني من خصمي فقال ومن خصمك حتى اجيرك منه قال الفقر فاطرق الوزير ساعة وقال قد امرت لك بمائة الف درهم فاخذها وانصرف فبينما هو في الطريق اذ امر الوزير برده فلما رجع قال له كما سالتك بالله العظيم ورسوله الكريم متى اتاك خصمك تعنفا ارجع الينا متظلما وقال الاعمش رحمه الله كانت لي شاة فمرضت وفقد الصبيان لبنها فكان خيثمة بن عبد الرحمن رحمه الله يعودها بالغداة والعشي ويسالني هل استوفت علفها وكيف صبر الصبيان عنه فقدوا لبنها وكان تحتي لبدا اجلس عليه وكان اذا خرج يقول خذ ما تحت اللبد حتى اذا وصل من علة الشاة اكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت ان الشاة لم تبرا وحكى ابو قدامة القشيري رحمه الله قال كنا مع يزيد بن يزيد رحمه الله يوما فسمع صائحا يصيح يا يزيد بن يزيد فطلبه فاتى به اليه فقال ما حملك على هذا الصياح فقال نفقت دابتي ونفدت نفقتي وسمعت قول الشاعر

بيت

اذا قيل من للجود والمجد والندى ... فناد بصوت يا يزيد بن يزيد

فامر له بفرس ابلق كان معجبا به ومائة دينار وخلعة سنية فاخذهم وانصرف وحكي ان قوما من العرب جاؤا الى قبر بعض اسخيائهم يزورونه فباتوا عند قبره فراى رجل منهم صاحب القبر في المنام وهو يقول هل لك ان تبيعني بعيرك في نجيبي وكان الميت خلف نجيبا وكان الرائي بعير سمين فقال نعم وباعه في النوم بعيره وبكره فقام واتى نحره وقطع لحمه وطبخوا واكلوا ثم رحلوا وساروا فلما كان اليوم الثاني وهم في الطريق سائرين استقبلهم ركب فتقدم فيهم شاب فنادى هل فيكم فلان بن فلان فقال صاحب البعير نعم انا فلان بن فلان هل بعت من فلان الميت شيا قال نعم بعته بعيري بنجيبه في النوم فقال هذا نجيبه فخذه انا ولده وقد رايته في النوم وهو يقول ان كنت ولدي فادفع نجيبي الى فلان فانظر الى هذا الرجل الكريم كيف اكرم اضيافه بعد موته جزاه الله خيرا والذي انتهى اليهم الجود في الجاهلية حاتم بن عبد الطائي وهرم بن سنان وكعب بن امامة الايادي وضرب المثل بحاتم وكعب وحاتم اشهرهما اما كعب فجاد بنفسه واثر رفيقه بالما البارد في المفازة ومات عطشا وليس له خبر مشهور واما حاتم فاخباره كثيرة واثاره في الجود مشهورة ويكنى ابا سفانة وابا عدي وكان يسير في قومه بالمرباع والمرباع ربع الغنيمة

وكان عدي يعادي النبي صلى الله عليه وسلم فبعث النبي صلى الله عليه وسلم عليا رضي الله عنه الى طي فهرب عدي باهله وولده ولحق بالشام وخلف اخته فاسروها فحبسها رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما اتي بها الى النبي صلى الله عليه وسلم قالت يا محمد هلك الوالد وغاب الوافد فان رايت ان تخلي عني ولا تشمت بي احياء العرب فان ابي كان سيد قومه يفك العاني ويحفظ الجار ويحمي الديار ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشي السلام ويحمل الكل ويعين على نوايب الدهر وما اتاه احد في حاجة فرده انا بنت حاتم الطاي فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه صفات المومنين حقا لو كان ابوك مسلما لترحمنا عليه خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق وقال فيها ارحموا عزيز قوم ذل وغنيا افتقر وعالما ضاع بين جهال فاطلقها ومن عليها فاستاذنته في الدعا له فقال صلى الله عليه وسلم اسمعوا وعوا فاذن لها فقالت اصاب الله ببرك مواقعه ولا جعل لك الى لئيم حاجة ولا سلب نعمة عن كريم قوم الا وجعلك سببا لردها عليه **فلما اطلقها صلى الله عليه وسلم** رجعت الى قومها فاتت اخاها عديا وهو بدومة الجندل فقالت يا اخي ائت هذا الرجل قبل ان تعلقك حبايله فاني رايت هديا وعليا سيغلب اهل الغلبة رايت خصالا تعجبني رايته يحب الفقير ويفك الاسير ويرحم الصغير ويعرف قدر الكبير وما رايت اجود ولا اكرم منه واني ارى ان تلحق به فان يكن نبيا فللسابق فضله وان يكن ملكا فلن تذل في عز اليمن فقدم عدي على النبي صلى الله عليه وسلم فالقى له وسادة محشوة ليفا وجلس النبي صلى الله عليه وسلم على الارض فاسلم عدي واسلمت اخته سفانة بنت حاتم المتقدم ذكرها فكانت من اجود نساء العرب وكان ابوها يعطيها الصريمة من ابله فتهبها وتعطيها الناس فقال لها ابوها يا بنية ان القرينين اذا اجتمعا في المال اتلفاه فاما ان اعطي وتمسكين واما ان امسك وتعطين فانه لا يبقى على هذا شي فقالت منك تعلمت مكارم الاخلاق **قال ابن الاعرابي** رحمه الله كان حاتم الطاي من شعرا الجاهلية وكان جوادا يشبه جوده شعره ويصدق قوله فعله وكان حيثما نزل عرف منزله وكان مظفرا اذا قاتل غلب واذا سيل وهب واذا سابق سبق واذا اسر اطلق واذا دخل رجب الذي كانت تعظمه مضر في الجاهلية ينحر في كل يوم عشرا من الابل واطعم الناس واجتمعوا اليه وكان قد تزوج ماوية بنت عفزر وكانت تعذله على اتلاف المال وتلومه فلا يلتفت الى قولها وكان لها ابن عم يقال له مالك فقال لها يوما ما تصنعين بحاتم فوالله لئن وجد مالا ليتلفنه وان لم يجد ليتكلفن ولئن مات ليتركن اولاده عالة على قومك فقالت ماوية صدقت انه كذلك وكان النسا

يطلقن الرجال في الجاهلية وكان طلاقهن ان يكن في بيوت من شعر فان كان باب البيت من قبل المشرق الى المغرب وبالعكس وان كان من قبل اليمن حولنه الى الشام وبالعكس فاذا راى الرجل ذلك علم انها طلقته فلم ياتها ثم قال لها ابن عمها طلقي حاتما وانا اتزوجك وانا خير منه واكثر مالا وانا امسك عليك وعلى ولدك ولم يزل بها حتى طلقته فاتى حاتم وقد حولت باب الخبا فقال حاتم لولده يا ولدي ما ترى الى ما فعلت امك قال رايت ذلك فاخذ ابنه وهبط بطن واد فنزل فيه وجا قومه فنزلوا على باب الخبا كما كانوا ينزلون على عادتهم وكانوا خمسين فارسا فضاقت بهم ماوية ذرعا وقالت لجاريتها اذهبي الى ابن عمي مالك فقولي له ان اضيافا لحاتم قد نزلوا بنا وهم خمسون رجلا فارسل الينا بشي نقريهم ولبنا نسقيهم وقالت انظري الى جبينه وفمه فان شافهك بالمعروف فاقبلي منه وان ضرب بلحيته على زوره ولطم على راسه فاقبلي فلما اتته الجارية وجدته متوسدا وطبا من لبن فايقظته وابلغته الرسالة وقالت انما هي الليلة حتى يعلم الناس مكان حاتم فلطم راسه بيده وضرب لحيته وقال اقريها السلام وقولي لها هذا الذي امرتك ان تطلقي حاتما لاجله وما عندي شي يكفي اضياف حاتم ولكن ائتي حاتما وقولي له ان اضيافك قد نزلوا بنا الليلة ولم يعلموا مكانك فارسل الينا بناقة نقريهم بها ولبن نسقيهم فاتت الجارية حاتما فصاحت به فقال لبيك قربت ساعدك فاخبرته بما جات بسببه فقال حبا وكرامة ثم قام الى الابل فاطلق ثنتين من عقالهما وصاح بهما حتى اتيا الخبا ثم ضرب عراقيبهما فطفقت ماوية تصيح به هذا الذي طلقتك بسببه لئلا تترك اولادنا وليس لهم شي فقال لها ويحك الذي خلقهم وخلق الخلق متكفل بارزاقهم وكان اذا اشتد البرد وكلب الشتا امر غلامه بنار فاوقدها في يفاع من الارض لينظر اليها من اضل الطريق ليلا فيقصدها ولم يكن حاتم يمسك شيئا ما عدا فرسه وسلاحه فانه كان لا يجود بهما ثم جاد بفرسه في سنة مجدبة **وحكى ملحان** بن اخي ماوية قال قلت لها يا عمه حدثيني ببعض عجايب حاتم وبعض مكارم اخلاقه فقالت يا ابن اخي اعجب ما رايت منه اصابت الناس سنة مجدبة اذهبت الخف والظلف ففي ليلة من الليالي جلست انا واياه وقد اخذنا الجوع واسهرنا فاخذت سفانة واخذ هو عديا واخذنا نعللهما حتى ناما واقبل علي يحدثني ويعللني بالحديث حتى انام فرققت له لما به من الجوع فامسكت عن كلامه لينام فقال لي انمت فلم اجبه فسكت ونظر في فنا الخبا واذا شي قد اقبل فرفع راسه فاذا امراة فقال ما هذه فقالت يا ابا عدي اتيتك من عند صبية يتعاوون كالكلاب او كالذياب جوعا فقال لها احضري صبيانك فوالله

لاشبعتهم فقامت سريعة لاولادها فرفعت راسي وقلت له بماذا تشبع اولادك
فوالله ما نام صبيانك من الجوع الا بالتحليل فقال والله لاشبعنك واشبعن
صبيانك وصبيانها فلما جاءت المراة نهض قايما واخذ المدية بيده وعمد الى فرسه فذبحه
ثم اجج نارا ودفع اليها شفرة وقال قطعي واشوي وكلي واطعمي صبيانك فاكلت المراة واشبعت
اولادها فايقظت اولادي واكلت واطعمتهم فقال والله ما هذا هو الكرم انا تاكلون
واهل الصرم حالهم مثل حالكم ثم اتى الحي بيتا بيتا يقول انهضوا عليكم بالنار فاجتمعوا
حول الفرس وتقنع حاتم بكسايه وجلس ناحية فما اصبحوا وعلى وجه الارض منها لا قليل ولا
كثير الا عظم وحافر ولا والله ما ذاقها حاتم وانه لاشدهم جوعا واخباره كثيرة مشهورة
وقد قيل

شعر

ابا ذي ان المال غاد ورايح • ويبقى من المال الاحاديث والذكر
وقد علم الاقوام لو ان حاتما • اراد ثرو المال كان له وفر

واغار قوم على طي فركب حاتم على فرسه واخذ رمحه ونادى في عشيرته ولقي القوم
فهزمهم وتبعهم فقال له كبيرهم يا حاتم هب لي رمحك فرمى به اليه فقيل لحاتم عرضت
نفسك للهلاك ولو عطف عليك لقتلك فقال قد علمت ذلك ولكن ما جوابه من يقول
هب لي • ولما مات عظم على طي موته وادعى اخوه انه يخلفه فقالت له امه هيهات
والله ما بين خلتيكما وصحته والله فبقي سبعة ايام لا يرضع حتى القمت احد ثديي طفلا
من الجيران وكنت انت ترضع ثديا ويدك على الاخر فانى لك ذلك

قال الشاعر

يحيى الندى ما عاش حاتم طي • وان مات قامت للسخا ماتم

وكانت العرب تسمي الكلب داعي الضمير ومتمم النعم ومشيد الذكر لما يجلب من الاضياف وبنباحه
والضمير الضيف الغريب وكانوا اذا اشتد البرد وهبت الرياح ولم تثبت النيران فرقوا
الكلاب حوالي الحي وربطوها الى العمد تستوحش فتنبح فتهدي الضلال الى بيوتهم
والحكايات في ذكر الكرما والاجواد والاسخيا واهل المعروف وما كانوا عليه من السخا
والكرم هي اكثر من ان تحصر واشهر من ان يذكر ففي مثل هذه المناقب فليتنافس المتنافسون
ولمثلها فليعمل العاملون فان فيها عز الدنيا وشرف الاخرة وحسن الصيت وخلود جميل
الذكر فيا لم نجد شيا يبقى على مر الدهر الا الذكر حسنا كان او قبيحا وقد قال الشاعر

ولا شيء يدوم فكن حديثا • جميل الذكر فالدنيا حديث

فانتهز فرصة العمر ومساعدة الدنيا ونفوذ الامر وقدم لنفسك كما قدموا
تذكر بالصالحات كما ذكروا وادخر لنفسك في الغنيمة كما ادخروا واعلم ان الماكول للبدن

والموهوب

والموهوب للجاد والمتروك للعذر فاختر اي الثلاثة شئت والسلام

الباب الرابع والثلاثون
في البخل والشح وذكر البخلا واخبارهم وما جا عنهم

قال الله تعالى الذين يبخلون ويامرون الناس بالبخل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله الاية
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فان الشح اهلك من كان قبلكم وعنه صلى الله
عليه وسلم البخل جامع لمساوي العيوب وهو زمام يقاد به الى كل سوء وقالت ام البنين
اخت عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم اف للبخل لو كان قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته
وقيل بخلا العرب اربعة الحطيئة وحميد الارقط وابو الاسود الدؤلي وخالد بن صفوان
فاما الحطيئة فمر به انسان وهو على باب داره فقال انا ضيف فاشار الى عصى في يده
لكعاب الضيف اعددتها • واما حميد الارقط فانه كان هجا للضيفان فحاشا عليهم نزل
به اضياف فاطعمهم تمرا وهجاهم وذكر انهم اكلوه بنواه • واما ابو الاسود فتصدق
على سايل بتمرة فقال جعل الله نصيبك من الجنة مثلها لو اطعمنا المساكين في اموالنا لكنا
اسوا حالا منهم • واما خالد بن صفوان فكان يقول للدرهم اذا دخل اليه يا عيار كم تعير وكم
تطوف وتطير لاطيلن حبستك ثم يطرحه في الصندوق ويقفل عليه • وقيل له لم لا
تنفق ومالك عريض فقال الدهر اعرض منه • وقال بعضهم

شعر

وهبني جمعت المال ثم خزنته • وحانت وفاتي هل ازاد به عمرا
اذا اختزن المال البخيل فانه • سيورثه غما ويحقبه الوزرا

واستاذن رجل على صديق له بخيل فقيل هو محموم فقال كلوا بين يديه حتى يعرق وعمل
سهل بن هرون رحمه الله كتابا في مدح البخل واهداه الى الحسن بن سهل فوقع على ظهره وقد
جعلنا ثوابك عليك ما اردت به فيه • وانشد ابن ابي فنن رحمه الله يقول

شعر

ذريني واتلافي لمالي انني • احب من الاخلاق ما هو اجمل
وان اخق الناس باللوم شامت • يلوم على البخل الرجال ويبخل

وكان عمر بن يزيد الاسدي بخيلا جدا اصابه القولنج في بطنه فحقنه الطبيب بدهن كثير
فانحل ما في بطنه في الطشت فقال لغلامه اجمع الدهن الذي نزل من الحقنة واسرج به وكان
المنصور رحمه الله شديد البخل جدا فمر به مسلم الحادي في طريقه الى الحج فحدا يوما بقول الشاعر

اغر بين الحاجبين نوره • يزينه حياوه وخيره
ومسك يشوبه كافوره • اذا تغدى رفعت ستوره

فطرب حتى ضرب برجله المحمل ثم قال يا ربيع اعطه نصف درهم فقال نصف درهم
يا امير المومنين لقد تحدث لهشام فاثرلي ثلثين الف درهم فقال له تاخذ من مال
بيت المسلمين يا ربيع وكل من يستخلص مني هذا المال قال الربيع فما زلت امشي بينهما
وارضه حتى شرط مسلم على نفسه ان يحدوه في ذهابه وايابه بغير مونة وكان
ابو العتاهية ومروان بن ابي حفصة بخيلين يضرب ببخلهما المثل قال مروان ما فرحت بشي
اشد مما فرحت بمائة الف درهم لجائزة درهم فلما وضعه في العدد دعاه صديقه فرد اللحم
على القصاب بنقصان دانقين فجعل القصاب ينادي على اللحم ويقول هذا لحم مروان
واجتاز يوما باعرابية فاضافته فقال ان وهب لي امير المؤمنين مائة الف درهم وهبت
لك درهما فوهبه سبعين الف درهم فوهبها اربعة دوانق واما اهل مرو فهم موصوفون
بالبخل ومن عادتهم اذا ترافقوا في سفر ان يشتري كل واحد منهم قطعة لحم ويشكها
في خيط ويجمعون اللحم كله في قدر ويمسك كل منهم طرف خيطه فاذا استوى جر كل
واحد منهم خيطه واكل لحمه وتقاسموا المرق وقيل لبخيل من اشجع الناس قال
من سمع وقع اضراس الناس على طعامه ولا ينشق مرارته وقيل لبعضهم اما يكسوك محمد بن
يحيى فقال والله لو كان له بيت مملوا ابرا وجا يعقوب ومعه الانبيا شفعا والملايكة ضمنا
يستعير منه ابرة ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما اعاره اياها فكيف يكسوني
وقد نظم ذلك من يقول شعر

لو ان دارك انبتت لك واحتشت ابرا يضيق بها فنا المنزل
واتاك يوسف يستعيرك ابرة ليخيط قد قميصه لم تفعل

وكان المتنبي رحمه الله بخيلا جدا مدحه انسان بقصيدة فقال له كم املت الدنيا على
مدحك قال عشرة دنانير قال والله لو نقبت قطر الارض بقوس السماء على اجنحة الملايكة
ما دفعت لك دانقا واحدا وقال دعبل رحمه الله كنا عند سهل بن هرون فلم نبرح
حتى كاد يموت من الجوع فقال ويحك يا غلام ايتنا غدانا فاتى بقصعة فيها ديك مطبوخ
فتامله ثم قال اين الراس قال رميته فقال والله اني اكره من يرمي برجليه فكيف
براسه ويحك اما علمت ان الراس رئيس الاعضا ومنه يصدح الديك ولولا صوته لما
اريد وفيه عرفه الذي يتبرك به وعينه الذي يضرب بها المثل فيقال شراب كعين
الديك ودماغه عجيب لوجع الكليه ولم ير عظما اهش تحت الاسنان من عظم راسه
وهبك ظننت اني لا اكله اما قلت عنده من ياكله انظر في مكان رميته فاتني به
قال والله لا ادري اين رميته قال لكني اعرف اين رميته رميته في بطنك الله حسيبك
وقيل من الناس من يبخل بالطعام ويجود بالمال وبالعكس وقد قال بعضهم

ابو

ابو دلف يصنع الفاليف ويضرب بالحسام على الرغيف
ابو دلف لمطبخه قتار ولكن دونه سل السيوف

وشكى رجل مروزي صدره من السعال فدلوه على سويق اللوز فاستثقل النفقة
وراى الصبر على الوجع اخف عليه فبينما هو يماطل الايام ويدافع الالم اذ اتاه بعض
اصدقائه فدلوه على ماء النخالة وقال انها تجلي الصدر فامر بالنخالة فطبخت له وشرب
ماءها فجلى صدره ووجدها تعصمه فلما حضر غداه امر به فرفع الى العشا وقال لامراته اطبخي لاهل
بيتنا النخالة فاني وجدت ماءها يعصم ويجلي الصدر فقال لقد جمع الله بهذه النخالة دوا
وغذا فالحمد لله على هذه النعمة وعن خاقان بن صبيح رحمه الله قال دخلت على رجل من اهل
خراسان ليلا واذا بمسرجة فيها فتيلة في غاية الرقة وقد علق فيها عود بخيط فقلت
له ما بال هذا العود مربوطا قال قد شرب الدهن واذا ضاع ولم يحفظه احتجنا
الى غيره فلا نجد الا عودا عطشانا ويخشى ان يشرب الزيت فبينما انا اتعجب واسال
الله تعالى العافية والستر اذ دخل علينا شيخ من اهل مرو فنظر الى العود فقال
للرجل يا ابا فلان لقد فررت من شي فوقعت فيما هو شر منه اما علمت ان الريح والشمس
ياخذان من سائر الاشيا وينشفان هذا العود لو لا اتخذت مكان هذا العود ابرة من حديد
فان الحديد املس وهو مع ذلك غير نشاف والعود ايضا ربما يتعلق به شعرة من قطن
الفتيلة فينقصها فقال له الخراساني ارشدك الله ونفع بك فلقد كنت في ذلك من
المسرفين وقال الهيثم بن عدي رحمه الله نزل على ابي حفص الشاعر رجل باليمامة فاخلى
له المنزل ثم هرب مخافة ان يلزمه قراه في تلك الليلة فخرج الضيف واشترى ما احتاج
اليه ثم رجع وكتب اليه يقول شعر

يا ايها الخارج من بيته وهاربا من شدة الخوف
ضيفك قد جا بزاد له فارجع وكن ضيفا على الضيف

واشترى رجل من البخلا دارا وانتقل اليها فوقف بباب سائل فقال له فتح الله عليك ثم وقف ثان
فقال له مثل ذلك ثم وقف ثالث فقال له مثل ذلك ثم التفت الى ابنته وقال ما اكثر
السؤال في هذا المكان فقالت يا ابت ما دمت متمسكا لهم بهذه الكلمة ما نبالي اكثروا ام قلوا
والائمة اللئام حميدا الارقط الذي يقال انه هجا الاضياف وهو القايل في ضيف له
يصف اكله بقوله شعر

ما بين لقمته الاولى اذا انحدرت وبين اخرى تليها قيد اظفور

وقال ايضا

يجهز كفاه ويحدر حلقه الى الزور ما ضمت عليه الانامل

واكل اعرابي مع ابي الاسود رطبا فاكثر ومد الاسود يده الى رطبة ليأخذها فسبقه الاعرابي اليها فسقطت في التراب فأخذها ابو الاسود وقال لا ادعها للشيطان فقال الاعرابي تالله ولا لجبريل وميكائيل لو نزلا من السماء ما تركتها وقال اعرابي لرجل نزل به لقد نزلت بواد غير ممطور ورحل بك غير مسرور فاقم بعدم او ارحل بندم والسلام

وللحمدوني رحمه الله

رأيت ابا زرارة قال يوما ... لحاجبه وفي يده الحسام

لئن وضع الخوان ولاح شخص ... لاختطفن راسك والسلام

فقال له اسوء آبائك وذاك شيخ ... يخبز ليس يرده الكلام

فقال وقام من حنق اليه ... ببيت لم يرد فيه المقام

ابي وابن ابي والكلب عندي ... بمنزلة اذا حضر الطعام

وقال له ابن لي يا ابن كلب ... على خبزي اساد زاد واضام

اذا حضر الطعام فلا حقوق ... على لوالدي ولا ذمام

فما في الارض اقبح من خوان ... عليه الخبز يحضره الزحام

فابن هذا من هذا القائل

بخيل يرى في الجود عارا وانما ... يرى المرء عارا ان يضن ويبخلا

اذا المرء اثرى ثم لم يرج نفعه ... صديقا فلاقته المنية اولا

وقال آخر

وامرني بالبخل قلت لها اقصري ... فليس اليه ما حييت سبيل

ارى الناس اخوان الكرام وما ارى ... بخيلا له في العالمين خليل

وقالوا ايضا اذا سالت لئيما فاقصه ولا تدعه يتفكر فانه كلما فكر ازداد بعدا

وقال ربيع الهمداني رحمه الله

جمعت صنوف المال من كل وجهة ... وما نلتها بيدي الا بكف كريم

واني لارجو ان تموت وتنقضي ... حياتي وما عندي يد للئيم

وانشد الجاحظ لابي الشمقمق رحمه الله

من ظن ان هذا اجود بشيء ... اما مررت بعبد لعبد حاتم طي

وما قالته الشعراء في البخلاء وصفاتهم

مما قيل فيهم بيت لجرير رحمه الله في بني تغلب

والتغلبي اذا تنحنح للقرى ... حك استه وتمثل الامثالا

ومما قيل فيهم ايضا

قوم اذا اكلوا اخفوا كلامهم ... واستوثقوا من رتاج الباب والدار

قوم اذا استنبح الضيفان كلبهم ... قالوا لامهم بولي على النار

فتمسك البول بخلا ان تجود به ... وما تبول لهم الا بمقدار

والخبز كالعنبر الوردي عندهم ... والقمح سبعون اردبا بدينار

فاين هؤلاء من الذي يقول فيه الشاعر

ابلج بين حاجبيه نوره ... اذا تغدى رفعت ستوره

وقال بعضهم في بخيل ايضا

اتانا بخبزه حامض ... كمثل الدرهم في رقته

اذا ما تنفس حول الخوان ... تطاير في البيت من خفته

وقال آخر

تراهم خشية الاضياف خرسا ... يقيمون الصلوة بلا اذان

وقال آخر وقد بات عند بخيل

فبتنا كانا بينهم اهل مأتم ... على ميت مستودع بطن ملحد

يحدث بعضا بعضنا بمصاب ... ويامر بعضا بعضنا بالتجلد

وقال آخر

وجيرة لا ترى في الناس مثلهم ... اذا يكون لهم عيد وافطار

ان يوقدوا يوسعونا من دخانهم ... وليس يبلغنا ما ينضج بالنار

وقال آخر

تصدق ابانه ان قال مجتهدا ... لا والرغيف فذاك البر من قسمه

فان هممت به فافتك بخبزته ... فان موقعها من لحمه ودمه

قد كان يعجبني لو ان غيرته ... على جرادقه كانت على حرمه

وقال آخر ايضا

ذهب الكرام فلا كرام ... وبقي العضاريط اللئام

من لا يقيل ولا ينيل ... ولا يشم له طعام

وقال آخر في ابن قزعة

خليلي من كعب اعينا اخيكما ... على دهره ان الكريم معين

ولا تبخلا بخل ابن قزعة انه ... مخافة ان يرجى نداه حزين

اذا جئته في حاجة سد بابه ... فلم تلقه الا وانت كمين

وقال آخر ايضا

لا يومان يوم نزب ويوم … يسيل السيف فيه من التراب
فاما جوده فعلى تحاب … واما سيفه فعلى الكلاب

وقال آخر

رفعت الى نبهان من صفو فكرتي … عروسا غدا وطن الكتاب لها صدرا
فقبلها عشرا وهام بحبها … فلما ذكرت المهر طلقها عشرا

وقال آخر

لو عبر البحر بامواجه … في ليلة مظلمة بارده
وكفه مملوة خردلا … ما سقطت من كفه واحده
يا قائما في داره قاعدا … من غير معنى ولا فائده
قد مات اضيافك من جوعهم … فاقرأ عليهم سورة المائده

وقال آخر

نوالك دونه سول العباد … وخبزك كالثريا في البعاد
فلو ابصرت ضيفا في منام … لحرمت المنام الى التناد

وقال آخر

لا تعجبن لخبز زل من يده … فالكوكب النحس يسقي الارض احيانا

وقال آخر

وقالوا قد مدحت فتى كريما … فقلت وكيف لي بفتى كريم
بلوت ومر لي خمسون حولا … وحسبك بالمجرب من عليم
فلا احد يعد ليوم خير … ولا احد يجود على عديم

ومن رؤسآء اهل البخل

محمد بن الجهم وهو الذي قال وددت لو ان عشرة من الفقهآء وعشرة من الخطبآء وعشرة من الشعرآء وعشرة من الادبا تواطئوا على ذمي واستسهلوا شتمي حتى ينتشر ذلك في الافاق لا يمتد الي امل آمل ولا ينبسط نحوي رجا راج وقال له اصحابه يوما انا نخشى ان نقعد عندك فوق مقدار شهوتك فلو جعلت لنا علامة نعرف بها وقت استثقالك لمجالستك فقال علامة ذلك ان اقول يا غلام هات الغدا وقال عمر بن معمول رحمه الله مررت ببعض طرق الكوفة واذا انا برجل يخاصم جارا له فقلت ما بالكما فقال لاخدهما ان صديقا لي زارني فاشتهى رأسا فاشتريته وتغدينا واخذت عظامه فوضعتها على باب داري اتجمل بها فجآ هذا واخذها ووضعها على باب داره يوهم الناس انه الذي اشترى الراس وقال رجل من البخلآء لاولاده اشتروا

لي لحما فاشتروه فامر بطبخه فلما استوى اكل جميعه حتى لم يبق في يده الا عظمه وعيون اولاده ترمق اليه فقال لهم ما اعطي احدا منكم هذه العظمة حتى يحسن وصف اكلها فقال ولده الاكبر اتمششها يا ابت وامصها حتى لا ادع للذر فيها مقيلا قال لست بصاحبها فقال له ولده الاوسط يا ابت الوكها والحسها حتى لا يدري احد لعام هي ام لعامين قال لست بصاحبها فقال له ولده الاصغر امصها ثم ادقها واسفها سفا قال انت صاحبها وهي لك زادك الله معرفة وحزما ووقف اعرابي على ابي الاسود وهو يتغدى فسلم فرد عليه ثم اقبل على الاكل ولم يعزم عليه فقال له الاعرابي اما اني مررت باهلك قال قد ولدت قال كان لا بد لها ان تلد قال ولدت غلامين قال كذلك كانت امها قال مات احدهما قال ما كانت تقوى على رضاع اثنين قال ثم مات الاخر قال ما كان ليبقى بعد اخيه قال وماتت الام قال حزنا على ولدها قال ما اطيب طعامك قال لاجل ذلك اكلته وحدي والله لا ذقته يا اعرابي وقيل خرج اعرابي قد ولاه الحجاج بعض النواحي فاقام بها مدة طويلة فلما كان في بعض الايام ورد عليه اعرابي من حيه فقدم له الطعام وسأله عن اهله وقال ما حال بني عمير قال على ما تحب قد ملأوا الارض والحي رجالا ونسا قال فما فعلت ام عمير قال صالحة ايضا قال فما حال الدار قال عامرة باهلها قال وكلبنا البقاع قال قد ملأ الحي بنباحه قال فما حال جملي زريق قال على ما يسرك قال فالتفت الى خادمه وقال ارفع الطعام فرفعه ولم يشبع الاعرابي ثم اقبل عليه يسأله وقال يا مبارك الناصية اعد علي ما ذكرته قال سل عما بدا لك قال ما حال كلبي البقاع قال مات قال وما الذي اماته قال اختنق بعظمة من عظام جملك زريق فمات قال او مات جملي قال نعم قال وما الذي اماته قال كثرة نقل المآء الى قبر ام عمير قال او ماتت ام عمير قال نعم قال وما الذي اماتها قال كثرة بكاها على عمير قال او مات عمير قال نعم قال وما الذي اماته قال سقطت عليه الدار قال اسقطت الدار قال نعم قال فقام له بالعصاة ضاربا فولى من بين يديه هاربا وحكى بعضهم قال كنت في سفر فضللت عن الطريق فرايت بيتا في الفلاه فاتيته فاذا فيه اعرابية فلما راتني قالت من تكون قلت ضيف قالت اهلا ومرحبا بالضيف انزل على الرحب والسعة فنزلت فقدمت لي طعاما فاكلت وما فشربت فانا على ذلك واذا بصاحب البيت قد اقبل فقال من هذا فقالت ضيف فقال لا اهلا ولا مرحبا ما لنا وللضيف فلما سمعت كلامه ركبت من ساعتي وسرت فلما كان من الغد رايت بيتا في الفلا فقصدته فاذا فيه اعرابية فلما راتني قالت من تكون قلت ضيف قالت لا اهلا ولا مرحبا ما لنا وللضيف فبينما هي تكلمني واذا بصاحب البيت قد اقبل فلما راني قال من هذا قلت ضيف قال اهلا ومرحبا بالضيف ثم اتى

بطعام حسن فأكلتُ وما فشربتُ فتذكرتُ ما مرّ لي بالأمس فتبسمتُ فقال لي مم تبسمك
فقصصتُ عليه ما اتفق لي مع تلك الاعرابية وبعلها وما سمعت منه ومن زوجته فقال
لا تعجبن ان تلك الاعرابية التي رايتها هي أختي وان بعلها أخ امرأتي هذه فغلب على كل ذي طبع
أهله وحكايات هولاء وأمثالهم كثيرة وأخبارهم مشهورة وفيما ذكرته كفاية
واسأل الله التوفيق والهداية انه على ما يشاء قدير وبعباده لطيف خبير

الباب الخامس والثلاثون
في الطعام وآدابه والضيافة وآداب الضيف والمضيف وأخبار الأكلة وأشباه ذلك

أما اباحة الطيب من الطعام فقد قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات
ما رزقناكم واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون وقال تعالى يسئلونك ماذا أحل
لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين وقال تعالى قل من حرم زينة الله التي
أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم محرم الحلال كمحلل الحرام وقال عليه الصلاة
والسلام ان الله يحب أن يرى اثر نعمته على عبده في مأكله ومشربه وكان الحسن
رضي الله عنه يقول ليس في الطعام سرف وسُئل الفضيل رحمه الله عن ترك اللحم الطيب
والخبيص للزهد فقال ويا آكل الخبيص لست تأكل وتتقي الله ان الله لا يكره أن تأكل
الحلال اذا اتقيت الحرام انظر كيف برك لوالديك وصلتك للرحم كيف عطفك على
الجار كيف رحمتك للمسلمين كيف كظمك الغيظ كيف عفوك عمن ظلمك كيف احسانك
الى من أساء اليك كيف صبرك واحتمالك للأذى انت الى احكام هذا أحوج من
ترك الخبيص

وأما نعوت الأطعمة وما جاء فيها

فقد نقل عن الرشيد رحمه الله أنه سأل أبا الحارث عن الفالوذج واللوزينج أيهما
أطيب فقال يا أمير المؤمنين لا أقضي على غائب فاحضرهما اليه فجعل يأكل من هذه لقمة
ومن هذه لقمة ثم قال يا أمير المؤمنين كلما أردت أن أقضي على أحدهما أتى الآخر
بحجته واختلف الرشيد وأم جعفر رحمهما الله في الفالوذج واللوزينج أيهما أطيب
فحضر أبو يوسف القاضي رحمه الله فسأله الرشيد عن ذلك فقال يا أمير المؤمنين
لا يقضى على غائب فأحضرهما فأكل حتى اكتفى فقال له الرشيد احكم فقال يا أمير المؤمنين
قد اصطلح الخصمان فضحك الرشيد وأمر له بألف دينار فبلغ ذلك زبيدة فأمرت
له بألف دينار وسمع الحسن البصري رحمه الله رجلا يعيب الفالوذج فقال لباب البر بلعاب
النحل بخالص السمن ما أظن عاقلا يعيبه وقال الأصمعي رحمه الله أول من صنع الفالوذج

عبد الله

عبد الله بن جدعان رحمه الله وأتي اعرابي بفالوذج فأكل منه لقمة فقيل له أتعرف
هذا فقال هذا وحياتك الصراط المستقيم وكان أحب الطعام الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم اللحم وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
سيد طعام أهل الدنيا اللحم وكان يقول هو سيد الطعام في الدنيا والآخرة وهو يزيد في السمع
ولو سألت ربي أن يطعمنيه كل يوم لفعل وكان عليه السلام يعجبه الدباء ويقول يا عائشة
اذا طبختم قدرًا فأكثروا فيها من الدباء فانها تشد قلب الحزين وهي شجرة أخي يونس عليه السلام
وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال عليكم بالقرع فانه يشد الفؤاد ويزيد في الدماغ وعليكم
بالعدس فانه يرق القلب ويغزر الدمعة وعن أبي رافع قال كان أبو هريرة رضي الله
عنهما يقول أكل التمر أمان من القولنج وشرب العسل على الريق أمان من الفالج وأكل
السفرجل يحسن الولد وأكل الرمان يصلح الكبد والزبيب يشد ويذهب الوصب والنصب
والكرفس يقوي المعدة ويطيب النكهة وأطيب اللحم الكتف وكان يديم أكل
الهريسة وكان رضي الله عنه يأكل على سماط معاوية ويصلي خلف علي رضي الله عنه ويجلس
وحده فسُئل عن ذلك فقال طعام معاوية أدسم والصلوة خلف علي أفضل وهو أعلم
والجلوس وحدي أسلم وسميت المتوكلية بالمتوكل والمأمونية بالمأمون وقال
الحسن بن سهل وهو جالس ذات يوم على مائدة المأمون رحمهما الله الأرز يزيد في العمر فسأله
المأمون عن ذلك فقال يا أمير المؤمنين ان طب الهند صحيح وهم يقولون ان الأرز
يرى منامات حسنة ومن رأى منامًا حسنًا كان في يومين فاستحسن قوله ووصله وقال
أبو سفيان رحمه الله الأرز الأبيض بالسمن والسكر ليس من طعام أهل الدنيا وقيل
لأبي الحارث ما تقول في الفالوذجة فقال وددت لو أنها وملك الموت اصطلحا
في صدري والله لو أن موسى عليه السلام لقي فرعون بالفالوذجة لآمن ولكنه لقيه
بالعصى وكانت العرب لا تعرف الألوان انما كان طعامهم اللحم يطبخ بالماء والملح حتى كان
زمن معاوية فاتخذ الألوان ويقال للمرقة المسخنة بنت نارين وكان بعض المترفين
يقول حسبوا بأبد في بنت نارين وقالوا كل طعام أعيد عليه التسخين فاسد وقيل
اذا ألقي اللحم في العسل وأخرج بعد شهر طريًا لا يتغير ويقال السكباج سيد المرق وفرح
الأطعمة وزين الموائد ويقال اذا طبخت اللحم بالخل فقد القيت عنك ثلث المؤنة
ويقال للخبز ابن حبه قال بعضهم فيه
زرعت حبَّ ابن حبه ... في حبة القلب مني
وقال ابن عباس رضي الله عنه يرفعه أكرموا الخبز قالوا وما كرامته يا رسول الله
قال لا تنتظروا به الأدام اذا وجد ثم الخبز فكلوه حتى تؤتوه بغيره وفي الحديث

من دام على اللحم اربعين يوما قسى قلبه ومن تركه اربعين يوما ساء خلقه وقيل المائدة
التي نزلت على بني اسرائيل كان عليها كل البقول الا الكراث وسمكة عند راسها خل وعند
ذنبها ملح وسبعة ارغفة على واحد زيتون وحب رمان ودخل ابن قريعة رحمه الله يوما الى
عز الدولة وبين يديه طبق فيه موز فتاخر عن استدعائه فقال ما بال مولانا ليس يدعوني الى
الموز باكل الموز فقال صفه حتى اطعمك منه فقال ما الذي اصفه من حسن لونه فيه
سبايك ذهبية كانها حشيت زبدا او عسلا اطيب الثمر كانه مخ الشحم سهل المقشر
لين المكسر عذب المطعم بين المطعوم سلس في الحلقوم ثم مد يده واكل وسمع رجلا
يذم الزبد فقال ما الذي ذممت منه سواد لونه ام بشاعة طعمه ام صعوبة مدخله
ام خشونة ملمسه وقيل له ما تقول في الباذنجان قال اذناب المحاجم وبطون العقارب
وبزر الزقوم فقيل انه يحشى باللحم فيكون طيبا فقال لو حشي بالتقوى والمغفرة ما افلح
وصنع الحجاج وليمة واحتفل بها فقال لزاذان هل عمل كسرى مثلها فاستحياه فاقسم عليه
فقال اولم عبد عند كسرى فاقام على رؤوس الناس الف وصيفة في يد كل وصيفة
ابريق من ذهب فقال الحجاج اف والله ما تركت فارس لمن بعدها من الملوك شرفا واهدى
رجل الى رجل فالوذجة زنخة وكتب اليه اني اخترت لعملها السكر السوسي والعسل الماذي
والزعفران الاصبهاني فاجابه والله العظيم ما عملت الا قبل ان توجد اصبهان وقبل
ان يفتح السوس وقبل ان اوحى ربك الى النحل وقيل ان ابا الجهم بن عطية كان عينا
لابي مسلم على المنصور فاحس المنصور بذلك فطاوله الحديث يوما حتى عطش فاستسقى
فدعي له بقدح من سويق اللوز فيه السم فما بلغ داره حتى مات وقيل في ذلك

بيت

تجنب سويق اللوز لا تقربنه ❊ فشرب سويق اللوز اردى ابا جهم

وقال ابو طالب المامونى

فما حملت كف امرئ متطعما ❊ الذ واشهى من اصابع زينب

اصابع زينب ضرب من الحلوى يعمل ببغداد يشبه اصابع النساء المنقوشة ودخل
السائب على علي بن ابي طالب رضي الله عنه في يوم شات فناوله قدحا فيه عسل وسمن
ولبن فاباه فقال اما انك لو شربته لم تزل دفيا سائر يومك وعن نافع بن
ابي نعيم رحمه الله كان ابن طالب يعطي عليا قدحا من اللبن يصبه على اللات وكان علي رضي الله
عنه يشرب اللبن ويبول على اللات واما الزهد في المآكل فقد زهد
فيه كثير من الاحيا مع القدرة عليه ومنهم من لا يقدر عليه قالت عايشة والذي
بعثه بالحق ما كان لنا منخل ولا اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم خبزا منخولا منذ

بعثه

بعثه الله تعالى الى ان قبض عليه السلام قلت وكيف تاكلون الشعير قالت كنا نقول
اف اف وعن جابر رفعه نعم الادام الخل وكفى بالمرء سرفا ان يتسخط ما قرب اليه وقال
عمر رضي الله عنه ما اجتمع عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ادمان الا اكل احدهما وتصدق
بالآخر وقالت عائشة رضي الله عنها ما كان يجتمع لونان في لقمة في فم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان كان لحما لم ياكل خبزا وان كان خبزا لم ياكل لحما وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
يا علي ابدا بالملح واختم به فان فيه شفا من سبعين دا وروي ان نبيا من الانبيا شكى الى
الله تعالى الضعف فامر ان يطبخ اللحم باللبن فان القوة فيهما وسنذكر فصل الزهد
في المآكل في باب مدح الفقر ان شا الله تعالى واما ما جا في اداب الاكل
فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قال عند مطعمه ومشربه بسم الله خير الاسماء
بسم الله رب الارض والسما لم يضره ما اكل وما شرب وكان صلى الله عليه وسلم اذا وضع بين يديه
الطعام قال بسم الله اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وعليك خلفه وقال صلى الله عليه وسلم
من اكل طعاما فقال الحمد لله الذي اطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة غفر له ما
تقدم من ذنبه ومن لبس ثوبا فقال الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني
ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا اكل احدكم فليذكر اسم الله فان نسي في اوله فليقل بسم الله اوله واخره وفي حديث
ابن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اكل احدكم فلياكل بيمينه واذا
شرب فليشرب بيمينه فان الشيطان ياكل بشماله ويشرب بشماله وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الاكل في السوق دناءة وعن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم زجر عن الشرب
قايما قال فسالنا عن الاكل فقال هو شر من الشرب واوصى رجل من خدم الملوك ابنه فقال
اذا اكلت فضم شفتيك ولا تلتفت يمينا ولا شمالا ولا تلعق بسكين ولا تجلس فوق من هو اشرف
منك اذا رفع منزلة ولا تتمضمض في الاماكن النظيفة ومن هذا ما رواه الزهري رضي الله عنه ان
النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن النفخ في الطعام والشراب وقال علي رضي الله عنه نهى رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان يوكل الطعام سخنا جدا وفي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
ما عاب النبي صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهاه اكله والا تركه وقال عمرو بن هبيرة رحمه الله
عليكم بمباكرة الغدا فان في مباكرته تطيب النكهة وتعين على المروة قيل وما اعانته على المروة
قال ان لا تتوق النفس الى طعام غيرك وعن النبي صلى الله عليه وسلم من اكل من سقاط المائدة عاش
في سعة وعوفي في ولده وولد ولده من الحمق وعنه صلى الله عليه وسلم من لقط شيا من الطعام
فاكله حرم الله جلده على النار وقال الحارث بن كلدة رحمه الله اذا تغدى احدكم فلينم
على غدائه واذا تعشى فليخط اربعين خطوة وقيل خير الغدا بواكره وخير العشا سوافره وعن

بن عباس رضي الله عنه نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتبع الرجل بصره لقمة اخيه وقال الحجاج رحمه الله لاعرابي على سماطه ارفق بنفسك قال وانت يا حجاج اغضض بصرك وقال معاوية رحمه الله لرجل على مايدته خذ الشعرة من لقمتك فقال انك تراعيني مراعاة من يرى الشعرة في لقمتي لا اكلت لك طعاما ابدا ووضع معاوية بين يدي الحسن بن علي رضي الله عنهم دجاجة ففكها فقال له هل بينك وبين امها عداوة فقال له وهل بينك وبين امها قرابة اراد معاوية ان الحسن يوقر مجلسه كما توقر مجالس الملوك والحسن رحمه الله اعلم منه بالآداب والرسوم المستحسنة وحضر اعرابي على مايدة بعض الخلفاء فقدم جدي مشوي فجعل الاعرابي يسرع في اكله منه فقال له الخليفة اراك تاكله بحرقة كان امه نطحتك فقال اراك تشفق عليه كان امه ارضعتك

واما ما جاء في كثرة الاكل

فقد روي عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قل طعمه صح بطنه وصفا قلبه ومن كثر طعمه سقم بطنه وقسى قلبه وعنه صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع اذا كثر عليه الماء مات وقال صلى الله عليه وسلم ما زين الله رجلا زينة افضل من عفاف بطنه وقال عمرو بن عبيد رحمه الله ما رايت الحسن رضي الله عنه ضاحكا الا مرة واحدة قال رجل من جلسائه ما آذاني طعام قط فقال له آخر لو كانت في معدتك الحجارة لطحنتها وقال علي رضي الله عنه البطنة تذهب الفطنة وقال ابن المعتز رحمه الله كانت ملوك العجم اذا رات الرجل نهما شرها اخرجوه من طبقة الجد الى طبقة الهزل ومن باب التعظيم الى باب التحقير وتقول العرب اقلل طعاما تحمد مناما وكانت العرب تعيره بكثرة الاكل وانشد وافيه

لست باكال كاكل العبد ولا بنوام كنوم الفهد

وانشد الاصمعي رحمه الله لرجل من بني فهد

اذا لم افد الا لاكل اكلة فلا رفعت كفي الى طعام
فما اكلة ان نلتها بغنيمة ولا جوعة ان جعتها بغرام

وقالت عايشة رضي الله عنها اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يشتري غلاما فالقى بين يديه تمرا فاكل فاكثر فقال صلى الله عليه وسلم ان كثرة الاكل شوم وقالوا الوحدة خير من الجليس السوء وجليس السوء خير من اكيل اسود وشكا ابو العيناء الى بدوي سوء الحال فقال اشكر فان الله تعالى قد رزقك الاسلام والعافية قال اجل ولكن بينهما جوع يقلقل الكبد ودعت ابا الحارث جمينا حبيبة له فحادثته ساعة فجاع فطلب الاكل فقال انا في وجهي ما يشغلك عن الاكل قال جعلت فداك لو ان جميلا وبثينة قعدا ساعة

لايأكلان لبصق كل منهما في وجه صاحبه وافترقا

واما اخبار الاكلة

فقد قيل ان وهب بن جرير رحمه الله سال ميسرة البراش عن اعجب ما اكل فقال اكلت مائة رغيف بمكوك ملح ومر ميسرة المذكور يوما بقوم وهو راكب حمارا فدعوه للضيافة وذبحوا له حماره وطبخوه وقدموه له فاكله فلما اصبح طلب حماره ليركب فقيل له هو في بطنك وقال المعتمر بن سليمان قلت لهلال المازني رحمه الله ما اكلة بلغتني عنك قال جعت مرة ومعي بعير لي فنحرته وشويته واكلته ولم ابق منه الا شيئا يسيرا حملته على ظهري فلما كان الليل اردت ان اجامع امراة لي فلم اقدر اصل اليها فقالت كيف تصل الي وبيننا جمل فقلت له كم تكفيك هذه الاكلة فقال اربعة ايام وقال الاصمعي رحمه الله ان سليمان بن عبد الملك كان شرها وكان من شرهه اذا اتي بالسفود وعليه الدجاج السمين المشوي لا يصبر الى ان يبرد ولا ان يؤتى بمنديل فياخذ بكمه فياكل واحدة واحدة حتى ياتي عليها فقال الرشيد ويحك يا اصمعي ما اعلمك باخبار الناس اني عرضت جباب سليمان فوجدت منها آثار الدهن فظننته طيبا حتى حدثتني ثم امر لي بجبة منها فكنت اذا لبستها اقول هذه جبة سليمان بن عبد الملك رحمه الله وقال الشمردل رحمه الله وكيل عمرو بن العاص رضي الله عنه قدم سليمان بن عبد الملك الطايف فدخل هو وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم الي فقال يا شمردل ما عندك ما تطعمني قلت عندي جدي كاعظم ما يكون سمنا قال عجل به فاتيته به كانه عكة سمن فجعل ياكل ولا يدعو عمر حتى لم يبق منه الا الفخذ قال هلم يا ابا حفص فقال اني صايم فاكله ثم قال يا شمردل ويلك اما عندك شي قال ست دجاجات كانهن افخاذ نعام فاتيته بهن فاتى عليهن ثم قال يا شمردل اما عندك شي قلت سويق كانه قراضة ذهب فاتيته به فجعل يعبه حتى اتى عليه ثم قال يا غلام افرغت من غدائنا قال نعم قال ما هو قال نيف وثمانون قدرا قال ائتني بقدر قدر فاتاه بها ومعها الرقاق فاكل من كل قدر ثلثه ثم مسح يده واستلقى على فراشه واذن للناس فدخلوا وصف الخوان فقعد فاكل مع الناس وكان هلال الاشعر رحمه الله يوضع الفخ على فيه ويصب اللبن والنبيذ وكان غليظا عبلا وقال رجل لاعرابي كانت لي بنت تجلس على المايدة فتبرز كفا كانه طلعة في ذراع كانه جمار فلا تقع عيني على لقمة نفيسة الا خصتني بها فكبرت وزوجتها وصرت اجلس على المايدة مع ابن لي فيبرز كفا كانه كرنافة فوالله ان تسبق عيني الى لقمة طيبة الا سبقت يده اليها وقال مسلم بن قتيبة رحمه الله عددت للحجاج اربعة وثمانين رغيفا مع كل رغيف سمكة ويقال فلان يحاكي حوت يونس عليه السلام في جودة الالتقام وعصى موسى عليه السلام في سرعة الالتقام وقيل لابي برة اي الطعام احب اليك قال لحم سمان وخبز سميذ اضرب فيه ضرب ولي السوء في مال اليتيم

وقال حدثنا ابن عبيد المازني رحمه الله ولدي ابي لما تزوجت فعمل عشر
جفان من جزور فكان اول من جانا هلال المازني رحمه الله فقدمنا له جفنة فاكلها
ثم قدمنا له اخرى فاكلها حتى اتى على الجميع ثم اتي بقربة مملوة من النبيذ فوضع طرفها
في شدقه وفرغها في جوفه ثم قام وخرج واستانفنا عمل الطعام **وكان** عبيد الله بن
زياد رحمه الله ياكل في كل يوم خمس اكلات فخرج يوما يريد الكوفة فقال له رجل من بني
شيبان الغدا اصلح الله الامير فنزل فذبح له عشرين طيرا اوزا فاكلها ثم قدم الطعام
فاكل ثم اتي بزنبيلين في احدهما تين وفي الاخر بيض فجعل ياكل من هذا تينه ومن هذا بيضه
حتى اتى على ذلك ثم رجع وهو جايع **وكان** ميسرة الرواس رحمه الله ياكل الكبش العظيم
ومايه رغيف فذكر ذلك للمهدي رحمه الله فقال دعوت يوما بالفيل فالقي اليه رغيف
رغيف فاكل تسعة وتسعين والقي اليه تمام المائة فلم ياكل **وحدث** الشيخ نبيه الدين الجوهري
رحمه الله انه سمع الشيخ الامام عز الدين بن عبد السلام يقول ان معاوية بن ابي سفيان رحمه الله
كان ياكل في كل يوم رطل بالدمشقي ولا يشبع **ونزل** رجل بصومعة راهب فقدم اليه
اربعة ارغفة وذهب ليحضر اليه العدس فحمله وجا فوجده قد اكل الخبز فذهب واتى بالخبز
فوجده قد اكل العدس ففعل ذلك معه عشر مرات فساله الراهب اين مقصدك فقال
الى الاردن قال بلغني ان بها طبيبا حاذقا اساله عما يصلح معدتي فاني قليل الشهوة للطعام
فقال الراهب لي اليك حاجة قال وما هي قال اذا ذهبت واصلحت معدتك فلا تجعل
رجوعك علي ابدا • **واما المهازلة على الطعام** • فقد روي عن يحيى بن عبد الرحمن
قال قالت عايشة رضي الله عنها كان عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة فصنعت
حريرا فجيت به فقلت لسودة كلي فقالت لا احبه فقلت والله لتاكلن او لالطخن وجهك
فقالت ما انا بذايقته فاخذت من الصحفة شيا فلطخت به وجهها ورسول الله صلى الله عليه
وسلم جالس بيني وبينها فتنا ولت من الصحفة شيا ولطخت به وجهي فجعل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يضحك • واشترى غندر رحمه الله يوما سمكا وقال لاهله اصلحوه ونام فاكل
عياله السمك ولطخوا يده فلما انتبه قال قدموا السمك قالوا قد اكلت قال لا قالوا شم
يدك ففعل فقال صدقتم ولكن ما شبعت • ودخل الجحدري رحمه الله على رجل وعنده
اقوام بين ايديهم اطباق الحلوى ولا عهد من ايديهم فقال لقد ذكرتموني ضيف ابراهيم عليه السلام
وقول الله تعالى فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة ثم قال كلوا
رحمكم الله فضحكوا فاكلوا والحكايات بمعنى ذلك كثيرة **واما الضيافة والطعام**
الطعام فقد قال الله تعالى هل اتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين **وقال**
رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكل وذو عينين ينظر اليه ولم يواسه ابتلي بدا لا دوا له

وقال

وقال الحسن رضي الله عنه كنا نسمع ان احدى مواجب الرحمة اطعام الاخ المسلم الجايع **وقيل**
لابراهيم عليه السلام بما اتخذك الله خليلا قال بثلث ما خيرت في شيين الا اخترت
الذي لله على غيره ولا اهتممت بما تكفل لي به ولا تغديت ولا تعشيت الا مع ضيف ويقولون
ما خلى مضيف الخليل عليه السلام الى يومنا هذا ليلة واحدة من ضيف **وكان** الزهري
رحمه الله اذا لم ياكل احد من اصحابه من طعامه حلف لا يحدثه عشرة ايام وقالوا المائق مرزوقه
اي من كان مضيافا اوسع الله عليه **وقال** المدايني رحمه الله اول من سن القرى ابراهيم
الخليل عليه السلام الى يومنا هذا واول من هشم الثريد هاشم رحمه الله • واول من فطر
جيرانه على طعامه في الاسلام عبد الله بن عباس رضي الله عنه وهو اول من وضع موايده
على الطريق وكان اذا خرج من بيته طعام لا يعاد منه شي فان لم يجد من ياكله تركه
على الطريق **وقيل** لبعض الكرما كيف اكتسبت مكارم الاخلاق والتاذب مع الاضيا
فقال كانت الاسفار تحوجني الى ان افد على الناس فما استحسنته من اخلاقهم اتبعته
وما استقبحته تجنبته •

واما ادب المضيف •

فهو ان يخدم اضيافه ويظهر لهم الغنا وبسط الوجه فقد قيل البشاشة في الوجه خير
من القرى فقالوا كيف بمن ياتي بها وهو ضاحك ضمن الشيخ شمس الدين البديوي رحمه الله
هذا الكلام بابيات فقال •

شعر •

إذا المرء وافى منزلا منك قاصدا • قراك وأمته لديك المسالك
فكن باسما في وجهه متهللا • وقل مرحبا أهلا ويوما مبارك
وقدم له ما تستطيع من القرى • عجولا ولا تبخل بما هو هالك
فقد قيل بيتا سالف متقدما • تداوله زيد وعمرو ومالك
بشاشة وجه المرء خير من القرى • فكيف بمن يأتي بها وهو ضاحك

وقال حاتم رحمه الله

سل الطارق المعتر يا أم مالك • اذا ما اتاني بين ناري ومجزري
هل ابسط وجهي انه اول القرى • وابذل معروفي له دون منكري

وقال آخر في عبد الله بن جعفر رحمه الله

انك يا ابن جعفر خير فتى • وخيرهم لطارق اذا اتى

ولله در القائل

الله يعلم انه ما سرني • شي كطارقة الضيوف النزل
ما زلت بالترحيب حتى خلتني • ضيفا له والضيف رب المنزل

أحسن من قول الشاعر

يا ضيفنا لو زرتنا لوجدتنا ۝ نحن الضيوف وأنت رب المنزل ۝

وما أحسن ما قال سيف الدولة بن حمدان رحمه الله في ذلك

۝ منزلنا رحب لمن زاره ۝ نحن سواء فيه والطارق ۝
۝ كل ما فيه حلال له ۝ إلا الذي حرمه الخالق ۝

وقال الأصمعي رحمه الله سألت عيينة بن وهب الدارمي رحمه الله عن مكارم الأخلاق فقال أو ما سمعت قول عاصم بن وائل رحمه الله حيث قال ۝ بيت ۝

۝ وإنا لنقري الضيف قبل نزوله ۝ ونشبعه بالبشر من وجه ضاحك ۝

وقال الحسين بن الحسين رحمه الله من تمام المروءة خدمة الرجل ضيفه كما خدمهم أبونا إبراهيم عليه السلام بنفسه وأهله أما سمعت قوله تعالى وامرأته قائمة ومن آداب المضيف أن يحدث أضيافه بما تميل إليه نفوسهم ولا ينام قبلهم ولا يشكو الزمان بحضورهم ويبش عند قدومهم ويتألم عند وداعهم وأن لا يحدث بما يروعهم به كما حكي عن بعضهم قال استدعاني إسحق بن إبراهيم الطاهري رحمه الله إلى أكل هريسة في بكرة نهار فدخلت فأحضرت له الهريسة فأكلنا فإذا شعرة قد جاءت على لقمة ذهل عنها طباخه فاستدعى خادما له وأسر إليه شيئا لم نعلمه فعاد الخادم ومعه صينية مغطاة فكشف عن الصينية فإذا فيها يد الطباخ مقطوعة تختلج فتكدر عيشنا وقمنا من عنده ونحن لا نعقل فيجب على المضيف أن يراعي خواطر أضيافه كيفما أمكن ولا يغضب على أحد بحضورهم ولا ينغص عليهم عيشهم بما يكرهه ولا يعبس وجهه ولا يظهر نكدا ولا ينهر أحدا ولا يشتمه بحضورهم بل يدخل عليهم السرور بكل ما أمكن كما حكي عن بعض الكرام رحمهم الله أنه دعى جماعة من أصحابه إلى بستانه وعمل لهم سماعا وكان لهم ولد جميل وكان الولد في أول النهار يخدم القوم ويأنسون به وفي آخر النهار صعد إلى سطح فسقط فمات فحلف أبوه على أمه بالطلاق الثلث أن لا تصرخ ولا تبكي إلى أن تصبح فلما كان الليل سأله أضيافه عن ولده فقال هو نائم فلما أصبحوا وأرادوا الخروج قال لهم إن رأيتم أن تصلوا على ولدي فإنه بالأمس سقط من السطح فمات فتعجبوا من صبره وبكوا عليه وعلى المضيف أن يأمر غلمانه بحفظ نعال أضيافه وتفقد غلمانهم بما يكفيهم ويسهل حجابه وقت الطعام ولا يمنع واردا وقيل لبعض الأمراء الكرام لا بأس بالحجاب لئلا يدخل من لا تعرفه الأمير ويحترز عن العدو فقال إن عدوا يأكل طعامنا ولا نخدع لم يمكنه الله منا وأولى بالرئيس الكريم أن يمنع حاجبه من الوقوف ببابه عند حضور الطعام فإن ذلك أول الشناعة عليه وعليه أن يسمع أضيافه ما يؤنسهم بلذيذ المحادثة وغريب الحكايات وأن يستميل قلوبهم بالبذل لهم من غرائب

الظرف

الظرف إن كان من أهل ذلك والبرئ أضيافه مكان الخلاء فقد قيل عن ملك الهند أنه قال إذا أضافك أحد فاره الكنيف فإني ابتليت مرة فوضعت في قلنسوتي وقالوا لا بأس أن يدخل الرجل دار أخيه ويستطعم للصداقة الوكيدة وقد قصد النبي صلى الله عليه وسلم والشيخان رضي الله عنهما منزل الهيثم بن التيهان رحمه الله وأبو أيوب الأنصاري كذلك وكانت عادة السلف وكان لعبد الله بن عون المسعودي رحمه الله ثلثمائة وستين صديقا فكان يدور عليهم في السنة ولا بأس أن يدخل الرجل دار صديقه فيأكل وهو غائب وقد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار بريرة فأكل طعامها وهي غائبة وكان الحسن رحمه الله يوما عند بقال فجعل يأخذ من هذه الحزمة ومن هذه سنة فيأكلها فقال له هشام رحمه الله ما بدا لك يا أبا سعيد في الورع فقال اتل علي آية الأكل فتلى ليس عليكم جناح أن تأكلوا إلى قوله أو صديقكم فقال الصديق من استروحت إليه النفس واطمأن إليه القلب وعلى المضيف الكريم أن لا يتأخر عن أضيافه ولا يمنعه عن ذلك قلة ما في يده بل يحضر إليهم ما وجد فقد جاء عن أنس وغيره من الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يقدمون الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون ما ندري أيهما أعظم وزرا الذي يحتقر ما يقدم إليه أو الذي يحتقر ما عنده أن يقدمه وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من لقم أخاه لقمة حلو صرف الله عنه مرارة الموقف وحكي عن الشافعي رضي الله عنه أنه كان نازلا عند الزعفراني رحمه الله ببغداد فكان الزعفراني رحمه الله يكتب كل يوم في رقعة ما يطبخ من الألوان ويدفعها إلى الجارية فأخذها الشافعي رضي الله عنه منها يوما وألحق فيها لونا آخر فعرف الزعفراني ذلك فأعتق الجارية سرورا بذلك وكان سنة السلف أن يقدموا جملة الألوان دفعة ليأكل كل ما يشتهي ومن السنة أن يشيع المضيف إلى باب الدار وعلى المضيف إذا قدم الطعام إلى أضيافه أن لا ينتظر من يحضر من عشيرته فقد قيل ثلثة تضني سراج لا يضي ورسول بطي ومائدة ينتظر لها من يجي ونزل الشافعي بمالك رضي الله عنهما بمكة فصب بنفسه الماء على يديه وقال لا يروعك ما رأيت مني فخدمة الضيف فرض ۝ وقد قيل ۝ شعر ۝

۝ أعرض طعامك وابذله لمن أكلا ۝ واحلف على من أبى واشكر لمن فعلا ۝
۝ ولا تكن سارق العرض محتشما ۝ من القليل فلست الدهر محتفلا ۝

ومن البخلاء من يعزم على الضيف فيعتذر له فما يصدق بذلك ويمسك عنه وقيل لبعض البخلاء ما الفرج بعد الشدة قال أن يعتذر الضيف بالصوم ومن البخلاء من يعجبه طعامه ويصف زيادته ويشتهي أن يبقى على حاله ومنهم من يحضر طعامه فإذا رآه ضيوفه أمر بأن يرفع منها أطيبها وأشهاها للنفوس ويعتذر أن في أصحابه من يحضر

بالغداة عنده وحكي عن بعض البخلاء انه استاذن عليه وبين يديه خبز وزبدية فيها
عسل نحل فرفع الخبز واراد ان يرفع العسل فدخل الضيف قبل ان يرفعه وظن البخيل ان
ضيفه لا ياكل العسل بلا خبز فقال له ترى ان تاكل عسلا بلا خبز قال نعم وجعل يلعق
لعقة بعد اخرى فقال له البخيل يا اخي والله انه يحرق القلب قال صدقت ولكن قلبك
انت وحكي عن بعضهم انه قال غلب علي الجوع مرة فقلت امضي الى دار فلان لاتغدى عنده
فمضيت الى بابه فوجدت غلامه فقلت له اين سيدك فقال والله لا قلت لك عليه الا
بكسرة فرجعت هاربا ومن البخل تقدير الشي اليسير وتفخيمه وحكي عن بعض البخلاء
انه حلف على صديقه فاحضر له خبزا وجبنا وقال له لا تستقل الخبز فانه بثلثة دراهم
الرطل فقال ضيفه انا اجعله بدرهم ونصف قال كيف ذلك قال اكل لقمة بجبن ولقمة
بلا جبن فاين هولاء من الذي يقول

شعر

قالت اما ترحل تبغي الغنا • قلت فمن للطارق المعتم
قالت فهل عندك شي له • قلت نعم جهد الغني المعدم
فكم رحق الله من ليلة • قد طعم الضيف ولم اطعم
ان الغني بالنفس يا هذه • ليس الغنى بالمال والدراهم

وقال بعض البخلاء

سرى عندنا يبغي القرى طاوي الحشا • لقد عملت فيه الظنون الكواذب
فبات له سيا الى الصبح سالما • تعدد تطفيل الضيوف ويضرب

فشتان ما بين القايلين

واما اداب الضيف

فهو ان يبادر الى موافقة المضيف في امور منها اكل الطعام ولا يعتذر بشبع فقد ورد على
بعض الاعراب ضيف فدخل به الى بيته وقدم له طعاما فقال الضيف لست بجايع وانما
احتاج الى مكان ابيت فيه فقال الاعرابي اذا كان هذا عزمك فكن ضيف غيري
فاني لا ارى ان تمدحني في البلاد وتهجوني فيما بيني وبينك وحكي عن بعض التجار انه قال
استدعاني الوزير ابو حفص محمد بن القاسم الكرخي رحمه الله لاعرض عليه قماشا ها انا
بين يديه واذا اطباق الفاكهة قد حضرت فقمت فقال يا فلان ما هذا الخلق القاسي
اجلس فجلست وتحققت كرمه فجعلت اكل الكمثراة في لقمة والتفاحة في لقمة ثم قدم
الطعام وكنت جايعا فاكلت اكلا بليغا ثم انصرفت فلم استحضر في اليوم الثاني الا وقد
جاني غلامه وبغلته واستدعاني فقال يا فلان اني قليل الاكل سي الهضم وقد طابت
لي مواكلتك بالامس واريد ان لا تنقطع عني بعدها قال فكنت متى انقطعت حضر غلامه في
طلبي فحصل لي بقربي منه مال كثير وجاه عريض ومن اداب الضيف ان لا يسال

صاحب

صاحب المنزل عن شي من داره سوى القبلة وقضا الحاجة ولا يتطلع الى ناحية الحرم
ولا يخالفه اذا اجلسه في مكان واكرمه به ولا يمتنع من غسل يديه واذا راى صاحب المنزل
قد تحرك بحركة لا يمنعه منها فقد نقل في بعض المجاميع ان بعض الكرماء كان عبيدا على ضيافة
سي الاخلاق فبلغ ذلك بعض الاذكيا فقال الذي يظهر لي من هذا الرجل انه كريم الاخلاق
وما اظن سوء اخلاقه الا لسوء ادب الاضياف ولا بد ان اتطفل عليه لارى حقيقة امره
قال فقصدته وسلمت عليه فقال لي هل لك ان تكون ضيفي قلت نعم فسار بين يدي الى ان جا
باب داره فاذن لي فدخلت فاجلسني في صدر منزله فجلست حيث اجلسني واعطاني
مسندا فاستندت اليه واخرج شطرنجا وقال اتلعب شيا قلت نعم فلعبت معه فلما
حضر الطعام جعل يقدم لي ما استطابه وانا اكل فلما فرغنا قدم طشتا وابريقا واراد
ان يسكب الما على يدي فلم امنعه من ذلك واراد الخروج بين يدي بعد ان قدم لي
نعلي فلم امنعه من ذلك فلما اراد الرجوع قلت يا سيدي انشدك الله الا ما فرجت عني
كربة قال وما هي فاخبرته الخبر فقال ما يحوجني لذلك الا سوء ادبهم يصل الضيف
الى داري فاجلسه في الصدر فيابى ذلك ثم اقدم اليه الطعام فلا اتحفه بشي يستطرف
الا ويرده علي ثم اريد ان اصب على يديه عند الغسل فيحلف بالطلاق ما افعل ثم
اريد ان اشيعه فلا يمكني من ذلك فاقول في نفسي ولا يحكم الانسان في بيته فعند ذلك
اشتمه والعنه • وفي هذا المعنى قول بعضهم

شعر

لا ينبغي للضيف ان يعترض ان • كان ذا حزم وطبع لطيف
فالامر للانسان في بيته • ان شا ان ينصف او ان يحيف

ومما يعاب على الضيف

كثرة الاكل المفرط الا ان يكون بدويا فانها عادته ومنها ان يتبع طريق المسترحلين كمن يجد
معه خريطة مشمعة يقلب فيها الزبادي والامراق والحلوى وغير ذلك ومنها ان ياخذ
معه ولده الصغير ويعلمه ان يبكي عند الانصراف من الطعام ليحطي على اسم الصغير ومنها قبح
المواكلة فقد عد فيها عيوب كثيرة فمنها المتشارف والجراف والعداد والرشاف
والنفاض والقراض والنهاش والنثاث والحوام والقسام والمخلل والمريد والمرنح
والمرشرش والمفتش والمنشف والملبب والصباغ والنفاخ والخامي والمحجج
والشطرنجي والمهندس والمتمني والفضولي **فاما المتشارف** فهو الذي يستحكم
جوعه قبل فراغ الطعام فلا تراه الا متطلعا لناحية الباب فيظن ان كل ما دخل هو الطعام
والجراف هو الذي يجعل اللقمة في ناحية الزبدية ويجرف بها الى الجانب الاخر **والعداد**
هو الذي يستغرق في عد الزبادي ويلحس على اصابعه ويشير اليها ويعفي نفسه **والرشاف**

وهو الذي يجعل اللقمة في فيه ويوسعها فيسمع لصاحبي المبلع حس لا يخفى على جلسائه
وهو يلتذ بذلك والغامص هو الذي يجعل اللقمة في فيه ويغمض اصابعه في الزبد
والعراض وهو الذي يعرض اللقمة باطراف اسنانه حتى يقيدها ويضعها في الطعام
بعد ذلك والبهات هو الذي يبهت في وجوه الآكلين حتى يبهتهم ويأخذ اللحم من
بين ايديهم واللتات وهو الذي يلت اللقمة باصابعه قبل وضعها في الطعام والحوام
وهو الذي يميل ذراعه عنه ويسرة لاخذ الزبادي والقسام وهو الذي يأكل نصف
اللقمة ويعيد ما فيها من فيه بالطعام والمخلل هو الذي يخلل اسنانه باظفاره والمرهد
هو الذي يحمل محه الطعام والمرجح هو الذي يرجح اللقمة في الاغراق فلا يبلع الاولى حتى
تلي الثانيه والمرشش هو الذي يفسخ الدجاجة بخرخرة فيرش على مواكليه
والمفتش هو الذي يفتش على اللحم باصابعه والمنشف هو الذي ينشف يديه من
الدهن باللقم ثم يأكلها والملبب هو الذي يملأ الطعام لبابا والصباغ هو الذي
ينقل الطعام من زبدية الى زبدية اخرى ليبرده والنفاخ هو الذي ينفخ في الطعام
والحاجب هو الذي يجعل اللحم بين يديه فيحجبه عن مواكليه والمزاحم هو الذي يزاحم
مواكليه بجناحيه حتى يفسح له فلا يتعذر عليه اكله والشطرنجي هو الذي يرفع
زبدية ويضع اخرى والمهندس هو الذي يقول لمن يحط الزبادي حط هذه ههنا
وهذه ههنا حتى يأتي قدامه ما يعجبه والمتمني هو الذي يقول ليتني لم يكن معي من يأكل
والفضولي هو الذي يقول لصاحب المنزل عند فراغ الطعام ان كان عندك في القدر
شيء فاطعم الناس فان فيهم من لم يأكل شيئا • ومن الاضياف من لا يلذ له حديث الا وقت
غسل يديه فيبقى الغلام واقفا والابريق في يده والناس ينتظرونه • ومنهم من يغسل
يديه بالاشنان مرة واحدة فاذا اجتمع الزفر والوسخ تسوك بهما • ومنهم من يدخل
الدار فيبتدي بالهندسة فيقول كان ينبغي ان يكون باب المجلس من ههنا والايوان
يكون ههنا ويتنقل من الهندسة الى ترتيب المجلس فينقل الفاكهة من موضع الى موضع
آخر وان ما استحكم جوعه استخفى من الطعام وذهل عن بقية الاضياف وشدة جوعهم
ومنهم من يخرج فيطوف على اصدقاء صاحب الدعوة فينال من انقطاعهم ويستوحش من
غيبتهم ويسلطهم على عرض صاحبهم ولقد حكي عن معن بن محمد رحمه الله انه لم
يبطل ولا ليلة واحدة وما ذاك الا انه اذا سئل اين كنت قال كنت عند الناس واذا
اين شربت فيقول في محل • ومنهم من يفهم عن صاحب الدعوة انه يقول لغلامه اشترى كذا
فيقول والله العظيم والطلاق يلزمه ما تشتري شيئا فيعجز صاحب المنزل ويخجله اذا
لم يكن في بيته شيء موجودا وليت شعري اذا كان لا يأكل شيئا لاي شيء حضر ومنهم

من يرى صاحب البيت قد اشترى الى صديقه شيئا فيقول له ما الذي قال المولى لصاحبنا
وهو لا يريد ان يعطيه • ومنهم من يستحي صاحب المنزل بالاكل ويشكو الجوع ويظن ان ذلك
بسطا ومكارم اخلاق وذلك يكون في بيته لا في بيوت الناس • ومنهم من يقول لصاحب
الدعوة من يغني لنا فيقول فلان فيقول غلطت لم لا دعوت فلانا • ومنهم من يسأل صاحب
البيت كيف قوته في النكاح فيقول انا رجل كبير وضعفت شهوتي او يقول له ما لي قوة
طائلة في ذلك فيقول الا والله ما مر علي عام الا تزايدت شهوتي وكثر لهذا الفن تشوقي
ويطرب بذلك حتى تسمعه صاحبة البيت • ومنهم من يشكو حاله مع اهل بيته ويذكر
نفقته عليهن وكسوته لهن وكثرة انعامه وما الزوجة عليه من الاخلاق وكبر النفس لتشغل
زوجة صاحب الدار عما هي فيه مع زوجها وربما كان ذلك سببا لفراقها منه • ومنهم من تعجبه
نفسه ويستحسن لباسه ويستطيب رائحته واذا سمع الغنا تواجد واظهر الطرب
وحرك راسه ويقوم قائما يتمايل حتى يرى اهل المجلس انه لطيف الشكل بديع الحركات ويظن
في نفسه انه يعشق وان رسولة صاحبة البيت لا تبطي عنه • ومنهم من يقال له العب
الشطرنج فيأباه ويشتغل بالدبدبة ويقع في الفضول • ومنهم من يتأمر على غلمان صاحب
الدار ويقبل اولاده ويظن انه يدل عليهم • ومنهم من يقول له كل فيقول ما آكل الا انا
ورفيقي • ومنهم من يسمع السائل على الباب فيتصدق عليه من مال صاحب البيت بغير اذنه
او يقول للسائل فتح الله لك • ومنهم من يدعو الناس لصاحب الوليمة بغير اذنه ويثقل بذلك
المائدة واكثر الناس واقع في ذلك نسأل الله تعالى ان يلهمنا رشدنا • وان يعيذنا
من شرور انفسنا • بمنه وكرمه آمين • وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الباب السادس والثلاثون
في العفو والحلم والصفح وكظم الغيظ والاعتذار وقبول المعذرة ونحو ذلك

قد ندب الله عز وجل الى العفو والصفح رسوله صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى فاصفح الصفح
الجميل قيل هو الرضى بلا عتب وقال تعالى خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين وقال
تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال تعالى ولمن صبر وغفر
ان ذلك لمن عزم الامور • وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
رأيت قصورا مشرفة في الجنة فقلت يا جبريل لمن هذه قال للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس
وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن ما زال
جبريل عليه السلام يوصيني بالعفو فلولا علمي بالله تعالى لظننت انه يوصيني بترك الحدود
وقال الحسن بن ابي الحسن رحمهما الله اذا كان يوم القيمة نادى مناد من كان له على الله اجر

فليعتم فلا يعفو الا العافون عن الناس وتلى قوله تعالى فمن عفى واصلح فاجره على الله
وقال علي كرم الله وجهه اولى الناس بالعفو اقدرهم على العقوبة وكان
المامون رحمه الله يحب العفو ويوثره ويقول لقد حبب الي العفو حتى اني اخاف ان لا
اثاب عليه وكان يقول لو علم اهل الخير لذتي في العفو لما ارتكبوها وقال لولا علم الناس
حبي للعفو لما تقربوا الي الا بالجنايات وقال علي رضي الله عنه اقيلوا ذوي المروات
عثراتهم فما يعثر منهم عاثر الا ويد الله بيده يرفعه وعنه عليه السلام انه قال ان اول
عوض الحليم من حلمه ان الناس انصار له على الجاهل وقال المستنصر رحمه الله لذة العفو
يلحقها حمد العاقبة ولذة التشفي يلحقها ذم الندم وقال ابن المعتز رحمه الله لا تشن
وجه العفو بالتقريع وقيل ما عفى عن الذنب من قرع به وقال لرجل سبه اياك عني فقال له
وعنك اعرض وكان الاحنف رحمه الله كثير الحلم والعفو وكان يقول ما احد آذاني الا واخذ
في امره باحدى ثلث ان كان فوقي عرفت له فضله وان كان مثلي تفضلت عليه وان كان
دوني اكرمت نفسي عنه وكان مشهورا بين الناس بالحلم وبذلك ساد عشيرته وكان
يقول وجدت الاحتمال انصر لي من الرجال وقيل له ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم
رحمه الله كنا نختلف اليه في الحلم كما نختلف الى الفقهاء في الفقه وقد حضرت عنده يوما
وقد اتوه باخ له قتل ابنه فجاوا به مكتوفا فقال ذعرتم اخي اطلقوه واحملوا الى ام
ولدي ديته ثم انشا يقول

اقول للنفس تاسيا وتعزية ۞ احدى يدي اصابتني ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه ۞ هذا اخي حين ادعوه وذا ولدي

وقيل الكريم اذا قدر غفر واذا راى زلة ستر وقالوا ليس من عادة الكرام سرعة
الغضب والانتقام وقيل من انتقم فقد شفا غيظه واخذ حقه لم يجب شكره ولم
يحسن في العالمين ذكره والعرب تقول لا سودد مع انتقام والذي يجب على العاقل
اذا امكنه الله تعالى ان لا يجعل العقوبة سمته وان كان لا بد من الانتقام فليرفق في انتقامه
الا ان يكون حدا من حدود الله تعالى وقال المنصور رحمه الله للجاني مجرم عن العذر
ما هذا الوجوم وعهدي بك خطيبا لسنا فقال يا امير المؤمنين ليس هذا موقف
مباهاة ولكنه موقف توبة والتوبة بالاستكانة والخضوع فرق له وعفى عنه وسعي
الى المنصور رحمه الله بولد من ولد الاشتر النخعي ذكر منه الميل الى بني علي رضي الله عنه
والتعصب لهم فامر باحضاره فلما مثل بين يديه قال يا امير المؤمنين ذنبي اعظم من نعمك
وعفوك اوسع من ذنبي ثم انشا يقول شعر

فهبني مسيئا كالذي قلت ظالما ۞ فعفوا جميلا كي يكون لك الفضل

فان

فان لم اكن للعفو منك لسوء ما ۞ اتيت به اهلا فانت له اهل

فعفى عنه وامر له بصلة واحضر الى المامون رحمه الله رجل قد اذنب ذنبا فقال له انت الذي
فعلت كذا وكذا قال نعم يا امير المومنين انا ذاك الذي اسرف على نفسه واتكل على عفوك
فعفى عنه وخلى سبيله واحضر الى الهادي رحمه الله رجل من اصحاب عبد الله بن مالك ووبخه
على ذنب فقال يا امير المومنين ان اقراري يلزمني ذنبا لم افعله ويلحق بي جرما لم اقترفه
وانكاري رد عليك ومعارضة لك ولكني اقول بيت

فان كنت ترجو بالعقاب تشفيا ۞ فلا تزهدن عند التجاوز في الاجر

فقال لله درك من محتج بحق او باطل ما امضى لسانك واثبت جنانك وعفى وخلى سبيله
وركب عمرو بن العاص رضي الله عنه يوما بغلة له شهباء فمر على قوم فقال بعضهم من يقوم
الى الامير ويساله عن امه وله عشرة الاف درهم فقال واحد منهم انا فقام واخذ بعنان
بغلته وقال اصلح الله الامير انت اكرم الناس خيلا فلم ركبت دابة شاب وجهها فقال
اني لا امل دابتي حتى تملني ولا امل رفيقي حتى يملني فقال اصلح الله الامير اما العاص فقد عرفنا
وعلمنا شرفه فمن الام فقال على الخبير سقطت امي النابغة بنت حرملة سبتها رماح العرب
فاتي بها سوق عكاظ فابيعت فاشتراها عبد الله بن جدعان ووهبها للعاص بن وائل
فولدت فانجبت فان كان جعل لك جعلا فارجع وخذه وارسل عنان الدابة وقيل ان امه
كانت بغية عند عبد الله بن جدعان فوطيها في طهر واحد ابو لهب وامية بن خلف وابو سفيان
بن حرب والعاص بن وائل فولدت عمرا فادعاه كلهم فحكمت فيه امه فقالت هو للعاص لان
العاص كان ينفق عليها وقالوا كان اشبه بابي سفيان رحمه الله وكان الواثق رحمه الله
يشبه المامون في اخلاقه وحلمه وكان يسمى المامون الصغير نقل عنه انه دخل عليه ابنة
مروان بن محمد فقالت السلام عليك يا امير المومنين فقال لست به فقالت السلام عليك ايها
الامير فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقالت ليسعنا عدلكم فقال اذا لا يبقى على وجه
الارض منكم احد لانكم حاربتم علي بن ابي طالب رضي الله عنه ومنعتم حقه وسممتم الحسن ونقضتم
شرطه وقتلتم الحسين وسبيتم اهله ولعنتم علي بن ابي طالب على منابركم وضربتم علي بن عبد الله
بسياطكم ظلما فعدلنا لا يبقي منكم احدا قالت فليسعنا عفوكم قال اما هذا فنعم فامر برد
اموالها وبالغ في الاحسان اليها وكان معاوية رحمه الله يعرف بالحلم وله فيه اخبار مشهورة
ويقول اني لآنف ان يكون في الارض جهل لا يسعه حلمي وذنب لا يسعه عفوي وحاجة لا
يسعها جودي فهذه دعوة عالية الرتبة وقال له رجل يوما ما اشبه استك باست
امك فقال ذاك الذي اعجب ابي سفيان منها وكتب معاوية الى عقيل بن ابي طالب رضي
الله عنه يعتذر اليه من شيء جرى بينهما من معاوية بن ابي سفيان الى عقيل بن ابي طالب

اما بعد يا بني عبد المطلب فانتم والله فروع قصي ولبابات عبد مناف وصفوة هاشم
فاين اخلاقكم الراسية وعقولكم الكاسية وقد والله ساء امير المومنين ما كان جرى ولن
يعود لمثل هذا الا ان تخيب في الثرى فكتب اليه عقيل رحمه الله يقول

شعر

صدقت وقلت حقا غير اني ٭ ارى ان لا اراك ولا تراني
ولست اقول سوءا في صديقي ٭ ولكني اصد اذا جفاني

فركب اليه معاوية وناشده في الصلح واستعطفه حتى رجع وحكي عنه رحمه الله انه
لما ولي الخلافة وانتظمت له الامور وامتلات منه الصدور وادعى لامره الجمهور
وساعده في امره القدر المقدور استحضر ليلة خواص اصحابه وذكر لهم وذاكرهم وقائع
ايام صفين ومن كان يتولى كبر الكريهة من المعروفين فانهمكوا في القول الصحيح والمريض
وال حديثهم الى من كان يجتهد في ايقاد نار الحرب عليهم بزيادة التحريض فقالوا ان امراة
من اهل الكوفة تسمى الزرقاء بنت عدي كانت تعمد الوقوف بين الصفوف وترفع صوتها
صارخة باصحاب علي تسمعهم كلاما كالصوارم مستحثة لهم بقول لو سمعه الجبان
لقاتل والمدبر لاقبل والمسالم لحارب والفار لكر والمتزلزل لاستقر فقال
لهم معاوية ايكم يحفظ كلامها قالوا كلنا نحفظه قال فما تشيرون علي فيها قالوا نشير
بقتلها فانها اهل لذلك فقال لهم معاوية بئس ما اشرتم به وقبحا لما قلتم احسن ان
يشتهر عني انني بعدما ظفرت وقدرت قتلت امراة قد وفت لصاحبها اني اذا للئيم
لا والله لا فعلت ذلك ثم دعا بكاتبه وكتب كتابا الى واليه بالكوفة ان اوفد الي الزرقاء
بنت عدي مع نفر من عشيرتها وفرسان من قومها ومهد لها وطاء لينا ومركبا ذلولا
فلما ورد عليه الكتاب ركب اليها واقراها الكتاب فقالت ما انا بزائغة عن الطاعة
فحملها في هودج وجعل غشاءه خزا مبطنا ثم احسن صحبتها فلما قدمت على معاوية رحمه
الله قال لها مرحبا واهلا خير مقدم قدمه وافد كيف حالك يا خالة وكيف رايت
مسيرك قالت خير مسير قال هل تعلمين لم بعثت اليك قالت لا يعلم الغيب الا الله
قال الست راكبة الجمل الاحمر يوم صفين وانت بين الصفين توقدين نار الحرب وتحضين
على القتال قالت نعم قال فما حملك على ذلك قالت يا امير المومنين انه قد مات الراس وبتر
الذنب والدهر ذو غير ومن تفكر ابصر والامر يحدث بعده الامر قال صدقت قال فهل
تحفظين كلامك قالت لا والله قال لله ابوك لقد سمعتك تقولين ايها الناس ان
المصباح لا يضيء في الشمس وان الكواكب لا تضيء مع القمر وان البغل لا يسبق الفرس
ولا يقطع الحديد الا الحديد الا من استرشدنا ارشدناه ومن سالنا اخبرناه

ان

ان الحق كان يطلب ضالة فاصابها فصبرا يا معشر المهاجرين والانصار فكانكم وقد التام شمل
الشتات وظهرت كلمة العدل وغلب الحق باطله فانه لا يستوي المحق والمبطل افمن كان
مومنا كمن كان فاسقا لا يستوون فالنزال النزال والصبر الصبر الا وان خضاب
النساء الحناء وخضاب الرجال الدماء والصبر عاقبته الامور ايها الى الحرب غير ناكصين
فهذا يوم له ما بعده يا زرقاء اليس هذا قولك وتحريضك قالت لقد كان ذلك قال لقد
شاركت عليا في كل دم سفكه فقالت احسن الله بشارتك يا امير المومنين وادام سلامتك
مثلك من بشر بخير وسر جليسه فقال وقد سرك ذلك قالت نعم والله لقد سرني قولك
واني بتصديقه فقال لها معاوية رحمه الله والله لوفاكم له بعد موته اعجب الي من حبكم له في
حياته فاذكري حوائجك تقضى قالت يا امير المومنين اني اليت على نفسي ان لا اسال احدا
بعد علي رضي الله عنه حاجة فقال قد اشار علي بعض من عرفك بقتلك قالت لوم من
المشير ولو اطعته لشركته قال كلا بل نعفو عنك ونحسن اليك ونرعاك قالت كرم
منك يا امير المومنين ومثلك من قدر فعفا وتجاوز عمن اساء واعطى من غير مسالة فقال
فاعطاها كسوة ودراهم واعطاها ضيعة تغل لها في كل سنة عشرة الاف درهم
واعادها الى وطنها وكتب الى والي الكوفة بالوصاة بها وبعشيرتها وقيل كان لعبد الله
بن الزبير رحمه الله ارض وله فيها عبيد يعملونها والى جانبها ارض لمعاوية وفيها عبيد له
يعمرونها فدخل عبيد معاوية في ارض عبد الله بن الزبير فكتب عبد الله كتابا يقول فيه
اما بعد يا معاوية فان عبيدك قد دخلوا في ارضي فانههم عن ذلك والا كان لي في ذلك شان
والسلام فلما وقف معاوية على كتابه وقراه دفعه الى ولده يزيد فلما قراه قال
يا بني ما ترى قال ارى ان تبعث اليه جيشا يكون اوله عنده واخره عندك ياتونك براسه
قال بل خير من ذلك يا بني ثم اخذ ورقة وكتب فيها جواب كتاب عبد الله بن الزبير يقول قد
وقفت على كتاب حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وساءني ما ساءه والدنيا باسرها
هينة عندي في جنب رضاه وقد كتبت على نفسي صكا بالارض والعبيد واشهدت علي
نفسي بذلك فليستضفها مع عبيدها الى ارضه والسلام فلما وقف عبد الله بن الزبير على كتاب
معاوية كتب اليه وقفت على كتاب امير المومنين اطال الله بقاه ولا اعدمه الراي الذي احله
من قريش هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله وقراه رماه الى ولده
يزيد فلما قراه اسفر وجهه فقال له يا بني من عفا ساد ومن حلم عظم ومن تجاوز استمال
القلوب فاذا ابتليت بشيء من هذه الادواء فداوه بمثل هذا الدواء ولما دخل الفيل دمشق
حشر الناس لرؤيته وصعد معاوية في مكان مرتفع ينظر اليه فبينما هو كذلك اذ نظر في
بعض الحجر في قصره رجلا مع بعض جواريه فاتى الحجرة ودق الباب فلم يكن في فتحه بد فوقعت عينه

على الرجل فقال له يا هذا في قصري وتحت جناحي تهتك حرمتي وأنت في قبضتي ما
حملك على ذلك فبهت الرجل وقال احملني اوقفني فقال له معاوية فان عفوت عنك تسترها
علي قال نعم فعفى عنه وخلى سبيله وهذا من الحلم الواسع ان يطلب الستر من الجاني وهو

عروض قول الشاعر

اذا مرضتم اتيناكم نعودكم ٭ وتذنبون فناتيكم فنعتذر

وحكي عن الربيع مولى الخليفة المنصور رحمه الله ما رايت رجلا اربط جاشا واثبت
جنانا من رجل سعي به الى المنصور وانهى ان عنده ودايع واموالا لبني امية فامرني باحضاره
فاحضرته اليه فقال له المنصور قد رفع الينا خبر الودايع والاموال التي عندك لبني امية
فاخرج لنا منها واحضرها ولا تكتم منها شيئا فقال له يا امير المؤمنين انت وارث بني امية
قال لا قال فوصي لهم في اموالهم ورباعهم قال لا قال فما مسالتك عما في يدي من ذلك
قال فاطرق المنصور ثم تفكر ساعة ورفع راسه وقال ان بني امية ظلموا المسلمين فيها
وانا وكيل المسلمين في حقهم وانا اريد ان اخذ ما ظلموا فيه المسلمين فاجعله في بيت
اموالهم قال يا امير المؤمنين فتحتاج الى بينة عادلة ان ما في يدي لبني امية مما خانوه
وظلموه فان بني امية كانت لهم اموال غير اموال المسلمين قال فاطرق المنصور راسه
ساعة ثم رفعها وقال يا ربيع ما ارى الشيخ الا قد صدق وما يجب عليه شيء وما يسعنا
الا ان نعفو عما قيل عنه ثم قال هل لك من حاجة قال نعم حاجتي يا امير المؤمنين ان
تجمع بيني وبين من سعى بي فجمعت بينهما فلما راه قال هذا غلامي اختلس لي ثلثة الاف
دينار من مالي وابق مني وخاف من طلبي له فسعى بي عند امير المؤمنين قال فشدد
المنصور على الغلام وخوفه فاقر بانه غلامه وانه اخذ المال الذي ذكره وانما سعى
به كذبا عليه وخوفا من ان يقع في يده فقال المنصور سالتك ايها الشيخ ان تعفو عنه
قال قد عفوت عنه واعتقته ووهبت له الثلثة الاف التي اخذها وثلثة الاف اخرى
ادفعها اليه فقال له المنصور ما على ما فعلت من مزيد فقال بلى يا امير المؤمنين ان هذا كله
لقليل في مقابلة كلامك لي وعفوك عني يا امير المؤمنين ثم انصرف قال الربيع رحمه الله
فكان يتعجب منه وكلما ذكره يقول ما رايت مثل هذا الشيخ وغضب الرشيد على حميد
الطوسي رحمه الله فدعى له بالسيف والنطع فبكى فقال له ما يبكيك فقال والله يا امير المؤمنين
ما افزع من الموت لانه لا بد منه وانما بكيت اسفا على خروجي من الدنيا وامير المؤمنين ساخط
علي فضحك وعفى عنه وقال ان الكريم اذا خادعته انخدع وامر الحجاج بقتل رجل فقال
اسالك بالذي غدا انت بين يديه اذل موقفا مني بين يديك الا عفوت عني فعفى عنه وامر
ضرب الحجاج رقاب اصحاب ابن الاشعث اتى رجل من بني تميم فقال والله يا حجاج لئن كنا اسانا في

الذنب

الذنب ما احسنت في العفو فقال ان هذا الجيف اما كان فيهم من يحسن مثل هذا وعفى
عنه وخلى سبيله وكان ابراهيم بن المهدي رحمه الله يقول والله ما عفى عني المامون تقربا
الى الله تعالى وصلة للرحم ولكن له شرف في العفو يكره ان يكسده بقتلي وسئل الفضيل
رحمه الله عن الفتوة قال الصفح عن عثرات الاخوان وفي بعض الكتب المنزلة ان كثرة العفو
زيادة في العمر واصله قوله تعالى واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض وقال يزيد
بن مزيد رحمه الله ارسل الي الرشيد يوما يدعوني فاوجست منه خيفة فقال انت القايل
انا ركن الدولة والثاير لها والضارب اعناق بغاتها لا ام لك اي ركن لك واي ثاير
انت قلت يا امير المؤمنين ما قلت هذا انما قلت انا عبد الدولة والثاير لها فاطرق
وجعل ينحل غضبه عن وجهه ثم ضحك فقلت امر من هذا قولي ٭ **بيت**

خلافة الله في هرون ثابتة ٭ وفي بنيه الى ان ينفخ الصور

فقال يا فضل اعطه مايتي الف درهم قبل ان يصبح وامر مصعب بن الزبير رحمه الله
بقتل رجل فقال له ما اقبح بي ان اقوم يوم القيمة الى صورتك هذه الحسنة ووجهك
هذا الذي يستضاء به فاتعلق باطرافك واقول اي رب سل مصعبا لم قتلني فقال
اطلقوه قال ايها الامير اجعل ما وهبت لي من حياتي في خفض عيش قال قد وهبت لك
الف درهم وقد قيل ٭ **بيت**

انا المذنب الخطا والعفو واسع ٭ ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو

وتغيظ عبد الملك رحمه الله على رجل فقال والله لئن امكنني منه لافعلن به ولافعلن
فلما صار بين يديه قال له رجل ابن حياه يا امير المؤمنين قد صنع ما احببت فاصنع ما
احب الله فعفى عنه وامر له بصلة وقال ان افضل ردا تردى به الحلم وهو والله
عليك احسن من دبر الحبير ٭ **وفيه قال ابو تمام رحمه الله** ٭

رقيق حواشي الحلم لو ان حلمه ٭ بكفيه ما ماريت في انه برد

ويقال الحليم سليم والسفيه كليم وقال محمد بن عجلان رحمه الله ما شيء اشد على الشيطان
من عالم معه حلم ان تكلم تكلم بحلم وان سكت سكت بحلم يقول الشيطان سكونه اشد
علي من كلامه ٭ وقد قيل ٭ **بيت** ٭

اذا كنت تبغي شيمة غير شيمة ٭ طبعت عليها لم تطعك الضرايب

وعن علي بن الحسين رضي الله عنه اقرب ما يكون العبد من غضب الله تعالى اذا غضب
وفي التوراة اذا غضبت اذكرك اذا غضبت فلا امحقك فيما امحق واذا ظلمت فاصبر
وارض بنصرتي فان نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك وكان ابو عون رحمه الله اذا
غضب على انسان قال له بارك الله فيك وكانت له ناقة كريمة فضربها الغلام فاندر عينها

تعالوا ان غضبا بن عون فانه يغضب اليوم فقال للغلام غفر الله لك وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اي شي يبعدني من غضب الله قال فما يباعدني من غضب الله قال لا تغضب وقال من اطاع الغضب اضاع الادب وقال ابو العتاهية

بيت

ولم ار في الاعدا حين اختبرتهم ٭ عدوا لعقل المرء اعدى من الغضب

وقال ابو هريرة رضي الله عنه ليس الشديد بالسرعة الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب وقال ابن مسعود رضي الله عنه كفى بالرجل الى عامله ان لا تخاف عند غضبك واذا غضبت على رجل فاحبسه فاذا سكن غضبك فاخرجه وعاقبه على ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا وقيل لابن المبارك رحمه الله اجمل لنا حسن الخلق في كلمة قال ترك الغضب وقال المعتمر بن سليمان رحمه الله كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد غضبه فكتب ثلث صحايف فاعطى كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا اشتد غضبي فاعطني هذه الصحيفة وقال للثاني اذا سكن بعض غضبي فناولنيها وقال للثالث اذا سكن غضبي فناولنيها فكان في الاولى اقصر فما انت وهذا الغضب انك لست باله انما انت بشر يوشك ان ياكل بعضك بعضا وفي الثانية ارحم من في الارض يرحمك من في السما وفي الثالثة احمل عباد الله على كتاب الله فانه لا يصلحهم الا ذلك وقيل انه انوشروان وكان الشعبي رحمه الله مولعا بهذا البيت

ليست الاحلام في حال الرضى ٭ انما الاحلام في حال الغضب

وعن معاذ عن انس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظه وهو قادر على ان ينفذه دعاه الله على رؤس الخلايق يوم القيمة حتى يخيره في اي الحور شا ملاه الله امنا وايمانا وقال ابن السماك رحمه الله اذنب غلام لامراة من قريش فاخذت السوط ومضت تحوه حتى اذا قاربته رمت بالسوط وقالت ما تركت التقوى احدا يشفي غيظه وقال ابو ذر رحمه الله لغلامه لم ارسلت الشاة على علفة الفرس قال اردت ان اغيظك فقال لاجمعن مع الغيظ اجرا انت حر لوجه الله تعالى واستاذن رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا السام عليك فقالت عايشة رضي الله عنها السام عليكم واللعنة فقال عليه السلام يا عايشة ان الله يحب الرفق في الامر كله فقالت الم تسمع ما قالوا قال فقد قلت وعليكم ورفع الى عبد الملك بن مروان رحمه الله ان اعرابيا يقال له جحدر سرق وقامت عليه البينة فهم عبد الملك بقطع يده فكتب اليه جحدر من السجن وهو يقول

شعر

يدي يا امير المومنين اعيذها ٭ بعفوك ان تلقى مكانا يشينها

فلا خير في الدنيا وكانت حبيبة ٭ اذا ما شمال المرء فارقها يمينها

قال فابى عبد الملك الا قطعها فدخلت عليه ام جحدر وقالت يا امير المومنين بسلني

وكاسبي وواحدي فقال عبد الملك لبيس الكاسب لك وهذا من حد ود الله تعالى فقالت يا امير المومنين فاجعله اخذ ذنوبك التي تستغفر الله منها فقال عبد الملك ادفعوه اليها وخلي سبيله

شعر

اذا ما طاش حلمك عن عدو ٭ وهان عليك هجران الصديق

فلست اخا عفو وصفح ٭ ولا لاخ على عهد وثيق

اذا زال الرفيق وانت حي ٭ بلا رفق بقيت بلا رفيق

اذا انت اتخذت اخا جديدا ٭ لما انكرت من خلق عتيق

فما تدري لعلك مستجيرا ٭ من الرمضا فرالى الحريق

فكم من سالك الطريق امن ٭ اتاه ما يحاذر في الطريق

وشتم رجل رجلا فقال له يا هذا لا تغرق في شتمنا ودع للصلح موضعا فاني امت مشاتمة الرجال صغيرا فلن احييها كبيرا واني لا اكافي من عصى الله في باكثر من ان اطيع الله فيه وحكي عن جعفر الصادق رضي الله عنه ان غلاما له وقف يصب الما على يديه فوقع الابريق من يد الغلام في الطشت فطار الرشاش في وجهه فنظر اليه جعفر نظر مغضب فقال يا مولاي والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظي فقال والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك فقال والله يحب المحسنين قال اذهب فانت حر لوجه الله تعالى وقيل لما قدم نصر بن منيع بين يدي الخليفة وكان قد اراد ضرب عنقه قال يا امير المومنين اسمع مني كلمات قال قل فانشا يقول

شعر

زعموا بان الصقر صادف مرة ٭ عصفور بر ساقه التقدير

فتكلم العصفور تحت جناحه ٭ والصقر منقض عليه يطير

اني لمثلك لا اتمم لقمة ٭ ولئن شويت فانني لحقير

قال فعفى عنه وخلى سبيله

قال الشاعر

اقرر بذنبك ثم اطلب تجاوزه ٭ عنا فان جحود الذنب ذنبان

وقال بعضهم

يستوجب العفو الفتى اذا اعترف ٭ وتاب مما قد جناه واقترف

بقوله قل للذين كفروا ٭ ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف

وقال اخر

اذا ذكرت اياديك التي سلفت ٭ مع قبح فعلي وزلاتي ومجترمي

اكاد اقتل نفسي ثم ينقذني ٭ علمي بانك مجبول على الكرم

وروي ان عمر رضي الله عنه راى سكرانا فاراد ان ياخذه ليعزره فشتمه السكران فرجع عنه

فقيل له يا أمير المؤمنين لما شتمت تركت قال انما تركت لانه اغضبني فلو عزرته لكنت قد انتصرت لنفسي فلا احب ان اضربه مسلما لحمية نفسي وغضب المنصور رحمه الله على رجل من الكتاب فامر بضربه فانشا يقول

شعر

وانا الكاتبون وان اسانا ❊ فهبنا للكرام الكاتبينا

فعفى عنه وخلى سبيله واكرمه وقال الرشيد رحمه الله لاعرابي بم بلغ فيكم هشام بن عروة هذه المنزلة قال بحلمه على سفيهنا وتجاوزه عن مسيئنا وحمله عن ضعيفنا لامنان اذا وهب ولا حقود ان غضب رحب الجنان سمح البنان ماضي اللسان قال فاوما الرشيد رحمه الله الى كلب صيد كان بين يديه وقال والله لو كانت هذه في هذا الكلب لاستحق السودد وقيل للمعتز بن زايدة رحمه الله المواخذ بالذنب من السودد قال لا ولكن احسن ما يكون الصفح عن عظم جرمه وقل شفعاؤه

وقال محمود الوراق رحمه الله

سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب ❊ وان عظمت منه علي الجرائم
فما الناس الا واحد من ثلثة ❊ شريف ومشروف ومثلي مقاوم
فاما الذي فوقي فاعرف قدره ❊ واتبع فيه الحق والحق لازم
واما الذي دوني فان قال صنت عن ❊ اجابته نفسي وان لام لايم
واما الذي مثلي فان زل او هفا ❊ تفضلت ان الفضل بالحلم حاكم

وقال الاحنف رحمه الله لابنه يا بني ان اردت ان تواخي رجلا فاغضبه فان انصفك والا فاحذره

قال الشاعر

اذا كنت مختصا لنفسك صاحبا ❊ فمن قبل ان تلقاه بالود اغضبه
فان كان في حال التغضب منصفا ❊ والا فاسرع حبله وتجنبه

ومن امثال العرب احلم تسد وقد قال الشاعر

لن يبلغ المجد اقوام وان شرفوا ❊ حتى يذلوا وان عزوا لاقوام
ويشتموا فترى الالوان مسفرة ❊ لا صفح ذل ولكن صفح اكرام

وقال اخر

وجهل رددناه بفضل علومنا ❊ ولو اننا شئنا رددناه بالجهل

وقال الاحنف رحمه الله اياكم وراي الاوغاد قالوا وما راي الاوغاد قال الذين يرون الصفح والعفو عارا وقال رجل لابي بكر رضي الله عنه لاسبنك سبا يدخل معك قبرك قال معك يدخل والله لا معي ويروى ان الاحنف سبه رجل وهو يماشيه في الطريق فلما قرب من المنزل وقف الاحنف وقال له يا هذا ان كان بقي معك شي فهاته وقل ههنا فاني اخاف ان يسمعك فتيان الحي فيوذونك ونحن لا نحب الانتصار وقال لقمان عليه السلام

لابنه يا بني ثلثة لا يعرفون الا عند ثلث لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا الاخوان الا عند الحاجة اليه ومن احسن ما قيل في الحلم قول كعب بن زهير رحمه الله

اذا انت لم تعرض عن الجهل والخنا ❊ اصبت حليما او اصابك جاهل

وقال اخر

واذا بغى باغ عليك بجهله ❊ فاقتله بالمعروف لا بالمنكر

وقال اخر

قل ما بدا لك من صدق ومن كذب ❊ حلمي اصم واذني غير صماء

ويروى في بعض الاخبار ان ملكا من الملوك امر ان يصنع طعاما وامر ان يحضر له قوما من خاصته فلما مد السماط اقبل الخادم وعلي كفه صحن فيه طعام فلما قرب من الملك ادركته الهيبة فعثر فوقع من مرق الصحن شي يسير على طرف ثوب الملك فامر بضرب عنقه فلما راى الخادم العزيمة على ذلك عمد بالصحن وصب جميع ما فيه على راس الملك فقال له ويحك ما هذا فقال ايها الملك انما صنعت هذا شحا على عرضك وغيرة عليك لئلا يقول الناس اذا سمعوا ذنبي الذي به تقتلني قتله في ذنب خفيف لم يضره واخطا فيه العبد ولم يقصده فتنسب الى الظلم والجور فصنعت هذا الذنب لعظيم لتعذر في قتلي وترفع عنك الملا قال فاطرق الملك مليا ثم رفع راسه اليه وقال يا قبيح الفعل يا حسن العذر قد وهبنا قبيح ذنبك لحسن اعتذارك اذهب فانت حر لوجه الله تعالى وحكي عن امير المؤمنين المامون رحمه الله وهو المشهود له بالاتفاق على علمه والمشهور في الافاق بعفوه وحلمه انه لما خرج عمه ابراهيم بن المهدي عليه بايعه العباسيون بالخلافة ببغداد وخلعوا المامون وكان المامون اذ ذاك بخراسان فلما بلغه الخبر قصد العراق فلما بلغ بغداد اختفى ابراهيم بن المهدي وعاد العباسيون وغيرهم الى طاعة المامون ولم يزل المامون متطلبا لابراهيم حتى اخذ وهو متنقب مع نسوة فحبس ثم احضر حتى وقف بين يدي المامون فقال السلام عليك يا امير المؤمنين ورحمة الله وبركاته فقال له المامون لا سلم الله عليك ولا قرب دارك استغواك الشيطان حتى حدثتك نفسك بما انقطع دونه الاوهام فقال له ابراهيم مهلا يا امير المؤمنين فان ولي الثار محكم في القصاص والعفو اقرب للتقوى ولك من رسول الله صلى الله عليه وسلم شرف القرابة وعدل السياسة وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب كما جعل كل ذي ذنب دونك فان اخذت فبحقك وان عفوت فبحلمك فبفضلك والفضل اولى بك يا امير المؤمنين ثم انشا يقول

شعر

ذنبي اليك عظيم ❊ وانت اعظم منه

نحذ عنك اولا ۝ فاصفح بعفوك عنه
ان لم اكن في فعالي ۝ من الكرام فكنه

فلما سمع المامون كلامه وشعره ظهرت الدموع في عينيه وقال يا ابراهيم الندم توبة وعفو الله اعظم مما تحاول واكثر مما نؤمل ولقد حبب الي العفو حتى خفت ان لا اوجر عليه لا تثريب عليكم ثم امر بفك قيوده واد خاله الحمام وخلع عليه ورد اموا له جميعها اليه فقال مخاطبا فيه

شعر

رددت مالي ولم تبخل علي به ۝ وقبل ردك مالي قد حقنت دمي
فان جحدتك ما اوليت من كرم ۝ اني لباللوم اولى منك بالكرم

وكتب عبد الملك رحمه الله الى الحجاج يعزم عليه ان يبعث اليه براس عباد بن اسلم البكري فقال له عباد ايها الامير انشدك الله النظر في امري فوالله اني لاعول اربعا وعشرين امراة ما لهن كاسب غيري فرق لهن واستحضرهن واذا واحدة منهن كالبدر فقال لها الحجاج ما انت منه قالت بنته فاسمع يا حجاج ثم قالت

شعر

احجاج اما ان تمن بتركه ۝ علينا واما ان تقتلنا معا
احجاج لا تفجع به ان قتلته ۝ ثمان وعشرا واثنتين معا
احجاج لا تترك عليه بناته ۝ وخالاته يندبنه الدهر اجمعا

فبكى الحجاج ورق له واستوهبه من عبد الملك وامر له بصلة ولما قدم عيينة بن حصين رحمه الله على ابن اخيه الحر ابن قيس وكان من النفر الذين يدنيهم عمر رضي الله عنه وكان القرا اصحاب مجلس عمر ومشاورته كانوا شبابا فقال عيينة لابن اخيه يا ابن اخي لك وجه عند هذا الامير فاستاذن لي عليه فاستاذن له عمر رضي الله عنه فلما دخل قال هي يا ابن الخطاب فوالله ما تعطينا الجزل ولا تحكم فينا بالعدل فغضب عمر رضي الله عنه حتى هم ان يوقع به فقال له الحر يا امير المومنين ان الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين وان هذا من الجاهلين فوالله ما جاوزها عمر رضي الله عنه حين تلاها عليه وكان وقافا عند كتاب الله تعالى فيجب على الانسان ان يتاسى بهذه الاخلاق الجميلة والافعال الجليلة وتقتفي بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فقد كان اكثر الناس حلما واحسنهم خلقا وخلقا واكثرهم تجاوزا وصفحا صلى الله عليه وعلى اله وصحبه اجمعين والحمد لله رب العالمين

واما العتاب وما جا فيه

فقد قيل العتاب خير من الحقد ولا يكون العتاب الا على زلة وقد مدحه قوم فقالوا العتاب حدائق المتحابين ودليل على الظن بالمروة وقد قيل من كلام ابي الحسن المنقذ رحمه الله

شعر

اسطو

اسطو عليه وقلبي لو تمكن من ۝ يدي اغلها غيظا الى عنقي
واستحير له من سطوتي حنقا ۝ واين ذل الهوى من عزة الحنق

وقال اياس بن معاوية رحمه الله اصطحبت في سفر ومعي رجل من الاعراب فلما كان في بعض المناهل لقيه ابن عم له فتعانقا وتعاتبا والى جانبهما شيخ من الحي فقال لهما انعما عيشا ان المعاتبة تبعث التجني والتجني يبعث المخاصمة والمخاصمة تبعث العداوة ولا خير في شي ثمرته العداوة

قال الشاعر

فدع ذكر العتاب فرب شر ۝ طويل هاج اوله العتاب

وقيل العتاب من حركات الشوق وانما يكون هذا بين المتحابين قال الشاعر

علامة ما بين المحبين في الهوى ۝ عتابهم في كل حق وباطل

وكتب بعضهم يعاتب صديقه على تغير حاله معه فقال

وكنت اذا ما جئت ادنيت مجلسي ۝ ووجهك من ما البشاشة يقطر
فمن لي بالعين التي كنت مرة ۝ الي بها في سالف الدهر تنظر

وقال الحسن بن منقذ رحمه الله

اخلاقك الغر السجايا ما لها ۝ حملت على يد الواشين وهي سلاف
ومراة رايك في عبيدك ما لها ۝ صدئت وانت الجوهر الشفاف

وكان لمحمد بن الحسن بن سهل رحمه الله صديق فنالته اضاقة ثم ولي عملا فاتى محمد مسلما فراى منه تغييرا فكتب اليه يقول

شعر

لئن كانت الدنيا انالتك ثروة ۝ فاصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر
فقد كشف الاثرا منك خلايقا ۝ من اللوم كانت تحت ثوب من الفقر

وفي المعنى فيمن تغير على صاحبه حين ايسر

دعوت الله ان تسمو وتعلو ۝ سمو النجم في افق السما
فلما ان سموت بعدت عني ۝ فكان على نفسي دعاي

وكان ابن عراوة السعدي مع سلم بن زياد رحمهم الله بخراسان وكان له مكرما وابن عراوة يتجنى عليه ففارقه وصحب غيره ثم ندم ورجع اليه فقال

شعر

عتبت على سلم فلما فقدته ۝ وصاحبت اقواما بكيت على سلم
رجعت اليه بعد ان جربت غيره ۝ فكان كبري بعد طول من السقم

وقال مسلم بن الوليد رحمه الله

ويرجعني اليك اذا نات بي ۝ دياري منك تجربة الرجال

وقال ابو الحسن القاضي رحمه الله

المتحابين

اذا انا عاتبت الملوك فانما ... أخط بأقلامي على الماء أحرفا
وهبه ارعوى بعد العتاب ألم تكن ... مودته طبعا فصارت تكلفا

وقال أبو الدرداء رحمه الله معاتبة الصديق أهون من فقده وما أحسن ما قيل فيه

بيت

وفي العتاب حيوة بين أقوام فما ... من شيء أحسن من معاتبة الأحباب

ولا شيء الذي من مخاطبة أولي الألباب والسلام وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الباب السابع والثلاثون
في الوفاء بالوعد وحسن العهد ورعاية الذمم

أرجح دليل يتمسك به الانسان كتاب الله تعالى الذي من تمسك به هداه ومن استند به أرشده هداه قال تعالى يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود وقال جل وعلا وتقدست أسماؤه الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وقال تعالى وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقال تعالى وأوفوا بالعهد ان العهد كان مسئولا والآيات في ذلك كثيرة ومن أشدها قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون وروي في صحيح مسلم والبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال آية المنافق ثلث اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان فالوفاء من شيم النفوس الشريفة والأخلاق الكريمة والخلال الحميدة يعظم صاحبه في العيون وتصدق فيه خطرات الظنون ويقال الوعد وجه والانجاز محاسنه الوعد سحابة والمعروف تحميله وأنشدوا فيه

شعر

اذا قلت في شيء نعم فأتمه ... فان نعم دين على الحر واجب
والا فقل لا تسترح وترح بها ... لئلا يقول الناس انك كاذب

وقال آخر

لا كلف الله نفسا فوق طاقتها ... ولا تجود يد الا بما تجد
فلا تعد عدة الا وفيت بها ... واحذر خلاف مقال للذي تعد

وقال أعرابي بيت

وعد الكريم نقد وتعجيل ... ووعد اللئيم مطل وتعليل

وقال أعرابي أيضا العذر الجميل خير من المطل الطويل ومدح بشار رحمه الله خالد بن برمك رحمه الله فأمر له بعشرين ألف فأبطأت عليه فقال لقائده أقمني حيث يمر فأقامه فأخذ بلجام بغلته وقال منشدا

شعر

أظلت علينا منك يوما سحابة ... أضاءت لنا برقا وأبطا رشاشها
فلا غيمها يجلي فييأس طامع ... ولا غيثها يأتي فيروى عطاشها

فقال لا تبرح حتى تؤتى بها وقال صالح اللخمي رحمه الله شعر

لئن جمع الآفات فالبخل شرها ... وشر من البخل المواعيد والمطل
ولا خير في وعد اذا كان كاذبا ... ولا خير في قول اذا لم يكن فعل

وقيل مات للهذلي رحمه الله ولد فأمر المنصور رحمه الله الربيع أن يسير اليه ويقول ان أمير المؤمنين يريد يرسل اليك جارية نفيسة لها أدب وظرف تسليك بها وأمر لك معها بفرش وكسوة وصلة فلم يزل الهذلي متوقع وعد أمير المؤمنين فطاف حتى وصل بيت عاتكة فقال يا أمير المؤمنين وهذا بيت عاتكة الذي يقول فيه الأحوص رحمه الله

شعر

يا بيت عاتكة الذي أتعزل ... حذر العدا وبه الفؤاد موكل
اني لأمنحك الصدود وانني ... قسما اليك مع الصدود لأميل

فكره المنصور رحمه الله ذكر بيت عاتكة من غير أن يسأله عنه فلما رجع المنصور أمر القصيدة على قلبه فاذا فيها

بيت مطر

وأراك تفعل ما تقول وبعضهم ... مذق اللسان يقول ما لا يفعل

فتذكر المنصور الوعد الذي كان وعده الهذلي رحمه الله فأنجزه له واعتذر اليه

قال الشاعر

تعجيل جود المرء أكرمه ... ينشر عنه أطيب الذكر
والحر لا يمطل معروفه ... ولا يليق المطل بالحر

وأما الوفاء بالعهد ورعاية الذمم فقد نقل فيه من عجائب الوقائع وغرائب البدائع ما يطرب السامع كقصة الطائي وشريك نديم النعمان أبو المنذر رحمهم الله وتلخيص معناها أن النعمان قد جعل له يومين يوم بؤس من صادفه فيه قتله وأرداه ويوم نعيم من لقيه فيه أحسن اليه وأغناه وكان هذا الطائي رحمه الله قد رماه حادث دهره بفاقته وفقره فأخرجته الفاقة من محل استقراره ليرتاد شيئا لصبيته وصغاره فبينما هو كذلك اذ صادفه النعمان في يوم بؤسه فلما رآه الطائي علم أنه مقتول وأن دمه لمطلول فقال حيى الله الملك ان لي صبية صغارا وأهلا جياعا وقد أرقت ماء وجهي في حصول شيء من البلغة لهم وقد أقدمني سوء الحظ على الملك في هذا اليوم العبوس وقد قربت من مقر الصبية والأهل وهم على شفا تلف من الطوى ولن يتفاوت الحال في قتلي بين أول النهار وآخره فان رأى الملك أن يأذن لي في أن أوصل لهم هذا القوت وأوصي بهم أهل المروءة من الحي لئلا

يهلكوا ضياعا ثم اعود الى الملك واسلم نفسي لنفاد امره فلما سمع النعمان صورة مقاله
وفهم حقيقة حاله ورأى تلهفه على ضياع اطفاله رق لحاله عن انه فقال له لا آذن لك
حتى يضمنك رجل معنا فان لم ترجع قتلناه وكان شريك بن عدي بن شرحبيل نديم النعمان معه
فالتفت الطائي الى شريك وقال له هذه الابيات

يا شريك ابن عدي • ما من الموت انهزام
من لأطفال ضعاف • عدموا طعم الطعام
بين جوع وانتظار • وافتقار وسقام
يا اخا كل كريم • انت من قوم كرام
يا اخا النعمان جد لي • بضمان والتزام
ولك الله بأني • راجع قبل الظلام

فقال شريك بن عدي للنعمان اصلح الله الملك الملك على ضمانه فمر الطائي مسرعا وصار النعمان
يقول لشريك ان صدر النهار قد ولى ولم يرجع وشريك يقول ليس للملك علي سبيل حتى يأتي
المسا فلما قرب المسا قال النعمان لشريك جا وقتك فتأهب للقتل فقال شريك هذا شخص قد
لاح مقبلا وارجو ان يكون الطائي فان لم يكن فأمر الملك ممتثل فبينما هم كذلك واذا بالطائي
قد اشتد في عدوه مسرعا حتى وصل فقال خشيت ان ينقضي النهار قبل وصولي ثم وقف
قائما وقال ايها الملك مر بأمرك فأطرق النعمان رحمه الله ثم رفع راسه وقال والله ما
رأيت اعجب منكما اما انت يا طائي فما تركت لاحد في الوفا مقاما يقوم فيه ولا ذكرا يفتخر
به واما انت يا شريك فما تركت لكريم سماحة يذكر بها في الدماء فلا اكون انا الام الثلاثة
الا واني قد رفعت يوم بوسي عن الناس ونقضت عادتي كرامة لوفا الطائي وكرم شريك
فقال الطائي منشدا

شعر

ولقد دعتني للخلاف عشيرتي • فعددت قولهم من الاضلال
اني امرؤ من الوفاء سجية • وفعال كل مهذب مفضال

فقال له النعمان ما حملك على الوفا وفيه تلاف نفسك قال ديني فمن لا وفا له لا دين له
فاحسن اليه النعمان ووصله بما اغناه واعاده مكرما الى اهله وانا له ما تمناه والله اعلم
ومن ذلك ما حكي ان الخليفة المأمون رحمه الله ولى عبد الله بن طاهر بن حسين
مصر والشام واطلق حكمه فدخل على المأمون بعض اخوانه يوما فقال يا امير المؤمنين ان
ابا طاهر يميل الى ابي طالب ويهواه مع العلويين وكذا كان ابوه قبله فحصل عند المأمون
شيئا من كلام اخيه من جهة عبد الله بن طاهر فتشوش فكره وضاق صدره فاستحضر شخصا
وجعله في زي الزهاد والنساك الحزاه ودسه الى عبد الله بن طاهر وقال له امض

الى مصر

الى مصر وخالط اهلها وداخل كبراها واستميلهم الى القاسم بن محمد العلوي واذكر مناقبه
ثم بعد ذلك اجتمع ببعض بطانة عبد الله بن طاهر ثم اجتمع بعبد الله بن طاهر بعد ذلك وادعه
الى القاسم بن محمد العلوي واكشف باطنه وابحث عن دفين نيته وابتني بما تسمع ففعل ذلك
الرجل ما امره به المأمون وتوجه الى مصر ودعى جماعة من اهلها ثم كتب ورقة لطيفة
ودفعها الى عبد الله بن طاهر وقت ركوبه فلما نزل من الركوب وجلس في مجلسه خرج الحاجب
اليه وادخله على عبد الله بن طاهر وهو جالس وحده فقال له قد فهمت ما قصدت فهات ما
عندك فقال ولي الامان قال نعم فاظهر له ما اراده ودعاه الى القاسم بن محمد فقال له
عبد الله أو تنصفني فيما اقوله لك قال نعم قال فهل يجب شكر الناس بعضهم لبعض عند
الاحسان والمنة فيجب علي وانا في هذه الحالة التي تراها من الحكم والولاية والنعم ولي خاتم
في المشرق وخاتم في المغرب وامري فيما بينهما مطاع وقولي مقبول ثم اني التفت يمينا
وشمالا فارى نعمة هذا الرجل غامرة واحسانه فايض علي افتدعوني الى الكفر بهذه النعمة
وتقول اغدر واجانب الوفاء والله لو دعوتني الى الجنة عيانا لما غدرت ولما نكثت بيعته
وتركت الوفا له فسكت الرجل فقال له عبد الله والله ما اخاف الا على نفسك فارحل من هذا
البلد فلما يئس الرجل منه وكشف باطنه وجمع كلامه رجع الى المأمون فاخبره صورة
الحال فسره ذلك وزاد في احسانه عليه وضاعف عليه انعامه لديه ومما يعد
من محاسن الشيم ومكارم اخلاق اهل الكرم وحث على الوفاء بالعهود والذمم
ما رواه حمزة بن الحسين رحمه الله في تاريخه قال قال لي الشيخ ابو طاهر المنطقي رحمه الله
كنا جلوسا عند كافور الاخشيدي وهو يومئذ صاحب مصر والشام وله من السطوة
والمكنة ونفوذ الامر وعلو القدر وشهرة الذكر ما تجاوز الوصف والحصر فحضرت المائدة
والطعام فلما اكلنا قمنا وانصرفنا فلما انتبه من نومه طلب جماعة منا وقال امضوا
الساعة الى عقبة النجارين واسألوا عن شيخ منجم اعور كان يقعد هناك فان كان حيا
فاحضروه وان كان قد توفي فاسألوا عن اولاده واكشفوا امره قال فمضينا
الى هناك فسألنا عنه فوجدناه قد مات وترك بنتين احداهن متزوجة والاخرى
عاتق فرجعنا الى كافور واخبرناه بذلك فسير في الحال واشترى لكل واحدة منهن دارا
واظهر الغلمان المتعلقين به لرعاية امورهن فلما فعل ذلك وبالغ فيه ضحك وقال
تعلمون سبب هذا قلنا لا فقال اعلموا اني مررت يوما بابي الدهما المنجم وانا في ملك ابن
عباس الكاتب في حالة رثة فوقفت عليه فنظر الي واستجلبني وقال انت تصير الى
رجل جليل وتبلغ معه مبلغا كبيرا ثم طلب مني شيئا فاعطيته درهمين لم يكن معي غيرهما
فرماهما الي وقال ابشرك بهذه البشارة وتعطيني درهمين ثم قال وازيدك انت والله

علك هذا البلد واكثر منه فاذكرني اذا امرت الى ما وعدتك به ولا تنسني فقلت له
نعم فقال عاهدني انك تفي لي ولا يشغلك ذلك عن افتقادي فعاهدته ولم ياخذ الرهن
ثم اني شغلت عنه بما تجدد لي من الامور والاحوال وصرت الى هذه المنزله ونسيت
ذلك فلما اكلنا اليوم وغت رايته في المنام قد دخل علي وقال لي يا ابن الوفا بجهدك
وانما ودعك لا تغدر فيغدر بك فاستيقظت وفعلت ما رايتم ثم زاد في احسانه الى
بنات المنجم ووفى لوالدهما بما وعد والله اعلم **ومما اشتهر** به وجوه واخبرت به
الثقات في الافاق وظهرت روايته بالشام والعراق وضربت به الامثال في الوفا
بالاتفاق حديث السموال بن عاديا وتلخيص معناه ان امرئ القيس الكندي لما اراد المضي
الى قيصر ملك الروم اودع عند السموال دروعا وسلاحا تساوي جمله كثيرة فلما مات
امرئ القيس ارسل ملك كندة يطلب له الدروع والسلاح المودوع عند السموال فقال
لا ادفعه الا لمستحقه واما ان يدفع اليه منه شيا فحاوده فابى وقال لا اغدر بذمتي
ولا اخون اماني ولا اترك الوفا الواجب علي فقصده ذلك الملك من كندة بعسكره فدخل
السموال في حصنه وامتنع به فحاصره ذلك الملك وكان ولد السموال خارج الحصن فظفر
به ذلك الملك واخذه اسيرا ثم طاف به حول الحصن فصاح بالسموال فلما اشرف عليه من
اعلى الحصن قال له ان ولدك قد اسرته وها هو معي فان سلمت الي الدروع والسلاح الذي
لامرئ القيس عندك رحلت عنك وسلمت اليك ولدك وان امتنعت من ذلك ذبحت
ولدك وانت تنظر **فقال** له السموال لا اختار غير ذمامي ولا ابطل وفاي فاصنع ما شئت
فذبح ولده وهو ينظر ثم لما عجز عن الحصن رحل خائبا واحتسب السموال ذبح ولده وصبر
محافظة على وفائه فلما جا الموسم وحضر ورثة امرئ القيس سلم اليهم الدروع والسلاح
ورآى حفظ ذمامه ورعاية وفائه احب اليه من حياة ولده وبقائه فصارت الامثال
في الوفا بالسموال واذا مدحوا اهل الوفا في الانام ذكروا السموال في الاول **وكم**
اعلى الوفا رتبة من اعتلقه بيديه واعلى قيمة من جعله نصب عينيه واستنطق الافواه
لفاعله بالثنا عليه واستطلق الايدي المقبوضة عنه بالاحسان اليه
ومما وضع في بطون الدفاتر واستحسنته عيون البصاير وتعلقته الضماير
عن الكابر وتداولته الالسن من الاوايل والاواخر ما رواه خادم امير المومنين المامون
قال طلبني امير المومنين ليلة وقد مضى من الليل ثلثه فقال لي خذ معك فلانا وفلانا
وسماهما احدهما علي بن محمد والاخر دينار الخادم فاذهب مسرعا لما اقوله لك فانه بلغني
ان شيخا يحضر ليلا الى اثار دور البرامكة وينشد شعرا ويذكرهم ذكرا كثيرا
ويندبهم ويبكي عليهم ثم ينصرف فامض الان انت وعلي ودينار حتى ترد وا هذه الخربات

واستتروا

واستتروا خلف بعض الجدار فاذا رايتم الشيخ قد جا وبكى وندب وانشد شيا
فاتوني به **قال** فاخذتهما ومضينا حتى اتينا الخربات واذا نحن بغلام قد اتى ومعه
بساط وكرسي حديد واذا شيخ وسيم له جمال وعليه مهابة وصلف قد اقبل فجلس على الكرسي
وجعل يبكي وينتحب ويقول هذه الابيات **شعر**

ولما رايت السيف جلل جعفرا ... ونادى مناد للخليفة في يحيى
بكيت على الدنيا وزاد تاسفي ... عليهم وقلت الان لا تنفع الدنيا

مع ابيات اطالها وعددها فلما فرغ قبضنا عليه وقلنا اجب امير المومنين ففزع فزعا
شديدا وقال دعوني حتى اوصي وصية فاني لا اوقن بعدها بحياة ثم تقدم الى بعض
الدكاكين واستفتح واخذ ورقة وكتب فيها وصية وسلمها الى غلامه ثم سرنا به
فلما مثل بين يدي امير المومنين زجره وقال من انت وبما استوجبت البرامكة منك
ما تفعله في خرائب دورهم قال الخادم ونحن وقوف نسمع فقال يا امير المومنين ان للبرامكه
عندي ايادي خضرة افتاذن لي ان احدثك حالي معهم قال قل قال يا امير المومنين انا
المنذر بن المغيرة من ابنا الملوك وقد زالت عني نعمتي كما تزول عن الرجال فلما ركبني الدين
واحتجت الى بيع مسقط راسي وروس اهلي هو بيته الذي ولدت فيه اشاروا علي بالخروج
الى البرامكة فخرجت من دمشق ومعي نيف وثلثون امراة وصبيا وصبية وليس معنا
ما يباع ولا ما يوهب حتى دخلنا بغداد ونزلنا في بعض المساجد فدعوت بثوبات كنت
قد اعددتها لا ستتر بها من الناس فلبستها وخرجت وتركتهم جياعا لا شي عندهم ودخلت
شوارع بغداد سايلا عن دور البرامكة فاذا انا بمسجد مزخرف وفيه ماية شيخ باحسن
زي وزينه وعلى الباب خادمان فطمعت في القوم وولجت المسجد وجلست بين ايديهم
وانا اقدم رجلا واوخر اخرى والعرق يسيل مني لانها لم تكن صناعتي واذا الخادم قد اقبل فدعى القوم
فقاموا وانا معهم فدخلوا دار يحيى بن خالد فدخلت معهم واذا بيحيى جالس على دكة له
وسط بستان وهو يحدثنا مايه واحد وبين يديه عشرة من ولده واذا غلام اسود قد
عذر خداه قد اقبل من بعض المقاصير بين يديه ماية خادم متقرطون في وسط كل خادم
منطقة من ذهب يقرب وزنها من الف مثقال ومع كل خادم مجمرة قطعة من عود كهيئة
الفهر قد قرن به مثله من العنبر السلطاني فوضعوه بين يدي الغلام وجلس الغلام
الى جنب يحيى ثم قال يحيى رحمه الله للقاضي تكلم وزوج بنتي عايشه من ابن عمي هذا الخاطب
القاضي وزوجه وشهد اوليك الجمع واقبلوا علينا بالنثار ببنادق المسك والعنبر
فالتقطت والله يا امير المومنين ملء كمي ونظرت واذا نحن في المكان ما بين يحيى والغلام
والمشايخ وولده ماية واثنى عشر رجلا فخرج الينا ماية واثنى عشر خادما مع كل خادم صينية

من فضة عليها الف دينار فوضعوا بين يدي كل رجل منا صينية فرايت القاضي والمشايخ
يصبون الدنانير في اكمامهم ويجعلون الصواني تحت اباطهم ويقوم الاول فالاول حتى
بقيت وحدي بين يدي يحيى لا اجسر على اخذ الصينية فغمزني الخادم فجسرت واخذتها
وجعلت الدنانير في كمي والصينية في يدي وقمت وجعلت التفت ورائي مخافة ان امنع من
الذهاب بها فبينا انا كذلك في صحن الدار ويحيى يلحظني اذ قال للخادم ايتني بذلك الرجل
فرددت اليه فامر بسكب الدنانير والصينية وما كان في كمي ثم امرني بالجلوس
فجلست فقال ممن الرجل فقصصت عليه قصتي فقال للخادم ايتني بولدي موسى فاتي به فقال له
يا بني هذا رجل غريب فخذه اليك واحفظه بنفسك ونعمتك فقبض موسى على يدي
وادخلني الى دار من دوره فاكرمني غاية الاكرام واقمت عنده يومي وليلتي في الذ عيش
وانعم سرور فلما اصبح دعا باخيه العباس وقال ان الوزير امرني بالعطف على هذا الفتى
وقد علمت اشتغالي في دار امير المؤمنين فاقبضه اليك واكرمه ففعل ذلك واكرمني
غاية الاكرام ثم لما كان من الغد تسلمني اخوه احمد ثم لم ازل في ايدي القوم يتداولوني
عشرة ايام لا اعرف خبر عيالي وصبياني في الاموات هم ام في الاحيا فلما كان اليوم
الحادي عشر جاءني خادم ومعه جماعة من الخدم فقالوا لي قم فاخرج الى عيالك بسلام
فقلت وا ويلاه سلبت الدنانير والصينية واخرج الى عيالي بهذه الحالة انا لله وانا
اليه راجعون فرفع الستر الاول ثم الثاني ثم الثالث ثم الرابع فلما رفع الخادم الستر الاخير
قال لي مهما كان لك من الحوائج فارفعها الي فاني مامور بقضاء جميع ما تامرني به فلما
رفع الستر رايت حجرة كالشمس حسنا ونورا واستقبلني منها رايحة الند والعود ونفحات
المسك واذا بصبياني وعيالي يتقلبون في الحرير والديباج وحمل الي الف الف درهم
وعشرة الاف دينار ومنشور بضيعتين وتلك الصينية التي كنت اخذتها بما فيها من الدنانير
والبنادق واقمت يا امير المؤمنين مع البرامكة في دورهم ثلث عشرة سنة لا يعلم الناس
امن البرامكة انا ام رجل غريب اصطنعوني فلما جاءتهم البلية ونزل بهم من امير المؤمنين
الرشيد ما نزل اجحفني عمرو بن مسعدة والزمني في هاتين الضيعتين من الخراج ما لا يفي دخلهما
به فلما تحامل علي الدهر كنت في اخر الليل اقصد خربات القوم فاندبهم واذكر حسن
صنيعهم الي وفاء لهم على احسانهم فقال المامون علي بعمرو بن مسعدة فلما اتي به قال له
اتعرف هذا الرجل قال نعم يا امير المؤمنين هو بعض صنايع البرامكة قال كم الزمته في ضيعته
قال كذا وكذا فقال له رد له كلما استاديته منه في مدته ووقع له بهما ليكونا له ولعقبه من بعده
قال فعلا نحيب الرجل وبكاؤه فلما راى المامون كثرة بكائه قال له يا هذا قد احسنا
اليك فلم يبكيك قال يا امير المؤمنين وهذا ايضا من صنايع البرامكة لو لا اني اتيت خرباتهم

فابكيهم

فابكيهم واندبهم حتى اتصل خبري بامير المؤمنين ففعل بي ما فعل فمن اين كنت اصل الى امير
المؤمنين قال ابراهيم بن ميمون رحمه الله فلقد رايت المامون رحمه الله وقد دمعت عيناه
وظهر عليه حزنه وقال لعمري هذا من صنايع البرامكة فعليهم فابك واياهم فاشكر ولهم فاوف
ولاحسانهم فاذكر وقيل اذا اردت تعرف وفا الرجل ووداد عهده فانظر الى حنينه الى
اوطانه وتشوقه الى اخوانه وبكائه على ما مر من زمانه وقد قيل بيت

سقى الله اطلال الوفا بكفه ... فقد درست اعلامه ومنازله

وقال اخر

اشدد يديك بمن بلوت وفاءه ... ان الوفا من الرجال عزيز

وقال مالك بن عمارة اللخمي رحمه الله كنت اجالس في ظل الكعبة ايام الموسم عبد الملك
بن مروان وقبيصة بن ذويب وعروة بن الزبير رحمهم الله وكنا نخوض في الفقه مرة
وفي المذاكرة مرة وفي اشعار العرب وامثال الناس مرة فكنت لا اجد عند احد ما اجد
عند عبد الملك بن مروان من الاتساع في المعرفة والتصرف في فنون العلم وحسن استماعه
اذا حدث وحلاوة لفظه فخلوت معه في ليلة فقلت والله اني لمسرور بك لما شاهدته
من كثرة تصرفك وحسن حديثك واقبالك على جليسك فقال لي ان تعش قليلا سترى العيون
طامحة الي والاعناق نحوي متطاولة فاذا وصل الامر الي فلعلك ان تنقل الي ركابك
فلاملان يديك فلما افضت اليه الخلافة توجهت اليه فوافيته يوم جمعة وهو يخطب
على المنبر فلما راني اعرض عني فقلت لم يعرفني او عرفني واظهر لي نكره فلما قضيت الصلوة
ودخل البيت لم البث ان خرج الحاجب فقال اين مالك بن عمارة فقمت فاخذ بيدي وادخلني
عليه فمد الي يده وقال انك تراءيت لي في موضع لا يجوز فيه الا ما رايت واما الان
فمرحبا واهلا كيف كنت بعدي فاخبرته فقال اتذكر ما كنت قلت لك قلت نعم فقال والله
ما هو بميراث ادعيناه ولا اثر رويناه ولكني اخبرك بخصال سمت لها نفسي الى الموضع الذي
ترى ما خنت ذا ود قط ولا شمت بمصيبة عدو قط ولا اعرضت عن محدث حتى ينتهي
ولا قصدت كبيرة من محارم الله تعالى متلذذا بها فكنت اؤمل بهذه ان يرفع الله عز وجل
منزلتي وقد فعل فاخذ الغلام بيدي وافرد لي منزلا حسنا فكنت في احسن حال وانعم بال
وكان يسمع كلامي واسمع كلامه وادخل عليه في وقت عشائه وغدائه فيرفع منزلتي ويقبل
علي ويحادثني ويسالني مرة عن العراق ومرة عن الحجاز حتى مضت لي عشرون ليلة فتغديت
يوما عنده فلما تفرق الناس نهضت قائما فقال على رسلك فتحدثت فقال اي الامرين احب
اليك المقام عندنا مع النصفة لك في المعاشرة او الرجوع ولك الكرامة فقلت يا امير
المؤمنين اخترت رؤيتك على الاهل والولد فقال لا بل ارى لك الرجوع اليهم والخيار لك

بعد ذلك في زيارتنا وقد أمرنا لك بعشرين ألف درهم وكسوناك وجعلناك أمرائي
ملأت يديك فلا خير فيمن ينسى إذا وعد وودع إذا اشتفت صحبتك السلامة ومن الوفا
ما روي عن أبي زكار الأعمى رحمه الله وكان قد انقطع الى آل برمك قال مسرور الكبير
لما أمرني الرشيد بقتل جعفر بن يحيى دخلت عليه فوجدت عنده أبو زكار الأعمى يغنيه

فلا تبعد فكل فتى سيأتي ۞ عليه الموت يطرق أو يغادي

فقلت في هذا والله أتيتك ثم مسكت بيد جعفر وأقمته وضربت رقبته فقال لي أبو زكار
ناشدتك الله إلا ألحقتني به فقلت له ما الذي حملك على هذا قال أغناني عن الناس فقلت
حتى أستأمر الرشيد ثم أحضرت الرأس الى الرشيد وأخبرته بخبر أبي زكار فقال هذا رجل فيه
مصطنع اضممه إليك وانظر ما كان جعفر يجب يعطيه فادفعه إليه وكان يحيى بن خالد
رحمه الله إذا أكد في يمينه يقول لا والذي جعل الوفا أعز ما يرى قال أبو فراس بن حمدان

شعر

بمن يثق الإنسان فيمن يثق به ۞ ومن أين للحر الكرام صحاب
وقد صار هذا الناس إلا أقلهم ۞ ذئاب على أجسادهن ثياب

وسأل المنصور رحمه الله بعض بطانة هشام عن تدبيره في الحروب فقال كان رحمه الله فقالا
يفعل كذا وكذا فقال له المنصور عليك لعنة الله تطأ بساطي وتترحم على عدوي فقال إن نعمة
عدوك لقلادة في عنقي لا ينزعها إلا غاسلي فقال له المنصور رحمه الله ارجع يا شيخ فإني أشهد
أنك وفي حافظ للخير ثم أمر له بمال فأخذه وقال والله لولا جلالة أمير المؤمنين وامتثال
طاعته ما لبست لأحد بعده نعمة فقال له المنصور لله درك فلو لم يكن في قومك غيرك لكنت
قد أبقيت لهم مجدا مخلدا وخرج سليمان بن عبد الملك ومعه يزيد بن المهلب رحمهم الله
في بعض بساتين الشام فإذا امرأة جالسة على قبر تبكي قال سليمان رحمه الله فرفعنا البرقع عن
وجهها فحكت شمسا عن ستور غمامة فوقفنا متحيرين ننظر إليها فقال لها يزيد بن المهلب رحمه الله
يا أمة الله هل لك في أمير المؤمنين بعلا فنظرت إلينا نظرا مستبشعا ثم أنشأت تقول

شعر

فإن تسألاني عن هواي فإنه ۞ بجوف هذا القبر يا فتيان
وإني لأستحييه والترب بيننا ۞ كما كنت أستحييه وهو يراني

ومن أحسن الوفا ما روي عن نايلة بنت الفرافصة بن الأحوص الكلبي زوج عثمان بن عفان
أن عثمان رضي الله عنه لما قتل أصابتها ضربة على يدها وخطبها معاوية فردته وقالت ما
يعجب الرجل مني قالوا ثناياك فكسرت ثناياها وبعثت بها الى معاوية فكان ذلك مما عيب
قريشا في نكاح بني كلب ولما أحس مصعب بن الزبير رحمه الله بالقتل دفع الى مولاه زياد

فص ياقوت قيمته ألف ألف وقال له انج بهذا فأخذه زياد ودقه بين حجرين وقال
والله لا ينتفع به أحد بعدك ولما قدم هدبة بن الخشرم للقتل بحضرة مروان بن الحكم
قالت زوجته إن لهدبة عندي وديعة فأمهله حتى آتيك بها فقال أسرعي فإن الناس قد
كثروا وكان مروان رحمه الله قد جلس لهم بارزا عن داره فمضت للسوق وأتت الى قصاب
وقالت له أعطني شفرتك وخذ هذا الدرهمين وأنا أردها فقربت من حائطه وأرسلت
ملحفتها على وجهها ثم جدعت أنفها من أصله وقطعت شفتيها وردت الشفرة الى القصاب
ثم أقبلت حتى دخلت بين الناس فقالت أتراني يا هدبة متزوجة بعد ما ترى فقال الآن
طابت نفسي بالموت فجزاك الله من خليلة وفية خيرا ولنختم هذا الباب من القضايا بأحسنها
هوا وأوجزها كلاما وأحسنها نظاما وخيرا وشرا ونفعا وضرا واشتملت على حال
شخصين وفى أحدهما بعهده ففاز ونجا من فتوحات مناه ما أمل ورجا وغدر الآخر
فلم يجد له من جزاء غدره الى النجاة فرجا ولم يجد له من ضيق الغدر مخرجا وهو ما ذكره
عبد الله بن عبد الكريم رحمه الله وكان مطلعا على أحوال أحمد بن طولون رحمه الله عارفا بأموره
عالما بوروده وصدوره فقال ما معناه أن أحمد بن طولون وجد عند سقايته طفلا مطروحا
فالتقطه ورباه وسماه أحمد وشهره باليتيم فلما كبر ونشأ كان أكثر الناس ذكا وفطنة
وأحسنهم زيا وصورة فصار يرعاه ويعلمه حتى تهذب وتعرب فلما حضرت ابن طولون
الوفاة أوصى ولده أبو الجيش خمارويه به فأخذه إليه فلما مات أحمد بن طولون أحضر الأمير
أبو الجيش اليتيم وقال أنت عندي بمكانة أرعاك بها ولكن عادتي أن آخذ العهد على كل من [illegible]
في شيء أنه لا يخونني فعاهده ثم حكمه في أمواله وقدمه في أشغاله فصار أحمد اليتيم مستحوذا
على الملك وحاكما على جميع الحاشية الخاص والعام والأمير أبو الجيش بن طولون يحسن إليه كلما
رأى خدمته متصفة بالنصح ومساعيه متسمة بالنجح فركن إليه واعتمد في أسبابه عليه
فقال له يوما يا أحمد امض الى الحجرة الفلانية ففي المجلس بحيث أجلس سبحة جوهر فأتني بها
فمضى أحمد فلما دخل الحجرة وجد جارية من مغنيات الأمير وحظاياه مع شاب من الفراشين ثم هو
من الأمير بمحل قريب فلما رأياه خرج الفتى فجاءت الجارية الى أحمد وعرضت نفسها عليه ودعته
الى الفحشا وطمع فقال معاذ الله أن أخون الأمير وقد أحسن الي وأخذ العهد علي ثم تركها وأخذ
السبحة وانصرف الى الأمير وسلم إليه السبحة وبقيت الجارية شديدة الخوف من أحمد أن يذكر
حالها للأمير فأقامت أياما ما لم تجد من الأمير ما تغيره عليها ثم اتفق أن الأمير اشترى جارية
وقدمها على حظاياه وغمرها بعطاياه واشتغل بها عمن سواها وأعرض لشغفه بها عن كل من عنده
حتى كاد لا يذكر جارية غيرها ولا يراها وكان أول مشغول بذلك الجارية الغادرة الخائنة [illegible]
الفاجرة الفاسقة الفاجرة فلما أعرض عنها اشتغالا بالجديدة المجيدة المستجدة السعيدة

الحاملة المحمودة الوصيفة الموصوفة الأليفة المألوفة الراشقة المرشوقة الفارقة المغروقة وصرفت بهجة محاسنها وآدابها وجهه عن ملاعبة اترابها وشغلته بجذوبة رضابها عن ارتشاف ضربة اضرابها وكانت تلك الاولة لحسنها متأمرة على تأميره لا تخاف من دليه ولا تصبره فكبر عليها اعراضه عنها ونسبت ذلك الى احمد اليتيم والاطلاعه على ما كان منها فدخلت على الامير وقد ازبدت من الكآبة جلباب مكرها واعلنت بالبكا بين يديه لاتمام كيدها ومكرها وقالت ان احمد اليتيم قد راودني عن نفسي فلما سمع ذلك الامير منها استشاط غيظا وغضبا وهم في الحال بقتله ثم عاوده حلمه عقله فتانى في قتله واستحضر خادما يعتمد عليه وقال اذا ارسلت اليك انسانا ومعه طبق ذهب وقلت لك على لسانه املا هذا الطبق مسكا فاقتل ذلك الانسان واجعل راسه في الطبق واحضره مغطا ثم ان الامير ابا الجيش جلس لشربه واحضر عنده ندماه الخواص وادناهم لمجلس قربه واحمد اليتيم واقف بين يديه آمن في سربه لم يخطر بخاطره شيء ولا حس في قلبه فلما ثمل الامير واخذ منه الشراب قال يا احمد خذ هذا الطبق وامض به الى فلان الخادم وقل له يملاه مسكا فاخذه احمد اليتيم ومضى واجتاز في طريقه بالمغنيين وبقية الندما والخواص فقاموا اليه وسالوه الجلوس معهم فقال لهم انا ماض في حاجة الامير امرني باحضارها في هذا الطبق فقالوا له ارسل من ينوب عنك في احضارها وخذها انت وادخل بها الى الامير فادار عينه فراى الفتى الفراش الذي كان مع الجارية فاعطاه الطبق وقال له امض الى فلان الخادم وقل له يقول لك الامير املا هذا مسكا فمضى ذلك الفراش الى الخادم وذكر له ذلك فقتله وقطع راسه وغسله وجعله في الطبق وغطاه واقبل به فناوله لاحمد وليس عنده علم من باطن الامر فلما دخل به على الامير كشفه وتامله وقال ما هذا فقص عليه خبره وقعوده مع المغنيين وبقية الندما وسؤالهم له الجلوس معهم وما كان من انفاده الطبق والرسالة مع الفراش وانه لا علم عنده غير ما ذكره قال افتعرف لهذا الفراش خبرا يستوجب به ما جرا عليه فقال الا ان الامير انى اطلعت عليه بما ارتكبه من الجناية وقد كتمت ذلك لأغراض عن اعلام الامير بذلك واخذ احمد يحدث بما شاهده وما جرى له من حديث الجارية من اوله الى اخره لما انفذه لاحضار السبحة الجوهر فدعى الامير ابو الجيش بتلك الجارية واستقررها فاقرت بصحة ما ذكره احمد واعطاه اياها وامره بقتلها ففعل وازدادت مكانة احمد عنده وعلت منزلته لديه وضاعف احسانه اليه وجعل ازمة ما يتعلق به بيديه فانظر الى اثار الوفا كيف يحمي من المعاطب وينجي من قبضة التلف بحد امضا القواضب ويبلغ بصاحبه الى ارتقا عز ارفع المراتب فهذا الغلام لما وفى لمولاه بجهده وهو بشر مثله وليس في الحقيقة بعبده

واطلع عز وجل على صدق نيته وقصده دفع عنه هذه القتلة الشنيعة بلطف من عنده فاذا كان العبد مع خالقه ورازقه وافيا في طاعته بحقه كيف لا نفيض عليه من الطافه مواهب بره ورفده وتفتح له من انواع رحمته واقسام نعمته ما لا ممسك له من بعده وقيل له شيء اوفى من الحرية اذا مات ذكرها لم تعزب ذكرا بعده ولا تزال تنوح عليه الى ان تموت والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الباب الثامن والثلاثون

في كتمان السر وتحصينه وذم افشائه

قال الله تعالى حكاية عن يعقوب عليه السلام يا بني لا تقصص رؤياك على اخوتك فيكيدوا لك كيدا الآية فلما افشى يوسف عليه السلام رؤياه بمشهد من امراة فرعون اخبرت اخوته فحل به ما حل ومن شواهد الكتاب العزيز في السر فاوحى الى عبده ما اوحى وقوله تعالى وما هو على الغيب بضنين اي متهم وفي الحديث استعينوا على قضا الحوايج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وقال علي رضي الله عنه سرك اسيرك فاذا تكلمت به صرت اسيره واعلم ان امنا الاسرار اقل وجودا من امنا الاموال وحفظ الاموال ايسر من كتمان الاسرار لان احراز الاموال منيعة بالابواب والاقفال واحراز الاسرار بارزة يذيعها لسان ناطق ويشيعها كلام سابق وحمل الاسرار اثقل من حمل الاموال فان الرجل يستقل بالحمل الثقيل فيحمله ويمشي به ولا يستطيع كتم السر وان الرجل يكون سره في قلبه فيلحقه من القلق والكرب ما لا يلحقه من حمل الاثقال فاذا اذاعه استراح قلبه وسكن خاطره وكانما القى عن نفسه حملا ثقيلا وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله القلوب اوعية الاسرار والشفاه اقفالها والالسن مفاتيحها فليحفظ كل انسان مفتاح سره ومن عجائب الامور ان الاسرار كلما كثرت خزانها كان اضيع لها وكم من اظهار سر اراق دم صاحبه ومنعه من بلوغ ماربه ولو كتمه امن من سطواته وقال انوشروان رحمه الله من حصن سره فله بتحصينه خصلتان الظفر بحاجته والسلامة من السطوات وقيل كلما كثرت خزان الاسرار ازدادت ضياعا وقيل انفرد بسرك لا تودعه حازما فيزل ولا جاهلا فيخون

قال كعب بن سعد الغنوي رحمه الله بيت

ولست بمبد للرجال سريرتي ولا انا عن اسرارهم بسؤول

وقال ابن اسلم صاحب الدولة رحمه الله

ادركت بالحزم والكتمان ما عجزت عنه ملوك بني مروان اذ احتشدوا
ما زلت اسعى عليهم في ديارهم والقوم في غفلة بالشام قد رقدوا
حتى ضربتهم بالسيف فانتبهوا من نومة لم ينمها قبلهم احد

واسرّ رجل الى صديقه حديثًا ثم قال له افهمت قال بل جهلت قال احفظت قال بل
نسيت وقيل لبعضهم كيف كتمان السر قال اجحد المخبر واحلف للمستخبر وقال
المهلب رحمه الله ادنى اخلاق الشريف كتمان السر واعلاه نسيان ما اسرّ اليه ومن حسن ما
قيل في كتمان السر قول الشاعر

بيت

وللها سرائر في الضمير طويتها ٭ نسي الضمير بانها في طيه

وقيل كتمان الاسرار يدل على جواهر الرجال وكما انه لا خير في آنية لا تمسك ما فيها فكذلك
لا خير في لسان لا يمسك سره

قال الشاعر

ومستودعي سرا كتمت مكانه ٭ عن الحس خوفا ان ينم به الحس
وخفت عليه من هوى النفس شهوة ٭ فاودعته من حيث لا يبلغ الحس

وقال قيس بن الخطيم رحمه الله

اجود بمكنون التلاد وانني ٭ بسري عمن سالني لضنين
وان ضيع الاقوام سرا فانني ٭ كتوم لاسرار العشير امين

وقال جعفر بن عثمان رحمه الله

يا ذا الذي اودعني سره ٭ لا ترج ان تسمعه مني
لم اجره قط على فكرتي ٭ كانه لم يجر في اذني

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول ما افشيت سري الى احد قط فافشاه فلمته
اذ كان صدري به اضيق وقال الاحنف بن قيس رحمه الله يضيق صدر الرجل بسره
فاذا حدث به احدا قال اكتمه علي وانشدوا فيه

شعر

اذا المرء افشى سره عند غيره ٭ ولام عليه غيره فهو احمق
اذا ما ضاق صدر المرء عن سر نفسه ٭ فصدر الذي يستودع السر اضيق

وقال اخر

اذا ضاق صدرك عن حديث ٭ وافشته الرجال فمن تلوم
اذا عاتبت من افشى حديثي ٭ وسري عنده فانا الملوم

وقال صالح بن عبد القدوس رحمه الله لا تودع سرك الى طالبه فالطالب للسر مذيع
ولا تودع سرك عند من يستدعيه فالطالب للوديعة خاين وقيل لاعرابي ما بلغ من حفظك
للسر قال افرقه تحت شغاف قلبي ثم اجمعه وانساه كاني لم اسمعه وكان يقال احزم
الناس الذي لا يفشي سره الى صديقه مخافة ان يقع بينهما شر فيفشيه عليه وقال
حكيم رحمه الله قلوب الاحرار قبور الاسرار وقيل اظهار السر الى كل احد قبل الاختبار حمق

قال بعضهم

وقال اذا المرء لم يحفظ ثلاثا فبعه ولو بكف من رماد
وفاء لصديقه وبذل ماله وكتمان السرائر في الفؤاد

اذا ما غفرت الذنب يوما لصاحب ٭ فلست معيدا ما حييت له ذكرا
ولست اذا ما صاحب خان عهده ٭ ومني له سر مذيعا له سرا

فابن هذا من ذا القايل

ولا تودع الاسرار اذني فانما ٭ تضمن اذني انا وتعلم

اوكالقايل ايضا

لا اكتم الاسرار لكن اذيعها ٭ ولا ادع الاسرار تغلو على قلبي
وان قليل العقل من بات ليلة ٭ تقلبه الاسرار جنبا الى جنب

وقال اخر

وانكر كلما استودع ٭ انم من النسيم على الرياض

وقال اسحق بن ابراهيم الموصلي رحمه الله

اناس امناهم فنموا حديثنا ٭ فلما كتمنا السر عنهم تقولوا

ولله در المتنبي رحمه الله حيث قال

وللسر مني موضع لا يناله ٭ نديم ولا يفضي اليه شراب

وقد اقتصرت من ذلك على هذا القدر اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل

الباب التاسع والثلاثون
في الغدر والخيانة والسرقة والعداوة والبغضاء
والحسد وفيه فصول

الفصل الاول في الغدر والخيانة قيل رب غادر لم يظفر يداه بغادر وضاقت عليه
من موارد الهلكات فسبحان القادر وطوقه غدره طوق خزي فهو على فكه غير قادر
واوقعه في خطة خسف وورطة حتف فما له من قوة ولا ناصر ويشهد لصحة هذه الاسباب
ما احاطت به علوم ذوي الالباب من قصة ثعلبة بن حاطب الانصاري وتلخيص معناها
ان هذا ثعلبة كان من انصار النبي صلى الله عليه وسلم فجاءه يوما وقال يا رسول الله
ادع الله ان يرزقني مالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحك يا ثعلبة قليل
تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم اتاه بعد ذلك مرة اخرى فقال يا رسول الله ادع
الله ان يرزقني مالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما لك في رسول الله اسوة
حسنة والذي نفسي بيده لو اردت ان تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت ثم اتاه بعد
ذلك فقال يا رسول الله ادع الله تعالى ان يرزقني مالا والذي بعثك بالحق لئن رزقني
لاعطين كل ذي حق حقه وعاهد الله تعالى على ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اللهم ارزق ثعلبة مالا قال فاتخذ ثعلبة غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة

والسر

فتنحى عنها ونزل واديا من أوديتها وهي تنمو كما ينمو الدود وكان يصلي مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر ويصلي باقي الصلوات في غنمه فكثرت ونمت
حتى بعد عن المدينة فصار لا يشهد الا الجمعة ثم خرج يتلقى الناس يسالهم عن الأخبار فذكره
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال ما فعل ثعلبة قالوا يا رسول الله
الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم • اتخذ غنما ما يسعها واد فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة فانزل الله عز وجل آية الصدقة فبعث رسول
الله صلى الله عليه وسلم رجلين رجل من بني سليم ورجل من جهينة وكتب لهما أسنان الصدقة
كيف يأخذانها وقال لهما مرا بثعلبة بن حاطب وبرجل آخر من بني سليم فخذا صدقاتهما
فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا أخت الجزية انطلقا حتى تفرغا ثم عودا الي •
فانطلقا ثم لما سمع بهما السلمي نظر الى خيار ابله فعزلها للصدقة ثم استقبلهما بها فلما
رأياه قالا ما هذا قال خذاه فان نفسي به طيبة فمرا على الناس وأخذا الصدقات
ثم رجعا الى ثعلبة فقال أروني كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأه فقال
ما هذه الا جزية ما هذه الا أخت الجزية اذهبا حتى أرى رأيي قال فأقبلا فلما
رآهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قبل أن يكلماه ويح ثعلبة فأنزل الله تعالى
ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم
من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه
بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم
وأن الله علام الغيوب وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أقارب ثعلبة
فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال ويحك يا ثعلبة قد أنزل الله فيك كذا وكذا فخرج ثعلبة
حتى أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله أن يقبل منه صدقته فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ان الله منعني أن أقبل منك صدقتك فجعل ثعلبة يحثو التراب على رأسه فلما
أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقبل صدقته رجع الى منزله وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
ولم يقبل منه شيئا فلما أتى أبا بكر رضي الله عنه حين استخلف فقال قد علمت منزلتي من
رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي من الأنصار فاقبل صدقتي فقال أبو بكر رضي الله عنه
لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم منك فلا أقبلها فقبض أبو بكر رضي الله عنه
ولم يقبلها منه فلما ولي عمر رضي الله عنه أتاه فقال يا أمير المؤمنين اقبل صدقتي فقال
لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر فأنا لا أقبلها وقبض عمر رضي الله عنه
ولم يقبلها ثم ولي عثمان رضي الله عنه فسأله أن يقبل صدقته فقال لم يقبلها منك

رسول

رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبو بكر ولا عمر فأنا لا أقبلها ثم هلك ثعلبة في خلافة
عثمان رضي الله عنه • فانظر الى سوء عاقبة عهده كيف أذاقه وبال أمره • ووسمه بسمة
عار فصب عليه خسره • وأعقبه نفاقا أخزاه يوم فاقته وفقره • فأي خسر أرجح من ترك
الوفاء بالميثاق • وأي سوء أقبح من غدر يسوق الى النفاق • وأي عار أفضح من نقض العهد
اذا عددت مساوي الأخلاق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعجل الأشياء عقوبة
البغي وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخيانة
والخديعة والمكر في النار • وقال أبو بكر رضي الله عنه ثلاث من كن فيه كن عليه • البغي
والنكث • والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على أنفسكم وقال تعالى ومن نكث فانما ينكث
على نفسه وقال تعالى ولا يحيق المكر السيء الا بأهله وكان يقال لم يغدر غادر قط
الا لصغر همته عن الوفاء • واتضاع قدره عن احتمال المكاره في جنب نيل المكارم •

قال الشاعر •

• غدرت بأمر كنت أنت اجتذبتنا • اليه وبئس الشيمة الغدر بالعهد •

ولما حلف محمد الأمين للمأمون رحمهم الله في بيت الله الحرام وهما وليا عهد طالبه جعفر
بن يحيى أن يقول خذلني الله ان خذلته فقال ذلك ثلاث مرات • قال الفضل بن الربيع رحمه الله
قال الأمين في ذلك الوقت عند خروجه من بيت الله يا أبا العباس أجد في نفسي أن أمري
لا يتم فقلت ولم ذاك أعز الله الأمير قال لأني كنت أحلف وأنا أرى الغدر وكذلك
لم يتم أمره ويروى في بعض أخبار العرب أن الضيزن بن معاوية بن قضاعة كان ملكا
بين دجلة والفرات وكان له هناك قصر مشيد يعرف بالجوسق وبلغ ملكه الشام •
فأغار على مدينة سابور ذي الأكتاف فأخذها وأخذ أخت سابور وقتل منهم خلقا كثيرا
ثم ان سابور جمع جيوشا وسار الى الضيزن فأقام على الحصن أربع سنين لا يصل منه الى
شيء ثم ان النضيرة بنت الضيزن عركت أي حاضت فخرجت من الحصن وكانت أجمل أهل
دهرها وكذلك كانوا يفعلون بنسائهم اذا حضن وكان سابور من أجمل أهل زمانه
فرآها ورأته فعشقها وعشقته وأرسلت اليه تقول ما تجعل لي ان دللتك على
ما تهدم به هذه المدينة وتقتل أبي قال حكمك قالت عليك بحمامة ورقاء مطوقة واكتب
على رجلها بحيض جارية ثم أطلقها فانها تقعد على حائط المدينة فتتداعى المدينة كلها وكان ذلك
طلسما لا يهدمها الا هو ففعل ذلك وتأهب لهم فقالت له وأنا أسقي الحرس الخمر فاحطم
واعبر فاذا صرعوا فاقتلهم ففعلوا ذلك فتداعت المدينة وفتحها سابور عنوة •
وقتل الضيزن واحتمل ابنته النضيرة فأعرس بها فلما دخل بها لم تزل ليلتها تتضور
من فراشها وهو من حرير محشو بالقز فالتمس ما كان يؤذيها فاذا ورقة آس ملتزقة

بحكمتها فاشرت فيها فقيل وكان ينظر الى مخ عظمها من لين بشرتها ثم ان سابور بعد ذلك غدر بها وقتلها قيل انه امر رجلا فركب فرسا جموحا وطرح غدائرها بذنبه ثم استركضه فقطعها قطعا قطعه الله ما اغدره وتقول العرب جزاني جزاء سنمار وهو ان ازدجرد لما خاف على ولده بهرام وكان قبله لا يعيش له ولد فسال عن منزل صحيح مرى فدل على ظهر الجزيرة فدفع ابنه بهرام الى النعمان وهو عامله على ارض العرب وامره ان يبني له جوسقا فامتثل ما امره وبنى له جوسقا كاحسن ما يكون وكان الذي بنى الجوسق رجل يسمى سنمار فلما فرغوا من بنائه عجبوا من حسنه فقال لو علمت انكم توفوني اجرته لبنيته بناء يدور مع الشمس حيثما دارت فقال لو انك لتبني احسن من هذا ولم يبنه ثم امر به فطرح من اعلى الجوسق فتقطع. قال وكانت العرب تقول جزاني جزاء سنمار. وممن غدر عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله غدر بعلي رضي الله عنه وقتله. وعمرو بن جرموز غدر بالزبير بن العوام. وابو لولوة غلام المغيرة بن شعبة غدر بامير المؤمنين عمر رضي الله عنه وقتله. **وجعل** المنصور رحمه الله العهد الى عيسى ثم غدر به واخلفه وقدم المهدي عليه فقال عيسى رحمه الله

شعر

أينسى بنو العباس ذبي عنهم • بسيفي ونار الحرب زاد سعيرها
فتحت لهم شرق البلاد وغربها • فذل معاديها وعز نصيرها
اقطع ارحاما علي عزيزة • واسدي مكيدات لها واثيرها
فلما وضحت الامر في مستقره • ولاحت لهم شمس بلالا نورها
دفعت عن الحق الذي استحقه • وسيقت باوساق من الغدر عيرها

وخرج قوم للصيد فطردوا ضبعة حتى الجاؤها الى خباء اعرابي فاجارها وجعل يطعمها ويسقيها فبينما هو نائم ذات ليلة اذ وثبت عليه فبقرت بطنه وهربت فجاء ابن عمه يطلبه فوجده ملقى فتبعها حتى قتلها ثم قال

شعر

ومن يصنع المعروف في غير اهله • يلاقي كما لاقى مجير ام عامر
اعد لها لما استجارت ببيته • احاليب اللقاح الزواهر
واسمنها حتى اذا ما تمكنت • فرته بانياب لها واظافير
فقل لذوي المعروف هذا جزاء من • يجود بمعروف على غير شاكر

وحكي بعضهم قال دخلت البادية فاذا انا بعجوز بين يديها شاة مقتولة والى جانبها جرو ذئب فقالت اتدري ما هذا قلت لا قال جرو ذئب اخذناه صغيرا وادخلناه بيتنا وربيناه فلما كبر فعل بشاتي ما ترى ثم قالت

شعر

بقرت شويهتي وفجعت قوما • وانت لشاتنا ابن ربيب

غدرت

غذيت بدرها وربيت فينا • فمن انباك ان اباك ذيب
اذا كان الطباع طباع سوء • فلا ادب يفيد ولا اديب

اللهم انا نعوذ بك من البغي واهله ومن الغادر وفعله انك على كل شيء قدير وصلى الله على سيدنا محمد

ومما جاء في السراق

قيل مر عمرو بن عبيد رحمه الله بجماعة وقوف فقال ما هذا قالوا السلطان يقطع سارقا فقال لا اله الا الله سارق العلانية يقطع سارق السر. وامر الاسكندر رحمه الله بصلب سارق فقال ايها الملك اني فعلت ما فعلت وانا كاره قال وتصلب ايضا وانت كاره. وسرق مدني قميصا فاعطاه لابنه يبيعه فسرق منه فجاء فقال له بكم بعته قال براس المال. **وقال** ابن كوثل السلمي وكان لصا فاتكا

شعر

واني لاستحيي من الله ان ارى • اجرجر حبلا ليس فيه بعير
وان اسال المرء الدني بعيره • واجمال ربي في البلاد كثير

وقال الفرزدق رحمه الله بيت

ان ابا الكرباس ليس بسارق • ولكن متى ما يسرق القوم ياكل

وكان لعمرو بن ذويرة البجلي رحمه الله اخ قد كلف بابنة عم له فتسور عليها الدار ذات ليلة فاخذوه اخوتها واتوا به خالد بن الوليد القسري رحمه الله وجعلوه سارقا فساله خالد فصدقهم ليدفع الفضيحة عن الجارية فهم خالد بقطعه فقال عمرو اخوه رحمهما الله

شعر

اخالد قد والله اوطات عشوة • وما العاشق المظلوم فينا بسارق
اقر بما لم ياته المرء انه • راى القطع خيرا من فضيحة عاشق

فعفى عنه خالد وازوجه تلك الجارية. **الفصل الثاني من هذا الباب** فيما جاء في العداوة والبغضاء قد ذكر الله عز وجل العداوة والبغضاء في كتابه فقال تعالى والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيمة وقال تعالى ان الشيطان للانسان عدو مبين وقال تعالى ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم **وقال** صلى الله عليه وسلم اعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك. وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه العداوة تتوارث. وقال زياد بن عبد الله رحمه الله

شعر

فلو اني بليت بهاشمي • خؤولته بنو عبد المدان
صبرت على عداوته ولكن • تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

ذبت رجل في وجه ابي عبيدة رحمه الله مكروها فانشا يقول **شعر**

فلو اني اذ وهي لعبت به • سباع كرام او ضباع واذوب

لهون وجدي أو تسلي مصيبتي • ولكنما أودي للحمى أكلب

وقيل لكسرى رحمه الله أي الناس أحب إليك أن يكون عاقلا قال عدوي قيل وكيف ذلك قال لأنه إذا كان عاقلا كنت في عافية منه وأمن • وقيل كونوا من المرء الدغل أخوف من الكاشح المعلن وإن مداراة أهل الحلال الظاهر أهون من مداراة ما خفي وبطن وإياك أن تعادي من إذا شاء طرح ثيابه ودخل مع الملك في لحافه • وقال أبو العتاهية رحمه الله

شعر

تنح عن القبيح ولا ترده • ومن أوليته حسنا فزده

ستلقى من عدوك كل كيد • إذا كان الحسود ولا ترده

وكانت جليلة بنت مرة أخت جساس تحت كليب فقتل أخوها زوجها وهي حبلى من كليب فلما كبر وشب قال

شعر

أصاب الجاني وما أنا بالذي • أنيل وأمري بين خالي ووالدي

وأورث جساس بن مرة غصة • إذا ما اعترتني حرها غير بارد

ثم قال أيضا

يا للرجال لقلب ما له أبي • كيف العزاء وثاري عند جساس

ثم حمل على خاله فقتله وقال

شعر

ألم أني ثأرت أبي كليبا • وقد يرجى الرضيع للذحول

غسلت العار عن جسم ابن بكر • بجساس بن مرة ذي التبول

بيت

شتى الخلائق إن الناس خلقوا • فلن تبيد وللآباء أبناء

ويقال دارِ عدوك لأحد أمرين إما لصداقة تؤمنك أو لفرصة تمكنك وكتب سويد إلى مصعب يقول

شعر

فأبلغ مصعبا عني رسولا • وهل تلقى النصيح بكل واد

تعلم أن أكثر من تناجي • وإن ضحكوا إليك هم الأعادي

ويقال فلان كثير المذاق مر المذاق وقال الحجاج لخارجي والله إني لأبغضكم قال أدخل الله الجنة أشدنا بغضا لصاحبه ولما أراد أنوشروان رحمه الله أن يعقد لابنه هرمز ولاية العهد استشار عظماء أهل مملكته فأنكروا عليه وقال بعضهم إن أمه تركية وقد علمت في أخلاقهم ما علمت فقال إن الأبناء ينسبون إلى الآباء لا إلى الأمهات وكانت أم قباد تركية وقد رأيتم من حسن سيرته ما رأيتم فقيل له هو قصير وذلك يذهب بهاء الملك فقال إن قصره من رجله وذلك لا يكاد يرى إلا جالسا أو راكبا فلا يستبين

ذلك

ذلك فيه فقيل هو بغيض في الناس فقال أوّاه هلك ابن هرمز وقيل إذا كان في الإنسان خير واحد ولم يكن ذلك الخير المحبة في الناس فلا خير فيه وإذا كان فيه عيب واحد ولم يكن ذلك العيب البغضة في الناس فلا عيب فيه قال الشاعر شعر

ولست براءٍ عيب ذي الود كله • ولا بعض ما فيه إذا كنت راضيا

فعين الرضى عن كل عيب كليلة • وعين المحب لا تحد المساويا

بيت

وعين البغض تبرز كل عيب • وعين الحب لا تجد العيوبا

وعن أبي حيان رحمه الله قال قال لقمان عليه السلام نقلت الصخور وحملت الحديد فلم أر شيئا أثقل من البغضاء وأكلت الطيبات وعانقت الحسنات فلم أر شيئا ألذ من العافية وأنا أقول لو نزح البحار وكنس الغبار لوجدها أهون من شماتة الأعداء خصوصا إذا كانوا مساهمين في نسب أو مجاورين في بلد اللهم إنا نعوذ بك من تتابع الإثم وسوء الفهم وشماتة ابن العم وقيل لأيوب عليه السلام أي شيء كان أشد عليك في بلائك قال شماتة الأعداء وقال الجاحظ رحمه الله

شعر

تقول العاذلات تسل عنها • وداوي غليل قلبك بالسلو

فكيف وقبلة منها اختلاسا • ألذ من الشماتة بالعدو

وقال ابن أبي عيينة المهلبي رحمه الله

بيت

كل المصائب قد تمر على الفتى • فتهون غير شماتة الأعداء

وقال الجاحظ رحمه الله ما رأيت سنانا أنفذ من شماتة الأعداء • وقيل لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع بموته نساء من كندة وحضرموت فخضبن أيديهن وضربن بالدفوف فقال رجل منهم

شعر

أبلغ أبا بكر إذا ما جئته • أن البغايا من بني مروان

أظهرن في موت النبي شماتة • وخضبن أيديهن بالعلام

فاقطع هديت أكفهن بصارم • كالبرق أومض في متون غمام

فكتب أبو بكر رضي الله عنه إلى المهاجر عامله فأخذهن وقطع أيديهن ويقال فلان يتربص بك الدوائر ويتمنى لك الغوائل ولا يؤمل صلاحا إلا في فسادك ولا رفعة إلا بسقوط حالك وقال حكيم رحمه الله لا تأمن عدوك وإن كان ضعيفا فإن القناة قد تقتل وإن عدمت السنان

قال الشاعر

فلا تأمن عدوك لو تراه • أقل إذا نظرت من القراد

فإن الحرب ينشأ من جبان • وإن النار تصدر من رماد

وقال آخر

بيت

فمن لم يكن منكم مسيئا فإنه • يشد على كف المسيء فيجلب

وقال عبد الله بن سليمان بن وهب رحمه الله

شعر

كاد الأعادي فلا والله ما تركوا • قولا وفعلا وتبعيدا وتلقينا
ولم نزد نحن في سر وفي علن • على مقالتنا يا رب اكفينا
فكان ذاك ورد الله حاسدنا • بغيظه لم ينل تقديره فينا

الفصل الثالث في الحسد

قال الله تعالى أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينوا على حوائجكم بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود وقال علي رضي الله عنه الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له وقيل الحسود غضبان على القدر وقيل بئس الشعار الحسد وقيل لبعضهم ما بال فلان يبغضك قال لأنه شقيقي في النسب وجاري في البلد وشريكي في الصناعة فذكر جميع دواعي الحسد وقال أعرابي الحسد ما أنصفه يعمل في الحاسد أكثر من فعله في المحسود وهو مأخوذ من الحديث قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله

ومن ذلك ما حكي أن رجلا من العرب دخل على المعتصم رحمه الله فقربه وأدناه وجعله نديمه وصار يدخل على حريمه من غير استئذان وكان له وزير حاسد فغار من البدوي وحسده وقال في نفسه إن لم أحتل على هذا البدوي بحيلة أخذ بقلب أمير المؤمنين وأبعدني منه فصار يتلطف بالبدوي حتى أتى به إلى منزله فطبخ له طعاما وأكثر فيه من الثوم فلما أكل منه البدوي قال له احذر أن تقرب من أمير المؤمنين فيشم منك رائحة الثوم فيتأذى لذلك فإنه يكره رائحته ثم ذهب الوزير إلى أمير المؤمنين فخلا به وقال له البدوي يقول عن أمير المؤمنين إنه أبخر وهلكت من رائحة فمه فلما دخل البدوي على أمير المؤمنين جعل كمه على فمه مخافة أن يشم منه رائحة الثوم فلما رآه أمير المؤمنين وهو يستر فمه بكمه قال إن الذي قاله الوزير عن هذا البدوي صحيح فكتب أمير المؤمنين كتابا إلى بعض عماله يقول فيه إذا وصل إليك كتابي هذا فاضرب رقبة حامله ثم دعا بالبدوي ودفع إليه الكتاب وقال امض إلى فلان وائتني بالجواب فامتثل البدوي ما أمره به أمير المؤمنين وأخذ الكتاب وخرج به من عنده فبينما هو في الباب إذ لقيه الوزير فقال أين تريد قال أتوجه بكتاب أمير المؤمنين إلى عامله فلان فقال الوزير في نفسه إن هذا البدوي يحصل له من هذا التقليد مال جزيل فقال يا بدوي ما تقول فيمن يريحك من هذا التعب الذي يلحقك في سفرك ويعطيك ألف دينار فقال البدوي أنت الكبير وأنت الحاكم ومهما رأيته من الرأي فقال أعطني الكتاب فدفعه إليه فأعطاه ألف دينار وركب الوزير

وسار

وسار بالكتاب إلى المكان الذي هو قاصده فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب عنق الوزير فبعد ذلك تفكر الخليفة في أمر البدوي وسأل عن الوزير فأخبر أن له أياما ما ظهر وأن البدوي بالمدينة مقيم فتعجب من ذلك وأمر بإحضاره فسأله عن حاله فأخبره بالقصة التي اتفقت له مع الوزير من أولها إلى آخرها فقال له أنت قلت عني إني أبخر فقال معاذ الله يا أمير المؤمنين أن أتحدث بما ليس لي به علم وإنما كان ذلك مكرا منه وحسدا وأعلمه كيف دخل به إلى بيته وأطعمه الثوم وما جرى له معه ثم قال يا أمير المؤمنين قاتل الله الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله ثم خلع على البدوي واتخذه وزيرا مكانه وراح الوزير بحسده والسلام

وقال المغيرة رحمه الله شاعر آل المهلب

شعر

آل المهلب قوم إن مدحتهم • كانوا الأكارم آباء وأجدادا
إن العرانين تلقاها محسدة • ولا ترى للئام الناس حسادا

العرانين سادات القوم

وقال عمر رضي الله عنه يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك وقال مالك بن دينار رحمه الله شهادة القراء مقبولة في كل شيء إلا شهادة بعضهم على بعض فإنهم أشد حسدا من التيوس في الوبر وعن أنس رضي الله عنه رفعه إن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب وقال منصور الفقيه رحمه الله

شعر

منافسة فيما يزول • على نقصان همته دليل
ومختار القليل أقل منه • وكل مزايا الدنيا قليل

يقول الله عز وجل الحاسد عدو نعمتي متسخط لفعلي غير راض بقسمتي التي قسمت لعبادي

قال الشاعر

أيا حاسدا لي على نعمة • أتدري على من أسأت الأدب
أسأت على الله في حكمه • لأنك لم ترض لي ما وهب

وقال الأصمعي رحمه الله رأيت أعرابيا قد بلغ عمره مائة وعشرين سنة فقلت له ما أطول عمرك فقال تركت الحسد فبقيت وقالوا لا يخلو السيد من ودود يمدح وحسود يقدح وقال ابن مسعود رضي الله عنه لا تعادوا نعم الله قيل ومن يعادي نعم الله قال الذين يحسدون الناس وقيل لعبد الله بن عروة رحمه الله لم لزمت البدو وتركت قومك قال وهل بقي إلا حاسد على نعمة أو شامت على نكبة

قال الشاعر

يا طالب العيش في أمن وفي دعة • رغدا بلا قتر صفوا بلا رنق
خلص فؤادك من غل ومن حسد • فالغل في القلب مثل الغل في العنق

وقال آخر

اصبر على صبر الحسود • فإن صبرك قاتله

كالنار تأكل بعضها ان لم تجد ما تأكله

وفي نوابغ الكلم الحسد حسبك من تعلق به هلاك ولبعضهم بيت

اني حسدت فزاد الله في حسدي لا عاش من عاش يوما غير محسود

وقال نصر بن سفيان رحمه الله

اني نشأت وحسادي ذوو عدد يا ذا المعارج لا تنقص لهم عددا

ان يحسدوني على ما بي لما بهم فمثل ما بي يجلب الحسدا

وكان عمر رضي الله عنه يقول تعوذوا بالله من كل قدر واتقوا ارادة حاسد وقيل لرسطاليس رحمه الله ما بال الحسود اشد غما قال لانه اخذ بنصيبه من غموم الدنيا ويضاف الى ذلك غمه لسرور الناس والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

الباب الاربعون في

الشجاعة وثمرتها والحروب وتدبيرها

وفضل الجهاد وشدة الباس والتحريض على القتال

وفيه فصول

الفصل الاول في فضل الجهاد في سبيل الله وشدة الباس قد اثنى الله تعالى على الصابرين في الباساء والضراء وحين الباس ووصف المجاهدين فقال تعالى ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص وندب الى جهاد الاعداء ووعد عليه افضل الجزاء والراي في الحرب امام الشجاعة قال صلى الله عليه وسلم الحرب خدعة وقال صلى الله عليه وسلم ما من قطرة احب الى الله من قطرة دم في سبيل الله او قطرة دمع في جوف الليل من خشية الله وسمع رجلا عبد الله بن قيس رحمه الله يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الجنة تحت ظلال السيوف فقال يا ابا موسى انت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوله قال نعم فرجع الى اصحابه فقال اقرا عليكم السلام ثم كسر جفن سيفه فالقاه ثم مشى بسيفه الى العدو فضرب به حتى قتل وكتب ابو بكر الى خالد بن الوليد رضي الله عنهما اعلم ان عليك عيونا من الله ترعاك وتراك فاذا لقيت العدو فاحرص على الموت توهب لك السلامة ولا تغسل الشهداء من دمائهم فان دم الشهيد يكون له نورا يوم القيمة وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انتهينا الى خيبر الله اكبر خربت خيبر انا اذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين وعنه ايضا لغزوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها وعن ابن مسعود رضي الله عنه رفعه ان ارواح الشهداء في حواصل طيور خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت ثم تاوي الى تلك القناديل وقيل عن انس بن النضر عم انس بن مالك رضي الله عنهم انه لم يشهد بدرا فلم يزل متحسرا يقول اول مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه فلما كان يوم احد قال واها لريح الجنة دون احد فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضعا وثمانون بين ضربة وطعنة ورمية قالت اخته الربيع بنت النضر رحمها الله ما عرفنا اخي الا ببنانه وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه رفعه كل ميت يختم على عمله الا المرابط فانه ينمى له عمله الى يوم القيمة ويؤمن فتانا القبر وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه رفعه من سال الله الشهادة بصدق بلغه منازل الشهداء وان مات على فراشه نسال الله تعالى ان يرزقنا الشهادة ويجعلنا من الذين احسنوا فلهم الحسنى وزيادة وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم

الفصل الثاني في الشجاعة

وثمرتها والحروب وتدبيرها

اعلم ان الشجاعة عماد الفضائل ومن فقدها لم تكمل فيه فضيلة وبصرمها بالصبر وقوة النفس قال الحكماء رحمهم الله واصل الخير كله في ثبات القلب فالشجاعة عند اللقاء على ثلثة اوجه الاول رجل اذا التقى الجمعان وتزاحف العسكران وتكالحت الاحداق بالاحداق برز من الصف الى وسط المعترك يحمل ويكر وينادي هل من مبارز الثاني اذا انتشب القوم واختلطوا ولم يدر احد من اين ياتيه الموت يكون رابط الجاش ساكن القلب حاضر اللب لم يخالطه الدهش ولا تاخذه الحيرة فيتقلب تقلب المالك لاموره القائم على نفسه والثالث اذا انهزم اصحابه يلزم الساقة ويضرب في وجوه القوم ويحول بينهم وبين عدوهم فيقوي قلوب اصحابه ويرجي الضعيف ويمدهم بالكلام الجميل ويشجع نفوسهم فمن وقع اقامه ومن وقف حمله ومن كبا به فرسه حماه حتى ييأس العدو منهم وهذا احمدهم الكريم الدفاع عن الحريم وحكى سيدي ابو بكر الطرطوشي رحمه الله في كتابه سراج الملوك قال كان شيوخ الجند يحكون انا في بلاد قد توادرت حربا بين المسلمين والكفار ثم افترقوا فوجدوا في المعترك قطعة خوذة قدر الثلث بما حوته من الراس فقالوا انه لم ير قط ضربة اقوى منها ولم يسمع بمثلها في جاهلية ولا اسلام فحملها الروم وعلقوها في كنيسة لهم فكانوا اذا عيروا بانهزامهم يقولون لقينا اقواما هذا ضربهم فترحل ابطال الروم اليها ليروها قالوا من الحزم ان لا يحتقر الرجل عدوه وان كان خاملا ولا يغفل عنه وان كان حقيرا فكم برغوث اسهر فيلا ومنع الرقاد ملكا جليلا قال الشاعر

لا تحقرن عدوا رماك وان كان في ساعديه القصر

فان السيوف تحز الرقاب وتعجز عما تنال الابر

واعلموا ان الناس قد وضعوا في تدبير الحروب كتبا ورتبوا فيه ترتيبا وصنفوا فيه اشيا ونبدا منها ولا بما ذكر الله تعالى في القرآن فقال تعالى واعدوا لهم ما استطعتم

من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم فقوله ما استطعتم
مشتمل على كل ما في مقدور البشر من الحيل والآلة والحيلة وفسّر النبي صلى الله عليه
وسلم القوة حين مر على أناس يرمون فقال الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي
ألا ان القوة الرمي وافضل العدة ان تقدم بين يدي اللقاء عملا صالحا من صدقة
وصيام ورد مظالم وصلة رحم ودعا مخلص وامر بمعروف ونهي عن منكر وامثال ذلك
والشان كل الشان في استجادة القواد وانتخاب الامراء واصحاب الالوية فقد قالت
حكام العجم اسد يقود الف ثعلب خير من ثعلب يقود الف اسد فلا ينبغي ان يقدم على
الجيش الا الرجل ذو البسالة والنجدة والشجاعة والجراة ثابت الجاش جازم القلب
صادق الباس ممن قد توسط الحروب ومارس الرجال ومارسوه ونازل الاقران
ونازع الابطال عارفا بمواضع الفرص خبيرا بمواضع القلب والميمنة والميسرة
من الحروب فانه اذا كان كذلك وصدر الكل عن رايه كان نواجيهم كانهم مثله فان
راى لقوائم الكتائب وجها والا رد الغنم الى الربضة واعلم ان الحرب خدعة عند
جميع العقلاء وكان عظماء الترك يقولون ينبغي للعاقل العظيم الشان ان يكون فيه
عشرة اخلاق من اخلاق البهائم شجاعة الديك وبحث الدجاجة وقلب الاسد وحملة
الخنزير وروغان الثعلب وصبر الكلب على الجراح وحراسة الكركي وغارة الذيب
وسمن بعير وهي دوبة تكون بخراسان تسمن على التعب والشقا وكان يقال
اشد خلق الله عشرة فاشد خلق الله تعالى الجبال والحديد ينحت الجبال والنار تاكل
الحديد والما يطفي النار والسحاب يحمل الما والريح يصرف الما والانسان يتقي بجناحيه
والسكر يصرع الانسان والنوم يذهب السكر والهم يمنع النوم فاشد خلق ربك الهم
اللهم انا نعوذ بك من الهم والحزن ومن الحيل في الحرب ان يبعث جواسيسه في عسكر
عدوه ليستعلم اخباره ويستميل روساهم وذوي الشجاعة منهم فيدس اليهم ويعدهم
وعدا جميلا ويقوي اطماعهم في نيل ما عنده من الهبات المفخمة والولايات السنية وان
راى وجها عاجلهم بالهدايا وسالهم اما الغدر بصاحبهم واما اعتزاله وقت اللقا
ويكتب على السهام اخبارا مزورة ويرمي بها في جيوشهم واعلم بان الحيلة لا ترد
القضا والقدر وان الدول اذا زالت صارت حيلها وبالا عليها واذا اذن الله تعالى في
نزول البلا كانت الآفة في الحيلة وقالت الحكما اذا نزل القضا كان العطب في الحيلة
ويغلب الضعيف باقبال دولته كما يغلب القوي بقيا مدته فمن الحزم المالوف
عند سواس الحروب ان يكون حماة الرجال وحماة الابطال في القلب فانه اذا انكسر
الجناحان كانت العيون ناظرة الى القلب فاذا راياته تخفق وطبوله تضرب كان

حصنا

حصنا ماوى اليه كل منهزم واذا انكسر القلب تمزق الجناحان مثال ذلك
ان الطاير اذا انكسر احد جناحيه يرجى عوده ولو لم يجد جبر لكسر وان انكسر الراس
ذهب الجناحان وكل عسكر انكسر قلبه فافلح او تراجع اللهم الا ان يكون مكيدة من صاحب
الجيش فيخلي القلب عمدا وقصدا حتى اذا توسطه العدو واشتغل بنهبه اطبقت عليه
الجناحان فقد فعل ذلك رجال من اهل الحروب ويقال حبيب الى عدوك الفرار بان لا تتبعهم
اذا انهزموا ويقال الشجاع محبب حتى الى عدوه والجبان مبغض حتى الى امه ولما اقبل
كسرى بن هرمز لمحاربة بهرام وقال له حاجبه اما تستعد قال عدتي ثبات قلبي واصابة
رايي ونصل سيفي ونصرة خالقي وخرج يزيد بن عبد الملك في بعض مقاصيره وعليه
درع وذلك في ايام قتال يزيد بن المهلب فانشده سلمة قول الحطيئة بيت

قوم اذا حاربوا شدوا مآزرهم ۞ دون النسا ولو باتت باطهار

فقال يزيد اما ذلك اذا حاربنا كفانا فاما مثل هذا ونظائره فلا فقال له سلمة وقبل
بين عينيه ولما ماتت ملوك الفرس اراد وان يملكوا عليهم رجلا من آل ساسان
فوفد عليهم بهرام بن جور فقال اعمدوا الى اسدين جائعين واطرحوا بينهما التاج فمن
اخذه فهو الملك ففعلوا فدنا منهما فاهويا نحوه ووضعه على راسه وملكته الفرس
وقيل لم يكن في العجم اذهى من الملك بهرام رحمه الله خرج يتصيد يوما وهو مردف له
حظية يعشقها فعرضت له ظبا فقال لها في اي موضع تريدين ان اضع السهم قالت
اريد ان تشبه ذكرانها باناثها واناثها بالذكور فرمى ظبيا ذكرا بنشابة ذات
شعبتين فاقتلع قرنيه ورمى ظبية بنشابتين اثبتهما في موضع القرنين ثم
سالته ان يجمع بين ظلف الظبي واذنه بنشابة فرمى اصل الاذن ببندقة فلما هوى الظبي
بيده الى اذنه ليحتك رماه بنشابة فوصل اذنه بظلفه ومن اعظم المكايد في الحرب
الكمنا وذلك ان الفارس لا يزال في الوقاع وحمي الدما حتى يلتفت فيرى وراءه بندا
منشورا ويسمع صوت الطبول فحينئذ همته خلاص نفسه وعليك بانتخاب الفرسان
واختبار الابطال ولا تنس قول الشاعر حيث قال بيت

والناس الف منهم كواحد ۞ والواحد كالالف ان امر عنا

بل جربوا ذلك فوجد الواحد خير من عشرة آلاف وساحكي لك في ذلك ما ترى فيه العجب
فمن ذلك لما التقى المستعين بن هود مع الطاغية بن ردمير النصراني على مدينة وشقة
من ثغور بلاد الاندلس وكان العسكران كالمتكافئين كل واحد منهما يقارب عشرين الف
خيل ورجل فحدث من حضر الوقعة من الاجناد قال لما التقى العسكران قال الطاغية
بن ردمير لمن يثق بعقله وممارسته للحروب من اجناده استعمل لي في عسكر المسلمين من

الشجعان الذين تعرفهم كما يعرفوننا ومن غاب منهم أو حضر فذهب ثم رجع فقال
فيهم فلان وفلان فعدّ سبعة رجال ثم قال انظر من في عسكرك من الرجال
المعروفين بالشجاعة ومن غاب منهم فعدّهم فوجدهم ثمانية رجال لا يزيدون فقام الطاغية
ضاحكا مسرورا وهو يقول يا ساعة من يوم ثم ناشب الحرب بينهم فلم تزل المصابرة
بين الفريقين لم يول أحدهم دبره ولا تزحزح عن مقامه حتى فني أكثر العسكرين ولم يبق
واحد منهم قال فلما كان وقت العصر نظروا إلينا ساعة ثم حملوا علينا حملة وداخلونا
مداخلة فخرقوا أبنيتنا ومروا بين سطرين وحالوا بيننا وبين أصحابنا وكان ذلك سبب
وهننا وضعفنا ولم تقم الحرب إلا ساعة ونحن في خسارة معهم فأشار مقدم العسكر
على السلطان أن ينجو بنفسه وانكسر عسكر المسلمين وتفرق جمعهم وملك العدو مدينتهم
فالمعتبر والحزم والبصيرة من جمع يحتوي على أربعين ألف مقاتل ولم يحضر من
الشجعان المعدودين إلا خمسة عشر نفرا وليختبر بفقدان العلج واستئناسا بالظفر
وبالغنيمة لما زاد في أبطاله رجل واحد وحكى سيدي أبو بكر الطرطوشي رحمه الله
قال سمعت أستاذنا القاضي أبو الوليد رحمه الله يحكي قال بينما المنصور بن عامر
رحمه الله في غزواته إذ وقف على نشز من الأرض عال مرتفع فرأى جيوش المسلمين من بين يديه
ومن خلفه وعن يمينه وعن يساره قد ملؤوا السهل والجبل فالتفت إلى مقدم العسكر وهو
رجل يعرف بابن المصحفي فقال كيف ترى هذا العسكر أيها الوزير فقال أرى جمعا كثيرا
وجيشا واسعا فقال له المنصور ترى هل يكون في هذا الجيش ألف مقاتل قال لا
فتعجب المنصور وقال فهل فيهم خمسمائة مقاتل من الأبطال المعدودين قال لا
فحنق المنصور ثم قال فهل فيهم مائة رجل من الأبطال قال لا قال فهل فيهم خمسين رجلا
من الأبطال قال لا قال فسبّه المنصور وأغلظ عليه وأمر به فأخرج على أسوء حال
فلما توسطوا بلاد الروم اجتمعت الروم وتصاف العسكران فبرز علج من الروم
بين الصفين شاك في السلاح وجعل يكر ويفر ويقول هل من مبارز فبرز إليه رجل
من المسلمين فتجاولا ساعة ثم قتله العلج فصاح المشركون وذل المسلمون وكادت
أن تكون كسرة فقيل للمنصور ما لها إلا ابن المصحفي فبعث إليه فحضر فقال له المنصور
ألا ترى إلى ما يصنع هذا العلج الكلب منذ اليوم فقال قد رأيته فما الذي تريد
قال أن تكفي المسلمين شره قال الآن تكفى المسلمين شره إن شاء الله تعالى ثم قصد إلى رجال
يعرفهم من أهل الثغور فاستقبل رجل منهم على فرس قد هزلت أوراكها هزالا وهو حامل
قربة ماء بين يديه على الفرس والرجل في جنب ونفسه غير متصنع فقال له ابن المصحفي
ألا ترى ما يصنع هذا العلج منذ اليوم قال قد رأيته فما الذي تريد قال أريد أن تكفي

بلغ

المسلمين

المسلمين شره قال حبا وكرامة ثم إنه وضع القربة بالأرض وبرز إليه غير مكترث به
فتجاولا ساعة فلم ير الناس إلا المسلم خارجا إليهم يركض ولا يدرون ما هنالك وإذا رأس
العلج يلعب بها في يده ثم ألقاها بين يدي المنصور فقال له ابن المصحفي عن هؤلاء الرجال
أخبرتك قال فرد ابن المصحفي إلى منزلته وأكرمه ونصر الله جيوش المسلمين وعساكر الموحدين
وحكي أنه كان للعرب فارس يقال له ابن فتحون وكان أشجع العرب والعجم في زمانه
فكان المستعين بن هود يكرمه ويعظمه ويجري له في كل عطية خمسمائة دينار وكانت
جيوش الكفار تهابه وتعرف منه الشجاعة وتخشى لقاءه فيحكى أن الرومي كان إذا
أسقى فرسه ولم تشرب يقول له ويلك لم لا تشرب هل رأيت ابن فتحون في الماء
فحسده نظراؤه على كثرة العطاء ومنزلته من السلطان فوشوا به عند المستعين
فأبعده ومنعه من عطائه ثم إن المستعين رحمه الله أنشأ غزوة إلى بلاد الروم
فتقابل المسلمون والمشركون صفوفا ثم برز علج إلى وسط الميدان ونادى هل من
مبارز فبرز إليه فارس من المسلمين فتجاولا ساعة فقتله الرومي فصاح المشركون سرورا
وانكسرت نفوس المسلمين وجعل الرومي يكر بين الصفين على فرسه ويقول اثنان
لواحد فخرج إليه فارس من المسلمين فقتله الرومي فصاح المشركون سرورا وانكسرت
نفوس المسلمين وجعل الرومي الكلب يجول بين الصفين وينادي ثلاثة لواحد
فلم يستجر أحد من المسلمين أن يخرج إليه وبقي الناس في حيرة فقيل للسلطان ما لها
إلا أبو الوليد بن فتحون فدعاه وتلطف به وقال له يا أبا الوليد ألا ترى إلى ما
يصنع هذا العلج فقال ها هو بعيني فقال فما الحيلة فيه قال الساعة أكفي المسلمين
شره فلبس قميص كتان واستوى على سرجه بلا سلاح وأخذ بيده سوطا طويل الطرف
وفي طرفه عقدة معقودة ثم برز إليه فعجب منه النصراني ثم حمل كل منهما على صاحبه
فلم تخط طعنة النصراني سرج ابن فتحون وإذا ابن فتحون متعلق برقبة الفرس ونزل
إلى الأرض لا شيء معه في السرج ثم انقلب في سرجه وحمل على العلج وضربه بالسوط
فالتوى على عنقه فجذبه بيده من السرج فاقتلعه وجاء به يجره حتى ألقاه بين يدي
المستعين فعلم الوليد أنه كان أخطأ في صنعه مع أبي الوليد بن فتحون فاعتذر إليه
وأكرمه وأحسن إليه وبالغ في الإنعام عليه ورده إلى أحسن أحواله وكان من أعز الناس
عليه وينبغي لقائد الجيش أن يخفي العلامة التي هو مشهور بها فإن عدوه قد استعلم حليته
وألوان جمله ورايته ولا يلزم خيمة لا ليلا ولا نهارا وليبدل زيه ويغير فرسه خارج
عسكره فإن عيون عدوه متجسسة عليه وبهذا الوجه كسر المسلمون جيوش إفرنجة
عند فتحها وذلك أن الحرب سكنت في وسط النهار فخرج مقدم عسكرهم يتمشى خارج عسكره

عساكر المسلمين فجا الخبر الى عبد الله بن ابي العرج وهو نايم في قبته فخرج فيمن وثق به من
رجاله وحمل علي العدو وقتل الملك وكان الفتح في ذلك وقيل هذا تم الب ارسلان ملك
الترك ملك الروم وقتله وقبض رجاله واباد جمعه وكانت الروم قد جمعت جيوشا لم تقدر
ان يجمع لمن بعدهم مثلها وكان مبلغ عددهم ستماية الف مقاتل كتايب متواصلة وعساكر
مترادفة وكراديس يتلو بعضها بعضا لا يدركهم الطرف ولا يحصيهم العدد وقد استعدوا
من الكراع والسلاح والمجانيق والالات المعدة للحروب وفتح الحصون وكانوا قد قسموا
بلاد المسلمين الشام والعراق ومصر وخراسان وديار بكر ولم يشكوا ان الدولة قد
دارت لهم وان نجوم السعود قد خدمتهم ثم استقبلوا بلاد المسلمين واضطربت
لها ممالك اهل الاسلام فاحتشد للقايهم الملك الب ارسلان وهو الذي يسمى
الملك العادل وجمع جموعه بمدينة اصبهان واستعد بما قدر ثم خرج يؤمهم
فلم يزل العسكران يتدانيان الى ان عارت طلايع المسلمين الى المسلمين وقالوا للب ارسلان
غدا يترأى الجمعان فبات المسلمون ليلة الجمعة والروم في عدد لا يحصيهم الا الذي خلقهم
وما لهم في المسلمين الا اكلة جايع فبقي المسلمون راجعون لما دهمهم فلما اصبحوا صباح
يوم الجمعة نظر بعضهم الى بعض فهال المسلمون ما راوا من كثرة العدو فامر
الب ارسلان ان يعد المسلمون فبلغوا اثني عشر الفا وكانوا كالشامة البيضا في الثور
الاسود فجمع ذوي الراي من اهل الحرب والتدبير والشفقة علي المسلمين والنظر في
العواقب واستشارهم في استخلاص صوب الراي فتشاوروا برهة ثم اجمع رايهم
علي اللقا فتوادع القوم وتحالفوا وناصحوا الاسلام واهله وتاهبوا اهبة اللقا
وقالوا للب ارسلان بسم الله نحمل علي القوم فقال لهم الب ارسلان يا معشر اهل الاسلام
امهلوا فان هذا يوم جمعة والمسلمون يخطبون علي المنابر ويدعون لنا في شرق
البلاد وغربها فاذا زالت الشمس وعلمنا ان المسلمين قد صلوا ودعوا الله ان ينصر
دينه حملنا عليهم اذ ذاك وكان الب ارسلان قد عرف خيمة ملك الروم وعلامته
وزينته وفرسه ثم قال لرجاله لا يتخلف احدكم ان يفعل كفعلي ويتبع امري ويضرب
بسيفه ويضرب بسهمه حيث اضرب بسيفي وارمي بسهمي ثم حمل برجاله حملة رجل واحد
الى خيمة ملك الروم فقتلوا من كان دونها ووصلوا الى الملك فقتلوا من كان دونه
وجعلوا ينادون بلسان الروم قد قتل الملك فسمعت الروم ان ملكهم قد قتل
فتبددوا وتمزقوا كل ممزق وعمل السيف فيهم ايام واخذ المسلمون اموالهم وغنايمهم
واتوا بالملك اسيرا بين يدي الب ارسلان والحبل في عنقه فقال الب ارسلان
ماذا كنت تصنع بي لو اسرتني قال وهل تشك انني اقتلك فقال له الب ارسلان

انت اقل في عيني من ان اقتلك فاذهبوا به فبيعوه لمن يزيد فيه فكان يقاد
والحبل في عنقه وينادي عليه من يشتري ملك الروم وما زالوا كذلك يطوفون به
علي الخيام ومنازل المسلمين وينادون عليه بالدراهم والفلوس فلم يدفع احد فيه
شيا حتي باعوه من انسان بكلب فاخذ الذي ينادي عليه واخذ الكلب واتى الى الب ارسلان
وقال قد طفت به جميع العسكر وناديت عليه فلم يبذل احد فيه شيا سوى رجل
واحد دفع فيه هذا الكلب فقال قد انصفك ان الكلب خير منه ثم امر بعد ذلك
بالطلاقه وذهب الى قسطنطينية فعزلته الروم واكحلته بالنار فانظر ماذا
يأتي علي الملوك اذا اعرضوا في الحروب من الحيلة والمكيدة اللهم انصر جيوش المسلمين
وعساكر الموحدين واهلك الكفرة والمشركين وانصر المسلمين نصرا عزيزا برحمتك
يا ارحم الراحمين وصلى الله علي سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

الباب الحادي والاربعون
في اسما الشجعان وابطال العرب وذكر طبقاتهم
وذكر الجبنا واخبارهم وما اشبه ذلك

الطبقة الاولى الذين ادركوا الجاهلية والاسلام حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه
عم النبي صلى الله عليه وسلم اسد الله واسد رسوله قتل في غزوة احد رماه وحشي مولى
جبير بن مطعم بحربة فقتله وكان فارس قريش غير مدافع وبطلها غير ممانع وعظم قتله
علي النبي صلى الله عليه وسلم ونذر ان يقتل به سبعين رجلا من قريش وكبر عليه في الصلوة
سبعين تكبيرة وامير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه اية من ايات رسول الله
صلى الله عليه وسلم ومعجزة من معجزاته مويد بالتاييد الالهي كاشف الكروب ومجليها
وموطد قواعد الاسلام ومرسيها وهو المقدم علي ذوي الشجاعة كلهم بلا مرية
ولا خلاف روي عنه رضي الله انه قال والذي نفس ابي طالب بيده لالف ضربة بالسيف
اهون من موت علي فراش وقال بعض العرب ما لقينا كتيبة فيها علي بن ابي طالب
الا اوصى بعضنا علي بعض وقال رضي الله عنه لمعاوية قد دعوت الناس الى الحرب
فدع الناس جانبا واخرج الي ليعلم ايُّنا المرين علي قلبه والمغطى علي بصره وانا ابو الحسن
قاتل جدك وخالك واخيك شدخا يوم بدر وذلك السيف معي وبذلك القلب
الذي عدوك وقيل له رضي الله عنه ان جالت الخيل فاين نطلبك قال حيث تركتموني وقيل
له كيف صرت تقتل الابطال فقال لاني كنت القى الرجل فاقدر اني اقتله ويقدر هو
اني اقتله فاكون انا ونفسه عونين عليه وقال مصعب بن الزبير كان علي رضي الله
عنه حذرا في الحروب شديد الروغان من قرنه لا يكاد احد يتمكن منه وكان درعه

صَدرًا الا طهرلها فقيل له الا تخاف ان تؤتى من قبل طهرك فقال اذا امكنه
عدوى من طهرى فلا ابقى الله عليه ان ابقى على فقتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي
لعنه الله غدرا وهو في صلوة الصبح **وسبب ذلك** ان عبد الرحمن بن ملجم تزوج بقطام
بنت علقمة وكانت خارجية فقالت لا اقنع الا بصداق اسميه وهو ثلثة آلاف درهم
وعبد وامة وان تقتل عليا فقال لها لك ما سالت الا عليا وكيف لي به قالت تغتاله
فان سلمت ارحت الناس من شره وانتفعت مع اهلك وان اصبت دخلت الجنة فقال

شعر

ثلثة آلاف وعبد وقينة ۞ وضرب علي بالحسام المجذم
فلا مهر اغلى من علي وان علا ۞ ولا فتك الا دون فتك ابن ملجم

قيل انه طعنه وهو داخل المسجد في الغلس وذلك في تاسع عشر شهر رمضان سنة
اربعين وكفن رضي الله عنه في ثلثة اثواب في الرحبة مما يلي ابواب كندة من ابواب
المسجد ولما ضربه ابن ملجم لعنه الله ثار الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر رضي الله عنهم
فاخذوه وقال المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب فاخذه فاومى علي رضي
الله عنه الى المغيرة ان صل بالناس فصلى بهم الفجر واقبلت همدان فدخلت على علي
رضي الله عنه فقالوا يا امير المؤمنين لا تقوم له قائمة ان شا الله تعالى فقال لا
تفعلوا الا النفس بالنفس **ثم** ان الحسن رضي الله عنه صلى الفجر فصعد المنبر فاراد
الكلام فخنقته العبرة ثم نطق فقال الحمد لله على ما احببنا وكرهنا واشهد
ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم
فانها اعظم المصايب والذي لا اله الا هو الذي انزل على عبده الفرقان لقد قبض
هذه الليلة رجل ما سبقه الاولون بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدركه
الآخرون فعند ذلك نحتسب ما دخل علينا وعلى جميع العباد والبلاد والشجر
والدواب ولقد قبض رضي الله عنه في الليلة التي رفع فيها عيسى بن مريم عليه السلام
في السما وقبض فيها موسى بن عمران عليه السلام وقبض فيها يوشع بن نون عليه السلام
وانزل فيها القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم **ولقد** كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يبعثه في السرية ويسير جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره فما يرجع حتى يفتح الله عز
وجل على يديه وما ترك صفرا ولا بيضا الا سبعماية درهم اراد ان يبتاع بها خادما
لاهله الا ان امر الله تعالى يجري على احوالها فاحسنها من الله عز وجل واشرها من
انفسكم الا ان قريشا اعطت ازمتها شياطينها فقادتها باعنتها الى النار **فمنهم**
من قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اظهره الله تعالى **ومنهم** من اسر الضغينة حتى

وجد على النفاق اعوانا رفع الكتاب وجفا القلم وامور تقضى في كتاب قد خلا ثم اطرق
الحسن فبكى الناس بكا شديدا ثم نزل فجرد سيفه ودعى بابن ملجم فاقبل يخطر واضحا قد
شخص على اذنيه حتى قام بين يديه فقال يا حسن اني ما عاهدت الله عز وجل على عهد الا
وفيت به عاهدته ان اقتل اباك وقد قتلته فان خليتني اقتل معاوية فان افلت
اضع يدي في يدك وان اقتل فهو الذي تريد فقال الحسن رضي الله عنه اما والله لا سبيل
الى بقائك ثم قام اليه فضربه بالسيف فتلقاه ابن ملجم بيده ثم اسرع السيف فقتله
ومن الابطال خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومي رضي الله عنه سيف الله وسيف
رسوله بطل مذكور وفارس مشهور في الجاهلية والاسلام قتل مالك بن نويرة وقتل بعضهم
رضي الله عنه مسيلمة لعنه الله وكان الفتح لخالد يوم اليمامة وهو الذي فتح دمشق واكثر
بلاد الشام وله وقايع عظيمة في الروم ايد الله به الاسلام مات على فراشه وكان يقول
لقد شهدت كذا كذا زحفا وما في جسدي موضع شبر الا وفيه اثر من ضربة او طعنة او
رمية وها انا اموت على فراشي لا نامت عين الجبان وكان رضي الله عنه ينشد ويرتجز

شعر

لا ترهبونا بالسيوف المبرقه ۞ ان السهام بالردي محرقه
والجزور رس العقال مطلقه ۞ وخالد من دينه على ثقه

الزبير بن العوام رضي الله عنه من حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته
بطل شجاع لا يماري وسهم لا يجاري قتله عمرو بن جرموز اغتيالا وهو في الصلوة
عمرو بن معدي كرب الزبيدي رضي الله عنه فارس من فرسان الجاهلية وله مواقف
مذكورة اسلم ثم ارتد وعاد الى الاسلام وشهد حروب الفرس وكان له فيها افعال
عظيمة واحوال جسيمة وكان امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا راه
قال الحمد لله خلقنا وخلق عمرا **وروي** انه صلى الله عليه وسلم سأله يوما فقال يا عمرو
اي السلاح افضل في الحرب قال فعن ايها تسأل قال فما تقول في السهام قال منها ما
يخطي ويصيب قال فما تقول في الرمح قال اخوك وربما خانك قال فما تقول في الترس
قال هو الدرة وعليه تدور الدوائر قال فما تقول في السيف قال ذاك العدة عند
الشدة **وقيل** انه نزل يوم القادسية على النهر فقال لاصحابه اني عابر على الجسر فان
اسرعتم مقدار جزر الجزور وجدتموني وسيفي بيدي اقاتل به تلقا وجهي وقد عرفني القوم
وانا قايم بينهم وان ابطأتم وجدتموني قتيلا بينهم ثم انغمس فحمل على القوم فقال بعضهم
لبعض يا بني زبيد علام تدعون صاحبكم والله ما نظن ان تدركوه حيا فحملوا فانتهوا
اليه وقد صرع عن فرسه وقد اخذ برجل فرس رجل من العجم فامسكها والفارس يضرب

فرسه فما بعد ان يجول فلما ادركاه رمي الرجل بنفسه وخلى فرسه فركبه عمرو وقال
انا ابو ثور كدتم والله تفقدونني فقالوا اين فرسك فقال رمي بنشابة فقام وشبت
فصرعني ويروى ان عمرو بن معدي كرب حمل يوم القادسية على رستم وهو الذي كان
قدمه يزدجرد ملك الفرس يوم القادسية على قتال المسلمين واستقبل عمرو وكان
رستم على فيل فضرب عمرو الفيل فقطع عرقوبه وسقط رستم وسقط الفيل عليه
مع خرج كان فيه اربعون الف دينار فقتل رستم وانهزمت العجم وقتل عمار ونهاوند
في وقعة الفرس بعد ان عمر حتى ضعف وكان من الشم المحدودين وفيه يقول
العباس بن مرداس رحمه الله

بيت

اذا مات عمرو قلت للخيل اوطئي زبيدا فقد اودى بنجدتها عمرو

طلحة الاسدي رحمه الله من اكبر الشجعان جاهلية واسلاما ثم ارتد وتنبا وجمع
جمعا عظيما فقتل خالد بن الوليد جمعه وكان منهكين ثم عاد الى الاسلام وشهد حرب
القادسية وغيرها من الفتوح المقداد بن الاسود رضي الله عنه كان من اشجع
الفرسان شديد الباس قوي الجنان رابط الجاش وله في الشجعان اسم مشهور
ووصف مذكور يعجز الواصف عن وصف صفاته رضي الله عنه وارضاه سعد بن
ابي وقاص رضي الله عنه الزهري كان فارسا بطلا راميا وهو اول من رمى في سبيل
الله تعالى ولما قتل عثمان رحمه الله اعتزل ولم يشهد الحرب بعده ومات حتف انفه
ابو دجانة الانصاري رحمه الله الذي خرج يتبختر بين الصفين فقال انها لمشية
يبغضها الله تعالى الا في هذا الموضع المثنى بن حارثة الشيباني رحمه الله هو اول
من فتح حرب الفرس ابو عبيد بن مسعود الثقفي رحمه الله قاتل القوم يوم قس الناطف
في حرب القادسية عمار بن ياسر رضي الله عنه صاحب رسول الله عليه السلام
الذي قال فيه صلى الله عليه وسلم الحق يدور مع عمار حيث دار واخبر عليه السلام
انه تقتله الفئة الباغية قتل بصفين مع علي رضي الله عنه هاشم بن عتبة رحمه الله
من اكابر الشجعان صاحب راية علي رضي الله عنه بصفين مالك بن حارث النخعي
الاشتر مات مسموما في شربة من عسل فقال معاوية ان لله جنودا منها العسل
القعقاع بن عمرو رحمه الله طاعن الفيل في عشية القادسية رضي الله عنهم اجمعين

الطبقة الثانية

عبد الله بن الزبير بن العوام رحمه الله قاتل جرجير ملك افريقية الذي كان يرى
انه اشجع اهل عصره قال عمر بن عبد العزيز لابن ابي مليكة صف لي عبد الله بن
الزبير فقال والله ما رأيت جلدا قط ركب على لحم ولا لحما على عصب ولا عصبا على

عظم مثل جلده ولحمه وعصبه ولا رأيت نفسا بين جنبين مثل نفس ركبت بين
جنبيه ولقد قام يوما الى الصلوة فمر حجر من حجارة المنجنيق بين لحيته وصدره
فوالله ما خشع لها بصره ولا قطع لها قراءته ولا ركع دون الركوع الذي كان يركع
قتله الحجاج بعد ان حصر مكة واسلمه اصحابه وعشيرته وصلبه الحجاج الا الى الله
تصير الامور ابو هاشم محمد بن علي بن ابي طالب بن الحنفية رحمه الله كان ابوه يلقيه
في الوقائع ويتقي به العظائم وكان شديد الباس ثابت الجنان قيل له يوما ما بال
امير المؤمنين علي كرم الله وجهه يقحمك الحروب دون الحسن والحسين قال لانهما كانا
عينيه وكنت يديه فكان يقي عينيه بيديه وقيل ان اباه عليا رضي الله عنه اشترى
درعا فاستطالها فاراد ان يقطع منها فقال له محمد يا ابت علم موضع القطع فعلم
على موضع منها فقبض محمد بيده اليمنى على ذيلها وبالاخرى على موضع العلامة
ثم جذبها فقطعها من الموضع الذي حده ابوه وكان عبد الله بن الزبير مع تقدمه
في الشجاعة يحسده على قوته واذا حدث بهذا الحديث غضب مات حتف انفه
منتحيا رضوى عبد الله بن خازم والي خراسان رحمه الله شجيع مضر وفارسها
في عصره قتله وكيع بن ابي سود بخراسان في الفتنة وكيع بن ابي سويد قاتل
عبد الله بن خازم المتقدم ذكره شجاع فاتك اهوج ولي خراسان لما قتل عبد الله بن
خازم ولم يتم امره لهوجه مات حتف انفه مصعب بن الزبير بن العوام شجاع بطل
جواد جاد بماله وبنفسه قتله عبيد الله بن زياد في الحرب التي كانت بينهم وبين
قيس مسلمة بن عبد الملك بن مروان رحمه الله فحل بني امية وفارسها ووالي حروبها
قيل انه جلس يوما ليقضي بين الناس بعمرو كلمته امراة فلم يقبل عليها فقالت ما رأيت
اقل حيا منك قط فكشف عن ساقه فاذا فيه اثر تسع طعنات فقال هل ترين اثر
هذا الطعن فوالله لو اخرت رجلي قيد شبر ما اصابتني واحدة منهن وما منعني عن
تاخيرها الا الحيا وانت تعلميني قلة الحيا المعتصم رحمه الله بطل شجاع فارس صنديد لم
يكن في بني العباس اشجع منه ولا اشد قلبا قال ابن ابي داود وكان المعتصم يقول لي
يا ابا عبد الله عض ساعدي باكثر قوتك فقال والله يا امير المؤمنين ما تطيب نفسي
بذلك فيقول انه لا يضرني فاروم ذلك فاذا هو لا تعمل فيه الاسنة فكيف الاسنان
ويقال انه طعنه بعض الخوارج وعليه درع فاقام المعتصم ظهره فقصم الرمح نصفين
وكان يشد يده على كتابة الدنانير فيمحوها وياخذ العامود الحديد فيلويه حتى يصير طوقا
في العنق ابراهيم بن الاشتر النخعي رحمه الله كان من الشجعان المحدودين حارب عبيد الله
بن زياد وهو في اربعة الاف وعبيد الله في سبعين الف فظفر به وقتله بيده وهزم جيشه

عبيد الله بن الحر الجعفي رحمه الله شجاع شاعر فاتك وله وقايع عظيمة هايلة واخبار في
الشجاعة مشهورة جحدر بن ربيعة العكلي رحمه الله كان بطلا شجاعا فاتكا معتبرا شاعرا
قد اهل اليمامة واباد هم فبلغ ذلك الحجاج بن يوسف فكتب الى عامله يوبخه لتغافله عن جحدر
به وبامره بالتجرد له حتى يقتله او يحمله اليه اسيرا فوجه العامل اليه فتية من بني حنظلة
وجعل لهم جعلا عظيما ان هم قتلوا جحدرا او اتوا به اسيرا فتوجه الفتية في طلبه حتى اذا كانوا
قريبا منه ارسلوا يقولون له انهم يريدون الانقطاع اليه والارتفاع به فوثق بهم
وسكن الى قولهم فبينما هو معهم يوما اذ وثبوا عليه فشدوه وثاقا وقدموا به الى العامل
فوجه به معهم الى الحجاج فلما قدموا به ومثل بين يديه قال له انت جحدر قال نعم اصلح
الله الامير كلب الزمان وجفوة السلطان وجراة الجنان قال وما بلغ من امرك قال
لو ابتلاني الامير وسلني مع الفرسان لراى مني ما يعجبه فعجب الحجاج من ثبات جنانه ومنطقه
ثم قال يا جحدر اني قاذف بك في حاير فيه اسد عظيم فان قتلك كفانا مؤنتك وان
قتلته عفونا عنك قال اصلح الله الامير قرب الفرج ان شا الله تعالى فامر به فصفد
بالحديد ثم كتب الى عامله ان يرتاد له اسدا ويحمله اليه فحصل العامل وارتاد له اسدا
كاسرا خبيثا قد افنى عامة المواشي فجعلوا حتى اخذوه وصيروه في تابوت وسحبوه
على عجل حتى قدموا به على الحجاج فامر به فالقي في الحاير ولم يطعم شي ثلثة ايام حتى جاع واستكلب
ثم امر بجحدر ان ينزلوه اليه فاعطوه سيفا وانزلوه اليه مقيدا واشرف الحجاج والناس
حوله ينظرون الى الاسد ما هو صانع بجحدر فلما نظر الاسد الى جحدر نفض ووثب وتمطى
وزعق زعقة دوى منها الجبال وارتاعت اهل الارض فشد عليه جحدر وهو يقول

شعر

ليث وليث في مجال ضنك • كلاهما ذا قوة وسفك
وصولة وبطشة وفتك • ان يكشف الله قناع الشك
فانت لي في قبضتي وملكي

ثم دنا منه فضربه بسيفه فلق هامته فكبر الناس واعجب ذلك الحجاج وقال لله درك
ما انجدك ثم امر به فاخرج من الحاير وفك عنه قيوده وقال له اختر اما ان تقيم عندنا
فنكرمك ونقرب منزلتك واما ان ناذن لك فتلحق ببلادك على ان تضمن لنا ان لا تحدث بها
حدثا ولا توذي احدا قال بل اختار صحبتك ايها الامير فجعله من سماره وخواصه ثم لم يلبث
ان ولاه على اليمامة وكان من امره ما كان المهلب بن ابي صفرة رحمه الله كان من الشجعان
والابطال الا ان المغيرة رحمه الله كان اشد عنفا وكان المهلب يقول ما شهد معي حربا الا
رايت البشرى في وجهه وحل يوما بحراها بسيفه وقال المهلب رحمه الله اشجع الناس

حكاية غريبة

ثم

تلك ابن الكلبية واخو قريش وراكب البغلة عبادة بن الحصين ما كان قط في كريهة الا
فرجها وهو من فرسان الاسلام وكان للمهلب في الحرب مكايد مشهورة ووقايع ابادت
الخوارج بعد ان كانوا قد استولوا على المسلمين وكان سيدا اكرم ما مات حتف انفه وكذلك
ابنه المغيرة رحمه الله • وفيه يقول زياد الاعجم بيتا •

مات المغيرة بعد طول تعرض • للقتل بين اسنة وصفايح

وكان في الخوارج فوارس مشهورة لا تثبت لهم الرجال وذكرهم يطول ويخرج عما اردناه
فمنهم ابن بلال مرداس خرج في اربعين فهزم الفين وشبيب الخارجي الذي عرق في الخروا
نذرت امراته غزالة ان تصلي في جامع الكوفة ركعتين تقرا في احداهما البقره وفي الثانيه
آل عمران فعبر جسر الفرات وادخلها الجامع ووقف على بابه يحميها حتى وفت نذرها والحجاج
في الكوفة في خمسين الفا ومنهم قطري بن الفجاءة كان راس الخوارج وخاطبوه باميرالمومنين
وعظموه وبجلوه واشعاره في الشجاعة تدل على مكانة منها قتل في بعض وقايع الخوارج

الطبقة الثالثة

معن بن زايدة الشيباني رحمه الله قتل الخوارج بسجستان في ايام المهدي رحمه الله
الوليد بن طريف الشيباني رحمه الله قتل يزيد بن يزيد عمرو بن الاحنف رحمه الله نقل عنه انه
كان يتصيد فتبع حمار وحش وصار يحز عنقه بسيفه او سكين في يده حتى قتله ابو دلف
القاسم بن عيسى رحمه الله العجلي فارس بطل شجاع نديم جامع لما تفرق في غيره طعن فارسين
رديفين فانفذ الرمح من ظهرهما وحمل برمحه اربعة نفر وفيه يقول بكر بن النطاح رحمه الله

شعر

قالوا وينظم فارسين بطعنة • يوم اللقا ولا يراه جليلا
لا تعجبوا لو كان مد قناته • ميلا اذا انظم الفوارس ميلا

وسأله رجل يوما شيئا فقال له انسأل وحدك القايل لهذه الابيات

شعر

ومن يفتقر منا يعش بحسامه • ومن يفتقر من سائر الناس يسال
وانا لنلهو بالسيوف كما لهت • فتاة بعقد او بسخاب قرنفل

فخرج الرجل وجرد سيفه فلم يصادف في طريقه الا وكيلا لابي دلف معه مال جزيل فاستلبه
منه وقتله فبلغ الخبر ابا دلف فقال ادعوه فاني عملته على نفسي بكر بن النطاح رحمه الله بطل
شجاع شاعر فاتك له اشعار مشهورة واخبار مذكورة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الخير في السيف والخير مع السيف والخير بالسيف وكان ضمانه عمرو اشهر سيوف العرب
وممن تمثل به لفضل رحمه الله فقال

بيت

اخ ماجد ما خانني يوم مشهد ❊ كما سيف عمرو لم تخنه مضاربه

ولما وهب عمرو لخالد بن سعيد بن العاص عامل رسول الله صلى الله عليه وسلم على اليمن قال

شعر

خليلي لم اخنه ولم يخنّي ❊ اذا ما صاب أوساط العظام

خليلي لم اهبه من قلاة ❊ ولكن المواهب للكرام

حبوت به كريما من قريش ❊ فسرّ به وصين عن اللئام

وودعت الصفي صفي نفسي ❊ على الصمصام اضعاف السلام

ولم يزل في آل سعيد حتى اشتراه خالد بن عبد الله القسري بمال خطير لهشام وكان قد كتب اليه فيه فلم يزل عند بني مروان ثم طلبه السفاح والمهدي والمنصور رحمهم الله فلم يجدوه وجد الهادي في طلبه حتى ظفر به وكان عليه مكتوب

بيت

ذكر على ذكر يصول بصارم ❊ ذكر يمان في يمين يمان

وقال ابن الرومي رحمه الله

لم ار شيئا حاضرا نفعه ❊ للمرء كالدرهم والسيف

يقضي له الدرهم حاجاته ❊ والسيف يحميه من الحيف

وقال زيد بن علي رضي الله عنه

السيف يعرف عزمي عند هزته ❊ والرمح بي خبير والله لي وزر

انا لنأمل ما كانت اوايلنا ❊ من قبل تأمله ان ساعد القدر

وقال عبد الله بن طاهر رحمه الله

بليت صحيح السيف طورا وتارة ❊ يعض بهامات الرجال مضاربه

اخو ثقة ارضاه في الروع صاحبا ❊ وفوق رضاه انني انا صاحبه

وليس اخو العليا الا فتى لها ❊ بها كلف ما تستقر مضاربه

وقدم عروة بن الزبير رحمه الله على عبد الملك بعد قتل اخيه عبد الله رحمه الله فطلب منه سيف الزبير وقال له اردده علي فانه السيف الذي اعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم له يوم حنين فقال له عبد الملك رحمه الله وتعرفه قال نعم قال بماذا قال بما تعرف به سيف ابيك اعرفه به

قال الشاعر

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ❊ بها فلول من قراع الكتائب

وقال الاجدع الهمداني رحمه الله

لقد علمت نسوان همدان انني ❊ لهن غداة الروع غير خذول

وابذل في الهيجا وجهي وانني ❊ له في سوى الهيجا غير بذول

وقال

وقال آخر بيت

عشرون الف فتى ما منهم احد ❊ الا كالف فتى مقدامة بطل

وحكى الفضل بن يزيد رحمه الله قال نزلت علينا بنو تغلب في بعض السنين وكنت مشغوفا باخبار العرب ان اسمعها واجمعها فبينا انا اطوف في بعض احيائهم اذا بامرأة واقفة في فناء خبائها وهي آخذة بيد غلام قل ما رأيت مثله في حسنه وجماله له ذوائب كالسبج المنظوم وهي تعاتبه بلسان رطب وكلام عذب تعز له الاسماع وترتاح له القلوب واكثر ما اسمع منها اي بني وهو يبتسم في وجهها قد غلب عليه الحيا والخجل كانه جارية بكر لا يرد لها جوابا فاستحسنت ما رأيت واستحليت ما سمعت فدنوت منه وسلمت فردا علي السلام فوقفت انظر اليهما فقالت يا حضري ما حاجتك فقلت الاستكثار مما اسمع والاستمتاع بما ارى من هذا الغلام فقالت يا حضري ان شئت سقت اليك من خبره ما هو احسن من منظره قلت قد شئت يرحمك الله قالت حملته والرزق عسر والعيش نكد حملا خفيفا حتى اذا مضت له تسعة اشهر وشاء الله عز وجل ان اضعه فوضعته خلقا سويا فوربك ما هو الا ان صار ثالث ابويه حتى افضل الله تعالى واعطى واتى من الرزق بما كفى واغنى ثم ارضعته حولين كاملين فلما استتم الرضاع نقلته من خرق المهد الى فراش ابيه فربي كانه شبل اسد اقيه برد الشتا وحر الهجير حتى اذا مضت له خمس سنين اسلمته الى المؤدب فحفظ القرآن وتلاه وعلم الشعر فرواه ورغب في مفاخر قومه اباءه واجداده فلما ان بلغ الحلم واشتد عظمه وكمل خلقه حملته على اعناق الخيل فتفرس وتمرس ولبس السلاح ومشى بين بيوتات الحي الخيلا فاخذ في قرى الضيف واطعام الطعام وانا عليه وجلة اشفق عليه من العيون ان تصيبه فاتفق ان نزلنا منهلا من المناهل بين احياء العرب فخرج فتيان الحي في طلب ثارهم وشاء الله عز وجل ان اصابته وعكة شغلته عن الخروج حتى اذا امعن القوم ولم يبق في الحي غيره ونحن آمنون وادعون ما هو الا ان ادبر الليل واسفر الصباح حتى طلعت علينا غرر الجياد وطلايع العدو فما هو الا هنيهة حتى احرزوا الاموال دون اهلها وهو يسالني عن الصوت وانا استر الخبر اشفاقا عليه وصيانة حتى اذا علت الاصوات وبرزت المخدرات ثار دثاره وثار كما يثور الاسد وامر باسراج فرسه ولبس لامة حربه واخذ رمحه بيده ولحق حماة القوم فطعن ادناهم منه فرمى به ولحق ابعدهم منه فقتله وانصرفت وجوه الصبيان فراوا صبيا صغيرا لا مدد وراه فحملوا عليه فاقبل يوم المبوت ونحن ندعو الله عز وجل حتى اذا امدهم وراه وامتدوا في اثره عطف عليهم ففرق شملهم وشتت جمعهم وقتل اكثرهم ومرق كما يمرق السهم وناداهم خلوا عن المال فوالله لا رجعت الا به او هلكت دونه فانصرفنا به الا قران

وتمايلت نحوه الفرسان وعيرت له الغلمان وحملوا عليه وقد رفعوا له الاسنة ونكصوا له الاعنة فوثب عليهم وهو يهد ركنا يهدر الفحل من وراء الابل وجعل لا يحمل على ناحية الا حطمها ولا كتيبة الا مزقها حتى لم يبق من القوم الا من نجا به فرسه ثم ساق المال واقبل به فكبر القوم عند رؤيته وفرح الناس بسلامته فوالله ما رأينا قط يوما كان اسمح صباحا واحسن رواحا من ذلك اليوم ولقد سمعته يقول في وجوه فتيان الحي ابياتا وهي هذه

شعر

تسائلني فعلي هل رأيتن مثله • اذا خرجت نفس الجبان من الكرب
وضاقت عليه الارض حتى كانه • من الخوف مسلوب العزيمة والقلب
الم اعط كلا حقه ونصيبه • من السمهري اللدن والمرهف العضب
انا ابن هند بن قيس بن مالك • سليل المعالي والمكارم والحسب
ابى لي ان اعط الظلامة مرهف • وطرف قوي الظهر والجوف والجنب
وعزم صحيح لو ضربت محله • الجبال الرواسي لانحططن الى الترب
وعرضي نقي انفي ان اعيبه • وبيت شريف في ذرا العلب
فان لم اقاتل دونكن واحتمي • لكن واحميكن بالطعن والضرب
فاصدق اللاي مشين الى ابي • تهنينه بالفارس البطل الندب

وقال الشاعر

اراؤهم ووجوههم وسيوفهم • في الحادثات اذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصابح • تجلو الدجى والاخريات نجوم

وقال اخر

فوارس قوالون للخيل اقدمي • وليس على غير الرؤس مجال
بايديهم سمر العوالي كانما • يشب على اطرافهن ذبال

وقال اخر

قوم اذا اقتحموا العجاج رأيتهم • شمسا وخلت وجوههم اقمارا
لا يعدلون برفدهم عن سائل • عدل الزمان عليهم او جارا
واذا الصريخ دعاهم لملمة • بذلوا النفوس وفارقوا الاعمارا

وما جاء في ذكر الجبن واخبار الجبناء وما جاء عنهم

قد استعاذ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجبن فقال اللهم اني اعوذ بك من الهم والحزن واعوذ بك من العجز والكسل واعوذ بك من الجبن والبخل واعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال نعوذ بالله مما استعاذ به سيد الخلق عليه افضل الصلوة والسلام

يكفيك

يكفيك في وصف الجبان ان حس بعصفور طار فؤاده وان طنت بعوضة طار سهاده يفزع من صرير الباب وطنين الذباب وان نظرت اليه شزرا اغمي عليه شهرا يحسب خفوق الرياح قعقعة الرماح وقد قيل فيه

بيت

اذا صوت العصفور طار فؤاده • وليث حديد اذا اب عند الثرائد

وكان حسان بن ثابت رضي الله عنه من الجبناء روي عن ابن الزبير رحمه الله انه قال كان حسان في قارع اطم مع النساء يوم الخندق وانا معهم في ذلك اليوم فمر يهودي يطوف بالحصن فقالت صفية بنت عبد المطلب يا حسان ان هذا اليهودي كما ترى يطوف بالحصن واني والله ما امنه يدل على عوراتنا ما ورانا من اليهود فانزل اليه فاقتله فقال يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب لقد عرفت ما انا بصاحب هذا قال فاعتجزت صفية ثم اخذت عمودا ونزلت من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته ورجعنا الى الحصن فقالت يا حسان قم اليه فاسلبه فانه ما منعني من سلبه الا انه رجل قال ما لي بسلبه من حاجة وقيل كان لفتى من قريش جارية مليحة الوجه حسنة الادب وكان يحبها حبا شديدا فاصابته اضاقة وفاقة فاحتاج الى ثمنها فحملها الى العراق زمن الحجاج فابتاعها منه الحجاج فوقعت منه بمنزلة فقدم عليه فتى من ثقيف من اقاربه فانزله قريبا منه واحسن اليه فدخل على الحجاج يوما والجارية تكبسه وكان للفتى جمال فجعلت الجارية تسارقه النظر ففطن الحجاج بها فوهبها له وانصرف بها فباتت معه ليلتها وهربت منه بغلس فاصبح لا يدري اين هي فبلغ الحجاج ذلك فامر مناديا فنادى برئت الذمة ممن رأى وصيفة صفتها كذا فلم يلبث ان اتي بها فقال لها الحجاج يا عدوة الله كنت عندي من احب الناس الي فاخترت لك ابن عمي شابا حسن الوجه ورأيتك تسارقينه النظر فعلمت انك شغفت به فوهبتك له فهربت في ليلتك فقالت يا سيدي اسمع قصتي ثم اصنع ما احببت قال هات قالت كنت للفتى القرشي فاحتاج الى ثمني فحملني الى الكوفة فلما قربنا منها دنا مني فوقع علي فسمع زئير الاسد فوثب واخترط سيفه وحمل عليه وضربه فقتله واتى براسه ثم اقبل علي وما برد جماعه فقضى حاجته واما ابن عمك هذا الذي اخترته لي لما اظلم الليل قام الي وانه لعلى بطني اذ وقعت فارة من السقف فضرط ثم غشي عليه فمكث زمانا طويلا وانا ارش عليه الماء ولا يفيق فخفت ان يموت فتتهمني به فهربت فزعا منك فما ملك الحجاج نفسه من الضحك وقال ويحك لا تعلمي بهذا احدا قالت على ان لا تردني اليه قال لك ذلك وحدث جار لابي حنيفة النميري رحمه الله قال كان لابي حنيفة سيف ليس بينه وبين العصا فرق وكان يسميه لعاب المنية فاشرفت عليه ليلة وقد انتضاه وهو واقف على باب بيته في داره وقد سمع حسا

وهو يقول ايها المغتر بنا المجترئ علينا بئس والله ما اخترت لنفسك خير قليل وسيف صقيل لعاب المنية الذي سمحت به اخرج بالعفو منك قبل ان ادخل بالعقوبة عليك ثم فتح الباب على رجل فاذا الكلب قد خرج فقال الحمد لله الذي مسخك كلبا وكفاك حربا وخرج المعتصم رحمه الله الى بعض متنزهاته فظهر له اسد فقال لرجل من اصحابه اعجبه قوامه وسلاحه وتمام خلقه اخيك خير يا رجل قال لا فضحك وقال قبح الجبان ورأى الاسكندر رحمه الله سميا له لا يزال ينهزم فقال له يا رجل اما ان تغير فعلك واما ان تغير اسمك ووقع بعض العساكر هجمة فوثب خراساني الى دابته ليلجمها فصير اللجام في الذنب من الدهش فقال خاطب الفرس هب جبهتك عرضت فما بيتك لم طالت وخرج احمد بن زرعة الكلابي رحمه الله في الفين لمحاربة ابي هلال مرداس وكان مرداس في اربعين رجلا فانهزم اسلم منه فلامه على ذلك وذمه ابن ابي زياد فقال لان يذمني ابن زياد حيا احب الي من ان يمدحني ميتا وكان اسلم بعد ذلك اذا خرج الى السوق او مر بصبيان صاحوا عليه ابو بلال وراك فكبر ذلك عليه فشكاهم لابن زياد فامر صاحب الشرطة ان يكفهم عنه وقد قيل

شعر

يقول جبان القوم في حال سكره * وقد شرب الصهبا هل من مبارز
واين الخيول اللاهوجات في الوغا * انا قل منهم كل ليث مواهز
ففي السكر قيس وابن معدي وعامر * وفي الصحو تلقاه كبعض العجائز

الباب الثاني والاربعون في المدح والثنا والمكافاة وفيه فصول

الفصل الاول في المدح والثنا المدح وصف الممدوح باخلاق يحمد عليها صاحبها ويكون نعتا حميدا وهذا يصح من المولى في حق عبده فقد قال الله تعالى في حق ايوب عليه السلام انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وقال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم انك لعلى خلق عظيم وقال تعالى قد افلح المومنون الذين هم في صلوتهم خاشعون الى اخر الايات فعلى هذا يجوز مدح الانسان بما فيه من الاخلاق الجميلة واما قوله عليه السلام اذا رايتم المادحين فاحثوا عليهم التراب فقد قال العتبي هو المدح الباطل والكذب واما مدح الرجل بما فيه فلا باس به فقد مدح ابو طالب والعباس وحسان وكعب رضي الله عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين والانصار وفي حثو التراب معنيين احدهما التخليط في الرد عليه والثاني ان يقال له بفيك التراب وكان ابو بكر رضي الله عنه اذا مدح قال اللهم انت اعلم بي من نفسي وانا اعلم بنفسي منهم اللهم اجعلني خيرا مما يحسبون واغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون

دمر

ومدح سارية الديلي رحمه الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سارية الجبل فمن مدحه في رسول الله صلى الله عليه وسلم

بيت

فما حملت من ناقة فوق رحلها * ابر واوفى ذمة من محمد

ومن احسن ما مدحه عليه السلام به حسان بن ثابت رضي الله عنه حيث يقول

شعر

واحسن منك لم ترقط عيني * واجمل منك لم تلد النساء
خلقت مبرا من كل عيب * كانك خلقت كما تشاء

ولما حججت وزرته صلوات الله وسلامه عليه تطفلت على جنابه المعظم فامتدحته بابيات مطولة وانشدتها بين يديه بالحجرة المشرفة تجاه الصندوق الشريف وانا مكشوف الراس ومن جملتها ما قلت

يا سيد السادات جئتك قاصدا * ارجو رضاك واحتمي بحماكا
والله يا خير الخلائق ان لي * قلبا مشوقا لا يروم سواكا
وبحق جاهك انني بك مغرم * والله يعلم انني اهواكا
انت الذي لولاك ما خلق امرؤ * كلا ولا خلق الورى لولاكا
انت الذي من نورك البدر اكتسى * والشمس مشرقة بنور بهاكا
انت الذي لما رفعت الى السما * بك قد سمت وتزينت لسراكا
انت الذي ناداك ربك مرحبا * ولقد دعاك لقربه وحباكا
انت الذي فينا سالت شفاعة * ناداك ربك لم تكن لسواكا
انت الذي لما توسل ادم * من ذنبه بك فاز وهو اباكا
وبك الخليل دعا فعادت ناره * بردا وقد خمدت بنور سناكا
ودعاك ايوب لضر مسه * فازيل عنه الضر حين دعاكا
وبك المسيح اتى بشيرا مخبرا * بصفات حسنك مادحا لعلاكا
وكذاك موسى لم يزل متوسلا * بك في القيامة محتم بحماكا
والانبيا وكل خلق في الورى * والرسل والاملاك تحت لواكا
لك معجزات اعجزت كل الورى * وفضائل جلت فليس تحاكا
نطق الذراع بسمه لك معلنا * والضب قد ناداك حين اتاكا
والذئب جاك والغزالة قد اتت * بك تستجير وتحتمي بحماكا
وكذا الوحوش اتت اليك وسلمت * وشكى البعير اليك حين راكا
ودعوت اشجارا اتتك مطيعة * وسعت اليك مجيبة لنداكا

ولما أفاض بزاخيك وسحبه ... من الحصا بالفضل في يمناكا
وبليك ظللت الغمامة في الورى ... والجذع حن الى اديم لقاكا
وكذاك لما اثرت مشيك في الثرى ... والصخر قد غاصت به قدماكا
اشفيت ذا العاهات من امراضهم ... وملأت كل الارض من جدواكا
ورددت عين قتاده بعد العمى ... وابن الحصين شفيته بشفاكا
وكذا خبيب وابن عفرا عندما ... جرحا شفيتهما بلمس يداكا
وعلي من رمد به داويته ... في خيبر فشفي بطيب لماكا
وسالت ربك في ابن جابر بعدما ... ان مات احياه وقد ارضاكا
ومسست شاة ام معبد بعدما ... نشفت فدرت من شفا رقياكا
ودعوت عام المحل ربك معلنا ... فانهل قطر السحب عند دعاكا
ودعوت كل الخلق فانقادوا الى ... دعواك طوعا سامعين نداكا
اخفضت دين الكفر بعد علوه ... ورفعت دينك فاستقام هناكا
اعداوك عادوا الى القليب بجهلهم ... صرعى وقد حرموا الرضى بجفاكا
في يوم بدر قد اتتك ملائك ... من عند ربك قاتلت اعداكا
والفتح جاءك يوم فتح مكة وا ... لنصر في الاحزاب قد وافاكا
هود ويونس من بهاك تجملوا ... وجمال يوسف من ضياء سناكا
قد فقت يا طه جميع الانبيا ... نورا فسبحان الذي سواكا
والله يا يس مثلك لم يكن ... في العالمين وحق من نباكا
عن وصفك الشعرا يا مدثر ... عجزوا وكلوا عن صفات علاكا
انجيل عيسى قد اتى بك مخبرا ... واتى الكتاب لنا بمدح حلاكا
ماذا يقول المادحون وما عسى ... ان تجمع الكتاب من معناكا
والله لو ان البحار مداد هم ... والعشب اقلام جعلن لذاكا
لم تقدر الثقلان تجمع نذرة ... ابدا وما استطاعوا له ادراكا
لي فيك قلب مغرم يا سيدي ... وحشاشة محشوة بهواكا
فاذا سكت ففيك صمتي كله ... واذا نطقت فمادح علياكا
واذا سمعت فعنك قولا طيبا ... واذا نظرت فلم ارى الاكا
يا مالكي كن شافعي من فاقتي ... اني فقير في الورى لغناكا
يا اكرم الثقلين يا كنز الورى ... جد لي بجودك وارضني برضاكا
انا طامع بالجود منك ولم يكن ... لابن الخطيب من الانام سواكا

فضائل

نحسبك نشفع فيه عند حسابه ... فلقد غدا متمسكا بعراكا
ولانت اكرم شافع ومشفع ... ومن التجي لحماك نال وفاكا
فاجعل قراك شفاعة لي في غد ... فعسى اكن في الحشر عند لواكا
صلى عليك الله يا علم الهدى ... ما حن مشتاق الى مثواكا
وعلى صحابتك الكرام جميعهم ... والتابعين وكل من والاكا

ذا سوال يقول المادحون في مدح من مدحه الله واثنى عليه وقد قال صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر والله لو ان البحر مدادا والشجر اقلاما وجميع الخلائق كتابا لما استطاعوا ان يجمعوا ذرة من بعض صفاته ولكلوا عن الاتيان ببعض بعض صفات معجزاته صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وازواجه وسلم ومدح رجل هشام بن عبد الملك رحمه الله فقال يا هذا انه قد نهي عن مدح الرجل في وجهه فقال ما مدحتك ولكن ذكرتك نعم الله عليك لتجدد لك شكرا فقال هشام هذا احسن من المدح ووصله واكرمه وكتب رجل الى عبيد الله بن يحيى بن خاقان رحمه الله رأت نفسي فيما اتعاطى من مدحك كالمخبر عن ضوء النهار الباهر والقمر الزاهر وايقنت انه حيث انتهى من القول منسوب الى العجز مقصر عن الغاية فانصرفت عن الثنا عليك الى الدعا لك ووكلت الاخبار عنك الى علم الناس بك وقال نصار بن توسعة في رجل من آل المهلب يمدحه شعر

فتى دهره شطران فيما ينوبه ... ففي باسه شطر وفي جوده شطر
فلا من بغاة الخير في عينه قذا ... ولا من زئير الحرب في اذنه وقر

وقال اعرابي لرجل لا تذم بلدا انت تاويه ولا زمانا انت فيه وكان الحجاج يستثقل زياد بن عمرو العتكي رحمه الله فلما قدم على عبد الملك بن مروان قال يا امير المومنين ان الحجاج سيفك الذي لا ينبو وسهمك الذي لا يطيش وخادمك الذي لا تأخذه فيك لومة لائم لم يكن بعد ذلك على قلب الحجاج اخف منه وقال رجل لآخر انت بستان الدنيا فقال وانت النهر الذي يشرب منه ذلك البستان وقال رجل لاعرابي يسمى عمرو الزاهد صاحب كتاب الياقوتة في اللغة انت والله عين الدنيا فقال له وانت نون ذلك العين

وقال القاسم بن امية بن ابي الصلت الثقفي رحمه الله

قوم اذا نزل الغريب بدارهم ... تركوه رب صواهل وقيان
واذا دعوتهم ليوم كريهة ... سدوا شعاع الشمس بالخرصان

وقال اوس بن حاتم رحمه الله

فان تبك ما وية الخير حاتما ... فما مثله فينا ولا في الاعاجم
فتى لا يزال الدهر اعظم همه ... فكاك اسير او معونة غارم

زاملوه علا نحوي ... نظرجرا هفرة

وقال حمدون رحمه الله في آل المهلب رحمهم الله

آل المهلب معشر أمجاد • ورثوا المكارم والوفا فسادوا
شاد المهلب ما بنى آباؤه • وثما بنوه ما بناه فشادوا
وكذاك من طابت مغارس اصله • وبنى له الآباء والاجداد

وكان الفرزدق رحمه الله هجا العمر بن هبيرة رحمه الله فلما سجن ونقب له السجن وساد هو وبقيه تحت الارض قال الفرزدق رحمه الله

شعر

ولما رأيت الارض قد سد ظهرها • ولم يبق الا بطنها لك مخرجا
دعوت الذي ناداه يونس بعدما • ثوى في ثلث مظلمات ففرجا

فقال هبيرة رحمه الله ما رأيت اشرف من الفرزدق هجاني اميرا ومدحني اسيرا وقال سري بن عبد الرحمن رحمه الله في خالد بن حاتم رحمه الله يمدحه يقول

شعر

يا واحد العرب الذي دانت له • قحطان قاطبة وساد نزارا
اني لأرجو ان لقيتك سالما • ان لا اعالج بعدك الاسفارا

وقال كعب بن مالك الانصاري رحمه الله في آل هاشم

يا هاشم ان الاله حباكم • ما ليس يبلغه اللسان المفضل
قوم لاصلهم السيادة كلها • قدما وفرعهم النبي المرسل

وقال الحسين بن دعبل الخزاعي رحمه الله

ملك الامور بجوده وحسامه • شرفا يقود عدوه بزمامه
فاطاع امر الجود في امواله • واطاع امر الله في احكامه

وقال آخر

يلقى السيوف بصدره وبنحره • ويقيم هامته مقام المغفر
ويقول للطرف اصطبر لشبا القنا • فعقرت ركن المجد ان لم تصبر
واذا ترى شخص ضيف مقبل • متسربل اثواب محل اغبر

وقال شاعر بني تميم رحمه الله

اذا اللبسوا عمائمهم طووها • على كرم وان يعروا اباروا
يبيع ويشتري لهم سواهم • ولكن بالطعان هم التجار
اذا ما كنت جار بني تميم • فانت لاكرم الثقلين جار

وقالت امرأة من بني تميم وقد حضرتها الوفاة واهلها مجتمعون من الذي يقول بيت

لعمري ما رماح بني تميم • بطائشة الصدور ولا قصار

قالوا

قالوا زياد الاعجم رحمه الله قالت اشهدكم ان له الثلث من مالي وكان مالا كثيرا، واثنى رجل على رجل فقال هو افصح اهل زمانه اذا حدث، واحسنهم استماعا اذا حدث، وامسكهم عن الملاحاة اذا خولف، يعطي صديقه النافلة، ولا يسأله الفريضه له نفس عن الفحشاء محصونة، وعلى المعالي مقصورة، كالابريز الذي يعجز كل اوان، والشمس المنيرة التي لا تخفى بكل مكان، والنجم المضيء للحيران والبارد العذب للعطشان

وقال الحسن بن هاني رحمه الله

اذا نحن اثنينا عليك بصالح • فانت كما نثني وفوق الذي نثني
وان جرت الالفاظ يوما بمدحة • لغيرك انسان فانت الذي نعني

وله ايضا في الفضل بن الربيع رحمه الله

لقد تركت ابا العيان منزلة • بان ترى خلفها الابصار مطرحا
وكنت بالدهر عينا عزما قلبه • يجود كونك ما سر كلما جرحا

وقال زياد الاعجم في مدح ابن القاسم السعدي

ان المنابر اصبحت مختالة • بمحمد بن القاسم بن محمد
فاذا الجيوش تسح غرة جحة • يا قرب سود دمن مولد

ومن بدايع مدح المتنبي رحمه الله

ليت المدايح تستوفي مناقبه • فما كليب واهل الاعصر الاول
خذ ما تراه ودع شيئا سمعت به • في طلعة البدر ما يغنيك عن زحل
وقد وجدت مكان القول ذا سعة • فان وجدت لسانا قائلا فقل

ومدح ابو العتاهية عمرو بن العلاء رحمهم الله فاعطاه سبعين الفا وخلع عليه خلعا سنية حتى انه لم يستطع ان يقوم فغار الشعراء منه فجمعهم وقال يا لله العجب ما اشد حسد بعضكم لبعض ان احدكم يأتينا ليمدحنا فيتغزل في قصيدته بخمسين بيتا فما يبلغنا حتى يذهب رونق شعره وقد نسب ابو العتاهية رحمه الله بابيات يسيرة فقال

شعر

اني امنت من الزمان وصرفه • لما علقت من الامير حبالا
لو يستطيع الناس من اجلاله • جعلوا له حر الوجوه نعالا
ان المطايا تشتكيك لانها • قطعت اليك سباسبا ورمالا

ووفد ابو نواس رحمه الله على الخصيب بمصر فاذن له وعنده الشعراء فانشد الشعراء اشعارهم فلما فرغوا قال ابو نواس انشدك ايها الامير قصيدة هي كعصى موسى تلقف ما فقال انشد فانشده قصيدته التي منها هذه الابيات فقال

اذا لم تزر ارض الخصيب ركابنا * فاي فتى بعد الخصيب تزور
فتى يشترى حسن الثناء بماله * ويعلم ان الدائرات تدور
فما فاته جود ولا حل دونه * ولكن يصير الجود حيث يصير

وحكي ان ابا دلف رحمه الله سار يوما مع معقل رحمه الله فراى امراتين يتماشيان فقالت احداها للاخرى هذا ابو دلف قالت نعم هو الذي يقول فيه الشاعر

انما الدنيا ابو دلف * بين باديه ومحتضره
فاذا ولى ابو دلف * ولت الدنيا على اثره

فبكى حتى جرت دموعه فقال له معقل ما لك يا اخي تبكي فقال اني لم اقض حق الذي قال هذا ولم نعطه مائة الف قال والله ما في نفسي حسرة الا كوني لم اعطه مائة الف دينار * ويقال هن المدحة فاين المنحة * وقد قيل * بيت *

اذا ما المدح صار بلا نوال * من الممدوح كان هو الهجاء

وامتدح محمد بن سلطان المعروف بابن حيوس محمد بن نصر صاحب حلب رحمهم الله فاجازه بمائة الف دينار ثم مات محمد وقام ولده نصر مقامه فقصده محمد بن سلطان بقصيدة مدحه بها منها ما قيل * شعر *

تباعدت عنكم حرمة لا زهادة * وسرت اليكم حين مسني الضر
فجاد ابو نصر بالف تعرفت * واني عليم ان سيخلفها نصر

فلما فرغ من انشادها قال نصر والله لو قال سيضعفها نصر لاضعفتها له واعطاه الف دينار في طبق فضة * ومدح بعض الشعراء اثنا فقال *

تكاد تحكيه صوب الغيم منسكبا * لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو لم تغب * والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

وقال اخر

اخو كرم يغني الورى من بساطه * الى روض مجد بالسماح مجود
وكم لجباه الراغبين لديه من * محال سجود في مجالس جود

ويقال فلان رفيق الجود ودخيله * وزميل الكرم ونزيله * وغرة الدهر وتحجيله * مواهبه الانواء * وصدره الدهناء * عونه موقوف على اللهيف * وعونه مبذول للضعيف * يطغي جوده على موجوده * وهمته على قدرته * ينابيع الجود تتفجر من انامله * وربيع السماح يضحك عن فواضله * ان طلبت كريما في جوده * مت قبل وجوده * او ماجدا في اخلاقه مت ولم تلاقه * باسل تعود الاقدام حيث تزل الاقدام * وشجاع يرى الاحجام عارا لا يحوم الايام * له خلق لو مازج البحر لنفى ملوحته * وصفى كدورته

خلقه

خلقه كنسيم الاسحار على صفحات الانهار * اطيب من زمن الورد في الايام * والمح من نور البدر في الظلام * خلق يجمع الاهوا المتفرقة على محبته * ويؤلف الاراء المشتتة في مودته هو ملح الارض اذا فسدت * وعمارة الدنيا اذا خربت * يحل دقايق الاشكال * ويحل حلاحيل الاشكال * البيان اصغر صفاته * والبلاغة عفو خطراته * كانما اوحى التوفيق الى بدرع * وحبس الصواب بين طبعه وفكره * فهو يعبث بالكلام * ويقوده باين زمام * حتى كان الالفاظ تحاسد في التسابق الى خواطره * والمعاني تتغاير في الامتثال لاوامره يوجز فلا يخل * ويطيب فلا يمل * كلامه يشتد مرة حتى تقول الصخر او املس * ويلين تارة حتى تقول الما او امس * فهو اذا انشا وشى * واذا عبر حبر * واذا اوجز اعجز * باهت به الايام وتاهت في عينه الاقلام * له ادب لو تصور شخصا لكان بالقلوب مختصا * قال الشاعر

بيت

له خلق على الايام يصفو * كما يصفو على الزمن العقار

وقال اخر

لو كان يجري الارض ناظر خلقه * ما كان يزيل نوره بسنائه
اذا قابل الافلاك طالع سعده * ما سار نحس في نجوم سمائه

وقال اخر

ووجهك في الغياهب مشرق * وكفك في شهب السنين غمام
فاعجب لبدر لا يزال امامه * غمام ولا يغشاه منه ظلام
واعجب من هذا غمام اذا سطا * تلظى مكان البرق منه حسام

وقال الحسين بن مطير الاسدي رحمه الله

له يوم بوس فيه للناس ابؤس * ويوم نعيم فيه للناس انعم
فيمطر يوم الجود من كفه الندى * ويمطر يوم الباس من كفه الدم
ولو ان يوم الباس خلى عقابه * على الناس لم يصبح على الارض مجرم
ولو ان يوم الجود خلى يمينه * على الناس لم يصبح على الارض معدم

للشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله

والله ما عجبي لقدرك انه * بدر على ساعي مداه بعيد
الا لكونك لست تشكو وحشة * في هذه الدنيا وانت وحيد

لصفي الدين الحلي رحمه الله

اني تتنبني صفاتك مظهرا * عبارتكم اعيت صفاتك خاطبا
لو اننا والخلق جمعا السنا * نثني عليك لما قضينا الواجبا

للشيخ برهان الدين القيراطي رحمه الله

اوما لكم تجري احاديثها • مجرى النجوم الزواهر في الافق
كما احاديث الذي عنكم • بسندها الركبان من طرق

جمال الدين بن نباته رحمه الله

روت عنك اخبار المعالي محاسنا • كفت بلسان الحمد عن السن الحمد
فوجهك عن بشر وكفك عن عطا • وخلقك عن سهل ورايك عن سعد

وقال اخر

من زار بابك لم تبرح جوارحه • تروي احاديث ما اوليت من منن
فالعين عن قرة والكف عن صلة • والقلب عن جابر والسمع عن حسن

وقال ابو فراس بن حمدان رحمه الله

لئن خلق الانام بحب كاس • ومزمار وطنبور وعود
فلم يخلق بنو حمدان الا • لمجد او لباس او لجود

وقال اخر

ان الهبات التي جاد الكرام بها • مطروقة وندى كفيك مبتكر
ما زلت تسبق حتى قال حاسدكم • له طريق الى العليا مختصر

الفصل الثاني من هذا الباب
في الشكر وذي النعم اما الشكر

الواجب على جميع الخلائق فشكر القلب وهو ان يعلم العبد ان النعمة من الله عز وجل وان لا نعمة على الخلق من اهل السموات والارض الا وبدايتها من الله تعالى حتى يكون الشكر لله تعالى عن نفسك وعن غيرك والدليل ان الشكر محله القلب وهو المعرفة قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله ايقنوا انها من الله تعالى وقيل الشكر معرفة العجز عن الشكر ويروى ان داود عليه السلام قال كيف اشكرك وشكري لك نعمة من عندك فاوحى اليه الان قد شكرتني وفي هذا يقال الشكر على الشكر اتم الشكر ولمحمود الوراق رحمه الله

شعر

اذا كان شكري نعمة الله نعمة • علي له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر الا بفضله • وان طالت الايام واتصل العمر
اذا مس بالسراء عم سرورها • وان مس بالضراء اعقبها الاجر
فما منهما الا له فيه نعمة • تضيق بها الاوهام والسر والجهر

وفي مناجات موسى عليه السلام الهي خلقت ادم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك

فقال قد علم ان ذلك مني فكان معرفته بذلك شكره لي واما شكر اللسان فقد قال الله تبارك وتعالى واما بنعمة ربك فحدث ويروى عن النعمان بن بشير رحمه الله انه قال قال صلى الله عليه وسلم من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بالنعم شكر وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تذاكروا النعم فان ذكرها شكر واما الشكر الذي على الجوارح فقد قال الله تعالى اعملوا آل داود شكرا الاية فجعل العمل شكرا ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم قام حتى تورمت قدماه فقيل له يا رسول الله اتفعل هذا بنفسك وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر قال افلا اكون عبدا شكورا وقال ابو هرون رحمه الله دخلت على ابي حازم فقلت له يرحمك الله ما شكر العينين قال اذا رايت بهما خيرا ذكرته واذا رايت بهما شرا سترته قلت فما شكر الاذنين قال اذا سمعت بهما خيرا حفظته واذا سمعت بهما شرا نسيته وفي حكمة ادريس عليه السلام لن يستطيع احد ان يشكر الله تعالى على نعمه بمثل الانعام على عبده ليكون صانعا الى الخلق مثل ما صنع الخالق فاذا اردت ان تحرس دوام النعمة من الله تعالى عليك فادم مواساة الفقراء وقد وعد الله تعالى عباده بالزيادة على الشكر فمن لم يظهر عليه المزيد علمنا انه لم يشكر فاذا راينا الغني يشكر الله تعالى بلسانه وماله في نقصان علمنا انه قد اخل بالشكر اما انه لا يزكي على ماله او يزكيه لغير اهله او يؤخره عن وقته او يمنعه حقا واجبا عليه من كسوة عريان او اطعام جائع وشبهه فيدخل في قول النبي صلى الله عليه وسلم لو صدق السائل ما افلح من رده قال الله تعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا غيروا ما بهم من الطاعات غير الله ما بهم من الاحسان وقال بعض الحكماء من اعطي اربعا لم يمنع من اربع من اعطي الشكر لم يمنع المزيد ومن اعطي التوبة لم يمنع القبول ومن اعطي الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن اعطي المشورة لم يمنع الصواب وقال المغيرة بن شعبة رحمه الله اشكر من انعم عليك وانعم على من شكرك فانه لا بقاء للنعم اذا كفرت ولا زوال لها اذا شكرت وكان الحسن رحمه الله يقول ابن ادم متى تفك من شكر النعمة وانت مرتهن بها كلما شكرت نعمة تجدد لك بالشكر اعظم منها عليك فانت لا تنفك بالشكر عن نعمة الا لما هو اعظم منها ويروى ان عثمان بن عفان رضي الله عنه دعي الى اقوام لياخذهم على ريبة فافترقوا قبل ان ياخذهم عثمان فاعتق رقبة شكرا لله تعالى اذ لم يجر على يديه فضيحة رجل مسلم ويروى ان نملة قالت لسليمان عليه السلام انا على قدري اشكر الله منك وكان راكبا على فرس ذلول فخر عنه ساجدا ثم قال لولا اني اجلك لسالتك ان تنزع مني ما اعطيتني وقال صدقة بن يسار رحمه الله بينما داود عليه السلام في محرابه اذ مرت به دودة فتفكر في خلقها وقال ما يعبا الله تعالى بخلق هذه فانطقها الله عز وجل له

فقالت يا داود نعمك نعسك وانا على قدر ما آتاني اذكر الله منك واشكر له منك على ما آتاك وقال علي رضي الله عنه احذروا نفار النعم فلا كل شارد بمردود فلا يستجيز اتيها الا بقلة الشكر وقال حكيم رحمه الله الشكر ثلث منازل ضمير القلب ونشر اللسان ومكافاة اليد

قال الشاعر

افادتكم النعماء مني ثلثة يدي ولساني والضمير المحجبا

وعن ابن عالية رحمه الله كان يقال ما انعم الله على عبد نعمة فظلمها الا كان حقا على الله تعالى ان يزيلها عنه

وانشد ابو العباس رحمه الله

اعارك الله ما له لتقوم فيه بواجبه وتقضي بعض حقه
فلم تقصد لطاعته ولكن قويت على معاصيه برزقه

وقال اخر

ولو ان لي في كل منبت شعرة لسانا يطيل الشكر كنت مقصرا

وقال محمد بن حبيب الراوية رحمه الله اذا قل الشكر حسن المن وروي اذا جحدت الصنيعة حسن الامتنان وسئل بعض الحكماء ما اضيع الاشيا قال مطر في ارض سبخة لا تجف ترابها ولا ينبت مرعاها وسراج يوقد في الشمس وجارية حسناء تزف الى اعمى وصنيعة تسدى الى من لا يشكرها النعمة لم تشكر النعمة وانشد شعرا

فقال

لاشكرنك معروفا هممت به فان همك بالمعروف معروف
ولا الومك ان لم يمضه قدر فالشر بالقدر المحتوم مصروف

وقال ابو فراس بن حمدان رحمه الله

وما نعمة مكفورة قد صنعتها الى غير ذي شكر بمانعتي اخرى
ساتي جميلا ما حييت فانني الى لم اجد شكرا اجدت به اجرا

وقال عمر رضي الله عنه من اعطي بلغ به المزيد وقال ابن السماك رحمه الله النعمة من الله على العبد مجهولة فاذا فقدت عرفت وقيل من لم يشكر على النعمة فقد استدعى زوالها وكان يقال اذا كانت النعمة وسيمة فاجعل الشكر لها عميمه وقال حكيم رحمه الله لا تصطنعوا الخير في ثلثة اللئيم فانه بمنزلة السبخة والفاحش فانه يرى ان الذي صنعت اليه انما هو لمخافة فحشه والاحمق فانه لا يعرف قدر ما اسديت اليه واذا اصطنعت لكريم فازرع المعروف واحصد الشكر ودخل ابو نخيلة رحمه الله على السفاح ينشده فقال ما عسيت ان يقول بعد قولك لمسلمة

شعر

اشلم يا ابن كل خليفة ويا فارس الدنيا ويا جبل الارض
شكرتك ان الشكر مني لسنى وما كل ما اوليت من صالح يقضي
واحييت لي ذكري وما كان خاملا ولكن بعض الذكر انبه من بعض

وسمعه الرشيد رحمه الله فقال هكذا يكون شعر الاشراف مدح صاحبه ولم يضع نفسه وعن نصر بن سيار عن عكرمة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من انعم على رجل نعمة فلم يشكرها فدعا عليه استجيب له وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المؤمن يشبع من الطعام فيحمد الله فيعطيه من الاجر ما يعطي الصائم القائم ان الله شاكر يحب الشاكرين وعن محمد بن علي رضي الله عنهما ما انعم الله على عبد نعمة فعلم انها من الله الا كتب له شكرها قبل ان يحمد عليها واذا اذنب ذنبا فعلم ان الله قد اطلع عليه ان شاء غفر له وان شاء اخذه الا غفر الله له قبل ان يستغفره واسدى رجل الى رجل اعرابي خيرا فقال له لا ابلاك الله ببلاء يعجز عنه صبرك وانعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك

وانشد بعضهم

سأشكر لا اني اجازيك منعما بشكري ولكن كي يزاد لك الشكر
واذكر اياما لدي اصطنعتها واخر ما يبقى على الشاكر الذكر

وقال اخر

اوليتني نعما ابوح بشكرها وكفيتني كل الهموم باسرها
فلاشكرنك ما حييت وان امت فلتشكرنك اعظمي في قبرها

وقال اخر

يارب قد احسنت عودا وبداة الي فلم ينهض باحسانك الشكر
فمن كان ذا عذر لديك وحجة فعذري اقراري بان ليس لي عذر

وقال محمود الوراق رحمه الله

الهي لك الحمد الذي انت اهله على نعم ما كنت قط لها اهلا
اذا ازددت تقصيرا تزدني تفضلا كاني بالتقصير استوجب الفضلا

وقد احسن نصيب رحمه الله في وصف الثناء والشكر بقوله

بيت

فعاجوا فاثنوا بالذي انت اهله ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب

وقال رجل بن غطفان رحمه الله

الشكر افضل ما حاولت ملتمسا به الزيادة عند الله والناس

وقيل اشكر المنعم عليك وانعم على الشاكر لك تستوجب من ربك الزيادة ومن اخيك المناصحة

الفصل الثالث من هذا الباب في المكافاة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسدى اليكم معروفا فكافئوه وان لم تقدروا فادعوا ولما قدم وفد النجاشي على رسول الله صلى الله عليه وسلم قام بخدمتهم بنفسه فقيل له يا رسول الله لو تركتنا كفيناك فقال كانوا لاصحابي مكرمين وقيل اتى رجل من الانصار الى عمر رضي الله عنه فقال اذكر صنيعي لك اذ جاءك ذو سفه يوم السقيفة والصديق مشغول فقال عمر يا علي صونه ادن مني فدنا منه فاخذ بذراعه حتى استشرف الناس وقال الا ان هذا ارد عني سفيها من قومه يوم السقيفة ثم حمله على نجيب وزاد في عطائه وولاه صدقة قومه وقال هل جزاء الاحسان الا الاحسان وقال رجل لسعيد بن العاص رحمه الله وهو امير الكوفة يدي منك بيضاء قال وما هي قال كبت بك فرسك فتقدمت اليك كاحد غلمانك فاخذت بعضدك وركبتك واسعفتك ما قال وان كنت الحال الآن قال حجبت من الوصول اليك قال قد امرنا لك بمائة الف درهم وما عليك الحاجب اذ حبسك عنا وهذه سبيلك وقال قطري بن الفجاءة رحمه الله لخارجي اسره الحجاج ثم من عليه واطلقه عاود يا عدو الله فقال هيهات سد يدا يطلقها واد رقبة محتقها ثم قال

شعر

أأقاتل الحجاج عن سلطانه ۞ بيد تقر بانها مولاته

ماذا أقول اذا وقفت ازاءه ۞ في الصف واحتجت له فعلاته

أأقول جار علي لا اني اذا ۞ لاحق من جارت عليه ولاته

وتحدث الاقوام ان صنائعا ۞ غرست لدي فحنظلت نخلاته

واجاز الشافعي رضي الله عنه بمصر في سوق الحدادين فسقط سوطه فقام انسان فاخذه ومسحه وناوله له فقال لغلامه كم معك قال عشرة دنانير فادفعها اليه واعتذر اليه واستنشد عبد الملك عامر الشعبي رحمه الله لغير شاعر حتى انشد لحسان رضي الله عنه فقال

شعر

من سره شرف الحياة فلا يزل ۞ في عصبة من صالح الانصار

الباذلين نفوسهم لنبيهم ۞ بالمشرفي وبالقنا الخطار

الناظرين باعين محمرة ۞ كالجمر غير كليلة الابصار

فقام انصاري وقال يا امير المؤمنين استوجب عامر الصلة على له ستون من الابل وعن علي رضي الله عنه احسنوا في عقب غيركم تحفظوا في عقبكم قال المدائني رحمه الله رأيت رجلا يطوف بين الصفا والمروة على بغلة ثم رأيته ماشيا فسألته عن ذلك فقال ركبت حيث يمشي الناس فكان حقا على الله ان يرجلني حيث يركب الناس

وبما جاء في المكافاة

ما حكي عن الحسن بن سهل رحمه الله قال كنت يوما عند يحيى بن خالد البرمكي وقد خلا في مجلسه لاحكام امر من امور الرشيد فبينما نحن جلوس اذ دخل عليه جماعة من اصحاب الحوائج فقضاها لهم ثم توجهوا لشانهم فكان آخرهم قياما احمد بن ابي خالد الاحول فنظر يحيى اليه والتفت الى الفضل ابنه وقال يا بني ان لابيك مع اب هذا الفتى حديثا فاذا فرغت من شغلي هذا فذكرني احدثك به فلما فرغ من شغله وطعم قال له ابنه الفضل اعزك الله يا ابت امرتني ان اذكرك حديث ابي خالد الاحول فقال نعم يا بني لما قدم ابوك الى العراق ايام المهدي كان فقيرا لا يملك شيئا فاشتد به الامر الى ان قال لي من في منزلي انا كتمنا حالنا وزاد ضررنا ولنا اليوم ثلاثة ايام ما عندنا شيء نقتات به قال فبكيت يا بني لذلك بكاء شديدا وبقيت ولهانا حيرانا مطرقا منكوا ثم تذكرت منديلا كان عندي فقلت لهم ما حال المنديل فقالوا هو موجود فقلت ادفعوه الي فاخذته ودفعته الى بعض اصحابي وقلت له بعه بما تيسر فباعه بسبعة عشر درهما فدفعتها الى الاهل وقلت انفقوها الى ان يرزق الله غيرها ثم بكرت من الغد الى باب ابي خالد وهو يومئذ وزير المهدي فاذا الناس وقوف على داره وهم ينتظرون خروجه فخرج عليهم راكبا فلما رآني سلم علي وقال كيف حالك فقلت يا ابا خالد ما حال رجل يبيع بالامس من منزله منديلا بسبعة عشر درهما فنظر الي نظرا شديدا وما اجابني جوابا فرجعت الى اهلي كسير القلب واخبرتهم بما اتفق لي مع ابي خالد فقالوا لبئس والله ما فعلت مررت لرجل كان يرتضيك لامر جليل كشفت له سرك واطلعته على مكنون امرك فازريت عنده بنفسك وصغرت عنده منزلتك بعد ان كنت جليلا عنده فما يراك بعد هذا اليوم الا بهذا العين قد مضى الامر الآن بما لا يمكن استدراكه فلما كان من الغد بكرت الى باب الخليفة فلما بلغت الباب استقبلني رجل فقال قد ذكرت الساعة بباب امير المؤمنين فلم التفت الى قوله فاستقبلني آخر فقال لي كمقالة الاول ثم استقبلني حاجب ابي خالد فقال لي اين تكون قد امرني ابو خالد باجلاسك الى ان يخرج من عند امير المؤمنين فجلست حتى خرج فلما رآني دعاني وامر لي بمركوب فركبت وسرت الى منزله فلما نزل قال علي بوكلائي الحناطين فاحضروا قال لهما المر تشتريا مني غلات السواد بثمانية عشر الف الف درهم قالا نعم قال الم اشترط عليكما شركة رجل معكما قالا بلى قال فهذا الرجل هو الذي اشترطت شركته للحاكم قال لي قم معهما فلما خرجنا من عنده قالا لي ادخل معنا بعض المساجد حتى نكلمك في امر يكون لك فيه الربح المهني فدخلنا مسجدا فقالا لي انك تحتاج في هذا الامر الى وكلاء وكيالين واعوان ومؤن لم تعد منها شيئا فهل لك ان تبيعنا شركتك بمال نعجله لك تنتفع

ويسقط عنك التعب والكلف فقلت لهما وكم نبذلا لي فيه لا مائة الف درهم فقلت لا افعل فما زالا يزيداني وانا لا ازيدهما الى ان قالا ثلثمائة الف درهم ولا زيادة عندنا غير هذا فقلت حتى اشاور ابا خالد فقالا لك ذلك فرحت اليه واخبرته فادعى بهما وقال لهما هل وافقتما علي ما ذكر قالا نعم قال اذهبا فاقبضاه المال الساعة ثم قال لي اصلح الله امرك وتهيا فقد قلدتك العمل فاصلحت امري وقلدني ما وعدني فما زلت في زيادة حتى صار امري الى ما صار ثم قال لولده الفضل رحمه الله يا بني فما تقول في ابن من فعل مع ابيك هذا الفعل وما جزاوه قال وجب عليك مكافاته فقال والله يا ولدي ما اجد له مكافاة غير اني اعزل نفسي واوليه ففعل ذلك رضي الله عنه

ومن ذلك ما حكي عن العباس صاحب شرطة المامون رحمهما الله قال دخلت الى مجلس امير المومنين ببغداد يوما وبين يديه رجل مكبل بالحديد فقال لي يا عباس فقلت لبيك يا امير المومنين قال خذ هذا اليك واستحفظ به وبكرمه الى غد واحضره عليه قال العباس رحمه الله فدعوت جماعة فحملوه ولم يقدر ان يتحرك فقلت في نفسي ما هذه الوصية التي اوصاني بها من الاحتفاظ به ما يجب ان يكون معي في بيتي فلما تركوه في مجلس لي في داري اخذت اسالة عن قصته وحاله ومن اين هو فقال انا من دمشق واهلها خير فمن انت من اهلها قال وعمن تسال قال اتعرف فلانا قال ومن اين تعرف ذلك الرجل قلت وقع لي معه قضية قال ما كنت بالذي اعرفك خبره حتى تعرفني فقلت وبحك كنت مع الولاة بدمشق فبغت اهلها وخرجوا علينا حتى ان الوالي تدلى في زنبيل في قصر الحجاج وهرب هو واصحابه وهربت من جملة القوم فبينما انا هارب في بعض الدروب واذا الجماعة يعدون خلفه فما زلت اعدو امامهم حتى مررت بهذا الرجل الذي ذكرته لك وهو جالس على باب داره فقلت اغثني اغاثك الله فقال لا باس عليك ادخل الدار فدخلت فقالت زوجته ادخل تلك المقصورة فدخلتها ووقف الرجل على باب الدار فما شعرت به الا وقد دخل والرجال معه يقولون هو والله عندك فقال دونكم الدار ففتشوها حتى لم يبق سوى تلك المقصورة وامراته فيها فقالوا هو ههنا فصاحت بهم المراة ونهرتهم فانصرفوا وخرج الرجل وجلس على باب داره ساعة وانا قائم ارجف ما تحملني رجلاي من شدة الخوف فقالت المراة اجلس لا باس عليك فجلست فلم البث حتى دخل الرجل فقال لا تخف فقد صرف الله عنك شرهم وصرت الى الامن والدعة ان شا الله تعالى فقلت جزاك الله خيرا فما زال يعاشرني احسن معاشرة واجمله وافرد لي مكانا من داره ولم يحوجني الى شي ولم يفتر عن تفقد احوالي فاقمت عنده اربعة اشهر في اتم عيش وارفهه الى ان سكنت الفتنة وهدت وزال اثرها فقلت له انا اذن لي

في الخروج حتى اتفقد حال غلماني فلعلي اقف منهم على خبر فاخذ علي المواثيق بالرجوع اليه وخرجت وطلبت غلماني فلم ار لهم اثرا فرجعت اليه واعلمته الخبر ومع هذا كله لا يعرفني ولا يعرف اسمي ولا يخاطبني الا بالكنية فقال لي علام تعزم فقلت قد عزمت على التوجه الى بغداد فان القافلة بعد ثلثة ايام تخرج وقد تفضلت علي في هذه المدة ولك علي عهد الله اني لا انسى لك هذا الفضل والا وفيتك مهما استطعت قال فدعى بغلام اسود وقال له انعل الفرس لفلاني ثم جهز له السفرة فقلت في نفسي ما اشك ان يخرج الى ضيعة او ناحية من النواحي فاقاموا يومهم ذلك في كد وتعب فلما كان يوم خروج القافلة جاني في السحر وقال يا فلان قم ان القافلة تخرج الساعة واكره ان تنفرد عنها فقلت في نفسي كيف اصنع وليس معي ما اتزود به ولا ما اكرى به مركبا ثم قمت واذا هو وامراته قد دفعا الي بقجة من افخر اللباس وخفين جديدين واله السفر ثم جاني بسيف فشده في وسطي ثم قدم بغلا فحمل عليه صندوقين وفوقهما فرش ودفع لي نسخة ما في الصندوقين وفيهما خمسة الاف درهم وقدم الي الفرس الذي شده بسرجه ولجامه وقال اركب وهذا الغلام الاسود يخدمك ويسوس مركبك واقبل هو وامراته يعتذرون الي من التقصير في امري وركب معي يشيعني وانصرفت الى بغداد وانا اتوقع خبره لاني عهدت له في مجازاته ومكافاته واشتغلت مع امير المومنين فلم اتفرغ ارسل اليه من يكشف خبره فلهذا اسال عنه فلما سمع الرجل الحديث قال قد امكنك الله من الوفا له ومن مكافاته على فعله ومجازاته على صنيعه بلا كلفة عليك ولا مونة تلزمك فقلت وكيف ذلك قال انا ذلك الرجل فاما الضر الذي انا فيه غير عليك حالي وما كنت تعرفه ثم لم يزل يذكر لي تفاصيل الاسباب حتى اثبت معرفته فلم اتمالك ان قمت وقبلت راسه ثم قلت له فما الذي صار بك الى ما ارى قال هاجت بدمشق فتنة عظيمة مثل الفتنة التي كانت في ايامك فنسبت الي وبعث امير المومنين بجيوش فاصلحوا البلد واخذت انا وضربت الى ان اشرفت على الموت وقيدت وبعث بي الى امير المومنين وامري عنده عظيم وهو قاتلي لا محالة وقد اخرجت من عند اهلي بلا وصية وقد تبعني من غلماني من ينصرف الى اهلي بخبري وهو نازل عند فلان فان اردت ان تجعل من مكافاتك لي ان ترسل من يحضره لي حتى اوصيه بما اريد فان انت فعلت ذلك فقد جاوزت حد المكافاة وقمت بوفي عهدك قال العباس رحمه الله فقلت يصنع الله خيرا ثم احضرت حدادا في الليل وفك قيوده وازال ما كان عليه من الاثقال وادخله حمام داره والبسه من الثياب ما احتاج اليه ثم سيرت من احضر اليه غلامه فلما راه جعل يبكي ويوصيه فاستدعي العباس نائبه وقال

دنق

على بغرس الغلاني وبغل الغلاني والبغلة الفلانية حتى عد عشرة ثم عشر من الصنا
ومن الكسوة كذا وكذا ومن الطعام كذا وكذا قال ذلك الرجل واحضر لي بدرة
فيها عشرة الاف درهم وكيسا فيه خمسة آلاف دينار وقال لنائبه في الشرطة خذ هذا
الرجل وشيعه الى احد الانصار فقلت له ان ذنبي عظيم عند امير المومنين وخطبي جسيم
وان انت احتججت باني هربت بعث امير المومنين في طلبي كل من على بابه فاقتل فقال لي
انج بنفسك ودعني ادبر امري فقلت والله لا ابرح من بغداد حتى اعلم ما يكون من خبرك
فان احتجت الى حضوري حضرت فقال العباس رحمه الله لصاحب الشرطة ان كان الامر
على ما يقول فليكن في موضع كذا فان انا سلمت في غداة غد اعلمته وان انا قتلت
وقيت نفسه كما وقاني بنفسه وانشدك الله ان لا يذهب من ماله درهم وتجتهد في
اخراجه من بغداد قال الرجل فاخذني صاحب الشرطة وصيرني في مكان اثق به
وتفرغ العباس لنفسه واغتسل وتحنط وجهز له كفنا قال العباس فلم افرغ من صلوة
الصبح الا وارسل امير المومنين في طلبي يقولون قال لك امير المومنين هات الرجل
معك قال فتوجهت الى دار امير المومنين واذا هو جالس وعليه ثيابه فقال
اين الرجل فسكت فقال ويحك الرجل فقلت يا امير المومنين اسمع مني فقال على عهد
لئن ذكرت انه هرب لاضربن عنقك فقلت يا امير المومنين ما هرب ولكن اسمع حديثي
وحديثه ثم شانك وما تريد في امري قال قل فقلت يا امير المومنين كان من حديثي
معه كيت وكيت وقصصت عليه القصة جميعها وعرفته اني اريد ان اوفي له واكافيه
على ما فعله معي وقلت انا وسيدي ومولاي امير المومنين مخير بين امرين اما ان يصفح عني
فاكون قد وفيت وكافيت واما ان تقتلني فاقيه بنفسي وقد تحنطت وها كفني يا امير
المومنين فلما سمع المامون الحديث قال له ويلك لا جزاك الله عن نفسك خيرا انه
فعل معك ما فعل من غير معرفة وتكافيه بعد المعرفة والعهد بهذا الامر هلا عرفتني
خبره فكنا نكافيه عنك ولا نقصر في وفايك له فقلت يا امير المومنين انه ههنا وقد حلف
ان لا يبرح حتى يعرف سلامتي فان احتجت الى حضوره حضر فقال المامون وهذه منة
اعظم من الاولى اذهب الان اليه وطيب نفسه وسكن روعه وائتني به حتى اتولى مكافاته
قال فاتيت اليه وقلت له ليزول خوفك ان امير المومنين قال كيت وكيت فقال
الحمد لله الذي لا يحمد على السراء والضراء الا هو ثم قام وصلى ركعتين ثم ركب وجئنا فلما مثل
بين يدي امير المومنين اقبل عليه وادناه من مجلسه وحدثه حتى حضر الغدا واكل معه
وخلع عليه وعرض عليه اعمال دمشق فاستعفى وامر له المامون بعشرة افراس بسروجها
ولجمها وعشرة ابغال بالاتها وعشرة بدر وعشرة الاف دينار وعشرة مماليك وكتب

الى عامله

الى عامله بدمشق بالوصية به والاطلاق خراجه وامر له بمكاتبته باحوال دمشق
فصارت كتبه تصل الى المامون وكلما وصل خريطة البريد وفيها كتابه يقول المامون
يا عباس هذا كتاب صديقك والله اعلم ه ومن غرائب هذا الاسلوب
ما رواه محمد بن القاسم الانباري رحمه الله ان سوارا صاحب رحبة سوار وهو الرجل المشهور
قال انصرفت يوما من دار الخليفة المهدي رحمه الله فلما دخلت منزلي دعوت بالطعام
فلم تقبله نفسي فامرت به فرفع ثم دعوت جارية احدثها اشتغل بها فلم تطب نفسي فدخلت وقت
القايلة فلم ياخذني النوم فنهضت وامرت ببغلة لي فاسرجت واحضرت وركبتها فلما
خرجت استقبلني وكيل لي ومعه مال فقلت ما هذا قال الفا درهم جبيتها من مستغلك
الجديد فقلت امسكها واتبعني واطلقت راس البغل حتى عبرت الى الجسر ثم مضيت في
شارع دار الرقيق حتى انتهيت الى الصحراء ثم رجعت الى باب الانبار فانتهيت الى باب
دار لطيف عليه شجرة وعلى الباب خادم فعطشت فقلت للخادم اعندك ما تسقينيه
قال نعم ثم دخل واخرج قلة لطيفة طيبة الرائحة عليها منديل فناولني فشربت وحضر وقت
العصر فدخلت مسجدا على الباب فصليت فيه فلما قضيت صلوتي اذا انا باعمى يتلمس فقلت
ما تريد يا هذا قال اياك اريد قلت فما حاجتك فجاء حتى جلس الى جانبي فقال شممت منك
رائحة طيبة فظننت انك من اهل النعيم فاردت ان اقول لك شيئا فقلت قل قال الا ترى الى
باب هذا القصر قلت نعم قال هذا قصر كان لابي فباعه وخرج الى خراسان وخرجت معه
فزالت عنا النعمة التي كنا فيها وعميت فقدمت هذه المدينة واتيت صاحب هذه الدار
اساله شيا يصلني به واتوصل الى سوار فانه كان صديقا لابي فقلت ومن ابوك قال
فلان بن فلان فعرفته فاذا هو كان اصدق الناس الي فقلت له يا هذا ان الله تعالى
قد اتاك بسوار وقد منعه من الطعام والنوم والقرار حتى جاء به فاقعده بين يديك
ثم دعوت بالوكيل فاخذت الدراهم منه فدفعتها اليه وقلت اذا كان الغد فسر الى منزلي
ثم مضيت وقلت في نفسي ما احدث امير المومنين بشي اطرف من هذا فاتيته فاستاذنت
عليه فاذن لي فلما دخلت عليه حدثته بما جرى لي فاعجبه وامر لي بالفي دينار فاحضرت
قال ادفعها للاعمى فنهضت فقال اجلس فجلست فقال اعليك دين قلت نعم قال كم
قلت خمسون الف فحادثني ساعة وقال امض الى منزلك فمضيت الى منزلي فاذا الخادم
معه خمسون الفا فقال يقول لك امير المومنين اقض بهذا دينك قال فقبضت ذلك
منه فلما كان من الغد ابطا علي الاعمى واتاني رسول المهدي يدعوني فجئته فقال لي قد
ذكرت البارحة في امرك فقلت تقضي دينك ثم تحتاج الى القرض
ايضا فامرت لك بخمسين الف درهم اخرى قال فقبضتها وانصرفت فجاني الاعمى فدفعت اليه

الا الفي دينار دخلت لم تدر رزقه الله تعالى بكرمه وكافان على احسان ابيك وكافاني على اسدا المعروف اليك ثم اعطيته شيئا آخر زمالي فاخذه وانصرف والله اعلم وهذا

ازجر معنى ما حكاه القاضي يحيى بن اكثم رحمه الله قال دخلت يوما على الخليفة الرشيد ولد المهدي رحمه الله وهو مطرق مفكر فقال لي اتعرف قائل هذا البيت قلت وما هو قال

الخير ابقى وان طال الزمان به • والشر اخبث ما اوعيت من زاد

قلت يا امير المومنين ان لهذا البيت شانا مع عبيد بن الابرص رحمه الله فقال علي به فلما حضر بين يديه قال اخبرني عن قضية هذا البيت فقال كنت يا امير المومنين في بعض السنين حاجا فلما توسطت البادية في يوم شديد الحر سمعت ضجة عظيمة في القافلة الحقت باولها آخرها فسالت عن القضية فاذا انا بشجاع اسود فاغر فاه وهو يخور كالثور ويرغو رغا الابل فهالني امره فبقيت لا اهتدي الى ما اعمل في امري فعدلنا عن طريقه الى ناحية فعارضنا ثانيا فعلمنا انه بسببه ولم يجسر احد من القوم يقربه فقلت افدي هذا العالم بنفسي واتقرب الى الله تعالى بخلاص هذه القافلة من هذا فاخذت قربة من الما فتقلدتها وسللت سيفي وتقدمت فلما راني قربت منه سكن وبقيت متوقعا منه وثبة يبتلعني فيها فلما راى القربة فتح فاه فجعلت فم القربة في فمه وصببت الما كما يصب في الانا فلما فرغت القربة تسيب في الرمل ومضى فتعجبت من تعرضه لنا وانصرافه عنا من غير سو لحقنا منه ومضينا لحجنا ثم عدنا في طريقنا وحططنا في منزلنا في ليلة ظلما مدلهمة فاخذت شيئا من الما وعدلت الى ناحية الطريق فقضيت حاجتي ثم توضات وصليت وجلست اذكر الله تعالى فاخذتني عيني فنمت مكاني فلما استيقظت من النوم لم اجد للقافلة اثرا ولا حسا وقد ارتحلوا وبقيت منفردا لم ار احدا ولم اهتد الى ما افعل وجعلت اضطرب واذا بصوت هاتف اسمع صوته ولا ارى شخصه فقال شعر •

انها الشخص المضل مركبه • ما عندي من ذي رشاد يصحبه

دونك هذا البكر فاركبه • وبكرك الميمون منا فاجنبه

حتى اذا الليل ازال غيهبه • فحط عنه رحله وسيبه

فنظرت واذا انا ببكر قائم عندي وبكري الى جانبي فانخته وركبت وجنبت بكري فلما سرت قدر عشرة اميال لاحت لي القافلة وانفجر الفجر ووقف البكر فعلمت انه قد حان نزولي فنزلت الى بكري وقلت شعر •

يا ايها البكر قد انجيت من كربي • ومن هموم تضل المدلج الهادي

الا تخبرني بالله خالقنا • من ذا الذي جاد بالمعروف في الوادي

وارجع حميدا فقد بلغتنا امننا • بوركت من ذي سنام رائح غادي

فالتفت

فالتفت الي وسمعته يقول شعر •

انا الشجاع الذي الفيتني رمضا • والله يكشف ضر الحائر الصادي

فجدت بالما حين اشتد حامله • تكرما منك لم تمنن بانكادي

فالخير ابقى وان طال الزمان به • والشر اخبث ما اوعيت من زاد

هذا جزاوك مني لا امن به • فاذهب حميدا وادع الخالق الهادي

الباب الثالث والاربعون

في الهجا ومقدماته وما اشبه ذلك

المقصد من ذكر الهجا الموقوف على صحته • وما فيه من الفاظ فصيحة • ومعان بديعة • التشفي بالاعراض والوقوع فيها • وليس الهجا دليلا على اساة المهجو ولا صدق الشاعر فيما رماه به فما كل مذموم بذميم • وقد يهجى الانسان بهتانا وظلما • وعما وارها بانا قال المتوكل لابي العينا رحمه الله كم تمدح الناس وتذمهم قال ما احسنوا او اساوا وقد انعم رضي الله عنه على عبد فمدحه فقال نعم العبد انه اواب وغضب على آخر فقال مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم • وقيل الزنيم الملصق بالقوم وليس منهم وقال دعبل في المامون رحمه الله بعد البيعة له • وقيل في الامين رحمه الله شعر •

اني من القوم الذين هم هم • قتلوا اخاك وشرفوك بمقعد

شادوا بذكرك بعد ذكر خموله • واستنقذوك من الحضيض الاوهد

فقال ما اقحه ليت شعري متى كنت خاملا وفي حجر الخلافة ربيت • وبدرها رضعت ولما قتل جعفر بن يحيى رحمه الله بكى عليه ابو نواس وحزن من اجله فقيل له اتبكي عليه وقد هجوته فقال كان ذلك لركوب الهوى والله بلغه الي قلت بيت •

ولست وان اطنبت في وصف جعفر • باول انسان جرى في ثيابه

ومن العنت لهجو ما روي ان الحطية رحمه الله هم بهجاء فلم يجد من يستحقه فقال

ابت شفتاي اليوم الا تكلما • بشر فما ادري لمن انا قائله

ارى لي وجها قبح الله خلقه • فقبح من وجه وقبح حامله

وقال آخر في بنانه •

يا طلوع الرقيب ما بين الف • يا عرعيا الى على ميعاد

يا رقودا في يوم غيم وصيف • يا وجوه التجار يوم كساد

وقصد ابن ابي عيينة قبيصة المهلبي رحمه الله واستماحه فلم يسمح له بشي فانصرف مغضبا وتوجه اليه داود بن يزيد بن حاتم رحمه الله فترضاه واحسن اليه فقال في ذلك شعرا •

داود محمود وانت مذمم • عجبا لذلك وانتما من عود

ولربّ عود قد يشق لمسجد * نصفًا وباقيه لحشّ يهود
فالحشّ انت له وذاك المسجد * كم بين موضع مسلحٍ وسجود
هذا جزاؤك يا قبيص لأنه * جادت يداه وانت نعل جديد

و له يهجو خالد رحمه الله

ابوك لنا غيث نعاش بوبله * وانت جرادٌ لا يبقي ولا تذر
له اثرٌ في المكرمات يسرنا * وانت تعفي ذلك الاثر

وقال رجل لاخيه لابويه ما هجوتك هجاء يدخل معك قبرك فقال كيف تهجوني وابوك ابي وانك اخي قال اقول

بيت

غلام اتاه اللوم من شطر نفسه * ولم يأته من شطر امٍّ ولا اب

وقيل عن بشار بن برد رحمه الله انه هجا المهدي وهجا يعقوب بن داود فقال

بني امية هبوا طال نومكم * ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا * خليفة الله بين الناي والعود

فدخل يعقوب على المهدي واخبره ان بشارا هجاه فاخبر من المهدي وانحدر الى البصرة لينظر في امرها فسمع اذانا في الضحى فقال انظروا ما هذا من اعمالكم ثم امر به فضرب سبعين سوطا اتلفه فيها والقي في سفينة فقال ليت عين ابي الشمقمق ترانى حيث يقول بشار بن برد فلما العبت جثته في الماء فحمله الماء فاخرجه الى الدجلة فجاء بعض اهله فحملوه الى البصرة واخرجت جنازته فما تبعه احد وتباشر عامة الناس بموته لما كان يلحقهم منه من الاذى وخاصم ابو دلامة رجلا فارتفعا الى عافية القاضي فلما رآه ابو دلامة رحمه الله انشد فقال

شعر

لقد خاصمني دهاة الرجال * وخاصمتها سنة وافيه
فما خصر الله لي حجته * ولا خيّب الله لي قافيه
ومن خفت من جورك من القضا * فلست اخافك يا عافيه

فقال عافية رحمه الله لاشكونك الى امير المؤمنين ولاعلمنه انك هجوتني قال فاذا يعزلك قال ولم قال لانك لم تعرف الهجا من المدح فبلغ ذلك المنصور رحمه الله فضحك وامر له بجائزة ودخل ابو دلامة على المهدي رحمه الله وعنده اسمعيل بن علي وعيسى بن موسى والعباس بن محمد وجماعة من بني هاشم رحمهم الله فقال له المهدي والله لئن لم تهج واحدا ممن هو في هذا البيت لاقطعن لسانك فنظر الى القوم وتحير في امره وجعل ينظر الى كل واحد فيغمزه بان عليه رضاه قال ابو دلامة رحمه الله فازددت حيرة وما رأيت اسلم لي من هجو نفسي فقلت

شعر

الا ابلغ لديك ابو دلامة * فلست من الكرام ولا كرامه
جمعت دمامة وجمعت لوما * كذاك اللوم يتبعه الدمامه
اذا لبس العمامة قلت قردا * وخنزيرا اذا نزع العمامه

قال فضحك القوم ولم يبق منهم الا من اجازه وقال ابن الاعرابي رحمه الله اهجى بيت قول محمد بن وهب في محمد بن هشام رحمهما الله قال

بيت

لم تند كفاك من بذل النوال كما * لم يند سيفك مذ قلدته بدم

وقد احسن الاديب كمال الدين احمد بن محمد بن المبارك الشهير بابن الاعمى رحمه الله في ذم دار كان يسكنها

شعر

دار سكنت بها اقل صفاتها * ان تكثر الحشرات في جنباتها
الخير عنها نازح متباعد * والشر دان من جميع جهاتها

ولبعضهم يهجو بلاّن

اشكو الى الله بلانا بليت به * سيف انامله ظهري فادماني
فلا يد لك تدلكنا بمعرفة * ولا يسرح تسريحا باحسان

وللشيخ شمس الدين البدوي رحمه الله يهجو بلاّن

وبلان له ظفر بناني * به حد الشفار المرهفات
عرى جسمي فالبسه سحيقا * على خلل السطور الساريات
ورام تليين اعضائي برفق * فابيسها وكسر فوقاتي
ولم انظر له الا جبيلا * وذلك من عظيم المهلكات
تيقود لي ان عيت بلين ابط * ينوح به على كل الجهات
فلا تعجز المي منك هذا * تغسلني اذا خانت وفاتي

وقال آخر يهجو حماما

وحمام دخلناها لامر * حكت سقرا وفيها المجرمونا

وللشريف نقيب البغدادي رحمه الله في نظام الملك رحمه الله يهدده بالهجا وقد قال

شعر

اتحمل يا نظام الملك اني * اعاود من ديارك كما قدمت
واصدر عن حياضك وهي تجب * بافواه السقاة وما رويت
يدل على فعالك سوء حالي * ويخبر عن نوالك ان كتمت
اذا استخبرت ماذا نلت منه * وقد عمّ الورى كرما سكت

وممن عرض بالهجو في شعره الحريري رحمه الله حيث قال في جعفر رحمه الله ما قال

أبا جعفر لست بالمنصف • مثلك من قال قولا يفي
فان كنت اعززت لي ما وعدته • والا هجوت وادخلت في

ومدح السراج الوراق رحمه الله انسانا فلم يجزه فكتب اليه يحرضه ويهدده بالهجا يقول

شعر

أعد مدحي علي وخذ سواه • فقد انحبتني يا مسترح
ولا تغضب اذا انشدت يوما • سواه وقيل لي هذا مليح

وله ايضا رحمه الله

آخذ مدحا كذب عليك فيه • وقد عاقبت بالحرمان عنه
ولكني ساصدق فيك قولا • فلا يصعب عليك الحق منه

وقال بعضهم في حجاج نزلوا عليه ولم يعدوا اليه شيئا

مناس وضوا الجوا الوجوه كانها • تكاد لفرط البشر ان توضح السبلا
وعادوا وكان النار فوق وجوههم • ولا مرحبا بالقادمين ولا سهلا
وجاؤا وما جادوا بعود اراكة • ولا وضعوا في كف طفل لنا نقلا

وقال اخر

اذا رمت هجوا فلان يصدني • خلائق قبح عينه لا تزحزح
تجاوز قدر الهجو حتى كانه • باقبح ما يهجو به المرء يمدح

وهجا بعضهم امراة فقال

لها جسم برغوث وساق بعوضة • ووجه كوجه القرد بل هو اقبح
تبرق عيناها اذا ما رايتها • وتعبس في وجه الضجيع وتكلح
لها مضحك كالحش تحسب انها • اذا ضحكت في اوجه الناس تسلح
اذا عاين الشيطان صورة وجهها • تعوذ منها حين يمسي ويصبح

وقيل لبعضهم ما تقول في فلان وفلان فقال هما كالخمر والميسر اثمهما اكبر من نفعهما وقيل لرجل كيف وجدت فلانا قال طويل العنان في اللوم قصير الباع في الكرم وثابا على الشر مناعا للخير وسمع اعرابي قوله تعالى ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر فقال الله اكبر هجانا ثم مدحنا وكذلك قول الشاعر بيت

هجوت زهيرا ثم اني مدحته • وما زالت الاشراف تهجى وتمدح

واستب رجلان فقال احدهما للاخر لو قطع زبك ثم علق لرسو زانية في الكوفة الا وعرفته وقال المتوكل لابي العينا رحمهما الله ما بقي في المجلس احد الا هجاك وذمك عندي فقال بيت اذا رضيت عني كرام عشيرتي • فلا زال غضبانا علي لئامها

الباب

الباب الرابع والاربعون
في الصدق والكذب وفيه فصلان

الفصل الاول في الصدق قال الله تعالى مبشرا للصادقين هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم وقال عمر رضي الله عنه عليك بالصدق وان قتلك ومن احسن ما قيل فيه

شعر

عليك بالصدق ولو انه • احرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضى الله فاغبى الورى • من اسخط المولى وارضى العبيد

وقال اسمعيل بن عبد الله رحمه الله لما حضرته الوفاة لبنيه يا بني عليكم بتقوى الله تعالى وعليكم بالقرآن فتعاهدوه وعليكم بالصدق حتى لو قتل احدكم قتيلا ثم سئل عنه اقر به والله ما كذبت كذبة منذ قرات القرآن وعن عايشة رضي الله عنها قالت سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم بم يعرف المؤمن قال بوقاره ولين كلامه وصدق حديثه

وقال محمود الوراق رحمه الله

الصدق منجاة لاصحابه • وقربة يدني من الرب

وقيل الصدق عمود الدين وركن الادب واصل المروة ولا تتم هذه الثلثة الا به وقال رسطاليس احسن الكلام ما صدق فيه قايله وانتفع به سامعه وقال المهلب بن ابي صفرة رحمه الله ما السيف الصارم في يد الشجاع باعز له من الصدق وقال عسال لسانه وقف على الصدق ويقال الصدق محمود من كل احد الا من الساعي وقيل لو صدق عبد فيما بينه وبين الله تعالى حقيقة الصدق لاطلع على خزاين من خزاين الغيب ولو كان امينا في السموات والارض وقيل من لزم الصدق وعود لسانه وفق ويقال الصدق بالحر اولى وقال عتبة بن ابي سفين رحمه الله اذا اجتمع في قلبك امران لا يدري ايهما اقرب الى هواك فخالفه فان الصواب اقرب الى مخالفة الهوى وقال رسطاليس الموت مع الصدق خير من الحيوة مع الكذب وكان حاتم قبل يدا للوليد وقال والله ما قبلت يد قرشي غيرك الا واحدا فقال هو المنصور قال لا والله قال فمن هو قال الوليد بن يزيد فغضب وقال ما قبلتها لله تعالى فقال والله ولا يدك ما قبلتها لله تعالى ولكن قبلتها لنفسي فقال والله لا ضرك الصدق عندي اعطوه ماية اخرى وقال عامر العدواني رحمه الله في وصيته اني وجدت صدق الحديث طرفا من الغيب فاصدقوا ومن لزم الصدق وعود لسانه وفق فلا يكاد يتكلم بشي الا جاء على ظنه وخطب بلال رحمه الله لاخيه امراة قرشية فقال لاهلها نحن من قد عرفتم كنا عبدين فاعتقنا الله وكنا ضالين فهدانا الله وكنا فقيرين فاغنانا الله وانا اخطب منكم فلانة لاخي

قال نلحوها فالحمد لله وان نردونا فالله اكبر فاقبل بعضهم على بعض فقالوا بلال
من قد علمتم مبايعته ومشاهده ومكانه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فزوجوا اخاه فلما انصرفوا قال له اخوه يغفر الله لك اما كنت تذكر سوابقنا
ومشاهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مه يا اخي صدقت فانكحك
الصدق وخطب الحجاج رحمه الله يوما فاطال فقام رجل من القوم وقال الصلوة
يا حجاج فان الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك فامر بحبسه فاتاه قومه وزعموا
انه مجنون وسالوه ان يخلي سبيله فقال ان اقر بالجنون فقال معاذ الله لا ازعم
ان الله ابتلاني وقد عافاني فبلغ ذلك الحجاج فعفى عنه بصدقه وصلى الله على سيدنا محمد واله

الفصل الثاني من هذا الباب في الكذب

قال الله تعالى في الكاذبين ولهم عذاب اليم بما كانوا يكذبون وقال تعالى
ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم اياكم والكذب فان الكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار
ويحق الصدق والصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة وعن عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كذب العبد كذبة تباعد
الملك عنه مسيرة ميل من نتن ما جاء به وقيل راوي الكذب احد الكاذبين وقيل
راس المآثم الكذب وعمود الكذب البهتان وقيل امران لا ينفكان عن الكذب كثرة
المواعيد وشدة الاعتذار وقال الحسن رحمه الله في قوله تعالى ولكم الويل مما تصفون
هي والله لكل واصف كذبا الى يوم القيمة وقال الاصمعي رحمه الله قلت لكذاب
اصدقت قط فقال والله لولا اني اصدق في هذا لقلت لك لا وقال محمود بن مروان
وابن ابي الجنوب رحمهما الله

شعر

لي حيلة فيمن ينم ... وليس في الكذاب حيله
من كان يخلق ما يقول ... فحيلتي فيه قليله

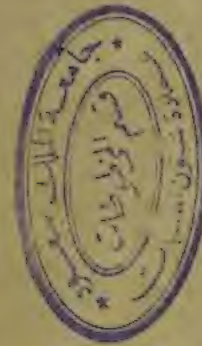
وقيل فلان اكذب من لمعان السراب ومن سحاب تموز وكان بفارس متنبئ يعرف
بعزال الكذاب وكان يقول ان منعت من الكذب انشقت مرارتي واني لاجد به مع ما
يلحقني من عاره ما لا اجد بالصدق مع ما ينالني من نفعه وقال فيلسوف من عرف من نفسه
الكذب لم يصدق الصادق

ولبعضهم في الكذب

حسب الكذوب من البليه ... بعض ما يحكى عليه
فمتى سمعت بكذبة من ... غيره نسبت اليه

واضاف

واضاف صبي في قوم واقبل يحدثهم فقال بعضهم نحن كما قال الله تعالى سماعون للكذب
اكالون للسحت وعن عبد الله بن السري رحمه الله قال قلنا لابن المبارك رحمه الله حدثنا
فقال ارجعوا فاني لست احدثكم فقيل له انك لم تحلف فقال لو حلفت لكفرت ولكن لست اكذب
فكان هذا احب الينا من الحديث وقال مجاهد رضي الله عنه يكتب على ابن آدم كل شيء حتى
انينه في سقمه وحتى ان الصبي ليبكي فيقول له اسكت واشتري لك كذا ثم لا يفعل فيكتب
وقال الفضيل رحمه الله ما من مضغة احب الى الله من اللسان اذا كان صادقا ولا مضغة
ابغض الى الله منه اذا كان كاذبا وقال ابن مسعود رضي الله عنه اعظم الخطايا اللسان
الكذوب



قال الشاعر

لا يكذب المرء الا من مهانته ... او فعله السوء او من قلة الادب
لبعض جيفة كلب خير رائحة ... من كذبة المرء في جد وفي لعب

ولما نصب معاوية ابنه يزيد رحمه الله لولاية العهد اقعده في قبة حمراء وجعل الناس يسلمون
على معاوية ثم يميلون الى يزيد حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع الى معاوية رضي الله عنه فقال
يا امير المؤمنين اعلم لو لم تول هذا امور المسلمين لاضعتها والاحنف رحمه الله ساكت
فقال له معاوية ما لك لا تقول يا ابا بحر فقال اخاف الله ان كذبت واخافكم ان صدقت
فقال جزاك الله عن الطاعة خيرا ثم امر له بالوف فلما خرج الاحنف لقيه ذلك
الرجل بالباب فقال له يا ابا بحر اني لاعلم ان هذا من شرار خلق الله ولكنهم استوثقوا من
الاموال بالابواب والاقفال فلسنا نطمع في استخراجها الا بما سمعت فقال له الاحنف رحمه الله
يا هذا امسك فان ذا الوجهين لا يكون عند الله وجيها وقيل ان الكذب يحمد اذا قرب
بين المتخاصمين ويذم الصدق اذا كان غيبة وقد رفع الحرج عن الكاذب في الحرب والصلح بين
المرء وزوجه وكان المهلب رحمه الله في حرب الخوارج يكذب لاصحابه يقوي بذلك جاشهم
فاذا راوه مقبلا عليهم قالوا جاءنا يكذب وقال يحيى بن خالد رحمه الله رايت شارب الخمر ينزع
ولصا اقلع وصاحب الفواحش رجع ولم ار كذابا صار صادقا وكان عمرو بن معدي كرب يتهم
بالكذب وقيل لخلف الاحمر رحمه الله وكان شديد التعصب لليمن كان عمرو بن معدي كرب رحمه الله
يكذب فقال يكذب في المقال ويصدق في الفعال وقيل ان بلالا رضي الله عنه لم يكذب منذ اسلم

الباب الخامس والاربعون في بر الوالدين وذم العقوق وذكر الاولاد وما يجب لهم وعليهم وذكر الرحم والقرابات وذكر الاخوان وفيه فصول

الفصل الاول في بر الوالدين وذم العقوق قال الله تعالى واعبدوا الله ولا تشركوا
به شيئا وبالوالدين احسانا وقال تعالى وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا

وقال تعالى قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا
وقال تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا وقال تعالى ان اشكر لي ولوالديك
الي المصير وقال تعالى ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح
الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا وقال علي كرم الله وجهه لو علم الله
شيئا من العقوق ادنى من اف لحرمه فليعمل العاق ما شا ان يعمل فلن يدخل الجنة وليعمل البار ما
شا ان يعمل فلن يدخل النار وروي ان رضى الرب في رضى الوالدين وعن ابي سهل عن صالح
عن ابي ربيعة عن ابي عمرو عن ربيعة بن عبد الرحمن عن عطا بن ابي مسلم رضي الله عنهم ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من حج عن والديه بعد وفاته كتب الله لوالديه حجة وكتب له براه من
النار وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال من قبل ما بين عيني ابيه احتسابا كانت له حجابا
من النار وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم وعقوق الوالدين فان ريح الجنة
يوجد من مسيرة خمسماية عام ولا يجد ريحها عاق لوالديه وكان رجل من النساك يقبل كل
يوم قدم امه فابطا على اخوانه يوما فسالوه فقال كنت اتمرغ في رياض الجنة فقد بلغنا
ان الجنة تحت اقدام الامهات وعن مكحول عن معاذ بن جبل رضي الله عنهما قال ان
الله تعالى كلم موسى عليه السلام ثلثة آلاف وخمسماية كلمة فكان آخر كلامه يا رب اوصني
قال اوصيك بامك حتى قال ذلك سبع مرات ثم قال يا موسى الا ان رضاها من رضاي
وسخطها من سخطي وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لميمون بن مهران رحمه الله
يا مهران لا تات باب السلطان وان امرتهم بالمعروف ونهيتهم عن المنكر ولا تخلون
بامراة وان قرات عليها سورة من القران ولا تصحبن عاقا فانه لن يصلك وقد عق ابويه
وقال فيلسوف رحمه الله من عق اباه عقه ولده وقال المامون رحمه الله لم ار احدا
ابر من الفضل بن يحيى رحمه الله بابيه بلغ من بره له انه كان لا يتوضا الا بما مسخن فمنعهم
السجان من الوقود في ليلة باردة فلما اخذ يحيى مضجعه قام الفضل الى قمقم نحاس فملاه
ما وادناه من المصباح فلم يزل قايما وهو في يده الى الصباح وطلب بعضهم من ولده ان
يسقيه ما فلما اتاه بالشربة نام ابوه فما زال الولد واقفا والشربة بيده الى الصباح
حتى استيقظ ابوه من منامه وقال رجل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ان لي اما بلغ
بها الكبر انها لا تقضي حاجتها الا وظهري لها مطية فهل اديت حقها قال لا لانها كانت
تصنع بك ذلك وهي تتمنى بقاك وانت تصنعه بها وتتمنى فراقها وقال محمد بن المنكدر
رحمه الله بت اكبس رجلاي وبات اخي يصلي ولا تسرني ليلته بليلتي ولم يتكلم محمد بن سيرين بين يدي
امه بلسانه وانه من ابر الناس ولا ياكل مع امه في صحفة فقال اخاف ان تسبق
يدي الى ما سبقت عينها اليه فاكون قد عققتها وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

الفصل الثاني في الاولاد وحبهم وذكر النجبا الاذكيا وذكر البله الاشقيا

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الولد ريحان من الجنة وقال الفضل رحمه الله ريح الولد
من الجنة وكان يقال ابنك ريحانتك سبعا ثم خادمك سبعا ثم عدو او صديق وعن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه قال قلت لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله صلى الله عليك
ايولد لاهل الجنة قال والذي نفسي بيده ان الرجل ليتمنى ان يكون له ولد فيكون حمله ورضاعه
وشبابه الذي يتمنى اليه في ساعة واحدة وقيل من حق الولد على الوالد ان يوسع عليه
حاله كيلا يفسق وقال عمر رضي الله عنه اني لاكره نفسي على الجماع رجا ان يخرج الله مني
نسمة تسبحه وتذكره وقال علي رضي الله عنه تكثروا من العيال فانكم لا تدرون بمن
ترزقون وقال شبيب بن شيبة رحمه الله ذهبت اللذات الا من شم الصبيان وملاقاة
الاخوان والخلوة مع النسوان ودخل عمرو بن العاص على معاوية رضي الله عنهما وعنده ابنته
عايشة فقال من هذه يا امير المؤمنين فقال هذه تفاحة القلب فقال انبذها عنك فانهن يلدن
الاعدا ويقربن البعدا ويورثن الضغاين فقال لا تقل ذلك يا عمرو فوالله ما مرض المرضى
ولا ندب الموتى ولا اعان على الاحزان الا هن فقال عمرو يا امير المؤمنين انك حببتهن الي
وقيل لرجل اي ولدك احب اليك قال صغيرهم حتى يكبر ومريضهم حتى يبرا وغايبهم حتى
يحضر وقال ابن عامر رحمه الله لامراته امامة بنت الحكم الخزاعية ان ولدت غلاما
فلك حكمك فلما ولدت قالت احكم ان تطعم سبعة ايام كل يوم على الف خوان من فالوذج
وان تحو بالعشاه ففعل لها ذلك وغضب معاوية رحمه الله على يزيد فهجره فقال
له الاحنف رحمه الله يا امير المؤمنين اولادنا ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم سما
ظليلة وارض ذليلة وبهم نصول على كل جليل ان غضبوا فارضهم وان سالوا فاعطهم
وان لم يسالوا فابتدئهم ولا تنظر اليهم شزرا فيملوا حياتك ويتمنوا وفاتك فقال
معاوية يا غلام اذا رايت يزيد فاقرئه السلام واحمل اليه ماتي الف دينار وماتي
ثوب فقال يزيد من عند امير المؤمنين فقال الاحنف قال علي به فلما اتى به قال
يا ابا بحر كيف كانت القصة فحكاها فشكر صنيعه وشاطره الصلة وعن الكسائي
انه دخل على الرشيد رحمهما الله يوما فامر باحضار الامين والمامون اولاده قال فلم
البث ان اقبلا ككوكبي افق يزين منهما هداهما ووقارهما قد غضا ابصارهما حتى وقفا
على مجلسه فسلما عليه بالخلافة ودعوا له باحسن الدعا فاستدناهما واجلس محمدا
عن يمينه وعبد الله عن يساره ثم امرني ان القي عليهما ابوابا من النحو فما سالتهما عن شي
الا احسنا الجواب عنه فسره ذلك سرورا عظيما وقال كيف تراهما قلت ما رايت

أعز الله أمير المؤمنين اخرا من ابنا الخلافة ومعدن الرسالة واغصان هذه الشجرة الزكية اذرب منهما لسانا ولا احسن الفاظا ولا اشد اقتدارا على الكلام رؤيا وحفظا منهما اسال الله تعالى ان يؤيد بهما الاسلام تاييدا وعزا وان يدخل بهما على اهل الشرك ذلا وقمعا وامن الرشيد على دعايي ثم ضمهما اليه وجمع عليهما يديه فلم يبسطهما حتى رايت الدموع تنحدر على صدره ثم امرهما بالخروج وقال كاني بكم وقد دهم القضا ونزلت المقادير وقد تشتت امرهما وافترقت كلمتهما حتى تسفك الدما وتهتك الستور وكان يقال لبني امية رجل اخرج الله منه زق عسل يعني عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وعاتب اعرابي ولده وذكره حقه فقال يا ابت ان عظيم حقك علي لا يبطل صغير حقي عليك

قال الشاعر

احب بنيتي ووددت اني ۞ دفنت بنيتي في قبر لحد
وما بي ان تكون علي ولكن ۞ مخافة ان تذوق الباس بعدي

وقال مروان بن يحيى المنجم رحمه الله

راى انني اشابه من علي ۞ ومن يحيى وذاك به خليق
فقال يشبهما خلقا وخلقا ۞ فقد يسري الى الشبه العروق

وقال ابو نصر مولى بني سليم رحمه الله

ونفرح بالمولود من آل برمك ۞ ولا سيما ان كان ولد الفضل

وقال الحسن بن زيد العلوي رحمه الله

قالوا عقيم فلم يولد له ولد ۞ والمرؤ يخلف من قومه الولد
فقلت من اعلقت بالحرب همته ۞ عاف النسا ولم يكثر له عدد

وكان الزبير بن العوام رضي الله عنه يرقص ولده عبد الله رحمه الله ويقول

ازهر من آل بني عتيق ۞ مبارك من ولد الصديق ۞ الذه كما الذ الزريق

وكانت اعرابية ترقص ولدها وتقول

يا حبذا ريح الولد ۞ ريح الخزامى في البلد
اهكذا كل ولد ۞ ام لم يلد مثلي احد

وكان اعرابي يرقص ولده ويقول

احبه حب الشحيح ماله ۞ قد ذاق طعم الفقر ثم ناله ۞ اذا اراد بذله بدا له

وكان لاعرابي امراتان فولدت احداهما جارية والاخرى غلاما فرقصته يوما امه فقالت تغايظ ضرتها

شعر

الحمد لله الحميد العالي ۞ انقذني العام من الحوالي

من كل شوها تبين ناتي ۞ فلا تدفع الحتم عن العيالى

فسمعتها ضرتها فاقبلت ترقص بنتها وتقول

شعر

وما علي ان تكون جاريه ۞ تغسل راسي وتكون الغاليه
فترفع الساقط من خماريه ۞ حتى اذا ما بلغت ثمانيه

[illegible]

وكان الزبير بن العوام يرقص ولده ويقول فاستزوجها مروان على مائة الف فقال ان امها لحقيقة ان لا يكذب ظنها ولا يخان بعهدها فقال معاوية لولا ان مروان سبقنا اليها لاضعفنا لها المهر ولكن لا نحرم الصلة فبعث اليها بما تي الف درهم والله

وما جا في ذكر الاولاد البله القليلين الفطنة

نظر اعرابي الى ابن له قبيح المنظر فقال يا بني انك لست من زينة الحيوة الدنيا وقال رجل لولده وهو في المكتب في اي سورة انت فقال اقسم بهذا البلد ووالد بلا ولد فقال لعمري من كنت انت ولده فهو بلا ولد وارسل رجل ولده يشتري له رشا للبير طوله عشرون ذراعا فوصل نصف الطريق ثم رجع فقال يا ابت عشرون ذراعا في عرض كم فقال في عرض مصيبتي فيك يا بني وكان لرجل من الاعراب ولد اسمه حمزه فبينما هو يوما يمشي مع ابيه واذا برجل يصيح لشاب يا عبد الله فلم يجبه ذلك الشاب فقال له لا تسمع فقال يا عم كلنا عبيد الله فاي عبد الله تعني فالتفت ابو حمزة اليه وقال الا تنظر الى ابني هذا الشاب فلما كان من الغداة ابرجل ينادي يا حمزة فقال له حمزه ابن الاعرابي يا عم كلنا حمير الله فاي حمزة تعني فقال له ابوه ليس يعنوك يا من اخمل الله به ذكر ابيه وكان لمحمد بن بشير الشاعر رحمه الله ابن جسيم فارسله في حاجة فابطا عليه ثم عاد ولم يقضها فنظر اليه ثم قال

عقل عقل طاير وهو في خلقة الجمل ۞ شبه منك يا ابي ليس عنه منتقل

وعاتب اعرابي ابنه في شرب النبيذ فلم ينته فقال

شعر

امن شربة من ماء كرم شربتها ۞ غضبت علي الآن طاب لي الخمر
ساشرب فاسخط لا رضيت كلاهما ۞ حبيب الى قلبي عقوقك والسكر

وقيل قال ذلك معاوية رحمه الله لابنه حين نهاه عن شرب الخمر

وما جا في صلة الرحم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلة الرحم منماة للولد مبركة للمال وقيل وجد حجر حين حفر ابراهيم الخليل عليه السلام اساس البيت مكتوبا عليه بالعبرانية انا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وقال صلى الله عليه وسلم اعجل الخير ثوابا صلة الرحم وحدثنا ابو سهل عن صالح عن جرير عن عبد الله الحميدي عن منصور عن عطا بن ابي مروان عن ابيه عن كعب رضي الله عنهم انه قال

والذي فلق البحر لموسى عليه السلام ان في التوراة لمكتوب يا ابن آدم اتق ربك وابرر والديك وصل رحمك يمد لك في عمرك وايسر لك في يسرك واصرف عنك لعسرك وعن ابي امامة الباهلي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صنائع المعروف تقي مصارع السوء وصدقة السر تطفي غضب الرب وصلة الرحم تزيد في العمر

الفصل الثاني من هذا الباب في ذكر النسب والاقارب والعشيرة

قال عمر رضي الله عنه تعلموا انسابكم تعرفوا بها اصولكم فتصلوا بها ارحامكم قيل ولو يكن من معرفة الانساب الا اعتدادها من صولة الاعدا وتنازع الاكفا ولان تعلمها من اخزم الراي وافضل الثواب الا ترى الى قوم شعيب عليه السلام حيث قالوا ولولا رهطك لرجمناك فابقوا عليه لرهطه وقال عمر رضي الله عنه تعلموا العربية فانها تزيد في المروة وتعلموا النسب فرب رحم مجهولة قد وصلت بعرفان نسبها وقيل عيسى عليه السلام راي الناس اشرف فقبض قبضتين من تراب ثم قال اي هذين اشرف ثم جمعهما وطرحهما وقال الناس كلهم تراب ان اكرمكم عند الله اتقاكم وكان ابو كبشة جد رسول الله صلى الله عليه وسلم دين قريش قالوا انزعه عرق ابي كبشة حيث خالفهم في عبادة الشعرى وسئل خالد بن عبد الله القسري واصل ابن عطا رحمهما الله فقال عن الاسلام الذي من ضيعه فقد ضيع نسبه ومن حفظه فقد حفظ نسبه فقال خالد رحمه الله وجه عبد وكلام حر ومن كلام علي رضي الله عنه اكرم عشيرتك فانهم جناحك الذي تطير به بهم تصول وبهم تطول وهم العدة عند الشده اكرم كريمهم وعد سقيمهم واشركهم في امورك وبسر على معسرهم وكان يقال اذا كان لك قريب فلم تمش اليه برجلك ولم تعطه من مالك فقد قطعته ويقال حق الاقارب اعطا الاصغر للاكبر وحنو الاكبر على الاصغر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حق كبير الاخوة على صغيرهم حق الوالد على ولده وقال بعضهم

واذا رزقت من النوافل ثروة • فامنح عشيرتك الاداني فضلها

واعلم بانك لن تسود فيهم • حتى يرى ربس الخلائق سهلها

الباب السادس والاربعون في الخلق وصفاتها واحوالها وذكر الحسن والقبح والطول والقصر والالوان والشباب وفيه فصول

الفصل الاول في الحسن ومحاسن الخلق

انتهى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم منتهى الحسن والكمال كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربعة من القوم لا بائنا من طول ولا تقتحمه عين من قصر ابيض اللون مشرب بحمرة ادعج العينين مفلج الثنايا رقيق الشفتين ازهر الجبين واضح الخد اقنى الانف كان عنقه ابريق فضة ظاهر الوضاءة يتلالا تلالؤ القمر بين المنكبين مسيح القدمين واسع الصدر من لبته الى سرته شعرة تجري كالقضيب ليس في بطنه ولا صدره شعر غير شعر الذراعين والمنكبين لم يبلغ شيبه في راسه ولحيته عشرون شعرة ضخم الكراديس انور المتجرد اذا مشى كانما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا بين كتفيه خاتم النبوة كانه زر حجلة او بيض حمامة لونه كلون جسده املح الوجه حسن الخلق وسيما بسيما في عينيه دعج وفي عنقه سطع وفي لحيته كثاثة ان صمت فعليه الوقار وان تكلم سما وعلاه البهاء اجمل الناس وابهاهم من بعيد واحسنهم واجملهم من قريب كانما منطقه خرزات نظم يتحدرون قال انس بن مالك رضي الله عنه ما رايت من ذي لمة في حلة حمراء احسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد مدحه حسان رضي الله عنه فقال

واحسن منك لم ترقط عيني • واجمل منك لم تلد النسآء

خلقت مبرأ من كل عيب • كانك قد خلقت كما تشآء

وقال صلى الله عليه وسلم ما احسن الله خلق عبد وخلقه الا استحيى ان يطعم لحمه للنار وقيل كان المتوكل رحمه الله احسن الخلفا العباسية وجها وابهاهم وقيل كان مصعب بن الزبير رحمه الله من احسن الناس وجها حكي انه كان جالسا بفنا داره يوما بالبصرة اذ جاءت امراة فوقفت تنظر اليه فقال لها وقوفك عافاك الله فقالت طفي مصباحنا فجئنا نقتبس من وجهك مصباحا وقيل لاعرابية ظريفة ما بال شفتيك مشققة فقالت النبق اذا حلا تشقق وكانت عائشة بنت عبد الله بن عباس من اجمل الناس وجها وكانت عند الوليد بن عتبة بن ابي سفيان وكانت تقول ما نظرت الى وجهي في المراة مع احد الا رحمته من حسن وجهي الا الوليد فاني كنت متى نظرت الى وجهي مع وجهه رحمت نفسي من حسن وجهه

قال الشاعر

ولو انه في عهد يوسف قطعت • قلوب رجال لا اكف نسآء

وقال كثير رحمه الله

ولو ان عزة حاكمت شمس الضحى • في الحسن عند موفق لقضى لها

ومما آتي في محاسن الاخلاق
منسوقاً على الترتيب
من الفرق الي القدم وما قيل في الشحود وكان يقال من تزوج امرأة او اتخذ
جارية فليستحسن شعرها فان الشعر الحسن احد الوجهين

وقال بكر بن النطاح رحمه الله

بيضاً تسحب من قيام فرعها • وتغيب فيه وهو وحف اسحم
وكانها فيه نهار ساطع • وكانه ليل عليها مظلم

وقال المتنبي رحمه الله فيه

نشرت ثلاث ذوائب من شعرها • في ليلة فارت ليالي اربعا
واستقبلت قمر السماء بوجهها • فارتني القمرين في وقت معا

وله ايضاً فيه

ليس التوشح لها استجلات • ولكن كي يصان به الجمالا
وطفرن الغدائر للحسن • ولكن خفن في الشعر الضلالا

وللصنوبري رحمه الله

لولا شفاعة شعره في خده • ما كان زار ولا ازال سقاما
لكن تنازل في الشفاعة عنده • وجا على اقدامه يترامى

وقال اخر

بني غصنًا ومد عليه فرعا • لحظي حين اطلب منه وصلا
وتليله على الارداف منه • فلم ار مثل ذاك الفرع اصلا

وقال اخر

ارخى ثلاثا يوم حمامه • ذوائبا تفتق منها الخوال
فقلت ما القصد وابانه • واسهري في الليالي الطوال

وقال اخر

توارت عن الواشي بليل ذوائب • لها من محيا واضح تحته فجر
فغطى عليها شعرها بظلامه • وفي الليلة الظلما يفتقد البدر

ومما قيل في الاصداغ لابن المعتز رحمه الله

ونزيته بحسن صورته • عبث النعاس بلحظ مقلته
وكان عقرب صدغه وقفت • لما دنت من نار وجنته

وقال الحلاوي رحمه الله فيه

وما ضره نار بخديه المهوى • ولكن له قلب الحبيب اجذب
عنا قيد خديه بصدغيه تلتوي • والمواج ردفيه تمر به تلعب
شربت الهوى صرفا زلالا وانما • لو احظه تسقي وقلبي يشرب

وقال اخر

حل القبا ولوى صدغيه وانجردا • واحمر بين محلول ومعقود

ومما قيل في العذار للفراس بن حمدان رحمه الله

يا من يلوم على هواه جهالة • انظر الى تلك السوالف تعذر
حسنت فطاب نسيمها فكانها • مسك تساقط فوق خد احمر

محمد بن دهمس رحمه الله

صدودك والهوى هتكا استتاري • وساعدها البكا على اشتهاري
وكم ابصرت من حسن ولكن • عليك لشقوتي وقع اختياري
ولم اخلع عذاري فيك الا • لما عاينت من خلع العذار

وقال اخر

ومهفهف راقت نضارة وجهه • والعين تنظر منه احسن منظر
اصلى بنار الجمر عنبر خدها • فبدا العذار ودان ذاك العنبر

وقال اخر

اضحت سلطان القلوب ملاحة • وجمال وجهك للبرية عسكر
طلعت طلايع وجنتيك معدة • بالنصر تقدمها لواء اخضر

وقال اخر

يا ذا الذي خط العذار بخده • خطين هاجا لوعة وبلا بلا
ما صح عندي ان لحظك صارم • حتى حملت لعارضيك حمايلا

لبعض الدين الماسي رحمه الله

من راى كعبة الحسن التي حرمت • بالبحل حيث مقام الشهد في فمه
فالسطر النمل اضحى فوق عارضه • يطوف سبعا ويسعى حول مبسمه

وقال اخر

تحدث ليل عارضه باني • ساسلوه وينصرم المزار
فاشرق صبح غرته بنادى • كلام الليل يمحوه النهار

وقال اخر

وقالوا اسل عنه فقد شانه • عذار اراحك من صده

تعلت وهمتم ولكنني • خلعت العذار على خده

وقال آخر

غدا لما التحى ليلا بهيما • وكان كأنه قمر منير
وقد كنت لسواد بعارضيه • لمن يعذل وحاكم المذنب

وما قيل في الجبين والحواجب • لعلاء الدين الكاتب رحمه الله

لها من مهاة الرمل عين مريضة • ومن ناضر الريحان خضر حاجب
ومن يانع الأغصان قد وقامة • ومن حالك الحبر اسوداد الذوائب

وما قيل في العيون

قال الأصمعي رحمه الله ما وصف أحد العيون مثل ما وصفها عدي رحمه الله

لابن الرقاع رحمه الله قال

وكأنها دون النساء أعارها • عينيه أحور من جآذر جاسم
وسنان أقصده النعاس فرنقت • في جفنه سنة وليس بنائم

للشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله

عليم بما تحت الضلوع • سريع بكر اللحظ والقلب جازع
ويجرح أحشائي بعين مريضة • كما لان متن السيف والحد قاطع

وقال الأخطل رحمه الله

تلم بدار بني كليب • ولا تقرب بهم أبدا رحالا
ترى فيها بوارق من سنان • يكدن ينكن بالحدق الرجالا

وقال أبو فراس رحمه الله

وسيف بالحاظ العيون كأنما • هززن سيوفا واستللن خناجرا
تصدين لي يوما بمنعرج الهوى • فغادرن قلبي بالمقصود غادرا
سفرن بدورا وانتقبن أهلة • ومسن غصونا والتفتن جآذرا

وقال آخر

ومريض جفن ليس يصرف طرفه • نحو امرئ إلا رماه بحتفه
قد قلت إذ أبصرته متمايلا • والردف يجذب طرفه من خلفه
يا من يسلم خصره من ردفه • سلم فؤادي محنة من طرفه

وقال آخر

أخو دلف رمته فأقصدته • سهام من جفونك لا تطيش
نوابك لا أقداح سراير دار • تقش ولا سوى الأهداب ريش

أضنى فؤاد معنى فاضحي • سقيما لا يموت ولا يعيش
كيف ان ترحل عنه جيش • من البلوى أناخ به جيوش

وقال آخر

وجاؤوا إليه بالتعاويذ والرقا • ورشوا عليه الماء من شدة النكس
وقالوا به من أعين الجن نظرة • ولو أنصفوا قالوا به من أعين الإنس

الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله

لها عين بها غزل وغزل • مكحلة ولي عين تباكت
وحاكت في فعائلها المواضي • فيا لك مقلة غزلت وحاكت

الشيخ برهان الدين القيراطي رحمه الله

شبه السيف والسنان بعيني • من القتلى بين الأنام استحلا
فأبى السيف والسنان وقالا • حدنا دون ذاك حاشا وكلا

الشيخ بدر الدين بن حبيب رحمه الله

عيناه قد شهدت بأني مخطئ • وأتت بخط عذاره تذكارا
يا حاكم الحب اتئد في قتلتي • فالخط زور والشهود سكارى

الشيخ جلال الدين رحمه الله

شهدت جفون محدثي بملالة • مني وأن وداده تكليف
لكنني لم أعتبه لأنه • خبر رواه الجفن وهو ضعيف

الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله

يا مقلة الحب مهلا • قد أخذت بثارك
وأنت يا وجنتيه • لا تحرقيني بنارك

الشيخ صلاح الدين الصفدي رحمه الله

يا عاذلي في هوى عين محجبة • خف سر ناظرها فالسر فيه خفي
ودع فؤادي ودعه نصب مقلتها • لا ترم نفسك بين السهم والهدف

لابن الصائغ رحمه الله

لسلمى من لواحظها سهام • لها في القلب فتك أي فتك
إذا رمت انتشلت فؤادي • يموت المستهام بغير شك

وقال آخر

بسهم أجفانه رماني • فذبت من هجره وبينه
إن مت ما لي سواه خصم • لأنه قاتلي بعينه

وقال آخر

يا سهام الجفون قتلت نفسا • مبرأة من السلوى زكية
فما أقوى جفونك وهي مرضى • وأقدرها على قتل البرية

ومما قيل في الخال

بروحي خال الحمرا أضحى • عليه شامة شرط المحبة
كأن الحسن يعشقه قديما • فنقطه بدينار وحبة

للشيخ شمس الدين بن الصايغ رحمه الله

بروحي أفدي خاله فوق خده • ومن أنا في الدنيا فأفديه بالمال
تبارك من أخلى من الشعر خده • وأسكن كل الحسن في ذلك الخال

للشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله

لله خال على خد الحبيب له • في العاشقين كما شاء الهوى عبث
أورثته حبة القلب القتيل به • وكان عهدي بأن الخال لا يرث

وقال آخر

يا سالبا قمر السما بجماله • ألبستني في الحزن ثوب سمائه
أحرقت ذات فمي بشرارة • علقت بخدك فانطفت في مائه

للشيخ تقي الدين بن حجة رحمه الله

قال

قلت للخال إذ بدا • في نقاجيله السعيد
أنت عبد فقال لي • أنا عبد لكل جيد

لابن أبيك رحمه الله

في الجانب الأيمن من خدها • نقطة مسك أشتهي شمها
حسبته لما بدا خالها • وجدته من حسنه عمها

وقال آخر

يا صائد الطير كم ذا • باللحظ تسبي وتضني
نصبت نقطة خال • فصدت طائر قلبي

ومما قيل في الخدود • لمحسن بن الفحاك رحمه الله

فعل بخدي خديك فالتقى عجبا • من معان يحار فيها الضمير
وبخديك للربيع رياض • وبخدي للدموع غدير

وقال ابن المعتز رحمه الله

وورد الخدود ونرجس اللحظات • وتصافح الشفتين في الخلوات
شيء أسر به وأعلم أنه • وحياة من أهوى من اللذات

وقال آخر

لا مس جسمك بل رفقت لي أبدا • ما مس جسمي من تغيير عينيكا
قلبي وصدغك لم يحرقهما لهب • كلاهما احترقا من نار خديكا

ومما قيل في العذار • للشيخ شمس الدين بن الصايغ رحمه الله

بروحي من ولى فولى بمهجتي • وولى منامي فهو كالوصل شارد
حمى ثغره مني بسيف لحاظه • ويحمي حمى ثغره وهو بارد

وقال آخر

أنفقت كنز مدائحي في ثغره • وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة • فأبى وراح تغزلي في البارد

ليوسف بن مسعود الصواف رحمه الله

رأى ثغر من أهوى عذول فقال لي • ولم يدر أن اللوم في حبه يغري
شغلت بهذا وارتبطت بحبه • وأحسن ما كان الرباط على الثغر

لابن دمنات رحمه الله

لا حق على مبسم المشتهي • ثلث شامات غدت في النظام
لا تعجبوا أن كثرت حوله • فالمنهل العذب كثير الزحام

ومما قيل في الريق والنكهة • قال ذو الرمة رحمه الله

أسالت بجري الدمع هيفاء طفلة • عروب كإيماض الغمام ابتسامها
كأن على فيها وما ذقت طعمه • مجاجة خمر طاب فيها مدامها

للشيخ صلاح الدين الصفدي رحمه الله

رشفت ريقك حلوا • ولم يكن لي صبر
وسوف أحظى بوصل • وأول الغيث قطر

وقال آخر

نقل الأراك بأن ريقة ثغره • من قهوة مزجت بماء الكوثر
قد صح ما نقل الأراك لأنه • يرويه نقلا عن صحاح الجوهر

وقال آخر

ثلث تجمعن في ثغرها • ملاح أذلتها واضحه
فإن قيل ما هذه الثلث • قلت الطعم واللون والرائحة

وقال آخر

يا رب ممتنع الوصال محجب • بستوره كالبدر يوم غيومه
دارت مراشفه عليّ وكاسه • فسكرت في الحالين من خرطومه

وقال آخر

أريقا من رضابك ام رحيقا • رشفته فليس من سكري افيقا
وللصهباء اسماء ولكن • جهلت بان في الاسماء ريقا

ومما قيل في حسن الحديث • قال البحتري رحمه الله وقد احسن

ولما التقينا والنقى موعد لنا • تعجب رائي الدر حسنا ولاقطه
فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها • ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

وقال مسلم الخاسر رحمه الله

ظللنا نشكر عند ام محمد • بيوم ولم نشرب مداما ولا خمرا
اذا صمتت عنا سحرنا بصمتها • وان نطقت هاجت لالبابنا سكرا

وقال ابن الرومي رحمه الله

يمسي ويصبح معرضا فكانه • ملك عزيز قاهر سلطانه
ليست اساءته بناقصة له • عندي وليس بزيدة احسانه
رخص البنان كان رجع حديثه • در تساقط الي عند لسانه

وقال اخر

وحديثها السحر الحلال لو انه • لم يجن قتل العاشق المتحرز
ان طال لم يملل وان هي اوجزت • ود المحدث انها لم توجز

وما احسن هذه الابيات من صادق العشق وفاخر الشعر والكلام وبارع الوصف والنظام حيث يقول

شعر

وكل حديث الناس الا حديثها • رجيع وفيما حدثتك الطرايف
جرجر باعناق الظبي واعين المها • دررا ارتجت بهن الروادف
وتحمر بارداف ثقال واسوق • خدال واعضاء علتها المطارف
كسفن ستوفا عن سيوف واعرضت • خدود واومالت بالفروع الروادف

وما قيل في رقة البشرة • قال ابن المعتز رحمه الله

نصب عنها القميص كصب • فورد خدودها فرط الحياء
ومدت راحة كالماء منها • الي ما اعتيد منها في اناء
وقابلت الهوى وقد لغزت • بمعتدل ارق من الهواء

فلما

فلما ان قضت وطرا وهمت • على عجل لاخذ للرداء
رات شخص الرقيب على تدان • فاسبلت الظلام على الضياء
فغاب الصبح منها تحت ليل • وظل الماء يقطر فوق ماء

وقال آخر

تخير عن مودته وحالا • وكان مواصلا فطوى الوصالا
وعلمه التذلل كيف هجرى • فليت الوصل كان له دلالا
ترى من فوق حقويه قضيبا • اذا ما حركته خطاه مالا
فان كلمته انثرت فيه • وان حركته كالخمر سالا

وقال بشار رحمه الله

وما ظفرت عيني غداة لحتها • بشيء سوى اطرافها والمحاجر
محورا من حور الجنان غريرة • يرى وجهه في وجهها كل ناظر

ومنه اخذ ابو نواس قوله حيث

نظرت الى وجهه نظرة • فابصرت وجهي في وجهه

وقال آخر

توهمه قلبي فاصبح خده • وفيه مكان الوهم من نظري اثر
ومن تفكري جسمه فجرحته • ولم ار جسما قط يجرحه الفكر

وقال اخر

سقى الله روضا قد تبدى لناظري • به شادن كالغصن بالهوى يمرح
وقد نضحت خداه من ماء ورده • وكل اناء بالذي فيه ينضح

وقال آخر

واهيف خداه من ماء ورده • وحاز الحسن فهو بلا شبيه
فلو اخجلته بالقول جهدي • لحمرة خده ما بان فيه

وما قيل في التقبيل • قال لطف الله الاعمى رحمه الله

قبلت فنالني خمر وجنته • وفاح من عارضيه العنبر العبق
وحال بينهما ماء ومن عجب • لا تنطفي ذا ولا ذا منه يحترق

وقال آخر

سالمة في نحره قبلة • فقال تعرى لم يجز لثمه
فما لها في الخد واقنع بها • ما قارب الشيء اعطى حكمه

وقال آخر

صاحب حماه بيت

قال الذي يتمنى قولوا المنى ... بروم مني قبلة لو مات ما قبلته

للشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله

كالزرد المنظوم اصداغه ... وخده كالورد لما ان ورد
بالغت في اللثم وقبلته ... في الخد تقبيلا يفك الزرد

وقال ابن صابر رحمه الله

قبلت وجنته فالفت جيده ... خجلا وماس من النعاس
فانهل من خديه فوق عذاره ... عرقا يحاكي الطل فوق الآس
فكأنني استقطرته فوق خده ... بتصاعد الزفرات والانفاس

وقال اخر

قبلت رجل حبيبي ... فازور واحمر خدا
وقال تلثم رجلي ... وقد نبا زلت جدا
فقلت ما جئت بدعا ... ولا تعديت حدا
رجل سعت بك نحوي ... حقوقها ان تودا

وما قيل في الوجه الحسن ... قال عبد الله بن ابي البصير رحمه الله

تعتل من غير علة ... بالحسن اصبحت بدله
كانها حين تبدو ... شمس عليها مظله
وان اضات بليل ... تفوق نور الاهله

وقال اخر

اقسم بالله وآياته ... ما نظرت عيني الى مثله
ولا بدا لي وجهه طالعا ... الا سالت الله من فضله

وقال اخر

يري مكان البدر ان افل البدر ... وقام مقام الشمس ان اخر الفجر
ففيك من الشمس المنيرة نورها ... وليس لها منك التبسم والثغر

وقال عمر بن ابي ربيعة رحمه الله

وفتاة ان تغب شمس الضحى ... فلنا من وجهها عنها خلف
اجمع الناس على تفضيلها ... وهواهم في سواها مختلف

واخذ عمارة رحمه الله هذا المعنى ورده الى المدح فقال

لو ان اجماعنا في فضل سودده ... في الدين لم يختلف في الدين اثنان

وقال آخر

يا مفردا في الحسن والشكل ... من دل عينيك على قتلي
البدر من شمس الضحى نوره ... والشمس من نورك تستملي

وقال آخر

وفي اربع مني حلت منك اربع ... فما انا ادري ايها هاج لي كربي
اوجهك في عيني ام الريق في فمي ... ام النطق في سمعي ام الحب في قلبي

وسمعه يعقوب بن اسحق الكندي رحمه الله فقال هذا تقسيم فلسفي وجعله الحلوي رحمه الله في خمسة فقال

شعر

وفي خمسة مني حلت منك خمسة ... فريقك منها في فمي طيب لرشف
ووجهك في عيني ولمسك في يدي ... ونطقك في سمعي وعرفك في انفي

وقال ابن نباتة رحمه الله

ايها العاذل الغبي تأمل ... من غدا في صفاته القلب ذائب
وتعجب بطرة وجبين ... ان في الليل والنهار عجائب

وقال المخزومي رحمه الله

رأيتك في الشمس المنيرة غدوة ... فكنت في عيني انقى من الشمس
كانك تزداد في الليل بهجة ... وشمس الضحى ليست تضيء اذا تمسي

وقال ابن حازم رحمه الله

يا من حوى الاشكال في حسنه ... فلم تقع عيني على شبهه
تغنيك عن وجه الدجى وجهه ... والبدر لا تغنيك عن وجهه

وقال آخر

رأيت الهلال على وجهه ... فلم ادر ايهما انور
سوى ان ذاك قريب المزار ... وهذا بعيد لمن ينظر
وذاك يغيب وذا حاضر ... وما من يغيب كمن يحضر
ونفع الهلال قليل لنا ... ونفع الحبيب لنا اكثر

وقال اعرابي

اشبهته في مثال الحسن حسنها ... شمس بدت بين تشريق وتقسيم
سبقت لها الشمس يوما من محاسنها ... والوجه للشمس والعينان تحلم

وقال اخر

اذا احتجبت لم يكفك البدر وجهها ... ويكفيك فقد البدر ان برز البدر

وحسبك من خمرٍ مذاقةُ ريقها • ووالله ما من ريقها حسبك الخمرُ

وما قيل في البنان المخضب • قال ابن الرومي فيه وأحسن

وقفت وقفة بباب الطاق • ظبية من مخدرات العراق
بنت سبع وأربع وثلث • هي حتف للمتيم المشتاق
قلت من أنت يا غزال فقالت • أنا من صنعة اللطيف الخلاق
لا ترد وصلنا فهذا بناني • قد صبغناه من دم العشاق

وقال الرضي بالله رحمه الله

قالوا الرحيل فأنشبت أظفارها • في خدها وقد اعتلقن خضابا
فظننت أن بنانها من فضة • قطفت بنور بنفسج عنابا

وقال آخر

ولما تلاقينا رأيت بنانها • مخضبة تحكي عصارة عندم
فقلت خضبت الكف بعدي هكذا • يكون جزاء المستهام المتيم
فقالت وأذكت في الحشى لاعج الهوى • مقالة من بالود لم يتصرم
بكيت دمًا يوم النوى فمسحته • بكفي فاحمرت بناني من دمي

وقال آخر

دنوا عشية التوديع مني • ولي عينان بالدمع تجريان
فلم يسمح إكرامًا جفوني • ولكن زمن تخضيب البنان

وما قيل في النحور • قال الشاعر

أباح كف بيضاً حسنا • سلبتك بالعيون وبالنحور
نظرت إلى النحور فكنت تقضي • فأولى لو نظرت إلى الخصور

وما قيل في نعت النهود • قال العباس بن الأحنف رحمه الله

والله لو أن القلوب كقلبها • ما رق للولد الضعيف الوالد
جال الوشاح على قضيب زانه • تفاح صدرٍ ليس يقطف ناهد

وقال آخر

محجبة عند الوداع رأيتها • تنشف دمعًا بالرداء الممسك
وتبكي حذار البين منها بعبرة • تسيل على الخدين في حسن مسلك
وتحسب مجرى الدمع في وجناتها • بقية طل فوق وردٍ مفتك
وقد سفرت عن غرة بابلية • وصدر به نهد عن الحق منفك

وقال عمرو بن كلثوم رحمه الله

تُريك

تريك إذا دخلت على خلاء • وقد أمنت عيون الكاشحينا
ثديا مثل حق العاج رخصًا • حصينا من أكف اللامسينا

وقال آخر

مدور فوقهن حقوق عاج • وذو رزانة حسن المساق
يقول الناظرون إذا رأوه • أهذا الحلي من هذا الحقاق
وما تلك الحقاق سوى ثدي • قد ارتفعت على رفاق
نواهد لا يعد لهن عيب • سوى منع المحب من العناق

وما قيل في الأرداف والخصور • قال ابن الرومي رحمه الله

وسقتك كأس مدامة من كفها • مقرونة بمدامة من ثغرها
وتمايلت فضحكت من أردافها • عجبا ولكني بكيت لخصرها

وقال الجاولي رحمه الله

ردفه زاد في الثقالة حتى • أقعد الخصر والقوام السويا
نقص الخصر والقوام وقاما • وضعيفان يغلبان قويا

وقال آخر

يا خصره كم جفا • تبدي وأنت نحيل
يا ردفه ملت عنه • ما أنت إلا ثقيل

وقال القيراطي رحمه الله

بدت روادف بدري • تحت الحبيبي حيني
فقلت يا بدر هذا • حقا جبال حنيني

وقال آخر

بيض وسمر مقلتاه وقده • بدر وليل وجنتاه وشعره
أقسى من الحجر الأصم فؤاده • وأرق من سكر المتيم خصره

وقال الشاعر

رجحات الدلال مبطنات • جواعل في البرى قصبا خدالا
جمعن عفافة وخلوص عشق • وقد بعد ذلك واعتدالا

وما قيل في السيقان • قال ذو الرمة رحمه الله

لم أنسه إذ قام يكشف عامدا • عن ساقه كاللؤلؤ البراق
لا تعجبوا إن قام فيه قيامتي • إن القيامة يوم كشف الساق

وقال آخر

جاءت بساق أبيض أملس * كلؤلؤ يبدو لعشاقها
فافتتنت فيها جميع الورى * وقامت الحرب على ساقها

ومما قيل في المعاصم * قال عمر بن أبي ربيعة

حسروا الوجوه بأذرع ومعاصم * ورموا بنجل للقلوب كوالم
حسروا الأكف عن سواعد نصله * فكأنما انتصبت متون صوارم

ومما قيل في اعتدال القوام * لصلاح الدين الصفدي رحمه الله

تقول له الأغصان إذ هز عطفه * أتزعم أن اللين عندما نوى
فموعدكم للروض عند نسيمه * ليقضي على من مال منا إلى الهوى

وقال القاضي عز الدين بن مكانس رحمه الله

أقول لجبي قم ومس يا محذبي * كميلة خود غير السكر حالها
ولا تله عن شيء إذا ما حكيتها * فقام كغصن البان لينا ومالها

وقال آخر

ويحكم أعطافه * في قتل صب ما غوى
فاعجب لعادل قده * في النفس يحكم بالهوى

وقال آخر

ومهفهف عني يميل ولم يمل * يوما إلي فصحت من ألم الجوى
لم لا تميل إلي يا غصن النقا * فأجاب كيف وأنت من جهة الهوى

لابن منقذ رحمه الله في وصف النسا

يهززن للمشي أطرافا مخضبة * هز الشمال ضحى عيدان نسرينا
أو كاهتزاز رديني تداوله * أيدي التجار فزادوا متنه لينا

وقال آخر

يمشين مشي قطا البطاح تأودا * رافي البطون رواجح الأكفال
فكأنهن إذا أردن زيارة * يقلعن أرجلهن من أوحال

ومما قيل في العناق وطيبه * قال ابن المعتز رحمه الله

ما أقصر الليل على الراقد * وأهون السقم على العائد
كأنني عانقت ريحانة * تنفسه في لينها البارد
فلو ترانا في قميص الدجا * حسبتنا من جسد واحد

وقال آخر

وموشح نازعت فضل وشاحه * وكسوته من ساعدي وشاحا

بات

بات الغيور يشق جلدة وجهه * وأمال أعطافا علي ملاحا

وقال ابن المعتز رحمه الله

أقول وجنح الدجا ملبد * والليل من كل فج يبيد
ونحن ضجيعان في مسجد * فلله ما ضمنا المسجد
أيا غد إن كنت بي محسنا * فلا بد من ليله يا غد
ويا ليلة الوصل لا تنفدي * كما ليلة الهجر لا تنفد

وقال الحسن بن وهب رحمه الله

وليل رقيق الطرفين تظلمت * كواكبه من بدره المفارق
يلهونا يغزلان الحرير تحته * عبث الهوى ما بين نحر وبارق

وقال المعتز رحمه الله وقد أحسن

وكم عناق لنا وكم قبل * مختلسات حذار من تعب
نقر العصافير وهي خائفة * من النواطير يانع الرطب

وقال ذلك الحسن رحمه الله

وتحدث لما ملأت إزارها * قد غص وأما قدها فقضيب
لها القمر الساري شبيه وإنها * لتطلع أحيانا له ويغيب

وقال آخر

أقول لها والليل يرخي سدوله * وغصن الهوى غض النبات رطيب
ونحن مجاورون في بني سرير * بك الحليش يا زين النسا يطيب

وقال آخر

سقى الله ليلا ضمنا بعد فرقة * وأدنى فؤادا من فؤاد معذب
فبتنا جميعا لو تراق زجاجة * من الخمر فيما بيننا لم تسرب

وقال آخر

يا ليل دم لي لا أريد براحا * حسبي بوجه معانقي مصباحا
حي به يوما وحي ريقه * خمرا وحي خدوده تفاحا
حي عقيقات إذا استضحكته * مستغنيا عن كل نجم لاحا
طوقته طوق الحمام بساعدي * وجعلت كفي للمنام وشاحا
هذا هو اليوم النعيم فخلنا * متعانقين فلا نريد صباحا

وقال آخر

ولم أنس ضمي للحبيب على رضى * ورشفي رضابا كالرحيق السلسل

وعن قوله لي عند تقبيل خده • تنقل فلذات الهوى في التنقل

وما قيل في السمر قال الربيع بن سليمان رحمه الله سمعت الشافعي رضي الله عنه ما رايت سمينا عاقلا الا محمد بن الحسن رحمه الله

قال الشاعر

لا أعشق الابيض المنفوخ من سمن • لكنني أعشق السمر المهازيلا

اني امرؤ اركب المهر المضمر في • يوم الرهان كأني راكب فيلا

وما قيل في الالوان والشاب ومدح البياض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم البياض نصف الحسن وكان صلى الله عليه وسلم ابيض ازهر اللون مشرب بحمرة وقد قال بعضهم

بيت

بيض الوجوه كريمة احسابهم • شم الانوف من الطراز الاول

وما قيل في السود

قيل لبعضهم ما تقول في السود قال النور في السواد اراد نور العين في سوادها

وقال بعضهم

قالوا تعشقتها سوداء قلت لهم • لون الغوالي ولون المسك والعود

وان سواد اللون ليس بضائر • اذا كنت يوم الروع بالسيف معضود

ودخل ابراهيم المهدي على المامون رحمهما الله فقال يا عم الخليفة الاسود فتمثل يقول

شعر

ان جار عبد بني العباس فخر له • عند الفخار مقام الاصل والورق

ان كنت عبدا فنفسي حرة كرما • او اسود اللون اني ابيض الخلق

فقال يا عم اخرجك الهزل الى الجد ثم انشا يقول

شعر

ليس يزري السواد بالرجل الشهم • ولا بالفتى الاديب الاريب

ان يكن للسواد فيك نصيب • فبياض الخلاق منك نصيبي

وقال اخر

يكون الخال في خد قبيح • فيكسوه الملاحة والجمالا

فكيف يلام مشغوف على من • يراها كلها في الخد خالا

وقال اخر

لام العواذل في سوداء فاحمة • كانها في سواد القلب تمثالا

فكيف يلام مشغوف على من • يراها كلها في القلب تمثالا

وقال اخر

لام العواذل في سوداء فاحمة • كأنها في سواد القلب تمثال

وهام

وهام بالخال اقوام وما علموا • اني اهيم بشخص كله خال

وقال اخر

قالوا به صفرة شانت محاسنه • فقلت ما ذاك عيب به نزلا

عيناه مطلوبة في ثار من قتلت • فليس تلقاه الا خائفا وجلا

وقيل لمدني لم رغبتم في السواد قال لو وجدنا بيضا لسودناها قال ابو حاتم الاعرج رحمه الله

بيت

ومن يك معجبا ببنات كسرى • فاني معجب ببنات حام

وقيل تفاخرت حبشية ورومية فقالت الرومية انا حبة كافور وانت عدل فحم وقالت الحبشية انا حبة مسك وانت عدل ملح قال الشاعر

احب لحبها السودان حتى • احب لحبها سود الكلاب

وقال ابو حفص الشطرنجي رحمه الله

أشبهك المسك وأشبهته • قائمة في لونه قاعد

لا شك ان لونكما واحد • انكما من طينة واحد

بيت

فاستحسنوا الخال في خد فقلت لهم • اني عشقت مليحا كله خال

وما قيل في الصفرة

قال الشاعر

اصفر اللون الهجر منك مزاحا • ليالي كان الود منك مباحا

وكان نسا الحي ما دمت فيهم • قباحا فلما غبت صرن ملاحا

وما قيل في طول اللحية قيل ان اللحية الطويلة عش البراغيث ونظر يزيد بن يزيد الشيباني الى رجل ذي لحية عظيمة وقد التفت على صدره واذا هو حاطب رحمه الله فقال انك من لحيتك لفي مؤنة قال اجل ولذلك اقول

شعر

لها درهم للدهن في كل جمعة • واخر للحنا يبتدريان

ولولا نوال من يزيد بن يزيد • لاصبح في حافاتها الجلمان

وقال اسحق بن خلف رحمه الله في قصر طويل اللحية

ماشيت داود فاستضحكت من عجب • كانني والد يمشي مع مولود

ما طول داود الا طول لحيته • فظن داود فيها غير موجود

وقال اخر

تأملت أسواق العراق فلم أجد • وكابها الا عليه الموالبا
جلوسا عليها ينقضون لحاهم • كما انقضت عجف المها للمحالبا

وما جاء في عظم الخلقة والطول والقصر

قال حرب المنذرى رحمه الله مررت بحاجم فقصدت حجمه فاشترت منها اسنانها فوزنت سنا نامنها فكان وزنها أربعة أرطال فاتيتها الى اي فجعل يقلبها ويعجب من عظمها وقال • اذا ما تذكرت أجسادهم • تصاغرت النفس حتى تموتا • واراد ملك الروم ان يباهي اهل الاسلام فوجه الى معاوية رجلين طويلا وشديد القوة فدعى للطويل بقيس بن سعد بن عبادة رحمه الله فنزع قيس سراويله فرمى بها اليه فقال له ديدومه فاطرق مخلوبا فلا موافقيسا على نزع السراويل فقال

آردت لكيما يعلم الناس انها • سراويل قيس والوفود شهود
والا يقولوا غاب قيس وهذه • سراويل عاري عنه عهود
واني من القوم اليمانين سيدا • وما الناس الا سيد ومسود

ودعي للرجل الشديد في قوته بمحمد بن الحنفية فخيره بين ان يقعد فيقيمه او يقوم فيقعده فغلبه في الحالين وانصرفا مغلوبين وقيل ان سلمة بن من الناموس ابنة امرئ القيس بن النعمان واللخمي الملك رحمهما الله وكان الناموس قصيرا مقتحما واللخمي طويلا جسيما فقالت بنت امرئ القيس يا هذا القصير اطلق اني نقال

شعر

الا زعمت بنت امرئ القيس انني • قصير وقد اعيي اباها قصيرها
ورب قصير قد نزعت سلاحه • وعانقته والخيل تدمى نحورها

وقالوا عظم الجبين يدل على البله وعرضه يدل على قلة العقل وصغره يدل على لطف الحركة واذا وقع الحاجب على العين دل على الحزن والعين المتوسطة في حجمها تدل على الفطنة وحسن الخلق والمروءة والذي يطول عرنينها يدل على الحمق والذي تكسر طرفها يدل على خفة وطيش والشعر على الاذن يدل على جودة السمع والاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان •

وما قيل في القبح والدمامة

قيل اراد رجل ان يكتب كتابا في حسن الصورة فلم تقدر على تخليته لفرط دمامته فقال يا تنك بهذا الكتاب آية من آيات الله وقدرته فذهب الى دار الله ومعزه ومر الى الاسود الدؤلي رحمه الله مجلس لبني بشير وقال لبعض فتيا ثم كانه وجه عجوز فقد راحت الى اهلها بطلاقها وقال الجاحظ رحمه الله ما اخجلني قط الا امراة مرت بي الى صائغ فقالت مثل هذا فبقيت مبهوتا ثم سالت الصائغ فقال هذه امراة

ارادت ان استعمل لها صورة شيطان فقلت ما ادري كيف اصوره وفي الجاحظ يقول الشاعر

شعر

لو يمسخ الخنزير مسخا ثانيا • ما كان الا دون قبح الجاحظ
رجل ينوب من الجحيم بوجهه • وهو القذى في عين كل ملاحظ
واذا المرآة جلت له تمثاله • لم تخل مقلته بها من واعظ

وقال الاصمعي رحمه الله رايت بدوية من احسن الناس وجها ولها زوج قبيح فقلت لها يا هذه اترضي ان تكوني تحت هذا فقالت يا هذا لعله احسن فيما بينه وبين ربه فجعلني ثوابه واسات فيما بيني وبين ربي فجعله عقوبتي افلا ارضى بما رضي الله لي وحج مخنث فراى رجلا قبيح الوجه يستغفر فقال يا حبيبي ما ارى لك ان تبخل بهذا الوجه على جهنم وقال رجل لاخر طلع لي دمل في افتح المواضع فقال كذبت فهذا وجهك ليس فيه شيء وخرج رجل قبيح الوجه الى البحر فقال

شعر

ولم ار وجها حسنا • مذ دخلت اليمنا
فيا شقا بلدة • احسن ما فيها انا

وخطب رجل عظيم الانف امراة فقال قد علمت شرفي واني كريم المعاشرة محتمل المكاره فقالت ما اشك في احتمالك المكروه مع حملك لهذا الانف منذ اربعين سنة واللام

قال الشاعر

لك وجه وفيه قطعة انف • كجدار قد ادعموه بنخله
فهو كالقبر في المثال ولكن • جعلوا نصبه على غير قبله

وقال اخر

رايت التركي جدا انفه • يضاهي في تناصحه الجبالا
تصدى للهلال لكي يراه • فلولا انفه لرأى الهلالا

وقال اخر

لك انف يا انوف • انفت منه الانوف
انت في القدس تصلي • وهو في البيت يطوف

وما جاء في الثقلاء • قال محمد بن ابراهيم الله شعر

قل لعباس اخينا • يا ثقيل الثقلا
انت في الصيف سموم • وجليد في الشتا
انت في الارض ثقيل • وثقيل في السما

وقال اخر

انت والله تقبيل • وتقبيل وتقبيل
انت في المنظر انسان • وفي الميزان فيل

وما جاء في الملابس والوانها والتختم

قال الله تعالى واما بنعمة ربك فحدث وقال تعالى يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب ان يرى اثار نعمته على عبده وقال صلى الله عليه وسلم تعمموا تزدادوا اجلالا وقال صلى الله عليه وسلم العمايم تيجان العرب وكان الزبير بن العوام رضي الله عنه يقاتل يوم بدر وعليه عمامة صفرا فنزلت الملايكة وعليهم العمايم الصفر قد ارخوها وبعث صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه الى دومة الجندل فتخلف عن الجيش واتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحزمة واسدل لها من كتفيه قدر شبر وقال هكذا اعتم يا ابن عوف وبعث ملك الروم الى النبي صلى الله عليه وسلم جبة ديباج فلبسها ثم كساها عمر رضي الله عنه وكان الحسن رضي الله عنه يلبس ثوبا باربعمايه درهم وكان سعيد بن المسيب رضي الله عنه يلبس الحلة بالف درهم ويدخل المسجد فقيل له في ذلك فقال اني اجالس ربي وقيل المروة الظاهرة الثياب الطاهرة وكان لعباد بن عباس رحمه الله جباب كثيرة عتابي واخذ يدخل بها على ركن الدولة فاقام كذلك مدة فقال ركن الدولة يوما لجلسايه ما تنظروا الى نظافة هذا الرجل يلبس جبة واحدة منذ كذا وكذا سنة لا يبليها ولا يغيرها وقيل البس البياض والسواد فان الدهر كذا بياض نهار وسواد ليل وقيل لا تلبسون الثياب السود لانها اشبه ثياب اهل المعصية وسال الرشيد الاوزاعي رحمه الله عن لبس السواد فقال لا احرمه ولكن اكرهه قال ولم قال لانه لا تجتلى فيه عروس ولا يلبى فيه محرم ولا يكفن فيه ميت

قال الشاعر

رايتك في السواد فقلت بدر • بدا في ظلمة الليل البهيم
والقيت السواد فقلت شمس • محت بشعاعها ضوء النجوم

وقدم تاجر الى المدينة بحمل من خمر العراق فباع الجميع الا السواد فشكى الى الدارمي رحمه الله وكان الدارمي قد نسك وتعبد فعمل بيتين وامر من يغني بها في المدينة وهما

قل للمليحة في الخمار الاسود • ماذا اردت بزاهد متعبد
قد كان شمر للصلوة ازاره • حتى قعدت له بباب المسجد

قال فشاع الخبر في المدينة ان الدارمي قد رجع عن زهده وتعشق صاحبة الخمار الاسود فلم يبق في المدينة مليحة الا اشترت خمارا اسود فلما انفد التاجر ما كان معه

رجع

رجع الدارمي الى ثياب تعبده ونسكه فلبسها وقال آخر في لابسة احمر

شعر

وشمس في قضيب في كثيب • تبدت في لباس جلنار
سقتني خمر ريقتها وحيت • بوجنتها فاطفت حر نار

وقال آخر في الحمرى

في ثوبها الحمري قد اقبلت • بوجنة حمرا كالجمر
فملت سكرا حين ابصرتها • لا تنكروا اسكري من الخمر

وقال آخر وهو ابدع هذا الفن واعجبه عند الشعرا

ايا قمرا تبسم عن اقاح • ويا غصنا يميل في رياح
جبينك والمعقلة والثنايا • صباح في صباح في صباح

وقال آخر

ومولع بالقضيب اذا تثنى • وتياه على القمر التمام
سقاني ثم قبلني واوحى • بطرف سقمه يبري سقامي
فبت به خلا الندمان اسقى • مداما في مدام في مدام

وقال الصنوبري رحمه الله في لابسة اخضر

وشاطرة قد ادنتها الشطاره • حلى الروض من حسنها مستعاره
اتت في لباس لها اخضر • كما لبس الورق الجلناره
فقلت ما اسم هذا اللباس • فابدت جوابا لطيف العباره
شققنا مرارة قوم به • فنحن نسميه شقاق المراره

وقال حكيم لابنه اياك اذا بليت بمنزلة من السلطان ان تلبس ما يديم نظره اليك به واعلم بان الوشي لا يلبسه الا احمق او ملك وعليك بالبياض وقال يحيى بن خالد رحمه الله لابنه اذا فصلت ثيابا فقصرها وشاحات مطابقة وقيل لباس البخلا الاسترسال لطول بقايه ولباس المترفين السندس لقلة بقايه ولباس المقتصدين العنابي لتوسط بقايه وقال بعض الامرا لحاجبه ادخل علي عاقلا فاتاه برجل فقال بم عرفت عقله قال رايته يلبس الكتان في الصيف والقطن في الشتا والجلوس في الخرق الجديد في البرد ودخل الوليد على هشام رحمهما الله وعليه عمامة فساله عن ثمنها فقال الف فاستكثره فقال الوليد يا امير المومنين انها لاكرم اعضايي وقد تشتري انت جارية بعشرة الاف درهم لاخس اطرافك وقيل كان لابرويز رحمه الله عمامة طولها خمسون ذراعا اذا اتسخت القاها في النار فيحترق الوسخ ولا تحترق وكان له رداء قز يتلون كل ساعه

وكسرا وبل جوهر وتكه من انابيب الزمرد وفضل الرداء ديج لباس اهل الروم والاقبية لباس الفرس والقراطق لباس الهند والازر لباس العرب وسئل بعض العرب عن الوان الثياب فقال الصفر اشكل والحمر اجمل والخضر اميل والسود اهون والبيض افضل وقال افلاطون الصبغ الشعاعي والوادع والزعفرانية تشكل الغضب والصبغ الياقوتي والوادع الرديه تحرك السرور واذا قربت اللون الاحمر الى اللون الاصفر تحركت القوة العشقية واذا مزجت الحمرة بالصفرة تحركت القوة الغريزية واذا مزجت التفاحية بالحمرة تحركت الطبايع كلها وقيل افضل الثياب خمسة حلة ادم التي البسها الله تعالى له في الجنة وقميص يوسف الذي القاه يعقوب على وجهه فارتد بصيرا وقميص هرون التي جاء به جبريل عليه السلام من الجنة حين بعثه الله شريكا في النبوة وبردة النبي صلى الله عليه وسلم وكفن فيها وجلباب فاطمة وكان من صوف اكتسته يوم بنى بها علي وخرجت به من الدنيا وجاءت امراة الى النبي صلى الله عليه وسلم وقالت اني نويت ان اعطي هذا البرد اكرم العرب فقال عليه السلام اعطه هذا الغلام سعيد بن العاص فذلك البرود السعدية وكان مصعب بن الزبير رضي الله عنه يقول لكل شي راحة وراحة البيت كنسه وراحة الثوب طيه وقال اعرابي لقد رايت بالبصرة برودا كانها نسجت بانوار الربيع وكان ازدشير وبهرام جور وانوشروان رحمهم الله يامرون باخراج ما في خزائنهم من الثياب فيكسوها بالنيروز والمهرجان ولا يعلم ان احدا اقتفى اثرهم الا عبد الله بن طاهر فانه كان لا يترك في خزائن المومنين في خزائنه ثوبا الا كساه ::

ومما جا في ذكر من ذل نفسه ومن عز نفسه

قال المبرد رحمه الله كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرع في الشي على جهة غير جهة التلذذ ولكن على الاجلال والاستنان الا ترى انه عليه السلام لبس حلة كسرى التي اشتراها له الانصار فخطب فيها ثم نزل فوهبها لاسامة رضي الله عنه فيقال ان ابا سفين رحمه الله لما راى ذلك جعل ينكر ويقول اخلة كسرى بن هرمز على ابن الشاة يعني اسامة لما نحته امه وهو صغير فغذي بلبن الشاه وروي عن انس رضي الله عنه قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في عباة يصبغ بعيرا له وعنه رايته يسم الغنم في اذنها فرايته متزرا بكسا وعن علي رضي الله عنه قال رايت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعليه ازار فيه احدى وعشرون رقعة ورقعة من ثيابنا وكان كم قميص علي رضي الله عنه لا يجاوز اصابعه ويقول ليس للكم على اليد من فضل وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يشتري الحلة بالف دينار ويقول ما اجودها لولا خشونة فيها فلما استخلف كان يشتري له الثوب بخمسة دراهم ويقول ما اجوده لولا لينه وعن مسلم بن يسار رضي الله عنه اذا لبست ثوبا فظننت انك فيه افضل مما في غيره فبئس الثوب هو لك وقال منصور بن عمار رضي الله عنه

من يعري من لباس التقوى لم يستتر بشي من لباس الدنيا وقيل للحائك لبست قميصا اجود من قميصك فقال ليت قلبي في القلوب مثل قميصي في القمص وقيل لا يسود الرجل حتى لا يبالي في اي ثوبيه ظهر وكان ابو بسر الغزي رحمه الله يلتقط الخرق من المزابل فيغسلها ويخيطها ويلبسها ودخل بعض المتصوفين على معاوية رضي الله عنه وعليه عباة فازدراه فقال يا امير المومنين ان العباة لا تكلمك وانما يكلمك من فيها وقال الاصمعي رحمه الله رايت اعرابيا فاستنشدته فانشدني ابياتا وروى لي اخبارا فتعجبت من حاله وسوء حاله فسكت سكتة ثم قال يا اخي ان الحادثات عركتني عرك الاديم لا تنكر ان قد رايت اخاك في دهر مدلم ان كل اثوابي بلين فانفس على كريم :: قال بعضهم ::

على ثياب لو يقاس جميعها ... بفلس لكان الفلس منهن اكثر
وفيهن نفس لو يقاس ببعضها ... نفوس الورى كانت اجل واكبر
وما ضر وجه السيف اخلاق غمده ... اذا كان عضبا حيث وجهته بدر

ودخل بعضهم على هرون الرشيد رحمه الله فازدراه فانشد الرجل يقول

شعر

ترى الرجل النحيف فتزدريه ... وفي اثوابه اسد هصور
ويعجبك الطرير فتبتليه ... فيخلف ظنك الرجل الطرير
لقد عظم البعير بغير لب ... فلم يستغن بالعظم البعير
فيصرفه الصبي بكل وجه ... ويحبسه على الخسف الجرير
وتضربه الوليدة بالهراوى ... فلا عار لديه ولا نكير
فان اك في شراركم قليلا ... فاني في خياركم كثير

وكان يقال كل ما تشتهيه والبس ما تشتهيه الناس وقد نظمه من قال

شعر

ان العيون رمتك اذ فاجاتها ... وعليك من شهر الثياب لباس
اما الطعام فكل لنفسك ما اشتهيت ... واجعل لباسك ما اشتهاه الناس

يقال في الثياب المنسوجة برد اليمن ووشي صنعا وريط الشام وارديه مصر واكسية فارس وديباج الروم وحلل البحرين وعمايم ابله ومناديل الدامغان وتكك ارمينية والله اعلم

الباب السابع والاربعون

في الحلي والمصوغ والتطيب وما جا في التختم وما اشبه ذلك

عن عايشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجعل الخاتم في يمينه كثيرا كما لرسالة لبس نفس حسنها ونام حسن لكف لبس الخاتم وذكر السلمي رضي الله عنه ان

رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يتختم في يمينه والخلفاء بعده فنقله معاوية الى
اليسار واخذ المروانية بذلك ثم نقله السفاح الى اليمين فبقي الى ايام الرشيد رضي الله عنهم
فنقله الى اليسار واخذ الناس بذلك وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
تختموا بخواتيم العقيق فانه لا يصيب احدكم غم ما دام ذلك عليه وبلغ عمر بن عبد العزيز رضي الله
عنه ان ابنه اشترى فص خاتم بالف دينار فكتب اليه حلفت عليك الا ما بعت خاتمك بالف
دينار وجعلتها في بطن جائع واستعملت خاتما من ورق فضة منه رحم الله امرا عرف نفسه
وكان خاتم علي رضي الله عنه من ورق ونقشه نعم القادر الله وكان لابي نواس خاتمان احدهما
عقيق مربع وعليه مكتوب

بيت شعر

تعاظمني ذنبي فلما عدلته • بعفوك ربي كان عفوك اعظما

والآخر حديد مكتوب عليه تشهد ان لا اله الا الله مخلصا واوصى عند موته انه يغسل
الفص ويجعل في فيه وعن جعفر بن محمد رضي الله عنه ما افتقرت كف تختمت بفيروزج وقيل
الخواتيم اربعة الياقوت للبطش والفيروزج للقتال والعقيق للسنة والحديد الصيني
للحرز

وما جاء في الحلي

قيل ان قرط مارية بنت ظالم
بن وهب بن الحارث بن معاوية الكندي مثل في المكانة فقيل خذوه ولو بقرطي مارية
كان فيها فصوص كبيض الحمام لم ير مثلها قط ولم يدر ما قيمتهما وسبحة زبيدة ام جعفر بانه
المقتدر مثله ايضا كان لها ثلثون درة وعشر يواقيت لم ير مثلها في عقد ملك
ولا في خزانة ملك وقال يزيد بن الخطيب بعثني الرشيد رحمه الله الى ملك الروم
فانسني وقال لي يوما اريك شيئا ما رايته قط مثله فاخرج الي سترا من ابريسم
قد نسج بالذهب عرضه نيف وثمانون ذراعا في طول مائة ذراع ولم نجد في اعلاه مكتوب
سطرين بسم الله الرحمن الرحيم مما عمل لسام بن نوح رحمه الله وكان ملك العرب
كلما مرت سنة من السنين التي فيها ملكه زيدت في تاجه خرزة فكان يقال خرزه الملك
ولما بلغت خرزات الملك اربعين قتله ابرويس وقال يحيى بن يحيى بعثني يوسف بن عمر الى هشام
بياقوتة حمراء يخرج طرفاها من كفي كانت للرائقة جارية خالد بن عبد الله القسري
رحمه الله اشتريتها بثلثة وسبعين الف دينار وحبة لؤلؤ اعظم ما يكون من الحب وقد كتب
عليه بهما فقال اكتب معك بوزنهما فقلت يا امير المؤمنين هما اعظم من ان تكتب بوزنهما
فقال صدقت وبعث معاوية الى عائشة رضي الله عنها طوقا من ذهب فقوم بمائة الف
دينار فقسمته بين ازواج النبي صلى الله عليه وسلم

ذكر ما جاء في الطيب والتطيب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطيب الطيب المسك وعن عائشة رضي الله عنها
قالت كاني انظر الى وبيص الطيب في مفارق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم

وعن

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه يرفعه ان في الجنة لمراغي من مسك مثل مراغ دوابكم
منه وعن انس رضي الله عنه قال دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنام عندنا
فعرق وجاءت امي بقارورة فجعلت تسكب العرق فاستيقظ فقال يا ام سليم ما هذا
الذي تصنعين فقالت هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو من اطيب الطيب وعن عمر رضي
الله عنه لو كنت تاجرا ما اخترت غير العطر ان فاتني ربحه لم يفتني ريحه وناول
المتوكل ابن ابي قشير رحمهما الله فارة مسك فقال

بيت

لئن كان هذا طيبا وهو طيب • لقد طيبته من لدنك الانامل

واهدى عبد الله بن جعفر لمعاوية رضي الله عنهما قارورة من الغالية فسال كم انفق
عليها فقال مالا جزيلا فقال هذه غالية فسميت بذلك وشمها مالك بن اسماء بن خارجة
من اخته هند بنت اسماء رحمهما الله فقال علميني كيف تصنعين طيبك فقالت لا افعل
تريد ان تعلمه جواريك هو لك مني كلما اردته ثم قالت والله ما تعلمته الا من شعرك
حيث قلت

بيت

اطيب الطيب طيب ام ابان • فار مسك بعنبر مسحوق

وقال ابو قلابة كان ابن مسعود رحمه الله اذا خرج من بيته الى المسجد عرف جيران
الطريق انه قد مر من طيب ريحه وعن الحسن بن زايد الهاشمي عن ابيه رحمه الله قال
رايت ابن عباس رضي الله عنه انطلى جسده بالمسك فاذا مر في الطريق قال الناس قد مر
ابن عباس ام المسك وقال الضحي رحمه الله رايت على راس ابن الزبير رحمه الله من المسك
ما لو كان لي لكان راس مالي وقيل لما بنى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بفاطمة بنت
عبد الملك رحمه الله اسرج في مسارجه تلك الليلة بالغالية وقال الشعبي رحمه الله
الرائحة الطيبة تزيد في العقل وقال علي كرم الله وجهه شموا النرجس ولو في اليوم
مرة فان في قلب الانسان حالة لا يزيلها الا شم النرجس وقال الثعالبي رحمه الله اذا
ورد الورد صدر البرد وقيل من لطائف الكرم الاستغفار في السحر وكان الصحابة رضي
الله عنهم يستحبون اذا قاموا من الليل ان يمسوا لحاهم بالطيب وكان الصحابة رضوان
الله عليهم يستحبون من اختلف في طرقات المدينة وجد عرفا طيبا ولذلك سميت طيبة
والله ما طابت طيبة الا بالطيب الطاهر صلى الله عليه وسلم وما احسن ما قيل في ذلك

بيت

اذا لم تطب في طيبة عند طيب • به طيبة طابت فاين تطيب

ذكروا ان فارة المسك دويبة شبيهة بالخشف تصاد لسررها فاذا صادها الصياد
عصب سرتها بعصابة شديدة فيجتمع فيها دمها ثم يذبحها وما اكثر من ياكلها ثم ياخذ

تلك السرة ويدفنها في الشعير حتى يستحيل الدم المحتقن فيها مسكا ذكيا بعد أن كان لا يرام الا نتنا وقد يوجد جرذان سود يقال لها فار المسك ليس عندها الا رائحة لازقة لها وحكي ان العنبر ربما طفا على الما لا يدري احد معدنه فلا ياكله شي الا مات ولا ينقره طائر الا بقي منقاره فيه ولا يقع عليه الا نصلت اظفاره والتجار والعطارون ربما وجدوا فيه اظفارها قال الزمخشري رحمه الله سمعت اناسا من اهل مكة يقولون هو من زبد بحر سرنديب واجود العنبر الاسود وعن ابن عباس رضي الله عنه في العنبر زكاة انما هو شي دسره البحر واما العود فاجوده المندلي وهو منسوب الى قرية من قرى الهند واجوده اصلبه وامتحان رطبه ان ينطبع فيه نقش الخاتم ومن خصائصه ان رائحته تطبع في الثوب اسبوعا وانه لا يقمل ما دامت فيه واما الكافور فهو ما في جوف شجر مكفور يحزونه بالحديد فاذا خرج ظاهره ضربه الهوى فانعقد كالصموغ الجامدة على الاشجار والند مصنوع وهو العود المطرى بالمسك والبان قال الشاعر

لو كنت احمل خمرا حين زرتكم ❊ لم ينكر الكلب اني صاحب الدار

لكن اتيت وريح المسك تقدمني ❊ والعنبر الورد مسبوق على النار

فانكر الكلب ريحي حين خالطني ❊ وكان يعرف ريح الزق والقار

وكانت ملوك الفرس رحمهم الله تامر برفع الطيب ايام الورد وكان المتوكل رحمه الله يلبس في ايام الورد الثياب الموردة ويفرش الورد في مجلسه ويطيب جميع الالات مسجله بالورد وقال جعفر بن ابراهيم الهاشمي رحمه الله سنة ولذة وقوة ومروة وقال الحسن بن سهل رحمه الله امهات الرياحين تقوى بامهات الطيب النرجس يقوى بالورد والورد يقوى بالبنفسج يقوى بالعنبر والريحان يقوى بالكافور والنسرين يقوى بالعود وقال جالينوس رحمه الله المسك يقوى القلب والعنبر يقوى الدماغ والكافور يصلح الريه والعود يقوى المعدة والغالية تحل الزكام والصندل يحل الاورام وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا ترد الطيب فانه طيب الرائحة طيب الريح خفيف المحمل تخبر بعض الامرا وعنده اعرابي فحرضت من الامير ريح خفيفة فاراد الامير ان يدري هل فطن لها الاعرابي ام لا فقال ما اطيب هذه الثلثة قال نعم ايها الامير ولكنك رفعتها ويقال ان الانف اذا شم ريح الطيب تحرك القلب قال سلمة بن عياش في جعفر بن سليمان بن علي رحمهم الله بيت

فاشتم انفي ريح مسك شممته ❊ من الناس الا ريح كفك الطيب

فامر

في امر له بالعشرة دينار ومائة مثقال مسك ومائة مثقال عنبر والله اعلم

الباب الثامن والاربعون في الشباب والشيب والصحة والعافية واخبار المعمرين وفيه فصول

الفصل الاول في الشباب وفضله روي عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ما بعث الله نبيا الا شابا ولا اوتي العلم عالما الا وهو شاب ثم تلى هذه الاية الكريمة قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم وقد اخبر الله تعالى انه اتى يحيى بن زكريا عليه السلام الحكم صبيا قال تعالى واتيناه الحكم صبيا وذكر الفتية في غير موضع من كتابه فقال تعالى اذ اوى الفتية الى الكهف وقال تعالى انهم فتية امنوا بربهم وقال تعالى واذ قال موسى لفتاه وقال انس رضي الله عنه قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي راسه ولحيته عشرون شعرة بيضا وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة بن زيد رضي الله عنه على جميع الانصار وكبار المهاجرين لحداثة سنه وعتاب بن اسيد رضي الله عنه ولاه مكة وبها اكابر قريش وعبد الله بن عباس رضي الله عنه على جلالة قدره وحظه من العلم قال بعض العلما البلغا الشباب باكورة الحيا واطيب العيش اوايله كما ان اطيب الثمار بواكرها والشباب ابلغ الشفعا عند النسا واكد الوسائل الى قلوبهن ولذلك قال ابو تمام رحمه الله

بيت

احلى الرجال الى النسا موافقا ❊ من كان اشبههم بهن خدودا

وما بكت العرب على شي مثل ما بكت على الشباب ولو لم يكن عهد الشباب حميدا وزمانه حبيبا لزمانه صورته وبهجة منظره وجمال خلقته واعتدال قامته لما جاور الله تعالى في جنان الخلد شابا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جردا مردا ابنا ثلاث وثلثين وقد جا في ذلك اشيا كثيرة ليس هذا موضعها والله الموفق

الفصل الثاني من هذا الباب في الشيب وفضله اول من شاب سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام وفي الخبر ان الله تعالى يقول الشيب نوري وانا استحي ان احرق نوري بناري وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال البركة مع اكابركم وعن جعفر بن محمد رضي الله عنه عن ابيه قال جا رجلان الى النبي صلى الله عليه وسلم شيخ وشاب فتكلم الشاب قبل الشيخ فقال كبر كبر وفي هذه الرواية من عرف فضل كبير لوقره لسنه امنه الله من فزع يوم القيمة وعن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وعزتي وجلالي وفاقة خلقي الي اني لاستحي من عبدي وامتي يشيبان في الاسلام ان اعذبهما ثم بكى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له ما يبكيك يا رسول الله قال ابكي من يستحي الله منه وهو لا يستحي من الله تعالى وقال من بلغ

من دين الأمة ماية حرمه الله على النار وقال إذا بلغ المؤمن ثمانين سنة فإنه أسير الله
في الأرض يكتب له الحسنات ويمحو عنه السيئات وقيل كان الرجل فيمن قبلكم لا يحتلم حتى يبلغ
ثمانين سنة وعن وهب بن الأصغر رحمه الله أن من مات من ولد آدم عليه السلام ابن مائتي سنة
فبكته الجن والإنس لحداثة سنه وقال النخعي رحمه الله كان يقال إذا بلغ الرجل أربعين سنة
على خلق لم يتغير عنه حتى يموت وعن ابن عباس رضي الله عنه رفعه من أتى عليه أربعون سنة ثم
لم يغلب خيره على شره فليتجهز إلى النار وعن أنس رضي الله عنه قال ملك الموت لنوح عليه السلام
يا أطول الأنبياء عمرا كيف وجدت الدنيا ولذتها قال كرجل دخل بيتا له بابان دخل من أحدهما
فقال في البيت هنيهة ثم خرج من الباب الثاني ويقال اطع أكرمنك ولو بليلة وقال
عبد العزيز بن داود عليه السلام من لم يتعظ بثلث لم يتعظ بالإسلام والقرآن
والشيب

قال الشاعر

يا عامر الدنيا على شيبه ۞ فيك أعاجيب لمن يعجب
ما عذر من يعمر بنيانه ۞ وجسمه منهدم مخرب

وقال الشعبي رحمه الله الشيب علة لا يجاد منها ومصيبة لا يعزى عليها والسلام

قال الفرزدق رحمه الله

ويقول كيف يميل مثلك للصبا ۞ وعليك من عظة المشيب عذار
والشيب ينهض في الشباب كأنه ۞ ليل يصيح بجانبيه نهار

وقال أبو دلف رحمه الله

وناد مني همّ لبيضاء نابته ۞ لها بغضة في مضمر القلب ثابته
ومن عجبي أني إذا رمت غضها ۞ تغضت سواها وهي بعد شامته

وقال ابن المعتز رحمه الله بيت

ظللت أطلب وصلها بتذلل ۞ والشيب يغمزها بأن لا تفعل

صاح شاب بشيخ أحدب بكم ابتعت هذا القوس يا عماه فقال يا بني إن عشت أعطيته
لك من غير ثمن ومر رجل اشمط بامرأة جميلة فقال يا هذه إن كان لك زوج فبارك الله
لك فيه وإلا فأعلمينا فقالت كأنك تخطبني قال نعم قالت إن في شيء قال وما هو قالت
شيب في رأسي فثنى عنان رأسه فقالت على رسلك والله ما بلغت عشرين سنة ولا رأيت
في شعر رأسي شعرة بيضاء ولكني أحببت أن أعلمك أني أكره منك ما تكره مني والسلام

قال الشاعر

أرى شيب الرجال من الغواني ۞ بموقع شيبهن من الرجال

وقال ابن المعتز رحمه الله

رأت

رأت الغواني الشيب لاح بعارضي ۞ فأعرضن عني بالخدود النواضر

وقال آخر

سألتها قبلة يوما وقد نظرت ۞ لشيبي وقد كنت ذا مال وذا نعم
فأعرضت وتولت وهي قائلة ۞ لا والذي أوجد الإنسان من عدم
ما كان في بياض الشيب من أرب ۞ أفي الحياة يكون القطن حشو فمي

وقال آخر

قالت أرى مسكة الشعر البهيم غدت ۞ كافورة فذا ما دهاك به الزمن
فقلت طيب بطيب والتبدل في ۞ معاد ذا الطيب أمر غير ممتهن
قالت صدقت فما أنكرت ذاك فذا ۞ المسك للعرس والكافور للكفن

وقال آخر

قالت أراك خضبت الشيب قلت لها ۞ سترته عنك يا سمعي ويا بصري
فقهقهت ثم قالت من تعجبها ۞ تكاثر الغش حتى صار في الشعر

وقال ابن نباتة رحمه الله

تبسم الشيب بوجه الفتى ۞ يوجب سح الدمع من جفنه
وكيف لا يبكي على نفسه ۞ من ضحك الشيب على ذقنه

وقال المأمون رحمه الله

رأت وضحا في الرأس مني فراعها ۞ فريقان أبيض به وبهيم فيه
تفاريق شيب في السواد لوامع ۞ وما حسن ليل ليس فيه نجوم كان

ويقال في الرجل إذا شاب ليله عسعس وصبحه تنفس وقد قيل بيت

ألا إن شيب العبد من نقرة القفا ۞ وشيب كرام الناس فوق المفارق

وقال آخر بيت

إذا نازع الشيب الشباب فأصلتا ۞ بسيفيهما فالشيب لا بد غالبه

وقال عمرو بن هاني رحمه الله النوبة تقول للشاب أهلا ومرحبا وتقول للشيخ أقبلك
على ما كان منك وقد قال العتبي رحمه الله بيت

قالت عهدتك مجنونا فقلت لها ۞ إن الشباب جنون برؤه الكبر

وقال علي بن ربيع العبادي رحمه الله

كبرت ودق العظم مني وعيني ۞ عمي وزالت عن فراشي العوائد
وصرت أغشى أخبط الأرض بالعصا ۞ يقودونني بين البيوت الولائد

وقال آخر

عَرِيتَ من الشباب وكنت غصنا * كما يعرى من الورق القضيب
ونُحْ على الشباب بكل دمعٍ * فما نفع البكاء ولا النحيب
فليت الشباب يعود يوما * فأخبره بما فعل المشيب

وقال ابن النقيب رحمه الله

وكم كان من عين عليها وحافظ * وكم كان من واشٍ لها ورقيب
فلما بدا شيبي اطمأنت قلوبهم * ولم يحفظوها واكتفوا بمشيبي

وقال احمد بن حنبل رضي الله عنه ما الشباب الا كشيء كان في كمي فسقط وفي ذلك يقول القائل

شعر

شيئان لو بكت الدماء عليهما * عيناي حتى يؤذنا بذهاب
لم يبلغ المعشار من حقيهما * فقد الشباب وفرقة الاحباب

وقال الحافظ رحمه الله

أترجو ان تكون وكنت شيخا * كما كنت ايام الشباب
لقد كذبتك نفسك ليس ثوبٌ * دريسٌ كالجديد من الثياب

وما جا في الخضاب

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالخضاب فانه أهيب لعدوكم وأعجب الى نسائكم وعن ابي عامر الانصاري رضي الله عنه قال رايت ابا بكر الصديق رضي الله عنه يغير بالحنا والكتم وقيل الحنا يصفي البصر ويذهب الصداع ويزيد في الباه بيت

تسود اعلاها وتأبى اصولها * وليس الى رد الشباب سبيل

وقيل وفد عبد المطلب بن هاشم على سيف ذي يزن رحمهما الله فقال له لو خضبت شعرك فلما رد الى مكة اختضب فقالت امرأته نثيلة ما احسن هذا لو دام فقال

شعر

لو دام لي هذا الخضاب حمدته * وكان بديلا من خليل قد انصرم
تمتعت منه والحياة قصيرة * ولا بد من موت عتيبة او هرم

وقال محمود الوراق رحمه الله

يا خاضب الشيب الذي * في كل ثالثة يعود
ان الخضاب اذا انتفى * فكأنه شيب جديد
فدع المشيب وما يسوده * فلن يعود كما تريد

وقال يزيد بن الحكم رحمه الله

فتى منك الشباب ولست منه * اذا سألتك لحيتك الخضابا

الفصل

الفصل الثالث من هذا الباب
في العافية والصحة والسلامة

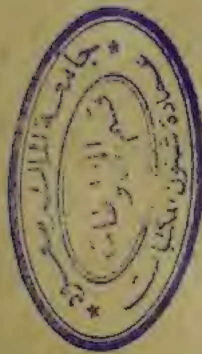
عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انيّ اسألك العافية وعنه صلى الله عليه وسلم اول ما يحاسب به العبد يوم القيامة ان يقال له الم اصح بدنك واروك من الماء البارد وقال علي رضي الله عنه في قوله تعالى ثم لتسألن يومئذ عن النعيم هو الامن والصحة والعافية وعن ابن عباس رضي الله عنه الابدان والاسماع والابصار يسأل الله العباد فيما استعملوها وهو اعلم بذلك قال ابن عيينة رضي الله عنه من تمام النعمة طول الحيوة في الصحة والامن والسرور وقالت عائشة رضي الله عنها لو رأيت ليلة القدر ما سألت الله الا العفو والعافية وقال قبيصة بن رقيب رحمه الله كنا نسمع عبد الملك من ورا الحجرة في مرضه يا اهل النعم لا تستقلوا شيئا من النعم مع العافية وقال البحتري لا جوار له والملك لا صديق له والعافية لا يؤمن لها وقال ابن الرومي رحمه الله

شعر

اذا ما كساك الدهر سربال صحة * ولم تخل من قوت يحل ويعذب
فلا تغبطن المكثرين فانما * على قدر ما يعطيهم الدهر يسلب

ويقال صحة الجسم اوفر القسم وذكر بعضهم العافية فقال واي عطا واي عطا واي عطا وقال حكيم رحمه الله ان كان شيئا فوق الحيوة فالصحة وان كان شي مثل الحيوة فالغنا وان كان شي فوق الموت فالمرض وان كان شي مثل الموت فالفقر وقال علي رضي الله عنه ما المبتلى الذي اشتد به البلا باحوج الى الدعا من المعافا الذي لا يأمن البلا وقيل رأت فارة البيوت فارة الصحرا في شدة ومحنة فقالت لها ما تصنعين ههنا اذهبي معي الى البيوت التي فيها انواع النعيم والخصب فذهبت معها واذا صاحب البيت الذي تسكنه قد هيأ لها الرصد لبنة تحتها شحمة فاقتحمت لتأخذ الشحمة فوقعت عليها اللبنة فحطمتها فهربت الفارة البرية براسها متعجبة وقالت ارى نعمة كثيرة وبلا شديدا العافية وكان عند رومي خنزير فربطه الى اصطوانة ووضع العلف بين يديه يسمنه وكان الى جنبه اتانة لها جحش وكان ذلك الجحش يلتقط ما يتناثر من العلف فقال لامه يا اماه ما اطيب هذا العلف فقالت يا بني لا تقربه فان من ورائه الطامة الكبرى فلما اراد الرومي ان يذبح الخنزير ووضع السكين على حلقه جعل يضطرب وينفخ فهرب الجحش واتى الى امه وقد اخرج وقال ويحك يا اماه انظري هل بقي في خلال اسناني شيا من ذلك العلف فاقلعه ما احسن القنع مع السلامه

الفصل الرابع في اخبار المعمرين



قال الحسن رضي الله عنه أفضل الناس ثوابا يوم القيمة المؤمن المعمر وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بخياركم قالوا بلى يا رسول الله قال
أطولكم اعمارا في الاسلام اذا سددوا • وزعموا ان شيخ العرابي كان من المعمرين وانه دخل
على بعض خلفا بني امية فساله عن عمره فقال عشت مايتي سنة في فترة عيسى بن مريم عليه
السلام ومايتي سنة وعشرون في الجاهلية وستين في الاسلام فقال له اخبرني عما رايت
فيما لقي عمرك قال رايت الدنيا ليلة في اثر ليلة • ورايت الناس بين جامع مال مفرق
ومفرق ما لا مجموعا • وبين قوي يظلم • وضعيف يظلم • وصغير يكبر • وكبير يهرم • وحي
يموت • وجنين يولد • وكل بين سرور بموجود • ومحزون بمفقود وقد ذكر ابن الجوزي
رحمه الله ان آدم عليه السلام عاش الف سنة وعاش ابنه شيث عليه السلام تسعمايه سنة
وابنه مهلاييل عاش ثمانماية وخمسا وتسعين سنة • وابنه متوشلخ عاش تسعماية وستين
سنة • واما ابنه نوح عليه السلام فقد روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما انه قال
عاش نوح عليه السلام الف واربعماية وخمسين سنة واما الخضر عليه السلام واسمه
خضرون فهو اطول ولد آدم عليه السلام عمرا وذكر ان لقمان عليه السلام عاش ثلثة الاف
وخمسماية سنة وكانت العرب لا تعد الا من عاش ماية وعشرين سنة فما فوقها وعاش
سطيح سبعماية سنة • وعاش قس بن ساعدة الايادي ستماية سنة وكان من حكما العرب
وعاش ربيعة الشاعر وادرك الاسلام وزيد بن الصمة ماية وسبعين سنة حتى سقط
حاجباه على عينيه وادرك الاسلام ولم يسلم ومن المعمرين عمرو بن معدي كرب الزبيدي
ومن المعمرين ابن عبد المسيح بن نحله عاش ثلثماية وعشرين سنة وادرك الاسلام ورأى
مؤلفه رحمه الله رجلا من اهل محلة مسير بالغربية ذكر انه بلغ من العمر ماية واربعين
سنة وان امراته بلغت من العمر كذلك ولقد رايت منه ما لم اره من شبان اهل
هذا العصر من القوة وشدة الباس ورايت له ولدا شيخا كبيرا هو اشد قوة من ولده
وذلك في صفر سنة تسع وعشرين وثمانماية والله اعلم • وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم

الباب التاسع والاربعون في
الاسما والكنى والالقاب وما استحسن منها

أشرف الاسما واعظمها بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى هل تعلم له سميا وعن
بن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من رفع قرطاسا من الارض مكتوبا
عليه بسم الله الرحمن الرحيم اجلالا له ولاسمه من ان يداس كان عند الله من الصديقين
وخفف عن والديه العذاب مثل زنات ثلث • فرنة حين يخرج فاخرج من ملكوت السموات
والارض • ورنة حين ولد محمد صلى الله عليه وسلم • ورنة حين انزلت سورة الحمد لله وفي

ابتداتها

ابتداتها بسم الله الرحمن الرحيم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرد دعا
اوله بسم الله الرحمن الرحيم فان امتي ياتون يوم القيمة وهم يقولون بسم الله الرحمن الرحيم •
فتثقل حسناتهم في الميزان فتقول الامم ما ارجح موازين امة محمد صلى الله عليه وسلم فتقول
الانبيا عليهم السلام انما ابتدا كلامهم بثلثة اسما من اسما الله تعالى لو وضعت في كفة الميزان
ووضعت سيات الخلق في الكفة الاخرى لرجحت حسناتهم وفي صحيح مسلم عن ابن عمر رضي الله
عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان احب اسماكم الى الله عز وجل عبد الله
وعبد الرحمن واصدقها حارثة وهمام واقبحها حرب ومرة • وينبغي ان ينادي من لا يعرف له اسم
بعبارة لا يتاذى منها ولا تكون كذب كقولك يا اخي يا فقيه يا فقير يا سيدي يا هذا
يا صاحب الثوب الفلاني او النعل الفلاني او الفرس الفلاني او السيف او الرمح وما
اشبه ذلك ودخل عبادة على المتوكل رحمهما الله وبين يديه جام من الذهب فيه الف مثقال
فقال له اسالك عن شي ان اجبتني فيه بديهة من غير ان تتفكر فلك الجام بما فيه قال سل
يا امير المومنين قال اخبرني عن شي له اسم ولا كنية له • وعن شي له كنية ولا اسم له
قال المناره • ابو رياح • فتعجب المتوكل واعطاه الجام بما فيه وقيل لعثمان رضي الله عنه
ذي النورين لانه زوجته كان احسن زوجين في الاسلام • قتادة بن النعمان الانصاري
رضي الله عنه اصيبت عينه يوم احد فسقطت على خده فردها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فكانت احسن ما كانت واصح من الاخرى كان يغسل عينه الباقية ولا يغسل المردودة
فقيل له ذو العينين • ابو هريرة رضي الله عنه قال كنيت بهريرة صغيرا وكان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول له يا ابا هريرة • واختلف في اسمه فقيل عبد الله وقيل عبد الرحمن
وقيل عبد شمس وعمير وسكر وقال الشعبي رحمه الله كنية الرجال ابو يوسف ذو الشهرة
وابو دجانة الانصاري كانت له شهرة يلبسها وعطر بن الصفين • وذو الرياستين رضي الله
عنه الفضل بن سهل رضي الله عنه لانه دبر امر السيف والقلم وولي رياسة الجيوش
والدواوين ودخل عليه شاعر يوم المهرجان وبين يديه الهدايا فقال

شعر

اليوم يوم المهرجان	وهديتي فيه لساني
لك دولتان حديثة	وقديمة ورياستان
لك في الذي من هاشم	بيت ودست خيزران
علم الخليفة كيف انت	نصرت في هذا المكان

فامر له بجميع الهدايا الطيبون فبني عبد مناف وبنوا اسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب
وتيم بن مرة والحارث بن فهر غمسوا ايديهم في خلوف ولم يخالفوا شيبة الحمد عبد المطلب

لقب بشيبة كانت براسه ولد قال حذافة رحمه الله **بيت**

بني شيبة الحمد الذي كان وجهه ... يضئ في ظلام الليل كالقمر البدر

وقيل له عبد المطلب لان عمه المطلب مر به في سوق مكة مردفا فجعلوا يقولون من هذا الذي وراك فيقول عبد لي سيدنا ابو بكر رضي الله عنه اسمه عبد الله ولقبه العتيق والصديق لجماله وتصديقه خرجه الترمذي ولانه اول من صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدنا عمر رضي الله عنه لقب بالفاروق لانه قال يوم اسلم لا نعبد الله بعد اليوم سرا فظهر به الاسلام وفرق بين الحق والباطل الكامل سعد بن عبادة رضي الله عنه لانه كان يكتب ويحسن الرومي والعربي طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه كان يقال له طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الطلحات لسماحته رشح الحجر وابو الذبان عبد الملك بن مروان رضي الله عنه وانه لقب بذلك لبخله ولجرعه عكة العسل سعيد بن العاص رضي الله عنه الحبر عبد الله بن عباس رضي الله عنه لقب بذلك لعلمه كان يقال له مرة ابن الحبر ومرة ابن البحر الاشدق عمرو بن سعيد رضي الله عنه لانه كان مائل الشدق الفياض عكرمة بن الشقي رضي الله عنه لقب بذلك لسخائه خزيمة بن سعد الخزاعي رضي الله عنه قيل له المصطلق لحسن صوته وشدته لقب بالمهلب لانه كان يضع الحديث في ايام الخوارج فيحدث به فاذا راوه قالوا الراح يكذب واصل الغزالي رحمه الله كان يكثر الجلوس في سوق الغزالين وكان يتبع العجائز فيتصدق عليهن ولم يكن منهم غزالا سليمان التيمي رحمه الله كانت داره ومسجده في تيم ولم يكن منهم وهو شيباني وابو عمرو الشيباني رحمه الله لم يكن من بني شيبان وانما كان يعلم يزيد بن مزيد الشيباني واليزيدي كان يعلم يزيد بن منصور الحميري فنسب اليه ذو القروح امرؤ القيس لانه ملك الروم كساه الحلة المسمومة فقرحته وقالوا لم تكن الكنى لاحد من الامم الا للعرب وهي مفاخرها قال بعضهم

بيت

اكنيه حين اناديه لاكرمه ... ولا القبه والسوءة اللقب

وقيل في قوله تعالى فقولا له قولا لينا لعله اي كنياه **ولما** ضرب موسى عليه السلام البحر ولم ينفلق اوحى الله تعالى اليه ان كنه فقال انفلق يا ابا خالد فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم **واما الالقاب** فقد قال الله تبارك وتعالى ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان سماه فسوقا واتفق العلماء رحمهم الله على جواز ذلك على جهة التعريف لمن لا يعرف الا بذلك كالاعمش والاعور والاعرج والاحول والاقطش والاقرع والافطس ونحو ذلك وقيل من المشاهير في الجاهلية والاسلام من ليس له لقب ولم يزل في الامم كلها تجري في المخاطبات والمكاتبات من غير

نكير

نكير غير انها كانت تطلق على حسب استعمالها في الموسومين بها واما ما استحدث من تلقيب السفلة بالالقاب العلية حتى زال التفاضل وذهب التفاوت وانقلب النقص والشرف شرعا واحدا فمنكر وهب ان العذر مبسوط في ذلك فما العذر في تلقيب من ليس من الدين ولا دين له ولا له فيه ناقة ولا فصيل بل هو منطو على ما يضاد الدين وينافيه كجمال الدين وشرف الاسلام وهي لعمر الله الغصة التي لا تساغ والحين الذي يعجز الصبر ونسأل الله تعالى اعزاز دينه واعلاء كلمته وان يصلح ويوقظ غافلنا والرجل يكنى باسم ولده وكذلك المراة واذا كنوا من لم يولد له ولد فعلى جهة التفاؤل وتنبيها الامر على رجاء ان يعيش فيولد له وقد يكنون بما لا يلابس الكنى من غير الاولاد كقول النبي صلى الله عليه وسلم في علي رضي الله عنه ابو تراب وذلك انه نام في غزوة ذي العشيرة فذهب به النوم فجاء اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متمرغ في التراب فقال اجلس يا ابا تراب وكان من احب اسمائه اليه وقوله ابو لهب لحمرة لونه **قال** الزمخشري رحمه الله وسمعتهم يكنون الكبير الرأس والعمامة بابي الراس وابي العمامة وسمعت ان العرب تنادي الطويل اللحية بابي الطويلة وسمعت عرب البحيرة يكنون باسماء نباتهم كابي زهرة وابي سلطان وابي ليلى ونحو ولا حجر في ذلك فقد تكنى جماعة من افاضل الصحابة رضي الله عنهم بابي قلابة فمنهم سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه له ثلث كنى ابو عمرو وابو عبد الله وابو ليلى ومنهم ابو امامة وابو رقية تميم الداري وابو كريمة المقداد بن معدي وكثير من الصحابة والتابعين ابو عائشة مسروق بن الاجدع وكان له اخ صغير وله نغير يلعب به فمات على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآه حزينا فقال له ما شانه قال مات نغيره فقال يا ابا عمير ما فعل النغير ونظر المامون الى غلام حسن في الموكب فساله عن اسمه فقال لا ادري فقال

بيت

تسميت لا تدري بانك لا تدري ... بما فعل الحب المبرح في صدري

وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سميتم الولد محمدا فاكرموه ووسعوا له في المجلس ولا تقبحوا له وجها **وعنه** صلى الله عليه وسلم ما من قوم كانت لهم مشورة فحضر معهم من اسمه احمد او محمد الا قدس الله ذلك المنزل في كل يوم مرتين كل ذلك ببركة هذا الاسم الشريف

ذكر ما جاء في مدح الاسماء منظوما

قال بعض الشعراء رحمهم الله في ابراهيم

رايت حبيبي في المنام معانقي ... وذلك للهجران مرتبة عليا

وقد رق لي من بعد هجر وقسوة ... وما ضر ابراهيم لو صدق الرؤيا

ولبعضهم في عمر

بيا أعدل الأمة أسماكم تجود على قهرا • ومضناك بالهجران والبين
اظهر سر فوك الفاف من قمر • وابدلوك بحلي خنيفة الحين

وقال آخر في عثمان

وافا الي بشمعة وضياها • وضياه يجلي لنا الغرين
ناديته ما الاسم يا كل المنى • فاجابني عثمان ذا النورين

وقال آخر في ابراهيم

باسم الخليل ان فؤادي • فيه من لوعة الغرام جحيما
وعجيب يا قاتلي ان قلبي • فيه نار وانت فيه مقيما

وقال آخر في يوسف

شعر

يا من سبي السحر انجل عذاره • النجم يشهد لي باني مدنف
صيرت قلبي من صدودك فاطرا • فامنن علي بزورة يا يوسف

وقال آخر في بدر

سموه بدرا وذاك لما • ان فاق في حسنه وتما
واجمع الناس اذ راوه • بانه اسم على مسمى

وقال آخر في صالح

وعظ الامام ابا الحبر الذي • سكب العلوم لبحر فضل طافح
فسبي القلوب بحلمه وبوعظه • والوعظ لا يشفي سوى من صالح

وتوجهت مرة الى بلتاج لاجتمع بالحاج خليل بن منصور رحمه الله في حاجة فلم اجده ولم يتم احد من اخوانه بقضا ما توجهت بسببه فقلت

شعر

خلا الخليلي كل من جميلة • واوصافه تجرى بكل جميل
فلا خير في بلتاج ان لم يكن بها • ولا خير في الدنيا بغير خليل

وقال آخر في مقبل

يا من تحجب عن محب صادق • ما زال عنه كل يوم يسال
من لي بيوم يسمح فيه باللقا • ويقال لي هذا حبيبك مقبل

وقال آخر في محسن

واهيف يحلو على عشاقه • بزينة من الجمال ما لها
واسمه وهو الحبيب محسن • وكم دموع في الهوى اسالها

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ورضي الله عن كل الصحابة اجمعين

الباب

الباب الخمسون في الاسفار والاغتراب وما قيل في الوداع والفراق والحث على ترك الاقامة بدار الهوان وحب الوطن والحنين الى الاوطان وما انشد في ذلك

اما ما جا في الاسفار والاغتراب والحث على ترك الاقامة بدار الهوان فقد قال الله تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه **وفي الاثر** سافروا تغنموا وجا فيه ايضا السفر قطعة من العذاب ولكل منهما موضع وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو يعلم الناس رحمة الله للمسافر لاصبح الناس على ظهر سفر ان الله بالمسافر رحيم **ويقال** الحركة ولود والسكون عاقر **وقال** حكيم رحمه الله السفر ميزان الاخلاق **وقيل** لابن الاعرابي رحمه الله لم سمي السفر سفرا قال على رضوان الله عنه من المروة ثلث في الحضر وثلث في السفر فاما اللاتي في الحضر فتلاوة كتاب الله وعمارة مساجد الله واتخاذ الاخوان في الله **واما** اللاتي في السفر فبذل الزاد وحسن الخلق والمزاح في غير معاصي الله **وكان** لرجل من العرب ولد يريد السفر وهو يمنعه اشفاقا عليه فقال

شعر

الا خلني امضي لشاني ولا اكن • على الاهل كلا ان ذا لشديد
تخيفني ريب المنون ولم اكن • لاهرب مما ليس عنه محيد
فلو كنت ذا مال لقرب مجلسي • وقيل اذا اخطات انت رشيد
فدعني اجول الارض عمري لعلني • اسر صديقا او يغاظ حسود

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل ما لا تطوى بالنهار **وقال** كعب بن مالك رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرج في سفر الا يوم الخميس وكان صلى الله عليه وسلم يكره ان يسافر الرجل في غير رفقة وقال الراكب شيطان والراكبان شيطانان والثلثة ركب وقال اذا خرج ثلثة في سفر فليؤمروا احدهم وقيل اغار حذيفة بن بدر على هجان بن المنذر بن ما السما وسار في ليلة مسير ثمان ليال فضرب بمسيره المثل فيقال سار فلان مسير حذيفة رحمه الله قال قيس بن الحطيم رحمه الله

بيت

هممنا بالاقامة ثم سرنا • مسير حذيفة الخير بن بدر

وسار ذكوان مولى عمر رضي الله عنه من مكة الى المدينة في يوم وليلة **وقال** علي رضي الله عنه الغنا في الغربة وطن والفقر في الوطن غربة وفي هذا الكلام حث على السفر عند الضرورة والفاقة

قال الشاعر

لولا الشيمة لم اجزع من الحدم * ولم اجد في الليالي حندس الظلم
وزادني رغبة في المال معرفتي * ان اليتيم يجفوها ذوي الرحم
احاذر الفقر يوما ان يلم بها * فيهتك الستر عن لحم على وضم
تهوى حياتي واهوى موتها شفقا * والموت اكرم نزال على الحرم
اخشى فظاظة عم او جفا اخ * وكنت اخشى عليها من جفا الكلم

وقال لاشي الذ من السفر في كفاية وعافية لانك تحل كل يوم في محلة لم تحل فيها ولقيت اقواما لم تعرفهم شر

واما ما جاء في ترك الاقامة بدار الهوان

فقد قال الفرزدق رحمه الله

وفي الارض عن دار القلا متحول * وكل بلاد اوطنتك بلاد

وقال اخر

وما هي الا بلدة مثل بلدتي * خيارها ما كان عونا على دهري

وقال اخر

واذا البلاد تغيرت عن حالها * فدع المقام وبادر التحويلا
ليس المقام عليك فرضا واجبا * في بلدة تدع العزيز ذليلا

وقال اخر

يلومونني اذ بعت بالرخص منزلي * وما علموا جارا هناك ينغص
فقلت لهم كفوا الملامة واقصروا * بجيرانها تغلوا الديار وترخص

وقال صفي الدين الحلي رحمه الله

تنقل فلذات الهوى في التنقل * ورد كل صاف لا تقف عند منهل
ففي الارض احباب وفيها مشارب * فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل
ولا تستمع قول امرئ القيس انه * مضل ومن ذا يهتدي بمضلل

وقال عبد الله بن الجعفي رحمه الله

بيت

فان تجف عني او ترد لي اهانة * اجد عنك في الارض العريضة مذهبا

واما ما جاء في الوداع والفراق والشوق والوجد والبكا فقد قال جرير رحمه الله

بيت

لو كنت اعلم ان آخر عهدكم * يوم الرحيل فعلت ما لم افعل

وقيل لعمارة بن عقيل بن بلال بن جرير رحمه الله ما كان جدك صانعا في قوله فعلت ما لم افعل قال كان يقلع عينيه ولا يرى مظعن احبابه

وقال جرير

وما وجد مغلول بصنعا موثق * بساقيه من ماء الحديد كبول

قبلا

قليلا لموالي مسلم بجريرة * له بعد نومات العيون اليل
يقول له الحداد انت معذب * غداة غد او مسلم فقتيل
باكثر مني لوعة يوم راعني * فراق حبيب ما اليه سبيل

وقال اخر

وقفت يوم النوى منهم على بعد * ولم اودعهم وجدا واشفاقا
اني خشيت على الافتضاح من نفسي * ومن دموعي احراقا واغراقا

وقال عبد العزيز بن الماجشون رحمه الله وهو من فقها المدينة قال لي المهدي رحمه الله يا ماجشون ما قلت حين فارقت احبابك فقلت يا امير المؤمنين قلت

شعر

لله باك على احبابه جزعا * قد كنت احذر هذا قبل ان يقعا
ما كان والله شوم الدهر يتركني * حتى يجرعني من بعدهم جزعا
ان الزمان راى الف السرور لنا * فدب بالبين فيما بيننا وسعى
فليصنع الدهر ما قد شا مجتهدا * فلا زيادة شي فوق ما صنعا

فقال لي والله لاغنينك فاعطاني عشرة الاف دينار وقال عمر بن احمد بن بديل رحمه الله

شعر

انا الرحيل بحبر جد ترحلت * مهج النفوس له عن الاجساد
من لم يبت والبين يصدع قلبه * لم يدر كيف تفتت الاكباد

وحكى بعضهم قال دخلنا الى دير هرقل فنظرنا الى مجنون في شباك وهو ينشد شعرا فقلنا له احسنت فاوما بيده الى حجر ليرمينا به وقال امثلي يقال له احسنت فتغيرنا منه فقال اقسمت عليكم الا ما رجعتم حتى انشدكم فان انا احسنت فقولوا احسنت وان انا اسات فقولوا اسات فرجعنا اليه فانشا يقول

شعر

لما اناخوا قبيل الصبح عيسهم * وحملوها وساروا بالدما الابل
وقلبت خلال السجف ناظرها * ترنوا الي ودمع العين ينهمل
وودعت ببنان عقده عنم * نادية لا حملت رجلاك يا جمل
يا حادي العيس عرج كي نودعهم * يا حادي العيس في ترحالك الاجل
اني على العهد لم انقض مودتهم * يا ليت شعري لطول البعد ما فعلوا

فقلنا له ماتوا فقال والله وانا اموت ثم شهق شهقة فاذا هو ميت رحمه الله

وقال اخر

لما علمت بان القوم قد رحلوا * وراهب الدير بالناقوس مشتغل

شبكت عشري على راسي وقلت له * يا راهب الدير هل مرت بك الابل
فحن لي وبكى ورق لي ورثى * وقال لي يا فتى ضاقت بك الحيل
ان الخيام الذي قد جئت تطلبهم * بالامس كانوا هنا واليوم قد رحلوا

وقال آخر

ما رحلوا يوم ساروا البزل العيسا * الا وقد حملوا فيها الطواويسا
من كل فاتكة الالحاظ مالكة * تخالها فوق عرش الدر بلقيسا
اذا تمشت على صرح الزجاج ترى * شمسا على فلك في حجر ادريسا
اشغفه من بنات الترك عاطلة * ترى عليها من الانوار ناموسا
وحسنة سابها الشرفا اتخذت * في بيت خلوتها للذكر ناووسا
ان اومات تطلب الانجيل تحسبهم * قساقسا اوبطارقا شما ميسا
ناديت اذ رحلوا للبين نافتها * يا حادي العيس لا تحدو بها العيسا
غيبت احبا دمي يوم بينهم * على الطريق كراديسا كراديسا
ساروا وصرت الى الربع بعدهم * والوجد في القلب لا ينفك مغروسا

وقال آخر

ولما تبدت للرحيل جمالنا * وجد بنا سير وفاضت مدامع
تبدت لنا مذعورة من خيامها * وناظرها باللؤلؤ الرطب دامع
اشارت باطراف البنان وودعت * واومت بعينيها متى انت راجع
فقلت لها والله ما من مسافر * يسير ويدري ما به الله صانع
فشالت نقاب الحسن من فوق وجهها * وارخت من الطرف الكحيل مدامع
وقالت الهي كن عليه خليفه * فيارب ما خابت لديك الودائع

وقال آخر

فديت الذي في القلب مني سكونها * ومن اخذت عهدي بان لا اخونها
تقول ودمع العين يسبق قولها * وقد اسعدتها بالمسيل جفونها
وداعك هذا قاتلي لا محالة * فسلم على روح اتتها منونها

وقال آخر

استودع الله قوما ما ذكرتهم * الا تحدر من عيني ما خزنا
سارت مطاياهم بالحب مسرعة * وخلفوني كئيبا انذب الدمنا

وقال آخر

اقول وقد ودعت الفي مبكرا * الى من وقد بانت عن الدار ارجع

الى

الى رسم دار قد عفت وهي بلقع * سيبكي عليها الهائم المتفجع
جزعت عليهم يوم ولت حمولهم * ومن يصحب الدنيا يصاب ويجزع
فيا دفقة لم يد ما عيب طعمها * من الناس الا المستهام المودع

وقال آخر

يا راحلا وجميل الصبر يتبعه * هل من سبيل الى لقياك يتفق
ما انصفتك دموعي وهي دامية * ولا وفى لك قلبي وهو يحترق

وقال آخر

يا راحلا سفر الايام في سفره * اشهرت بالبين صبا نمت عن سهره
يا غائبا غابت الدنيا بغيبته * وكان يحتضر الدنيا بمحتضره
ناءي وخلفني اعمى بلا نظر * من البكاء على ما فات من نظره
فالله يحفظه فالله يكلؤه * والله يحرسه في الدهر من غيره
والله لو ان لي في العمر مقدرة * خلعت جملة اعوامي على عمره

وقال ابو زريق البغدادي رحمه الله

قالت وقد نالها للبين اوجعه * والبين صعب على الاحباب موقعه
اجعل يديك على قلبي فقد ضعفت * قواه عن حمل ما فيه واضلعه
واعطف على المطايا ساعة فعسى * من شت شمل الهوى بالبين يجمعه
كانني يوم ولت حسرة واسى * غريق بحر يرى الشاطي ويمنعه

وقال آخر

وما ام خشف ظل يوما وليلة * ببلقعة بيدا ظمآن صاديا
يهيم فلا يدري الى اين ينتحي * مولهة حرى تجوب الفيافيا
اضر بها حر الهجير فلم تجد * لغلتها من بارد الماء شافيا
اذا ابعدت عن خشفها انقطعت له * فالفته ملهوف الجوانح ظاميا
باوجع مني يوم شدوا حمولهم * ونادى منادي الحي ان لا تلاقيا

لابن شمس الدين البدري رحمه الله

فيا حاديا ليلى فاني وامق * ولا تعجلا يوما على من يفارق
وزما مطاياها قبيل مسيرها * لنبلغ منها بالتزود عاشق
ولا تزجرا بالسوق اظعان عيسها * فان حبيبي للضعائن سابق
ولما التقينا والغرام يبيدنا * يسارقني في نظرة ذا سارق
فلا تنسا لا ما حل بالبين بيننا * ولا تعجبا انا مشوق وشائق

وقال أيضا عفا الله عنه

تذكرت ليلى حين شط مزارها * وعادت منازلها خليون بلقع
بكيت عليها والعذا يقرع العنى * وسمر العوالي للمنايا تسرع
وخالفت لوامي عليها وعذلي * وخالفت سهدي والخليون هجع
ولم استطع يوم النوى رد عبرة * فؤادي اثنى من حرها يتقطع
فقال خليلي اذ رأى الدمع دائما * بفيض دما من مقلتي ليس يدفع
لئن كان هذا الدمع يجري صبابة * على غير ليلى فهو دمع مضيع

وقال آخر

ولما وقفنا للوداع ودمعها * ودمعي يبث الصبابة والوجدا
بكت لؤلؤا رطبا ففاضت مدامعي * عقيقا فصار الكل في نحرها عقدا

وقال آخر

نفسي الفدا لمن قامت تودعني * والصبر قد غاب والتوديع قد حضرا
فخلت محمر دمعي في غلائلها * من حب رمان نهديها قد انتثرا

وقال آخر

ولما وقفنا للوداع عشية * وقلبي وطرفي دامع وخفوق
بكيت فاضحكت الوشاة شماتة * كأني سحاب والوشاة بروق

ولمؤلفه رحمه الله في الفراق

يا سادة في سويدا القلب مسكنهم * وفي منامي أرى أني أعانقهم
أوحشتمونا وعز الصبر بعدكم * يا من يعز علينا أن نفارقهم

وقال آخر

لو ان مالك عالم بذوي الهوى * ومحله من أضلع العشاق
ما عذب الكفار إلا بالهوى * وإذا استغاثوا غاثهم بفراق

وقال ابن الوردي رحمه الله

دهرنا أمسى ضنينا * باللقا حتى ضنينا
يا ليالي الوصل عودي * واجمعينا أجمعينا

وقال الشريف رحمه الله

عللاني بذكركم واسقياني * وامزجا لي دمعي بكأس دهاق
وخذوا النوم من جفوني فإني * قد خلعت الكرى على العشاق

وقال آخر

قالوا

قالوا اترقد مذ غبنا فقلت لهم * نعم وأشفق من دمعي على بصري
ما حق طرف هداني نحو حسنكم * أني أعذبه بالدمع والسهر

وقال عز الدين الموصلي رحمه الله

فسدت لطول بعادكم أحلامنا * وعقولنا وجفا الجفون منام
والطيف قد وعد العيون بزورة * يا حبذا ان صحت الأحلام

ومما جاء في البكاء قال بعضهم

رجوت طيف خيال * وكيف لي بالهجوع
والذاريات جفوني * والمرسلات دموعي

وقال آخر

ارحم رحمت لوعتي * وابعث خيالك في الكرا
ودمع عيني لا تسل * عن حاله فيا ما جرا

وقال الصفدي رحمه الله

ان عيني مذ غاب شخصك عنها * يأمر السهد في هواها وينهى
بدموع كأنهن الغوادي * لا تسل ما جرا على الخد منها

وله أيضا

يا قلب صبرا على الفراق ولو * روعت ممن تحب بالبين
وأنت يا دمع ان ظهرت بما * تخفيه قلبي سقطت من عيني

للشيخ شهاب الدين بن حجر رحمه الله

خاض العواذل في حديث مدامعي * لما غدا كالبحر سرعة سيره
فحبسته لأصون سر هواكم * حتى يخوضوا في حديث غيره

للشيخ ابراهيم المواز رحمه الله

رحت يوم الفراق أجري دموعي * حسرة اذ نعى الفراق ببيني
قال كم ذا تجري دموعك دما * أوقف الدمع قلت من بعد عيني

وقال آخر

لما لبست لبعده ثوب الضنا * وغدوت من ثوب اصطباري عاريا
أجريت وقف مدامعي من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا

وقال عز الدين الموصلي رحمه الله

عيني أفاضت دموعي * لطول صد وبين
ووجنة الخد قالت * رأيت غسلي بعيني

وقال آخر

ولم أر مثلي عاذرا من طول ليله * عليه لأن الليل يحسبه مثلي
وما زلت أبكي في دجى الليل مشفقا * من الوجد حتى ابيض من فيض أدمعي

وقال عامر بن عبد الله بن عروة بن الزبير رحمه الله

ليت شعري والليالي صروف * هل أرى مرة بقيع الزبير
ذاك مغنى ألفته وقطين * تفرح النفس أن تراهم عبير

وقال قيس بن ذريح رحمه الله

وما فارقت ليلى عن عراد * ولكن شقوة بلغت مداها
بكيت نعم بكيت وكل إلف * إذا بانت خليلته بكاها

وفي بعض الكتب المنزلة السماوية أن مما عاقبت به عبادي من أن ابتليهم بفراق الأحبة

ومما جاء في الحنين إلى الوطن وذم السفر

إن محبة الوطن مستولية على الطباع مستدعية لشدة الشوق إليها أن أبان بن سعيد رضي الله عنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أبان كيف تركت مكة قال تركت الإذخر وقد أغدق وتركت الثمام وقد خاص فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال بلال رضي الله عنه

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * بواد وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يوما مياه مجنة * وهل يبدون لي شامة وطفيل

وقيل من علامة الرشد أن تكون النفس إلى بلدها تواقة وإلى مسقط سحرها مشتاقة وقد قيل

شعر

ولما تبينت المنازل من منى * ولم يقض لي تزويدة المتزود
زفرت إليها زفرة لو حشوتها * سرابيل أبدان الحديد المسرد
لفضت حواشيها وظلت بحرها * تلين كما لانت لداود في اليد

ومن حب الوطن ما حكي عن يوسف عليه السلام أنه أوصى أن يحمل تابوته إلى مقابر آبائه فمنع أهل مصر أهله من ذلك فلما بعث موسى عليه السلام وأهلك فرعون لعنه الله حمله موسى عليه السلام إلى مقابر آبائه فقبره بالأرض المقدسة وأوصى الإسكندر رحمه الله أن تحمل رمته في تابوت من ذهب إلى بلد الروم حبا لوطنه واعتل سابور رحمه الله والأكتاف بالروم وكان أسيرا فقالت له بنت الملك وقد عشقته ما تشتهي قال شربة من ماء دجلة وشمة من تراب إصطخر فأتته بعد أيام بشربة من ماء وقبضة من تراب وقالت له هذا من ماء دجلة ومن تربة أرضك فشرب واشتم بالوهم فشفته من علته وكان الجاحظ المتفلسف رحمه الله من البرامكة أخذ معه تربة مولده في جراب يتداوى به

ومما أحسن ما قال بعضهم

بلاد ألفناها على كل حالة * وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن
ونستعذب الأرض التي لا هواؤها * ولا ماؤها عذب ولكنها وطن

ووصف بعضهم بلاد الهند فقال بحرها در وجبالها ياقوت وشجرها عود وورقها عطر وقال عبد الله بن سليمان رحمه الله في نهاوند أرضها الزعفران وسماؤها الفاكهة وحيطانها الشهد وقال الحجاج رحمه الله لعامله على أصبهان قد وليتك بلدة حجرها الكحل وذبابها النحل وحشيشها الزعفران وكان يقال البصرة خزانة العرب وقبة الإسلام لاشتمال قبائل العرب بها واتخاذ المسلمين لها وطنا ومركزا وكان إسحاق الزجاج رحمه الله يقول بغداد حاضرة الدنيا وما سواها بادية وأنا أقول مصر كنانة الله في أرضه والسلام

وأما ما جاء في ذم السفر

قيل لرجل السفر قطعة من العذاب فقال بل العذاب قطعة من السفر أو قال كل العذاب قطعة من السفر يا رب فارددني إلى حيز الحضر وقال حكيم رحمه الله لا توحشنك الغربة إذا آنستك الكفاية وقيل لأعرابي ما الغبطة قال الكفاية مع لزوم الأوطان ومر إياس بن معاوية رحمه الله بما فقال أسمع صوت كلب غريب فقيل له بم عرفت ذلك قال بخضوع صوته وشدة نباح غيره. قال الجوهري رحمه الله

شعر

إن الغريب الطويل الذيل ممتهن * فكيف حال غريب ما له قوت
لكنه لا يشين الحر غربته * فالمسك يسحق والكافور مفتوت
وطالما أصلي الياقوت جمر غضا * ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت

وأراد أعرابي سفرا فقال لامرأته

بيت

عدي السنين لغيبتي وتصبري * وذري الشهور فإنهن قصار

فأجابته تقول

فاذكر صبابتنا إليك وشوقنا * وارحم بناتك إنهن صغار

فأقام وترك سفره ويقال رب لازم لعرصته فاز ببغيته وقد قيل

شعر

وحبب أوطان الرجال إليهم * مآرب قضاها الشباب هنالكا
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم * عهود الصبا فيها فحنوا لذالكا

وقال عمرو بن الأهتم رحمه الله

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها * ولكن أخلاق الرجال تضيق

وفيما ذكرناه من هذا الباب كفاية واسأل الله التوفيق والهداية • وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

الباب الحادي والخمسون

في ذكر الغنا وحب المال والافتخار بجمعه

قال الله تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا • وقد قيل الفقر راس كل بلاء وداعية الى مقت الناس وهو مع ذلك مسلبة للمروة مذهبة للحياء • واذا نزل بالرجل فقر لم يجد بدا من ترك الحياء ومن ترك حياه فقد مروته ومن فقد مروته مقت ومن مقت فقد اوذى ومن صار الى ذلك كان كلامه عليه لا له وفي ذلك كفايه

قال الشاعر

وكل مقل حين يغدو لحاجة • الى كل من يلقى من الناس مذنبا
وكانت بنو عمي يقولون مرحبا • فلما راوني معدما مات مرحبا

بيت

المال يرفع سقفا لا عماد له • والفقر يهدم بيت العز والشرف

وقال اخر

جروح الليالي ما لهن طبيب • وعيش الفتى بالفقر ليس يطيب
وحسبك ان المرء في حال فقره • تحمقه الاقوام وهو لبيب
ومن تعتوره الحادثات بصرفها • يبيت مغلوب الفؤاد سليب
وما ضرني ان قال اخطأت جاهل • اذا قال كل الخلق انت مصيب

وقيل في المعنى بيت

الفقر يزري باقوام ذوي حسب • وقد يسود غير السيد المال

وقال اخر

لعمرك ان المال قد يجعل الفتى • سفيها وان الفقر بالمرء قد يزري
وما رفع النفس الدنية كالغنا • ولا وضع النفس الغنية كالفقر

وقال اخر

وانطقت الدراهم بعد عي • رجالا بعد ما كانوا سكوتا
فما عادوا على جار بخير • ولا رفعوا لمكرمة بيوتا
كذاك المال ينطق كل وغد • ويترك كل ذي حسب سكوتا

بيت

اذا قل مال المرء لانت قناته • وهان على الادنى فكيف الاباعد

وقال العباس بن الاحنف رحمه الله

بجزو

بجزوا الفقير وكل شيء ضده • والارض تغلق دونه ابوابها
وتراه مبغوضا وليس بمذنب • ويرى العداوة لا يرى اسبابها
حتى الكلاب اذا رات ذا بزة • خضعت لديه وحركت اذنابها

وقال اخر

فقر الفتى يذهب انواره • مثل اصفرار الشمس عند المغيب
والله ما الانسان في قومه • اذا بلي بالفقر الا غريب

وقال اخر

ان الدراهم في المواطن كلها • تكسو الرجال مهابة وجمالا
فهي الكلام لمن اراد فصاحة • وهي السلاح لمن اراد قتالا

وقال اخر

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها • فكلما انقلبت يوما به انقلبوا
يعظمون اخا الدنيا فان وثبت • يوما عليه بما لا يشتهي وثبوا

وقال بعض الفرس من زعم انه لا يحب المال فهو عندي كذاب

وقال ابو الفضل الميكالي رحمه الله

قد اصبحت الدنيا لنا عبرة • والحمد لله على ذلكا
قد اجمع الناس على ذمها • وما ارى منهم لها تاركا

وقال الزمخشري رحمه الله

واذا رايت صعوبة في مطلب • فاحمل صعوبته على الدينار
وابعثه فيما تشتهيه فانه • حجر يلين قوة الاحجار

وقال الثوري رحمه الله لئن اخلف عشرة الاف درهم يحاسبني الله عليها احب الي من ان احتاج الى لئيم • وفي هذا المعنى يقول الشاعر

احفظ عرى مالك تحظى به • ولا تفرط فيه تبقى ذليل
وان يقولوا باخل سيء العطا • فالبخل خير من سؤال البخيل

وقال الشاعر ايضا

يا منفق المال لترفق به • الموت اهون من سؤال البخيل
واحذر على نفسك من زلة • ترى عزيز القوم فيها ذليل

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس وقد استعاذ صلى الله عليه وسلم من الكفر والفقر ومن عذاب القبر وقيل من حفظ ماله حفظ الاكرمين وهما دينه وعرضه • وقال الزمخشري رحمه الله

بيت

لا تلمني اذا وفيت الاوافي … بالاوافي لما رجعي اوافي

وقال ابن عيينة رحمه الله من كان له مال فليصلحه فانكم في زمان من احتاج فيه الى الناس كان اول ما يبذل دينه وقال لقمان عليه السلام لابنه يا بني قد اكلت الحنظل وذقت الصبر فلم ار شيا امر من الفقر فان افتقرت فلا تحدث به الناس كيلا ينتقصوك ولكن سل الله من فضله فمن الذي سال فلم يعطه او دعاه فلم يجبه او تضرع اليه فلم يكشف ما به وقال عمران الليث الطير بالطير يصاد والمال بالمال يكتسب

قال الشاعر

ذريني للغنا اسعى فاني … رايت الناس شرهم الفقير

يباعده الندي وتزدريه … حليلته وينهره الصغير

وقد يلقى الغنا له جلال … يكاد فؤاد صاحبه يطير

قليل ذنبه والذنب جم … ولكن الغنى رب غفور

وقيل لرجل مشتهر بجمع المال ما تصنع بهذا الحل فقال انما اجمعه لروعة الزمان وجفوة السلطان وبخل الاخوان ودفع الاحزان وقال رجل كنت امشي مع سفين بن عيينة رحمه الله فسأله سائل فلم يكن معه ما يعطيه فبكى فقلت ما يبكيك يا ابا محمد فقال واي مصيبة اعظم من هذه ان يؤمل فيك خيرا فما علم فيك وقال ابن عباس رحمه الله يقول الناس لصاحب المال الزم من شعاع الشمس وهو عندهم اعذب من الماء وارفع من السما واحلى من الشهد وازكى من الورد وخطاؤه صواب وسيئاته حسنات وقوله مقبول يرفع مجلسه ولا يمل حديثه والمفلس عند الناس اكذب من لمعان السراب واثقل من الرصاص لا يسلم عليه ان قدم ولا يسال عنه ان غاب وان غاب شتموه وان حضر زجروه وان غضب صفعوه مصافحته تنقض الوضوء وقراته تقطع الصلوة وقال بعضهم طلبت الراحة لنفسي فلم اجد لها اروح من ترك ما لا يعنيها وتوحشت في البرية فلم ار وحشة اشد من قرين السوء وشهدت الزحوف ولقيت الاقران فلم ار قرينا اغلب للرجل من امراة سوء ونظرت الى كل ما يذل العزيز ويكسره فلم ار شيا اذل له ولا اكسر من الفاقة ووجد منقوش على درهم على الوجه الاول بيت

قرنت بالنجح وبي كلما … يراد من ممتنع يوجد

وعلى الوجه الثاني بيت اخر

وكل من كنت له الفا … فالجن والانس له اعبد

وقد

وقد كان في الناس من يتظاهر بالغنا ويراه مروة وفخرا فمن ذلك ما حكي عن احمد بن طولون رحمه الله انه دخل يوما الى بعض بساتينه فراى النرجس قد فتح زهره فاستحسنه ودعى بخزانة فنخرى ثم دعى بشرابه فلما انتشى قال على بالف مثقال مسك فنثره على اوراق النرجس ولنذكر الان نبذة من الذخاير والتحف حكى الرشيد بن الزبير رحمه الله في كتابه الملقب بالعجايب والطرف ان ابا الوليد ذكر في كتابه المعروف باخبار مكة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة عام الفتح في سنة ثمان من الهجرة فوجد في الجب الذي كان في الكعبة سبعين الف اوقية ذهب مما كان يهدي الى البيت قيمتها الفا الف وتسعماية الف وسبعون الف دينار وباع زهرة التميمي رحمه الله يوم القادسية منطقة جالينوس حين قتله بثمانين الف دينار ولبس سلبه وقيمته خمسماية الف وسبعون الفا واصاب رجل يوم القادسية راية كسرى فعوض عنها ثلثين الف دينار وماتي الف ووجد للمستورد بن ربيعة يوم القادسية ابريق ذهب مرصع بالياقوت والجوهر والزبرجد فلم يدر ما هو فقال له رجل من الفرس انا اخذه بعشرة الاف دينار فباعه بماية الف دينار وبعث سعد بن ابي وقاص بسيف كسرى ومنطقته الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكانت المنطقة من زبرجد فقال عمر رضي الله عنه ان اقواما ادوا مثل هذا لامنا فقال له علي رضي الله عنه انك عففت فعفت الرعية وكان ما اصاب المسلمون بالقادسية ثلثون الف الف دينار ولما اتت الترك الى عبد الله بن زياد رحمه الله بنجاري في سنة اربع وخمسين ومع ملكهم امراته خاتون فلما اهزمهم الله تعالى اعجلوها على لبس خفيها فلبست احدى فردتيه وبقيت الاخرى فاصابها فقوموا الخف بمائتي الف دينار ولما فتح قتيبة بن مسلم رحمه الله بخاري في سنة سبع وثمانين وجد فيها قدور ذهب ينزل اليها بسلالم ودفع مصعب بن الزبير رحمه الله حين احس بالقتل الى زياد مولاه فصا من ياقوت وقال انج به فقوم ذلك الفص بالفي الف درهم فاخذه فوضعه بين حجرين وقال لا ينتفع به احد بعد مصعب رحمه الله وذكر مصعب الزبيري رحمه الله ان بعض عمال خراسان في ولاية مصعب بن الزبير ظهر على كنز فوجد فيه نخلة لبعض الاكاسرة هي مصنوعة بالذهب مرصعة بالدر والجواهر والياقوت الاحمر والاصفر والزبرجد فحملها الى مصعب بن الزبير فخرج من قومها فبلغت قيمتها الفي الف دينار فقال الى من ادفعها فقيل الى نسايك واهلك فقال بل الى رجل قدم عندنا يدا واولانا جميلا ادعوا الي عبد الله بن دريد فدفعها اليه فلما قام الرشيد

بن عبد الله رحمه الله درة يتيمة بقيمة مائة وسبعين ألف دينار ولما مات موجود عماد الدولة
في قبضة أمير الجيوش وجد في جملته ملح ذهب فيه جوهرة حمراء كالبيضة وزنها سبعة
عشر مثقالا فأنفذها أمير الجيوش إلى المستنصر فقومت بتسعين ألف دينار **ووجد**
في بستان العباس بن الحسن الوزير رحمه الله مما أعد له من آلة الشرب يوم قتل سبعمائة صينية
من ذهب وفضة ووجد له فيه مائة ألف مثقال عنبر وترك هشام بن عبد الملك رحمه الله بعد
موته اثني عشر ألف قميص وشي وثلاثة آلاف تكة خز وحملت كسوته لما حج على سبعمائة جمل وترك
بعد وفاته أحد عشر ألف ألف دينار ولربما تجد ولد بني العباس إلا وجميع ولده لا يقالوا أحد
منهم وبين الدولة العباسية وبين وفاة هشام سبع سنين **ووجد** في دخائر
جعفر البرمكي رحمه الله لما قتل أربعة آلاف دينار كل دينار زنته مائة دينار مكتوب على
أحد وجهيه **بيت** واصفر من ضرب دار الملوك • يلوح على وجهه جعفر
وعلى الوجه الآخر يزيد على مائة واحد • إذا ناله معسر يوسر
وأخرج من قصر المستنصر لما استولوا عليه أشياء جليلة لا قيمة لها من التحف والحلي
والجواهر واليواقيت والثياب والستور والفرش والبنود والقباب والجاريات
وقضبان الفضة وسروج الذهب وغير ذلك مما لا يقدر الصناع على عمل مثله في سائر
الأرض مما تعب فيه الملوك الأوائل في الدولة **ولما** قتل الأفضل أمير الجيوش في شهر رمضان
سنة خمس عشرة وخمسمائة ترك من المال ما يتي ألف ألف دينار ومن الدراهم مائتين وخمسين
أردبا وخمسة وسبعون ألف ثوب ديباج ودواة ذهب قوم ما عليها من الجوهر والياقوت
باثني عشر ألف دينار وعشر بيوت في كل بيت منها مسمار ذهب وزنه مائة دينار على
كل مسمار عمامة لون وخلف لعبة عنبر يجعل عليها ثيابه إذا نزعها وخلف عشر صناديق
مملوءة من الجوهر الفاخر الذي لا يوجد مثله وخلف خمسمائة صندوق كبار لكسوة جسمه
وخلف من الزبادي الصيني والبلور المحكم وسقا مائة حمل وخلف عشرة آلاف محلقة
فضة وثلاثة آلاف معلقة ذهب وعشرة آلاف زبدية فضة كبار وصغار وأربع
قدور ذهب بفصوص ياقوت وزمرد وزن كل قدر مائة رطل بالمصري وسبعمائة
جام ذهب بفصوص من ياقوت وزمرد والغريطة مملوءة دراهم خارجا عن الإردب
في كل خريطة عشرة آلاف درهم وخلف من الخدم والرقيق والخيل والبغال والجمال والحلي
النساء ما لا يحصي عدده إلا الله عز وجل وخلف ألف حسكة ذهب وألف حسكة فضة
وثلاثة آلاف نرجسة ذهب وخمسين ألف نرجسة فضة وألف صدر ذهب وألف
صدر فضة منقوشة عمل المغرب وثلاثمائة ثور ذهب وأربعة آلاف ثور فضة وخلف
من البسط الرومية والأندلسية ما ملئ به خزائن الإيوان وداخل قصر الزمرد

وخلف

179

وخلف من البقر والجاموس والأغنام ما يباع لبنه في كل سنة ثلاثين ألف دينار وخلف
من الحاصل في الأهرا ما لا يحصى **ولما** احتوى الناصر على دخائر قصر العاضد وجد
فيه طبل كان بالقرب من موضع العاضد يحتفظ به فلما رأوه سخروا به وضرب عليه
إنسان فضرط فضحكوا منه ثم أمسكه آخر فضرط فكانت القابلة فيه أنه وضع للقولنج
تكسره فلما أخبروا بخاصيته ندموا على كسره وقد جمعت الملوك من الذخائر والأموال
والتحف كنوزا لا تحصى وبعد ذلك ماتوا ونفدت ذخائرهم وأموالهم فسبحان من يدوم
ملكه وبقاه قال بعضهم

بيت

هب الدنيا تقاد إليك عفوا • أليس مصير ذلك للزوال

فضمنت أنا هذا البيت وقلت

أيا من عاش في الدنيا طويلا • وأفنى العمر في قيل وقال
وأتعب نفسه فيما سيفنى • وجمع من حرام ومن حلال
هب الدنيا تقاد إليك عفوا • أليس مصير ذلك للزوال

الباب الثاني والخمسون
في ذكر الفقر ومدحه

قال الله تعالى كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى على ذم الغنا إذ كان
سبب الطغيان وسئل أبو حنيفة رضي الله عنه عن الغنا والفقر فقال وهل طغى من طغى
من خلق الله تعالى إلا بالغنا وتلى هذه الآية المتقدمة والمحققون يرون الغنا والفقر
في النفس لا في المال **وكان** الصحابة رضوان الله عليهم يرون الفقر فضيلة **وحدث**
الحسن رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يدخل فقراء أمتي الجنة قبل
الأغنياء بأربعين عاما فقال جليس للحسن رحمه الله أمن الأغنياء أنا أم من الفقراء قال
هل تغديت اليوم قال نعم قال فهل عندك ما تتعشى به قال نعم قال فإذا أنت من الأغنياء
وقال ابن عباس رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت طاويا الليالي هو وأهله ولا
لأهله عشاء وكان عامة طعامه الشعير وكان يعصب الحجر على بطنه من الجوع وكان صلى الله
عليه وسلم يأكل خبز الشعير غير منخول هذا وقد عرضت عليه مفاتيح كنوز الأرض فأبى أن
يقبلها صلوات الله عليه وسلامه دائما **وكان** صلى الله عليه وسلم يقول اللهم توفني إليك
فقيرا ولا توفني غنيا واحشرني في زمرة المساكين **وقال** جابر رضي الله عنه دخل النبي صلى
الله عليه وسلم على فاطمة رضي الله عنها وهي تطحن بالرحا وعليها كساء من وبر الإبل فبكى **وقال**
تجرعي يا فاطمة لنعيم الجنة غدا قال الله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى **وقال**
صلى الله عليه وسلم الفقر موهبة من مواهب الله ولا يختاره إلا أولياء الله عز وجل **وفي الخبر**

اذا كان يوم القيمة يقول الله تعالى ادنوا الي احبابي فتقول الملئكة من احبابك يا اله العالمين فيقول الله تعالى هم فقرآ المؤمنين فيدنوهم منه فيقول يا عبادي الصالحين اني ما زويت عنكم الدنيا لهوانكم علي ولكن لكرامتكم تمتعوا بالنظر الي وتمنوا ما شئتم فيقولون وعزتك وجلالك لقد احسنت الينا بما زويت عنا منها ولقد احسنت الينا بما صرفت عنا فيامر بهم فيكرمون ويحبرون ويزفون الى اعلى درجات الجنة **وقال** عليه السلام هل تشعرون ان الفقرا منكم وضعفاكم والذي نفسي بيده ليدخل فقرا امتي الجنة قبل اغنيآيها بخمسماية عام والاغنيآ جاثون على ركبهم **وقال** عليه السلام رب ذي طمرين لا يوبه له لو اقسم على الله لابره لو قال اللهم اني اسالك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيا **وقال** عليه السلام ان اهل الجنة كل اشعث اغبر ذي طمرين لا يوبه اليه الذين اذا استاذنوا على الامير لم يوذن لهم واذا خطبوا النسا لم يجابوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوايج احدهم تتلجلج في صدره لو قسم نوره يوم القيمة بين الناس لوسعهم **وروى** عن خالد بن عبد العزيز رحمه الله انه قال كان حيوة بن شريح من البكائين وكان ضيق الحال جدا فجلست اليه ذات يوم وهو جالس وحده يدعو فقلت له يرحمك الله لو دعوت الله تعالى ليوسع عليك في معيشتك قال فالتفت يمينا وشمالا فلم ير احدا فاخذ حصاة من الارض فقال اللهم اجعلها ذهبا فاذا هي تبرة في كفه ما رايت احسن منها قال فرمى بها الي وقال هو اعلم بما يصلح به عباده فقلت ما اصنع بهذه فقال انفقها فهبته والله ان ارد عليه رحمه الله **وقال** عبد الله بن عوف رحمه الله صحبت الاغنيا فلم يكن احد اكثر هما مني لاني كنت ارى ثيابا احسن من ثيابي ودابة احسن من دابتي ثم صحبت المساكين فاسترحت **قال بعض الشعرا** **بيت**

وقد يهلك الانسان كثرة ماله • كما يذبح الطاوس من اجل ريشه

وقال اخر عفى عنه

اياجاهدا في جمع المال جاهلا • اذا لم تنل شيا فكيف تعيش

وقال عبد الله بن مجاهد رحمه الله

الم تر ان المرء يعدم ما جنى • ويأخذ ما اعطى ويفسد ما اسدى
فمن سره ان لا يرى ما يسوءه • فلا يتخذ شيا يخاف له فقدا

ومن دعا السلف رحمهم الله اللهم اني اعوذ بك من ذل الفقر وبطر الغنا **وقيل** مكتوب على باب مدينة الرقة ويل لمن جمع المال من غير حقه وويل لمن ورثه لمن لا يحمده وقدم على من لا يعذره وقيل افتتحت بلخ في زمن عمر رضي الله عنه فوجد على بابها صخرة مكتوب فيها انما يتبين الفقير من الغني عند الانصراف من بين يدي الله تعالى بعدا لعرض عليه

قال الشاعر

ومن يطلب الاعلى من العيش لم يزل • حزينا على الدنيا رهينا غمومها
اذا شئت ان تحيى سعيدا فلا تكن • على حالة الا رضيت بدونها

بيت

ولا ترهبن الفقر ما عشت في غد • لكل غد رزق من الله واحد

وقال هرون بن جعفر الطالبي رحمه الله

تواعدت همي ذو ترب مالي • فتعالى مقصر عن فعالي
ما اكتسب الناس مثل ثوب اقتناع • وهو من بين ما اكتسبوا سربالي
ولقد تخلل الحوادث اني • ذو اصطبار على صروف الليالي

وقال اعرابي من ولد في الفقر بطره الغنى ومن ولد في الغنى لم يزده الفقر الا تواضعا فما احسن الفقر واكثر ثوابه واعظم اجر من رضي به وصبر عليه اللهم اجعلنا من الصابرين برحمتك يا ارحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

الباب الثالث والخمسون

في التلطف في السؤال وذكر من سئل فاجاد

روى الامام مالك رضي الله عنه في الموطا عن زيد بن اسلم رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اعطوا السائل ولو جا على فرس وما سئل صلى الله عليه وسلم شيا قط فقال لا واتى اعرابي الى علي رضي الله عنه فساله شيا فقال والله ما امسى في بيتي فضل عن قوتي فولى الاعرابي وهو يقول والله ليسالنك الله عن موقفي بين يديك فبكى بكا شديدا وامر برده وقال يا قنبر ايتني بدرعي الفلانية فدفعها الى الاعرابي وقال لا تخدعن عنها فطالما كشفت الكرب بها عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قنبر يا امير المومنين كان يكفيه عشرون درهما فقال يا قنبر والله ما يسرني ان لي زنة الدنيا ذهبا وفضة فتصدقت به وقبل الله ذلك مني وانه يسالني عن موقفه هذا بين يدي **وقال علي** رضي الله عنه ان لكل شي ثمرة وثمرة المعروف السراح وقال مسلمة رحمه الله لنصيب سلني فقال كفك بالعطية ابسط من لساني بالمسالة فقال لحاجبه ادفع اليه الف دينار وسال رجل الحسن بن سهل رحمه الله فقال ما وسيلتك قال وسيلتي اني اتيتك عاما اول فبررتني قال مرحبا بمن توسل الينا بنا ثم وصله واكرمه ويقال الكريم اذا سئل ارتاح واللئيم اذا سئل ارتاع **ولما** وفد المهدي رحمه الله من الري امتدحه الشعرا فقال ابو دلامة رحمه الله **شعر**

اني نذرت اني رايتك قادما • ارض العراق وانت ذو وفر دي
لتصلين على النبي محمد • ولتملان دراهما حجري

فقال المهدي صلى الله على محمد فقال ابو دلامة ما اسرعك الى الاولى وابطاك عن الثانية فضحك وامر له ببدرة فصبّت في حجره وسمع الرشيد رحمه الله اعرابية بمكة تقول

شعر

طحنتنا كلاكل الاعوام • وبرتنا طوارق الايام
فاتيناكم نمد اكفنا • لفضالات زادكم والطعام
فاطلبوا الاجر والمثوبة فينا • ايها الزائرين بيت الله الحرام

فبكى الرشيد رحمه الله وقال لاصحابه بحيثا لتكم بالله الا ما دفعتم اليها صدقاتكم فالقوا عليها الثياب حتى واريتها لكثرتها وملؤا حجرها دراهم ودنانير وسال اعرابي بمكة واحسن في سؤاله فقال اخ في الله وجار في بلاد الله وطالب خيرا من عند الله فهل من اخ مواس في الله

قال الشاعر

ليس في كل وهلة واوان • تتهيا صنايع الاحسان
فاذا امكنت فبادر اليها • حذرا من تعذر الامكان

وقال ابو دفافة البصري رحمه الله

اصبحت حوايجنا اليك مناخة • معقوله ترجا بك الوقال
فاطلق فديتك بالنجاح عقالها • حتى تعود مخايخير عقال

وعن علي رضي الله عنه انه قال اذا اهلك ان يروحوا في كسب المكارم ويدلجوا في حاجة من هو نايم فوالذي قد سمع بسمعه الاصوات ما من احد اودع قلبا سرورا الا خلق الله من ذلك السرور لطفا فاذا نزلت به نايبة جرى كالماء في انحداره حتى يطاردها عنه كما تطرد غريبة الابل وقيل لجابر بن عبد الله[2] رحمه الله يا جابر من كثرت نعم الله لديه كثرت حوايج الناس اليه فان قام بما يجب لله فيها عرضها للدوام والبقا ومن لم يقم فيها عرض نعمته لزوالها وكان عقيل رحمه الله الى على نفسه كلما هبّت الصبا ان ينحر ويطعم وربما دخ العناق اذا اضاف فخطب الوليد بن عقبة رحمه الله يوما فقال قد علمتم ما جعل ابو عقيل على نفسه فاعينوه على مروته فبعث اليه خمسا من الابل وبهذه الابيات يقول

شعر

ان الجزار يسجد مديته • اذا هبت رياح بني عقيل
طويل الباع ابلج جعفري • كريم الجد كالسيف الصقيل
وفى ابن جعفر بما نواه • على العلات بالمال القليل

قال فدعا لبيد بنية له خماسية فقال يا بنية اني قد تركت قول الشعر فاجيبي الامير عني فقالت

شعر

[2] الانصاري

اذا هبت رياح بني عقيل • دعونا عند هبتها الوليدا
طويل الباع ابلج عبشمي • اعان على مروته لبيدا
بامثال الهضاب كان ركبا • عليها من بني حام قعودا
ابا وهب جزاك الله خيرا • نحرناها واطعمنا الثريدا
فعدان الكريم له معاد • وظني يا ابن عقبة ان تعودا

فقال لبيد لقد احسنت والله يا بنية لولا انك سالت فقالت يا ابت ان الملوك لا يستحى منها في المسئلة فقال والله لانت في هذا اشعر ووفد رجل من بني ضبة على عبد الملك رحمه الله فانشده يقول

شعر

والله ما ندري اذا ما فاتنا • طلب اليك من الذي نتطلب
ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد • احدا سواك الى المكارم ينسب
فاصبر لعادتك التي عودتنا • اولا فارشدنا الى من نذهب

فامر له بالف دينار فعاد من قابل اليه فقال يا امير المؤمنين ان الروي لينازعني وان الحيا ليمنعني فامر له بالف دينار وقال والله لو قلت حتى تنفد بيوت الاموال لاعطيتك وقيل ان رجلا عرض للمنصور رحمه الله فساله حاجة فلم يقضها له فعرض له بعد ذلك فقال له المنصور الليس قد كلمتني مرة قبل هذا قال نعم يا امير المؤمنين ولكن بعض الاوقات اسعد من بعض وبعض الاوقات ايمن من بعض فقال صدقت فقضى حاجته واحسن اليه وروي ان ابا دلامة الشاعر رحمه الله كان واقفا بين يدي السفاح في بعض الايام فقال له سلني حاجتك فقال ابو دلامة اريد كلب صيد فقال اعطوه اياه فقال ودابة اتصيد عليها قال اعطوه دابة فقال وغلاما يقوده الكلب قال اعطوه غلاما فقال وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه فقال اعطوه جارية فقال هولا يا امير المؤمنين عيال ولابد لهم من دار يسكنونها قال اعطوه دارا تجمعهم قال فان لم تكن لهم ضيعة فمن اين يعيشون قال قد اقطعتك عشر ضياع عامرة وعشر ضياع غامرة قال وما الغامرة يا امير المؤمنين قال ما لا نبات فيه قال قد اقطعتك انا يا امير المؤمنين ماية ضيعة غامرة من فيافي بني اسد فضحك منه وقال اجعلوها كلها عامرة قال الجاحظ رحمه الله انظر الى حذقه بالمسئلة ولطفه فيها كيف ابتدا بكلب صيد فسهل القضية وجعل يأتي بمسايله على ترتيب وفكاهة حتى نال ما ساله ولو سال ذلك بديهة لما وصل اليه وحكي عن المامون انه قال ليحيى بن اكثم رحمهما الله يوما سر بنا نتفرج فسارا جميعا فاذا هما في الطريق واذا بقصبة خرج منها رجل بحيته للمامون يتظلم له فنفرت دابته فالقته على الارض صريعا فامر بضرب ذلك الرجل فقال يا امير المؤمنين امهل علي

حتى اكلمك وافعل ما بدا لك فقال قل واوجز فقال يا امير المومنين ان المضطر ركب الصعب من الامور وهو عالم بركوبه ونجا وزحل الادب وهو كاره لتجاوزه ولو احسنت الايام مطالبتي لاحسنت مطالبتك ولانت على رد ما لم تفعل اقدر على رد ما فعلت قال فبكى المامون وقال بالله اعد علي ما قلت فاعاده فالتفت المامون الى يحيى وقال الا تنظر الى مخاطبة هذا الرجل بافصحيته والنبي عليه السلام يقول المرء باصغريه قلبه ولسانه والله لا وقفت له الا وانا قائم على قدمي فوقف له وامر له بصلة جزيلة واعتذر اليه فلما هم المامون رحمه الله بالانصراف قال الرجل يا امير المومنين بيتان حضرا

ثم انشد يقول

ما جاد بالوفر الا وهو معتذر ❊ ولا عفى قط الا وهو مقتدر

وكلما قصدوه زاد نائله ❊ كالنار يوخذ منها وهي تستعر

وقيل ان بعض الحكماء لزم باب كسرى في حاجة وقهر فلم يصل اليه فكتب اربعة اسطر في رقعة ودفعها للحاجب فكان السطر الاول الضرورة والامل اقدماني عليك والسطر الثاني العديم لا يكون معه صبر عن المطالبة والسطر الثالث الانصراف من غير فائدة شماتة الاعداء والسطر الرابع اما نعم مثمرة واما لا مريحة فلما قراها كسرى دفع له في كل سطر بالفتح بالف دينار وحكي ان رجلا كان جارا لابن عبيد الله رحمه الله فاصاب الناس قحط بالعراق حتى رحل اكثر الناس عنه فعزم جار ابن عبيد الله على الخروج من البلاد في طلب القوت وكانت له زوجة لا تقدر على السفر فلما رات زوجها تهيا للسفر قالت له اذا سافرت من ينفق علينا قال ان لي على ابن عبيد الله دينارا ومعي به اشهاد شرعي عليه فخذي الاشهاد وقدميه له فاذا قراه انفق عليك مما عليه الى ان احضر ثم ناولها رقعة كتب فيها هذه الابيات يقول

شعر

قالت وقد رات الاحمال محدجة ❊ والبين قد جمع المشكو والشاكي

من لي اذا غبت في ذا المحل قلت لها ❊ الله وابن عبيد الله مولاكي

فمضت اليه المراة وحكت له ما قال زوجها واخبرته بسفره وناولته الرقعة فقراها فقال صدق زوجك وما زال ينفق عليها ويوصلها بالبر والاحسان الى ان قدم زوجها فشكره على فضله واحسانه وحكي ان مطيع بن اياس الشاعر رحمه الله مدح معن بن زائدة رحمه الله بقصيدة حسنة ثم انشدها بين يديه فلما فرغ من انشاده اراد معن ان يباسطه فقال يا مطيع ان شئت اثبناك وان شئت مدحناك كما مدحتنا فاستحيى مطيع من اختيار الثواب وكره اختيار المدح وهو محتاج فلما خرج من عنده معن ارسل اليه هذين البيتين يقول

شعر

ثناء من امير خير كسب ❊ لصاحب نعمة واخي ثراء

ولكن الزمان برى عظامي ❊ وما لي كالدراهم من دواء

فلما قراها معن ضحك وقال صدق وما مثل الدراهم من دواء فامر له بصلة جزيلة ومال كثير

قال الشاعر

هززتك لا اني جعلتك ناسيا ❊ لامري ولا اني اردت التقاضيا

ولكن ذا السيف من يحد سله ❊ الى الهز محتاجا وان كان ماضيا

وقال اخر

ماذا اقول اذا رجعت وقيل لي ❊ ماذا لقيت من الجواد الافضل

فاختر لنفسك ماذا اقول فانني ❊ لا بد اخبرهم وان لم اسال

ان قلت اعطاني كذبت وان اقل ❊ بخل الجواد بماله لم يجمل

وهذا ما اردت سياقه في هذا الباب والله الموفق للصواب واليه المرجع والماب

قال الشاعر

للنوائب الدنيا خلقت فانتبه ❊ يا نائما من جملة النوام

اعلى الصراط تريد روعة كربتي ❊ ام في المعاد تجود بالانعام

وقال اخر

احسن وانت معان ❊ يا ايها الانسان

فالا لا يادي قروض ❊ كما تدين تدان

ومما يحسن الحاقه بهذا الباب ذكر شيء مما جاء في ذم السوال

والنهي عنه روي عن عوف بن مالك الاشجعي رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة او ثمانية او سبعة فقال الا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكنا حديث عهد ببيعة فقلنا قد بايعناك يا رسول الله ثم قال الا تبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فبسطنا ايدينا وقلنا قد بايعناك يا رسول الله فعلام نبايعك قال ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا والصلوات الخمس وتطيعوا واسر كلمة خفيفة ولا تسالوا الناس شيئا فلقد رايت بعض اولئك النفر يسقط سوط احدهم فما يسال احدا يناوله اياه وقال رجل لابنه اياك ان تريق ماء وجهك عند من لا ماء في وجهه وكان لقمان عليه السلام يقول لابنه يا بني اياك والسوال فانه يذهب ماء الحياء من الوجه واعظم من هذا استخفاف الناس بك واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام لان تدخل يدك في فم التنين الى المرفق خير من ان تبسطها الى غني قد نشا في الفقر وقيل لاعرابي ما السقم الذي لا يبرا والجرح الذي لا يندمل قال حاجة الكريم الى اللئيم

قال أبو محكم السَّعدي رحمه الله

اذا ما رماك الدهر بالضيق فانتجع * قديم الغنى في الناس انك حامله
ولا تطلبن الخير ممن افاده * حديثا ولم يورث المجد والده

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان ياخذ احدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من ان ياتي رجلا فيسأله اعطاه او منعه

قال الشاعر

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله * عوضا ولو كان الغنى بسؤاله
واذا السؤال مع النوال وزنته * رجح السؤال وخف كل نوال

وقال احمد بن سيف الانباري رحمه الله

لموت الفتى خير من البخل للفتى * وللبخل خير من سؤال بخيل
لعمرك ما شيء لوجهك قيمة * فلا تلق انسان بوجه ذليل

وقال اخر

اذا اذن الله في حاجة * اتاك النجاح على رسله
فلا تسأل الناس من فضلهم * ولكن سل الله من فضله

وقيل احب الناس الى الله من ساله وابغض الناس الى الناس من احتاج اليهم وسألهم

وقال محمود الوراق رحمه الله

شاد الملوك قصورهم وتحصنوا * من كل طالب حاجة او راغب
فارغب الى ملك الملوك ولا تكن * يا ذا الضراعة طالبا من طالب

وقال ابن دقيق العيد رحمه الله

وقائلة مات الكرام فمن لنا * اذا عضنا الدهر الشديد بنابه
فقلت لها من كان غاية قصده * سؤال المخلوق فليس بنابه
اذا مات من نرجو فمقصودنا الذي * نرجيه باق فلنلذ ببابه

وقال بعض اهل الفضل

لما افتقرت لمعنى ما وجدتهم * لجات الى الله لبانى واغنانى
واها على بذل وجهي للورى سفها * فلو بذلت الى مولاي والاني

وسأل رجل رجلا حاجة فلم يقضها فقال سألت فلانا حاجة اقل من قيمته فردني ردا اقبح من خلقته وسأل عروة مصعبا رحمهما الله حاجة فلم يقضها فقال علم الله ان لكل قوم شيخا يفزعون اليه وانا نفزع منك ويقال لا شيء اوجع للاحرار من الوقوف بباب الاشرار

قال الشافعي رضي الله عنه

بلوت بني الدنيا فلم ار فيهم * سوى من غدا والبخل ملء اهابه

تجردت من كنز القناعة مرهفا * فقطعت رجائي منهم بذبابه
فلا ذا يراني واقفا في طريقه * ولا ذا يراني قاعدا عند بابه

وقال اخر

لا تسألن الى صديق حاجة * فيحول عنك كما الزمان يحول
واستغن بالشيء القليل فانه * ما صان عرضك لا يقال قليل
من عف خف على الصديق لقاؤه * واخو الحوائج وجهه مملول
واخوك من وفرت ما في كيسه * فمتى عبثت به فانت ثقيل

وقال اخر

ليس جودا عطية بسؤال * قد يهز السؤال غير جواد
انما الجود ما اتاك ابتداء * لم يذق فيه لذة الترداد

وقال اخر

لا تحسبن الموت موت البلا * انما الموت سؤال الرجال
كلاهما موت ولكن ذا * اشد من ذاك لذل السؤال

وقال اخر

قنعت بالقوت من زماني * وصنت نفسي عن الهوان
خوفا من الناس ان يقولوا * فضل فلان على فلان
من كنت عن ماله غنيا * فلا ابالي اذا جفاني
ومن راني بعين نقص * رايته بالذي يراني

الباب الرابع والخمسون في
ذكر الهدايا والتحف وما اشبه ذلك

قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها فسرها بعضهم بالهدية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تهادوا تحابوا وتذهب الشحنا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدايا مشتركة وقال صلى الله عليه وسلم من سالكم بالله اعطوه ومن استعاذكم فاعيذوه ومن اهدى اليكم كراعا فاقبلوه وكان صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها ما هو خير منها وفي الاثر الهدية تجلب المودة الى القلب والسمع والبصر ومن الامثال اذا قدمت من سفر فاهد لاهلك ولو حجرا وقال الفضل بن سهل رحمه الله ما استرضي الغضبان ولا استعطف السلطان ولا سلمت السخايم ولا دفعت المغارم ولا استميل المحبوب ولا توقي المحذور بمثل الهدية واتي فتح الموصلي رحمه الله بهدية وهي خمسون دينارا فقال حدثنا عطا رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اتاه رزق من غير مسالة

وردّه فأعاده على الله وأهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه
هدية فردّها فقال يا عمر لم رددت هديتي قال إني سمعتك تقول خيركم من لم يقبل
شيئاً من الناس فقال يا عمر إنما ذاك ما كان عن ظهر مسئلة فأما إذا أتاك من غير مسئلة
فإنما هو رزق ساقه الله إليك وقالت أم حكيم الخزاعية رضي الله عنها سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول تهادوا فإنه يضعف الحب ويذهب بغوائل الصدر ويقال
في نشر المهاداة طي المعاداة ٥

ذكر أنواع الهدايا للخلفاء وغيرهم ٥

ومن قصرت به قدرته فأهدى اليسير وكتب معه مكاتبة يعتذر فيها أهدى
إلى سليمان بن داود عليه السلام ثمانية أشيا متباينة في يوم واحد فيل من ملك
الصين واستبرق من ملك الروم ودرة من ملك البحر وجرادة من ملك النمل
وذرة من ملك البعوض فتأمل ذلك وقال سبحان القادر على جمع الأضداد وأهدى
ملك الروم إلى المأمون رحمه الله هدية فقال المأمون أهدوا له ما يكون بمائة ضعفها
ليعلم عز الإسلام ونعمة الله علينا ففعلوا ذلك فطاعوا على حملها قال ما أعز الأشيا
عندهم قالوا المسك والسمور قال وكم في الهدية من ذلك قالوا مائتي رطل مسك ومائتي
جلد سمور وأهدت قطر الندى إلى المعتضد بالله رحمه الله في يوم نيروز من سنة اثنين
وثمانين هدية كان فيها عشرين صينية ذهب في عشرة منها مشام عنبر وزنها أربعة وثلثون
رطلا وعشرين صينية فضة في عشرة منها مشام صندل زنتها نيف وثلثون رطلا
وخمس خلع وسنى قيمتها خمسة آلاف دينار وعملت شمامات ليوم النيروز وبلغت النفقة
عليها ثلثة عشر ألف دينار وأهدى يعقوب بن الليث الصفار إلى المعتمد على الله رحمه الله
هدية في بعض السنين في جملتها عشر بازاة منها بازي أبلق لم ير مثله ومائة مهري
وعشرين صندوقا على عشر بغال فيهم طرائف الصين وغرائبه ومسجد فضة بين رافعين
يصلي فيه خمسة عشر إنسان ومائة من مسك ومائة من عود هندي وأربعة آلاف درهم
وأهدت ثريا بنت لوباري ملكة إفرنجة وما والاها إلى المكتفي بالله في سنة ثلث
وتسعين ومائتين خمسين سيفا وخمسين رمحا وخمسين فرسا وعشرين ثوبا منسوجا
بالذهب وعشرين خادما صقليا وعشرين جارية صقلية وعشرة كلاب كبارا لا تطيقها السباع
وست بازات وسبع صقورة ومضرب حرير يتلون جميع الألوان كلون قوس قزح يتلون
في كل ساعة من ساعات النهار وثلثة أطيار من بلاد إفرنجة إذا نظرت إلى الطعام أو
الشراب المسموم صاحت صياحا منكرا وصفقت بأجنحتها حتى يعلم ذلك وخرزا
يجذب النصول بجدبنا تلتحم عليها بغير وجع وحمارة وحشية عظيمة الخلقة في قدر البغل
وأذنيها شبه أذن البغل وهي مخططة كأن التخطيط عاما لجميع خلقها وأهدى

قسطنطين

قسطنطين ملك الروم إلى المستنصر بالله رحمه الله في سنة سبع وثلثين وأربعمائة هدية
عظيمة اشتملت قيمتها على ثلثين قنطارا من الذهب الأحمر كل قنطار منها عشرة آلاف دينار
مغربية قيمة ذلك ثلثمائة ألف دينار مغربية وذكر أن الخيزران جارية المهدي رحمه الله كانت
أديبة شاعرة فعزم المهدي على شرب دواء فأنفذت إليه جام بلور فيه شراب أخبارته
له نعم وصيفة بكر بارعة في الجمال وكتبت إليه تقول ٥

شعر

إذا خرج الإمام من الدواء ٭ وأعقب بالسلامة والشفاء
فأفلح من بعد شرب لهذا ٭ للجام من هذا الطلاء
وفض الخاتم المهدي إليه ٭ ونعم الرأي ذاك بلا امتراء

فسر بذلك ووقعت الجارية منه أحسن موقع وزار الخيزران وأقام عندها يومين كاملين
وأهدى الصابي لعضد الدولة رحمه الله يوم المهرجان أصطرلابا وكتب معه يقول

شعر

أهدى إليك بنو الأملاك واحتفلوا ٭ في مهرجان جديد أنت تبليه
لكن عبدك إبراهيم حين رأى ٭ سمو قدرك عن شيء يدانيه
لم يرض بالأرض يهديها إليك فقد ٭ أهدى لك الفلك الأعلى بما فيه

وأهدى رجل إلى المتوكل رحمه الله قارورة ذهب وكتب معها إن الهدية إذا كانت
من الصغير إلى الكبير كلما لطفت ودقت كانت أبهى وأحسن وإذا كانت من الكبير إلى الصغير
فكلما عظمت وجلت كانت أوقع وأنفع وأهدى من أبي الهذيل إلى موسى بن عمران رحمه الله
دجاجة ووصفها له وصفا يخلبه ثم لم يزل يذكرها وكلما ذكر شيء بجمال أو سمن قال هو
أحسن أو أسمن من الدجاجة التي أهديتها لكم وإن ذكر واحد شيئا قال كان ذلك قبل أن
لكم الدجاجة بشهر وما كان بين هذا وبين إهداء الدجاجة إلا أيام قلائل فكانت مثلا
لمن يستعظم ما يهديه أو يذكره ٥ قال الشاعر ٥

وإن امرئ أهدى إلي صنيعة ٭ وذكرنيها مرة للئيم

قال سفين الثوري رحمه الله إذا أردت أن تتزوج فاهد للأم وكان ابن عباس رضي الله عنه
يروي من أهديت إليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها فأهدى إليه صديق له ثيابا
من ثياب مصر وعنده قوم فذكروا الخبر فقال إنما ذلك فيما يؤكل ويشرب أما في ثياب
مصر فلا وكتب الحمدوني رحمه الله إلى جارية اسمها برهان وقد حج مواليها يقول

شعر

حجوا مواليك يا برهان واعتمروا ٭ وقد أتتك الهدايا من مواليك

فاطرفني بما أظرفوك به • ولا يكن طرفي غير المساويك
ولست أقبل إلا ما خلوت به • تحيتك وما رددت في فيك

وكتب بعضهم إلى صديقه وقد أهدى إليه هدية يسيرة يقول: بيت

تفضل بالقبول علي إني • بعثت بما يقل أحمد عندك

وأهدى بعضهم إلى صديقه هدية في يوم نيروز وكتب إليه هذا يوم جرت فيه العادة بإلطاف العبيد للسادة وقدر الأمير يجل عما تحيط به المقدرة وفي سودده ما يوجب التفضل ببسط المعذرة وقد وجهت ما أحمد علما بأنه لا يستكثر ما جل ولا يستقل لعبده ما قل فإن رأى أن يتطول بقبول القليل كتطوله بهذا الجزيل فعل وقد قيل: بيت

رأيت كثير ما يهدى قليلا • لقدرك فاقتصرت على الدعاء

وبلغ الحسين بن عمارة رحمه الله أن الأعمش يقع فيه ويقول ظالم ولي المظالم فأهدى إليه هدية فمدحه الأعمش بعد ذلك وقال الحمد لله الذي ولى علينا من يعرف حقوقنا فقيل له كنت تذمه ثم مدحته فقال حدثني خيثمة عن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وبغض من أساء إليها وقال عبد الملك بن مروان رحمه الله ثلاثة أشياء تدل على عقول أربابها الكتاب يدل على عقل كاتبه والرسول يدل على عقل مرسله والهدية تدل على عقل مهديها وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

الباب الخامس والخمسون
في العمل والكسب والصناعات والحرف وما أشبه ذلك

أما العمل فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أفضل العمل أدومه وإن قل وقال علي رضي الله عنه قليل مدووم عليه خير من كثير مملول وفي التوراة حرك يدك أفتح لك باب الرزق وكان إبراهيم بن أدهم رحمه الله يستقي ويرعى ويعمل بالكرا ويحفظ البساتين والمزارع ويحصد بالنهار ويصلي بالليل وقال الأوزاعي رحمه الله إذا أراد الله بقوم سوءا أعطاهم ومنعهم العمل وقد قيل: بيت

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه • في صالح الأعمال نفسك فاجعل

وقيل من جد وجد وأنشدوا في ذلك: بيت

وقل من جد في أمر يحاوله • واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

ويقول

ويقول الحرب وثاب على الفرص وقال بعضهم • بيت

وإني إذا باشرت أمرا أريده • تدانت أقاصيه وهان أشده

وقيل الدنيا كلها ظلمات إلا موضع العلم والعلم كله هباء إلا موضع العمل والعمل كله هباء إلا موضع الإخلاص هذا العمل وأما الكسب فقد جاء في تفسير قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم أي دروع من الحديد وذلك أن داود عليه السلام كان يرد زي المحاري فإذا رأى من لا يعرفه تحدث معه في أمر داود فإذا سمعه أعابه بشيء يصلحه من نفسه فسمع يوما من يقول إني لأجد في داود عيبا إلا أنه يأكل من غير كسبه فعند ذلك صلى داود عليه السلام في محرابه وتضرع بين يدي الله تعالى وسأل له أن يجعل له ما يستعين به على قوته فعلمه الله صنعة الحديد وجعله في يده كالشمع فاحترفها واستعان بها على أمره وصار يحكم منها الدروع وقال صلى الله عليه وسلم إن الله يحب العبد المحترف وقال عليه السلام تزوج الكسل بالتواني فأولد بينهما الفاقة وقال عليه السلام إن الله يبغض الصحيح الفارغ وقال عليه السلام من اكتسب قوته ولم يسأل الناس لم يعذبه الله يوم القيمة ولو تعلمون ما أعلم من المسألة لما سأل رجل رجلا شيئا وهو يجد قوت ليلته وما عند الله أحب من عبد يأكل من كسب يده وأن الله تعالى يبغض كل فارغ من أعمال الدنيا والآخرة وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من بات كالا في طلب الحلال أصبح مغفورا له وقيل لمحمد بن مهران إن ههنا أقواما يقولون نجلس في بيوتنا وتأتينا أرزاقنا فقال هؤلاء قوم حمقى إن كان لهم مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام فليفعلوا وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يقعدن أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة وقال أيضا رضي الله عنه إني لأرى الرجل فيعجبني فأقول أله حرفة فإن قالوا لا سقط من عيني واشترى وسق من طعام وهو ستون صاعا فقيل له في ذلك فقال إن النفس إذا أحرزت رزقها اطمأنت قال الشاعر: بيت مفرد

خاطر بنفسك كي تصيب غنيمة • إن الجلوس مع العيال قبيح

وقيل أول من وضع لسان الميزان عبد الله بن عامر رحمه الله وكان الناس من قبل يتغابنون بالشاهين وعن أنس رضي الله عنه قال غلا السعر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله سعر لنا فقال إن الله الخالق القابض الباسط الرازق وإني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد يطلبني بمظلمة بها في أهل ولا مال

وأما ما جاء في العجز والتواني

فقد روي عن علي رضي الله عنه أنه قال من أطاع التواني فقد ضيع الحقوق ومن العجز طلب ما فات مما لا يمكن استدراكه وترك ما أمكن مما تحمد عواقبه قال الشاعر

بيت

على المرء أن يسعى ويبذل جهده • ويقضي إله الحق ما كان قاضيا

وقيل احذر مجالسة العاجز فإنه من شكى إلى عاجز أعداه من عجزه وأمده من جزعه وعوده قلة الصبر ونساه ما في العواقب وليس للعجز ضد إلا الحزم قال بعض العلماء من الخذلان نسيان الأماني ومن التوفيق بغض التواني وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال باكروا في طلب الحوائج والرزق فإن الغدو بركة ونجاح وعن الإمام الشافعي رضي الله عنه احرص على ما ينفعك ودع كلام الناس فإنه لا سبيل إلى السلامة من ألسنة الناس وقال حكيم رحمه الله من دلائل العجز كثرة الإحالة على المقادير وقال بعض العلماء الحركة بركة والتواني هلكة والكسل شوم وكلب طائف خير من أسد رابض ومن لم يحترف لم يحتلف وقيل من العجز والتواني نتجت الفاقة قال هلال بن العلاء الرقي من ضمن أبيات

فإن التواني أنكح العجز بنته • وساق إليها حين زوجها مهرا

فراشا وطيئا ثم قال لها اتكي • فإنكما لا بد أن تلدا الفقرا

وقال آخر

توكل على الرحمن في الأمر كله • ولا ترغبن في العجز يوما عن الطلب

ألم تر أن الله قال لمريم • وهزي إليك الجذع يساقط الرطب

ولو شاء أن تجنيه من غير هزه • جنته ولكن كل رزق له سبب

بيت

فلا تركن إلى كسل وعجز • تحيل على المقادير والقضا

بيت

وليس بعجز المرء أخطأه الغنى • ولا باحتيال أدرك المال كاسبه

وقال أعرابي العاجز هو الشاب القليل الحيلة الملازم للحيلة ويقال فلان يخدعه الشيطان عن الحزم فيمثل له التواني في صورة التوكل ويورثه الهوينا بإحالته على القدر وقال لقمان عليه السلام لابنه يا بني إياك والكسل والضجر فإنك إذا كسلت لم تؤد حقا وإذا ضجرت لم تصبر على حق قال أبو العتاهية رحمه الله

إذا وضع الراعي على الأرض صدره • فحق على المعزى بأن تتبددا

ويقال التواني

ويقال التواني هو الكسل وتضييع الحزم وعدم القيام على مصالح النفس وترك التسبب والاحتراف والإحالة على المقادير وهذا من أقبح الأفعال وأما التأني فإنه خلاف التواني وهو الرفق ونقيض العجلة والنظر في العواقب وقد قيل من نظر في عواقب الأمور سلم من آفات الدهور ومما جاء في ذلك قوله تعالى ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أعطي حظه من الرفق أعطي حظه من الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من الدنيا والآخرة وقال عليه السلام لعائشة رضي الله عنها عليك بالرفق فإن الرفق لا يخالط شيئا إلا زانه ولا يفارق شيئا إلا شانه وفي التوراة الرفق رأس الحكمة وقالوا العقل أصله التثبت وثمرته السلامة ووجد على سيف مكتوب التأني فيما لا تخاف فيه الفوت أفضل من العجلة في إدراك الأمل وقال بعض الحكماء تأن تحزم فإذا استوضحت فاعزم وقالوا بالرفق تجنى ثمرة السلامة وبالعجلة تغرس شجرة الندامه وأنشدوا في ذلك

بيت

وقد يدرك المتأني بعض حاجته • وقد يكون مع المستعجل الزلل

ويقال الأناة حصن السلامة والعجلة مفتاح الندامة وقالوا إذا لم يدرك الظفر بالرفق والأناة فما ذا يدركه وقال المهلب رحمه الله أناة في عواقبها إدراك خير من عجلة في عواقبها فوت وقال من تأنى أدرك ما تمنى والرفق مفتاح النجاح وقال بعض الحكماء إياك والعجلة فإنها تكنى أم الندامة لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم ويجيب قبل أن يفهم ويعزم قبل أن يتفكر ويحمد قبل أن يجرب ولن تصحب هذه الصفة أحدا إلا صحب الندامة وجانب السلامه

وأما الصناعات والحرف

وذكر الصناع وما يتعلق به فقد روي عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل الأبرار من الرجال الخياطة وعمل الأبرار من النساء الغزل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيط ثوبه ويخصف نعله وقال سعيد بن المسيب رضي الله عنه كان لقمان الحكيم عليه السلام خياطا وقيل كان إدريس عليه السلام خياطا ووقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه على خياط فقال يا خياط صلب الخيط ودق الدرز وقارب الغرز فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الخياط الخائن وعليه قميص ورداء مما خاط وخان فيه واحذر السقاطات فإن صاحب الثوب أحق بها ولا تتخذ بها الأيادي تطلب المكافاة وقال فيلسوف رحمه الله إن من الغبن من يتولى استعمال الصناع من ليس بصانع وفي الحديث أكذب أمتي الصواغون والصباغون وكذب الدلال مثل قالوا الكل أخذ رأس مال ورأس مال الدلال الكذب وقال عبد الرحمن بن شبل رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول التجار هم الفجار فقيل

البس ان الله تعالى قد احل البيع قال نعم ولكن يحدثون فيكذبون ويحلفون فيحنثون
وقال الفضيل رحمه الله عمل الموازين سواد الوجه يوم القيامة وقال مجاهد رضي الله
عنه في قوله تعالى واتبعك الارذلون هم الحواكون وقيل ان حايكا سال لابراهيم الحربي رحمه الله
ما تقول فيمن صلى العيد ولم يشتر ناطفا ما الذي يجب عليه فتبسم ابراهيم رحمه الله ثم قال
يتصدق بدرهمين فلما مضى قال علينا ان نفرج المساكين من مال هذا الاحمق وقيل لرجل
هل فيكم حايك قال لا قال فمن ينسج ثيابكم قال كل واحد ينسج لنفسه في بيته وكان ازدشير
بن بابك رحمه الله لا يرتضي لمنادمته ذي صناعة ردية كحايك وحجام ولو كان يعلم الغيب
مثلا وقال كعب رحمه الله لا تستشيروا الحاكة فان الله تعالى سلب عقولهم ونزع البركة
من كسبهم ومرت مريم عليها السلام بجماعة من الحياك فسالتهم عن الطريق فدلوها على
غير الطريق فقالت نزع الله البركة من كسبهم قال ابو العتاهية رحمه الله

بيت

ولبس على عبد تقي نقيصة * اذا صح التقوى وان حاك او حجم

وهذا ما اردنا سياقه في هذا الباب والله اعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد واله

الباب السادس والخمسون
في شكوى الزمان وانقلابه باهله والصبر على المكاره والتسلي عن نوايب الدهر وفيه
ثلاث فصول

الفصل الاول في شكوى الزمان وانقلابه باهله روي عن انس بن مالك رضي الله
عنه قال ما من يوم وليلة ولا شهر ولا سنة الا والذي قبله خير منه سمعت ذلك من
نبيكم صلى الله عليه وسلم وكان معاوية رضي الله عنه يقول زماننا منكر زمان قد مضى
ومنكره معروف زمان لم يات وكانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضبا لا
تسبق فجا اعرابي فسبقها فشق ذلك على الصحابة فقال صلى الله عليه وسلم ان حقا على الله تعالى
لا يرفع شيا من هذه الدنيا الا وضعه وحكي عن شيخ من همدان رحمه الله قال بعثني
اهلي في الجاهلية الى ذي الكلاع بهدايا فمكثت شهرا لا اصل اليه ثم بعد ذلك اشرف
اشرافه من كوة فخر له من حول القصر سجدا ثم رايته بعد ذلك وقد هاجر الى حمص يشتري
اللحم بدرهم ويضعه خلف دابته وهو القايل

شعر

اف للدنيا اذا كانت كذا * انا منها في بلاء واذي
ان صفى عيش امرئ في صبحها * جرعته مسا كاس الردى
ولقد كنت اذا ما قيل من * انعم العالم عيشا قيل ذا

وقال يونس بن ميسرة رحمه الله لا ياتي علينا زمان الا بكينا منه ولا تولى عنا الا بكينا عليه
ومن ذلك قوله

بيت

رب يوم بكيت منه فلما * صرت في غيره بكيت عليه

وقال اخر

وما من يوم ابكي فيه واحد * فاجبره الا بكيت على امس

ومن كلام ابن الاعرابي رحمه الله

عن الايام نحن قليل * نرى الايام في صور الليالي

وقال علي رضي الله عنه ما قال الناس لشي طوبى له الا وقد خبا له الدهر يوم سو

قال الشاعر

فما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار الذي كنت اعهد

ودخل داود عليه السلام غارا فيه رجل ميت وعند راسه لوح مكتوب فيه انا فلان بن
فلان ملكت من الدنيا الف عام وبنيت الف مدينة وتزوجت الف بنت وهزمت الف
جيش ثم صار امري الى ان بعثت زنبيلا من الدراهم في رغيف فلم يوجد فبعثت زنبيلا
من الجواهر في رغيف فلم يوجد فدققت الجواهر واستففتها فمت مكاني فمن اصبح وله رغيف
ويحسب ان على وجه الارض اغنى منه فاماته الله كما اماتني وذكر ان عبد الرحمن بن زياد
رحمه الله ولي خراسان فحاز من الاموال ما قدر لنفسه انه اذا عاش مايه سنة ينفق
في كل يوم الف درهم على نفسه انه يكفيه فرئي بعد مدة وقد احتاج الى ان باع حلية مصحفه
وقال هيثم بن خالد الطويل رحمه الله دخلت على صالح مولى منارة في يوم شات وهو
جالس في قبة له محشاة بالسمور وجميع فرشها سمور وبين يديه كانون فضة يسجر فيه بالعود
ثم رايته بعد ذلك في راس الجسر يسال الناس ولما قتل عامر بن اسماعيل مروان بن محمد رحمه الله
ونزل في داره وقعد على فرشه دخلت عليه عبدة بنت مروان فقالت يا عامر ان دهرا انزل
مروان عن فرشه واقعدك عليها لمبلغ في عظتك وقال مالك بن دينار رحمه الله مررت
بقصر تضرب فيه الجواري بالدفوف ويقلن

بيت

الا يا دار لا يدخلك حزن * ولا يذهب بساكنك الزمان

ثم مررت عليه بعد حين وهو خراب وبه عجوز فقلت يا عبد الله قد والله دخلها الحزن
وذهب باهلها الزمان

قال ابو العتاهية رحمه الله

لئن كنت بالدنيا بصيرا فانما * بلاغك منها مثل زاد المسافر
اذا ابقت الدنيا على المرء دينه * فما فاته منها فليس بضاير

وقال عبد الملك بن عمير رحمه الله رايت راس الحسين رضي الله عنه بين يدي ابن زياد بالكوفة

راس

ثم رايت راس ابن زياد بين يدي المختار ثم رايت راس المختار بين يدي مصعب
ثم رايت راس مصعب بين يدي عبد الملك قال سفين رحمه الله فقلت له كم كان بين اول
الرؤس واخرها قال ثنتي عشر سنة

قال الشاعر

ان للدهر صرعة فاحذرنها * لا تبيتن قد امنت السرورا
قد يبيت الفتى معافا فيردي * ولقد كان امنا مسرورا

وقال محمد بن طاهر رحمه الله في قصره على الدجلة ينظر فاذا بحشيش في وسط الما
وفي وسطه قصبة على راسها رقعة فدعى بها فاذا فيها مكتوب

شعر

تاه الاعيرج فاستعلى به البطر * فقل له خير ما استعملته الحذر
احسنت ظنك بالايام اذ حسنت * ولم تخف سوا ما ياتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها * وعند صفو الليالي يحدث الكدر

قال فما انتفع بنفسه مدة واعجب من كل ما وجد في السير خبر الطاهر رحمه الله وخروجه
الي الجامع في بطانة جبة بغير ظهارة ومد يده يسال الناس بعد ملكه لاقطار
الارض فتبارك الله رب العالمين يعز من يشا ويذل من يشا وقيل كان حال محمد بن المهلبي
رحمه الله قبل اتصاله بالسلطان حال ضعيف فبينما هو في بعض اسفاره مع ضيف له
من اصحاب الحرث والحرات الا انه من اهل الادب اذ انشده المهلبي يقول

شعر

الا موت يباع فاشتريه * فهذا العيش ما لا خير فيه
الا رحم المهيمن روح عبد * تصدق بالوفاة على اخيه

قال فرثى له رفيقه واحضر له دراهم ما سد به رمقه وحفظ الابيات وتفارقا ثم ترقى
المهلبي الي الوزارة وجنى الدهر على ذلك الرجل الذي كان رفيقه وتوصل الي ايصال
رقعة الي حضرته فيها بيتين يقول

شعر

الا قل للوزير فدته نفسي * مقال مذكر ما قد نسيه
اتذكر اذ تقول لضنك عيش * الا موت يباع فاشتريه

فلما قراها ذكره فامر له بسبعماية درهم ووقع تحت رقعته مثل الذين ينفقون اموالهم في
سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة ماية حبة ثم قلده عملا يرتزق منه

وقال حبيب بن اوس رحمه الله

لم ابك من زمن لم ارض خلته * الا بكيت عليه حين ينصرم

وقال آخر في معناه

يا معرضا

يا معرضا عني بوجه مدبر * ووجوه دنياه عليه مقبله
هل بعد حالك هذه من حالة * او غاية الا انحطاط المنزله

وقال عبد الله بن عروة بن الزبير رحمه الله

شعر

ذهب الذين اذا راوني مقبلا * بشوا الي ورحبوا بالمقبل
وبقيت في خلف كان حديثهم * ولغ الكلاب تهارشت في المنزل

وقال آخر

يا منزلا عبث الزمان باهله * فابادهم بتفرق لا يجمع
اين الذين عهدتهم بك مرة * كان الزمان بهم يضر وينفع
ذهب الذين يعاش في اكنافهم * وبقي الذين حياتهم لا تنفع

وقال اسحق بن ابراهيم الموصلي رحمه الله

اني رايت الدهر منك مجنبه * محاسنه مقرونة ومعايبه
اذا سرني في اول الامر لم ازل * على حذر من ان تذم عواقبه

بيت

ولو كان همي واحدا لاطرحته * خواطر قلبي كلهن هموم

وقال الدوري رحمه الله

لا بد يا نفس من سجود * في زمن السوء للقرود
هبت لك الريح يا ابن وهب * فخذ لها اهبة الركود

وكان يقال اذا ادبر الامر اتى الشر من حيث اتى الخير وكان يقال تنقلب الاحوال تعرف
جواهر الرجال ويقال زمام العافية بيد البلاء وراس السلامة تحت جناح العطب
وقال بعضهم نحن في زمان اذا ذكرنا الموت حنت القلوب واذا ذكرنا الحياة ماتت
يؤيد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر اخيه فيقول يا ليتني
كنت مكانه وقد قيل

بيت

ما من سيئ وان طالت اساته * الا سيكفيكه يوما مساعيه

وقال الامين رحمه الله

شعر

يا نفس قد حق الحذر * اين المفر من القدر
كل امرئ مما يخاف * ومرتجيه على خطر
من يرتشف صفو الزمان * يغص يوما بالكدر

وقال آخر

رحم الله من دعا لغريب * شردته الخداع عن الاوطان
ورماه الزمان منه بصرف * آه والله من صروف الزمان

للامير ابو علي بن منقذ رحمه الله

اما والذي لا يملك الامر غيره * ومن هو بالسر المكتم اعلم
لئن كان كتمان المصايب مولما * لاعلانها عندي اشد واألم
وفي كل ما تبكي العيون اقله * وان كنت منه دايما اتبسم

وقال الشاعر

وقايلة ما باله قد تغيرت * محاسنه والجسم باد شحونه
فقلت لها هاني من الناس واحدا * صفا وقته والنايبات تنوبه

وقال علي رضي الله عنه وايم الله ما كان قوم قط في خفض عيش فزال عنهم الا بذنوب اجترحوها لان الله تعالى ليس بظلام للعبيد ولو ان الناس حين تنزل بهم النقم وتزول عنهم النعم فزعوا الى ربهم بصدق من نياتهم لرد عليهم كل شارد واصلح لهم كل فاسد

قال الشاعر

يقولون الزمان به فساد * هم فسدوا وما فسد الزمان

وكفى بالقرآن واعظا فقد قال الله تبارك وتعالى ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم

الفصل الثاني من هذا الباب في الصبر على المكاره ومدح التثبت وذم الجزع

قد مدح الله تعالى الصبر في كتابه العزيز في مواضع كثيرة وامر به وجعل اكثر الخيرات مضافا الى الصبر واثنى على فاعله واخبر انه سبحانه وتعالى معه وحث على التثبت في الاشيا ومجانبة الاستعجال فيها فمن ذلك قوله تعالى يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلوة ان الله مع الصابرين فبدا بالصبر قبل الصلوة ثم جعل نفسه سبحانه مع الصابرين دون المصلين وقوله تعالى يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا وقوله تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب وقوله تعالى وجعلنا منهم ايمة يهدون بامرنا لما صبروا وقوله تعالى وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا وفي الجملة فقد ذكر الله سبحانه وتعالى الصبر في كتابه العزيز في نيف وسبعين موضعا وامر نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر فقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك اخبار كثيرة فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم النصر في الصبر وقوله صلى الله عليه وسلم بالصبر يتوقع الفرج وقوله الاناة من الله والعجلة من الشيطان فمن هداه بتوفيقه الهمه الصبر في مواطن طلباته والتثبت في حركاته وسكناته وكثيرا ما ادرك الصابر مرامه او كاد وفات المستعجل غرضه او كاد وقال الاشعث بن قيس رحمه الله دخلت على امير المومنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فوجدته قد اثر

فيه

فيه صبره على العبادة الشديدة ليلا ونهارا فقلت يا امير المومنين الى كم تصبر على مكابدة هذه الشدة فما زادني على ان قال رضي الله عنه

شعر

اصبر على مضض الادلاج في السحر * وفي الرواح على الطاعات في البكر
اني رايت وفي الايام تجربة * للصبر عاقبة محمودة الاثر
وقل من جد في امر يومله * واستصحب الصبر الا فاز بالظفر

قال فحفظت ذلك منه والزمت نفسي الصبر في الامور فوجدت بركة ذلك وعن ابي سعيد وابي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبده الخير امسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة وعن عبد الله بن عبد الله بن ابي قرة عن انس بن مالك رضي الله عنهم قال قال النبي صلى الله عليه وسلم الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الاجر والصبر عند الصدمة الاولى وعظم الاجر على قدر المصيبة ومن استرجع بعد مصيبته جدد الله له اجرها كيوم اصيب بها وروي عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال ايما رجل حبسه السلطان ظلما فمات في حبسه مات شهيدا وان ضربه فمات فهو شهيد فاتضح لك ان العبد لا يدرك منزلة الاخيار الا بالصبر على الشدة والبلا وكان الصالحون رحمهم الله يفرحون بالشدة لاجل الذنوب لان فيها كفارة الذنوب وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلث من رزقهن فقد رزق خير الدنيا والاخرة الرضى بالقضا والصبر على البلا والدعا في الرخا وحكي ان امراة من بني اسرائيل لم يكن لها الا دجاجة فسرقها سارق فصبرت وردت امره الى الله تعالى ولم تدع عليه فلما ذبحها السارق ونتف ريشها نبت جميعه في وجهه فسعى في ازالته فلم يقدر الى ان اتى حبرا من احبار بني اسرائيل فشكى له ذلك فقال لا اجد لك دواء الا ان تدعو عليك هذه المراة فارسل اليها من قال لها اين دجاجتك فقالت سرقت فقال لقد اذاك من سرقها فقالت قد فعل ولم تدع قال وقد فجعك في بيضها قالت هو كذلك قال فما زال بها حتى اثار الغضب منها فدعت عليه فتساقط الريش من وجهه فقيل لذلك الحبر من اين علمت ذلك قال لانها لما صبرت ولم تدع عليه انتصر الله لها فلما انتصرت لنفسها ودعت عليه تساقط الريش من وجهه فالواجب على العبد ان يصبر على ما يصيبه من الشدة ويحمد الله تعالى ويعلم ان النصر مع الصبر وان مع العسر يسرا وان المصايب والرزايا اذا توالت تولت واعقبها الفرج والفرج عاجلا والالام ومن احسن ما قيل في ذلك من المنظوم قال بعضهم رحمه الله وعفى عنه

شعر

وإذا امسك الزمان بضر • عظمت دونه الخطوب وجلت
وأتتك بعده نوائب أخرى • سئمت نفسك الحياة وملت
فاصبر وانتظر بلوغ الأماني • فالرزايا إذا توالت تولت
وإذا أوهنتك قواك وجلت • كشفت عنك جملة وتجلت

ولزهير بن سلمى رحمه الله

ثلث يكون الصبر عند حلولها • ويذهل عنها عقل كل لبيب
خروج اضطرار من بلاد يحبها • وفرقة اخوان وفقد حبيب

وقال ابن نباتة رحمه الله

صبرا على نوب الزمان • وإن أبى القلب القريح
فلكل شيء آخر • إما جميل أو قبيح

ومن كلام الحكماء رحمهم الله ما جوهر الهدى بمثل الرأي • ولا استنبط الرأي بمثل المشاورة • ولا حصنت النعم بمثل المواساة • ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر ولا استنجحت الأمور بمثل الصبر • وكان يقال لا دواء لداء الدهر إلا الصبر •

قال الشاعر

ويوم كان المصطلين بحره • وإن لم يكن نار قياما على الجمر
صبرنا له صبرا جميلا وإنما • تفرج أبواب الكريهة بالصبر

وقال محمود الوراق رحمه الله

إني رأيت الصبر خير معول • في النائبات لمن أراد معولا
ورأيت أسباب القناعة أكدت • بعرى الغنى فجعلتها لي معقلا
فإذا نبا بي منزل جاوزته • وجعلت منه غيره لي منزلا
وإذا غلا شيء علي تركته • فيكون أرخص ما يكون إذا غلا

وقال آخر

وإذا ما رماك الدهر يوما بنكبة • فهيئ له صبرا ووسع له صدرا
فإن تصاريف الزمان عجيبة • فيوم ترى يسرا ويوم ترى عسرا

بيت

وما مسني عسر فوضت أمره • إلى الملك الجبار إلا تيسرا

ونقل عن محمد بن الحسن رحمه الله قال كنت معتقلا بالكوفة فخرجت يوما من الحبس مع بعض الرجال وقد زاد همي وكادت نفسي أن تزهق وضاقت علي الأرض بما رحبت

واذا برجل

وإذا برجل عليه آثار العبادة قد أقبل علي ورأى ما أنا فيه من الكآبة فقال ما حالك فأخبرته القصة فقال الصبر الصبر فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال الصبر ستر الكروب وعون على الخطوب وروي عن ابن عمه علي رضي الله عنه قال الصبر مطية لا تكبو وسيف لا يكل • وأنا أقول

شعر

ما أحسن الصبر في الدنيا وأجمله • عند الإله وأنجاه من الفزع
من شد بالصبر كفا عند مولمة • ألوت يداه بحبل غير منقطع

فقلت له بالله عليك زدني فقد وجدت بك راحة فقال ما يحضرني شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم ولكني أقول

شعر

أما والذي لا يعلم الغيب غيره • ومن ليس في كل الأمور له كفو
لئن كان بدء الصبر مرا مذاقه • فقد يجتني من بعده الثمر الحلو

ثم ذهب فسألت عنه فما وجدت أحدا يعرفه ولا رآه أحد بعد ذلك في الكوفة ثم أخرجت في ذلك اليوم من الحبس وقد حصل لي سرور عظيم بما سمعت منه وانتفعت به ووقع في نفسي أنه من الأبدال السائحين قيضه الله لي ليوقظني ويوبخني

قال الشاعر

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه • ويحمد منه الصبر مما يصيبه
فمن قل فيما يتقيه اصطباره • لقد قل مما يرتجيه نصيبه

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها إن الله تعالى لم يرض من أولي العزم من الرسل إلا بالصبر ولم يرض مني إلا أن كلفني ما كلفهم فقال عز وجل فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل وإني والله لأصبر كما صبروا فالنبي صلى الله عليه وسلم لما صبر كما أمر أسفر وجه صبره عن ظفره ونصره وكذلك أولئك الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الذين هم أولوا العزم لما صبروا ظفروا وانتصروا وقد اختلف أهل العلم فيهم على أقوال كثيرة فقال قتادة رضي الله عنه هم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وقال مقاتل رضي الله عنه هم ستة نوح وإبراهيم وإسحق ويعقوب ويونس وأيوب عليهم السلام ذكر ما صبروا عليه حتى سماهم الله تبارك وتعالى أولوا العزم أما نوح عليه السلام فقد قال ابن عباس رضي الله عنه أنه كان يضرب ثم يلف في لبد ويلقى في بيته يرون أنه مات ثم يعود ويخرج إلى قومه ويدعوهم إلى الله تعالى وهكذا حتى إذا أيس من إيمانهم جاءه رجل كبير يتوكأ على عصاه ومعه ابنه فقال لابنه يا بني هذا الشيخ انظر إليه واعرفه لئلا يغويك فقال له ابنه يا أبت أمكني من العصا

فاخذها من انيه وضرب بها نوحا عليه السلام شج بها راسه وسالت الدما على وجهه
فقال يارب قد ترى ما يفعل بي عبادك فان يكن لك فيهم حاجة فاهدهم والا فصبرني
الى ان تحكم فاوحي الله تعالى اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد امن فلا تبتئس بما
كانوا يفعلون واصنع الفلك قال يارب وما الفلك قال بيت من خشب يجري على وجه
الما انجي فيه اهل طاعتي واغرق اهل معصيتي قال يارب واين الما قال انا على كل شي
قدير قال يارب واين الخشب قال اغرس الخشب فغرس الساج عشرين سنة وكف عن
دعائهم وكفوا عن ضربه الا انهم يستهزون به فلما ادرك الشجر امره ربه فقطعها وجففها
فقال يارب كيف اتخذ هذا البيت قال اجعل على ثلث صور وبعث الله تعالى له جبريل
عليه السلام يعلمه واوحي اليه ان اعجل عمل السفينة فقد اشتد غضبي على من عصاني
فلما نجزت جا امر الله تعالى بانتصار نوح عليه السلام ونجاته واهلاك قومه وعذابهم
الا من امن معه وفار التنور وظهر الما على وجه الارض وقذفت السما بامطار كافواه
القرب حتى عظم الما وصارت امواجه كالجبال وعلا فوق اعلا جبل في الارض اربعين
ذراعا وانتقم الله سبحانه وتعالى من الكافرين ونصر نبيه نوحا عليه السلام
وفي تمام قصته وحديث السفينة كلام مبسوط لاهل التفسير ليس هذا موضع شرحه
وبسطه فهذا زبدة صبر نوح عليه السلام وانتصاره واما ابراهيم عليه السلام
فانه لما كسر اصنام قومه التي كانوا يعبدونها لم يروا في قتله ونصرة الهتهم ابلغ من
احراقه فاخذوه وحبسوه ببيت ثم بنوا حايرا كالحوش طول جداره ستون ذراعا الى
سفح جبل عال ونادى منادي ملكهم ان احتطبوا لاحراق ابراهيم عليه السلام ومن
تخلف عن الاحتطاب احرق فلم يتخلف منهم احد وفعلوا ذلك اربعين يوما ليلا ونهارا
حتى كاد الحطب يساوي رؤس الجبال وسدوا ابواب ذلك الحاير وقذفوا
فيه النار وارتفع لهيبها حتى كاد الطاير ليمر بها فيحترق من شدة حرها ثم بنوا بنيانا
شامخا وسووا فوقه منجنيقا ثم رفعوا ابراهيم عليه السلام على روس البنيان فرفع
طرفه الى السما ودعى ربه وقال حسبي الله ونعم الوكيل قيل وكان عمره يومئذ ستة
وعشرين سنه فنزل اليه جبريل عليه السلام وقال يا ابراهيم الك حاجة فقال
اما اليك فلا قال جبريل فاسال ربك فقال حسبي من سوالي علمه بحالي فقال
الله تبارك وتعالى يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم فلما قذفوه فيها نزل معه
جبريل عليه السلام فجلس به على الارض واخرج له عين ما عذب قال كعب رضي الله عنه
ما احرقت النار منه غير كتافه واقام في ذلك الموضع سبعة ايام وقيل اكثر من ذلك
ونجاه الله تبارك وتعالى منها ثم اهلك نمرود وقومه باخس الاشيا وانتقم منهم وظفر

ابراهم

ابراهيم عليه السلام بهم فهذا ثمرة صبره على مثل هذه الحالة العظمى ولم يعرج منها وفوض
امره الى الله تعالى وتوكل عليه ووثق به ثم جات قضية ذبح ولده فلما امره الله تبارك
وتعالى بذلك قابل امره بالامتثال وسارع الى ذبحه بغير اهمال ولا امهال وقصته
مشهورة وتفاصيل القصة في كتب التفسير مسطورة فلما ظهر صدقه ورضاه
ومبادرته الى طاعة مولاه وصبره على ما قدره وقضاه عوضه الله عن ذبح ولده
وافداه واتخذه خليلا من بين خلقه واجتباه واما الذبح فقصته مشهورة وهي
في كتب التفاسير مذكورة واما يعقوب عليه السلام فانه لما ابتلى بفراق ولده
وذهاب بصره واشتد حزنه قال فصبر جميل وكذلك يوسف عليه السلام لما ابتلاه
الله عز وجل بالقايه في ظلمة الجب وبيعه كما تباع العبيد وفراقه لابيه وادخاله
السجن وحبسه فيه بضع سنين وانه تلقى ذلك بصبره وقبوله فلا جرم اورثهما
صبرهما جمع شملهما واتساع العز لهما بالملك في الدنيا مع ملك النبوة في الاخرة
واما ايوب عليه السلام فانه ابتلاه الله تعالى بهلاك اهله وماله وتتابع المرض
المزمن والسقم المهلك حتى افضى امره الى ما يضعف القوة البشرية عن حمله ولنذكر
شيا مختصرا من ذلك وهو ان ملكا من ملوك بني اسرايل كان يظلم الناس فكلمه في
الظلم جماعة من الانبيا وسكت عنه ايوب عليه السلام لاجل خيل كانت لايوب في مملكته
فاوحي الله تبارك وتعالى الى ايوب عليه السلام تركت كلامه لاجل خيلك لاطيلن بلاك
فقال ابليس لعنه الله يارب سلطني على اولاده وماله فسلطه عليه فبعث ابليس
مردته من الشياطين فبعث بعضهم الى دوابه ورعاته فاحتملوها جميعا فقذفوها
في البحر وبعث بعضهم الى زرعه وجناته فاحرقوها وبعث بعضهم الى منازله وفيها
اولاده وكانوا ثلثة عشر ولدا وخدمه فزلزلوها فهلكوا ثم جا ابليس الى ايوب وهو
يصلي فتمثل له في صورة رجل من غلمانه فقال ايت الى دوابك ورعاتك فقد هب عليها
ريح عظيمة فقذفت الجميع في البحر واحرقت زرعك وهدمت منازلك على اولادك واهلك
فهلك الجميع ما هذه الصلوة فالتفت اليه وقال الحمد لله الذي رزقني ذلك كله ثم تقبله
مني وقام الى صلوته فرجع ابليس خايبا وقال يارب سلطني على جسده فسلطه عليه
فنفخ في ابهامه فانتفخت ولازال يسقط لحمه من شدة البلا الى ان بقي امعاوه تبان وهو
مع ذلك كله صابر محتسب وفوض امره الى الله تعالى وكان الناس قد هجروه واستقذروه
والقوه خارجا عن البيوت من نتن ريحه وكانت زوجته بنت يوسف الصديق قد سلمت
اليه فترددت اليه فتفتقده فجاها ابليس يوما في صورة شيخ ومعه سخلة وقال
لها يذبح ايوب هذه السخلة على اسمي فيبرا فجاته فاخبرته بذلك فقال لها ان شفاني الله تعالى

لاجلدنك مائة جلدة فتأمرني ان ادع لغير الله فطردها عنه فذهبت وبقي ليس له
من يقوم به فلما رأى انه لا طعام له ولا شراب ولا أحد من الناس خرّ ساجدا وقال
رب اني مسني الضر وانت ارحم الراحمين فلما علم الله تعالى منه ثباته على هذه البلوى
وطول هذه المدة وهي على ما قيل ثمانية عشر سنة وقيل غير ذلك وانه تلقى جميع ذلك بالقبول
وما شكى الى مخلوق ما نزل به عاد الله تبارك وتعالى بالطافه عليه فقال تعالى فكشفنا
ما به من ضر وآتيناه اهله ومثلهم معهم رحمة منا وافاض عليه من نعمه ما أنساه به بلوى
نقمه ومنحه من أقسام كرمه ان افتاه في عينه لتحلة قسمه ومدحه في نص الكتاب
فقال وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب
فلو لم يكن الصبر من اعلى المراتب واسنى المواهب لما امر الله تبارك وتعالى به رسله
ذوي الحزم وسماهم بسبب صبرهم اولي العزم وفتح لهم بصبرهم ابواب مرادهم
وسولهم ونجحهم من لدنه غاية مرامهم وآمالهم فما أسعد من اهتدى بهداهم واقتدى
بهم وان قصّر عن مداهم **واعلم** ان العسر يعقبه اليسر والشدة يعقبها الرخا
والتعب تعقبه الراحة والضيق يعقبه السعة والصبر يعقبه الفرج وعند تناهي
الشدة تنزل الرحمة والموفق من رزق صبرا واجرا والشقي من ساق القدر اليه جزعا
ووزرا **ومما يروى** عن الحسن البصري رحمه الله انه قال كنت بواسط فرأيت رجلا كأنه
قد نبش من قبر فقلت ما دهاك يا هذا فقال اكتم علي امري حبسني الحجاج من ثلث سنين
فكنت في اضيق حال واسوا عيش واقبح مكان وانا مع ذلك صابرا لا اتكلم فلما كان
بالامس اخرجت جماعة كانوا معي فضربت رقابهم وتحدث بعض اعوان السجن ان غدا
يضرب عنقي فاخذني لذلك حزن شديد وبكا مفرط واجرى الله تبارك وتعالى على لساني
فقلت الهي اشتد الضر ونفد الصبر وانت المستعان ثم ذهب من الليل اكثره فاخذتني
غشية واني لبين النائم واليقظان اذا اتاني آت فقال لي قم وصل ركعتين وقل يا من لا
يشغله شيء عن شيء يا من احاط علمه بما ذرا وبرا انت عالم بخفيات غيوب الامور ومحصي
وساوس الصدور وانت بالمنظر الاعلى وعلمك محيط بالمنزل الادنى تعاليت علوا
كبيرا يا مغيث اغثني وفك اسري واكشف ضري فقد نفد صبري فقمت وتوضات
في الحال وصليت ركعتين وتلوت ما سمعته منه ولم يختل علي منه كلمة واحدة فما تم
القول حتى سقط القيد من رجلي ونظرت الى ابواب السجن فرأيتها قد فتحت فقمت وخرجت
ولم يعارضني احد فانا والله طليق الرحمن واعقبني الله بصبري فرجا وجعل لي من ذلك
الضيق مخرجا ثم ودعني وانطلق يقصد الحجاز **قال** بعض الرواة دخلت مدينة
يقال لها دثار فبينا انا اطوف في خرابها اذ رأيت مكتوبا على باب قصر خراب هذه الابيات

شعر

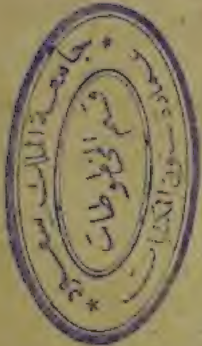
شعر

يا من الح عليه الهم والفكر * وغيرت حاله الايام والغير
اما سمعت لما قد قيل في مثل * عند الاياس فاين الله والقدر
ثم الخطوب اذا احداثها طرقت * واصبر فقد فاز اقوام بما صبروا
فكل ضيق سيأتي بعده سعة * وكل فوت وشيك بعده الظفر

وقال آخر

اذا ابتليت فثق بالله وارض به * ان الذي يكشف البلوى هو الله
الياس يقطع احيانا بصاحبه * لا تياسن فان الصانع الله
اذا قضى الله فاستسلم لقدرته * فما ترى حيلة فيما قضى الله

الفصل الثالث من هذا الباب
في التأسي في الشدة والتسلي عن نوائب الدهر



قال النواوي رحمه الله لم يعقد عندنا من لم يعد البلا نعمة والرخا مصيبة وقيل الغموم
التي تعرض للقلوب كفارات للذنوب وسمع بعض الحكما رجلا يقول لآخر لا اراك الله
مكروها **وقال** ابن عيينة رحمه الله الدنيا كلها غموم فما كان فيها من سرور فهو ربح
وقال الجنيد رحمه الله اذا تناهى الغم انقطع الدمع بدليل انك لا ترى مضروبا بالسياط
ولا مقدما للضرب بالعنق يبكي **وقال** مطرف رحمه الله ما نزل بي مكروه قط فاستعظمته
الا ذكرت ذنوبي فاستصغرته **وقال** جابر رضي الله عنه رفعه يود اهل العافية يوم القيمة
ان لحومهم كانت تقرض بالمقاريض لما يرون من ثواب الله لاهل البلا **وروى** ابو عتبة
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا احب الله عبدا ابتلاه فاذا احبه الحب
البالغ اقتناه قالوا وما اقتناه قال لا يترك له مالا ولا ولدا **ومر موسى عليه السلام**
برجل كان يعرفه مطيعا لله تعالى قد مزقت السباع لحمه واضلاعه وكبده ملقاة على
الارض فقال متعجبا اي رب عبدك ابتليته بما ارى فاوحى اليه انه سألني درجة لم
يبلغها بعمله فاحببت ان ابتليه لابلغه تلك الدرجة وكان عروة بن الزبير رحمه الله صبورا
حين ابتلي انه خرج الى الوليد بن يزيد فوطئ عظما فما بلغ الى دمشق حتى بلغ به كل مذهب
فجمع له الوليد الاطبا فاجمع رايهم على قطع رجله فقالوا له اشرب مرقدا فقال ما احب ان اغفل
عن ذكر الله تعالى فاحمي له المنشار وقطعت رجله فقال ضعوها بين يدي ولم يتوجع ثم
قال لئن كنت ابتليت في عضو لقد عوفيت في اعضا فبينما هو كذلك اذ اتاه خبر ولده انه
اطلع من سطح على دواب الوليد فسقط بينها فمات فقال الحمد لله على كل حال لئن اخذت
واحدا لقد ابقيت جماعة وقدم على الوليد وقد مر نفر فيهم شيخ ضرير فساله عن حاله

ذهاب بصره فقال بت ليلة في بطن واد ولا اعلم عبسيا يزيد ماله على مالي فطرقنا
سيل فذهب ما كان لي من مال وولد غير صبي صغير وبعير فندّ البعير فوضعت وأهل
الصغير على الارض ومضيت لاجل البعير فسمعت صيحة الصغير فرجعت اليه فاذا
راس الذيب في بطنه وهو ياكل منه فرجعت الى البعير فحطم وجهي برجليه فذهبت عيناي
فاصبحت بلا عينين ولا ولد ولا اهل ولا مال فقال الوليد اذهبوا به الى عروة ليعلم
ان في الدنيا من هو اعظم مصيبة منه وقال البحتري رحمه الله يسلي محمد بن يوسف
رحمه الله عن حبسه

شعر

وما هذه الايام الا منازل ... فمن منزل رحب الى منزل ضنك
وقد هذبتك الحادثات وانما ... صفا الذهب الابريز قبلك بالسبك
اما في نبي الله يوسف اسوة ... لمثلك محبوس على الظلم والافك
اقام جميل الصبر في السجن برهة ... فآل به الصبر الجميل الى الملك

وقال علي بن الجهم رحمه الله لما حبسه المتوكل رحمه الله من جملة ابيات

شعر

لا يؤيسك من تفرج من نكبة ... خطب رماك به الزمان الانكد
كم من عليل قد تخطاه الردى ... فنجى ومات طبيبه والعوّد
صبرا فان اليوم يعقبه غد ... ويد الخلافة لا تطاولها يد

وانشد اسحق الموصلي رحمه الله ابراهيم بن المهدي رحمه الله حين حبس بابيات

شعر

هي المقادير تجري في اعنتها ... فاصبر فليس لها صبر على حال
يوما تريش خسيس المال ترفعه ... الى العلا ويوما تخفض العالي

فما امسى حتى وردت عليه الخلع من المامون رحمه الله ورضي عنه وانشدوا في ذلك

بيت

قد زال ملك سليمان بغادرة ... والشمس تنحط في المجرى وترتفع

وقال آخر بيت

ولا عار ان زال عن الحر نعمة ... ولكن عارا ان يزول بالتجمل

وسئل ابن جمهر رحمه الله عن حاله في نكبته فقال عولت على اربعة اشيا هونت علي
ما انا فيه اولها اني قلت القضا والقدر لا بد من جريانهما الثاني قلت ان لم اصبر
فما اصنع الثالث قلت قد كان يجوز ان يكون اشد من هذا الرابع قلت لعل
الفرج قريب والسلام وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

الباب السابع

الباب السابع والخمسون
فيما جا في اليسر بعد العسر والفرج بعد الشدة
والفرج والسرور

مما يليق بهذا الباب من كتاب الله عز وجل قوله تعالى سيجعل الله بعد عسر يسرا وقوله
تعالى وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وقوله تعالى حتى اذا استياس
الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي من نشا وروي عن ابن مسعود رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو كان العسر في حجر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه
وقال علي رضي الله عنه عند تناهي الشدة تكون الفرجة وعند تضايق البلا يكون
الرخا وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال افضل اعمال امتي انتظار
فرج الله وقال الحسن رضي الله عنه لما نزل قوله تعالى فان مع العسر يسرا قال
النبي صلى الله عليه وسلم ابشروا لن يغلب عسر يسرين ومن كلام الحكما ان العاقل يتسلى
وقال ابن حاتم الشاعر رحمه الله

شعر

اذا اشتملت على الياس القلوب ... وضاق لما به الصدر الرحيب
واوطنت المكاره واطمانت ... وارست في اماكنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها ... ولا اغنى بحيلته الاريب
اتاك على قنوط منك غوث ... يمن به اللطيف المستجيب
وكل الحادثات اذا تناهت ... فموصول بها فرج قريب

وقال آخر

عسى الهم الذي امسيت فيه ... يكون وراه فرج قريب
فيامن خايفا ويفك عان ... وياتي اهله النائي الغريب

وقال ابراهيم بن العباس رحمه الله

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ... ذرعا وعند الله منها المخرج
ضاقت فلما استحكمت حلقاتها ... فرجت وكان يظنها لا تفرج

وقال آخر

لئن صدع البين المشتت شملنا ... فليس بحكم في الجموع صدوع
وللنجم من بعد الرجوع استقامة ... وللشمس من بعد الغروب طلوع
وان نعمة زالت عن الحر وانقضت ... فان لها بعد الزوال رجوع
فكن واثقا بالله واصبر لحكمه ... فان زوال الشر عنك سريع

ولنذكر نبذة فيمن حصل له الفرج بعد الشدة حكي ان الربيع رحمه الله قال لما حبس المهدي رحمه الله

موسى بن جعفر رضي الله عنه راى في النوم عليا رضي الله عنه وهو يقول يا محمد
فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا ارحامكم قال
الربيع فارسل الي المهدي ليلا فراعني ذلك فجئته فاذا هو يقرا هذه الاية وهو
حسن الصوت فقص علي الرؤيا ثم قال ايتني بموسى بن جعفر فجئته به فعانقه
واجلسه الى جانبه وقال يا ابا الحسن رايت امير المؤمنين يقرا علي كذا فعاهدني
ان لا تخرج علي ولا على احد من ولدي فقال والله ما ذاك من شاني فقال صدقت
ثم قال يا ربيع اعطه ثلثة الاف دينار ثم رده الى اهله بالمدينة قال الربيع
فاحكمت امره ليلا فما اصبح الا على الطريق • قال اسمعيل بن بشار رحمه الله

بيت

وكل حزن وان طالت بليته • يوما تفرج غماه وينكشف

وقال مسلم بن الوليد رحمه الله كنت يوما جالسا عند خياط بازاء منزلي فرايت انسانا
اعرفه فقمت اليه وسلمت عليه وجئت به الى منزلي لاضيفه وليس معي درهم
بل كان عندي زوج اخفاف فارسلتها مع جاريتي لبعض معارفي فابتاع ذلك
بتسعة دراهم واشترت بها ما قلته لها من الخبز واللحم فجلسنا ناكل واذا بالباب
يطرق فنظرت من شق الباب واذا بانسان يسال اهذا منزل فلان ففتحت الباب
وخرجت فقال انت مسلم بن الوليد قلت نعم واستشهدت له بالخياط على ذلك
فاخرج لي كتابا وقال هذا من الامير يزيد بن يزيد فاذا فيه قد بعثنا لك بعشرة الاف
درهم تتجمل بها القدوم علينا ومثلها تجعله في منزلك فادخلته داري وزدت في
الطعام واشتريت فاكهة وجلسنا ناكل ثم وهبت لضيفي شيئا يشتري به هدية
لاهله وتوجهنا الى باب يزيد بالرقة فوجدناه في الحمام فلما خرج استوذن لي عليه
فدخلت فاذا هو جالس على كرسي وبيده مشط يسرح لحيته فسلمت عليه فرد علي
احسن رد وقال ما الذي قعد بك عنا قلت قلة ذات اليد وانشدته قصيدة مدحته
بها فقال اتدري لم احضرتك قلت لا قال كنت عند الرشيد منذ ليال احادثه

شعر

اذ قال يا يزيد من القايل فيك هذا

سل الخليفة سيفا من بني مطر • يمضي فيخترق الاجسام والهاما
كالدهر لا ينثني عما يهم به • قد اوسع الناس ارغاما وانعاما

فقلت والله لا ادري يا امير المؤمنين فقال سبحان الله ايقال فيك مثل هذا ولا تدري
من قاله فسالت فقيل هو مسلم بن الوليد فارسلت اليك فانهض بنا الى الرشيد فسرنا
اليه فاستوذن لنا فدخلنا عليه فقبلنا الارض وسلمت فرد علي فانشدته ما لي فيه من شعر

فاتم

ن مر لي بماتي الف درهم وامر لي يزيد بماية وتسعين الف درهم وقال ما ينبغي ان اساوي
امير المؤمنين في العطا فانظر الى هذا اليسر الجسيم بعد العسر العظيم وما احسن ما قيل

بيت

الامن والخوف ايام مداولة • بين الانام وبعد الضيق متسع

ولما وجه سليمان بن عبد الملك محمد بن يزيد رحمهما الله الى العراق ليطلق اهل السجون
ويقسم الاموال فضيق على يزيد بن ابي مسلم فلما ولي يزيد بن عبد الملك الخلافة ولي يزيد
بن ابي مسلم افريقية فاستخفى محمد بن يزيد فطلبه يزيد بن ابي مسلم وشدد في طلبه فاتي به
اليه في شهر رمضان عند المغرب وكان في يد يزيد بن ابي مسلم عنقود عنب فقال لمحمد بن
يزيد حين راه يا محمد بن يزيد قال نعم قال طال ما سالت الله ان يمكنني منك قال وانا
والله طال ما سالت الله ان يجيرني منك فقال والله ما اجارك ولا اعاذك وان سابقني
ملك الموت الى قبض روحك سبقته والله لا اكل هذه الحبة حتى اقتلك ثم امر به فكتف
ووضع في النطع وقام السياف فاقيمت الصلوة فوضع العنقود من يده وقام ليصلي
وكان اهل افريقية قد اجمعوا على قتله فلما وضع راسه ليسجد ضربه رجل بعمود على راسه
فقتله وقيل لمحمد بن يزيد حيث شيت فسبحان من قتل الامير واحيا الاسير وامر الحجاج
باحضار رجل من السجن فلما حضر امر بضرب عنقه فقال ايها الامير اخرني الى غد واي
فرج لك في تاخير يوم واخره ثم امر برده الى السجن فسمعه الحجاج يقول

بيت

عسى فرج ياتي به الله انه • له كل يوم في خليقته امر

فقال الحجاج والله ما اخذه الا من قول الله تعالى كل يوم هو في شان وامر باطلاقه وقال
بعض جلسا المعتضد رحمه الله كنا جلوسا بين يديه ليلة فخفق راسه بالنعاس فقال لا تبرحوا
حتى اغفى سويعة ثم افاق وقال امضوا الى السجن واتوني بمنصور الجمال فاتوا به فقال
كم لك في السجن قال سنة ونصف قال علي ما ذا قال انا جمال وضاق علي بلدي فاخذت
جملي وتوجهت الى بلد غير بلدي لاعمل عليه فوجدت عشرة انفس قد مسكوا واحدا وهم
يقطعون الطريق فدفع واحد منهم للاعوان شيئا فاطلقوه ومسكوني عوضه واخذوا
جملي فناشدتهم الله فابوا وسجنت انا والقوم فاطلق بعضهم ومات بعضهم وبقيت انا
فدفع له المعتضد رحمه الله خمسماية دينار واجرى له ثلثين دينارا في كل شهر وقال احلوه
علي جمالنا ثم قال اتدرون ما سبب تخلي هذا قالوا لا قال رايت رسول الله صلى الله عليه
وسلم وهو يقول اطلق منصور الجمال من السجن واحسن اليه قال الشاعر

بيت

اذا تضايق امر فانتظر فرجا • فاضيق الامر ادناه الى الفرج

ويروى ان سلطان صقلية ارق ذات ليلة ومنع النوم فارسل الى قائد السجن وقال له انفذ الآن الى افريقية يأتونى باخبارها فعمر القائد المركب وارسله لوقته فلما اصبحوا اذا بالمركب فى موضعه لم يبرح فقال له الملك اليس قد فعلت ما امرتك به قال نعم امتثلت امرك وانفذت المركب فرجع بعد ساعة وسيحدثك مقدم المركب فامر باحضاره فجاء ومعه رجل فقال له الملك ما منعك ان تذهب حيث امرتك فقال ذهبت فى المركب فبينا انا فى جوف الليل والرجال تقذف واذا انا بصوت يقول يا الله يا الله يا غياث المستغيثين يكررها مرارا فلما استقر صوته فى اسماعنا ناديناه مرارا لبيك لبيك وهو ينادى يا الله يا غياث المستغيثين فقدفنا بالمركب وسالناه عن حاله فقال كنا مقلعين من افريقية فغرقت سفينتنا منذ ايام فاشرفت على الموت وما زلت اصيح حتى اتانى الغوث من ناحيتكم فسبحان من اسهر سلطانا وارقه فى قصره لغريق فى البحر حتى استخرجه من تلك الظلمات الثلث ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الوحشة لا اله غيره ولا معبود سواه

قال الشاعر

فلا تجزعن ان اظلم الدهر مرة ... وان اعتكر الليل يوشك ان ينجلى

وحكى سيدى ابو بكر الطرطوشى رحمه الله فى كتاب سراج الملوك قال اخبرنى ابو الوليد الباجى عن ابى ذر قال كنت اقرأ على الشيخ ابى حفص عمر بن احمد بن شاهين رحمهم الله ببغداد حزام الحديث فى حانوته رجل يبيع العطر فبينا انا جالس معه فى الحانوت اذ جاءه رجل من الطوافين ممن يبيع العطر فى طبق يحمله فى يده فدفع اليه عشرة دراهم وقال له ادفع لى اشيا سماها له من العطر فاخذها فى طبقه ومضى فسقط الطبق من يده فانكب جميع ما كان فيه فبكى الطواف وجزع حتى رحمناه فقال ابو حفص لصاحب الحانوت لعلك تعينه على بعض هذه الاشياء فقال سمعا وطاعة فنزل وجمع له ما جمع منها ودفع له ما عدم منها فاقبل الطواف على الشيخ يصبره وقال له لا تجزع فامر الدنيا ايسر من ذلك فقال الطواف انظر ايها الشيخ ان جزعى لضياع ما ضاع لقد علم الله انى كنت فى القافلة الفلانية فضاع لى هميان فيه اربعة آلاف دينار ومعها فصوص قيمتها مثل ذلك فما جزعت لضياعه ولكن ولدلى فى هذه الليلة ولد فاحتجت فى البيت الى ما يحتاج اليه النفسا ولم يكن عندى غير هذه العشرة دراهم فخشيت ان اشترى بها حوائج النفسا فابقى بلا راس مال ولا اقدر على التكسب فقلت لنفسى اشترى بها شيا واطوف به صدر نهارى فعسى استفضل شيا اسد به رمق اهلى ويبقى راس المال التسبب فيه فلما قدر الله تعالى بضياعه جزعت وقلت ما عندى ما ارجع به اليهم ولا ما اكتسب به

ومن

وعلمت انه لم يبق الا الفراق منهم فهذا الذى اوجب جزعى قال الشيخ ابو ذر رحمه الله وكان رجل من الجند جالسا على باب داره يستمع الحديث فقال للشيخ ابى جعفر رحمه الله يا سيدى اريد ان تأتونى بهذا الرجل وتدخلوه الى منزلى فظننا انه يعطيه شيا قال فدخلنا الى منزله فاقبل على الطواف وقال له بحثت من جزعك فاعد عليه القصة فقال له الجندى وكنت فى تلك القافلة قال نعم وكان بها من التجار فلان وفلان فعلم الجندى صحة قوله فقال له وما علامة الهميان وفى اى موضع سقط منك فوصف له المكان والعلامة فقال له الجندى اذا رايته عرفته قال نعم فاخرج الجندى هميانا ووضعه بين يديه فقال هذا هميانى وعلامة صحة قولى ان فيه كيت وكيت من الفصوص ففتح الهميان فوجده كما ذكر فقال له الجندى خذ مالك بارك الله لك فيه فقال له الطواف ان هذه الفصوص قيمتها مثل الدنانير واكثر فخذها لك وانت منها فى حل ونفسى طيبة بذلك فقال له الجندى ما كنت لآخذ على امانتى مالا فدخل الطواف وهو من الفقرا وخرج وهو من الاغنيا اللهم اغفر فقرنا ويسر امورنا برحمتك يا ارحم الراحمين قال الرياشى رحمه الله ما اعترانى هم الا فانشدت قول ابى العتاهية

شعر

هى الايام والغير ... وامر الله ينتظر

اتياس ان ترى فرجا ... فاين الله والقدر

ما قلت ذلك الا سرى عنى وتنسمت ريح الفرج وقال آخر

لعمرك ما كل التعطل ضائر ... ولا كل شغل فيه للمرء منفعه

فان ضقت فاصبر يفرج الله ما ترى ... الا رب ضيق فى عواقبه سعه

ويلحق بهذا الباب ذكر شى مما جاء فى التهنية والبشاير وكتب بعضهم الى اخيه وقد اتاه خبر استبشر به سمعت عنك خبرا سار كتنفخ الالواح وامتزج بالارواح وعمر فى جملة البشاير العظام وجرى فى العروق وتمشى فى العظام وكان خالد بن عبد الله القسرى اخاها هشام بن عبد الملك من الرضاع وكان يقول له انى لارى فيك اثر الخلافة ولا تموت حتى تليها قال انا ان وليتها فلك العراق فلما ولى اتاه فقام بين الصفين فقال يا امير المومنين اعزك الله بعزته وايدك بملكته وبارك لك فيما ولاك ورعاك فيما استرعاك وجعل ولايتك على اهل الاسلام نعمة وعلى اهل الشريعة لقد كانت الولاية اليك اشوق منك اليها وانت لها ازين منها لك وما مثلك ومثلها الا كما قال الاحوص رحمه الله حيث قال

شعر

واذا الدر زان حسن وجوه ... كان للدر حسن وجهك زينا

وتزيدين اطيب الطيب طيبا ... ان تمسيه اين مثلك اينا

ودخل على المهدي رحمه الله اعرابي فقال له من انت قال انا رسول برسالة قال هاتها
قال اتاني آت في منامي فقال ائت امير المؤمنين فابلغه هذه الابيات

لكم ارث الخلافة من قريش • تزف اليكم ابدا عروسا
الى هرون تهدي بعد موسى • عيس وما لها ان لا عيسا

فقال المهدي رحمه الله يا غلام علي بالجوهر فحشي فاه حتى كاد ان ينشق ثم قال اكتبوا هذه الابيات واجعلوها في حال وصيا بنا وقال ابرهيم الموصلي رحمه الله في تهنية الرشيد بالخلافة

شعر

الم تر ان الشمس كانت مريضة • فلما اتى هرون اشرق نورها
تلبست الدنيا جمالا بملكه • فهرون واليها ويحيى وزيرها

وغناه بها من ورا حجاب فوصله بمائة الف ويحيى بخمسين الفا ودخل عطا بن ابي صيفي على يزيد رحمهما الله وهو اول من جمع بين التهنية والتعزية فقال ورثت خليفة الله واعطيت خلافة الله فقضى معاوية نحبه • يغفر الله ذنبه • ووليت الرياسة • وكنت احق بالسياسة • فاحتسب عند الله اعظم الرزيه • واشكر الله على اعظم العطية ومر عمر بن هبيرة رحمه الله بعد الطلاق من السجن بالرقة فاذا امراة من بني سليم على سطح لها تحدث جارتها ليلا وهي تقول لا والذي اساله ان يخلص عمر بن هبيرة مما هو فيه ما كان كذا فرمى اليها بصرة فيها مائة دينار وقال قد خلص الله عمر بن هبيرة فطيبي نفسا وقري عينا • وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم •

الباب الثامن والخمسون في ذكر العبيد والاماء والخدم وفيه فصلان

الفصل الاول في ذكر العبيد والاما والاستيصا بهم خيرا عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اول من يدخل الجنة شهيد وعبد احسن عبادة ربه ونصح لسيده • وكان زيد بن حارثة لخديجة رضي الله عنها اشترى لها بسوق عكاظ فوهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم فجا ابوه يريد شراه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رضي بذلك فعلت فسال زيد فقال ذل الرق مع مصاحبته احب الي من عز الحرية مع مفارقته فقال صلى الله عليه وسلم اذا اختارنا اخترناه فاعتقه وزوجه ام ايمن وبعدها زينب بنت جحش وعن علي رضي الله عنه قال كان آخر كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم وعن ابي هريرة رضي الله عنه لا يقولن احدكم عبدي وامتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اما الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي وعنه ايضا رضي الله عنه قال حدثني ابو القاسم نبي التوبة صلى الله عليه وسلم قال من قذف مملوكه بزنا وكان بريا مما قال

جلد له يوم القيمة حدا وقيل اراد رجل بيع جارية فبكت فقال لها ما لك فقالت لو ملكت منك ما ملكت مني ما اخرجتك من يدي فاعتقها وتزوجها وقال ابو اليقظان رحمه الله ان قريشا لم تكن ترغب في امهات الاولاد حتى ولدن ثلثة هم خير اهل زمانهم علي بن الحسين والقاسم بن محمد وسالم بن عبد الله رحمهم الله وذلك ان عمر رضي الله عنه اتي ببنات يزدجرد بن كسرى مسبيات فاراد بيعهن فقال له علي رضي الله عنه ان بنات الملوك لا يبعن ولكن قوموهن فقوموهن فاعطاه اثمانهن وقسمهن بين الحسين بن علي ومحمد بن ابي بكر وعبد الله بن عمر فولدن الثلثة وقيل استبق بنو عبد الملك فسبق ابن مسلمة وكان ابن امة فتمثل عبد الملك بقول عمرو العبدي رحمه الله

شعر

نهيتكم ان تحملوا هجناءكم • على خيلكم يوم الرهان فتدركوا
فتفتر كفاه ويسقط سوطه • وتخدر ساقاه فما يتحرك
وهل يستوي المرآن هذا ابن حرة • وهذا ابن اخرى ظهره متشرك

فقال مسلمة يغفر الله لك يا امير المؤمنين ليس هذا مثلي ولكن كما قال علي بن المعتمر رحمه الله

شعر

فما انكحونا طائعين بناتهم • ولكن خطبناها بارماحنا قسرا
فما زادها فينا السبا مذلة • ولا كلفت خبزا ولا طبخت قدرا
وكم ترى فينا من ابن سبيه • اذا لقي الابطال يطعنهم شزرا
ويأخذ رايات الطعان بكفه • فيوردها بيضا ويصدرها حمرا

فقبل راسه وعينيه وقال احسنت يا بني ذلك انت والله وامر له بمائة الف درهم مثل ما اخذ السابق • **الفصل الثاني في ذم العبيد والخدم** روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نعم المال في اخر الزمان المماليك وقال مجاهد رضي الله عنه اذا كثر الخدم كثرت الشياطين وقيل لبعضهم الك غلام فقال

شعر

وما لي غلام وادعو به • سوى من ابوه اخو عمتي

وقال بعضهم الحر حر وان مسه الضر والعبد عبد وان مشى على الدر ودعى بعض اهل الكوفة اخوانه وله جارية فقصرت فيما ينبغي لهم من الخدمة فانشا يقول

شعر

اذا لم يكن في منزل المرء حرة • راى خللا فيما ترى الولايد
فلا تتخذ منهن حر فخيدة • فهن لعمر الله بئس العقايد

وكان لرجل غلام من أكسل الناس فأرسله يوما يشتري عنبا وتينا فأبطأ عليه حتى عيل صبره ثم جاء بأحدهما فضربه وقال ينبغي لك إذا استقضيتك حاجة أن تقضي حاجتين فمرض الرجل فأمر الغلام أن يأتيه بطبيب فغاب ثم جاء بالطبيب ومعه رجل آخر فسأله فقال له أما ضربتني وأمرتني أن أقضي حاجتين في حاجة جئتك بالطبيب فإن رجاك والا حفر هذا قبرك فهذا طبيب وهذا حفار وقيل وكان عمرو الأعجمي رحمه الله يلي حكم السند فكتب إلى موسى الهادي رحمه الله أن رجلا من أشراف أهل السند من آل المهلب بن أبي صفرة اشترى غلاما أسود فرباه وتبناه فلما اشتد هوي مولاته فراودها عن نفسها فأجابته فدخل مولاه يوما على غفلة منه من حيث لا يعلم فإذا هو على صدر مولاته فعمد إليه فجب ذكره وتركه يتشحط في دمه ثم أدركته عليه رقة وندم على ذلك فعالجه إلى أن برئ من علته فأقام الغلام بعد هذا مدة يطلب أن يأخذ ثاره من مولاه ويدبر عليه أمرا يكون فيه شفاء قلبه وكان لمولاه ابنان أحدهما طفل والآخر يافع كأنهما شمس وقمر فغاب الرجل يوما عن منزله فأخذ الأسود الصبيين فصعد بهما على ذروة سطح عال فنصبهما هناك وجعل يعللهما بالمطعم مرة وباللعب أخرى إلى أن دخل مولاه فرفع رأسه فرأى ابنيه في شاهق مع الغلام فقال ويلك عرضت ابناي للموت قال أجل والله الذي لا يحلف العبد بأعظم منه لئن لم تجب ذكرك كما جببتني لأرمين بهما قال الله الله يا ولدي في تربيتي لك قال دع هذا عنك فوالله ما هي إلا نفسي وإني لأسمح بها من شربة ماء فجعل يكرر عليه ويتضرع له وهو لا يقبل ذلك ويذهب الوالد ليروم الصعود فيدليهما من ذلك الشاهق فقال له أبوهما ويلك فاصبر حتى أخرج مدية وأفعل ما أردت ثم أسرع وأخذ مدية فجب نفسه وهو يراه فلما رأى الأسود ذلك رمى بالصبيين من ذلك الشاهق فتقطعا وقال إن جبك لنفسك ثاري وقتل أولادك زيادة على ذلك فسلك ذلك الأسود وكتب بخبره لموسى الهادي وكتب موسى الهادي إلى صاحب السند وإلى عمرو الأعجمي بقتل الغلام وقال ما سمعت بمثل هذا وأمر بإخراج كل أسود في مملكته فما ترى أردى من العبيد ولا أقل خيرا وأكثرهم رداءة المولدين لو أحسنت إلى أحدهم الدهر كله بكل ما تصل قدرتك إليه أنكر ذلك كأنه لم ير منك خيرا قط وكلما أحسنت إليه تمرد وإن أسأت إليه خضع وقد جربت أنا ذلك كثيرا

قال الشاعر

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته ... وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

وقيل

وقيل العبد إذا شبع فسق وإذا جاع سرق وقد قلوا شر المال تربية العبيد والمولد منهم الإم من الزنوج وأردى لأن الولد لا يعرف له أب والزنجي يعرف أبويه ويقولون في المولد بغل لأنه مجنس والبغل يكون أمه فرس وأبوه حمار وبالعكس فلا تثق بمولد فقل أن يكون فيه خير وإن كان فنادر وأنا أستغفر الله العظيم لي ولوالدي ولجميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات وصلى الله على سيدنا محمد

الباب التاسع والخمسون في أخبار العرب الجاهلية وفي غرائب من عوائدهم وعجائب أمرهم وأخبارهم

للعرب غرائب وعوائد كانوا يرونها فضلا وقد دل على بعضها القرآن وأكذب الله تعالى دعاويهم بها فمن ذلك قوله تعالى ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون قال أهل اللغة البحيرة ناقة كانت إذا أنتجت خمسة أبطن وكان الآخر ذكرا بحروا أذنها أي شقوا أذنها وامتنعوا من ركوبها ولا تمنع من ماء ولا مرعى وكان الرجل إذا أعتق عبدا وقال هو سائبة فلا عقد بينهما ولا ميراث وأما الوصيلة ففي الغنم كانت الشاة إذا ولدت أنثى فهي لهم وإذا ولدت ذكرا جعلوه لآلهتهم وإن ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلا يذبحوا الذكر لآلهتهم وأما الحام فالذكر من الإبل كانت العرب إذا أنتج من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا هو حام فلا يمنع من ماء ولا مرعى ولا يحمل عليه ومن ذلك قوله تعالى إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه فالخمر ما خامر العقل ومنه سميت الخمر والميسر القمار والأنصاب حجارة كانت لهم يعبدونها وهي الأوثان والأزلام سهام كانت لهم مكتوب على بعضها أمرني ربي وعلى بعضها نهاني ربي فإذا أراد الرجل سفرا أو أمرا يهتم به ضرب بتلك القداح فإذا خرج الأمر مضى لحاجته وإن خرج النهي لم يمض ومن أمرهم أيضا وأد البنات كانوا في الجاهلية إذا رزق أحدهم أنثى وأدها وإذا بشر بها ضاق صدره وكظم وجهه وهو قوله تعالى وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم وقيل إنهم كانوا يقتلونهن خوف العار وعكرمة جبل يقال له أبو دلامة كانت قريش تئد فيه البنات وقيل إن صعصعة جد الفرزدق رحمه الله كان يشتري البنات ويفديهن من القتل كل بنت بناقتين عشراوين وجمل وفاخر الفرزدق رجلا عند بعض خلفاء بني أمية فقال أنا ابن محيي الموتى فأنكر ذلك فقال إن الله عز وجل يقول ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا وأما الرفادة في الحج فكانت خرجا

يخرجه قريش في كل موسم من أموالها الى قصي فيصنع به طعاما للحاج فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد وذلك أن قصيا فرضه على قريش فقال لهم يا معشر قريش إنكم جيران الله وأهل بيته وأهل الحرم وان الحجاج ضيوف الله وزوار بيته وهم أحق الضيف بالكرامة ٥ فاجعلوا لهم طعاما وشرابا أيام الحج حتى يصدروا عنكم ففعلوا وكانوا يخرجون ذلك كل عام من أموالهم فيدفعونه اليه **وقيل** أول من أقام الرفادة عبد المطلب وهو الذي حفر بئر زمزم وكانت مطمومة فاستخرج منها الغزالين الذهب اللذين عليهما الدر والجوهر وغير ذلك من الحلي وسبعة أسياف وخمسة أدرع سوابغ فضرب من الأسياف بابا للكعبة وجعل أحد الغزالين الذهب صفائح للباب وجعل الآخر في الكعبة

ذكر أديان العرب في الجاهلية كانت النصرانية في ربيعة وغسان وبعض قضاعة وكانت اليهودية في حمير وبني كنانة الحارث وابن كعب وكندة وكانت المجوسية في تميم منهم زرارة بن عدي وابنه علي وكان تزوج ابنته ثم ندم ومنهم الأقرع بن حابس كان مجوسيا وكانت الزندقة في قريش أخذوها من الحيرة وكان بنو حنيفة اتخذوا في الجاهلية صنما من حيس فعبدوه دهرا طويلا ثم أدركتهم مجاعة فأكلوه **وقيل** أول من غير الحنيفية عمرو بن لحي بن خزاعة وهو أنه رحل الى الشام فرأى العمالقة تعبد الأصنام فأعجبه ذلك فقال ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدون فقالوا هذه أصنام نستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا فقال أعطوني منها صنما أسير به الى أرض العرب فيعبدونه فأعطوه صنما يقال له هبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته وتعظيمه ٥ **وقيل** إن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسمعيل وسبب ذلك أنه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم وتفرقوا في البلاد إلا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم فحيثما نزلوا وضعوه وطافوا به كطوافهم بالكعبة وأفضى ذلك بهم الى أن عبدوا ما استحسنوه من الحجارة ثم خلفت الخلوف ونسوا ما كان عليه الأمم قبلهم من الضلالات وكانت قريش قد اتخذت صنما على بئر في جوف الكعبة يقال له هبل واتخذوا إسافا ونائلة على موضع زمزم فيذبحون عندها ويطعمون وكان إساف ونائلة رجل وامرأة وقع إساف على نائلة في الكعبة فمسخهما الله تعالى حجرين واتخذ أهل كل دار في دارهم صنما يتمسحون به فاذا قدم الرجل من سفره بدأ به قبل أن يدخل على أهله واتخذت العرب الأصنام وانهمكوا على عبادتها وكانت لقريش وبني كنانة العزى وكان حجابها بنو شيبان وكانت اللات لثقيف بالطائف وكان حجابها بني معتب من ثقيف وكانت مناة للأوس والخزرج ومن دان بدينهم وأما يغوث ويعوق ونسر فقيل انهم أسماء أولاد آدم عليه السلام وكانوا أتقياء عبادا فمات أحدهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فجاءهم الشيطان

نحس

نحس لهم أن يصوروا صورته في قبلة مسجدهم ليذكروه اذا نظروه فكرهوا ذلك فقال لتجعلوه في مؤخر المسجد فجعلوا وصوروه من صفر ورصاص ثم مات آخر ففعلوا كذلك الى أن ماتوا كلهم فصوروهم هنالك وأقام من بعدهم على ذلك الى أن تركوا الدين نحس لهم الشيطان عبادة غير الله تعالى فقال لولده من بعدهم إن آلهتكم المصورة في مسجدكم تعبدوها الى أن بعث الله تعالى نوحا عليه السلام فنهاهم عن عبادتها فقالوا بأخبر الله عنهم لا تذرن آلهتكم ولا تذرن ودا ولا سواعا الآية ولما علا الطوفان وطم الأرض طمها وعلا عليها التراب زمانا طويلا وأخرجها الشيطان لمشركي العرب فعبدوها **وذكر الواحدي** رحمه الله في البسيط ان هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام فسول الشيطان لقومهم بعد موتهم أن يصوروا صورهم ليكون أنشط لهم وأشوق للعبادة كلما رأوهم ففعلوا ثم نشأ بعدهم قوم جهال نحس لهم عبادتها وأن من سبقهم من قومهم عبدوها فسموها بأسمائهم **وقال الواقدي** رحمه الله كان ود على صورة فرس ونسرا على صورة نسر والله أعلم أي ذلك كان ذكرا ومن آرائهم الرتم شجر معروف كانت العرب اذا خرج أحدهم الى سفر عمد الى هذا الشجر فيعقد غصنا منه فاذا عاد من سفره ووجده قد انحل قال خانتني امرأتي وان وجده على حاله قال لم تخني والرجبية ناقة كانت العرب اذا مات واحد عقلوا ناقة عند قبره وشدوا عينيها حتى تموت يزعمون أنه اذا انبعث من قبره ركبها والفقء والتعمية كان الرجل اذا بلغت إبله ألفا فقأوا عين الفحل يزعمون أن ذلك يدفع عنها العين فاذا زادت على الألف فقأ عينه الأخرى العر داء يصيب الإبل شبه الجرب كانوا يكوون السليم ويزعمون أن ذلك يبرئ ذا العرة ضرب الثور عن البقر كانت البقر اذا امتنعت عن الشرب ضربوا الثور يزعمون أن الجن تركب الثيران فيصدوا البقر عن الشرب الهامة كانوا يزعمون أن الإنسان اذا قتل ولم يؤخذ بثأره يخرج من رأسه طائر يسمى الهامة ويصيح على قبره اسقوني اسقوني الى أن يؤخذ بثأره **وكان للعرب في الجاهلية** مذاهب في النفوس تنازعوا في كيفيتها فمنهم من زعم أن النفس هي الدم وأن الروح الهوى الذي في باطن جسم الإنسان الذي منه نفسه قالوا أن الميت لا يوجد فيه الدم وإنما يوجد في الحياة مع الحرارة والرطوبة لأن كل حي فيه حرارة ورطوبة فاذا مات ذهبت حرارته وحل به اليبس والبرد وطائفة منهم تزعم أن النفس طائر ينبسط من جسم الإنسان اذا مات أو قتل ولا يزال متصورا في صورة الطائر يصرخ على قبره مستوحشا له وفي ذلك يقول بعضهم ٥

بيت

٥ سلط الموت والمنون عليهم ٥ فلهم في صدى المقابر هام ٥

ثم جا الإسلام والعرب ترى صحة أمر الهام حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم
لا عدوى ولا صفر ولا هام وزعموا أن هذا الطائر يكون صغيرا ويكبر حتى يصير
ضربا من البوم ويتوحش ويصرخ ويوجد في الديار المعطلة والنواويس ومصارع
القتلى ويزعمون أن الهامة لا تزال عند ولد الميت ليعلم ما يكون من خبره فيخبر
الميت. الصفر زعموا أن الإنسان اذا جاع عض على شرسوفه الصفر وهو من
حية تكون في البطن يشبه الضربة زعموا أن الحية تموت في أول ضربة فاذا ثنيت
عاشت. الغيلان والغول للعرب وهم يزعمون أن الغول يتغول لهم في الخلوات
في أنواع الصور فيخاطبونها وتخاطبهم وزعمت طائفة من الناس أن الغول حيوان
مشوه وانه يخرج منفردا لم يأنس وتوحش وطلب القفار وهو يشبه الإنسان
والبهيمة ويتراءا لبعض السفار في أوقات الخلوات وفي الليل وحكي
أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رآه في سفره إلى الشام فضربه بالسيف وقال
الجاحظ الغول كل شيء يتعرض للسابلة ويتلون في ضروب الصور والثياب وفيه
خلاف قالوا انه ذكر وأنثى الا ان أكثر كلامهم أنه أنثى. وأما القطرب في قولهم
فهو نوع من الأشخاص المتشيطنة يعرف بهذا الاسم فيظهر في أكناف اليمن وأعالي
صعيد مصر وربما انه يلحق الإنسان فينكحه فيدود دبره فيموت وربما تراءى
للإنسان فقط فيسكه فيقول أهل تلك النواحي التي ذكرناها أمنكوح هو أو مذعور
فان كان قد نكحه أيسوا منه وان كان قد ذعر سكن روعه وشجع قلبه واذا
رآه الإنسان وقع مغشيا عليه ومنهم من يتظاهر له فلا يكترث به ويثبت قلبه

ذكر الهواتف

اما الهواتف فقد كثرت في العرب وكان أكثرها أيام مولد النبي صلى الله عليه وسلم
وان من حكم الهواتف أن تقيم بصوت مسموع وجسم غير مرئي ومن أعجب ما حكي من أمر
الهواتف ما حكاه أبو عمرو بن العلاء رضي الله عنه قال خرجنا حجاجا فصاحبنا رجل
وجعل يقول في طريقه ليت شعري هل بعث علي فلما انصرفنا من مكة قالها في بعض
الطريق فأجابه صوت في الظلام نعم وما تاكها جبه وهو رجل أحمر ضخم في قفاه كية
فسكت الرجل فلما صرنا إلى البصرة أخبرنا ذلك الرجل قال دخل جيراني يسلمون علي
فاذا فيهم رجل ضخم أحمر في قفاه كية فقلت لأهلي من هذا قالت رجل كان الطف
جيراننا بنا فجزاه الله خيرا فسألتها عن اسمه فقالت مجيبه فقلت الحقي بأهلك وأما
بكا المقتول فكانت النسا لا يبكين المقتول حتى يؤخذ بثاره فاذا أخذ بثاره بكينه
وأما رمي السن فكانوا يزعمون أن الغلام اذا اثغر فرمى سنه في عين الشمس لسا

والهامه

والهامه وقال أبدلني أحسن منها فانه يأمن على أسنانه من العوج والفلج وأما
خضاب النحر فكانوا اذا أرسلوا الخيل على الصيد فسبق واحد منها خضبوا صدره
بدم ذلك الصيد علامة. وأما نصب الراية فكانت العرب تنصب الرايات على أبواب
بيوتها لتعرف بها. وأما جز النواصي فكانوا اذا أسروا رجلا ومنوا عليه وأطلقوه
جزوا ناصيته. وأما الالتفات فكانوا يزعمون أن من خرج في سفر والتفت وراءه
لم يتم سفره فان التفت تطيروا له وكانوا يقولون من علق عليه كعب الأرنب لم تصبه عين
ولا سحر وذلك أن الجن تهرب من الأرنب لأنها تحيض وليست من مطايا الجن ويزعمون أن
المرأة اذا أحبت رجلا وأحبها ثم لم تشق عليها رداءه فسد حبهما ويزعمون أن الرجل
اذا دخل قرية فخاف وباها فوقف على بابها ونهق كما ينهق الحمار لم يصبه وباها وزعموا
أن المرقوص وهو دويبة أكبر من البرغوث يدخل فروج الأبكار فيفتضهن ويزعمون
أن الرجل اذا ضل فقلب ثيابه اهتدى ويزعمون أن الناقة اذا نفرت وذكروا اسم
أمها لها سكنت وكانت لهم خرزة يزعمون أن العاشق اذا حكها وشرب ما يخرج منها صبر
وتسمى السلوان. ونكاح المقت من سنتهم وهو أن الرجل اذا مات قام ولده الأكبر
فالقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها فان لم يكن له بها حاجة زوجها بعض اخوانه
بمهر جديد وكانوا يرثون النكاح كما يرثون المال ولهم حكايات عجيبة وأحوال
غريبة ذميمة والله أعلم. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

الباب ـــــ الستون في الكهانة والقيافة والعرافة والفال والطيرة والفراسة والنوم والرؤيا

أما الكهانة فكانت فاشية في الجاهلية حتى جاء الإسلام فلم تسمع بعدها وكان ذلك من
معجزات النبوة وآياتها وللكهنة أخبار فمنهم سطيح وورد عليه عبد المسيح وهو يعالج الموت
وأخبره بما جاءه لأجله وذلك أن الموبذان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت
دجلة وانتشرت في بلادها فلما أصبح أعلم كسرى بذلك فتصبر كسرى تشجعا ثم رأى
أن لا يكتم ذلك عن وزرائه فلبس تاجه وقعد على سريره وجمع وزراءه وأخبرهم بالخبر
فبينما هم كذلك اذ ورد عليهم كتاب بخمود النار فازدادوا غما إلى غمهم فكتب كسرى
كتابا إلى النعمان بن المنذر رحمه الله أما بعد فوجه إلي رجلا عالما بما أريد أن أسأله عنه
فوجه اليه عبد المسيح الغساني فقال له كسرى أعندك علم بما أريد أن أسألك عنه
قال ليخبرني الملك فان كان عندي منه علم والا أخبرته بمن يعلمه له فأخبره بما رآه الموبذان
فقال علم ذلك عند خال لي يسكن مشارف الشام يقال له سطيح قال فأته واسأله عما

سالملك واتني بالجواب فركب عبد المسيح وتوجه الى سطيح فوجده قد اشرف على الموت
فسلم عليه وحياه ولم يخبره عبد المسيح بما جا بسببه غير انه انشده شعرا يذكر فيه انه جا
برسالة من قبل العجم ولم يذكر له السبب فرفع راسه وقال عبد المسيح على جمل
يسيح الى سطيح بعثك ملك بني ساسان لارتجاس الايوان وخمود النيران ورؤيا
الموبدان رأى ابلا صعابا تقود خيلا عرابا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها
يا عبد المسيح اذا كثرت التلاوة وفاض وادي سماوه وغاضت بحيرة ساوه وخمدت
نار فارس فليس الشام لسطيح شاما فيرتفع امر العرب واظن اوان ولادة محمد عليه السلام
قد اقترب فسار عبد المسيح الى راحلته وعاد فاخبر كسرى بذلك من ساعته وحكي
ان ربيعة بن نصر اللخمي رحمه الله رأى مناما هاله فاراد تفسيره فقال له اهل مملكته ما
يفسره لك الا شق وسطيح فاخبرها وقال لسطيح اني رايت مناما هالني فان عرفته
فقد اصبت تفسيره فقال رايت جمجمة خرجت من ظلمه فوقعت بارض تهمة فاكلت منها كل
ذات جمجمة فقال له الملك ما اخطات شيا فما تفسيره قال ليهبطن بارضكم الحبشة
وليملكن ما بين ابين وجرش فقال الملك ان هذا لغائظ فمتى هو كائن في زماني ام بعده
فقال بل بعده بحين باكثر من ستين او سبعين تمضي من السنين ثم تقتلون بها اجمعين
ويخرجون منها هاربين قال ومن ذا الذي يملك بعدهم قال ارم ذي يزن يخرج
عليهم من عدن فما يترك منهم احدا باليمن قال الملك فيدوم ذلك ام ينقطع قال
بل ينقطع قال ومن يقطعه قال نبي زكي ياتيه الوحي من العلي قال وممن يكون هذا
النبي قال من ولد عدنان بن فهر بن مالك بن النضر يكون في قومه الملك الى آخر الدهر
قال وهل للدهر من آخر قال نعم يوم يجمع فيه الاولون والآخرون ويسعد فيه المحسنون
ويشقى فيه المسيئون فقال احق ما تخبر فقال والشفق والقمر اذا اتسق ان ما
نبأتك به لحق قال ثم دعي شق فقال مثل ما قال سطيح ومن ذلك ما حكي ان
امية بن عبد شمس دعى هاشم بن عبد شمس رحمه الله الى المفاخرة فقال افاخرك على خمسين ناقة
سود الحدق تنحر بمكة فرضي امية بذلك وجعلا بينهما الخزاعي الكاهن فجعوا له شيا
وخرجا اليه ومعهما جماعة من قومهما فقالوا له خبانا لك خبا فان علمته تحاكمنا اليك وان
لم تعلمه تحاكمنا الى غيرك فقال لقد خبأتم لي كيت وكيت قالوا صدقت احكم بين هاشم
عبد مناف وبين امية بن عبد شمس ايهما اشرف نسبا ونفسا فقال والقمر الباهر
والكوكب الزاهر والغمام الماطر وما في الجو من طائر وما اهتدى علم مسافر لقد سبق
هاشم امية الى المآثر اولا منه وآخر فاخذ هاشم الابل ونحرها واطعمها من حضر وخرج
امية الى الشام واقام بها عشر سنين ويقال انها اول عداوة وقعت بين بني هاشم وبين

بني امية وحكي ان هند بنت عتبة بن ربيعة كانت عند الفاكه من فتيان قريش
وكان له بيت ضيافة خارجا عن البيوت يغشاه الناس من غير اذن فخلا البيت ذات يوم
واضطجع فيه هو وهند ثم نهض لحاجته فاقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولجه فلما رأى هند
ولى هاربا فنظره الفاكه فدخل عليها فضربها برجله وقال لها من هذا الذي خرج من عندك
قالت ما رايت احدا قط وما انتبهت حتى نبهتني فقال ارجعي الى بيت ابيك وتكلم
الناس فيها فقال ابوها يا بنيه ان الناس قد اكثروا فيك فان يكن الرجل صادقا دسست عليه
من يقتله لينقطع كلام الناس وان يك كاذبا حاكمته الى بعض كهان اليمن فقالت له والله ما هو
على بصادق فقال له يا فاكه انك قد رميت ابنتي بامر عظيم فحاكمني الى بعض كهان اليمن
فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم وخرج ابوها في جماعة من بني عبد مناف ومعهم هند ونسوة
فلما شارفوا البلاد وقالوا غدا نرد على الرجل تغيرت حالة هند فقال لها ابوها اني ارى حالك
قد تغير وما هذا الا لمكروه عندك فقالت لا والله ولكني اعرف انكم تاتون بشرا يخطي ويصيب
ولا آمنه يسمني ميسما يكون علي سبة فقال لا تخشي فسوف اختبره فصفر لفرسه حتى ادلى
ثم ادخل في احليله حبة حنطة وربطه فلما اصبحوا قدموا على الرجل فاكرمهم ونحر لهم
فلما تغدوا قال له عتبة قد جئناك في امر وقد خبانا لك خبية نختبرك بها قال
ثمرة في كمرة قال اريد ابين من هذا قال حبة بر في احليل مهر قال انظر في امر هولاء
النسوة فجعل يأتي كل واحدة منهن ويضرب بيده على كتفها ويقول انهضي حتى بلغ هند فقال
لها انهضي غير رسحا ولا زانية وستلدين ملكا اسمه معاوية فنهض اليها الفاكه فاخذ
بيدها فجذبت يدها من يده وقالت اليك عني فوالله لاحرص ان يكون من غيرك فتزوجها
ابو سفيان فولدت منه امير المؤمنين معاوية رضي الله عنه واما القيافة فهي علم ضربين
قيافة البشر وقيافة الاثر فاما قيافة البشر فالاستدلال بصفات الاعضاء على الانسان
ويختص بقوم من العرب بنو مدلج يعرض على احدهم مولود في عشرين نفرا فيلحقه باحدهم حكي
عن بعض ابنا التجار انه كان في بعض اسفاره راكبا على بعير يقوده غلام اسود فمر بقوم من
القسلة فنظر اليه واحد منهم وقال ما اشبه الراكب بالقائد قال ولد التاجر فوقع في نفسي
من ذلك شي فلما رجعنا الى امي ذكرت لها القصة فقالت يا ولدي ان ابوك كان شيخا
ذو مال ولم يكن له ولد فخشيت ان يفوتنا ماله فمكنت هذا الغلام من نفسي فحملت بك ولولا
ان هذا شي ستعلمه في دار الآخرة لما اعلمتك به في الدنيا واما قيافة الاثر
فالاستدلال بالاقدام والحوافر والخفاف وقد اختص به قوم من العرب ارضهم ذات
رمل اذا هرب منهم هارب او دخل عليهم سارق تتبعوا آثار قدمه حتى يظفروا به ومن
العجب انهم يعرفون قدم الشاب من الشيخ والمراة من الرجل والبكر من الثيب والغريب من

المستوطن ويذكرون ان في فطرنا وتحرا البرلس اقوام بهذه الصفة وقد وقعت من
قريش حين خرج النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر الى الغار على صخر صلد واحجار صم
ولا طين ولا تراب تبان فيه الاقدام فحجبه الله تعالى عن نبيه صلى الله عليه وسلم بما
كان من نسج العنكبوت وما لحق القايف من الحيرة وقوله الى ههنا انتهت الاقدام هذا
ومعهم الجماعة من قريش وابصارهم سليمة ولولا ان هناك لطيفة لا تساوي الناس فيها
بعني علمها الا اسنا ثم تعلم ذلك طايفة دون اخرى **واختلف** رجلان من القافة
في اثر بعير وهما بين مكة ومنى فقال احدهما هو جمل وقال الاخر هو ناقة وقصدا اتتبع
الاثر حتى دخلا شعب بني عامر فاذا البعير واقف فقال احدهما لصاحبه اهو هذا اول
ثم وجداه خنثى فاذا باجمعا ومنهم من كان يخط في الارض ويقول فيوافق قوله ما
ياتي بعد **وقال** رجل شردت لي ابل فخبئت الى حراش فسالته عنها فامر ابنته ان تخط
في الارض فخطت ثم قامت فضحك حراش وقال اتدري قيامها لاي شي قلت لا قال
علمت انك تجد ابلك وتتزوجها فاستحييت ثم خرجت فوجدت ابلي ثم تزوجتها
وخرج عمرو بن عبد الله بن معمر رحمه الله ومعه مالك بن حراش الخزاعي غاز بين فمرا
بامراة وهي تخط للناس في الارض فضحك منها مالك هزوا فقالت اما والله لا تخرج
من مجلسنا حتى تموت ويتزوج عمرو هذا زوجتك فكان كما ذكرت

واما الزجر والعرافة

فاحسنه ما روي ان كسرى ابرويز بعث الى النبي صلى الله عليه وسلم حين بعث زاجرا
ومصورا وقال للزاجر انظر ما ترى في طريقك وعنده وقال للمصور ايتني بصورته
فلما عادا اليه اعطاه المصور صورته عليه السلام فوضعها كسرى على وسادته ثم قال
للزاجر ما رايت قال ما رايت ما ازجر به الا انه سيعلو امره عليك لانك وضعت
صورته على وسادتك **وبعث صاحب الروم** الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال انظر
اليه وملء الى جانبه وانظر ما بين كتفيه حتى ترى الخاتم والشامه فقدم الرسول
فراى النبي صلى الله عليه وسلم على نشز عال واضع قدميه في الماء وعن يمينه علي رضي الله عنه
فلما راه عليه السلام قال له تحول وانظر ما امرت به فنظر الرسول فلما رجع الى صاحبه
اخبره بالخبر فقال ليعلون امره وليملكن ما تحت قدمي فتفاءل في النشز بالعلو وبالماء
بالحيوة **قال المدايني** رحمه الله وقع الطاعون بمصر في ولاية عبد العزيز بن مروان
رحمه الله فخرج هاربا ونزل بقرية من قرى الصعيد فقدم عليه حين نزلها رسول
لعبد الملك بن مروان رحمه الله فقال للرسول ما اسمك قال طالب بن مدرك فقال
اوه ما اظنني ارجع الى الفسطاط فمات ولم يرجع وكانت نابلة بنت عماد الكلبي رحمها الله

تحت معاوية فقال لفاختة بنت قرظة اذهبي فانظري اليها فذهبت ونظرت فقالت
له ما رايت مثلها ولكني رايت تحت سرتها خالا ليوضعن معه راس زوجها في حجرها
فطلقها معاوية فتزوجها بعده رجلان حبيب بن مسلمة والنعمان بن بشير رحمهما الله فقتل
احدهما ووضع راسه في حجرها **وبينما** مروان بن محمد رحمه الله جالس في ايوانه اذ
انصدعت زجاجة من قمرية فوقعت منها الشمس على منكب مروان وكان هناك عراف فقام
فاتبعه ثوبان مولى مروان فساله فقال صدع الزجاج صدع السلطان سنذهب الشمس
على مروان بقوم من الترك او خراسان ذلك عندي واضح البرهان فما مضى غير شهر بن
حتى مضى ملك مروان **وحكي** ان الاسكندر رحمه الله ملك بعض البلاد ودخل فيها فوجد
امراة تنسج ثوبا فلما راته قالت ايها الملك قد اعطيت ملكا ذا طول وعرض ثم دخل
عليها بعد ذلك فقالت ستعزل من الملك فغضب عند ذلك فقالت لا تغضب فانك
في المرة الاولى دخلت علي والسقفة بيدي اذ برطولها وعرضها ودخلت علي الان
والسقفة اريد قطعها لاني قد عرفت ذلك من نسجها فلا تغضب فان النفوس تعلم اشيا
بعلامات قال الراوي كذلك كان كما قالت **وحكي** ان سيف بن ذي يزن رحمه الله
لما استنجد كسرى على قتال الحبشة بعث اليه جيش عظيم فخرج اليهم ملك الحبشة وهو
مسروق بن ابرهة في مائة الف من الحبشة وكان بين عينيه ياقوتة حمرا بعلاقة من
الذهب في تاجه تضي كالنار وهو على فيل عظيم قال وكان في عسكر ابن ذي يزن رجل
يقال له زهير فتامل ذلك منه ثم قال للامير اصبر لننظر ما يكون من امره **قال**
فتحول مسروق من الفيل الى الجمل ثم تحول الى فرس ثم الى بغل ثم الى حمار وكانه استعار ان
يقاتلهم الا على حمار لما انه استصغرهم واستحقرهم وتفرس ذلك الرجل فيه الانتقال
من اعلى الى ادنى وقال احملوا عليهم فان ملكهم قد ذهب فانه انتقل من كبير الى صغير فحملوا
عليهم فكسروهم وقتل الملك **وحكي** انه كان عراف من الطرفين ببغداد يخبر بما
يسال عنه فلم يخط قال فساله رجل عن شخص محبوس هل يتخلص قال نعم ويخلع عليه قال فقلت
له باي شي عرفت ذلك قال فانك لما سالتني التفت يمينا وشمالا فوجدت رجلا على ظهره
قربة مملوة ففرغها ثم حملها على كتفه فاولت الماء بالمحبوس وتفريغه بالانطلاق ووضعها
على كتفه بالخلعة وكان الامر كذلك **واما الفال** فقد روي ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما نزل المدينة على كلثوم دعا غلامين له يا بشار يا سالم فقال صلى الله عليه وسلم
لابي بكر رضي الله عنه سلمت لنا الدار **وقال** الاصمعي رحمه الله سالت ابن عوف رحمه الله
عن الفال فقال هو ان يكون مريضا فيسمع يا سالم او طالب حاجة فيسمع يا واجد او ما اشبهه
واما الطيرة فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الفال ويكره الطيرة وقيل ذكرت الطيرة

عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من عرض له من هذه الطيرة شيء فليقل اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ولا حول ولا قوة الا بالله وعنه صلى الله عليه وسلم ليس منا من تطير او تطير له او تكهن او تكهن له وعن ابن عباس رضي الله عنه رفعه من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر وعن ابي هريرة رضي الله عنه رفعه من اتى كاهنا فصدقه بما يقول او اتى امرأته حائضا او اتى امرأته في دبرها فقد برئ مما نزل على محمد عليه السلام • وانشد المبرد رحمه الله يقول

شعر

لا يعلم المرء ليلا ما يصبحه • الا كواذب ما يجري به الفال
والفال والزجر والكهان كلهم • مضللون وذو الغيب افعال

وقال لبيد رحمه الله

بيت

لعمري ما يدري الطوارق بالحصا • ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وقال آخر

تعلم انه لا طير الا • على متطير وهو الثبور
بلى شيء يوافق بعض شيء • احايينا وباطله كثير

وكانت العرب اذا ارادوا سفرا خرجوا في الغلس والطير في اوكارها على الشجر فيطيرونها فان اخذت يمينا ساروا وان اخذت يسارا ساروا يسارا ومنه قول امرئ القيس رحمه الله يمينا

شعر

وقد اغتدي والطير في وكناتها • بمنجرد قيد الاوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا • كجلمود صخر حطه السيل من عل

والعرب اكثر ما يتطيرون بالغراب فالقول فيه اكثر من ان يطلب عليه شاهد ويسمونه حاتما لانه يحتم عندهم بالفراق ويسمونه الاعور على جهة التطير اذ كان هو اصح الطير بصرا

وفيه يقول بعضهم

اذا ما غراب البين صاح فقل له • ترفق رماك الله بالطير بالبعد
لانت على العشاق اقبح منظرا • واشنع في الابصار من رؤية اللحد
تصيح ببين ثم تخبر ما شيا • وتبرز في ثوب من الحزن مسود
متى صحت صح البين وانقطع الرجا • كانك من يوم الفراق على وعد

واعرض بعضهم عن الغراب وتطير بالابل لكونها تحمل من ارتحل وفي ذلك قال بعضهم واجاد

بيت

زعموا بان مطيهم سبب النوى • والمؤذنات بفرقة الاحباب

وقالوا من تطير من شيء وقع فيه وحكي عن ابراهيم المهدي رحمه الله انه ارسل الى محمد بن زبيدة رحمه الله في ليلة من ليالي الصيف مقمرة يقول لي يا عم اني مشتاق اليك فاحضر الآن عندنا فجئته وقد بسط له على سطح زبيدة وعنده سليمان بن ابي جعفر رحمه الله وجاريته ثم قال لها غنينا شيئا فقد سررت بحضور عمي فغنت وقالت

شعر

هم قتلوه كي يكونوا مكانه • كما فعلت يوما بكسرى مرازبه
بني هاشم كيف التواصل بيننا • وعند اخيه سيفه ونجائبه

قال فغضب وتطير وقال لها ويلك يا فاعلة انتهي وغنيني ما يسرني فغنت تقول

بيت

كليب لعمري كان اكثر ناصرا • وايسر جرما منك ضرج بالدم

فقال ويلك ما هذا الغناء في هذه الليلة غنيني غير هذا فغنت تقول

شعر

ما زال يعدو عليهم ريب دهرهم • حتى تفانوا وريب الدهر غدار
تبكي فراقهم عيني فأرقها • ان التفرق للمشتاق نكار

قال فانتهرها وقال قومي الى لعنة الله فقالت والله لم يجر على لساني غير هذا وما ظننته الا انك تحبه ثم انها قامت من بين يديه وكان بين يديه قدح بلور كان اباه يحبه فاصابه طرف ردائها فانكسر قال ابراهيم بن المهدي فالتفت الي وقال يا عم ان هذا آخر امري فقلت كلا بل يبقيك الله يا امير المؤمنين ويسرك فسمعت هاتفا يهتف ويقول قضي الامر الذي فيه تستفتيان فقال لي اسمعت ما سمعت يا عم فقلت ما سمعت شيئا وما هذا الا توهم فاذا الصوت قد علا فقال يا عم اذهب الى بيتك فمحال ان يكون بعدها اجتماع فانصرفت وكان آخر عهدي به وخرج ابو الشمقمق مع خالد بن يزيد رحمهم الله وقد تقلد الموصل فلما اراد الدخول اليها اندق لواؤه في اول درب منها فتطير لذلك وانشد الشمقمق يقول

شعر

ما كان مندق اللواء لريبة • تخشى ولا امر يكون مبدلا
لكن هذا الرمح ضعف متنه • صغر الولاية فاستقل الموصلا

فسري عن خالد رحمه الله وامر لابي الشمقمق بعشرة آلاف درهم ودخل الحجاج الكوفة متوجها الى عبد الملك فصعد المنبر فانكسرت تحت قدمه درجة فعلم انهم قد تطيروا له بذلك فالتفت الى الناس قبل ان يحمد الله تعالى وقال شاهت الوجوه وتبت الايدي وبئتم بغضب من الله ان انكسر عود خروع منخرق تحت قدم اسد شديد تفاءلتم بالشؤم واني على اعداء الله لا اذكر من الحراك لا بقع واشأم من يوم نحس مستمر واني لاعجب من لوط

وقومه لقول لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد فأني دكن أشد من الله تعالى وما علمتم ما أنا عليه من التوجه إلى أمير المؤمنين فقد وليته عليكم أخي محمد بن يوسف وأمرته بخلاف ما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذاً في أهل اليمن فإنه أمره أن يحسن إلى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم وقد أمرته أن يسيء إلى محسنكم وأن لا يتجاوز عن مسيئكم وأنا أعلم أنكم تقولون بعدي لا أحسن الله له الصحابة وأنا معجل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم **وخرج بعض ملوك الفرس** إلى الصيد فأول من استقبله أعور فضربه وأمر بحبسه ثم ذهب إلى الصيد فاصطاد صيداً كثيراً فلما عاد دعي بالأعور وأمر له بمال فقال لا حاجة لي به ولكن ائذن لي في الكلام فقال له تكلم فقال أيها الملك إنك تلقيتني فضربتني وحبستني وتلقيتك فصدت وسلمت فأينا أشأم صباحاً على صاحبه فضحك منه وأمر له بصلة **وحكي** أن نور الدين محمود وهمام الدين رحمهما الله ركبا في يوم عيد وخرجا للتفرج فتجاذبا الكلام ثم قال محمود يا من درى هل نعيش إلى مثل هذا اليوم فقال له همام الدين قل هل نعيش إلى آخر هذا الشهر فإن العام كثير قال فأجرى الله تعالى على منطقهما ما كان مقدراً في الأزل فمات أحدهما قبل تمام الشهر والآخر قبل تمام العام **وأما الفراسة** فقد قال الله تعالى إن في ذلك لآيات للمتوسمين **وقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله **وقال** علي رضي الله عنه ما أضمر أحد شيئاً إلا ظهر في فلتات لسانه وصفحات وجهه **وحكي** أن الشافعي ومحمد بن الحسن رضي الله عنهما رأيا رجلاً فقال أحدهما إنه نجار وقال الآخر إنه حداد ثم سألاه عن صنعته فقال كنت حداداً وأنا الآن نجار **وقال** الحسن بن السني رحمه الله من موالي بني سليم ولم يكن في الأرض أحد رمنه كان ينظر إلى السفينة فيحزر ما فيها فلا يخطي وكان حزره للمكيول والموزون والمعدود سوا يقول في هذه الرمانة كذا وكذا حبة ووزنها كذا ويأخذ العود الأشر فيقول فيه كذا وكذا ورقة فلا يخطي **وقالوا** إذا رأيت الرجل يخرج بالغداة ويقول ما عند الله خير وأبقى فاعلم أنه في جواره وليمة لم يدع إليها وإذا رأيت قوما يخرجون من عند قاض وهم يقولون وما شهدنا إلا بما علمنا فاعلم أن شهادتهم لم تقبل وإذا قيل للمتزوج صبيحة البنا على أهله كيف ما قدمت عليه فقال الصلاح خير من كل شيء فاعلم أن امرأته قبيحة وإذا رأيت إنساناً يمشي ويلتفت فاعلم أنه يريد أن يحدث وإذا رأيت فقيراً يعدو فاعلم أنه في حاجة غني وإذا رأيت خارجاً من عند الوالي وهو يقول يد الله فوق أيديهم فاعلم أنه صفع **وقال** بعض المؤلفين **وكانوا يقولون** عظم الجبين يدل على البله وعرضه يدل على قلة العقل وصغره يدل على

لطف الحركة وإذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد والعين المتوسطة في حجمها دليل على الفطنة وحسن الخلق والمروة والتي يطول تحديقها يدل على الحمق والتي يكثر طرفها يدل على خفة وطيش والشعر على الأذن يدل على جودة السمع والأذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان **وكانت الفرس** تقول إذا فشى الموت في الوحوش دل على ضيقة وإذا فشى في الفار دل على الخصب وإذا نعق غراب فجاوبته دجاجة عم الخراب وإذا قوقت دجاجة فجاوبها غراب خرب العمران والله تعالى أعلم بكل شيء عالم الغيب لا يظهر على غيبه أحداً **وأما النوم والسهر وما جا فيهما** فقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أشراف أمتي حملة القرآن وأصحاب الليل **وروي** أن أم سليمان بن داود عليه السلام قالت يا بني إياك لا تكثر النوم فإن صاحب النوم يجي يوم القيامة مفلساً وكان زمعة بن صالح رحمه الله يصلي ليلاً طويلاً فإذا أسحر نادى أهله يا أيها الركب المعرسونا أكل هذا الليل ترقدونا فيتواثبون بين باك وداع ومتوضي فإذا أصبح نادى عند الصباح يحمد القوم السرى وأنشدوا في ذلك

شعر

يا أيها الراقد كم ترقد ... قم يا حبيبي قد دنا الموعد
وخذ من الليل وساعاته ... حظاً إذا ما هجع الرقد
من نام حتى ينقضي ليله ... لم يبلغ المنزل أو يجهد
قل لذوي الألباب أهل التقى ... قنطرة الحشر لكم موعد

وقيل إن نومة الضحى تورث الغم الخلوف وتورث الخبال وأنشدوا **بيت**

ألا إن نومات الضحى تورث الفتى ... خبالاً ونومات العصر جنون

وعن العباس بن عبد المطلب رحمه الله أنه مر بابنه وهو نائم نومة الضحى فركزه برجله وقال قم لا أنام الله عينك أتنام في ساعة يقسم الله الرزق فيها بين عباده أو ما سمعت ما قالت العرب إنها مكسلة مهزلة منساة للحاجة والنوم على ثلثة أقسام نومة الخرق ونومة الخلق ونومة الحمق فنومة الخرق نومة الضحى ونومة الخلق هي التي أمر النبي صلى الله عليه وسلم بها أمته فقال قيلوا فإن الشياطين لا تقيل ونومة الحمق النومة بعد العصر لا ينامها إلا سكران أو مجنون **وقال** الثوري رحمه الله لطبيب دلني على شيء إذا أردت النوم جاني فقال أدهن رأسك وأكثر من ذلك **وقال أبو دلف رحمه الله**

أما لكن ردي علي رقاديا ... ونومي فقد شردته عني وسانيا
إنما تتقين الله في قتل عاشق ... أمت الكراعنه فأحيي اللياليا

وقال أبو تمام الثقفي رحمه الله **بيت**

رقدت رقاد الهم حتى لو انني ... يكون رقادي نخبا لغفلت

تقتل لمن هذا فقال لرقاد من رقاد الحرب وقيل ان نوم عمود بضرب باهله وقال الابيوردي
لا علم كيف تبدلوني اذا امت ضحى ونام مرندب واذابه قدمات **واما الرؤيا**
فقد قيل فيها اقاويل وهو انهم قالوا ان النوم هو اجتماع الدم وحدوده الى الكبد
ومنهم من زعم ان ما يراه الانسان في نومه من الخواطر انما هو من الاطعمة والاغذية والطبائع
وذهب جمهور الاطبا الى ان الاحلام من الاخلاق وان ذلك بقدر مزاج كل واحد منهما
وقوته والذي تغلب عليه الصفرا يرى عورا وعيونا ومياها كثيرة ويرى انه يسبح ويصيد
سمكا ومن غلب على مزاجه السودا راى في منامه احداثا واموانا ملتفين بسواد ويرى
واشيا مفزعة ومن غلب على مزاجه الدم راى الخمر والرياحين وانواع الملاهي والثياب المصبغة
والذي يقع عليه التحقيق كمال الرؤيا الصالحة كما قدمنا انها جزء من ستين جزا من النبوة ۞
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اول ما بدي به الوحي الرؤيا الصادقة وكان لا يرى
رؤيا الا جاءت مثل فلق الصبح والرؤيا على ضربين فمنهم من يرى الرؤيا فتجي على حالها
لا تزيد ولا تنقص ومنهم من يرى الرؤيا في صورة مثل ضرب فمن ذلك ما حكي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه راى في الجنة عزقا فقال لمن هذه فقيل لابي جهل فقال عليه السلام ما لابي جهل
والجنة والله لا يدخلها ابدا فاتاه ولده عكرمة مسلما فتاوله به وكذلك تاول
في قتل الحسين لما راى ان كلبا ابقع يلغ في دمه وكان ذلك بعد رؤياه عليه السلام
بخمسين عاما وكذلك قال لابي بكر رايت اني رقيت انا وانت درجا فسبقتك بدرجتين
ونصف فقال ابو بكر رضي الله عنه يا رسول الله اقبض بعدك بسنتين ونصف فكان كذلك
ورات عايشة رضي الله عنها سقوط ثلثة اقمار في حجرتها فاولهم ابوها رضي الله عنه
بموت النبي صلى الله عليه وسلم وموته وموت عمر رضي الله عنه ودفنهم في حجرتها وكان الامر
كذلك **وحكي** ان الشافعي رضي الله عنه لما حملت به امه رات كان المشتري خرج
من فرجها وانقض بمصر ثم تفرق في كل بلد قطعة فاولت بعالم يكون بمصر وينتشر علمه باكثر
البلاد وكان كذلك **وحكي** ايضا ان عاملا اتى عمر رضي الله عنه فقال كاني رايت الشمس
والقمر فقال له عمر مع من كنت قال مع القمر فقال مع الاية الممحوة فقال والله لا وليت لي
عملا ثم اتفق انه ما وقع بينه وبين معاوية ما وقع فكان ذلك مع معاوية **واما من مهر**
في تعبير الرؤيا فهو ابن سيرين جاءه رجل فقال له رايت كاني اسقي شجرة زيتون زيتا
فاستوى جالسا وقال ما الذي تحتك قال علجة اشتريتها وانا اطاها فقال ان كانت
تكون امك فكشف عنها فوجدها امه وجاءه رجل فقال رايت ان في يدي خاتم اختم به
فروج النسا وافواه الرجال فقال له انت مؤذن تؤذن في الليل فتمنع الرجال من الاكل
والنسا من الوطي وجاءه رجل فقال رايت جارة لي قد دعت في بيت من دارها فقال

هي

هي امراة نكحت في ذلك البيت وكانت امراة لصديق ذلك الرجل فاغتم لذلك ثم
بلغه ان الرجل قدم في تلك الليلة وجامع زوجته في ذلك البيت وجاءه رجل ومعه
جراب وقال له رايت في النوم الرف فسدا شديدا فقال له انت رايت هذا
قال نعم فقال لمن حضر ينبغي ان يكون هذا الرجل يخنق الصبيان وينبغي ان يكون في
جرابه آلة الخنق فوثبوا الى الجراب فوجدوا فيه اوتارا وحلقا فسلموه الى السلطان
وجاته امراة وهو يتغدى فقالت رايت في النوم كان القمر دخل في الثريا ومناد ينادي
من خلفي ان ائت ابن سيرين فقصي عليه فتقلصت يده وقال لها ويلك كيف رايت هذا فاعادت
عليه فقال لاخته هذه تزعم اني اموت بسبعة ايام وجاءه رجل وقال رايت كاني اخذ
البيض واقشره فاكل بياضه والقي صفاره فقال ان صدق منامك فانت نباش الموتى
فكان كذلك **وقيل** ان ابن سيرين راى الجوزا قد تقدمت الثريا فجعل يوصي ويقول
يموت الحسن واموت بعده وهو اشرف مني فمات الحسن ومات بعده بمائة يوم **وحكي**
ان رجلا راى عيسى عليه السلام فقال يا نبي الله صلبك حق قال نعم فعبره على بعضهم
فقال كذب رؤياك بقوله تعالى وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم هو عائد على الراي
فكان كذلك وراى ذو الرمة بنت مغيث اتت في المنام فقال ابشري بولد اشد شي
بالاسد اذا الرجال في كبد فغالبوا على بلد كان له حظ الاسد فولدت المختار بن ابي عبيد
رحمه الله في عام الهجرة **وقال** رجل لسعيد بن المسيب رحمه الله رايت كاني بلت
خلف المقام اربع مرات قال كذبت لست صاحب هذه الرؤيا قال هو عبد الملك
قال يلي اربعة من صلبه الخلافة **وقال** الشافعي رايت عليا رضي الله عنه في المنام
فقال ناولني كمك فناولته اياها فاخذها ونثرها فاصبحت اخا كآبة فاتيت الجعد
رحمه الله فاخبرته فقال سيرفع الله شانك ويرفع علمك **وعن** ابن مسعود رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال من راني في منام فقد راني فان الشيطان لا يتمثل بي **وجا**
رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رايت كان راسي قد قطع وانا انظر اليه فضحك
عليه السلام وقال باي عينين كنت تنظر راسك فلم يلبث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
توفي واولوا راسه نبيه ونظره اليه اتباع سنته **وقال** رجل ليحيى بن الحسن رضي
الله عنه رايت كاني ابول في يدي فقال تحتك محرم فنظروا فاذا بينه وبين امراته رضاع
وقال ابو حنيفة رضي الله عنه رايت كاني نبشت قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ۞
فضممت عظامه الى صدري فهالني ذلك فسالت ابن سيرين فقال ما ينبغي لاحد من هذا
الزمان يرى هذه الرؤيا فقلت انا رايتها قال ان صدقت رؤياك لتحيين سنة نبيك
وعن النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا بشارة للمؤمن عاله عند الله من الكرامة في الدنيا والآخرة

وعن ابن عمر رضي الله عنه قال تضرعت الى ربي سنة ان يريني ابي في النوم حتى رايته
وهو يمسح العرق عن جبينه فسالته فقال لولا رحمة الله لهلك ابوك انه سالني عن
عقال بعير للصدقة فسمع بذلك عمر بن عبد العزيز رحمه الله فصاح وضرب بيديه على
راسه وقال فعل هذا بالتقي الطاهر فكيف يابن المترف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم
ورضي عنا بهم امين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

الباب الحادي والستون في الحيل والخدايع والتوصل بها الى بلوغ المقاصد والسقط والتقصير

الحيلة من فوايد الآراء المحكمة وهي حسنة ما لم يستباح بها محظورا وقد سيل الفقهاء
رحمهم الله عن الحيل في الفقه فقال قد علم الله ذلك فانه قال وخذ بيدك ضغثا فاضرب
به ولا تحنث وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اراد غزوة ورى بغيرها وكان
عليه السلام يقول الحرب خدعة ولما اراد عمر رضي الله عنه قتل الهرمزان استسقى
ما فاتوه بقدح فيه ما فامسكه بيده واضطرب فقال له عمر لا باس عليك اني غير
قاتلك حتى تشربه فالقى القدح من يده فامر عمر رضي الله عنه بقتله فقال اولم تومني قال
امنتك قال قلت لا باس عليك حتى تشربه وقولك لا باس امان ولم اشربه فقال
قاتلك الله اخذت امانا ولم اشعر وكما قيل كان دهاة العرب اربعة كلهم ولدوا
بالطايف معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة والسايب بن الاقرع وكان
يقال الحاجة تفتح ابواب الحيل وكان يقال ليس العاقل الذي يحتال للامر اذا وقع فيه
ولكن العاقل الذي يحتال للامور ان لا يقع فيها قال الضحاك بن مزاحم رحمه الله لنصراني
لو اسلمت فقال ما زلت محبا للاسلام الا انه يمنعني منه حب الخمر فقال اسلم واشربها
فلما اسلم قال اسلمت فان شربتها حددناك وان ارتددت قتلناك فاختر لنفسك
فاختار الاسلام وحسن اسلامه فاخذه بالحيلة وقد نزلت من السما سلسلة في ايام
داود عليه السلام عند الصخرة التي في بيت المقدس وكان الناس يتحاكمون عندها فمن
مد يده وهو صادق نالها ومن كان كاذبا لم ينلها الى ان ظهرت فيهم الخديعة فارتفعت
وذلك ان رجلا اودع رجلا جوهرة فخباها في عكازه ثم ان صاحبها طلبها من الذي اودعها
عنده فانكرها فتحاكما عند السلسلة فقال المدعي اللهم ان كنت صادقا فلتدن مني السلسلة
فدنت منه فمسها فدفع المدعى عليه العكاز الى المدعي وقال اللهم ان كنت تعلم اني رددت
الجوهرة اليه فلتدن مني السلسلة فدنت منه فمسها فقال الناس قد سوت السلسلة
بين الظالم والمظلوم فارتفعت لشوم الخديعة واوحى الله الى داود عليه السلام

ان احكم بين الناس بالبينة واليمين فبقي ذلك الى الساعة وكان المختار بن ابي عبيد
الثقفي رحمه الله من دواهي ثقيف ودهاة العرب فلما وجه ابراهيم بن الاشتر رحمه
الله الى حرب عبيد الله بن زياد ثم ادعى برجل من خواصه ودفع له حماما بيضا وقال
ان رايت الامر عليكم فارسلها ثم قال للناس اني لاجد في محكم الكتاب وفي اليقين
والصواب ان الله يمدكم عليكم بملايكة غضاب تاتي في صورة الحمام تحت السحاب فلما كانت
الداير تكون على اصحابه عمد ذلك الرجل الى الحمام فارسلها فتصايح الناس الملايكة
الملايكة وكبروا وحملوا فانتصروا وقتلوا ابن زياد وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خرجت امراتان ومعهما صبيان فعدى الذيب على
صبي احداهما فاختصما في الصبي الباقي الى داود عليه السلام فقال ايتوني بسكين اشق
الغلام نصفين لكل منكما نصف فقالت الصغرى اتشقه يا نبي الله قال نعم قالت لا تفعل
ونصيبي فيه لها فقال لها خذيه فهو ابنك وقضى به لها وجا رجل الى سليمان عليه السلام
فقال يا نبي الله ان لي جيرانا يسرقون اوزي ولا اعرف السارق من غيره فنادى الصلوة
جامعة ثم خطبهم وقال في خطبته وان احدكم يسرق اوز جاره ثم يدخل المسجد والريش
على راسه فمسح رجل راسه فقال سليمان عليه السلام خذوه فهو صاحبكم وخطب
المغيرة بن شعبة وفتى من العرب امراة وكان الشاب جميلا فارسلت اليهما ان يحضرا
عندها فحضرا وجلست بحيث تراهما وتسمع كلامهما فلما راى المغيرة ذلك الشاب
وعاين شبابه علم انها توثره عليه فاقبل على الفتى وقال لقد اوتيت جمالا فهل عندك
غير هذا قال نعم هذه محاسنه ثم سكت فقال له المغيرة كيف حسابك قال ما يخفى علي
منه شي واني لا ستدرك منه ادق من الخردل فقال المغيرة لكني اضع البدرة في
شي فينفقها اهلي على ما يريدون فما اعلم بنفادها حتى يسالوني غيرها فقالت المراة
والله لهذا الشيخ الذي لا يحاسبني احب الي من هذا الذي يحصي علي مثقال الخردل فتزوجت
المغيرة رحمه الله وبلغ عضد الدولة رحمه الله ان قوما من الاكراد يقطعون الطريق
ويقيمون في جبال شاهقة فلا يقدر عليهم فاستدعى بعض التجار ودفع اليه بغلا
عليه صندوقين فيهما حلوى مسموما كثيرة الطيب في ظروف فاخرة ودنانير وامره
ان يسير مع القافلة ويظهر ان هذه هدية لاحد نسا الامرا ففعل التاجر ذلك
وسار امام القافلة فنزل القوم واخذوا الامتعة والاموال وانفرد احدهم
بالبغل وصعد به الى الجبل فوجد الحلوى فقبح على نفسه ان ينفرد به دون اصحابه
فاستدعاهم فاكلوا على مجاعة فماتوا عن اخرهم واخذ ارباب الاموال اموالهم
واتى لبعض الولاة برجلين قد اتهما بسرقة فاقامهما بين يديه ثم دعى بشربة ما

فجئ بكوز فيه ماء من يده فارتاع احدهما وثبت الآخر فقال للذي ارتاع اذهب لي
حال سبيلك وقال للآخر انت اخذت المال وتفقده فاقر فسئل عن ذلك فقال لان اللص
قوي القلب والبرئ يجزع لو تحرك عصفور لفزع منه ولما اراد شيرويه قتل ابيه ابرويز
قال ابرويز للداخل عليه ليقتله اني ادلك على شئ فيه غناك لوجوب حقك علي قال
وما هو قال الصندوق الفلاني فلما قتله ذهب الى شيرويه فاخبره بذلك فاخرج
الصندوق فاذا به حق فيه حب ورقعة مكتوب فيها من تناول منه حبة واحدة افتض
عشر بنات ابكار وكان شيرويه له غرام في الباه فتناول منه حبة فهلك من ساعته
فكان ابرويز اول مقتول اخذ بثاره من قاتله وقال الشعبي وجهني عبد الملك رحمه
الله الى ملك الروم فقال لي من اهل بيت الخلافة انت قلت لا ولكني رجل من العرب
فكتب الى عبد الملك رقعة ودفعها الي فلما قراها عبد الملك قال اتدري ما فيها قلت لا
قال فيها العجب لقوم فيهم مثل هذا كيف ولوا امورهم غيره ثم قال اتدري ما اراد
بهذا قلت لا قال حسدني عليك فاراد ان اقتلك فقلت انما كبرت عنده يا امير
المؤمنين لانه لم يرك فبلغ ذلك ملك الروم ما قاله عبد الملك للشعبي فقال لله
ابوه ما عدا ما في نفسي ولما ولى عبد الملك اخاه بشرا رحمهما الله الكوفة وكان شابا
ظريفا غزلا بعث معه روح بن زنباع وكان شيخا متورعا فثقل على بشر مراقبته فذكر
ذلك لندمائه فتوصل بعض ندمائه الى ان دخل بيت روح بن زنباع ليلا في خفية فكتب على
حائط قريب من مجلسه يقول

شعر

يا روح من لبنيات وارملة • اذا نعاك لاهل المغرب الناعي
ان ابن مروان قد حانت منيته • فاحتل لنفسك يا روح بن زنباع

فتخوف من ذلك وخرج من الكوفة فلما وصل الى عبد الملك اخبره بذلك فاستلقى من شدة
الضحك وقال لقد ثقلت على بشر واصحابه فاحتالوا لك ذلك ومن الحيل الظريفة ما حكي
ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر واعرس بصفية وفرح المسلمون جاءه الحجاج بن
علاط السلمي رحمه الله فكان اول من اسلم في تلك الليلة وشهد خيبر فقال يا رسول الله
ان لي بمكة مالا عند صاحبتي ام شيبة ولي مال متفرق في تجار مكة فأذن لي في العود
الى مكة عسى اسبق خبر اسلامي اليهم فاني اخاف ان علموا باسلامي ان يذهب جميع مالي بمكة
فأذن لي لعلي ان اخلصه فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا رسول الله
اني احتاج ان اقول فقال قل وانت في حل قال الحجاج فخرجت فلما انتهيت الى ثنية البيضاء
وجدت بها رجالا من قريش يتسمعون الاخبار وقد بلغهم ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم سار الى خيبر فلما ابصروني قالوا الحجاج والله عنده الخبر اخبرنا يا حجاج فقد بلغنا

عن

عن القاطع انه قد سار الى خيبر يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم فقلت انه قد سار اليها
وعندي من الخبر ما يسركم قال فاشتطوا بجنبي ناقتي يقولون ايه يا حجاج قال قلت
هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط واسر محمد وقالوا لا نقتله حتى نبعث به الى مكة فيقتله
بين اظهرهم من كان اصاب من رجالهم قال فصاحوا بمكة قد جاءكم الخبر وهذا محمد انما تنتظرون
ان يقدم به عليكم فيقتل بين اظهركم قال فقلت اعينوني على جمع مالي على غرمائي فاني
اريد ان اقدم خيبر فاغنم من فل محمد واصحابه قبل ان يسبقني التجار الى هناك فقاموا فجمعوا
لي مالي كاحسن ما احب فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر اقبل حتى وقف الى جانبي
وانا في خيمة من خيام التجار فقال يا حجاج الذي جئت به قال فقلت وهل عندك حفظ لما
اودعه عندك من السر قال نعم قلت فاستاخر عني حتى القاك على خلاء فاني في جمع مالي كما
ترى فانصرف عني حتى اذا فرغت من جمع كل شئ كان لي بمكة واجمعت على الخروج لقيت العباس
فقلت احفظ علي حديثي يا ابا الفضل فاني اخشى ان يتبعوني فاكتم علي ثلاثة ايام ثم
قل ما شئت قال لك ذلك قلت والله ما تركت ابن اخيك الا عروسا على بنت ملكهم
يعني صفية ولقد افتتح خيبر وغنم ما فيها وصارت له ولاصحابه قال ما تقول يا حجاج فقلت
اي والله وما جئت الا مسلما لآخذ مالي خوفا من ان اغلب عليه فاذا مضت ثلاث فاظهر امرك
فهو والله ما تحب قال فلما كان في اليوم الثالث لبس العباس رضي الله عنه حلة له وتخلق واخذ
عصاه ثم خرج حتى اتى الكعبة فطاف بها فلما راوه قالوا يا ابا الفضل هذا والله التجلد
لحر المصيبة قال كلا والذي حلفتم به لقد افتتح محمد خيبر وترك عروسا على ابنة ملكهم
واحرز اموالهم وما فيها فاصبحت له ولاصحابه قالوا من جاءك بهذا قال الذي جاءكم
بما جاءكم به ولقد دخل عليكم مسلما واخذ ماله وانطلق ليلحق محمدا واصحابه ليكون معهم
قالوا انفلت عدو الله اما والله لو علمنا به لكان لنا وله شان قال ولم يلبثوا ان جاءهم الخبر
بذلك فتوصل الحجاج رضي الله عنه بفطنته واحتيال له الى تخليصه وتخليص ماله ولما
جمعت الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الخندق وقصدوا المدينة وتظاهروا
وهم في جمع كثير وجم غفير من قريش وغطفان وقبائل العرب وبنو النضير وبنو قريظة
من اليهود ونازلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين واشتد الامر
واضطرب المسلمون وعظم الخوف على ما وصفه الله تعالى في قوله اذ جاؤكم من فوقكم ومن اسفل
منكم واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلي المؤمنون
وزلزلوا زلزالا شديدا فجاء نعيم بن مسعود بن عامر الغطفاني رضي الله عنه الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني قد اسلمت وان قومي لم يعلموا باسلامي فمرني
بما شئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذل عنا ان استطعت فان الحرب خدعة

فخرج نعيم بن مسعود رضي الله عنه حتى اتى بني قريظة وكان نديما لهم في الجاهلية فقال
يا بني قريظة قد علمتم ودي اياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم فقال
لهم ان قريشا وغطفان ليسوا كانتم فان البلد بلدكم وبه اموالكم وابناؤكم ونساؤكم
لا تقدرون ان تتحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان قد جاؤا لحرب محمد واصحابه
وقد ظاهرتموهم عليه واموالهم ونساؤهم وابناؤهم بغير بلدكم وليسوا مثلكم فان هم
راوا فرصة اغتنموها وان كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم
ولا طاقة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تاخذوا منهم رهنا من اشرافهم
يكونون بايديكم ثقة لكم على ان تقاتلوا معهم محمدا قالوا اشرت بالراي ثم اتى
قريشا فقال لابي سفيان بن حرب وكان اذ ذاك قائد المشركين من قريش فقال له
ومن معه من كبرا قريش قد علمتم ودي لكم وفراقي محمدا فانه بلغني امرا احببت ان
ابلغكموه نصحا لكم فاكتموا علي قالوا نفعل قال اعلموا ان معشر يهود قد ندموا على ما
صنعوا فيما بينهم وبين محمد وقد ارسلوا اليه يقولون انا قد ندمنا على نقض العهد
الذي بيننا وبينك فهل يرضيك ان ناخذ لك من القبيلتين من قريش وغطفان
رجالا من اشرافهم فنسلمهم اليك فتضرب رقابهم ثم نكون معك على من بقي فنستاصلهم
فارسل يقول لهم نعم فان بعثت اليكم يهود يلتمسون منكم رهائن من رجالكم فلا تدفعوا
اليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى اتى غطفان فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم
فلما كان ليلة السبت ارسل ابو سفيان ورؤس غطفان الى بني قريظة فقالوا لهم انا
لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر فاعدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ فيما
بيننا وبينه فارسلوا يقولون لهم ان اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا
ولسنا مع ذلك بالذي نقاتل معكم محمدا حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكونون بايدينا
ثقة لنا حتى نناجز محمدا فانا نخشى ان ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال ان تشمروا
الى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا به فلما رجعت اليهم الرسل بما قالت
بنو قريظة قالت قريش وغطفان والله ان الذي حدثكم نعيم بن مسعود لحق فارسلوا
الى بني قريظة انا لا ندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم تريدون القتال فاخرجوا
وقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت اليهم الرسل ان الكلام الذي ذكر نعيم بن مسعود
لحق وما يريد القوم الا ان يقاتلوا فان راوا فرصة انتهزوها وان كان غير ذلك تشمروا
الى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلادكم فارسلوا الى قريش وغطفان انا لا
نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فابوا عليهم فخذل الله بينهم وارسل عليهم الريح فتفرقوا
وارتحلوا وكان هذا من لطف الله تعالى ان الهم نعيم بن مسعود رضي الله عنه هذه اليقظة

وهداه

وهداه الى هذه الفطنة التي عم نفعها وحسن وقعها **واما ما جاء في التيقظ**
والتبصر في الامور فقد قالت الحكما من ايقظ نفسه والبسها لباس التحفظ ابرى
عدوه من كيده له وقطع عنه اطماع الماكرين به وقيل ان كسرى انوشروان كان اشد الناس
تطلعا الى خبايا الامور واعظم خلق الله تعالى في زمانه تفحصا وبحثا عن اسرار الصدور
وكان يبث العيون على الرعايا والجواسيس في البلاد ليقف على حقائق الاحوال ويطلع
على غوامض القضايا فيحسم المفاسد فيقابله بالتاديب ويجازي المصلح بالاحسان ويقول
متى غفل الملك عن تعرف ذلك فليس له من الملك الا اسمه وسقطت من القلوب هيبته
وروي عن انس بن مالك رضي الله عنه قال خرج امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه
في ليلة من الليالي يطوف لافتقاد احوال المسلمين فراى بيتا من الشعر مضروبا لم يكن راه
بالامس فدنا منه فسمع انين امراة وراى رجلا قاعدا فدنا منه وقال من الرجل فقال
رجل من البادية قدمت الى امير المؤمنين لاصيب من فضله قال فما هذا الانين قال
امراة تمخض قد اخذها الطلق قال فهل عندها احد قال لا فانطلق عمر رضي الله عنه والرجل
لا يعرفه فجا الى منزله فقال لامراته ام كلثوم بنت علي بن ابي طالب رضي الله عنه وقال
هل لك في اجر ساقه الله اليك قالت وما هو قال امراة تمخض ليس عندها احد قالت ان شئت
قال فخذي ما يصلح للمراة من الخرق والدهن واتيني بقدر وشحم وحبوب فجات به فحمل
القدر ومشت خلفه حتى اتى البيت فقال ادخلي الى المراة ثم قال للرجل اوقد لي نارا ففعل
فجعل عمر رضي الله عنه يوقد النار وينفخها والدخان يخرج من خلال لحيته حتى انضجها وولدت
المراة فقالت ام كلثوم يا امير المؤمنين بشر صاحبك بغلام فلما سمعها الرجل يقول
يا امير المؤمنين ارتاع وخجل وقال واخجلتاه منك يا امير المؤمنين اهكذا تفعل بنفسك
فقال يا اخا العرب من ولي شيئا من امور المسلمين ينبغي ان يطلع على صغير امرهم وكبيره
فانه عنها مسئول ومتى غفل عنهم خسر الدنيا والاخرة **ثم قام عمر** رضي الله عنه واخذ القدر
من على النار وحملها الى باب البيت فاخذتها ام كلثوم واطعمت المراة فلما استقرت وسكنت
طلعت ام كلثوم رضي الله عنها فقال عمر رضي الله عنه للرجل قم الى بيتك وكل ما بقي في البرمة
وفي غد ات الينا فلما اصبح جاء فخصه بما اغناه به **وكان** رضي الله عنه من شدة حرصه
على تعرف الاحوال واقامة فسطاط العدل وازاحة اسباب الفساد واصلاح الامة يتصل
بنفسه ويباشر امر الرعية سرا في كثير من الليالي حتى انه في ليلة مظلمة خرج بنفسه فراى
في بعض البيوت ضوء سراج وسمع حديثا فوقف على الباب يتجسس فراى عبدا اسود قدامه
اناء فيه مزر وهو يشرب ومعه جماعة فهم بالدخول فلم يقدر من الباب فتسور على السطح ونزل
اليهم من الدرجة ومعه الدرة فلما راوه قاموا وفتحوا الباب وانهزموا فمسك الاسود

فقال له يا أمير المؤمنين إني أخطأت فاقبل توبتي فقال أريد أن أضرب بك على
خطيئتك فقال يا أمير المؤمنين إن كنت أخطأت في واحدة فأنت أيضا قد أخطأت
في ثلث فإن الله تعالى قال ولا تجسسوا وقد تجسست وقال تعالى وأتوا البيوت من
أبوابها وأنت أتيت من السطح ودخلت وما سلمت فهب هذه لهذه وأنا تائب إلى
الله تعالى على يديك أني لا أعود فتركه واستحسن كلامه وله وقائع كثيرة مثل هذه
رضي الله عنه وكان معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه قد سلك طريق أمير المؤمنين عمر
بن الخطاب رضي الله عنه في ذلك وكان زياد بن أمية رحمه الله يسلك مسلك معاوية
في ذلك حتى نقل عنه أن رجلا كلمه في حاجة له وجعل يتعرف إليه ويظن أن زيادا
لا يعرفه فقال له أنا فلان بن فلان فتبسم زياد وقال له أتتعرف إلي وأنا أعرف
منك بنفسك والله إني لأعرفك وأعرف أباك وأعرف أمك وأعرف جدك
وأعرف جدتك وأعرف هذا البرد الذي عليك وهو لفلان وقد أعارك إياه فبهت
الرجل وارتعد حتى كاد يغشى عليه ثم جاء بعدهم من اقتدى بهم وهم عبد الملك
بن مروان والحجاج ولم يسلك بعدهما أحد ذلك إلى أن ولي المنصور فنصب العيون
وأقام المتطلعين في البلاد والنواحي من يكشف له حقائق أمور الرعايا فاستقامت
له الأمور ودانت له الجهات ولقد ابتلي في أيام خلافته بأقوام نازعوه وأرادوا
خلعه وتمردوا عليه وتكاثروا ولولا أن الله تعالى أعانه بتيقظه وتبصره
ما ثبت له في الخلافة قدم ولا رفع له مع قصد أولئك القاصدين علم لكنه بث
العيون فعرف من انطوى على خلافه فعاجله بإتلافه واطلع على عزائم المعاندين
فقطع رؤوس عنادهم بأسيافه وصار بكمال يقظته يتلقى المحذور ويرفعه دون
رفعه ويعاجل الخوف بتفريق شمل قبل جمعه فذلت له الرقاب ودانت لخلافته
الصعاب وقرر قواعدها وأوثقها بأوثق الأسباب فمن آثار يقظته وفطنته
ما نقله عنه عقبة الأزدي رحمه الله قال دخلت مع الجند على المنصور رحمه الله
فلما خرج الجند أدناني وقال لي من أنت قلت رجل من الأزد وأنا من جند أمير المؤمنين
قدمت الآن مع عمر بن حفص رحمه الله فقال إني لأرى لك هيئة وفيك نجابة وأريدك
لأمر أنا به معني فإن كفيتنيه رفعتك فقلت إني لأرجو أن أصدق ظن أمير المؤمنين
في فقال أخف نفسك واحضر في يوم كذا وكذا قال فغبت إلى ذلك اليوم وحضرت
فلم يترك عنده أحدا ثم قال اعلم أن بني عمنا قد أبوا إلا كيدنا لملكنا واغتيالا
له ولهم شيعة بخراسان بقرية كذا يكاتبونهم ويرسلون إليهم الأموال والألطاف
فخذ معك عينا من عندي والطافا وكتبا واخرج حتى تأتي عبد الله بن الحسن بن الحسين

بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم واقدم عليه متخشعا والكتب على ألسن أهل تلك
القرية والألطاف من عندهم إليه فإذا أتاك فإنه سيردك ويقول لا أعرف هؤلاء القوم
فاصبر عليه وعاوده وقل له قد سيروني سرا وقد سيروا معي الألطاف وعينا وكلما
جبهك اصبر عليه وعاوده واكشف باطن أمره قال عقبة رحمه الله فأخذت الكتب
والعين والألطاف وتوجهت إلى جهة الحجاز حتى قدمت على عبد الله بن الحسين رحمه الله
فتلقيته بالكتب فأنكرها ونهرني وقال ما أعرف هؤلاء القوم قال فلم أنصرف
وعاودته القول وذكرت له اسم القرية واسم أولئك القوم وأن معي الألطاف وعينا
فأنس بي وأخذ الكتب وما كان معي قال عقبة فتركته ذلك اليوم ثم سألته
الجواب فقال أما كتاب فلا أكتب إلى أحد ولكن أنت كتابي إليهم فأقرئهم مني السلام
وخبرهم أن ابني محمدا وإبراهيم خارجان لهذا الأمر وقت كذا وكذا قال عقبة فخرجت
من عنده وسرت حتى قدمت على المنصور فأخبرته بذلك فقال لي المنصور إني أريد
الحج فإذا صرت بمكان كذا وكذا وتلقاني بنو حسن وفيهم عبد الله فإني أعظمه وأكرمه
وأرفعه وأحضر الطعام فإذا فرغ من أكله ونظرت إليك فتمثل بين يديه وقف قدامه
فإنه سيصرف وجهه عنك فدر حتى تقف وراءه واغمز ظهره بإبهام رجلك حتى يملأ عينيه
منك ثم انصرف عنه وإياك أن يراك وهو يأكل ثم خرج المنصور يريد الحج حتى إذا
قارب البلاد تلقاه بنو حسن فأجلس عبد الله إلى جانبه وحادثه وطلب الطعام
للغداء فأكلوا فلما فرغ أمر برفعه فرفع ثم أقبل على عبد الله بن الحسن وقال يا أبا محمد
قد علمت ما أعطيتني من العهود والمواثيق أن لا تريدني بسوء ولا تكيد لي سلطانا قال
وأنا على ذلك يا أمير المؤمنين قال عقبة فلحظني المنصور فقمت حتى وقفت بين يدي
عبد الله بن الحسين فأعرض عني فدرت من خلفه وغمزت ظهره بإبهامي فرفع رأسه وملأ
عينيه مني ثم وثب حتى جثا بين يدي المنصور وقال أقلني يا أمير المؤمنين أقالك الله
فقال المنصور لا أقالني الله إن لم أقتلك وأمر بحبسه وجعل يطلب ولديه محمدا وإبراهيم
ويستعلم أخبارهما وقال علي الهاشمي رحمه الله صاحب غدائه دعاني المنصور يوما
فإذا بين يديه جارية صفراء وقد دعا لها بأنواع العذاب وهو يقول لها ويلك اصدقيني
فوالله ما أريد إلا الألفة ولئن صدقتني لأصلن رحمه ولأتابعن البر إليه وإذا هو يسألها
عن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي رضي الله عنهم وهي تقول لا أعرف مكانه
فأمر بعذابها فلما بلغ العذاب منها أغمي عليها فقال كفوا عنها فلما رأى نفسها كادت
ترهق قال ماذا ترون أمثلها قال شم الطيب وصب الماء البارد على وجهها وأن تسقى
السويق ففعلوا بها ذلك وعالج المنصور بعضه بيده فلما أفاقت سألها قالت لا أعلم

فلما رأى إمرارها على الجحود قال لها أتعرفين فلانة الحجامة فلما سمعت ذلك
منه تغير وجهها وقالت نعم يا أمير المؤمنين تلك في بني سليم قال صدقت هي والله
أمتي أتحفتها بمال ورزق تجري عليها في كل شهر وكسوة شتائها وصيفها من عندك
سيرتها وأمرتها أن تدخل منازلكم وتحدثكم وتعرف أحوالكم وأخباركم ثم قال لها
أتعرفين فلانا البقال قالت نعم يا أمير المؤمنين هو في بني فلان قال صدقت هو والله
غلامي دفعت إليه مالا وأمرته أن يبتاع به ما يحتاج إليه من أمتعة وأخبرني أن
أمة لكم يوم كذا وكذا جاءت إليه بعد صلوة المغرب تسأله حاجة وحوائج فقال لها
أما تصنعين بهذا قالت كان محمد بن الحسن في بعض الضياع بناحية البقيع وهو يدخل
الليلة وأردنا هذا لنتخذ النساء ما يحتجن إليه عند دخول أزواجهن من المغيب فلما
سمعت الجارية هذا الكلام من المنصور ارتعدت من شدة الخوف وأذعنت له
بالحديث وحدثته كلما أراد وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ٥

عبد الله بن عمر

الباب الثاني والستون
في ذكر الدواب والوحوش والطير والهوام
والحشرات مرتب على حروف المعجم حرف الهمزة

الأسد من السباع والأنثى أسدة وله أسماء كثيرة من أشهرها أسامة والحارث وقسورة
وغضنفر وحيدرة والليث والضرغام ومن كناه أبو الأبطال وأبو شبل وأبو العباس
وهو أنواع منها ما وجهه كوجه إنسان وشكل جسده كالبقر وله قرون سود نحو شبر
ومنها ما هو أحمر كالعناب وغير ذلك وتلد أمه قطعة لحم وتستمر تحرسه ثلثة أيام
ثم يأتي أبوه فينفخ فيه فتنفرج أعضاؤه وتتشكل صورته ثم ترضعه وتستمر عينيه
مغلقة سبعة أيام ثم تفتح ويقيم على تلك الحالة بين أبيه وأمه ستة أشهر ثم يتكلف
الكسب بعد ذلك وله صبر على الجوع والعطش وعنده شرف نفس يقال أنه لا يعاود
فريسته ولا يأكل فريسة غيره ولا يشرب من ماء ولغ فيه كلب ولذلك قال بعضهم

شعر

سأترك حبها من غير بغض ٭ ولكن كثرة الشركاء فيه
إذا وقع الذباب على طعام ٭ رفعت يدي ونفسي تشتهيه
وتجتنب الأسود ورود ماء ٭ إذا كان الكلاب ولغن فيه

فإذا أكل نهش نهشا وريقه قليل جدا ولذلك يوصف بالبخر وعنده شجاعة وجبن
وكرم فمن شجاعته الإقدام على الأمور وعدم الاكتراث بالخبر ومن جبنه أنه يفرق
من صوت الديك والسنور والطست ويتحير عند رؤية النار ومن كرمه أنه

لا يقرب

لا يقرب المرأة خصوصا إذا كانت حائضا وقيل الأربع عيون تضيء بالليل عين الأسد
والنمر والسنور والأفعى وروي أنه لما تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والنجم إذا هوى
قال عتبة بن أبي لهب كفرت برب النجم يعني نفسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
سلط الله عليك كلبا من كلابه فخرج مع أصحابه في تجارة إلى الشام حتى إذا كانوا بمكان
يقال له الزرقا رأى الأسد فجعلت فرائصه ترعد فقالوا له من أي شيء ترعد فوالله
ما نحن وأنت إلا سوا فقال إن محمدا دعا علي ولا والله ما أظلت السماء من ذي لهجة
أصدق من محمد عليه السلام ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه ثم جاء النوم فحاطوا أنفسهم
بمتاعهم ووسطوه بينهم وناموا فجاء الأسد يهمس فشمهم رجلا رجلا حتى انتهى إليه
فضغمه ضغمة كانت إياها فسمع بآخر رمق يقول ألم أقل لكم إن محمدا عليه السلام أصدق الناس
ولبعضهم في الأسد ٥

شعر

عبوس شموس مصلخد مكابر ٭ جريء على الأقران للقرن قاهر
براثنه شثن وعيناه في الدجى ٭ كجمر الغضا في وجهه الشر ظاهر
يدل بأنياب حداد كأنها ٭ إذا قلص الأشداق عنها محاجر

فائدة إذا أقبلت على واد مسبع فقل أعوذ بدانيال والجب من شر الأسد وسبب ذلك
ما قيل أن بخت نصر رأى في منامه أن هلاكه يكون على يد مولود فجعل يأمر بقتل الأولاد
فخافت أم دانيال عليه فجاءت إلى بئر فألقته فيه فأرسل الله له الأسد يحرسه
وحكي أن يحيى بن زكريا عليهما السلام مر بقبر دانيال فسمع منه صوتا يقول
سبحان من تعزز بالقدرة وقهر العباد بالموت قال بعض الصالحين من قال هذه الكلمات
استغفر له كل شيء وحكي أن إبراهيم بن أدهم رحمه الله كان في سفر ومعه رفقة فخرج
عليهم الأسد فقال قولوا اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واحفظنا بركنك الذي لا يرام
وارحمنا بقدرتك علينا لا نهلك وأنت رجاؤنا يا الله يا الله يا الله قال فولى الأسد هاربا
وقيل لما حمل نوح عليه السلام في السفينة من كل شيء زوجين قال أصحابه كيف نطمئن
ونحن والأسد فسلط الله عليه الحمى وهو أول حمى نزلت الأرض ثم شكوا له الفأرة فأمر الله
الخنزير فعطس فخرج منه الفأر فلما كثر وزاد ضرره شكوا ذلك لنوح عليه السلام فأمر الله
تعالى الأسد فعطس فخرج منه الهر فحجبت الفأر عنهم ويحرم أكل الأسد لنهيه عليه السلام عن
أكل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير خواصه شحمه يقتل التماسيح ومن طلى به
بدنه لم يقربه سبع ومرارة الذكر على المعقود وإذا وضعت قطعة من جلده في صندوق
لم يقربه سوس ولا أرضة وإذا وضع على جلد غنم من السباع تساقط شعرها وهو من الحيوان
الذي يعيش أكثر سنة على ما ذكر وعلامة كبره سقوط أسنانه الإبل قيل ما خلق الله تعالى

في الدواب خير من الابل ان حملت اثقلت وان سارت ابعدت وان حبست ارفدت وان نحرت اشبعت وفي الحديث الابل عز لاهلها والغنم بركة والخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيمة وهو من الحيوان العجيب وان كان عجبه قد سقط لكثرة مخالطة الناس وقد اطاعها الله تعالى للآدمي وغيره حتى ان قطارا كان في بعض جبله دهن فمرت به فارة فجذبته فمشى معها القطار بواسطة اوله وهي مراكب البر ولذلك قرنها الله تعالى بالسفن فقال وعليها وعلى الفلك تحملون قيل لما كانت مراكب البر والبر فيه ما ما وقليل وما ماوه كثير جعل الله لها صبرا على العطش حتى قيل انه يرتفع ظمؤه الى عشر وفي الحديث لا تسبوا الابل فانها من نفس الله اي مما يوسع به على الناس حكاه ابن سيده والذي يعرف لا تسبوا الريح فانها من نفس الرحمن قال اصحاب الكلام في طبايع الحيوان ليس لشيء من الفحول ما للجمل عند هيجانه فانه يسوء خلقه ويظهر زبده ورغاؤه فلو حمل ثلثه اضعاف عادته حمل ويقل اكله ويخرج له عند ذلك غاية شقشقته لا تعرف من اي شيء هي من اجزائه وهو من الاحرار فلا ينزو على امه ولا على اخته حتى قيل ان لبعض العرب سترنا قة بثوب ثم ارسل عليها ولدها فلما عرف ذلك عمد الى احليله فاكله ثم حقد على صاحبه حتى قتله وليس له مرارة ولذلك كثر صبره وقيل يوجد في كبده شيء رقيق يشبه المرارة تنفع من الغشا في العينين كحلا وفي معدته قوة حتى انها لتستهضم الشوك وتستطيبه وحل اكله بالنص والاجماع واما تحريم يعقوب عليه السلام اكلها فباجتهاد منه وذلك انه كان يسكن البوادي فاشتكى عرق النسا فلم يجد ما يلايمه الا ترك اكل لحومها فلذلك حرمه واما انتقاض الوضوء باكل لحمها فاختلف العلماء في ذلك فذهب الاكثرون الى انه لا ينتقض وعليه الخلفاء الاربعة وابن مسعود وابن عباس وابي الدرداء وابو طلحة وعامر بن ربيعة وابو امامة وجماهير التابعين وبه اخذ مالك والشافعي وابو حنيفة واصحابهم وخالفهم في ذلك احمد واسحق ويحيى بن يحيى وابن المنذر وابن خزيمة واختاره البيهقي وهو مذهب الشافعي القديم رضي الله عنهم اجمعين خواصه قال ابن زهير وغيره اكل لحمه يزيد في الباه وفي الانعاظ بعد الجماع وبوله ينبه السكران ووبره اذا احرق وذر على دم سايل قطعه وقراده يربط على كم العاشق يزول عشقه الارضة بفتح الهمزة والراء دويبة صغيرة تكون كنصف العدسة تاكل الخشب والورق قال القزويني رحمه الله اذا اتى على الارضة سنة تبت لها جناحان طويلان تطير بهما ويقال انها الدابة التي دلت الجن على موت سليمان عليه السلام ومن شانها انها تبني لنفسها بيتا من عيدان تجمعها مثل نسج العنكبوت متحركا من اسفله الى اعلاه وفي احدى جهاته باب مربع ومنه تعلم الاوايل وضع النواويس لموتاهم والنمل عدوها وهو اصغر منها فياتي من خلفها ويحملها ويمشي بها الى جحره لانه اذا اتاها مستقبلا لا يغلبها الارنب

قيل صح

حيوان يشبه العناق قصير اليدين طويل الرجلين يطا الارض على مؤخر قوايمه وهو اسم يطلق على الذكر والانثى وله شق شقوق ويقال ان الارنب تحيض وهي حبلى وتلد عاما ذكرا وعاما انثى ومن عجايبها انها تنام وعيناها مفتوحتان فياتي الصياد فيظنها مستيقظة فايدة ذكر ابن الاثير رحمه الله في الكامل ان صديقا لهم اصطاد ارنبا وله ابنان فكره فرح وقيل التقطت الارنب تمرة فاختلسها الثعلب فاكلها فانطلقا يختصمان الى الضب فقالت الارنب يا ابا حسل فقال سميعا دعوت قالت اتيناك لنختصم قال عادلا حكيما قالت فاخرج الينا قال في بيته يوتى الحكم قالت اني وجدت تمرة قال حلوة فكليها قالت فاختلسها الثعلب قال لنفسه بغى الخير قالت فلطمته قال بحقك اخذت قالت فلطمني قال حر انتصر قالت فاقض بيننا قال قد قضيت فذهبت اقواله امثالا ومن ذلك ما حكي ان عدي بن ارطاه اتى شريحا القاضي رحمهم الله في مجلس حكمه فقال له اين انت قال بينك وبين الحايط قال فاسمع مني قال للاستماع جلست قال اني تزوجت امراة قال بالرفاء والبنين قال وشرط اهلها ان لا اخرجها من بينهم قال اوف لهم بالشرط قال فانا اريد الخروج قال في حفظ الله تعالى قال فاقض بيننا قال قد فعلت قال فعلى من قال على ابن امك قال بشهادة من قال بشهادة ابن اخت خالك خواصه قال الجاحظ رحمه الله من علق عليه كعب ارنب لم تضره عين ولا سحر واكل دماغه يبرى من الارتعاش العارض وان شربت المراة انفحة الذكر ولدت ذكرا وان شربت انفحة الانثى ولدت انثى واذا علق عليها رجله لم تحبل والارنب البحري من السموم فلا يحل اكله اسقنقور دابة شكلها كالوزغة اذا اخذت وملحت وشرب منها مثقال زاد في الباه وهو من الاشيا النفيسة عند اهل الهند يقال انه يهدى اليهم فيذبحونه بسكين من الذهب ويحشونه من ملح مصر فاذا وضعوا منه مثقالا على لحم او بيض نفع نفعا عظيما الافعى الانثى من الحيات والذكر افعوان وتعيش الف سنة على ما يقال وتعرف بالشجاع الاسود وهو اشر الحيات واشرها افاعي سجستان ومن عجيب ما يحكى عنها انها لدغت انسانا في رجله فاصابت جبهته حتى انها نهشت ناقة وفصيلها يرضع فمات قبل امه وقيل انها تدفن في التراب اربعة اشهر في البرد ثم تخرج وقد اظلمت عيناها فتمر بشجر الرازيانج وهو الشمر الاخضر فتحك عينيها فيرجع اليها بصرها فسبحان من الهمها ذلك وقيل اذا قطع ذنبها عاد كما كان واذا قلع نابها عاد بعد ثلثة ايام وهي اعدى عدو للانسان وقال بعضهم رايت حية قد ابتلعت كبشا عظيم القرنين فلم تقدر على ابتلاع القرنين فجعلت تضرب به الحجارة عنة ويسرة حتى كسرت القرنين وابتلعتهما وقيل اذا قطع ذنب الحية تعيش ان سلمت من الدر وقيل ان بالحبشة حيات لها اجنحة تطير بها وقيل ان جلدها يسلخ عنها في كل سنة مرة وقيل ان الجلد لا يسلخ وانما الذي يسلخ قشر فوق الجلد وغلافه يخلق لها كل عام وتبيض على عدد اضلاعها اي ثلثين بيضة فيجتمع عليها

الدر فيفسدها بإذن الله تعالى الا نادرا ومن غرائبها انها لا ترد الماء ولا تشربه
ولكنها اذا شمت رائحة الخمر لا تكاد تصبر عنه وهو سم لها لانها اذا شربت سكرت
فرقدت فتعرضت للقتل والذكر لا يقيم بموضع وانما تقيم الانثى لاجل فراخها حتى تكتسب فاذا
قويت اخذتهم وانسابت فأي جحر وجدته دخلت فيه واخرجت صاحبه منه وعينها لا تدور
واذا قلعت عادت ومن عجيب امرها انها تهرب من الرجل العريان وتفزع من النار وتقرب
منها وتحب رائحة اللبن حبا شديدا واذا دخلت بصدرها في جحر لا يستطيع اقوى الناس
اخراجها منه وان قطعت وليس لها قوائم ولا اظفار وانما تقوى بظهرها لكثرة اضلاعها
وحكى عمرو بن يحيى العلوي رحمه الله قال كنا في طريق مكة فاصاب رجلا منا استسقاء
فاتفق ان العرب سرقوا منا قطار جمال حال على احدهم ذلك الرجل ثم بعد ايام رجعنا
المقابر فوجدناه قد برئ فسألناه عن حاله فقال ان العرب لما اخذوني جعلوني في
اواخر بيوتهم فكنت في حالة اتمنى فيها الموت اذ اتوا يوما بافاعي اصطادوها فقطعوا
رؤسها واذنابها وشووها بعد ذلك فقلت في نفسي هؤلاء اعتادوها فلا تضرهم فلعلي
انا ان اكلت منها مت فاسترحت فاستطعمتهم فاطعموني واحدة فلما استقرت في
بطني اخذني النوم فنمت نوما ثقيلا ثم استيقظت وقد عرقت عرقا شديدا واندفعت
طبيعتي نحو مائة مرة فلما اصبحت وجدت بطني قد ضمر وانقطع الالم فطلبت منهم ما آكله
فاكلت واقمت عندهم اياما فلما نشطت ووثقت من نفسي بالحركة اخذت الطريق مع
بعضهم واتيت الكوفة **فائدة** قيل ان الريحان الفارسي لم يكن قبل كسرى وانما وجد
في زمانه وسببه ان كسرى كان جالسا ذات يوم في بعض منتزهاته اذ جاءت حية
فانسابت بين يديه وتمرغت فصارت تتحلق مثل الذي تشتكي فاراد بعض الجند
قتلها فلم يمكنهم ثم قال لهم انظروا امرها فلما سمعت ذلك انسابت بين ايديهم
فامرهم ان يتبعوها الى المكان الذي تطلبه فجاءت الى بئر وصارت تنظر فيه
قال فنظروا فاذا فيه حية عظيمة وعلى ظهرها عقرب اسود فنخس بعضهم ذلك
العقرب فقتلها وتركوها ورجعوا فاخبروا الملك بذلك قال فلما كان الغد
جاءت تلك الحية ومعها في فمها بزرا فنثرته بين يدي الملك وذهبت فقال
الملك ارادت بذلك مكافاتنا اجعلوه في الارض لننظر ما يكون امره ففعلوا
ذلك فطلع منه الريحان قال فلما انتهى امره اتوا به للملك وكان به زكام
فشمه فبرئ **لطيفة** من غريب ما اتفق لعماد الدولة رحمه الله انه لما ملك
شيراز اجتمع عليه اصحابه وطلبوا منه مالا ولم يكن عنده ما يرضيهم فاغتم
لذلك ونام يوما مستلقيا على قفاه متفكرا في ذلك واذا بحية عظيمة خرجت

من

من سقف ذلك المجلس ودخلت في سقف آخر قال فطلب سلما وصعد لينظر المكان
الذي خرجت منه فلما رآه وجد كوة فنظر في داخلها فاذا هي مطمورة فدخل فوجد
صناديق فيها خمسمائة الف دينار وفاز باخراجه ونفقته على عسكره **ومن لطيف**
ما اتفق له ايضا انه كان بتلك البلدة رجل خياط اطروش وكان الملك الذي قبله
اودع عنده وديعة قال فطلبه عماد الدولة ليخيط له على عادته لانه هو الذي يخيط
للملوك قال فتوهم الاطروش انه غمز عليه بسبب الوديعة فلما حضر بين يدي عماد الدولة
قال له ان فلانا الملك والله لم يودع عندي سوى اثني عشر صندوقا لا ادري ما
فيها ثم احضرها فاخذها عماد الدولة ووسع بها على جنده وتعجب من هاتين القضيتين
فكانت هذه الاسباب من دلائل السعادة **وامر** النبي صلى الله عليه وسلم بقتل الحيات
بعد ان تنذر ثلث مرات وقيل ثلثة ايام واما سكان البيوت فان الانذار لها
متعين وفي الحديث من قتل حية فكانما قتل مشركا ومن لبس خفا فلينفضه ومن اوى
الى فراشه فلينفضه **الخواص** يقال ان دمها يجلو البصر وقلبها اذا علق على الانسان
لا يؤثر فيه سحر وضرسها اذا علق على من به وجع الضرس سكن الايمن للايمن والايسر
للايسر **الانيس** ويسميه الرماة الانيسة لانه من طيور الواجب عندهم وهو طير حسن غذاؤه
الفاكهة وماواه الانهار والبساتين والغياض وله صوت حسن كالقمري **الاوز** طير يحب السباحة
وفرخه يخرج من البيضة فيسبح **الخواص** في جوفه حصاة تنفع للمطحول ودهنه ينفع من
ذات الجنب وداء الثعلب اذا طلي به ولسانه ينفع لقطار البول وغذاؤه جيد الا انه بطيء
الهضم **الايل** بتشديد الياء المكسورة يشبه بقر الوحش اذا خاف من الصياد رمى نفسه
من رأس الجبل ولا يتضرر بذلك واذا لسعته حية ذهب الى البحر فاكل السرطان يشفى به **ومن**
خاصيته ان السمك يحب رؤيته وهو يحب ذلك ولذلك اكثر ما يكون بقرب البحر والصيادون دون
يعرفون ذلك فيلبسون جلده ليراهم السمك فيأتونهم وهو مولع باكل الحيات فربما
لسعته فتسيل دموعه تحت محاجر عينيه حتى تصير نقرتين من كثرة ذلك ثم تجمد تلك
الدموع فتصير كالصمغ فتؤخذ وتجعل درياقا للسم وهو الذي يسمى بالبادزهر الحيواني واجوده
الاصفر واكثر ما يوجد ببلاد السند والهند وفارس واذا وضع على لسع الحيات ابراها
وان وضع الملسوع في فيه نفعه وهذا الحيوان لا ينبت قرونه الا بعد سنتين فينبتان
قائمان مستقيمان ثم بعد ذلك يحصل فيهما التشعب ولا يزال يزيد الى ست سنين
فحينئذ يصيران كالشجرتين ثم بعد ذلك يلقيهما في كل سنة مرة ثم ينبتان قال ارسطو
وهذا النوع يصاد بالصفير والاصوات المطربة والصيادون يشغلونه بذلك ويأتون
من ورائه فاذا رأوه قد استرخت اذناه وثبوا عليه فامسكوه وقرنه مصمت وهو

الحيوان الذي يزيد في السمن فاذا احصل له ذلك فر من مكانه خوفا من الصيادين وحكمه حل اكله **الخواص** اذا بخر بقرنه البيت طرد الهوام واذا احرق واستاك به الذي به صفرة الاسنان فله ذلك ومن علق عليه شيء منه ذهب نومه والله اعلم

حرف الباء الموحدة

الباز وكنيته ابو الاشعث وهو اشد من الحيوان تكبرا واضيقها خلقا **قال** القزويني رحمه الله انه لا يكون الا انثى وذكرها من غيرها اما من جنس الحداة او الشواهين ولاجل ذلك اختلف الوانها وهو اصناف منها البازي والباشق والبيدق والصقر والبازي احرها مزاجا لانه لا يصبر على العطش فلذلك لا يفارق الماء والاشجار والظل الظليل وهو خفيف الجناح سريع الطيران تكثر امراضه من كثرة طيرانه لانه كلما طار انحط لحمه وهزل واحسن انواعه ما قل ريشه واحمرت عيناه مع حدة فيهما قال الشاعر

بيت

لو استقصى المرء في ادلاجه … بعينيه كفتاه عن سراجه

حكي ان الرشيد رحمه الله خرج ذات يوم للصيد فارسل بازيا فغاب قليلا ثم اتى وفي فمه سمكة فاحضر الرشيد العلماء وسألهم عن ذلك فقال مقاتل رحمه الله يا امير المؤمنين روينا عن جدك ابن عباس رضي الله عنه انه قال ان الجو معمور بامم مختلفة الخلق وفيه دواب بيض وتفرخ على هيئة السمك لها اجنحة ليست بذوات ريش فاجاز مقاتلا على ذلك واكرمه **بالة** سمكة عظيمة قال القزويني رحمه الله يقال ان طولها يبلغ خمسمائة ذراع ويقال لها العنبر وتظهر في بعض الاحايين لاصحاب المراكب فاذا طبلوا بالطبول تفر وان لها جناحان كالقلاع اذا انشرتهما اغرقتهم فاذا بغت على حيوان البحر وزاد شرها ارسل الله عليها سمكة نحو الذراع تلتصق باذنها ولا خلاص لها منها فتنزل الى قعر البحر وتضطرب براسها فيه حتى تموت ثم تطفو بعد ذلك فيقذفها الريح الى الساحل فياخذها اهله ويشقون جوفها ويستخرجون منها العنبر **ببغا** وهي اصناف كثيرة وهي الرمادي والابيض تتخذها الملوك والرؤساء لحسن لونها وفصاحتها ويقال ان نوعا يقرا القران **الخواص** من اكل لسانها تفصح واذا جفف دمها وجعل بين صديقين حصلت بينهما الخصومة وزبلها يخلط بماء الحصرم ويكتحل به ينفع من الرمد والظلمة **البجع** طير ابيض اللون يخطي له صفرة طويل المنقار كبير البطن اكثر اكله السمك **بح** طير لطيف ياوي اطراف الماء وهو خلقة شريفة ولا يوجد ابدا الا اثنين فقط **براق** الدابة التي ركبها النبي صلى الله عليه وسلم وهو دون البغل واكبر من الحمار ابيض اللون **برذون** نوع من الخيل دون الفرس العربي وفي الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم ركبه وكذلك عمر رضي الله عنه

فلما

فلما ركبه عمر جعل يتخلج به فنزل عنه وضرب وجهه وقال لا علم الله من علمك هذا الخيلا ولم يركب برذونا قبله ولا بعده وكنيته ابو الاخطل لطول اذنيه وانشد السراج الوراق رحمه الله في ذم البرذون بقوله

شعر

لصاحب الاحباس برذونه … بعيد العهد عن القرط
اذا رات خيلا على مربط … تقول سبحانك يا معطي
تمشي الى خلف اذا ما مشت … كانما تكتب بالقبط

الخواص اذا شربت امراة دمه لم تحبل ابدا وزبله يخرج المشيمة والجنين الميت واذا جفف وذر على من به الرعاف انقطع وكذلك الجرح **برغوث** تفتح منه الباء وتضم وكنيته ابو طامر وابو عدي وابو وثاب وهو يثب الى ورائه ويحكى انه يعرض له الطيران كالنمل وهو يطيل السفاد ويبيض ويفرخ واصله اولا من التراب لا سيما في الاماكن المظلمة وسلطانه في اواخر الشتاء واول فصل الربيع ويقال انه على صورة الفيل وله انياب وخرطوم وقال بعضهم دبيبها من تحته اشد من عضها وليس ذلك بعيب ولكن البرغوث خبيث يستلقي على ظهره ويرفع قوائمه فيرغرغ فيظن من لا علم له انه عشي تحت جنبه وكان ابو هريرة رضي الله عنه يبلي ثوبه فيلتقط البراغيث ويدع القمل فقال له انس رضي الله عنه في ذلك فقال ابدا بالفرسان ثم اعكر على الرجالة وانشد اعرابي فيهم يقول

شعر

ليل البراغيث عناني وانصبني … لا بارك الله في ليل البراغيث
كانهن وجلدي اذ خلوت به … ايتام سوء اغاروا في المواريث

وقال ابو الرماح الاسدي رحمه الله فيهم

تطاول بالفسطاط ليلي ولم ازل … بوادي الغضا ليلي علي يطول
تورقني حرب وطار ادلة … وان الذي يؤذينه لذليل
اذا جلت بعض الليل منهن جولة … تعلق بي اخرى من حيث احول
اذا ما قتلناهن اضعفن كثرة … علينا ولا يبقى لهن قتيل
الا ليت شعري هل ابيتن ليلة … وليس لبرغوث علي سبيل

وقال ابن اللنك رحمه الله

اشكو الى الرحمن ما قد نالني … من البراغيث الخفاف الثقال
تحصنوا بالليل لما دروا … باني تحصنت بطيف الخيال

ولا تسبوا البرغوث لما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يسب برغوثا فقال لا تسبه لانه ايقظ نبيا لصلاة الفجر **فائدة** سئل مالك رضي الله عنه عن البرغوث

من تقبض روحه فقال الله نفس قيل نعم قال الله يتوفى الانفس حين موتها ولقد شكى
عامل افريقية الى عمر بن عبد العزيز رحمه الله شر الهوام فكتب اليه اذا اوى احدكم الى فراشه
فليقرأ وما لنا الا نتوكل على الله وقال حنين بن اسحق رحمه الله الحيلة في دفع البرغوث
ان تأخذ شيئا من الكبريت فتدخن به البيت فانه يفر من ذلك وقيل يرش البيت بماء السذاب
وقيل بماء الكرنب مع قشور النارنج والله اعلم بعوض قيل انه على خلقة الفيل الا انه اكثر
اعضاء منه فان للفيل اربعة ارجل وله سنه ويزيد عليه باربعة اجنحة وله خرطوم مجوف
نافذ فاذا طعن به جسد الانسان استقى الدم وقذف به الى جوفه فهو له كالبلعوم والحلقوم
ومما الهمه الله تعالى انه اذا جلس على عضو الانسان يتبع مسام العروق فانه ارق واسرع
له في اخراج الدم ويغرز شره في مصه حتى قيل انه لا يعمر شيئا فيتركه باختياره الا ان ينشق
او يطير ومن عجيب امره انه ربما قتل البعير وغيره من ذوات الاربع فيتركه طريحا وقال
الجاحظ رحمه الله من علم البعوض ان وراء جلد الجاموس دما وان ذلك الدم غذاء لها وانها
اذا بلغت في ذلك الجلد الغليظ نفذ فيه خرطومها مع ضعفه ولو انك طعنت فيه بمسلة
شديدة المتن رهيفة الحد لانكسرت فسبحان من رزقها على ضعفها بقوته وقدرته
لا اله الا هو ولا معبود سواه قال بعضهم شعر

أقول لنازك البستان طوبى * لعيشك ثم يسكنني البعوض
بمحلة فليس له قرار * ويجنه فليس به لقوض
حاه قرصه وطنينه ان * يبيت وعينه فيها غموض
كانك حين تهدى بالاغاني * يكرر في مسامعك العروض

مطلب [illegible]

ومن الحكم التي اودعها اياها قوة الحافظة والفكر وحاسة اللمس والبصر والشم ومنفذ
الغذاء وجوفا ومخا وعروقا وعظاما فسبحان من قدر فهدى ولم يترك شيئا سدى
وقال الزمخشري رحمه الله في ذلك شعرا ذكره في تفسير سورة البقرة

وهي هذه الابيات

يا من يرى مد البعوض جناحها * في ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى مناط عروقها في نحرها * والمخ في تلك العظام النحل
امنن علي بتوبة تمحو بها * ما كان مني في الزمان الاول

بغل معروف كنيته ابو قرص وابو الحرون وله كنى كثيرة غير ذلك وهو مركب من الفرس والحمار
لذلك صار له صلابة الحمار وعظم الخيل وهو عقيم لا نسل له روى ابن عساكر رحمه الله في تاريخ
دمشق عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه انها كانت تتناسل فدعا عليها ابراهيم عليه السلام
لانها كانت تسرع في نقل الحطب لنار الخليل فقطع الله نسلها وهو اشر الطباع لانه يجاوبه

الاعراق المتضادة والاخلاق المتباينة والعناصر المتباعدة ومن العجيب ان كل عضو
فرضته كان بين الفرس والحمار الخواص بغلة لا ان حافر البغلة السوداء يبخر للفار اذا
بخر به البيت واذا سحق حافره بعد حرقه وخلطه بدهن الآس وجعل على رأس الاقرع نبت
شعره وزبله اذا شمه المزكوم زال زكامه على ما ذكر والله اعلم بقر هو حيوان شديد القوة
خلقه الله تعالى لمنفعة الانسان وهي انواع منها الجواميس وهي اكثر البانا وكل حيوان اناثه
ارق صوتا من ذكوره الا البقر ويضربها الفحل في السنة مرة واذا اشتد شبعها تركت المرعى
وذهبت ولذا اطلع عليها الفحل الموت تحته اذا اخطأ المخرج لشدة صلابة ذكره قال
المسعودي رحمه الله رأيت بالري البقر تحمل كالبعير فتبرك على ركبها ثم تثور بالحمل عجيبة حكي
في الاحياء ان شخصا كان له بقرة وكان يخلط لبنها بالماء فجاء السيل في بعض الاودية وهي واقفة
ترعى فغرقها فجلس صاحبها يندبها فقال له بعض بنيه يا ابت لا تندبها فان المياه التي كنا
نجعلها في لبنها اجتمعت وغرقتها فائدة ذكر ابن فضل رحمه الله في كتابه عن وهب بن منبه رضي الله
عنه انه قال لما خلق الله تعالى الارض ماجت واضطربت كالسفينة فخلق الله تعالى ملكا
في نهاية العظم والقوة وامره بان يدخل تحتها ويجعلها على منكبيه فاخرج يدا من المشرق ويدا
من المغرب وقبض على اطراف الارض وامسكها ثم لم يكن لقدمه قرار فخلق الله تعالى صخرة من ياقوتة
حمراء في وسطها سبعة الاف ثقب يخرج من كل ثقب بحر لا يعلم عظمه الا الله تعالى ثم امر
الصخرة ان تدخل تحت قدمي الملك ثم لم يكن للصخرة قرار فخلق الله تعالى ثورا عظيما
له اربعة الاف عين ومثلها اذان ومثلها انوف وافواه والسنة وقوائم بين كل قائمتين منها
مسيرة خمسمائة عام وامر الله تعالى هذا الثور فدخل تحت الصخرة وحملها على ظهره وقرونه
ثم لم يكن للثور قرار فخلق الله تعالى حوتا يقال له يهموت ثم امره ان يدخل تحته ثم جعل الحوت
على ماء ثم الماء على الهواء ثم الهواء على ما ايضا ثم الماء على الثرى ثم الثرى على الظلمة ثم انقطع علم
الخلائق الخواص شحم البقر اذا خلط بزرنيخ احمر طرد العقارب واذا طلي به انا اجتمعت
البراغيث اليه واذا شرب لبنها زاد في الانعاظ وقرنها اذا سحق وجعل في طعام صاحب
الحمى واكله زالت ومرارتها اذا خلطت بماء الكراث نفعت من البواسير طلاء وكذا اذا طلي
على الاثر الاسود في البدن وخصية العجل تجفف وتسحق وتجعل في عسل وتؤكل فانها تزيد
في الباه وشعرها اذا احرق واستنيك به نفع من وجع الاسنان وان خلط مع السكنجبين
وشرب نفع من الطحال على ما ذكر والله اعلم بومة وكنيتها ام الخراب وام الصبيان ومن طبعها
ان تدخل على كل طير وكره وتأكل فراخه وللعداوة للطيور لها تجعلها الصيادون في شباكهم
حتى تقع عليها الطير ونقل المسعودي رحمه الله عن الجاحظ ان البومة لا تخرج بالنهار خوفا
من العين لانها تظن انها حسناء وهي اصناف وكلها تحب الخلوة بنفسها ومن خواصها انها تنام

باحدى عينيها فتغمضها والاخرى مفتوحة فاذا اخذت وجعلت تحت فص خاتم فمن
لبسه لم ينم ما دام في يده وعكسه المغموضة فاذا اردت معرفة ذلك فالقهما في الما
فالراسبة للنوم والطافية لليقظة وقال هرمس رحمه الله اذا اخذت قلب البوم
وجعلته على اليد اليسرى من المراة وهي نائمة تحدثت بجميع ما فعلت في يومها **بوقير**
طير ابيض ياتي في كل سنة طائفة الى جبل بالصعيد يقال له جبل الطير فيه كوة
فيدخل من تحت الكوة فيمسك منها شيء فان امسكت واحدا كان ذلك العام متوسط
الخصب وان امسكت اثنان كان كثير الخصب وان لم تمسك شيئا كانت السنة
مجدبة واهل تلك الناحية تعرف ذلك وهذا الجبل بالقرب من بلدة مارية ام
ابراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم

حرف التا المثناة من فوق

تمساح حيوان عجيب على صورة الضب له فم واسع وستون نابا وقيل ثمانين وبين
كل نابين سن صغير وهي انثى في ذكر اذا اطبق على شيء لا يفلته حتى يقلعه من موضعه
وله لسان طويل وظهر كالسلحفاه ولا تعمل الحديد فيه وله اربعة ارجل وذنب طويل
وهو لا يوجد الا بنيل مصر وقال المسافرون انه يوجد ببحر الهند وطوله في الغالب
ستة اذرع الى عشرة في عرض ذراعين او ذراع ويقيم في البحر تحت الما اربعة اشهر
لا يظهر في زمن الشتاء ويتخوط من فيه في الغالب فيحصل في فيه الدود فيؤذيه
فيلهمه الله تعالى فيخرج الى بعض الجزاير ويفتح فاه فيرسل الله طيرا يقال له القطقاط
فيدخل في فيه فياكل ما فيه من الدود فيحصل له راحة فعند ذلك يطبق فمه على الطير
لياكله فيضربه بريشتين خلقهما الله تعالى في جناحه كرءوس المصاد فيؤلمه فيفتح
فاه فيخرج ولذلك يضرب به المثل فيقال جازاه مجازاة التمساح وزعم بعض
الباحثين عن احوال التمساح ان له ستون نابا وستون عرقا ويسفد ستين مرة
ويبيض ستين بيضة وتحضن ذلك ستين يوما ويعيش ستين سنة وهو يحضن في البر
فاذا فرخ فما صعد الجبل صار ورلا وما نزل البحر صار تمساحا وحنكه الاسفل
لا يستطيع تحريكه لانه فيه عظم متصل بصدره واذا اراد السفاد اخذ انثاه وطلع بها
الى البر وقلبها وجامعها فاذا قضى شهوته قلبها ثانيا لانه لو تركها على تلك الحالة تبقى
حتى تموت وما ذاك الا انها لا تستطيع القلب ليبوسة ظهرها وصلابته وقد سلط الله
عليه اضعف حيوان الما وكلبا للماء يقال انه يتلطخ بالطين ويغافل التمساح ويلقي
نفسه في فيه فيبتلعه التمساح فاذا حصل في جوفه ذاب ما عليه من شحوم بطنه فيعمد
فقطع امعاه ومزق بطنه فقتله ويخرج **الخواص** عينه تشد على من به رمد فيسكن
اليمنى لليمنى واليسرى لليسرى وشحمه اذا قطر في اذن من به صمم زال باذن الله تعالى

تنين

تنين ضرب من الحيات وهو طويل كالنخلة السحوق وجسده كالليل احمر العينين لهما
بريق واسع الفم والجوف يبتلع الحيوان واول امره يكون حية متمردة ثم يطغى ويتسلط
على حيوان البر فتستغيث منه فيامر الله تعالى ملكا فيحمله ويلقيه في البحر فيقيم فيه مدة
ثم يتسلط على حيوانه ايضا فتستغيث منه الى ربه فيامر الله تعالى بالقائه في النار
ليعذب به الكافرين وقيل يرسله الله تعالى على ياجوج وماجوج **روى** ابن ابي شيبة
عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
يسلط الله تعالى على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنينا تنهشه وتلدغه حتى تقوم
الساعة ولو ان تنينا منها نفخ على الارض ما انبتت بها خضراء والله اعلم

حرف الثا المثلثة

ثعلب وهو معروف ذو مكر وخديعة وله حيل في طلب الرزق فمن ذلك انه يتماوت
وينفخ بطنه ويرفع قوائمه حتى يظن انه مات فاذا قرب منه حيوان وثب عليه وصاده
وحيلته هذه لا تتم على كلب الصيد ومن حيلته انه اذا تعرض للقنفذ نفش القنفذ شوكه
فيسلح هو عليه فيلم شوكه فيقبض على مراق بطنه وياكله وسلحه انتن من سلح الحبارى
ومن طرايف امره انه اذا تسلطت عليه البراغيث حملها وجا الى الما وقطع قطعة من
صوف وجعلها في فيه ونزل في الما والبراغيث تطير قليلا قليلا حتى تجتمع في تلك الصوفة
فيلقيها في الما ثم يخرج وفروه ادفى الفرا وفيه الابيض والرمادي وغير ذلك **وذكر**
في عجايب المخلوقات انه اهدى الى منصور الساماني رحمه الله ثعلب له جناحان من
ريش اذا قرب الانسان منه نشرهما واذا ابعد عنه الصقهما **لطيفة** ذكر ابن الجوزي
رحمه الله في آخر كتاب الاذكيا والحافظ ابو نعيم في حلية الاوليا عن الشعبي رحمهما
الله انه قال مرض الاسد فعاده السباع والوحوش ما خلا الثعلب فنم عليه الذئب
فقال اذا حضر اعلمني فلما حضر الثعلب اعلمه الذئب بذلك فقال له الاسد اين كنت
يا ابا الفوارس قال كنت اطلب لك الدوا قال واي شيء اصبته قال قيل لي خرزة
توجد في عرقوب ابي جعدة قال فضرب الاسد بيده في ساق الذئب فادماه ولم يجد
شيئا فخرج ودمه يسيل على رجليه وانسل الثعلب فمر به الذئب فناداه يا صاحب الخف
الاحمر اذا قعدت عند الملوك فانظر ما يخرج منك فان المجالس بالامانات **وقيل**
خرج الاسد والذئب والثعلب يتصيدون فاصطادوا حمار وحش وضبا وغزالا
ثم جلسوا يقتسمون فقالوا للذئب اقسم علينا فقال حمار الوحش لي والغزال
لابي الحارث والضب للثعلب فضربه الاسد بيده في راسه فرضخها فقال الثعلب انا
اقسم حمار الوحش لابي الحارث يتغدى به والغزال لابي الحارث يتعشى به والضب

لابي الحارث تشتغل به فيما بين ذلك فقال له الاسد لله درك من فرضي ما اعلمك
بالفرايض من علمك هذا فقال علمني هذا راس هذا الذئب **وحكي** انه مر في السحر
لشجرة فراي فوقها ديكا فقال له اما تنزل نصلي الصبح انا واياك فقال ان الامام
نائم خلف الشجرة فايقظه فنظر الثعلب فراي الكلب فخرج وولى هاربا فناداه
ما تاتي لنصلي فان الامام استيقظ قال قد انتقض وضوءي فاصبر حتى اجدد لي وضوا
وارجع **ومن** العجب في قسمة الارزاق ان الذئب يصيد الثعلب فياكله والثعلب يصيد
القنفذ فياكله والقنفذ يصيد الافعى فياكلها والافعى تصيد العصفور فتاكله والعصفور
يصيد الجراد والجراد يصيد الزنابير والزنابير يصيد النحلة والنحلة تصيد الذبابة
والذبابة تصيد البعوضة والبعوضة تصيد النملة والنملة تاكل ما تيسر لها من كبير
وصغير فتبارك الله اتقن ما صنع **الخواص** راسه اذا ترك في برج حمام هرب الحمام
منه ونابه يشد على الصبي يحسن خلقه ومرارته يجعل منها في انف المصروع يسيرا
ولحمه ينفع من اللوقة والجذام وخصيته تشد على الصبي ينبت اسنانه وفروه
انفع شي للمربوط ودمه اذا جعل على راس اقرع انبت شعره اذا كان دون
البلوغ وطحاله يشد على من به وجع الطحال يبرا **ثعبان** هو الكبير من الحيات ذكرا
كان او انثى وهو عجيب الشان في هلاك بني ادم يلتوي على ساق الانسان فيكسرها
وليس له عدو الا النمس ولولا النمس لاكلت الثعابين اهل مصر **لطيفة** **حكي**
ان عبد الله بن جدعان رحمه الله كان في ابتدا امره صعلوكا وكان شريرا يفتك
ويقتل وكان ابواه يتعقلان عنه فضجر من ذلك واراد قتله فخرج هاربا منهما
هائما على وجهه فتوصل بجبل فوجد فيه شقا فدخل فيه فوجد في صدره شيئا كهيئة
الثعبان فدنا منه وقال لعله يثب علي لاجد فيقتلني استريح من هذه الحياة قال فدنا
منه فوثب عليه ولم يضره فنظر عبد الله المذكور فحطاه ثم رجع فوجده ملقى وهو مصنوع
من ذهب واذا عيناه ياقوتتان فكسره واخذ عيناه ثم وجد من داخله بيتا فيه جثث
طوال بالية على اسرة من الذهب والفضة وعند روسهم لوح مكتوب فيه تاريخهم
واذا هم رجال من جرهم واذا في وسط البيت كوم من الياقوت والزبرجد والذهب
واللولو والفضة فاخذ منه قدر ما يحمل وعلم الشق وذهب الى قومه فاغناهم ورجع
فلم يدر مكان الشق **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد كنت استظل
بجفنة عبد الله بن جدعان من الهجير قالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله هل
ينفعه ذلك شيا قال لا لانه لم يقل رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين والله اعلم

حرف الجيم

جرو بكسر الجيم وفتحها وضمها وهو الصغير من اولاد الكلاب والسباع وقد كان صلى
الله عليه وسلم امر بقتل الكلاب **وسببه** ان جبريل عليه السلام وعد ليلاتية فتاخر
فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك فقال ما اخرك عن موعدك فقال انا اخرت
ولكنا لا ندخل بيتا فيه صورة ولا كلب قال فامر بقتلهم **وروى** مسلم والطبراني عن
خولة بزيادة لفظها ان جروا دخل تحت سرير في بيته عليه السلام فمات فمكث النبي
صلى الله عليه وسلم اياما لا ياتيه الوحي فقال لعله حدث في البيت شي فخرج للمسجد
فنزل عليه الوحي قالت خولة رضي الله عنها فقمت فكنست البيت فوجدت الكلب تحت
السرير **عجيبة** حكي ان رجلا لم يولد له ولد فكان ياخذ اولاد الناس فيقتلهم فنهته
زوجته عن ذلك وقالت يواخذك الله بذلك فقال لو واخذ لفعل في يوم كذا وصار
يحدا فحاله لها فقالت له ما عاش لم يبتلي ولو ابتلي لاخذك قال فخرج ذات يوم واذا
بغلامين يلعبان ومعهما جرو فاخذهما ودخل البيت فقتلهما وطرد الجرو قال
فطلبهما ابواهما فلم يجداهما فانطلقوا الى نبي لهم فاخبره بذلك فقال هل لهما لعبة كانا
يلعبان بها قال جرو وكلب قال ايتني به فجعل خاتمه بين عينيه ثم قال له اذهب خلفه
فاي بيت دخله ادخل معه ثم ان اولادك فيه قال فجعل الجرو يجوز الدروب والحارات
حتى دخل بيت القاتل قال فدخل الناس خلفه واذا بالغلامين يتعفران في دمهما
وهو قائم يحفر لهما مكانا يدفنهما فيه فامسكوه واتوا به لنبيهم عليه السلام فامر
بصلبه فلما راته زوجته على الخشبة قالت الم احذرك هذا اليوم وتقول ما تقول
الان امتلا صاعك وسياتي الكلام على الكلب في حرف الكاف ان شا الله تعالى **جعل**
دويبة معروفة وتسمى ابو جعران والزعقوق اذا القيته يحفر لها في وجهها لتدب
منه وهو اكبر من الخنفسا شديد السواد وفي بطنه لون حمرة للذكر قرنان يوجد
كثيرا في مراح البقر والجاموس قيل انه يتولد من اخثائهم ومن شانه جمع النجاسة
وادخارها ومن عجيب امره انه اذا وضع في الورد مات ولحيينه بعوده للروث
وله جناحان لا يكاد يريان الا اذا طار وله ستة ارجل وسنام مرتفع جدا وهو يمشي
القهقرى ومن طبعه انه يحرس النيام فاذا قام احدهم يتغوط تبعه لياكل من رجيعه
وذلك من شهوته للغائط

حرف الحا المهملة

حجل طير فوق الحمامة اغبر الملون احمر المنقار والرجلين يسمى دجاج البر وهو صنفان
نجدي وتهامي فالنجدي اغبر والتهامي ابيض وله شدة الطيران واذا اقتتل ذكران
تبعت الانثى الغالب وعنده شدة شبق وافراخه تخرج من البيض كاسية ويعمر
في الغالب عشرين سنة واذا قوي على غيره اخذ بيضه فحضنه ومن سر الله تعالى انه

اذا فرخ ذلك البيض تبع أمه التي باضته ومن طبعه أنه يخدع غيره في قرقرته
ولذلك تتخذه الصيادون في اشراكهم **غريبة** قيل إن أبا نصر بن مروان رحمه الله
اكل مع بعض مقدمي الاكراد فاتي على سماطه بحجلتين مشويتين قال فلما رآهما ضحك
فقال له مم تضحك قال كنت اقطع الطريق في عنفوان شبابي فمر بي تاجر فاخذته فلما
اردت قتله تضرع الي فلم اقبله فلما علم انه لا بد من ذلك التفت يمينا وشمالا فرأى
حجلتين كانتا بقربنا فقال اشهدا اني قاتلي ظلما فقتلته فلما رأيت هاتين الحجلتين
تذكرت حمقه في استشهاده بهما فقال ابو نصر والله لقد شهدا عليك عند من اقادك
بالرجل ثم امر به فضربت عنقه **الخواص** لحمها جيد يعدل الهضم ومرارتها تذهب
الغشاوة في العين واذا سعط بها انسان في كل شهر مرة جاد ذهنه وقل نسيانه وقوي
بصره **حداة** بكسر الحاء وفتح الدال مع همزة اخس الطير وتبيض بيضتين وربما باضت
ثلاثا وتحضن عشرين يوما ومن الوانها الاسود والرمادي وهي لا تصيد الا خطفا وفي
طبعها انها عسري وهي سنة ذكر وسنة انثى كالارنب **عجيبة** روى الحافظ النسفي
رحمه الله في فضائل الاعمال ان عاصم بن ابي النجود شيخ القراء في زمانه رحمه الله قال
اصابتني خصاصة فجئت الى بعض اخواني فاخبرته بامري فرأيت في وجهه الكراهة
فخرجت من منزله الى الجبانة فصليت ما شاء الله تعالى ثم وضعت وجهي على الارض وقلت
يا مسبب الاسباب يا فاتح الابواب يا سامع الاصوات يا مجيب الدعوات يا قاضي
الحاجات اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك فوالله ما رفعت
رأسي حتى سمعت وقعة بقربي فاذا بحداة قد طرحت كيسا احمر فقمت فاخذته فاذا
فيه ثمانون دينارا وجوهر ملفوفة في قطن قال فانتفعت بذلك واشتريت عقارا
وتزوجت **الخواص** مرارتها تجفف في الظل وتجعل في اناء زجاج فمن لسع قطر منها في
ذلك الموضع واكتحل بها لغالب الحمة اللسع ثلاثة اميال ابرأته ودمها اذا اخلط بقليل
مسك وماء ورد وشرب على الريق نفع من ضيق النفس وان علقت في بيت لم يدخله
حية ولا عقرب **حرباء** دويبة صغيرة على هيئة السمك ورأسها يشبه رأس العجل
اذا رأت الانسان انتفشت وكبرت ولها اربعة ارجل وسنام كهيئة الجمل ولها كنى
كثيرة منها ام قرة ويقال لها جمل اليهود وهي ابدا تطلب الشمس فمن اجل ذلك يقال لها
مجوسية وتستقبلها بوجهها وتدور معها كيف ما دارت فاذا غابت اخذت في كسبها
ومعاشها ويقال ان لسانها طول عود راع وهو مطوي في حلقها لانها تبتلع ما بعد عنها
من الذباب والانثى من هذا النوع يسمى ام حنين ويقال ان الصبيان ينادونها

قال الشاعر

أم

أم حنين انشري برديك ... ان الامير ناظر اليك
وضارب بسوطه جنبيك

فاذا زادوا عليها نشرت جناحيها وانتصبت على رجليها فاذا زادوا عليها نشرت اجنحة
أحسن من تلك ملونة فاذا مشت تطاطي رأسها وتتلون الوانا ولهذا يقال يتلون
كالحرباء **حمار اهلي** معروف وليس في الحيوان من ينزو على غير جنسه الا هو والفرس وينزو
بعد تمام ثلاثين شهرا وكنيته ابو محمود وابو جحش وغير ذلك وهو انواع فمنه ما هو لين
الاعطاف سريع الحركة ومنه ما هو بضد ذلك ويوصف بالهداية الى سلوك الطرقات
لطيفة في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم لما فتح خيبر اصاب حمارا اسود فكلمه فقال
ما اسمك قال يزيد بن شهاب اخرج الله تعالى من نسل جدي ستين حمارا كلها لا يركبها الا نبي
وكنت اتوقعك لتركبني وانه لا يركبني غيرك من الانبياء واني عند يهودي يجيع بطني
ويضرب ظهري وذلك لاني كنت اذا اراد يركبني عثرت به عمدا او وقعته فقال عليه السلام
انت يعفور أتشتهي الاناث قال لا وكان عليه السلام يركبه واذا اراد حاجة عند
انسان وقف به على بابه وارسله اليه فيدفع الباب برأسه فيخرج صاحب البيت
له فيعرفه ويقضي حاجة النبي صلى الله عليه وسلم ولما مات النبي عليه السلام ذهب الى بئر
كانت لابي الهيثم فتردى فيها جزعا على النبي صلى الله عليه وسلم فكانت قبره وقيل هذا الحديث
منكر وقد ذكره السهيلي في التعريف والاعلام وللناس في مدحه وذمه اقوال
متباينة بحسب الاغراض فمن مدحه ابا صفوان وجد راكبا على حمار فقيل له في ذلك فقال
عير من نسل الاكراد يحمل الرحل ويبلغ العقبة ويمنعني ان اكون جبارا في الارض **وقال**
اخر هو اقل الدواب مؤنة واكثرها معونة واخفضها مهوى واقربها مرتقى وكان
حمار ابو سيارة مثلا في الصحة والقوة وهو حمار اسود حمل الناس عليه من منى الى المزدلفة
اربعين سنة وكان خالد بن صفوان والفضل بن عيسى الرقاشي رحمهم الله يختاران
ركوب الحمار ويجعلان ابا سيارة قدوة لهما وحجة **ومن ذمه** ما نقل عن عبد الحميد الكاتب
رحمه الله انه قال لا تركب الحمار فانه ان كان فارها اتعب يدك وان كان بليدا اتعب
رجلك وقيل لمركب الدجال ان يكون مركب الرجال وقال اعرابي الحمار بئس المطية
ان اوقفته ادلى وان تركته ولى كثير الروث قليل الغوث سريع الى الغرارة بطيء في
الغارة لا ترقى به الدماء ولا يمهر به النساء ولا يحلب في الاناء قال الزمخشري رحمه الله

بيت

ان الحمار ومن فوقه ... حماران شرهما الراكب

ومن العرب من لا يركبه ابدا ولو بلغت به الحاجة والجهد **نادرة** قيل كان لرجل بالبادية

حمار وكلب وديك فالديك يوقظه للصلوة والكلب يحرسه اذا نام والحمار يحمل
اثاثه اذا رحل فجاء الثعلب فاكل الديك فقال عسى ان يكون خيرا ثم جاء الذئب فبقر
بطن الحمار فقال عسى ان يكون خيرا ثم اصيب الكلب بعد ذلك فقال لا حول ولا قوة
الا بالله العلي العظيم عسى ان يكون خيرا ثم قال ان جيرانه من الحي اغير عليهم فاخذوا
فاصبح ينظر الى منازلهم وقد خلت فقيل له انما اخذوا باصوات دوابهم فكانت
الخيرة في هلاك ما عندك فمن عرف لطف الله تعالى رضي بفعله **حمام** هو انواع
كثيرة والكلام الآن في الذي الف البيوت وهو قسمان احدهما بري وهو الذي يوجد
في القرى والآخر اهلي وهو انواع واشكال فمنه الرواعب والمراعيش والسداد
والقلاب والمنسوب ومن طبعه انه يطلب وكره ولو كان في مسافة بعيدة ولاجل
ذلك يحمل الاخبار ومنهم من يقطع عدة فراسخ في يوم واحد وربما صبر وغاب عن وطنه
عشر سنين وهو على ثبات عقله وقوة حفظه حتى يجد فرصة فيطير فيصير الى وطنه
وسباع الطير تطلبه اشد الطلب وخوفه من الشاهين اشد من غيره ومن طبعه انه
لا يريد الا ذكره الى ان يهلك او يفقد احدهما ويحب الملاعبة والتقبيل ويسفد لتمام
ستة اشهر ويحمل اربعة عشر يوما ويبيض بيضتين ويحضن عشرين يوما ويحمل من احدى
البيضتين ذكرا ومن الاخرى انثى فاتخاذها في البيوت لا باس به غير انه لا يجوز
تطييرها والاشتغال بها والارتقاء بها على الاسطحة وعليه حمل اهل العلم قوله عليه السلام
شيطان يتبع شيطانة حين راى شخصا يتبع حمامة فان لم يحصل شيء مما ذكر جاز
اتخاذها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذوا الحمام في بيوتكم فانها تلهي الجن عن
صبيانكم واللعب بها من عمل قوم لوط **وقال** النخعي رحمه الله من لعب بالحمام لم يمت حتى
يذوق الم الفقر ولم يوجد شيء ابله من الحمام فانه تؤخذ فراخه فتذبح في مكان ثم يعود
في ذلك المكان ويبيض فيه ويفرخ **وقال** الجاحظ رحمه الله وللحمامة من الفضيلة
والفخر ان الواحدة تباع بخمسماية دينار ولم يبلغ ذلك شيء من الطير غيره وهو الهادي
الذي جاء من الغاية قال ولو دخلت بغداد والبصرة وجدت ذلك بلا محاباة ولو وجدت
ان بردونا او فرسا ابيع بخمسماية دينار لكان سموا وقد تباع البيضة الواحدة
من بيض هذا الحمام بخمس دنانير والفرخ بعشرين فمن كان له زوجان منه فهما في الغلة
مقام ضيعة واصحابه ينالون من اثمانه الدور والحوانيت وهو مع ذلك ملهي عجيب
ومنظر انيق **الخواص** دمه ينفع الجراحات العارضة للعين والغشاوة ويقطع
الرعاف ويبري حرق النار اذا خلط بالزيت وزبله الاحمر ينفع للسع العقرب
اذا وضع عليه واذا شرب منه مقدار درهمين مع ثلثة دراهم دار صيني نفع من الحصاة

حرف الخاء المعجمة

الخطاف انواع كثيرة فمنه نوع دون العصفور رمادي اللون يسكن ساحل البحر
ومنه ما لونه اخضر ويسميه اهل مصر الخضاري ونوع منها طويل الاجنحة رقيقها
يالف الجبال ونوع منه اصغر يالف المساجد تسميه الناس الصنونو وزعم بعضهم
انه الطير الابابيل ويقال ان آدم عليه السلام لما اهبط الى الارض حصلت له وحشة
فخلق الله تعالى له هذا الطير ليونسه فلاجل ذلك نجدها لا تفارق البيوت وهي
تبني بيتها في اعلى مكان في البيت وتحكم بنيانه وتطينه فان لم تجد الطين ذهبت الى البحر
فتمرغت بالتراب والماء واتت فطينته وهي لا تزال داخله بل على حافته او خارجا
عنه ومن شانه ان لا يفرخ في عش عتيق بل يجدد له عشا واصحاب اليرقان يلطخون
افراخه بالزعفران فيذهب فياتي بحجر اليرقان ويلقيه في عشه لتوهمه ان اليرقان
حصل لاولاده وهو حجر صغير فيه خطوط يعرفه غالب الناس فيجد ذلك باخذه
من به اليرقان ويحكه ويستعمله ومن عجيب امره انه يكاد يموت من صوت الرعد
واذا عمي ذهب الى شجرة يقال لها شمس فيمرغ وجهه فيها فيفتح **لطيفة** قيل
ان خطافا وقف على قبة سليمان عليه السلام وتكلم مع خطافة فامتنعت منه فقال
تمتنعي مني ولو شئت قلبت هذه القبة فسمع سليمان عليه السلام ذلك فدعاه وقال
ما حملك على ما قلت فقال يا نبي الله العشاق لا يؤاخذون باقوالهم **الخواص**
مرارته تنور البصر ولحمه يورث السهر وقلبه يهيج الباه اذا اكل جافا ودمه
يسكن الصداع **الخفاش** طير يوجد بالاماكن المظلمة ويطير بعد المغرب قيل الخفاش
لانه لا يبصر نهارا ولا في ضوء القمر وقوته البعوض وهذا الوقت الذي يخرج فيه البعوض
ايضا لطلب رزقه فياكله الخفاش فيتسلط طالب رزق على طالب رزق وهو من
الحيوان الشديد الطيران قيل انه يطير العشرين ساعة وهو يحوم مثل النسر وتعاديه
الطير فيقتل لانه قيل ان عيسى عليه السلام لما نشا لوه النصارى في طرلة عظم فيه صنع
لهم ذلك باذن الله تعالى فهي تكرهه لكونه مباينا لخلقتها ومن طبعه الحنو على ولده حتى
قيل انه يرضعه وهو طائر **الخنزير** حيوان معروف وله كنى كثيرة منها ابو جهم وابو زرعة
وابو دلف وهو مشترك بين البهيمة والسبع لان له ناب ويأكل الجيف ويأكل العشب
والعلف وهو كثير الشبق حتى قيل انه يجامع الانثى وهي سائرة فترى في مشيها سنة
اثر الرجل فيتوهم انه حيوان بستة ارجل وليس كذلك والذكر منها يطرد الذكر مثله فمن
استقل بالنزو على الانثى ويحرك اذناها في زمن هيجانه ويطاطي راسها وتغير صوتها
ويحمل من نزوة واحدة وتحمل ستة اشهر وتضع عشرين ولدا ويبرز الذكر اذا بلغ ستة اشهر

وتضع عشرين ولدا وينزو الذكر اذا بلغ ستة اشهر وقيل اربعة باختلاف البلاد وقيل
ثمانية واذا بلغت الانثى خمسة عشر سنة لا تحمل وهذا الجنس انسل الحيوان والذكر
اقوى الفحول وليس لذوات الاربع ما للخنزير في نابه من القوة حتى قيل انه يضرب به السيف
والرمح فيقطع ما لاقاه واذا التقى ناباه في الطول مات لانهما حينئذ يمنعانه من الاكل
ومن عجيب امره انه ياكل الحيات ولا يؤثر فيه سمها واذا عض كلبا سقط شعره ومن عجيب
امره انه اذا ربط على ظهر حمار وبال الحمار وهو على ظهره مات ولا يسلخ جلده الا بالقلع مع
شيء من لحمه على ما ذكروا والله اعلم **خنفساء** دويبة تتولد من عفونة الارض وبينها وبين العقرب
مودة وكنيتها ام فسوة لان كل من وضع يده عليها يشم رائحة كريهة **فائدة** قيل ان رجلا راى
خنفسا فقال ما يصنع الله بهذه فابتلاه الله تعالى بقرحة عجز الاطباء فيها فبينما هو ذات
يوم واذا بطرقي يقول من به وجع كذا حتى قال من به قرحة فخرج اليه ذلك الرجل فلما راى
ما به قال ايتوني بخنفسة فضحك منه الحاضرون فقال لهم ذلك الرجل ايتوه بالذي يطلب
فاتوه بها فحرقها واخذ رمادها وجعل منه على تلك القرحة فبرئت فعلم ذلك المقروح ان
الله تعالى ما خلق شيئا سدى وان في اخس الخلق اعز الادوية فسبحان القادر على كل شيء
الخواص اذا قطعت رؤس الخنافس وجعلت في برج الحمام كثر في ذلك البرج والاكتحال
بما في جوفها من الرطوبة يحد البصر ويجلو الغشاوة والبياض واذا بخر المكان بورق
الدفلى هربت منه الخنافس على ما ذكر والله اعلم **الخيل** جماعة الافراس وسميت بذلك
لانها تختال في مشيتها وهي من الحيوان المشرف ولقد مدحها الله تعالى واوصى بها عليه السلام
فقال الخير معقود بنواصي الخيل الى يوم القيمة وقال عليكم باناث الخيل فان ظهورها
عز وبطونها كنز **وروي** عن ابن عباس وعلي رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال لما اراد الله تعالى خلق الخيل اوحى الى الريح الجنوب وقال اني خالق منك خلقا
فاجتمعي فاجتمعت فاتى جبريل عليه السلام فاخذ منها قبضة فخلق الله تعالى منها فرسا
كميتا وقال خلقتك عربيا وفضلتك على سائر البهائم فالرزق بناصيتك والغنائم
تقاد على ظهرك وبصهيلك اذهب المشركين واعز المؤمنين ثم وسمه بغرة وتحجيل فلما
خلق الله تعالى ادم عليه السلام قال يا ادم اختر اي الدابتين الفرس او البراق
فقال الفرس يا رب فقال الله تعالى له اخترت عزك وعز اولادك والخيل ثلثة فرس للرحمن
وهي المعدة وعلفها وفرس لك وهي التي تسابق عليها وفرس للشيطان وهي التي جعلت للخيلا
وفي الحديث ان الملائكة لا تحضر شيئا من اللهو الا في مسابقة الخيل وملاعبة الرجل اهله
ولقد سابق صلى الله عليه وسلم على الخيل وقيل ان الذكر من الخيل اقوى من الانثى ولا يرد
علينا ركوب جبريل عليه السلام في قصة موسى وفرعون الانثى لان ذلك من حكمة الله تعالى

حتى

حتى تتبعها احصنتهم فاغرقوا لان الحصان اذا راى الحجرة تبعها وقيل ان الله تعالى امر
نبيه موسى عليه السلام ان يعبر البحر فعبر وهم خلفه فاعمى الله تعالى اعينهم عن الماء فكانوا
يرونه بلقعا والخيل تراه ماء فلولا دخول جبريل عليه السلام البحر بفرسه لما عبرت خيلهم وهي
اصناف منها الصافنات وهي التي اذا ربطت في مكان وقفت على احدى رجليها وقلبت حافر الاخرى
في الوقوف وغير ذلك وكانت الصافنات الف فرس لسليمان عليه السلام فعرضها يوما ففاتته
الصلوة قبل صلوة العصر فامر بعقرها فعوضه الله تعالى عنها الريح فكانت فرسه وقيل انما
عقرها على وجه القربة كالهدي وقيل ان الفرس لا يحب الماء الصافي ولا يضرب فيه بيديه
كما يضرب بهما في الماء الكدر فرحا به فانه يرى في الماء الصافي شخصه فيفزعه ولا يراه في الماء
الكدر والله اعلم

حرف الدال المهملة

دابة اسم لكل ما دب واما التي ذكرها الله تعالى في سورة سبا فقيل الارضة وقيل السوسة
وسبب ذلك ان سيدنا سليمان عليه السلام كان قد امر الجن ببناء صرح فبنوه له ودخل فيه
واراد ان يصفو له يوم واحد من دهره فدخل عليه شاب فقال له كيف دخلت من غير استيذان
فقال اذن لي رب البيت فعلم سليمان عليه السلام ان رب البيت هو الله تعالى وان الشاب
ملك الموت ارسل لقبض روحه فقال سبحان الله هذا اليوم طلبت فيه الصفا فقال له
طلبت ما لم يخلق وكان قد بقي من بناء المسجد الاقصى بقية فقال له يا اخي يا عزرائيل امهلني حتى
يفرغ قال ليس في امري مهلة قال فقبض روحه عليه السلام وكان من عادته الانقطاع
في التعبد شهرين وثلثة ثم ياتي فينظر ما صنعت الجن وكان عليه السلام لما قبض متوكيا
على عصاه واستمر ذلك مدة والجن تتوهم انه مشرف عليهم فتعمل في كل يوم بقدر عشرة ايام
حتى اراد الله تعالى ما اراد فسلط على العصا الارضة فاكلتها فخر ميتا فنفرت الجن عنه
وقيل ان واحدا منهم مر عليه فسلم فلم يجبه فدنا منه فلم يجد له نفسا فحركه فسقطت العصا
التي اتكا عليها كانت من خرنوب قال الله تعالى فلما خر تبينت الجن ان لو كانوا يعلمون الغيب
ما لبثوا في العذاب المهين قال فشكرت الجن الارضة حتى قيل انهم كانوا ياتونها بالماء
حيث كانت **واما الدابة التي من اشراط الساعة فمختلف في امرها** فقيل تخرج من
الصفا وهو الصحيح وقيل من الطائف وقيل من البحر وطولها ستون ذراعا ذات قوائم وهي
مختلفة الالوان وذلك في ليلة يكون الناس مجتمعين بمنى او سائرين الى منى ومعها عصى موسى
عليه السلام وخاتم سليمان عليه السلام لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب تلحق المومن فتضربه
بالعصا وتكتب في وجهه مومن وتدرك الكافر فتسمه بالخاتم وتكتب في وجهه كافر
وروي انها تخرج اذا انقطع الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وقل الخير **الداجن** وفي حديث
الافك ما اعلم له قضية غير انها كانت تعجن وتنام فتاتي الداجن فتاكل العجين **الدب**

السباع وكنيته ابو حميمه وابو جميل وغير ذلك ولا يخرج زمن الشتا حتى يطيب الهوى واذا
جاع يمص يديه ورجليه فيندفع جوعه وهو كثير الشبق ويحرك بانثاه وتضع جروا واحدا
وتصعد به الى اعلى الشجر خوفا عليه من النمل لانها تضعه قطعة لحم ثم لا تزال تلحسه وترفعه في
الهوى اياما حتى تتحرك اعضاه ويتنفس ويصير له جلد وفي ولادتها صعوبة وربما ماتت منها
وقد تلده ناقص الخلق سوءا منها للسفاد وهو من الحيوان الذي يدعوا الانسان للفعل به وفي
طبعه اللام فلا يتحمل الا بضرب وتعنيف وقيل ان الدب يقيم اولاده تحت شجر الجوز ثم يصعد
فيرمي بالجوز لها الى ان تشبع وربما قطع من الشجرة الغصن الضخم الذي لا يقطعه الا بالفاس والجهد
ثم يشد به على الفارس فلا يخطي احدا الا قتله **الدجاجة** وكنيتها ام ناصر الدين وام
الوليد وغير ذلك واذا هرمت لم يبق لبيضها مح ويوصف بقلة النوم وقيل ان نومها بقدر ما
تتنفس وعندها خوف في الليل فلاجل ذلك تطلب وقت الغروب مكانا عاليا وتخشى الثعلب
قيل انها اذا رأته القت نفسها اليه من شدة الخوف ولا تخشى بقية السباع وقيل يعرف الذكر
من الانثى يمسك منقاره فان تحرك فذكر والا فانثى ومن الدجاج من يبيض في اليوم مرتين
وهي من اسباب موتها ويستكمل خلق البيضة في بطن الدجاجة عشرة ايام وفي الحديث انه صلى الله عليه
وسلم امر الاغنيا باتخاذ الاغنام وامر الفقرا باتخاذ الدجاج ومن العجيب في صنع الله تعالى ان
خلق الفروج من البياض وجعل الصفار غدا له كما خلق الطفل من المني وجعل دم الحيض غدا له
فتبارك الله احسن ما صنع **الخواص** لحم الدجاج الذي يزيد في العقل ويصفي اللون ويزيد في المني
ويقوي الباه والمداومة عليه تورث النقرس والبواسير على ما ذكروا والله اعلم **الدج** طير كبير
اغبر يكون كثيرا بساحل البحر ويقرب اسكندرية والناس يصطادونه وياكلونه
الدود اسم جنس ومنه دود القز ويقال لها العندبة ومن عجيب امرها انها تكون اولا مثل
بزر التين ثم تصير دودا وذلك في اوايل فصل الربيع ويكون عند خروجه مثل الذر في قدر
وفي لونه ويخرج في الاماكن الدفيه اذا كان مصرورا في حق وربما تاخر خروجه فتحمله النسا
تحت ثديهن بصرة فيخرج وغداوه ورق التوت الابيض ولا يزال يكبر حتى يصير بقدر الاصبع
فينتقل من السواد الى البياض كل ذلك في مدة ستين يوما ثم ياخذ في النسج على نفسه بما
يخرجه من فيه الى ان ينفد ما في جوفه شي كهيئة الفراش له جناحان لا يسكنان من
الاضطراب وعند خروجه يهيج الى السفاد ويلصق الذكر موخره الى موخر الانثى ويلتحمان
مدة ثم يفترقان ويكون قد فرش لهما خرقة بيضا فينتثر ان البزر عليها ثم يموتان
هذا اذا اريد منهما البزر وان اريد الحرير تركا في الشمس بعد فراغهم من النسج فيموتوا
وهو سريع العطب حتى انه يخشى عليه من صوت الرعد ومن المراة الحايض والرجل الجنب ورايحة
الدخان والحر الشديد والبرد الشديد قال ابو الفتح البستي رحمه الله

شعر

شعر

ألم تر ان المرا طول حياته * معنى بامر لا يزال يعالجه
كذلك دود القز ينسج دايما * ويهلك غما وسط ما هو ناسجه

وقال اخر

يفني الحريص بجمع المال مدته * وللحوادث ما يبقي وما يدع
كدودة القز ما تبنيه يهلكها * وغيرها بالذي تبنيه ينتفع

الديك وكنيته ابو حسان وابو حماد وغير ذلك ويسمى الانيس والمؤانس ومن طبعه ان
لا يالف زوجة واحدة وهو ابله الطبيعة لانه لا يزال اذا سقط من بيت اصحابه لا يهتدي
الى الرجوع اليهم وفيه من الخصال الحميدة ما لا يحصر منها انه يسوي بين دجاجاته في الطعمة ويذكر
الله تعالى في الليل حتى قيل انه ليوقته ويقسمه وربما لا يخرم في توقيته وفي الحديث اذا
سمعتم صياح الديك فاذكروا الله تعالى فانه يصيح بصياح ديك العرش **وروى** الثعلبي
رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلثة اصوات يحبها الله تعالى صوت الديك وصوت
قاري القران وصوت المستغفر بالاسحار وفي الحديث لا تسبوا الديك فانه يوقظ للصلوة
وزعم اهل التجربة ان الرجل اذا ذبح الديك الابيض الافرق لم يزل ينكب في اهله وماله

حرف الذال المعجمة

الذباب وكنيته ابو جعفر وهو اصناف كثيرة يتولد من العفونات ومن عجيب امره انه
يلقي رجيعه على الابيض يسوده وعلى الاسود يبيضه ولا يقعد على شجرة الدبا وفي الحديث
اذا وقع الذباب في انا احدكم فليغمسه فان في احد جناحيه دا وفي الاخر دوا وان في
طبعه ان يلقي نفسه بالجناح الذي فيه الدا **وحكي** ان المنصور رحمه الله كان
جالسا فالح عليه الذباب حتى اضجره فقال انظروا من بالباب فقالوا مقاتل بن سليمان رحمه الله
فدعى به ثم قال له هل تعلم لاي شي خلق الله تعالى الذباب قال ليذل به الجبابرة قال صدقت
ثم اجازه **ومن** خصايص النبي صلى الله عليه وسلم انه كان لا يقعد عليه ذباب قط وقال
المامون رحمه الله قالوا ان الذباب اذا دلك به موضع لسعة الزنبور سكن فلسعني زنبور
فحككت على موضعه اكثر من عشرين ذبابا فما سكن فقالوا هذا الزنبور كان حما قاضيا
ولولا هذا العلاج لقتلك وقال الجاحظ رحمه الله من منافع الذباب انها تحرق وتخلط بالكحل
فاذا اكتحلت المراة به كانت عينها احسن ما تكون وقيل ان المواشط تستعمله وتامر
به العرايس وقيل ان الذباب اذا مات والقي عليه برادة الحديد عاش واذا بخر البيت
بورق القرع هرب منه الذباب **الذئب** حيوان معروف وكنيته ابو جعدة وابو
جاعد وابو ثمامة لونه رمادي وهو من الحيوان الذي ينام باحدى عينيه ويحرس بالاخرى

حتى يمل فيغمضها ويفتح الاخرى واذا اراد السفاد اختفى ويطول في سفاده كالكلب واذا جاع عوى فاجتمع الذياب فمن هرب منها اكلوه واذا خاف من الانسان طمع فيه وليس في الارض اشد يعض على عظم الا ولتكسير العظم صوت بين لحييه الا الذئب فان لسانه يبري العظم بري السيف ولا يسمع له صوت ‧ وقيل اذا ادمي الانسان فشم الذئب منه رايحة الدم لا يكاد ينجو منه وان كان اشد الناس قلبا واتمهم سلاحا كما ان الحية اذا خدشت طلبها الذر فلا تكاد تنجو منه وكالكلب ذا عض الانسان يطلبه الفار فيبول عليه فيكون في ذلك هلاكه فيحتال له بكل حيلة ‧ قيل ولا يعرف الالتحام عند السفاد الا في الكلاب والذياب ‧ واذا هجم الصياد على الذئب والذئبة وهما متسافدان قتلهما كيف شا ووصف بعضهم الذئب فقال

بيت

ينام باحدى مقلتيه ويتقي ‧ باخرى المنايا وهو يقظان هاجع

حرف الرا المهملة

رخ طير عظيم الخلقة يوجد بجزاير الصين قال ابو حامد الاندلسي رحمه الله ذكر لي بعض المسافرين بالبحر انهم ارسوا بجزيرة فلما اصبحوا رأوا في طرفها لمعانا وبريقا قال فتقدموا اليه فاذا هم بشي كهيئة القبة فجعلوا يضربون فيه بالفوس والمعاول الى ان كسروه فوجدوه كهيئة البيضة وفيه فرخ عظيم فتعلقوا بريشه وجروه وقطعوا من لحمه وحملوا معهم واتوا الى اصحابهم فطبخوا منه ذلك وحركوا القدر بحطب من تلك الجزيرة يقال له حطب الشباب فلما اكلوا ذلك الطعام اسودت لحيهم قال فلما اصبحوا جا الرخ فوجدهم قد صنعوا بفرخه ما صنعوا فذهب واتى في رجليه بحجر عظيم وتبعهم بعدما ساروا في البحر والقاه على سفينتهم فسبقت السفينة وكانت مشرعة بسبع قلاع فوقع الحجر في البحر ونجاهم الله تعالى منه وكان ذلك من لطف الله بهم قال وكان قد بقي معهم اصل ريشة من ريشه قيل انهم كانوا يجعلون فيه الما فيسع مقدار قربة ‧ رخمة طير اغبر اصغر المنقار معروف وهو من اشرار الطير ويقال انها صما وسبب ذلك عما قيل في بعض الحكايات ان موسى عليه السلام لما مات تكلمت بموته وكانت تعرف مكانه فاصمها الله تعالى حتى لا ترشد احدا الى موضعه

حرف الزاي المعجمة

زرافة حيوان عجيب الخلقة ولما كان ما كولها الشجر خلق الله تعالى يديها اطول من رجليها وهي الوان عجيبة يقال انها متولدة من ثلث حيوانات من الناقة الوحشية والبقرة الوحشية والضبع فيثب الضبع على الناقة فتاتي بذكر فيثب ذلك الذكر على البقرة فيتولد منه الزرافة والاصح انه خلق بذاته ذكرا وانثى كبقية الحيوان لان الله تعالى لم يخلق شيا الا بحكمة ‧ زنبور حيوان فوق النحلة له الوان قد اودعه الله تعالى حكمة في بنا بيته وذلك

انه يبنيه مربعا باربعة ابواب كل باب مستقبل جهة من جهات الارياح الاربع فاذا جا الشتا دخل تحت الارض وبقي الى ايام الربيع فينفخ الله تعالى فيه الروح فيخرج ويسطو وفي طبعه التهافت في الدما واللحم ومن خاصيته انه اذا وضع في الزيت والخل عاش ولسعته تزول بعصارة الملوخية ‧

حرف السين المهملة

سعلاة نوع من المتشيطنة قال السهيلي رحمه الله هو حيوان يتراى للناس بالنهار والغول بالليل واكثر ما يوجد في الغياض واذا انفردت بانسان وامسكته صارت ترقصه وتلعب كما يلعب القط بالفار قال وربما صادها الذئب فياكلها وهي حينئذ ترفع صوتها وتقول ادركوني فقد اخذني الذئب وربما قالت من ينقذني منه وانا اعطيه الف دينار واهل تلك الناحية يعرفون ذلك فلا يلتفتون الى كلامها ‧ سمندل حيوان يوجد بارض الصين ومن عجيبة امره انه يبيض في النار ويفرخ فيها ويوخذ وبره فينسج ويجعل منه المناشف وهذه المناشف اذا اتسخت وجعلت في النار فتاكل وسخها ولا تحرقها ‧ وحكي انه نيل واحدة من هذه المناشف وجعلت في النار فاوقدت ساعة ولم تحترق ‧ سنجاب حيوان كهيئة الفار يوجد ببلاد الترك على قدر اليربوع اذا ابصر الانسان هرب وشعره كشعر الفار وهو ناعم يوخذ فيسلخ جلده ويجعل فروا ويلبس وطبعه موافق لكل فصل واحسنه الازرق ‧ سنور حيوان متواضع الوف خلقه الله تعالى لدفع الفار والحشرات وله كنى واسما كثيرة ‧ حكي ان اعرابيا صاد سنورا فلقيه شخص فقال ما تصنع بهذا الخيطل وقال آخر ما تصنع بهذا الهر فقال ابيعه فقيل له بكم قال بمائة دينار فقيل له انه يساوي نصف درهم فرمى به وقال لعنه الله ما اكثر اسماه وما اقل قيمته وهذا الحيوان يهيج في زمن الشتا في شهرين منها وتراهن يترددن وهن صارخات في طلب السفاد فكم من حرة نجلت وذي غيرة هاجت حميته وغرب تحركت شهوته ‧ وفوه السنور اطيب من فوه الكلب في النكهة ‧ وقيل الهرة تحمل خمسين يوما والهر يجمع بين العض بالناب والخمش بالمخالب وليس كل سبع كذلك وهو يناسب الانسان فيعطس ويتمطى ويغسل وجهه بلعابه ويطلع يرولته بلعابه حتى يصير كان الدهن يسري في جلده ‧ وقيل اذا بال الهر شم بوله ودفنه قبل الاجل الفار فانه اذا شمه علم ان هناك هرا فلم يخرج ‧ واما سنور الزباد فهو بارض الهند ويوجد الزبد تحت ابطه وفخذيه ‧ سوس هو دود الحبوب والفاكهة وان من الفوايد التي تكتب في الحبوب فلا تسوس اسما سبعة كانوا بالمدينة ‧ وقد نظم ذلك بعضهم فقال

شعر

الا كل من لم يقتدي بايمة ‧ فقسمته ضيزى عن الحق خارجة
فخذهم عبيد الله عروة قاسم ‧ سعيد ابو بكر سليمان خارجة

حرف الشين المعجمة

شاذ هوار حيوان يوجد بارض الترك يقال ان له قرن عليه اثنان وسبعون شعبة مجوفة فاذا هبت ريح سمع لها تصويت عجيب يكاد يدهش وربما ان فيه شعبة يورث سماعها البكا والحزن واخرى تورث الضحك وانه اهدي الى بعض الملوك شيئا من شعبها فرائي منه ذلك **ويقال** ان من الحيوان شي يوجد بالغياض في قصبة انفه اثنى عشر ثقبا اذا تنفس يسمع له صوت كصوت المزمار فتاتيه الحيوانات فتسمعه فتدهش فيتغفل بعضها من الطرب فيثب عليه فياخذه وهي تعلم ذلك وتحترز فاذا لم يتغفل منها شي صاح خلفه وصاح بها صيحة فتهرب وتتركه **شاهين** طير يكون كهيئة الصقر الا انه عظيم الهامة واسع العينين ومزاجه ايبس من مزاج الصقر وحركته من العلو الى السفل اقوى ولهذا ينقض على الصيد بشدة فربما يخطئه فيضرب نفسه بالارض فيموت وقيل اول من صاد بها قسطنطين وذلك انه قد جعل له الحكما الشواكس عليه وساد قال فطار واحد منها وانقض على صيد فاخذه قال فاعجب الملك ذلك وصار يتصيد بها **شحرور** طير اسود فوق العصفور يصوت باصوات عجيبة مطربة

حرف الصاد المهملة

صعوة طير من صغار العصافير يكون احمر الراس

حرف الضاد المعجمة

الضان نوع من الحيوان ذوات الاربع وهو من الحيوان المبارك تحمل الانثى منه بواحد او اثنان وفيها البركة وغيرها تحمل بالسبعة والسبعة وليس فيها بركة واذا رعت زرعا نبت عوضه وذلك لبركتها بخلاف ذوات الشعر ومن عجيب امرها انها اذا رات الذئب تخور وتخاف منه ولا تخاف من سائر السباع **قال** بعض العصابين مما اكرم الله به التيس ان خلقه مستور العورة من قبل ومن دبر ومما اهان به التيس ان جعله مهتوك العورة مكشوف القبل والدبر ويقال الضان من دواب الجنة وهي صفوة الله من البهايم ويقال في المدح هو كبش من الكباش وفي الذم هو تيس من التيوس واهدي بعضهم الى صديقه شاة هزيلة فقال

بيت

يقول لي الاخوان حين طبختها ٭ اتطبخ شطرنجا عظاما بلا لحم

ومن العجيب انه يأتي غنم من الهند لها الية في صدره واليتان على كتفيه والية على ذنبه يكثر عليه الالية حتى تمنعه من المشي ومن عجيب امرها انها اذا سافدت وقت المطر لا تحمل وعند هبوب الريح ان كانت شمالية حملت ذكرا او جنوبية حملت انثى والله اعلم **ومن** خواصه ان لحمه ينفع السودا ويزيد في المني والباه واذا تحملت المراة بصوفه قطع حبلها واذا غطي انا العسل بصوف الضان الابيض منع وصول النمل اليه واذا دفن

قرن كبش تحت شجرة كثر حملها على ما ذكر والله اعلم **الضب** حيوان يجعل جحره في الارض الصلبة وعليه بلا مر فربما لا يهتدي لجحره اذا خرج منه فلذلك لا يحفره الا بالقرب من كودية او اساره وهو من الحيوان الذي يعمر قيل انه يجلس سبعماية سنة ومن طبعه انه يصبر عن الما تعالى انه لا يشرب وانه يبول في كل اربعين يوما قطرة والانثى تبيض سبعين بيضة او اكثر وتجعلها في الارض وتعاهدها في كل يوم الى اربعين يوما فتخرج وبيضها قدر بيض الحمام وهذا الحيوان شديد الخوف من الافعى ولذلك يجعل العقارب في جحره حتى تمنع بها وتخرج من جحره كليل البصر فيستقبل الشمس فيحصل له بذلك حلة في بصره واذا عطش يتنشق النسيم فيروى به وبينه وبين الافاعي مناسبة وذلك لانه لا يخرج زمن الشتا **فائدة** قيل ان اعرابيا اتى النبي صلى الله عليه وسلم وفي كمه ضب وقال لولا ان العرب تسميني عجولا لقتلتك وسررت الناس بقتلك قال فقال عمر رضي الله عنه دعني يا رسول الله اقتله فقال عليه السلام اما علمت ان الحليم كاد ان يكون نبيا قال ثم اقبل الاعرابي على النبي صلى الله عليه وسلم وقال والله لا امنت بك او يومن بك هذا الضب واخرجه من كمه فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان فصيح لبيك وسعديك يا رسول الله قال من تعبد قال الذي في السما عرشه وفي الارض سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عذابه قال فمن انا قال رسول رب العالمين افلح من صدقك وخاب من كذبك قال فقال الاعرابي عند ذلك اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله حقا ولقد اتيتك وما على وجه الارض احد اكثر بغضة مني لك ولانت الساعة احب الي من اهلي وولدي وما ملكت يدي فقد امن بك شعري وبشري وداخلي وخارجي وسري وعلانيتي فقال عليه السلام الحمد لله الذي هداك لهذا الدين الذي يعلو ولا يعلى عليه ولكن لا يقبله الله تعالى الا بصلوة قال فعلمني يا حبيبي قال فعلمه سورة الفاتحة وسورة الاخلاص وقال من قراها ثلث مرات فكانما قرا القران فقال الهنا يقبل اليسير ويعفو عن الكثير قال ثم ساله عليه السلام الك مال فقال يا حبيبي نعم لكنه في بني سليم فافقر مني فقال عليه السلام لاصحابه اعطوه فاعطوه حتى اثقلوه قال فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يا رسول الله ان عندي ناقة عشارية ادفعها له فقال عليه السلام ان الله تعالى سيعطيك ناقة في الجنة من درة قوايمها من الزبرجد وعيناها من الياقوت وعليها هودج من السندس يخطو بك على الصراط كالبرق قال فخرج الاعرابي من عند النبي صلى الله عليه وسلم فتلقاه الف فارس من المشركين كلهم يريدون قتل النبي عليه السلام فاخبرهم بقصته فاسلموا عن اخرهم وامر النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه وهذه القصة ذكرها الدارقطني رحمه الله بتمامها وكذلك البيهقي والحاكم **الخواص** قلبه يذهب

ين هب الحزن والخفقان ويتحذ طلى به الذكر فيزيد في الباه وكعبه يشد على وجع الضرس
يبريا واذا اجعل على وجه فرس لا يسبقه شي ويشره ينفع لبرص والكلف طلا ومن اكل لحمه
لا يعطش زمنا طويلا **الضبع** حيوان معروف ومن كناها ام عامر وفي طبعها حب لحم الادمي
حتى قيل انها تنبش القبور واذا مرت بانسان نايم حفرت تحت راسه ووثبت عليه تعرب
بطنه وشربت دمه **الخواص** من شرب دمه ذهب وسواسه ومن علق عليه عينه احبته الناس
واذا اجعلها تحت فص خاتم تكل من كان به سحر وجعل الخاتم في قليل ما وشربه زال سحره
ضفدع حيوان معروف يتولد من المياه الضعيفة الجري ومن العفونات وعقيب الامطار
واول ما يظهر مثل الحب الاسود ثم يعوم ثم تتشكل له الاعضا واذا انخو جعل فكه الاسفل في الما
والاعلى من خارج وفي صوته حلق قال سفيان رحمه الله ليس شي من الحيوان اكثر ذكرا لله تعالى
منه **وفي** الاثار ان داود عليه السلام قال لاسبح الله تعالى تسبيح لا يسبحه احد فقيل
فناداه ضفدع يا داود تمن على الله تعالى بتسبيحك وان لي سبعين سنة ما جف لساني عن
ذكر الله تعالى قال فما تقولين في تسبيحك قالت اقول سبحان من هو مسبح بكل لسان سبحان
من هو مذكور بكل مكان فقال داود عليه السلام فما عسى ان اقول وقال بعضهم انها كانت
تاخذ الما بفيها وتجعله على نار ابراهيم الخليل عليه السلام صلوات الله عليه وعلى جميع الانبيا والمرسلين

حرف الطا المهملة

طاوس طير مليح وله الوان بحسبه وعنده الزهو في نفسه والعجب من طبعه العفة وهو في
الطير كالفرس من الحيوان والانثى تبيض حتى يمضي لها من العمر ثلث سنين وفي ذلك الاوان يكمل
ريش الذكر ويتم لونه وتبيض الانثى مرة واحدة في السنة اثنى عشر بيضة واقل واكثر
ويسقط الذكر في ايام الربيع ويرمي ريشه في ايام الخريف كالشجر فاذا ابدى طلوع الورق
طلع ريشه ومن حضنه تلونه يوما **فايده** قيل ان ادم عليه السلام لما غرس الكرمة
جا ابليس لعنه الله فذبح عليها طاوسا فشربت دمه فلما طلعت اوراقها ذبح عليها قردا
فشربت دمه فلما طلعت ثمرتها ذبح عليها اسدا فشربت دمه فلما انتهت ثمرتها ذبح عليها
خنزيرا فشربت دمه فمن اجل ذلك يجد شارب الخمر اول ما يشربها وتدب فيه يزهو بنفسه
ويحسن كالطاوس واذا جاه مبادي السكر لعب وصفق بيديه كالقرد فاذا قوي سكره
قام وعربد كهيئة الاسد فاذا انتهى سكره انخفض كما ينخفض الخنزير ثم يطلب النوم فمنها
تنشا امر باق منه في الدور لانه قيل انه كان سببا لدخول ابليس الجنة وخروج ادم عليه السلام

حرف الظا المعجمة

الظبي واحد الغزلان وهي ثلثة الارام وهي ظبا الرمل ولونها ابيض وهي سمينة والثاني
العفر ولونه احمر وهي قصيرة العنق والثالث الادم وهي طويلة العنق وتوصف بكلة

البحر وقيل ان الظبي يخضم الحنظل خضما ويقصمه وماوه يسيل من شدقيه ويرد
الما الملح فيشرب الما الاجاج كما ينغمس الشاه لحييها في الما العذب فاي شي اعجب من حيوان
يستعذب ملوحة البحر ويستحلي مرارة الحنظل **الخواص** لسانه يجفف ويطعم للمراة السليطه
تزول سلاطتها وبعره وجلده يحرقان ويسحقان ويجعلان في طعام الصبي يزيد
ذكاوه ويصير فصيحا ذكيا حافظا **الظربان** دويبة فوق جرو الكلب منتنة الريح تزعم
العرب ان من صادها فسبت في ثوبه لا تزول الرايحة منه حتى يتقطع ويحكى عن شونها انها
تاتي الى بيت الظبي فتفسي فيه ثلث مرات فتنفصل من فيه وتاكله بعد ذلك والله اعلم

حرف العين المهملة

العجل حيوان معروف وهو ذكر البقر وسمي بذلك لاستعجال بني اسرايل لعبادته والسبب
في ذلك ان موسى عليه السلام وقت الله تعالى له ثلثين ليلة ثم اتمها بعشر وكان فيهم شخص يسمى
موسى بن ظفر السامري في قلبه من حب عبادة البقر شي فابتلى الله به بني اسرايل فقال
لهم ايتوني بحلي فاتوه بجميع حليهم فصنع منه عجلا جسدا كما اخبر الله تعالى فعكفوا العبادة
عليه من دون الله عز وجل وكانوا ياتون اليه ويرقصون حوله ويتواجدون فيخرج منه
تصويتا كهيئة الكلام فيعجبون من ذلك ويظنوه تكلم وانما ذلك ابليس لعنه الله حتى يطغيهم
نايل نقل القرطبي عن سيدي ابو بكر الطرطوشي رحمهما الله انه سيل عن قوم يجتمعون في
مكان يقرون القران ثم ينشد لهم الشعر فيرقصون ويطربون ثم يضرب لهم بعد ذلك
بالدف والشبابه هل الحضور معهم حلال ام لا فقال رضي الله عنه مذهب الصوفيه ان
هذا بطالة وجهالة وضلالة وانما الاسلام فكتاب الله وسنة رسوله عليه السلام **واما**
الرقص والتواجد فاول من احدثه اصحاب السامري لما اتخذوا العجل فهذه الحالة هي حالة
عبادة العجل وانما كان النبي صلى الله عليه وسلم مع اصحابه في جلوسهم كانما على راسهم الطير
مع الوقار والسكينة فينبغي لولاة الامر وفقها الاسلام وفقهم الله تعالى ان يمنعوهم من
الحضور في المساجد وغيرها ولا يحل لاحد يومن بالله واليوم الاخر ان يحضر معهم ولا يعينهم على
باطلهم هذا مذهب الشافعي وابي حنيفة ومالك واحمد رضي الله عنهم اجمعين **عقرب** هو من
الحشرات قال الجاحظ رحمه الله انها تلد مرتين وتحمل اولادها على ظهرها وهم كهيئة القمل
كثيرين العدد وقال غيره اذا حملت تسلط عليها اولادها فاكلوا بطنها وخرجوا كهيئة الذر ثم يكبرون
ويطوفون بالارض ولها ثمانية ارجل ومن عجيب امرها انها لا تضرب النايم الا اذا تحرك
شي منه والخنافس تاوي اليها وربما لسعت الثعبان العظيم فتقتله **غريبة** قال ذو النون
المصري رحمه الله بينما انا في بعض سياحاتي اذ مررت بشاطي البحر فرايت عقربا اسود قد
اقبل الى ان جا الى شاطي البحر فظننت انه يشرب فقمت انظر فاذا بضفدع قد صعد من الما فاتى

اليه فحمله على ظهره وذهب به الى ذلك الجانب قال فاتزرت بمئزري وعمت خلفه
حتى اذا صعد من ذلك الجانب صعدت وسرت وراه فما زال حتى جا الى شجرة فوجدت
تحتها غلاما نايما من شدة السكر وقد اقبل عليه تنين عظيم فصعدت العقرب براس
التنين ولسعته فقتلته ثم رجعت الى ظهر الضفدع فعبر بها الى الما وسار الى المكان
الذي جات منه قال فتعجبت من ذلك وانشدت اقول

شعر

يا راقدا والجليل يحفظه • من كل سو يكون في الظلم
كيف تنام العيون عن ملك • ما تناك منه فوايد النعم

ثم ايقظت الغلام واخبرته بذلك فلما سمع ذلك مني قال اشهدك على اني قد تبت عن هذه
الخصلة ثم جربنا ذلك التنين ورميناه في البحر ولبس ذلك الغلام مسحا وساح الى ان مات
رحمه الله • **وما احسن ما قال بعضهم**

اذا لم يسالمك الزمان فحارب • وباعد اذا لم ينتفع بالاقارب
ولا تحقرن كيدا ضعيفا فربما • تموت الافاعي من سموم العقارب
فقد هد قدما عرش بلقيس هدهد • وخرب فار قبل ذا سد مارب
اذا كان راس المال عمرك فاحترز • عليه من التضييع في غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك • يكر علينا جيشه بالعجايب

فايدة قال بعض الحكما رحمهم الله من قال عقدت زبانا العقرب ولسان الحية ويد السارق
بقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله امن الحية والعقرب والسارق
وروى الترمذي من قال حين يمسي اعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلث مرات ثم قال
سلام على نوح في العالمين لم يضره العقرب ولا الحية والسر في ذكر نوح عليه السلام دون غيره
انه لما ركب في السفينة سالته الحية والعقرب ان يحملهما معه فشرط عليهما انهما لا
يضران من ذكر اسمه لحده لك فشرطا له ذلك **الخواص** من بخر البيت بزرنيخ احمر وشحم بقر
هربت منه العقارب ومن شرب مثقالين من حب الاترج ابراه من سمها وان علق عليه
شي من ورق الزيتون بري ايضا لوقته **العقعق** طير ذو لونين طويل الذنب قدر الحمامه
على شكل الغراب وجناحاه اكبر من جناح الحمامه وهو لا ياوي الا الاماكن العاليه
واذا باض جعل حول بيضه ورق الدلب خوفا من الخفاش ان يفسده **الخواص** دمه اذا
جعل على قطن ذا الصق على موضع النصل والشوكة الغايصة في البدن اخرجته **العلق**
دود اسود واحمر يكون بالما يتعلق بالخيل والادمي فاذا علقت عليك فرش عليها ما وملح
وان علقت بفرس فبخره ببعر الثعلب فانها تنفصل من رايحة دخانه **ومن خواصه** ان

البيت اذا بخر به هرب ما فيه من البق والبعوض واذا جفف وسحق وقلع الشعر وطلي به
مكانه منع نباته **العنقا** اختلف فيها فقال بعضهم هو طير عظيم الخلقة له وجه انسان
وفيه من كل حيوان لون وقال بعضهم هو طير غريب الشكل يبيض بيضا كالجبال ويبعد
في طيرانه وسميت بذلك لانه كان في عنقها طوق ابيض قال القزويني رحمه الله انها
تخطف الفيل لعظمها وكبر جثتها كما تخطف الحداة الفار وقال وكانت في قديم الزمان
بين الناس الى ان خطفت عروسة بحليها فذهب اهلها الى نبي ذلك الزمان فشكوها
اليه ودعا عليها فذهب الله بها الى بعض الجزاير التي خلف خط الاستوا وهي جزيرة لا يصل
اليها احد وجعل لها فيها ما تقتات به من السباع كالفيل والكركند وغير ذلك **وقال**
اصحاب التاريخ ان هذا الطير يعمر حتى قيل انه يعيش الفي سنة ويتزوج اذا مضى له خمسماية
عام **وحكى** الزمخشري رحمه الله في ربيع الابرار ان الله تعالى خلق في زمن موسى عليه السلام
طيرا يقال له العنقا له وجه كوجه الانسان واربعة اجنحة من كل جانب وخلق له انثى مثله
ثم اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اني خلقت خلقا كهيئة الطير وجعلت رزقه الوحوش
والطير الذي حول بيت المقدس قال فتناسلا وكثر نسلهما فلما توفي موسى عليه السلام انتقلت
بنجد والعراق فلم تزل تاكل الوحوش وتخطف الصبيان الى ان نبي خالد بن سنان العبسي رحمه الله
فشكوها اليه فدعا عليها فانقطع نسلها وانقرضت **العنكبوت** دويبة لها ثمانية ارجل وست
عيون وهي من الحيوانات التي تصيد الذباب وولده يخرج قويا على النسج من غير تعليم ولا
تلقين ويخرج اولادا دودا صغيرا ثم تتغير وتصير عنكبوتا وتكمل صورته **نادرة** قيل ان
امراة ولدت جارية ثم قالت لاجيرها اقتبس لنا نارا فخرج فوجد بالباب رجلا فقال له الرجل
ما ولدت هذه المراة فاخبره بذلك فقال لا تموت حتى تبغي بماية رجل ويتزوجها اجيرها
فقال الاجير انا اصبر لهذه حتى يحصل منها ما يحصل وعمد فشق بطنها ثم هرب قال فخرجت امها
فوجدتها على تلك الحالة فعالجتها حتى شفيت فلما كبرت بغت ثم انها سافرت واتت ساحلا
من سواحل البحر فاقامت هناك تبغي واما الرجل الاجير فقدم ذلك الساحل ومعه مال كثير
فقال لامراة عجوز هناك اخطبي لي امراة تكون حسنا فاتزوجها فوصفتها له وقالت ليس
هنا احسن منها ولكنها تبغي فقال للعجوز ايتيني بها قال فذهبت العجوز اليها واخبرتها بالقصة
فقالت لها حبا وكرامة واني قد تبت عن البغي قال فتزوج الرجل بها واقام هو واياها اياما
فبينما هما ذات ليلة اذ اخذ كل منهما يسال عن حال صاحبه فاخبرها وهو لا يعرفها وحكى
لها انه كان اجيرا من اول الامر وانه حصل له كيت وكيت الى ان تزوجها فقالت له والله
انا تلك الجارية وكشفت له عن بطنها فوجده مشقوقا قال فعند ذلك اعلمها ان ذلك
الرجل كان قال له ان موتها بالعنكبوت فعمل لها صرحا وشيده وجعل لها فيه برجا

لبس منه ثعلب كالمرآة فبينما هما في التابوت اذ رأى عنكبوتا قد نسج في ذلك البرج فقام
فرماه وقال لها هذا الذي يكون موتك منه قالت قد لسعته بابهامها فشرخت فتعلق
فتعلق ببطون ابهامها من مأبقه حتى تحمل عليها حتى ورمت ووصل الورم الى قلبها فقتلها
فما افاده برجه ولا صرحه شيئا قال تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم
في بروج مشيدة فائدة نسج العنكبوت على ثلث مواضع على غار النبي صلى الله عليه وسلم
وعلى غار انيس بن عبد الله رحمه الله لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم لخالد الهذلي رحمه الله
فقتله وحمل راسه ودخل في غار خوفا من اهله ونسج على عورة زيد بن علي بن الحسين
بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما صلب عريانا وقيل انها نسجت مرتين على داود عليه
السلام حين كان جالوت يطلبه الخواص نسجها يوضع على الجراح الطرية تقطع دمها
وهو يجلو الغصة اذا دلكت به والذي يوجد من نسجها في بيت الخلاء ينفع اذا تبخر به
ابن عرس حيوان معروف وهو بارض مصر كثير وهو عدو الفار وهو يحب الذهب
ويسرقه ويلد عليه عجيبة قيل ان رجلا صاد فرخا من اولاده وحبسه تحت طاسة
فجا ابوه فوجده قد مسك فذهب فاتى بدينار فوضعه فلم يطلقه ثم ذهب وجاء باخر
ولا زال كذلك حتى اتى بخمسة دنانير ثم اتى بخرقة فلم يطلقه قال فاخذ ما بربطه به فلما
علم الرجل ذلك فهم انه لم يبق عنده شي فاطلقه والله اعلم

حرف الغين المعجمة

غراب وكنيته ابو حاتم وله كنى غير ذلك وهو انواع منها الاكحل وغراب الزرع
والازرق وهذا النوع يحكي جميع ما سمعه والعرب تتفاءل بصياح الغراب
فتقول اذا صاح مرتين شر واذا صاح ثلثة خير وهو كالانسان عند الجماع وفي طبعه
الاستتار عن الناس عند مجامعته والانثى تبيض ثلثة او اربعة او خمسة وتحضن والذكر
والاب يسعى في طعمها الى ان تفرخ فاذا فرخت خرجت فراخها قبيحة المنظر فتنفر
منها وتتركها وتغيب عنها فيرسل الله البعوض فتتغذى به ثم لا تزال تتعاهدها الى ان
حتى ينبت لها الريش فتانسها ومنه الحديث يا رزاق الغراب في عشه وجابر العظم الكسير
وفي طبعه انه لا يتعاطى الصيد بل ان وجد رمة اكل منها ويقم من الارض ما وجد ويسمى
بالفاسق لانه لما ارسله نوح عليه السلام ليكشف عن الما وجد في طريقه رمة فسقط
عليها وترك ما ارسل اليه ويسمى بالبين لانه اذا ارتحل العرب من مكان نزل به وزعق
اثرهم ومن الغريب ان بين الذئب والغراب الفة وذلك انه اذا راى الذئب يبقر
بطن شاة سقط فاكل منها معه والذئب لا ينفره الخواص اذا غمس الغراب في الخل
ثم جفف وسحق ريشه وطلي به سود الشعر واذا علق منقاره على انسان زالت عنه الحال

وذنب

وذنب الغراب اذا بخر به ينفع من الخوانيق والخنازير طلا وان صر في خرقة وعلق على من به
السعال زال الغرغر دجاج بني اسرايل يقال ان فرقة من بني اسرايل كانت بتهامة
فطغت وبغت وتجبرت وقالوا قولا لا يقوله احد فعاقبهم الله عز وجل ان جعل رجالهم
القردة وكلابهم الاسود وعشبهم الاراك وزوجهم المقل ودجاجهم الغرغر وهو
دجاج الحبش فلا ينتفع بلحمه لرائحته الكريهة وهذا نشاهد في زماننا الان على ما نقل
والله اعلم

حرف الفاء

الفاختة طائر اعرف من ذوات الاطواق يعرف الحمام لها حسن الصوت يحكى ان الحيات
تهرب من صوتها ومن طبعها الانس فمن اجل ذلك تتخذ في البيوت وهي من الحيوان الذي
يعمر وقد ظهر منها ما عاش خمسا وعشرين سنة الخواص دمها ينفع من الاثار في العين او قرحة
اذا قطر فيها الفارة وكنيتها ام خراب وغير ذلك وتسمى بالفويسقة وذلك ان النبي صلى الله
عليه وسلم انتبه ليلة فوجدها جرت الفتيلة واحرقت طرف سجادة فقتلها وهي التي قرضت حبل
سفينة نوح عليه السلام واذاها لا يكاد يحصر ومنه انها تاتي الى انا الزيت فتشرب منه
فاذا انقص صارت تشرب بذنبها فاذا لم تصل اليه ذهبت واتت في فيها ما وافرغته فيه حتى
يعلو لها فتشربه وربما وضعت فيه حجرا فكسرته ويقال انها من بقايا الممسوخين الذين
كانوا يهودا ومن اراد ان يعلم ذلك فليضع لها لبن جمل في انا فانها لم تشربه فهي منهم
الخواص عينه تشد على الماشي يسهل تعبه واذا بخر البيت بزبل الذئب او الكلب ذهب
منه الفار فرس البحر يوجد بالنيل افطس الوجه ناصيته كالفرس ورجلاه كالبقر
وذنبه قصير يشبه ذنب الخنزير وجلده غليظ ووجهه اوسع من وجه الفرس ويرعى
الزرع وربما قتل الانسان وغيره الفهد حيوان شرس الاخلاق قال ارسطو
هو متولد من الاسد والنمر وفي طبعه مشابهة بطبع الكلب ونومه ثقيل وفي طبعه الحنو
على انثاه وقيل اول من صاد به كليب بن وايل واول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية
واكثر من اشتهر باللعب بها ابو مسلم الخراساني الفيل حيوان يوجد بارض الهند وكنيته
ابو الحجاج والانثى ام شبل وهو ينزو على انثاه اذا بلغ من العمر خمس سنين وهو لا يلقح الا
ببلاده واذا ارادت الوضع دخلت النهر لان يديها لا ينثنيان فتخاف عليه والذكر
يحرسها خوفا على ولدها من الحيات فانها تاكله وهو عند شدة غلمته كالجمل ويهيج في زمن
الربيع وزعم اهل الهند ان لسانه مقلوب ولولا ذلك لكان يتكلم لشدة ذكائه وقيل ان
يديه في صدره كالانسان وهو اضخم الحيوان واعظمه جرما وما ظنك بخلق ربما
كان في نابيه اكثر من ثلثماية من وهو مع ذلك املح واظرف واطرب من كل خفيف الجسم
رشيق وربما الفيل مع عظم يديه خلف القاعد فلا يشعر بوطئه ولا يحس بمره لخفة همسه

واحتمال بعض جسده لبعض واهل الهند يزعمون ان انياب الفيل قرنان يخرجان من بطنه حتى يخرقان الحنك وخرطوم الفيل انفه ويده وبه يتناول الطعام الى جوفه وبه يقاتل ومنه يصيح وصياحه ليس في مقدار جرمه وقيل ان الفيل جيد السباحة واذا سبح رفع خرطومه كما تغيب الجاموس جميع بدنه الا منخريه ويقوم خرطومه ايضا مقام عنقه والخرق الذي في خرطومه لا ينفذ وانما هو وعا اذا املاه من طعام او ما اولجه فيه لانه قصير العنق لا ينال ما ولا مرعى واهل الهند يجعله في القتال وهو ايضا يتقاتل مع جنسه فمن غلب دخل تحت امره وقيل جعل الله في طبعه الهرب من السنور حكي عن هرون رحمه الله يولى الازد انه عذبا امحه هرا ومشى بسيف الى الفيل فلما دنا منه رمى بالهر في وجهه فادبر هاربا وكبر المسلمون وظنوا انه هرب منه قال ابو الشمقمق رحمه الله في الفيل

شعر

يا قوم اني رايت الفيل بعدكم ۞ فبارك الله لي في رؤية الفيل
رايت بيتا له شي يحركه ۞ فكدت افعل شيا في السراويل

وقيل اذا اغتلم الفيل لم يكن لسواسه همة الا الهرب بانفسهم وتخلو وفرا عاجيب الفيل ان سوطه الذي يحث به ويضرب محجن حديد احد طرفيه في جبهته والاخر في يد راكبه فاذا اراد منه شيا غمزه في لحمه واول شي يؤدبون به الفيل يعلمونه السجود للملك دخل كسرى ابرويز لبعض الاعياد وقد صفوا له الفيل واحدقت به وبها تلثون الف فارس فلما راته الفيلة سجدت له فما رفعت رؤوسها حتى جذبت المحاجن وراضتها الفيالون وزعم اهل الهند ان جبهة الفيل تعرق كل عام عرقا غليظا سايلا اطيب من رايحة المسك ولا يعرض ذلك العرق لها الا ببلادها خاصة وعظام الفيل كلها عاج الا انه جوهرنا به اكرم واعزوا لما شرف الحاج وقد لما تحرا الاحنف بن قيس رحمه الله على اهل الكوفة في قوله نحن اكثر منكم عاجا وساجا وديباجا وخراجا وقيل ان الفيلة لا تتناسل في غير بلادها فائدة من قرا سورة الفيل الف مرة في كل يوم مدة عشرة ايام ثم جلس على ما جاري وقال اللهم انت الحاضر المحيط بمكنون الضماير اللهم عز الظالم وقل الناصر وانت المطلع العالم اللهم ان فلانا ظلمني واذاني ولا يشهد بذلك غيرك انت ما لكه فاهلكه اللهم سربله بسربال الهوان وقمصه قميص الردا اللهم اقصمه ست مرات اللهم اخصفه فاخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق فان الله يستجيب ذلك ما لم يكن ظالما الخواص عظمه اذا بخر به بيت ذهب بقه واذا سقى انسان من وسخ اذنه نام مدة طويلة واذا علق من نابه شي على شجرة لم تثمر واذا عمل من جلده ترسا يكون افضل من كل ترس ۞

حرف القاف

القاقم دويبة تشبه السنجاب الا انه ابرد منه مزاجا وهو ابيض يقق وجلده اعز قيمة

من السنجاب الغاوند طير يكون بساحل البحر يبيض في الرمل ويحضن بنفسه سبعة ايام ثم تخرج فراخه بعد ذلك فيربيها سبعة ايام ويقال ان الله تعالى انما عسك البحر في هيجانه من ان يفيض على الساحل الا لاجل هذا الطير اكراما له لانه يقال انه سيد طيور البريه ومن خواصه انه يتيم المقعد ويحل البلاغم المزمنه وينفع الامراض الباردة واوجاع الاعصاب القرد حيوان معروف وكنيته ابو خالد وغير ذلك وهو قبيح مليح ذكي سريع الفهم يتعلم الصنايع حتى قيل انه اهدى للمتوكل رحمه الله قرد اخياطا واخر صايغا واهل اليمن يعلمون القردة البيع والجلوس في الدكاكين حتى قيل انه يحزم العدل ويصر القرطاس وهو وغيره وعنك لواط حتى قيل انه اتخذ وخلف المليح من شدة المحبة والتفت ابن الرومي رحمه الله يوما الى الحسن الاخفش رحمه الله وهو يحاكي مشية القرد فقال

شعر

هنيئا يا ابا حسن هنيئا ۞ بلغت من الفضايل كل غايه
شركت القرد في قبح وسخف ۞ وما قصرت عنه في الحكايه

القنفذ بالذال المعجمة وبضمها وفتحها وكنيته ابي سفيان ومن عجيب امره انه يصعد الكروم فيرمي بالعنقود ثم ينزل فياكل منه ما اطاق فان كان له فراخ تمرغ في الباقي فيتعلق بشوكه فيذهب الى اولاده وهو مولع باكل الافاعي فاذا الدغته لا يبالي ثم له لدفع ذلك بالشوك واذا تاذى منها ذهب فاكل الزعتر البري فيزول اذاها وهو من الحيوان الذي يسفد بباطنه كالرجل وله خمسة ارجل

حرف الكاف

الكركند حيوان يوجد ببلاد الهند والنوبة وهو دون الجاموس وله قرن واحد عظيم لا يستطيع رفع راسه منه لثقله وهو مصمت قوي يقاتل به الفيل فيغلبه ولا تحمل انيابه شيا معه وعرض قرنه شبرين وليس بطويل جدا وهو محدد الراس شديد الملاهسة واذا انشر قرنه ظهر في مخاطفه صور عجيبة كالطاوس والغزلان وانواع الطير والشجر وبني ادم ولذلك تتخذ منه صفايح الاسرة والمناطق للملوك ويتغالون في ثمنها والانثى تحمل ثلث سنين ويخرج ولدها نابت الاسنان والقرن قوي الحافر ويقال انها اذا قاربت الوضع اخرج الولد راسه من بطنها وصار يرعى اطراف الشجر فاذا شبع ادخل راسه بطن امه وتزعم الهند انه اذا كان ببلاد لم يدع فيها شيا من الحيوان حتى يكون بينها وبينه مائة فرسخ من جميع الجهات هيبة له وهربا منه ويسمى الحمار الهندي وهو شديد العداوة للانسان يتبعه اذا سمع صوته فيقتله ولا ياكل منه شيا الكروان طير معروف لا ينام غالب الليل خصوصا في القمر وعنده ذكا قيل انه يبلع جميع ما يبصره ولا يحتمل المخادنه الكركي طير محبوب للملوك وله شتا ومصيف فمشتاه بارض مصر ومصيفه بارض العراق وهو من الحيوان الرئيس

قيل انه اذا نزل بمكان اجتمع حلقة ونام وقام واحد يحرسهم وهو يصوت تصويتا لطيفا حتى يعلم انه يقظان فاذا تمت نوبته ايقظ غيره لنوبته قال القزويني رحمه الله واذا مشى وطئ الارض باحدى رجليه وبالاخرى قليلا خوفا من ان يخسف به واذا طار صار سطرا يتقدم واحد كهيئة الدليل ثم يتبعه البقية **الكلب** معروف وهو نوعان اهلي وسلوقي وهذان النوعان سوا الا ان انثى السلوقي اسرع في التعلم من ذكره وهذا الحيوان حليم وعنده رياضة وفي طبعه اكرام الاجلا من الناس **حكي** ان رجالا عزموا على جماعة فتخلف شخص منهم في منزله ودخل على زوجة صاحب المنزل فضاجعها فوثب الكلب عليهما فقتلهما فرجع صاحب المنزل فوجدهما قتيلين فانشا يقول

شعر

وما زال يرعى ذمتي ويحوطني ۞ ويحفظ عرسي والخليل يخون

فواعجبا للخل يهتك حرمتي ۞ وواعجبا للكلب كيف يصون

وحكي ابو عبيدة رحمه الله قال خرج رجل الى الجبانة ومعه اخاه وجاره لينظروا الى الناس فتبعه كلب له فضربه ورماه بحجر فلم ينثنه ولم يرجع فلما قعد ومضى الكلب بين يديه فجا عدو له في طلبه فلما رآه خاف على نفسه فاذا ببير قريبة الحفر فنزل فيها وامر صاحبه واخاه ان يهيلا عليه التراب ثم ذهب صاحبه واخاه الى سبيلهما وصار الكلب ينبح حوله فلما انصرف العدو واتاه الكلب فما زال يبحث التراب الى ان كشفه عن راسه فتنفس الرجل ومر به اناس فشالوه وردوه الى اهله وسمي ذلك قبر الكلب وقيل في ذلك

بيت

يعرد عنه جاره وشقيقه ۞ وما حاد عنه كلبه وهو ضاربه

ومن ذلك ما حكي ان رجلا قتل ودفن وكان معه كلب فصار ياتي كل يوم الى الموضع الذي دفن فيه وينبح ويتنشق ويتعلق برجل هناك فقال الناس لهذا الكلب شان فكشفوا عن ذلك وحفروا ذلك الموضع فوجدوا قتيلا فمسكوا الرجل الذي ينبح عليه الكلب وضربوه فاقر بقتل وهو من الحيوان الذي يعرف الحسنة وقيل ان الانثى تحيض في كل شهر سبعة ايام واكثر ما تضع اثنى عشر جروا وذلك في النادر والغالب ستة او سبعة وربما بلغ عشرين سنة ووصف للمتوكل رحمه الله كلبا بارمينية يفترس الاسد فارسل من جاء به فجوع اسدا واطلقه عليه فيها رشا وتواثبا حتى وقفا ميتين ومثل كلب الصياد يشبه به الفقير المجاور للغني لانه يرى من نعمته ويؤيس نفسه ما يقلبه كيف وقيل لرجل ما بال الكلب يشيل رجله اذا بال فقال انه يخاف ان يتلوث ذراعه وقيل ان للكلب اذرعة قال انه يتوهم انه بادرعة **فائدة حكي** ان الامام احمد بن حنبل رضي الله عنه سمع ان شخصا وراء النهر يروي احاديث مثلثة فسار اليه ودخل عليه فوجده يطعم كلبا وهو مشتغل به قال الامام احمد رحمه الله فاخذت في نفسي اذ لم يلتفت الرجل الي ثم قال حدثني ابو الزناد عن الاعرج عن ابي هريرة رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قطع رجا من ارتجاه يقطع الله رجاه

يوم القيمة فلم يلج الجنة وان ارضنا هذه ليست بارض كلاب وقد قصد في هذا الكلب فخشيت ان اقطع رجاه قال فقال الامام احمد رحمه الله هذا الحديث يكفيني ثم رجع قافلا الى اهله **فائدة اخرى** قال الترمذي رحمه الله لما اهبط الله تعالى ادم عليه السلام الى الارض سلط عليه ابليس اللعين السباع وكان اشدها الكلب فنزل جبريل عليه السلام وامره ان يضع يده عليه ففعل فاطمان اليه والفه وصار يحرسه وبقي الالفة فيه وفي اولاده ولان قومه كانوا يجدون في الليل فيفسدون ما صنعه في السفينة بالنهار فامره الله تعالى ان يتخذ الكلب حارسا ففعل فكان اذا اتاه مفسد قام عليه فيوقظ نوحا عليه السلام له فيدفعه **فائدة** قيل كان كلب اهل الكهف انمر واسمه قطمير وقيل اصفر وقيل خليجي اللون وليس في الحيوان من يدخل الجنة الا هو وكبش اسمعيل وناقة صالح وحمار العزير وبراق النبي صلى الله عليه وسلم **فائدة اخرى** اذا نبح عليك كلب وخفت منه فاقرا يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا وقل بعده لا اله الا الله فانك تكفاه والله اعلم

حرف اللام

اللقلق طير معروف قيل انه من طيور الواجب وياتي الى ارض مصر في ايام الشتا فيا كل ما قسم له من الرزق ويا كل منه من له فيه رزق ثم يرحل الى بلاده والله اعلم بالصواب

حرف الميم

مالك الحزين طير يوجد بالصحصاح غذاؤه السمك وسمي بذلك لانه قيل عنه لا يشرب حتى يروى خوفا من ان ينقص الما واذا انشف الصحصاح حزن لانه لا يستطيع العوم ونظيره دويبة بارض فارس معروفة عندهم بقا لان غذاها التراب فاذا اكلت لا تشبع خوفا من ان يفرغ والله اعلم

حرف النون

النمل قال عليه السلام الا تنظرون الى صغير ما خلق كيف احكم خلقه واتقن تركيبه وفلق له السمع والبصر وسوى له العظم والبشر انظروا الى النمل في صغر جثتها ولطافة هيئتها لا تكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر كيف دبت على ارضها وسعت في طلب رزقها تنقل الحبة الى جحرها تجمع في حرها لبردها وفي وردها لصدرها لا تغفل عنها المنان ولا يحرمها الديان ولو فكرت في مجاري اكلها في علوها وسفلها وما في الجوف من شراسيف بطنها وما في الراس من عينها واذنها لقضيت من خلقها عجبا ولتعبت من وصفها تعبا فتعالى الذي اقامها على قوائمها وبناها على دعائمها لم يشركه في فطرتها فاطر ولم يعنه على خلقها قادر لا اله الا هو ولا معبود سواه وقيل اذا خافت الذرة على حبها ان يعفن اخرجته الى ظهر الارض ليجف وقيل ان الذرة تفلق الحبة نصفين خوف ان تنبت وليس كل ارباب الفلاحة يعرف هذا فسبحان من الهمها ذلك وقيل انها تشم رائحة الشي من بعيد

ولو وضعته على انف لم يجد له رائحة واذا عجزت عن حمل شي استعانت برفقتها فيحملونه
جميعا الى باب حجرتها وقيل اذا انفتح باب قرية النمل فجعلت فيه زرنيخ او كبريت هجرتها فسبحان
القادر على كل شي لا اله الا هو ولا معبود سواه **النحل** حيوان ليس له نظير في العواقب ومعرفة
بفصول السنة واوقات المطر وفي طبعه الطاعة لاميره والانقياد له ومن شانه في تدبير معاشه
انه يبني لها بيوتا من الشمع مسدسا مشكلا لا يوجد فيه اختلاف كالقطعة الواحدة واذا طار ارتفع في
الهوى وحط على الاماكن النظيفة واكل نوار الزهر والاشيا الحلوة وشرب من الما الصافي واتى
فاخرج ذلك فاول ما يخرج الشمع ليكون كالوعا ثم العسل وقيل انها تقسم الاعمال فبعضها يعمل
البيوت وبعضها يعمل الشمع وبعضها العسل وفي طبعها النظافة فيجعل رجيعه خارج الخلية ومن
مات اخرجه ورماه وعنده الطرب فيحب الاصوات اللذيذة وله آفات تقطعه كالظلمة
والغيم والريح والمطر والدخان والنار وكذا المؤمن له آفات تقطعه منها ظلمة الغفلة وغيم
الشك وريح الفتنة ودخان الحرام ونار الهوى **وروي** ان شخصا شكى للنبي صلى الله عليه وسلم
بطنه فامره بشرب العسل فشربه ثم جا ثانيا فامره بشربه ثم قال في الثالثة اشربه صدق الله
وكذب بطنك **نادرة** قيل ان بعضهم حضر مجلس المنصور رحمه الله فقال بعض الحاضرين المراد
من قوله تعالى يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفا للناس اهل البيت فانهم النحل
والشراب القران فقال له بعض من حضر من اللطفا جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون
بني هاشم فضحك الحاضرون عليه وافحمه **الخواص** اذا خلط العسل الخالص بمسك كالمرود واكتحل به
نفع من نزول الما في العين والتلطخ به يقتل القمل ولعقه علاج لعضة الكلب الكلب والمطبوخ
منه نافع للسموم **نسر** هو سيد الطيور ويعمر طويلا قيل انه يعيش الف سنة وله قوة الطيران
حتى قيل انه يحمل اولاد الفيل وله قوة حاسة الشم قيل انه يشم الجيفة من مسيرة اربعماية فرسخ
واذا سقط على جيفة تباعدت عنها الطيور هيبة له حتى يفرغ من الاكل وعنده شره فياكل حتى
يضعف عن الحركة بحيث ان اضعف الناس لو اراد مسكه في تلك الحالة مسكه واذا باض ذهب
فاتى بورق الدلب فجعله في عشه خوفا من الخفاش ان يفسد اولاده وهو لا يحضن البيض وانما
يبيض في الاماكن العالية فيلقيه في الشمس فيكون حرارتها بمنزلة الحضن وفي طبعه انه لو شم الطيب
مات وعنده الحزن على فراق الفه حتى قيل انه يموت كمدا ويقال للانثى منه ام قشعم وفي الحديث
اتاني جبريل عليه السلام وقال يا محمد لكل شي سيد فسيد البشر آدم عليه السلام وسيد
ولده انت وسيد الروم صهيب وسيد فارس سلمان وسيد الحبش بلال وسيد الطير
النسر وسيد الشهور رمضان وسيد الايام الجمعة وسيد الكلام العربي وسيد العربي
القران وسيد القران البقرة **الخواص** اذا جعل قلب النسر في جلد الذيب وعلق على
شخص كان مهابا عند الناس مقضي الحاجة واذا تعسر على المراة الوضع جعل تحتها من ريشه يسهل

وضعها

وضعها **النعام** يذكر ويونث ويسمى الانثى بام البيض والذكر بالظليم ومن عجيب امره انه
يبيض بيضا طولا متساوية ويجعلها اثلاثا ثلثا للحضن وثلثا لها تاكل في حضنها وثلثا تكسر
وتفتحه فيتعفن ويدود فيكون منه غذا اولادها وعندها الحمق يقال انها تخرج في حضنها
فتجد بيض غيرها فتحضنه وتترك بيض نفسها **فائدة** روى كعب الاحبار رضي الله عنه اول
ما خلق الله القمح وانزله على آدم عليه السلام كان على قدر بيض النعام وقال له هذا رزقك
ورزق بنيك ثم فاحرث وازرع قال ولم يزل الحب على ذلك مدة ثم نزل الى بيض
الدجاج ثم الحمام ثم البندق وكان في زمن العزيز على قدر الحمص وقيل كل حيوان اذا
كسرت رجله مشي بالاخرى الا النعام فانه يجلس الى ان يموت وخلق الله تعالى له قوة
الشم البليغ حتى قيل انه يشم رائحة القناص من مسيرة نصف ميل وهي لا تشرب الما
كالضب ويقال ان القناص اذا ادركها ادخلت راسها في شي اما شعب وحجر ظانة انها
قد استترت منه ولها معدة قوية تقطع الحديد والحجر وفي طبعها الاذى حتى قيل انها عظم
الجبن والحلق من اذل الصغير وقيل ان الذيب لا يتعرض لبيض النعام وفراخه ما دام
الابوان حاضران فانهما اذا راياه ركضه الذكر الى الانثى فتركضه الى ان يسلمه الى
الذكر فلا يزالان به حتى يقتلاه او يعجزهما هربا وقيل اشد ما يكون عدوها اذا استقبلت
الريح وتقول العرب صنفان من الحيوان اصمان لا يسمعان النعام والافاعي **وسال**
ابو عمرو الشيباني رحمه الله بعض العرب عن الظليم هل يسمع فقال يعرف بعينيه
وانفه ولا يحتاج معهما الى سمع **النمر** حيوان اغبر وكنيته ابو الصعب وهو صنفان صنف
عظيم الجثة صغير الذنب وبالعكس قال الجاحظ رحمه الله وهو يحب الشراب وعنده
شراسة في خلقه ويقال انها لا تدع ولدها الا مطوقا بحية ولا يبرح يلحسها وذلك
لاجل الصياد حتى لا يظفر بها واذا مرض اكل الفار فيبرا وفي طبعه عداوة الاسد وعنده
شرف في نفسه يقال انه لا ياكل جيفة ولا ياكل من صيد غيره ولا يملك نفسه عند
الغضب وادنى وثبته عشرون ذراعا واكثرها اربعون **الخواص** من حمل من جلده شيا
صار مهابا عند الناس ومن كان به بواسير فجلس على جلده زال البواسير والله اعلم

حرف الهاء

الهدهد طير معروف وهو من رسل سليمان عليه السلام وعنده حدة البصر يقال
انه يرى الما تحت الارض ويقال انه قال لسليمان عليه السلام لما اراد تعذيبه يا
نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فارتعد سليمان عليه السلام من هذا الكلام
واقلته **الخواص** اذا بخر البيت بشي من ريشه طرد الهوام عنه وعينه اذا علق على صاحب
النسيان تذكر ما نسيه وريشه اذا حمله انسان وخاصم غلب وقضيت حاجته وظفر

بما يريد ولحمه اذا اكل مطبوخا نفع من القولنج وان عزم عجنه برج حمام لم يقربه شيء
يؤذيه ومن علق لحيه الاسفل اخبه الناس على ما ذكر والله اعلم بالصواب

حرف الواو

الورشان طير متولد بين الحمام والفاختة وهو حيوان شديد الحنو يقال انه يكاد يقتل
نفسه اذا امسك القناص اولاده من شدة الحنو قال بعضهم انه يقول في صياحه
لدوا للموت وابنوا للخراب والهدهد يقول اذا نزل القضاء عمي البصر والفاختة تقول
ليت هذا الخلق ما خلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا له وليتهم عملوا بما علموا
والخطاف يقول قدموا خيرا تجدوه عند ربكم والحمامة تقول سبحان ربي الاعلى والبازي
يقول سبحان ربي وبحمده سبحان ربي وبحمده والسرطان يقول سبحان المذكور بكل
لسان والدراج يقول الرحمن على العرش استوى والعقاب يقول البعد عن الناس رحمه
ومن الطيور من يقرا الفاتحة كالدرج ويمد صوته بولا الضالين كالقاري والله اعلم

حرف الياء

ياجوج وماجوج سموا بذلك لكثرتهم وقيل بل هو اسم اعجمي غير مشتق قال مقاتل
رحمه الله هو ولد يافث بن نوح عليه السلام وقول من قال بان ادم عليه السلام احتلم
فالتصق منيه بالتراب فتولد منه هذا الحيوان مردود بعدم احتلام الانبيا
عليهم السلام وفي الحديث ياجوج وماجوج امة عظيمة لا يموت احدهم حتى يرى
من صلبه الف نسمة وهم اصناف منهم ما طوله عشرون ذراعا وما طوله ذراع واقل
واكثر وعن علي رضي الله عنه ان لهم مخالب الطير وانياب السباع وتداعي الحمام
وتسافد البهايم ولهم شعور تقيهم الحر والبرد واذا مشوا بالارض كان اولهم بالشام
واخرهم بخراسان يشربون مياه المشرق الى بحيرة طبرية ويمنعهم الله تعالى من مكة
والمدينة وبيت المقدس وياكلون كل شي يمرون به ومن مات منهم اكلوه ويقال
ان صنفا منهم له اذنان احدهما صلدة والاخر وبرة فهو يلتحف باحدهما ويفترش
الاخرى وفي الحديث انه عليه السلام سئل هل بلغتهم الدعوة فقال دعوتهم ليلة
اسري بي فلم يجيبوا فهم خلق للنار وفي الحديث ايضا ان الله عز وجل اذا كان يوم القيمة
قال يا ادم ارسل بعث النار فيقول يا رب وما بعث النار فيقول من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعون
وواحد الجنة قال فاشتد الامر على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ابشروا
فان من ياجوج وماجوج الف ومنكم واحد اليحمور دابة وحشية لها قرنان طويلان
كانهما منشاران ينشر بهما الشجر وقيل هو كالايل يلقي قرناه في كل سنة وهما
صامتان وقال الحريري رحمه الله هو الحمار الوحشي نادرة قيل ترافق رجلان

في طريق

في طريق فلما قربا من مدينة من المدن قال احدهما للاخر قد صار لي عليك حق
واني رجل من الجان ولي اليك حاجة قال وما هي قال اذا وصلنا الى المكان الفلاني
من هذه المدينة فهناك عجوز وعندها ديك فاشتره منها واذبحه قال فقال الاخر
ولي اليك انا الاخر حاجة قال وما هي قال اذا ركب انسان ما يحمل له قال تشد بهاميه
بسير من جلد اليحمور وتقطر في انفه من دهن السداب في الايمن اربعا وفي الايسر ثلثا
فان الراكب له يموت قال ثم تفرقا ودخل الانسي فعمل ما امره به الجني من شرا الديك وذبحه
ثم لم يلبث بعد ذلك ايام الا وقد احاط اهل صبية من بنات البلد وقالوا له انت ساحر
ومن حين ذبحت الديك سلبت صبية عندنا وذهب عقلها فلا نخليك الا الى صاحب
المدينة قال فقلت لهم ايتوني بسير من جلد اليحمور وقليل من ما السداب ودخلت على
الشابة فربطت ابهاميها وقطرت ما السداب في انفها فسمعت صوتا يقول اه
علمتك على نفسي ثم مات من ساعته وشفا الله تعالى تلك الشابة وهذا ما قصدت
ايراده في هذا الباب والله اعلم بالصواب وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

الباب الثالث والستون
في ذكر نبذة من عجايب المخلوقات

ذكر المسعودي رحمه الله في كتابه عن العلماء رحمهم الله ان الله تعالى خلق في الارض
قبل ادم عليه السلام ثمانية وعشرون امة على خلق مختلفة وهي انواع ومنها ذوات
اجنحة وكلامهم قرقعة ومنها ما له ابدان كالاسود ورووس كالطيور ولها شعور واذناب
وكلامهم دوي ومنها ما له وجهان واحد من قبلها والاخر من خلفها وارجل كثيرة ومنها
ما يشبه نصف الانسان بيد ورجل وكلامهم مثل صياح الغرانيق ومنها ما وجهه
كالادمي وظهره كالسلحفاه وفي راسه قرن وكلامه مثل عوي الذياب ومنها
ما له شعر ابيض وذنب كالبقر ومنها ما له انياب بارزة في الحناجر واذان
طوال ويقال ان هذه الامم تناكحت وتناسلت حتى صارت مائة وعشرين امة ولم
يخلق الله تعالى افضل ولا احسن ولا اكمل من الانسان وقال عمر بن الخطاب رضي الله
عنه خلق الله تعالى الفا وعشرين امة منها ستمائة في البحر واربعمائة وعشرين في البر
وفي الانسان من كل الخلق فلذلك سخر له جميع الخلق واستجمعت له جميع اللذات
وهيا بيديه جميع الالات وله النطق والضحك والبكا والفكرة والفطنة
واختراعات الاشيا واستنباط جميع العلوم واستخراج المعاني وعليه وقع الامر
والنهي والوعد والوعيد والنعيم والعذاب واياه خاطب وله قرب وخلق الله
تعالى اسرافيل عليه السلام على صورة الانسان وهو اقرب الملايكة اليه وفي

الحديث لا تضربوا الوجوه فانها على صورة اسرافيل عليه السلام وآيات الله في البشر اكثر
من ان تحصر فتبارك الله احسن الخالقين وقال الشيخ عبد الله رحمه الله صاحب كتاب
تحفة الالباب دخلت الى باشغرد فرايت قبور قوم عاد فرايت سن احدهم اربعة اصابع
وعرضه شبران ووزنه الف ومائتي مثقال وطوله ثمانية اذرع وعرض اضلاعهم كل ضلع
ثلثة اشبار كاللوح الرخام قال ولقد رايت في بلغار في سنة ثلثين وخمسماية من نسل قوم
عاد رجلا طويلا طوله اكثر من سبعة وعشرين ذراعا كان يسمى دنقى وكان ياخذ الفرس تحت
ابطه كما ياخذ الانسان الولد الصغير وكان من قوته يكسر بيده ساق الفرس ويقطع
جلده واعصابه كما يقطع باقة البقل وكان صاحب بلغار قد اتخذ له درعا يحمل على
عجلة وبيضة لراسه كانها مرجل وكان ياخذ في يده شجرة من البلوط كالعصا لو ضرب
بها الفيل لقتله وكان خيرا متواضعا وكان اذا لقيني يسلم علي ويرحب بي ويكرمني وكان
راسي لا يصل الى ركبته رحمه الله ولم يكن في بلغار حمام الا حمام واحد وكانت له اخت على طوله
ورايتها مرات في بلغار وقال لي قاضي بلغار يعقوب بن النعمان رحمه الله ان هذه
المراة العادية قتلت زوجها كان اسمه آدم وكان من اقوى اهل بلغار قيل انها ضمته
اليها فكسرت اضلاعه فمات من ساعته وروي عن وهب بن منبه رضي الله عنه عن
في عوج بن عنق انه كان من احسن الناس واجملهم الا انه كان لا يوصف طوله قيل انه كان
يخوض في الطوفان فلم يبلغ ركبته ويقال ان الطوفان علا رؤس الجبال اربعين ذراعا
وكان جبارا بالمدينة يتخطاها كما يتخطى احدكم الجدول الصغير وعمره الله طويلا حتى
ادرك موسى عليه السلام وكان جبارا في افعاله يسير في الارض برا وبحرا ويفسد ما شا
ويقال انه لما حصل بنوا اسرائيل بالتيه ذهب فاتى بقطعة جبل على قدرهم واحتملها على
راسه ليلقيها عليهم فبعث الله طيرا في منقاره حجر مدور فوضعه على الحجر الذي على راسه
فانثقب في وسطه فانخرق في عنقه واخبر الله عز وجل عن نبيه موسى عليه السلام بان
طوله عشرة اذرع وعصاه عشرة اذرع وقفز في الهوى عشرة اذرع وضربه فلم يصل
عرقوبه فتبارك الله احسن الخالقين ومن ذلك ما قيل عن انه عنق بنت آدم عليه السلام
وكانت منفردة بغير اخ وكانت مشوهة الخلق لها راسان وفي كل يد عشرة اصابع ولكل
اصبع ظفران كالمنجل قال علي رضي الله عنه اول من بغى في الارض وعمل الفجور وجاهر بالمعاصي
واستخدم الشياطين وصرفهم في وجوه السحر وكان قد انزل الله تعالى على آدم عليه السلام
اسماء عظيمة تخطيها الشياطين وامره ان يدفعها الى حوا ليحترز بها فاغفلها عنق وسرقتها
واستخدمت بها الشياطين وتكلمت بشيء من الكهانة فدعا عليها آدم وامنت على ذلك حوا
عليهما السلام فارسل الله عليها اسدا اعظم من الفيل فهجم عليها وقتلها وذلك بعد اولادها

عوج

عوج بستنان ومن ذلك ما حكى عن بعض فقهاء الموصل رحمهما الله انه شاهد في الاكراد في
جبل من جبال الموصل انسانا طوله تسعة اذرع وهو صبي لم يبلغ الحلم وكان ياخذ بيد الرجل
القوي ويرميه خلف ظهره فاراد صاحب الموصل استخدامه فقيل له في عقله خبل فتركه
وروي عن الشافعي رضي الله عنه انه قال دخلت بلدة من اليمن فرايت انسانا من وسطه الى اسفله
بدن امراة ومن وسطه الى اعلاه بدنان مفترقان براسين ووجهين واربعة ايدي وهما
ياكلان ويشربان ويتقاتلان ويتلاطمان ويصطلحان ثم غبت عنهما قليلا ورجعت فقيل
لي احسن الله عزاك في احد الشقين فقلت وكيف صنع به فقيل لي ربط في اسفله حبل
وثيق حتى ذبل ثم قطع ورايت الجسد الآخر بالسوق ذاهبا وراجعا ومنه ما ارسله
بطارقة الارمن الى ناصر الدولة رحمه الله وهو رجلان في جسد واحد فاحضر الاطباء وسالهم
عن انفصال احدهما عن الآخر فسالوهما هل يجوعان معا ويعطشان معا قالوا نعم فقالوا لا يمكن
فصلهما ويقال انه احضر اباهما فسأله عن حالهما فاخبر انهما يختصمان في بعض الاحيان وانه
يصلح بينهما ومن ذكر انه اهدى الى ابن منصور الساماني فرسا له قرنان وتحتهما له جناحان
اذا قرب منه انسان نشرهما واذا بعد الصقهما وذكر القاضي عياض رحمه الله انه ولد مولود
وعلى احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله وهذا لا يبعد فانه يوجد كثيرا في السنور
الدركي وذكر انه ولد بالفاس غلام له اربعة ارجل ومثلها ايدي وذكر انه كان لبعض ولاة
مصر مملوك يدعى طقطو فولاه قوص من اعمال الصعيد فتزوج بها وولد له ولدين ثم انقلب
امراة وتزوج به وولد ولدين واما كبش باربعة قرون ودجاجة باربعة ارجل وحيوان
براسين والمخرج واحد فكثير وعجائب الله تعالى في مصنوعاته غير متناهية فلله
الحمد على ما انعم علينا لا نحصي ثنا عليه ومن ذلك انسان الماء وهو حيوان يشبه الآدمي ويطلع
في بعض الاوقات ببحر الشام شيخ بلحية بيضا ويستبشر الناس برؤيته في تلك السنة
بالخصب ومن ذلك بنات الماء وهم امة ببحر الروم يشبهون النسا ذوات شعور وثدي
وفروج وهم حسان ولهم كلام لا يفهم وضحك ولعب ولهم رجال من جنسهم ويقال ان
الصيادين يصطادونهم ويجامعونهم فيجدوا لذة عظيمة لا توجد في النسا ثم يعيدوهم
الى البحر ويقال ان هذا الصنف يوجد بالبرلس ورشيد على ما ذكر والله اعلم وحكى
القزويني رحمه الله عن بعض البحريين ان الريح القتهم على جزيرة ذات اشجار وانهار فاقاموا
بها مدة وكانوا اذا جاء الليل يسمعون بها همهمة واصواتا وضحكا ولعبا فخرج من المركب
جماعة واكمنوا في جانب الجزيرة فلما جاء الليل خرج بنات الماء على عادتهن فوثبوا عليهن
واخذوا منهن بنتان فتزوج بهما شخصان فاما احدهما فوثق بصاحبته فاطلقها فوثبت في البحر
واما الآخر فبقي مع صاحبته يحرسها زمانا حتى ولدت له ولدا كانه القمر فلما طاب الهوى

واعجب منه اني رايت كبش
بسبع قرون و [illegible] باربع
قرون [illegible]
على العادة و [illegible]
تحت [illegible]
[illegible] الارض [illegible]

وركبوا البحر وثق بها فاطلقها فاغفلته والقت نفسها في البحر فتاسف عليها تاسفا عظيما فلما كانت بعد ايام ظهرت من البحر ودنت من المركب والقت لصاحبها صندوقا فيه درا وجواهر فباعه وصار من التجار ونظير هذه الحكاية عن روا ق في تاريخ ان رجلا من الاندلس من الجزيرة الخضرا صاد جارية منهن حسنا الوجه سودا الشعر حمرا الخد نجلا العينين كانها القمر ليلة البدر كاملة الاوصاف فاقامت عنده سنين واحبها حبا شديدا واولدها ولدا ذكرا وبلغ عمره اربع سنين ثم انه اراد السفر فاستصحبها معه ووثق اليها فلما توسطت البحر اخذت ولدها والقت نفسها في البحر فكاد ان يلقي نفسه حلفها حسرة عليها فلم يمكنه اهل المركب من ذلك فلما كان بعد ثلثة ايام ظهرت له والقت اليه صندوقا كبيرا فيه درر وسلمت عليه ثم تركته فكان اخر العهد بها والله اعلم فتبارك الله ما اكثر عجايب خلقه وما لم نشاهده ونسمع به اكثر فسبحان القادر على كل شي لا اله الا هو ولا معبود سواه فالعاقل يعرف الجائز والمستحيل ويعلم ان كل مقدور بالاضافة الى قدرة الله تعالى قليل واذا سمع عجبا جايزا استحسنه ولم يكذب قائله والجاهل اذا سمع ما لم يشاهده قطع بتكذيب قائله وتزييف ناقله وذلك لقلة عقله وضعف وقد وصف الله تعالى الجاهل بعدم العقل بقوله تعالى ام تحسب ان اكثرهم يسمعون او يعقلون وقد اودع الله تعالى من عجائب المصنوعات في الافاق والسموات ما يدل عليه بقوله تعالى وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون فلا تكن منكر العجائب لاشيا كذلك من اياته ففي كل شي له اية تدل على انه واحد ومن شاهد حجر المغناطيس وجذبه للحديد و حجر الماس الذي يعجز الحديد عن كسره ويكسره الرصاص ويثقب الياقوت والفولاذ ولا يقدر على ثقب الرصاص يعلم ان الذي اودعه هذا السر قادر على كل شي فلا يكن مكذبا بما لا يعلم وجه حكمته فان الله تعالى قال بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تاويله قال صاحب تحفة الالباب رحمه الله في عجايب البلدان ان في بلاد السودان امة لا رؤس لهم وقد ذكرهم الشعبي رحمه الله في كتاب سير الملوك وذكر ان في بلاد المغرب امة من ولد ادم عليه السلام كلهم نسا ولا يعيش في ارضهم ذكر وان تلك النسا يدخلن في ما عندهم فيحبلن من ذلك وتلد كل امراة بنتا ولا تلد ذكرا ابدا وتلك الامة التي لا رؤس لهم اعينهم في مناكبهم وافواههم في صدورهم وهم كثيرون كالبهايم يتناسلون ولا مضرة على احد منهم واما الملك العظيم والعدل الكثير والنعم الجزيلة والسياسة الحسنة والرخا والامن الذي لا خوف معه ففي بلاد الهند وبلاد الصين واهل الهند اعلم الناس بعلم الطب وعلم النجوم والهندسة والصناعات العجيبة التي لا يقدر احد سواهم على امثالها وفي بلادهم وجزايرهم ينبت العود وشجر الكافور وجميع انواع الطيب كالقرنفل والسنبل والدارصيني والكبابة والبسباسة وانواع العقاقير والادوية

بعله

دعزهم

وعندهم حيوان المسك وهو حيوان كالغزال يجتمع منه عرق كالقطران والمسك في سرته وعندهم حيوان الزباد وهو حيوان كالسنور يخرج منه عرق كالقطران اسود يحك من جسده وتزيد رايحته بالمغرب بحيث يكون ازكى من المسك الاذفر ويخرج من بلادهم انواع اليواقيت واكثرها في جزيرة سرنديب على جبلها نزل ادم عليه السلام من الجنة فيما يقال والله اعلم وحكي انه كان ببابل سبع مداين في كل مدينة اعجوبة كان في احدها تمثال الارض فاذا التوى على الملك بعض اهل مملكته او امتنعوا عن القيام بالخراج خرق انهارها عليهم في التمثال فلا يطيق اهل تلك الناحية شدة الماء حتى يعتدلوا وما لم يسده في التمثال لم ينسد في ذلك البلد وفي الثانية حوض اذا اراد الملك ان يجمعهم لطعامه اتى كل واحد بما احب من شراب فصبه في ذلك الحوض فاختلطت الاشربة فكل من سقي من ذلك الحوض كان شرابه الذي جاء به وفي الثالثة طبل اذا ارادوا ان يعلموا حال الغايب عن اهله قرعوه فان كان حيا صوت وان كان ميتا لم يسمع له صوت وفي الرابعة مراة اذا ارادوا ان يعلموا حال الغايب نظروا فيها فابصروه على اي حالة هو عليها فانهم يشاهدونه وفي الخامسة اوزة من نحاس فاذا دخل الغريب صوتت الاوزة صوتا يسمعه اهل المدينة وفي السادسة قاضيان جالسان على الماء فاتى الخصمان فيمشي المحق على الماء حتى يجلس مع القاضي ويقع المبطل في الماء وفي السابعة شجرة ضخمة لا تظل الا ساقها فان جلس تحتها احد اظلته الى الف رجل فاذا زادوا على الالف ولو واحدا جلسوا كلهم في الشمس والله اعلم ولو بسطت الكلام في ذلك لاتسع المجال وقد اقتصرت من ذلك على ما ذكرت ولله الحمد والمنة وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

الباب الرابع والستون

في خلق الجان وصفتهم وما يتعلق بهم

روي عن الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب رحمه الله انه قال قرات في بعض الكتب المتقدمة الماثورة عن العلما رضي الله عنهم ان الله تعالى لما اراد ان يخلق الجان خلق نار السموم وخلق من مارجها خلقا سماه جانا كما قال تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم وقال تعالى في موضع اخر وخلق الجان من مارج من نار وقيل ان الله تعالى خلق الملايكة من نور النار والجن من لهيبها والشياطين من دخانها وقد جا في الاخبار ان نوعا من الجن في قديم الزمان قبل خلق ادم عليه السلام كانوا سكانا في الارض قد طبقوها برا وبحرا سهلا وجبلا وكان فيهم الملك والنبوة والدين والشريعة وكانوا يطيرون الى السما ويسلمون على الملايكة ويستعلمون منهم خبر ما في السما وكثرت نعم الله عليهم الى ان بغوا وطغوا وتركوا وصايا انبيايهم فارسل الله عليهم جندا من الملايكة فحصل بينهم مقتلة عظيمة وغلبوا الجن وطردوهم الى اطراف البحار واسروا منهم امما كثيرة وذكر المسعودي رحمه الله ان الفرس واليونان قالوا كانت الجن بالارض قبايل منهم من يسترق السمع ومنهم من ينط

من لهيب النار ومنهم من يطير ولكل قبيلة وكان من جملتهم ابليس لعنه الله ثم بعد خمسة
آلاف سنة افترقوا وملكوا عليهم ملوكا واقاموا على ذلك مدة طويلة ثم تحاسدوا واعلى
الملك واغار بعضهم على بعض وجرت بينهم وقايع وحروب وكان ابليس يصعد الى
السما ويختلط بالملايكة فبعثه الله تعالى بجيوش من الملايكة فهزم الجن وقتلهم وعلك
الارض مدة طويلة الى ان خلق الله تعالى آدم عليه السلام وامره ما اتفق واهبط آدم
عليه السلام الى الارض وعظم شانه فعند ذلك انتقل ابليس الى البحر المحيط وسكن هناك
ثم القى عليه قوة شهوة السفاد فهو لا يلد لكنه يلقح كالطير ويبيض ويفرخ قيل انه
يخرج من كل بيضة سبعون الف شيطان فيسلطهم على الخلق واقربهم اليه وادناهم منه
مجلسه اكثرهم اذى للخلق وفي الحديث ان ابليس لعنه الله قال يا رب انزلتني الى
الارض وطردتني وجعلتني رجيما فاجعل لي مسكنا قال الاسواق قال فاجعل لي طعاما
قال ما لم يذكر اسم الله عليه قال فاجعل لي شرابا قال كل مسكر قال فاجعل لي مؤذنا
قال المزامير قال فاجعل لي صيدا او مصايد قال النسا **فصل في مكايد**
لعنه الله منها انه كان في بني اسرايل عابد يدعى برصيصا وله جار له بنت فحصل لها
مرض فقال له جيرانه لو حملتها الى جارك برصيصا ليدعو لها قال فجا ابليس لعنه الله
وقال له ان لجارك عليك حق وان له بنتا ضعيفة فما ضرك لو حملتها عندك في جانب
البيت ودعوت الله لها عقيب عباداتك فعسى ان تشفى قال فلما اتاه جاره بالبنت
قال له العابد دعها وانصرف فتركها عنده مدة حتى شفيت فجا ابليس ووسوس اليه
حتى وطيها فحملت منه فجا ابليس وقال له اقتلها لئلا تفتضح فقتلها ودفنها فعند ذلك
ذهب الشيطان الى اهلها واعلمهم بذلك فجاوا الى العابد وكشفوا عن قضيته ثم
اخذوه ومضوا ليقتلوه فعارضه ابليس لعنه الله في الطريق وقال له ان سجدت لي
خلصتك منهم فسجد له قال فعند ذلك تبرا منه ومات الرجل على كفره اللهم اعصمنا
من الشيطان الرجيم برحمتك يا ارحم الراحمين **ومن ذلك** ما اتفق ان بني اسرايل اتخذوا
شجرة وصاروا يعبدونها فجا بعض عبادهم بفاس ليقطعها فعارضه ابليس وقال له
تركت عباداتك وجيت لشي لا يعود عليك نفعه ولم يزل عليه حتى تقاتل معه فصرعه
العابد وجلس على صدره فرجع فلا زال يعمل معه ذلك في كل يوم الى ثلثة ايام فلما
راه لا يرجع قال له اترك قطعها وانا اجعل لك في كل يوم دينارين تستعين بهما على
نفقاتك وعاهده ورجع قال فجعل له تحت وسادته دينارين ثم دينارين ثم دينارين
ثم قطع ذلك عنه فاخذ العابد الفاس وذهب ليقطع الشجرة فعارضه ابليس اللعين
في الطريق وتعاور معه وتجاذبا فصرعه ابليس وجلس على صدره وقال له ان لم ترجع

عن

قطعها والا ذبحتك فقال له العابد حل عني واخبرني كيف غلبتني قال لما غضبت لله
غلبتني ولما غضبت لنفسك غلبتك **ومنها** اشيا كثيرة ليس هذا محل استيفايها قال الله
تعالى واذ قلنا للملايكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه
افتتخذونه وذريته اوليا من دوني وهم لكم عدو بيس للظالمين بدلا **فصل في الشياطين**
وهي انواع كثيرة **منها** الدلهان ويوجد في جزاير البحار في صورة انسان حكى بعض المسافرين
انه عرض لمركب وهو راكب على نعامة يريد اخذ المركب فصاح به صيحة عظيمة خروا على وجوههم
واخذ بعض من في المركب **ومنها** السعلاه يحكى ان صنفا منها يترايا بزي النسا
ويترايا للرجال وحكى ان بعضهم تزوج امراة منهن وهو لا يعلم فاقامت عنده مدة وولدت
منه اولادا ذكورا واناثا فلما كان ذات ليلة صعدت معه للسطح فنظرت فرات نارا
من بعد عند الجبانة فطربت وقالت الم تر نيران السعالي وتحير لولها وقالت بنيك
وبناتك اوصيك بهن خيرا ثم طارت ولم تعد اليه **ومنها** نوع يقال له المذهب يخدم
العباد ومقصوده بذلك ان يعجبوا بانفسهم **حكي** ان بعضهم نزل الصومعة متعبد
فاتاه براح وطعام فتعجب العابد من ذلك فقال له شخص مر بالصومعة انه المذهب يريد
ان يخيل لك ان ذلك من كراماتي والله اني لا اعلم انه شيطان **وقال** بعض الصوفية المذهب
اصناف **ومنهم** من يحمل الفانوس بين يدي الشيخ **ومنهم** من ياتيه بالطعام والشراب
وغير ذلك **ومنهم** من ينشد الشعر قال بعض المسافرين اتى لي غلام فخرجت في اثره
فاذا انا باربعة ينشدون شعر الفرزدق وجرير قال فدنوت منهم وسلمت عليهم
فقالوا الك حاجة قلت لا فقال بعضهم تريد غلامك قلت ومن اعلمك بالغلام قال
تعلمني بجهلك قلت او جاهل انا قال نعم واحمق ثم غاب واتاني بالغلام فقعد الغلام ابنه
غشي علي فلما افقت قال انفخ في يدي ففعلت فانفرج القيد عنه فصرت لا انفخ في شي من ذلك
والي وجع من الاوجاع الا برى وتخلص منه صاحبه **ومنهم** نوع يقال له العفريت
خطف الناس يقال ان رجلا اختطفت ابنته في زمن عمر رضي الله عنه قال بعض المسافرين
بينا نحن سايرون ذات ليلة اذ عرض لي قضا الحاجة فانفردت من رفقتي فضللت عنهم
فبينا انا ساير في اثرهم اذ رايت نارا عظيمة وخيمة فجيت الى جانبها واذا جارية جميلة
جالسة فيها فسالتها عن حالها فقالت انا من فزارة اختطفني عفريت يقال له ظليم وجعلني
هنا وهو يغيب عني بالليل وياتيني بالنهار فقلت لها امضي معي فقالت اهلا انا وانت
من يتبعه فانه ياتينا فياخذني ويقتلك فقلت لا يستطيع اخذك ولا قتلي وما زلت
احاولها حتى رضيت فاركبتها ناقتي وسرت بها حتى طلع الفجر فالتفت واذا انا بشخص عظيم
مهول قد اقبل راكبا ورجلاه يخطان في الارض فقالت ها هو قد اتانا قال فانخت ناقتي

وخططت حولها خطا وقرأت آيات من القرآن وتعوذت بالله العظيم وانشأ
يقول يا ذا الذي للحين يدعو الندر خل عن الحسناء رسلا ثم سر اني امرء مالك
خير فاصطبر قالت فاجبته يا ذا الذي للحين يدعو الحمق خل عن الحسناء رسلا
وانطلق ما انت في الجن با ولمن عشق قال فتبدى لي في صورة اسود وجاذبني
فجاذبته ساعة فلم يظفر احدنا بصاحبه فلما ايس مني قال هل لك في خير يا صبي واحد
ثلث خصال قلت وما هن قال ما تبين من الابل او اخدمك ايام حياتك او الف
دينار الساعة وخل بيني وبين الجارية فقلت لا ابيع ديني بدنياي ولا حاجة لي في خدمتك
فاذهب من حيث اتيت فانطلق وهو يتكلم بكلام لا افهمه وسرت بالجارية الى اهلها
وتزوجت بها وجاءني منها اولاد وقيل لما سخر الله تعالى الجن لسليمان عليه السلام
فاذا بجبريل عليه السلام قال ايها الجن والشياطين اجيبوا نبي الله سليمان باذن الله
تعالى فخرجت الجن والشياطين من الجبال والكهوف والمغاير والاودية والفلوات
والآجام وهم يقولون لبيك لبيك تسوقهم الملائكة سوق الراعي للغنم حتى حشرت
بين يديه طائعة ذليلة وكانت اذ ذاك اربعة وعشرين فرقة فنظر الى الوانها فاذا
هي سود وشقر وزرق وبيض وصفر وخضر على صور جميع الحيوانات ومنهم
من راسه راس الاسد وبدنه بدن الفيل ومنهم من له خرطوم وذنب ومنهم من له
قرن وحوافر وغير ذلك من الانواع قال فعند ذلك تعجب نبي الله سليمان عليه السلام
من هذه الاشكال وسجد شكرا لله تعالى وقال الهي البسني هيبة من عندك وجعل يسالهم
عن طعامهم وشرابهم وهم يجيبونه ثم فرقهم في الصنائع من قطع الاحجار والاشجار والغوص
في البحار وابنية الحصون وفي استخراج المعادن والجواهر قال الله تعالى هذا عطاؤنا
فامنن او امسك بغير حساب ونكتفي من ذلك بهذا القدر اليسير والله المسؤول
في تيسير كل عسير وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

الباب الخامس
والستون في ذكر البحار وما فيها من العجائب
وذكر الانهار والآبار

وفيه فصول الفصل الاول في ذكر البحار وما فيها من العجائب والجزائر وغير ذلك
روى عن ابن عباس رضي الله عنه قال لما اراد الله تعالى ان يخلق الماء خلق ياقوتة خضراء
لا يعلم طولها وعرضها الا الله تعالى ثم نظر اليها بعين الهيبة فذابت وصارت ماء واضطرب
فخلق الريح ووضع عليها الماء ثم خلق العرش ووضعه على متن الماء ومنه قوله تعالى وكان
عرشه على الماء اعلم ان بحر الظلمات لا يدخله شمس ولا قمر وان بحر الهند خليج منه وبحر

فارس الازد فيه ايضا خليج منه وبحر الصين خليج منه وبحر الروم خليج منه وبحر فارس
خليج منه وكل هذه البحار التي ذكرتها اصلها من البحر الاسود الذي يقال له البحر المحيط
واما بحر الخزر وبحر خوارزم وبحر ارمينية والبحر الذي عند مدينة النحاس وغير ذلك من
البحار الصغار فهي منقطعة عن البحر الاسود ولذلك ليس فيها جزر ولا مد وقيل سئل النبي صلى
الله عليه وسلم عن الجزر والمد فقال ملك عال قائم بين البحرين اذا وضع رجله فيه فاض واذا
رفعها غاض وقيل انما سمي البحر الاسود لان ماءه في رؤية العين كالحبر الاسود فاذا اخذ منه
الانسان في يده شيء يراه ابيض صافيا الا انه امر من الصبر مالح شديد الملوحة فاذا صار
ذلك الماء في بحر الروم تراه اخضر كالزنجار والله يعلم لاي شيء ذلك وكذلك ايضا ترى
في بحر الهند خليج احمر كالدم وبحر اصفر كالذهب وخليج ابيض كاللبن تتغير هذه الالوان
في هذه المواضع وانما الماء في نفسه ابيض صاف وقيل ان تغير لون الماء بلون الارض والله اعلم

واما ما يخرج من البحر من السمك وغيره

فقد روى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وامر
علينا ابا عبيدة رضي الله عنه نتلقى عير قريش وزودنا جرابا من تمر لم يجد لنا غيره
فكان ابو عبيدة يعطينا تمرة تمرة نمصها ثم نشرب عليها الماء فتكفينا يومنا الى الليل
فانتهينا على ساحل البحر فرأينا شيئا كهيئة الكثيب الضخم فاتيناه فاذا دابة من دواب
البحر يدعى العنبر فاقمنا شهرا ونحن ثلثمائة حتى سمنا ولقد رأيتنا نغترف من وقب عينيه
بالقلال الدهن ونقتطع منه القدرة كالثور ولقد اخذ منا ابو عبيدة رضي الله عنه
ثلثة عشر رجلا فاقعدهم في وقب عينيه واخذ ضلعا من اضلاعه فاقامها ثم رحل
اعظم بعير معنا فمر من تحتها وتزودنا من لحمه فلما قدمنا المدينة ذكرنا ذلك لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال هو رزق اخرجه الله لكم فهل معكم من لحمه شيء فتطعمونا فارسلنا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكله وقيل يخرج من البحر عكة سمكة عظيمة فتتبعها
سمكة اعظم منها لتاكلها فتهرب منها الى مجمع البحرين فتتبعها فيضيق عنها مجمع البحرين لعظمها
ذكرها فترجع الى البحر الاسود وعرض مجمع البحرين مائة فرسخ فتبارك الله رب العالمين قال
الشيخ عبد الله صاحب تحفة الالباب رحمه الله ركبت في سفينة فدخلنا الى مجمع البحرين فخرجت
سمكة عظيمة مثل الجبل العظيم فصاحت صيحة لم اسمع قط اهول منها ولا اقوى فكاد قلبي ان ينخلع
وسقطت على وجهي انا وغيري والقت السمكة نفسها في البحر فاضطرب البحر اضطرابا شديدا
وعظمت امواجه وخفنا الغرق فنجانا الله تعالى بفضله وسمعت الملاحين يقولون هذه سمكة
تعرف بالبغل قال ورأيت ايضا في البحر سمكة كالجبل العظيم ومن رأسها الى ذنبها عظام سود
كاسنان المنشار كل عظمة اكثر من ذراعين وكان بيننا وبينها في البحر اكثر من فرسخ فسمعت

الملاحين يقولون هذه السمكة تعرف بالمنشار اذا ما دفت اسفل السفينة قصمتها
نصفين ولقد سمعت اناسا يقول ان جماعة ركبوا في سفينة في البحر فارسوا على جزيرة
فطلعوا الى تلك الجزيرة وغسلوا قماشهم واستراحوا ثم اوقدوا نارا ليطبخوا فتحركت تلك الجزيرة
وطلبت البحر فاذا انها سمكة فسبحان القادر على كل شيء لا اله الا هو ولا معبود سواه وقيل
ان في البحر سمكة تعرف بالمنارة لطولها يقال انها تخرج في البحر الى جانب السفينة فتلقي
نفسها على المركب السفينة فتحطمها وتهلك من فيها واذا احس بها اهل السفينة صاحوا
وكبروا وضجوا وضربوا بالطبول ونقروا الطسوت والاسطال والاخشاب فزعا اذا
سمعت تلك الاصوات صرفها الله تعالى عنهم بفضله ورحمته وقال صاحب تحفة الالباب
كنت يوما في البحر على صخرة واذا بذنب حية صفراء منقطة بسواد طولها مقدار باع
فطلبت ان تقبض على رجلي فتباعدت عنها فاخرجت راسها كانه راس ارنب من تلك
الصخرة فسللت خنجرا كبيرا كان معي فطعنت به راسها فادخلت راسها تحت الصخرة واذا
بها خمس حيات في راس واحد فتعجبت من ذلك وسالت من هناك عن اسم هذه الحية فقال
هذه تعرف بام الحيات وذكروا انها تقبض على الادمي في الماء فتمسكه حتى يموت وتاكله
وتعظم حتى يكون كل حية اكثر من عشرين ذراعا وانها تقلب الزوارق وتاكل من قدرت عليه
من اصحابها وان جلدها ارق من جلد البصل ولا يؤثر الحديد فيها شيئا قال ورايت مرة في البحر
صخرة عليها كثير من النارنج الاحمر الطري الذي كانه كما قطع من شجره فقلت في نفسي هذا
قد وقع من بعض السفن فذهبت اليه فقبضت منه نارنجة فاذا هي ملصقة بالحجر فجذبتها
فاذا انها حيوان يتحرك ويضطرب في يدي فلففت يدي بكمي وقبضت عليه وعصرته فخرج
من فيه ماية كثيرة وحمرة فلم اقدر ان اقلعه من مكانه فتركتها عجزا عنها وهي من عجائب
خلق الله تعالى وليس لها عين ولا جارحة الا الفم والله اعلم لاي شيء يصلح ذلك قال
ولقد رايت يوما على جانب البحر عنقود عنب اسود كبير الحب اخضر العرجون كانه كما قطف من
كرمه فاخذته وذلك في ايام الشتاء وليس في تلك الارض التي كنت فيها عنبا فرمت ان اكل
منه فقبضت على حبة منه وجذبتها فلم اقدر ان اقلعها من العنقود وكانه من الحديد قوة
فجذبتها اكثر من الاولى فانقشرت قشرة تلك الحبة كقشر العنب وفي البحر ايضا حيوان
راسه يشبه راس العجل وله انياب كانياب السباع وجلده له شعر كجلد العجل وله عنق وصدر
وبطن وله رجلان كرجل الضفدع وليس له يدان يعرف بالسمك اليهودي وذلك انه اذا غابت
الشمس ليلة السبت يخرج من البحر ويلقي نفسه في البر فلا يتحرك ولا ياكل ولو قتل ولم يدخل
البحر حتى تغيب الشمس ليلة الاحد فحينئذ يدخل البحر ولا يلحقه السفن لخفته وقوته وجلده يتخذ
منه نعل لصاحب النقرس فلا يجد الم الما مادام ذلك الجلد عليه وهو من العجائب قال في

نحو

بحر الروم سمك طويل طول السمكة منه مائة ذراع واكثر وله انياب كانياب الفيل توخذ
وتباع في بلاد الروم وتحمل الى سائر البلاد وهو احسن واقوى من انياب الفيل واذا شق تظهر
فيه نقوش عجيبة يسمونه الجواهر يتخذون من تلك الانياب نصبا للسكاكين وهو مع قوته
وحسن لونه ثقيل الوزن كانه رصاص وفي البحر ايضا سمك يسمى الرعاد اذا دخل في شبكة
من جر تلك الشبكة او وضع يده عليها او على حبل من حبالها تاخذه الرعدة حتى لا يملك من نفسه
شيئا كما يرعد صاحب الحمى فاذا اطلق يده زالت عنه الرعدة واذا اعاد يده عادت اليه الرعدة
وهذا ايضا من العجائب فسبحان الله جلت قدرته وفي البحر ايضا دابة يقال لها الرحش
تنجي الغريق لانها تدنو منه حتى يضع يده على ظهرها فيستعين بالاتكاء عليها ويتعلق بها فتسبح
به حتى ينجيه الله بقدرته فسبحان من دبر هذا التدبير اللطيف واحكم هذه الحكمة البالغة
وزعموا ان السمك يحب صوت الغناء والصوت الحسن ويصغو لسماعه وربما قيل ان بعض
الصيادين يحفر في البحر حفايرا ثم يجلس فيضرب بالمعازف والات الطرب فيجتمع السمك
ويقع في تلك الحفاير وقيل ان الدرفين وانواع السمك اذا سمع صوت الرعد هرب الى
قعر البحر وقيل ان في البحر المحيط جزيرة بها ثلاث مدن عامرة وهي كثيرة الامطار واهلها
يحصدون زرعهم قبل جفافه لقلة طلوع الشمس عندهم ويجعلونه في بيت ويوقدون
حوله حتى يجف وعجائبه اعظم ولا يمكن حصرها ويقال ان الاسكندر لما سار الى بحر
الظلمة مر بجزيرة بها امة رؤوسهم مثل رؤوس الكلاب يخرج من افواههم مثل لهيب النار
فخرجوا الى مراكبه وحاربوه وتخلص منهم وسار فراى صورا متلونة شتى وسمكا
طوله مائة ذراع واكثر فقال سبحان الله ما اكثر عجائب هذا البحر وخلقه وقال
انه مر في بعض الجزائر على قصر مصنوع من البلور على قلعة محكمة البناء وحولها قناديل لا تطفى
ومن جزائر البحر جزيرة القمر يقال ان فيها شجر طول الشجرة مائة ذراع ودور ساقها مائة
وعشرون ذراعا ولها طوايف من السودان عراة الابدان يلتحفون بورق الشجر وهو ورق
يشبه ورق الموز لكنه اسمك وانعم ويقال ان هذه الجزيرة بالقرب من نيل مصر وان اهل
الامة التي بها يتمذهبون بمذهب الشافعي رضي الله عنه وهي في غاية اللطافة من الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر وبالقرب منهم معدن الذهب والياقوت وبها العود القماري والابنوس
والطواويس وبها مدن كثيرة والله تعالى اعلم وبها جزيرة الوقواق خلف جبل يقال له
اصطيفون داخل البحر الجنوبي ويقال ان هذه الجزيرة كانت ملكتها امراة وان بعض
المسافرين وصل اليها ودخل فيها فراى هذه الملكة وهي جالسة على سرير وعلى راسها
تاج من ذهب وحولها اربعماية وصيفة كلهم ابكار وفي هذه الجزيرة اشجار يشبه شجر
الجوز والخيار الشنبر ويحمل حملا كهيئة الانسان فاذا انتهى يسمع له تصويتا يفهم منه واق

ثم يسقط وهذه الجزيرة كثيرة الذهب يقال ان سلاسل خيلهم ومقاود كلابهم وأطواقهم
الذهب ومنها جزيرة الصين يقال ان بها ثلثمائة مدينة ونيف سوى القرى والاطراف
وابوابها اثنى عشر بابا وهي جبال في البحر بين كل جبلين فرجة وهذه الجبال تمر بها المراكب
مسيرة سبعة ايام واذا جاوزت السفينة الابواب سارت في ماء عذب حتى تصل الى
الموضع الذي تريد وفيها من الاودية والاشجار والانهار ما لا يمكن وصفه فتبارك
الله رب العالمين وقيل ان كسرى لما فرغ من بناء سده حمد الله تعالى واثنى عليه ثم
نام واذا بحيوان عظيم صعد من البحر الى ان علا وسد الافق فظن من حول الملك انه يريد
ابتلاعهم ففزعوا فانتبه فقال ما بالكم فقالوا اما ترى فقال انما كان ليأخذ نفسا
قبل انقضاء اجلها وقد نجي من العدو فلا تسلط على حيوانا من البحر واذا بالحيوان قد
دنا من الملك وقال ايها الملك اني حيوان هذا البحر وقد رأيت هذا السد بني وخرب
سبع مرات ثم غاب في البحر فتبارك الله من له ذا الملك العظيم والله اعلم بالصواب

الفصل الثاني من هذا الباب في
ذكر الانهار والابار والعيون

قال تعالى الم تر ان الله انزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض قال المفسرون
رحمهم الله هو المطر ومعنى سلكه ادخله في الارض وجعله عيونا ومسايل ومجاري
كالعروق في الجسد فمن الانهار ما هو من الامطار المجتمعة ولهذا ينقطع عند فراغ مادته
ومنها ما ينبع من الارض واطول ما يكون من الانهار الف فرسخ واقصره عشرة فراسخ الى اثنين
وثلثة وبين ذلك وكلها يبتدي من الجبال وينتهي الى البحار وفي ممرها تسقي المدن والقرى
وما فضل منها ينصب في البحر الملح ويختلط به ولا يمكن استيفاء عددها لكنا نشير الى بعضها
فنقول النيل ليس في الانهار اطول منه لانه مسيرة شهر في بلاد الاسلام وشهرين في بلاد
النوبة واربعة في الخراب وقيل ان مسافته من منبعه الى ان ينصب في البحر الرومي الف
وسبعمائة فرسخ وسبعمائة فرسخ وثمانية واربعون فرسخا قال ذلك صاحب مناهج الفكر
ومناهج العبر واختلف في زيادته فقيل الانهار والعيون تغله في الوقت الذي يريد الله
تعالى وفي الحديث انه من انهار الجنة وقالت اهل الآثار ان الانهار التي تخرج من الجنة
تخرج من اصل واحد من قبة في ارض الذهب ثم تمر بالبحر المحيط وتشق فيه قال ولولا ذلك
لكان احلى من العسل واطيب رائحة من الكافور نهر الفرات يوجد بارض ارمينية وفضائله
كثيرة والنيل اصدق حلاوة منه وبه من السمك الابيض ما يكون الواحد منه قنطار
بالدمشقي وطول هذا النهر من حين يخرج من عند ملطية الى ان ياتي الى بغداد ستمائة وثلثون
فرسخا وفي وسطه مدن في جزائر بغداد ومن اعمال الفرات جيحون نهر عظيم يتصل به

انهار

انهار كثيرة ويمر على مدن كثيرة حتى يصل الى خوارزم ولا ينتفع به شيء من البلاد سوى خوارزم
لانها مستعلية عنه ثم ينصب في بحيرة بينها وبين خوارزم ستة ايام وهو يجمد في الشتاء خمسة
اشبار والماء يجري من تحت الجمد فتحفر اهل خوارزم منه لهم اماكن يستقون منها واذا اشتد
جموده مروا عليه بالقوافل والعجل المحملة ولا يبقى بينه وبين الارض فرق ويعلوه التراب ويبقى
على ذلك شهرين سيحون نهر عظيم قيل ان مبداه من حدود الترك ويجري حتى يتصل ببلاد
الفرما وربما يجتمع مع جيحون في بعض الاماكن الدجلة نهر بغداد وله اسماء غير ذلك وماؤه
اعذب المياه بعد النيل واكثرها نفعا وقيل مقداره ثلثمائة فرسخ وفي بعض الاوقات يفيض حتى
قيل انه يخشى على بغداد الغرق منه وهو نهر مبارك كثيرا ما ينجو غريقه حكي انه وجد به
غريق فيه الروح فلما افاق سألوه عن حاله فاخبرهم انه لما غلب عن نفسه رأى كأن من يحمله ويصعد
به روي في الآثار ان الله تعالى امر دانيال عليه السلام ان يحفر لعباده ما يستقون منه
وينتفعون به فكان كلما مر بارض ناشده اهلها ان يحفر ذلك عندهم الى ان حفر دجلة والفرات
واما الانهار الصغيرة فكثيرة ولكنا نذكر منها طرفا فنقول نهر حمص المهدي قال صاحب تحفة
الغرايب انه بين البصرة والاهواز وانه يرتفع منه في بعض الاوقات شيء يشبه صوت الطبل
ولا يعرف احد شانه نهر درسجان قيل ان بالقرب منه نهر يجري فيه الماء سنة ثم ينقطع ثمان
سنين ثم يعود في التاسعة وقيل انه ينعقد حجارة يستعمل منه اللبن ويبنى به وقيل ان في
تلك الارض بحيرة تجف فلا يوجد فيها سمكا ولا طينا سبع سنين ثم يعود الماء والسمك والطين
فتبارك من بيده الملك وهو على كل شيء قدير نهر صعلاب يجري فيه الماء يوما واحدا في كل
اسبوع ثم ينقطع ستة ايام نهر العاصي بارض حماه وقيل بحمص وهو نهر معروف وفيه يقول
بعضهم

شعر

مدينة حمص كعبة الفضل اصبحت * يطوف بها الداني ويسعى لها القاصي
بها روضة من حسنها سندسية * تعلق في اكناف اذيالها العاصي

نهر الحامود بارض الهند نهر معروف نهر اليم قال صاحب تحفة الغرايب انه عند طلوع
الشمس يجري من المشرق الى المغرب وعند غروبها يجري من المغرب الى المشرق فسبحان من دبر هذا
التدبير واحكم هذه الصنعة لا اله الا هو جل وعلا سبحانه والله اعلم بالصواب

الفصل الثالث من هذا الباب في
ذكر الابار

قال مجاهد رحمه الله كنت احب ان ارى كل شيء غريب فسمعت ان ببابل بئرا فقصدت اليه فلما وصلت
الى ذلك المكان وجدت عنده بيوتا فدخلت في بعضها فوجدت شخصا فسلمت عليه فرحب بي
وسالني عن حاجتي فذكرت له غرضي فامر يهوديا يذهب معي فيوقفني على البئر ويطلعني على الملكين

قال فسرنا الى البئر ففتح سردابا ونزلنا فامرني ان لا اذكر اسم الله تعالى قال فلما رايت الملكين رايت شيئا كالجبلين العظيمين منكوسين على رؤسهما وعليهما الحديد من اعناقهما الى ركبتيهما قال مجاهد رحمه الله فلما رايت ذلك ذكرت الله تعالى فاضطربا اضطرابا شديدا حتى كادا يقطعان السلاسل ففر اليهودي فتخلفت به فقال اما امرتك ان لا تذكر اسم الله تعالى كدنا والله نهلك **بئر برهوت** بقرب حضرموت وهي التي قال النبي صلى الله عليه وسلم انها تجمع ارواح الكفار وقال علي رضي الله عنه ابغض البقاع الى الله تعالى بئر برهوت ماؤها منتن اسود يأوي اليها ارواح الكفار والموكل بها ملك يقال له دومه **بئر بضاعة** ماؤها يستشفى به قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم تفل فيها قالت اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما كنا نغسل المرضى منها فيعافى وقيل انه عليه السلام توضأ منها **بئر معونة** بارض حلب اذا شرب منها المكلوب زال كلبه اذا لم يجاوز الاربعين وبنيسابور فيها ابار كثيرة وهي معادن العنبر وزج وانما يمنع الناس عنها كثرة عقاربها **بئر بارض فارس** يطلع منها ما في وقت من السنة فيرتفع على وجه الارض لحبة واحدة فينتفع به في سقي الزرع ثم يعود الى ما كان وعجائب الله تعالى كثيرة لا تكاد ان تحصر لا اله الا هو ولا معبود سواه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الباب السادس والستون
في ذكر الارض وعجائبها وما فيها من الجبال والرمال وعجائب البلدان وغرائب البنيان
وفيه فصول

الفصل الاول في ذكر الارض وما بها من العمران والخراب **روى** وهب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان لله ثمانية عشر الف عالم الدنيا فيها عالم واحد وما العمران في الخراب الا كخردلة في كف احدكم وقال رواة الاثر ان لله عز وجل دابة في مرج من مروجه في غامض علمه رزقها في كل يوم يعدل رزق العالم باسره وجميع مداين الدنيا اربعة آلاف مدينة وخمسماية وستة وخمسون مدينة وقيل غير ذلك **واقاليم الارض** سبعة الاقليم الاول الهند والثاني الحجاز والثالث اقليم مصر الرابع اقليم بابل الخامس اقليم الروم والشام السادس بلاد الترك السابع بلاد الصين واوسط الاقاليم اقليم بابل وهو اعمرها وفيه جزيرة العرب وفيه العراق الذي هو سرة الدنيا وبغداد في وسط هذا الاقليم فلاعتداله اعتدلت الوان اهله فسلموا من شقرة الروم وسواد الحبش وغلظ الترك وجفا اهل الجبال ودمامة اهل الصين والله اعلم **والممالك** المشهورة قد ضبط عددها في زمن المامون رحمه الله ثلثماية وثلثة واربعون مملكة اوسعها ثلثة اشهر واضيقها ثلثة ايام **وقال** اهل الهيئة انه يكون عند خط الاستواء ربيعان وصيفان

وخريفان وشتاآن في سنة واحدة وانه يكون في بعض البلاد ستة اشهر ليل وستة اشهر نهار وبعضها حر وبعضها برد فسبحان من خلق كل شيء واتقنه لا اله الا هو ولا معبود سواه

الفصل الثاني من هذا الباب
ذكر الجبال والرمال

قيل ان الله تبارك وتعالى لما خلق الارض ماجت واضطربت فخلق الجبال وارساها بها فاستقرت ومجموع ما عرف في الاقاليم السبعة من الجبال ماية وثمانية وتسعون جبلا منها ما طوله عشرون فرسخا ومنها ما طوله ماية فرسخ الى الف فرسخ ولنذكر منها ما هو مشهور معروف عند الناس فمن عجيبها جبل سرنديب وطوله مايتان ونيف وستون ميلا وفيه اثر قدم آدم عليه السلام حين اهبط وحوله الياقوت وفي واديه الماس الذي يقطع به الصخور وسفط اللؤلؤ وفيه العود والفلفل ودابة المسك ودابة الزباد **جبل الروم** الذي فيه السد طوله سبعماية فرسخ وينتهي الى البحر المظلم **جبل ابي قبيس** سمي بذلك لان آدم عليه السلام كان يبكي على الجبل فاقتبس منه النار التي بين ايدي الناس وقيل غير ذلك **جبل القدس** جبل شريف مبارك فيه غار يضيء في الليل من غير سراج وتزوره الناس **جبل الروند** بهمدان براسه عين يخرج من صخرة ايام معدودة في السنة تقصد من كل وجه يستشفى بها **جبل** بالشام لونه اسود كالفحم ورماده ابيض يبيض به الثياب **جبل بالاندلس** فيه غار اذا دهنت فتيلة وادخلتها فيه اوقدت وبها جبل به عينان احدهما باردة والاخرى حارة والمسافة التي بينهما مقدار شبر وجبل به معدن الكبريت والزيبق والزنجفر **جبل سمرقند** يقطر منه ماء في الصيف يصير جليدا وفي الشتاء يحرق من حرارته **جبل العود** بكرمان يكسر فيخرج من حجره كصورة آدميين قاعدين وقاعد ومضطجعان واذا سحق وطرح في المآبر كذلك **جبل المرجان** بطبرستان يقطر منه ماء كل قطرة تصير حجرا مسدسا او مثمنا **جبل هرمز** ينزل ماء الى وهدة فان صاح انسان منحه وقف وان سكت جرى **جبل الطير** باقليم الصعيد يجتمع عنده الطير في كل سنة مرة وتدخل من كوة هناك فتمسك الكوة على واحد وتطير البقية ويكون ذلك علامة الخصب في تلك السنة ولنقتصر على ذلك ومن اراد الوقوف على جميعها فعليه بتاريخ مرآة الزمان والله اعلم

الفصل الثالث من هذا الباب
في ذكر المباني العظيمة وغرائبها وعجائبها

قال اهل التواريخ ونقلة الاخبار ان اول بناء بني على وجه الارض الصرح الذي بناه نمرود الاكبر بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام وبعضه خرابا من ارض بابل وبه الى عصرنا اثر ذلك البناء كانه جبال قالوا وكان طوله خمسة آلاف ذراع بناه بالحجارة والرصاص والشمع واللبان ليمتنع هو وقومه من طوفان ثان فاخرب الله تعالى ذلك الصرح في ليلة بصيحة فتبلبلت لغاتها

السنة الناس فسميت ارض بابل والله اعلم ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد حكى الشعبي رحمه الله في كتاب سير الملوك ان شداد بن عاد ملك جميع الدنيا وكان قومه قوم عاد الاولى زادهم الله بسطة في الاجسام وقوة حتى قالوا من اشد منا قوة قال الله تعالى او لم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وان الله تعالى بعث اليهم هودا عليه السلام فدعاهم الى الله عز وجل فقال له شداد ان آمنت بالهك ماذا لي عنده قال يعطيك في الآخرة جنة مبنية من ذهب ويواقيت ولؤلؤ وانواع الجواهر فقال شداد انا ابني مثل هذه الجنة ولا احتاج الى ما يعدني به قال فامر شداد الف امير من جبابرة قوم عاد ان يخرجوا ويطلبوا ارضا واسعة كثيرة الماء طيبة الهوى بعيدة عن الجبال ليبني فيها مدينة من ذهب فخرجوا حتى وصلوا الى عدن فراوا هناك ارضا واسعة طيبة الهوى فاعجبتهم تلك الارض فامروا المهندسين والبنائين فخطوا المدينة مربعة الجوانب دورها اربعون فرسخا من كل جهة عشرة فراسخ فحفروا الاساس الى الماء وبنوه بحجارة الجزع اليماني حتى ظهر على وجه الارض ثم احاطوا بها سورا ارتفاعه خمسمائة ذراع وغشوه بصفايح الذهب المموه بالفضة فلا يدرك البصر اذا اشرقت الشمس وكان شداد قد بعث الى جميع معادن الدنيا فاستخرج منها الذهب والجزع ليتناولهم ولم يترك في يد واحد من الناس في جميع الدنيا شيئا من الذهب الا غصبه واستخرج الكنوز المدفونة ثم بنى داخل المدينة مائة الف قصر بعدد رؤسا مملكته كل قصر على الف عمود من انواع الزبرجد واليواقيت معقودة بالذهب طول كل عمود مائة ذراع واجرى في وسطها نهرا وعمل منه جداول لتلك القصور والمنازل وجعل حصباؤها من الذهب والجواهر واليواقيت ودلى قصورها بالصفايح الذهب والفضة وجعل على حافات الانهار انواع الاشجار وجعل جذوعها من الذهب واوراقها وثمرها من انواع الزبرجد واليواقيت واللآلي وطلى حيطانها بالمسك والعنبر وجعل بها جنة مزخرفة وجعل اشجارها الزمرد والياقوت ونصب عليها الطيور المسموعة الصادح والمغرد وغير ذلك ثم بنى حول المدينة مائة الف دكان برسم الحراس الذين يحرسون المدينة فلما كمل بنيانها امر في مشارق الارض ومغاربها ان يتخذوا في البلاد بسطا وستورا وفرشا من انواع الحرير لتلك القصور والغرف وامر باتخاذ اواني الذهب والفضة فاتخذوا جميع ما امر به فلما فرغوا من ذلك جميعه خرج شداد من حضرموت في اهل مملكته وقصد ارم ذات العماد فلما اشرف عليها وراها قال قد وصلت الى ما كان هود يعدني به بعد الموت وقد حصلت عليه في الدنيا فلما اراد دخولها امر الله تعالى ملكا فصاح بهم صيحة الغضب فقبض ملك الموت ارواحهم في طرفة عين فخروا على وجوههم صرعى قال تعالى وانه اهلك عادا الاولى وذلك قبل هلاك عاد بالريح العقيم واخفى الله تعالى المدينة عن اعين الناس وكانوا يرون في الليل في تلك البرية التي بنيت فيها لمعان الذهب واليواقيت تضي كالمصابيح فاذا وصلوا اليها

احدا واشيا وقيل ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقال له عبد الله بن قلابة الانصاري دخل اليها وذلك انه ضلت له ابل فخرج في طلبها فوصل اليها فلما رآها دهش وبهت وراى ما اذهله وحيره وقال في نفسه هذه تشبه الجنة التي وعد الله بها عباده المتقين في الآخرة فقصد بابا من ابوابها فلما وصل اليه اناخ راحلته ودخل المدينة فراى تلك القصور والانهار والاشجار ولم ير احدا في المدينة وقال ارجع الى معاوية رضي الله عنه واخبره بهذه المدينة وما فيها ثم حمل معه شيئا من تلك اليواقيت والجواهر في وعاء وجعله على راحلته وعلم على المدينة علامة وقال فرسخ من جبل عدن كذا ومن الجهة الفلانية كذا ثم انصرف بعد ما ظفر بابله حتى دخل على معاوية بدمشق فاخبره بجميع ما راه فقال معاوية في اليقظة رايتها ام في المنام قال بل في اليقظة وحملت معي من حصبائها فاخرج له شيئا مما اخذ من الجواهر واليواقيت فتعجب معاوية من ذلك ثم ارسل الى كعب الاحبار رحمه الله فلما دخل عليه قال معاوية يا ابا اسحق هل بلغك ان في الدنيا مدينة من ذهب قال نعم يا امير المؤمنين وقد ذكرها الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بقوله عز من قائل الم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد وقد اخفاها الله تعالى عن اعين الناس وسيدخلها رجل من هذه الامة يقال له عبد الله بن قلابة الانصاري ثم نظر كعب فرآه فقال ها هو يا امير المؤمنين واسمه وصفته في التوراة ولا يدخلها احد بعده الى يوم القيمة وقيل ان ذلك كان في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وان الرجل الذي دخلها حكى ذلك لعمر رضي الله عنه فلم ينكره ولا من كان حاضرا عنده بل قال قال عليه السلام يدخلها نفر من امتي والله اعلم ومن المباني العجيبة الخورنق بناه النعمان بن امرئ القيس وهو النعمان الاكبر بناه في عشرين سنة فلما انتهى اعجبه فخشي ان يبني لغيره مثله فامر بان يلقى بانيه من اعلاه فتقطع واسم بانيه سنمار فصارت العرب تضرب به المثل جزاه جزاء سنمار قال الشاعر بيت

جزانا بنوه ابو الغيلان عن كبر ❊ وحسن فعل كما يجزى سنمار

ومن المباني العجيبة حائط العجوز واسمها دلوكا القبطية وسبب بنائها انها ولدت ولدا فاحبت له الرصد فقيل لها يخشى عليه من التمساح فلما شب الغلام خافت عليه فبنت الحائط وجعلته من العريش الى اسوان شامل لكورة مصر من الجانب الشرقي وقيل بنته خوفا على مصر واهلها بعد غرق فرعون ان يطمع الملوك فيها وقيل انها ارادت ان تخوف ولدها من التمساح حتى لا ينزل البحر فصورت له صورة التمساح فراه شكلا مهولا فاذهله فاخذه الفزع والهم فضعف وتسلسل الى ان مات لا معوض من قضائه تعالى لا اله الا هو سبحانه ومن المباني العجيبة الاهرام وهي بالجانب الغربي من مصر مشاهدة في زماننا هذا قيل ان دور الهرم الاكبر من الثلثة الف ذراع في كل وجه خمسمائة ذراع وقد ذهب المامون رحمه الله الى مصر حتى

شاهدها على ما ذكر وفتح منها هرمًا وتعجب من بنيانها وصنعتها قيل ان كل حجر من حجارتها
ثلثون ذراعا في عرض عشرة اذرع قد احكم الصناعة ونحته وتسويته ولا يقدر النجار الصانع
ان يتخذ من خشب صندوقا صغيرا على احكامه وهو من عجائب الدنيا والله اعلم

قال بعضهم

أين الذي الهرمان من بنيانه • ما قومه ما يومه ما المصرع

وزعم قوم ان الاهرام الموجودة بمصر قبور لملوك عظام ارادوا ان يتميزوا بها على سائر
الملوك بعد مماتهم كما تميزوا عنهم في حياتهم وترجوا ان يبقى ذكرهم بسببها على تطاول
الدهور وتراخي العصور ولما وصل المأمون رحمه الله اليها امر بنقبها فنقب احدها بعد جهد
شديد وعناء طويل فوجد داخله مراق ومهاو يهول امرها ويعسر المسلوك فيها ووجد
في اعلاه بيت وفي وسطه حوض من رخام مطبق فلما كشف غطاه لم يوجد الا رمة بالية
فعند ذلك امر المأمون بالكف عن نقب ما سواه فقيل ان الذي بناه سوريد بن سهلاق
بن سرياق لرؤيا رآها وهي آفة تنزل من السماء وهي الطوفان فقالوا انه بناها في ملك ستة
اشهر وغشاها بالديباج الملون وكتب عليها قد بنيناها في ستة اشهر فقل لمن ياتي بعدنا
يهدمها في ستمائة سنة والهدم ايسر من البنيان وكسوناها الديباج الملون فليكسها
حصرا والحصر اهون من الديباج والامر فيها عجيب ومن المباني العجيبة منارة اسكندرية
التي بناها ذو القرنين عليه السلام قيل انها كانت مبنية بحجارة مهندمة مغروسة في
الرصاص فيها نحو من ثلثمائة بيت تصعد الدابة بحملها الى كل بيت وللبيوت طاقات تنظر
على البحر ويقال ان طولها كان الف ذراع وفي اعلاها تماثيل من نحاس منها تمثال رجل قد
اشار بيده الى البحر فاذا صار العدو على نحو ليلة منها سمع له صوتا يعلم به اهل المدينة
مجيء العدو فيستعدون له ومنها تمثال كلما مضى من الليل ساعة صوت صوتا مطربا
ويقال انه كان باعلاها مرآة من الحديد الصيني عرضها سبعة اذرع كانوا يرون فيها المراكب
بجزيرة قبرص وقيل كانوا يرون فيها من يخرج من البحر من جميع بلاد الروم فان كانوا تركوهم
حتى يقربوا من المدينة فاذا مالت الشمس للغروب اداروا المرآة مقابلة الشمس واستقبلوا
بها السفن فيقع شعاعها بضوء الشمس على السفن فتحترق في البحر ويهلك من فيها وكانت الروم
تؤدي الخراج ليأمنوا بذلك من احراق السفن ولم تزل كذلك الى زمن الوليد بن عبد الملك
رحمه الله قال المسعودي رحمه الله ان ملكا من الروم تحيل على الوليد واظهر انه يريد
الاسلام وارسل اليه تحفا وهدايا واظهر له دفاين من بلاده بحكم كان عنده وارسل له بذلك
قسيسين من خواصه وارسل معهم اموالا قيل انهم حفروا بقرب المنارة ودفنوا تلك
الاموال وقالوا للوليد ان تحت المنارة كنوز لا تنفد وبازائه خبيئة كذا كذا الف دينار

فأمرهم

فأمرهم باستخراج ما بالقرب من المنارة فان كان ذلك حقا يستخرج ما تحت المنارة
بعد هدمها فحفروا واستخرجوا ما دفنوه بايديهم فعند ذلك امر الوليد بهدم المنارة
واستخراج ما تحتها فهدموها فلم يجدوا شيئا وهرب اولئك القسيسون فعلم الوليد
انها مكيدة عليه فندم على ذلك غاية الندم ثم امر ببنائها فبنوها بالآجر ولم يقدروا
ان يرفعوا اليها تلك الحجارة فلما اتموها نصبوا عليها المرآة كما كانت فصدئت ولم يروا
فيها شيئا مثل ما كانوا يرون وبطل احراقها فندموا على ما فعلوا وفاتهم من جهلهم نفع
عظيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقد عملت الجن لسليمان بن داود عليهما السلام
في سكندرية مجلسا على اعمدة من الجزع اليماني المصقول كالمرآة اذا نظر الانسان اليها
يرى من يمشي خلفه لصفائها وفي وسط ذلك المجلس عمود من رخام طوله مائة احد عشر
ذراعا وفي تلك الاعمدة عمود واحد يتحرك شرقا وغربا بطلوع الشمس وغروبها يشاهد
الناس ذلك ولا يعلمون ما سببه والله اعلم وفي مدينة حمص مدينة عظيمة يقال لها
اللجاة فيها من عجايب البنيان والبيوت والغرف والماء الجاري على كل طريق من طرقها ما
لا يعلمه الا الله تعالى وعند مدينة حوران مدينة عظيمة يقال لها اللجاة فيها من البنيان
ما يعجز عن وصفه الالسنة البلغاء كل دار منها مبنية بالصخر المنحوت وليس في الدار خشبة
ولا آجرة بل ابوابها وغرفها وسقوفها وبيوتها من الصخر المنحوت الذي لا يستطيع احد
ان يعمل من الخشب في كل دار بئر وطاحون وكل دار معزوزة فلا يلاصقها دار اخرى
كل دار كالقلعة الحصينة اذا خاف اهل تلك النواحي من العدو دخلوا الى تلك المدينة فيترك
كل انسان في دار بجميع عياله وخيله وغنمه وبقره فيغلق بابه ويجعل خلف الباب حجرا
فلا يقدر احد على فتح ذلك لاحكامه وفي هذه المدينة اكثر من مائتي الف دار وحولها فيما
يقال ولا يعلم احد من بناها وسمتها العرب اللجاة لانهم يلجؤون اليها عند الخوف والله اعلم
ومن المباني العجيبة ايوان كسرى انوشروان بناه سابور ذو الاكتاف في نيف وعشرين
سنة وطوله مائة ذراع في خمسين بناه بالآجر والجص وجعل طول كل شرافة من شرافاته
خمسة عشر ذراعا ولما ملك المسلمون المداين اخربوا هذا الايوان فاخرجوا منه الف الف
دينار ذهب وحكي ان المنصور رحمه الله لما اراد بناء بغداد عزم على هدمه وان يجعل
آلته في بنائها فقيل له ان نقضه تتكلف بقدر العمارة فلم يسمع وهدم شرافة وحسب ما
انفق عليها فوجد الامر كذلك وقيل ان بعض رؤسا مملكته قال له لما اراد هدمه هو آية
الاسلام فلا تهدمه وحكي انه كان بمدينة قيسارية كنيسة بها مرآة اذا اتهم الرجل امرأته
بزنا نظر في تلك المرآة فيرى صورة الزاني فاتفق ان بعض الناس قبل غزله عمد اهلها
فكسرها وقد اقتصرت من ذلك على هذا القدر اليسير وحسبنا الله ونعم الوكيل

الباب السابع والستون في ذكر المعادن والأحجار وخواصها

المعادن لا تكاد تحصى لكن منها ما تعرفه الناس ومنها ما لا تعرفه وهي مقسومة الى ما يذوب
وما لا يذوب والذي اشتهر بين الناس من المعادن سبعة وهي الذهب والفضة والحديد
والرصاص والاسرب والخارصيني والاحجار الجوهرية ولنبدأ اولا بذكر الذهب فنقول هو جسد
حار لطيف ولشدة اختلاط اجزائه المائية بالترابية على ان النار لا تقدر على تفريق اجزائه
فلا يحترق ولا يبلى ولا يصدى وهو لين براق حلو الطعم صفر اللون فالصفرة من نارينه
والليونة من دهنيته والبراقة من صفاء مائيه **خواصه** يقوي القلب ويدفع الصرع تعليقا
ويمنع الفزع والخفقان ويقوي العين كحلا ويجلوها اذا كان ميلا ويحسن نظرها واذا
ثقبت الاذن به لم تلتحم واذا كوي به لم ينفط ويبرئ سريعا وامساكه في الفم يزيل البخر
الفضة قريبة منه وتصدى وتحترق وتبلى بالتراب واذا اصابها رائحة الرصاص
والزئبق تكسرت او رائحة الكبريت اسودت **ومن خواصها** ايضا انها تزيل البخر من الفم
اذا وضعت فيه واذا اذيبت مع الزئبق وطلي بها البدن نفع ذلك من الحكة والجرب
وعسر البول **النحاس** قريب منهما لكسبه اليبس والخلط في الطبع ومن خواصه اذا
صدي وطلي بالحامض زال صداه والاكل في آنيته يولد امراضا لا دواء لها **الحديد** كثير
المنافع اذ ما من صنعة الا وله فيها مدخل **ومن خواصه** انه يمنع خطيط النائم اذا علق
عليه وحمله يقوي القلب ويزيل الخوف والافكار والاحلام الردية ويسر النفس
وصداه ينفع امراض العين كحلا والبواسير تحملا **القزدير** صنف من الفضة دخل عليه
آفات من الارض **ومن** خواصه انه اذا القي في قدر لم ينضج ما فيها **الاسرب** هو الرصاص
ومن خواصه انه يكسر الماس ومن خواص الماس الدخول في كل شيء واذا شد قطعة من الرصاص
على الخنازير والغدد ابراها **الخارصيني** حجر لونه اسود يعطي حمرة من خواصه اذا عمل منه
مرآة ونظر فيها في الظلمة يفحص من اللقوة واذا انتقش للشحر علقه لم ينبت **الاحجار
الجوهرية** واصل الجوهر على ما قيل ان حيوانا يصعد من البحر على ساحله وقت المطر ويفتح
اذنيه ويلتقط بها المطر ويضمها ويرجع الى البحر فينزل الى قراره ولا يزال طابقا اذنيه
خوفا على ما فيها ان يختلط باجزاء البحر حتى ينضج ما فيها ويصير درا فان كانت القطرة صغيرة
كانت الدرة صغيرة وان كانت كبيرة فكبيرة فان كان في بطن هذا الحيوان شيء من الماء
المركانت الدرة كدرة وان لم يكن كانت صافية وقيل غير ذلك والدر نوعان كبير وصغير
قيل انه نصل الواحد الى مثقال **خواصه** يفرح القلب ويبسط النفس ويحسن الوجه ويصفي
دم القلب واذا خلط في الكحل شد عصب العين **الياقوت** سيد الاحجار واصول الوانه

اربعة الاحمر والاصفر والازرق والاسمانجوني ويتولد منها الوان كثيرة واعدلها الاحمر
الخالص المشرق ما في الشبه حب الرمان الاحمر ودونه الاحمر المشرب ببياض ثم الوردي
ثم الخمري ثم العصفري وارداه الازرق الذي لونه يشبه لون السوسن واقله قيمة الابيض
خواصه انه لا يعمل فيه الفولاذ ولا حجر الماس ولا تطلسه النار ويورث لابسه مهابة ووقارا
ويسهل قضاء الحوائج ويبرد الريق في الفم ويقطع العطش ويدفع السم ويقوي القلب وجميعه
ينفع للصرع تعليقا والابيض منه يبسط النفس ويوجد من الاصفر ما وزنه ثلاثون مثقالا
على ما قيل **البلخش** هو مقارب للياقوت في القيمة ودونه في الشرف ومن خواصه انه يورث
قبض النفس وسوء الخلق والحزن وهو الوان احمر واخضر واصفر **البنفش** اصناف
احمر مفتوح اللون صاف واحمر قوي الحمرة واسود يعلوه حمرة مطوقة بزرقة خفيفة ثم اصفر
مفتوح اللون والله اعلم **عين الهر** حجر يتلون من معدن الياقوت والغالب عليه البياض الناصع
باشراق مفرط وما بينه رقعة تشق فيه وفي مائيته سراب حرك يمينا تحركت يسارا وبالعكس
ومن خواصه اذا علق على العين امن صاحبها من الجدري على ما قيل والله اعلم **الماس** يوجد بوادي
الهند يقال انه مشحون بالحيات فيأتي من يريد استخراجه من ذلك الوادي فيصنع في الوادي
مرآة كبيرة فتأتي الحيات فينظروا الى خيالهم في المرآة فيفروا من ذلك الجانب فينزل
ويأخذ منه ما له فيه رزق **وقيل** انهم يحرزون الجزر ويلقون لحمها في ذلك الوادي فيلصق
الماس وغيره باللحم فيأتي الطير فيختطف اللحم ويصعد به الى الجبل فيأكل اللحم ويترك الحجر
فيأخذه صاحب اللحم **وقيل** ان الحيات لها ستة اشهر في مكان ومصيف ستة
اشهر في مكان فاذا ذهبت الى مشتاها ومصيفها اخذ الحجر في غيبتها والله تعالى اعلم
بصحة ذلك **ومن** عجيب امره انه اذا اريد كسره جعل في انبوبة قصب وضرب وكذا اذا
جعل في شمع او قار واذا جعل عليه دم التيس وقرب من النار ذاب **ومن** خواصه ان
الملوك تتخذه عندهم لشرفه وهو من السموم القواتل القطعة الصغيرة منه اذا جعلت
في الجوف ولو بقدر السمسمة خرقت الامعاء ومن خواصه الجليلة انه يعرق عند السم وجود السم
او الطعام المسموم **الزمرد** ويسمى الزبرجد وهو الوان اخضر زنجاري وصابوني
ويكون الحجر منه خمسة مثاقيل واقل **خواصه** انه يدفع الجن ويفرح ويقوي البصر ويصفي
الذهن ويبسط النفس **الفيروزج** نوعان اسحاقي وخليجي واجود الاسحاقي الازرق الصافي
خواصه النظر فيه يجلو البصر ويقويه ويبسط النفس ولا يصيب المتختم به آفة من قتل
او غرق **وقال** جعفر رضي الله عنه ما افتقرت يد تختمت بفيروزج واذا مضى له بعد
خروجه من معدنه عشرون سنة نقص لونه ولا يزال كذلك حتى ينطفي **العقيق** معدن بارض
صنعاء باليمن وهو الوان ويوجد عليه غشاوة ويحمى عليه ببعر الابل ويكسر وقيل يوجد

بالهند ولكن اليمني اجود **خواصه** التختم به يورث الحلم والاناة وتصويب الرأي وتيسر النفس
ويكسب حامله وقارا وحسن خلق ويسكن الحدة عند الخصومة **قال** عليه السلام من تختم
بالعقيق لم يزل في بركة **الجزع** هو حجر ايضا يؤتى به من اليمن والصين والوانه كثيرة والناس
يكرهونه لانه يكثر الهم والاحلام الردية وسوء الخلق وتعسير قضاء الحاجة ويكثر بكاء الصبي
وسيلان لعابه ويثقل اللسان اذا اسحق وشرب ما ؤه واذا وضع بين قوم لا علم لهم به حصلت بينهم
العداوة لكنه يسهل الولادة تعليقا **البلور** هو صنف من الزجاج ويحكى ان ببلاد كيسان
جبلين احدهما بلور واذا اريد قطع البلور في ذلك الموضع قطع بليل لانه في النهار يكون له
شعاع عظيم **خواصه** يبسط النفس ويسكن وجع الضرس **المرجان** هو واسطة بين النبات
والمعدن لانه يتشجر يشبه النبات ويتحجر يشبه المعدن ولا يزال لينا في معدنه
فاذا فارقه تحجر ويبس **خواصه** النظر فيه يشرح الصدر ويبسط النفس ويفرح القلب
ويذهب بالداء المحتبس في العين ويسكن الرمد وسحاقته المخلوطة بالخل يجلو قلح الاسنان
واذا وضع على الجرح منعه من الانتفاخ وانواعه كثيرة فازرق وابيض واصله من الجزر قيل
انه شجر ينبت وقيل من حيوانه والله اعلم **حجر الماطلس** هو حجر هندي لا يعمل الحديد فيه
والبيت الذي يكون فيه لا يدخله السحر والجن ولاجل ذلك كان الاسكندر يجعلها في عسكره
الحجر الماهاني من تختم به امن من الروع والغم والحزن والهم ولونه ابيض واصفر ويوجد
بارض خراسان **حجر مراد** يوجد بناحية الجنوب وخاصته ان الجن يتبع حامله ويحمل له ما
اراد **الدهنج** خاصته اذا اسقي انسان من حكه نفعه وابطل فعل السم واذا اسقي شارب السم منه نفعه
واذا مسح به موضع اللدغ نفع وينفع من خفقان القلب واذا طلي بحكاكته بياض البرص ازاله
وان علق على انسان غلب عليه الباه **السبج** خواصه ان يقوي النظر الضعيف من الكبر او
نزول الماء ولبسه ينفع عسر البول وادمان النظر فيه يحد البصر وسحاقته تجلو البصر واذا
علق على من به صداع زال عنه **المغناطيس** يوجد في بحر الهند وهناك لا تتخذ في السفن حديد
ويوجد ببلاد الاندلس ايضا واجود انواعه ما كان اسود يضرب الى حمرة **خواصه** الاكتحال
بسحاقته الغيه بين المكتحل وبين من يحبه ويسهل الولادة تعليقا ومن تختم به كانت حاجته
مقضية وتعليقه في الحلق يزيد في الذهن واذا اسقي من سحاقته من به سم بطل واذا اصابته
رائحة الثوم بطلت خاصيته واذا اغسل بالخل عاد الى حاله واجوده ما جذب نصف مثقال
من الحديد **حجر الخطاف** يوجد في عشه حجران احدهما ابيض والاخر احمر فالاحمر اذا علق على من
يفزع في نومه زال فزعه والابيض اذا علق على من يحصل له الصرع زال عنه **حجر الزاج** اذا
بخر البيت بسحاقته هرب منه الفار والذباب **حجر الزمرد** افضل من الزبرجد واسهاك
وخاصته انه يدمل الجراحات وينبت اللحم **حجر الملح** هو انواع واجوده ما يوجد بارض سدوم

بالقرب

بالقرب من بحر لوط وقد جعله الله تعالى قوام الدنيا ومن خاصته تحسين الذهب ويزيد
في صفرته وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال يا علي ابدا بالملح واختم به فان فيه شفا من
سبعين دا **حجر الاطرون** قال ارسطو ينفع الارحام التي غلب عليها الرطوبة ينشفها ويقويها
واذا القي على العجين طيبه وبيضه ونشفه وهو نوعان ابيض واحمر **حجر اللازورد** مشهور قال
ارسطو من تختم به عظم في اعين الناس وينفع من السهر والله اعلم ومن اراد التعمق في ذلك فعليه
بالكتب الموضوعات له ولكن ذكرنا ما هو معروف والحمد لله على كل حال وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الباب الثامن والستون
في الاصوات والالحان وذكر الغنا واختلاف الناس فيه ومن كرهه ومن استحسنه

وما ذكرت ذلك الا اني كرهت ان يكون كتابي هذا عاطلا بعد اشتماله على فنون الادب
والتحف والنوادر والامثال عاطلا من هذه الصناعة التي هي مراد السمع ومرتع النفس
وربيع القلب ومجال الهوى ومسلاة الكئيب وانس الوحيد وزاد الراكب لعظم موضع الصوت
الحسن من القلب واخذه بمجامع النفس **فصل في الصوت الحسن** قال بعض اهل التفسير
في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشا هو الصوت الحسن وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال
اتدرون متى كان الحدا قالوا لا بابينا انت وامنا قال ان اباكم مضر خرج في ماله فوجد غلامه
قد تفرقت عليه ابله فضربه على يده بالعصا فعدا الغلام في الوادي وهو يصيح وايداه فسمعت
الابل صوته فعطفت عليه فقال مضر لو اشتق من الكلام مثل هذا لكان كلاما تجتمع عليه الابل
فاشتق الحدا **وقال** النبي صلى الله عليه وسلم لابي موسى الاشعري رضي الله عنه لما اعجبه حسن صوته
لقد اوتيت من مزامير آل داود وقيل ان داود عليه السلام كان يخرج الى صحرا بيت المقدس
يوما في الاسبوع ويجتمع الخلق فيقرا الزبور بتلك القراءة الرخيمة وكان له جاريتان
موصوفتان بالقوة والشدة فكانا يضبطان جسده ضبطا خيفة ان تتخلع اوصاله مما كان
يتحرك وكانت الوحوش والطير تجتمع لسماع قراءته **قال** مالك بن دينار رحمه الله بلغنا ان
الله تعالى يقيم داود عليه السلام يوم القيمة عند ساق العرش ويقول يا داود
مجدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم **وقال** سلام الحادي للمنصور رحمه الله وكان
يضرب المثل بحدائه مر يا امير المؤمنين بان يظمئوا الابل ثم يوردوها فاني آخذ في الحداء
فترفع رؤسها وتترك الشرب وزعم اهل الطب ان الصوت الحسن يسري في الجسم ويجري في العروق
فيصفو له الدم وتنمو له النفس ويرتاح له القلب وتهتز الجوارح وتخف الحركات ولهذا كرهوا
للطفل ان ينوم على اثر البكاء حتى يرقص ويطرب وزعمت الفلاسفة ان النغم فضل من النطق
لم يقدر اللسان على استخراجه فاستخرجته الطبيعة بالالحان على الترجيع لا على التقطيع فلما ظهر

مشغفة النفس وحنت اليه الروح الا ترى ان اهل الصناعات كلها اذا خافوا الملالة والفتور على ابدانهم ترنموا بالالحان واستراحت اليها انفسهم وليس من احد كائنا من كان الا وهو يطرب من صوت نفسه ويجد طنينه في راسه ولو لم يكن من فضل الصوت الحسن الا انه ليس في الارض لذة تكتسب من ماكل ومشرب وملبس ونكاح وصيد الا وفيه معايبات على البدن ولا تعب على الجوارح وقد يتوصل بالالحان الحسان الى خيري الدنيا والاخرة فمن ذلك انها تبعث على مكارم الاخلاق من اصطناع المعروف وصلة الارحام والذب عن الاعراض والتجاوز عن الذنوب وقد يبكي الرجل بها على خطيئته ويتذكر نعيم الملكوت ويمثله في ضميره ولاهل الرهبانية نغمات والحان شجية يمجدون الله تعالى بها ويبكون على خطاياهم ويتذكرون النعيم وكان ابو يوسف القاضي ربما حضر مجلس الرشيد رحمهما الله وفيه الغناء فيجعل مكان السرور به بكاء كانه يتذكر نعيم الآخرة وقد تحن القلوب الى الحسن الصوت حتى الطير والبهائم وكان صاحب الفلاحات يقول ان النحل اطرب الحيوان كله على الغناء ٥ قال الشاعر ٥

بيت

٥ والطير قد يسوقه للموت ٥ اصغاؤه الى حنين الصوت ٥

وزعموا ان في البحر دواب ربما زمرت اصواتا مطربة والحانا مستلذة يأخذ السامع عن الغشي من حلاوتها فاعتنى واضعت الالحان بان يشبهوا بها اغانيهم فلم يبلغوا وربما يغشى على سامع الصوت الحسن للطافة وصوله الى الدماغ وممازجته للقلب الا ترى الى الام كيف تناغي ولدها فيقبل بسمعه على مناغاتها ويتلهى عن البكاء والابل تزداد في نشاطها وقوتها بالحداء فترفع اذانها وتلتفت يمنة ويسرة وتتبختر في مسيرها وزعموا ان السماكين بنواحي العراق يلقون في جوف الماء حظائر ثم يضربون عندها باصوات شجية فيجتمع السمك في الحظائر فيصيدونها وقد نبهت على ذلك في باب ذكر البحار وما فيها من العجائب والراعي اذا رفع صوته ونفخ في يراعته تلقيه الغنم باذانها وجدت في الرعي والدابة تعاف فاذا سمعت الصفير بالحث في الشرب وليس شيء مما يستلذ به اخف مؤنة من السماع قال افلاطون من حزن فليسمع الاصوات الحسنة فان النفس اذا حزنت خمدت نارها فاذا سمعت ما يطربها اشتعل منها ما خمد وما زالت ملوك فارس تلهي المحزون بالسماع وتعلل به المريض وتشغله عن التفكر ومنهم اخذت العرب حتى قال ابن عيينة بن الشيباني رحمه الله ٥

بيت

٥ وسماع مسمعة تعللنا ٥ حتى ننام تناوم العجم ٥

وحكى ان البعلبكي مؤدب المنصور رحمه الله رجع في اذانه ذات ليلة وجارية تصب الماء على يد المنصور فارتعدت حتى وقع الابريق من يدها فقال له المنصور خذ هذه الجارية

فهي

فهي لك ولا تعد ترجع هذا الترجيع وقال عبد الرحمن بن عبد الله بن ابي عمار رحمه الله في قينة

شعر

٥ الم ترها لا ابعد الله دارها ٥ اذا رجعت في صوتها كيف تصنع ٥
٥ تؤد نظام القول ثم ترده ٥ الى صلصل من صوتها يترجع ٥

وبعد فهل خلق الله شيئا اوقع بالقلوب واشد اختلاسا للعقول من الصوت الحسن لا سيما اذا كان من وجه حسن كما قال الشاعر ٥

شعر

٥ وسماع حسن سمعته من حسن ٥ مقرب من فرح مبعد من حزن ٥
٥ لا فارقاني هكذا ابدا ٥ في صحة مني ومن بدني ٥

وهل على الارض من جبان مستطار الفؤاد يغني بقول جرير ٥

بيت

٥ قل للجبان اذا تأخر سرجه ٥ هل انت من شرك المنية ناجي ٥

الا شاش وشجعت نفسه وقوي قلبه ام هل على الارض بخيل قد تقطعت اطرافه يوما يغني بقول حاتم الطائي رحمه الله ٥

بيت

٥ يرى البخيل سبيل المال واحدة ٥ ان الجواد يرى في ماله سبلا ٥

الا انبسطت انامله وترشحت اطرافه واختلف الناس في الغناء فاجازه عامة اهل الحجاز وكرهه عامة اهل العراق فمن حجة من اجازه ان قال ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لحسان شن الغطاريف على بني عبد مناف فوالله لشعرك اشد عليهم من وقع السهام في غلس الظلام واحتجوا في اباحة الغناء واستحسانه بقول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها اهديتم الفتاة الى بعلها قالت نعم قال فبعثتم معها من يغني قالت لم نفعل قال او ما علمت ان الانصار قوم يعجبهم الغزل الا بعثتم معها من يقول ٥

بيت

٥ اتيناكم اتيناكم فحيونا نحييكم ٥ ولولا الحبة السمراء لم نحلل بواديكم ٥

ولا باس بالغناء اذا لم يكن فيه امر محرم ولا يكره السماع عند العرس والوليمة والعقيقة وغيرها فان فيه تحريك لزيادة سرور مباح او مندوب ويدل عليه ما روي من انشاد الربات بالدف والالحان عند قدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون

٥ طلع البدر علينا ٥ من ثنيات الوداع ٥
٥ وجب الشكر علينا ٥ ما دعا لله داعي ٥

ويدل عليه ما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت رايت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني بردائه وانا انظر الى الحبشة يلعبون في المسجد الحرام حتى اكون انا الذي اسأمه ويدل عليه ما روي في الصحيحين من حديث عقيل عن الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها ان ابا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان في ايام منى يدففان ويضربان والنبي صلى الله

عليه وسلم متغشٍّ بثوبه فانتهرهما أبو بكر رضي الله عنه فكشف النبي صلى الله عليه
وسلم عن وجهه وقال دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد وعن قرة بن خالد بن عبد الله رضي
الله عنه قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للنابغة الجعدي أسمعني بعض ما عفا
الله لك عنه من هناتك فأسمعه كلمة له فقال له وإنك لقائلها قال نعم قال لطالما غنيت
بها خلف جمال الخطاب وعن عبد الله بن عوف قال أتيت باب عمر رضي الله عنه فسمعته
يغني بالركبانية يقول

بيت

فكيف ثوائي بالمدينة بعدما • قضى وطرًا منها جميل بن معمر

وكان جميل بن معمر من أخصاء عمر رضي الله عنه قال فلما استأذنت عليه قال لي أسمعتنا
قلت فقلت نعم قال إنا إذا خلونا قلنا ما يقول الناس في بيوتهم وقد أجازوا تحسين
الصوت في القراءة والأذان فإن كانت الألحان مكروهة فالقرآن والأذان أحق بالتنزيه
عنها وإن كانت غير مكروهة فالشعر أحوج إليها لإقامة الوزن وما جعلت العرب
الشعر موزونا إلا لمد الصوت والدندنة ولولا ذلك لكان الشعر المنظوم كالخبر المنثور
وقد احتج من كره الغناء أن قال إنه ينفر القلوب ويستفز العقول ويبعث على اللهو ويحض
على الطرب وهذا باطل في أصله وتأولوا في ذلك قوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو
الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزوا وأخطأ من أول هذا التأويل إنما نزلت
هذه الآية في قوم كانوا يشترون الكتب من أخبار السمر والأحاديث القديمة ويضاهون
بها القرآن ويقولون إنها أفضل منه وليس من يسمع الغناء يتخذ آيات الله هزوا وقال
رجل للحسن البصري رحمه الله ما تقول في الغناء أبا سعيد قال نعم العون على طاعة الله تعالى
يصل الرجل به رحمه ويواسي به صديقه قال ليس عن هذا أسألك قال وعم سألتني
قال أن يغني الرجل قال وكيف يغني يجعل الرجل يلوي شدقيه ويفتح منخريه فقال الحسن
والله يا ابن أخي ما ظننت أن عاقلا يفعل بنفسه هذا أبدا فلم ينكر الحسن عليه إلا تسويد
وجهه وتعويج فمه وسمع ابن المبارك رحمه الله سكرانا يغني ويقول

بيت

إذا ذلني الهوى فأنا الذليل • وليس إلى الذي أهوى سبيل

قال فأخرج دواة وقرطاسا وكتب البيت فقيل له أتكتب بيت شعر سمعته من سكران
فقال أما سمعتم المثل رب جوهرة في مزبلة وكان لأبي حنيفة رضي الله عنه جار من الكيالين
مغرم بالشراب وكان يغني على شرابه يقول

بيت

أضاعوني وأي فتى أضاعوا • ليوم كريهة وسداد ثغر

قال فأخذ العسس ليلة فوضع في الحبس ففقد أبو حنيفة صوته فاستوحش فقال

لأهله

فقال لأهله ما فعل جارنا الكيال قالوا أخذه العسس وهو في الحبس فلما أصبح أبو حنيفة
رضي الله عنه توجه إلى باب عيسى بن موسى رحمه الله فاستأذن عليه فأسرع إذنه وكان أبو حنيفة
قليلا ما يأتي أبواب الملوك فأقبل عليه عيسى بن موسى وسأله عن حاجته فقال أصلح الله الأمير
جار لي من الكيالين أخذه عسس الأمير ليلة كذا فوقع في حبسه فأمر عيسى بإطلاق كل من في
الحبس إكراما لأبي حنيفة رضي الله عنه فأقبل الكيال على أبي حنيفة يشكره فلما رآه أبو حنيفة رضي
الله عنه قال له هل أضعناك يا فتى يعرض بشعره الذي كان ينشد قال لا والله ولكن بررت
وحفظت وكان عروة بن أذينة رضي الله عنه ثقة في الحديث روى عنه مالك بن أنس رضي
الله عنه وكان شاعرا مجيدا لبقا غزلا وكان يصوغ ألحان الغناء على شعره وينحلها المغنين
قيل إنه وقفت عليه امرأة يوما وحوله التلاميذ فقالت له أنت الذي يقال فيك الرجل الصالح
وأنت تقول

شعر

إذا وجدت أوار الحب في كبدي • عمدت نحو سقاء القوم أبترد
هبني بردت ببرد الماء ظاهره • فمن لنار على الأحشاء تتقد

وكان عبد الملك الملقب بالقس عند أهل مكة بمنزلة عطاء بن أبي رباح رحمه الله في العبادة
قيل إنه مر يوما بسلامة وهي تغني فقام يسمع غناها فرآه مولاها فقال له هل لك أن تدخل وتسمع
فأبى فلم يزل به حتى دخل فغنته فأعجبته ولم يزل يسمعها ويلاحظها النظر حتى شغف بها فلما
شعرت بلحظه إياها غنته تقول

شعر

رب رسولين لنا بلغا • رسالة من قبل أن نبرحا
الطرف والطرف بعثناهما • فقضيا حاجاتنا وما صرحا

قال فأغمي عليه وكاد أن يهلك فقالت له والله إني أحبك قال والله وأنا أحبك قالت وأحب
أن أضع فمي على فمك قال وأنا والله كذلك قالت فما منعك من ذلك قال أخشى أن يكون
صداقة ما بيني وبينك عداوة يوم القيامة أما سمعت الله يقول الأخلاء يومئذ بعضهم
لبعض عدو إلا المتقين ثم نهض وعاد إلى طريقته التي كان عليها وأنشأ يقول

شعر

قد كنت أعذل في السفاهة أهلها • فاعجب لما تأتي به الأيام
فاليوم أعذرهم وأعلم إنما • سبل الضلالة والهدى أقسام

وقدم عبد الله بن جعفر على معاوية رحمهم الله بالشام فأنزله في دار عياله وأظهر من إكرامه
ما يستحقه فغاظ ذلك فاختة بنت قرظة زوج معاوية فسمعت ذات ليلة غناء عبد الله
بن جعفر فجاءت إلى معاوية فقالت هلم واسمع ما في منزلك الذي جعلته من لحمك ودمك
وأنزلته بين حرمك فجاء معاوية فسمع شيئا حركه وأطربه فقال والله إني لأسمع شيئا

تكاد الجبال ان تخر له ثم انصرف فلما كان في آخر الليل سمع معاوية قراة عبدالله بن جعفر وهو قائم يصلي فاتيته فاخته فقال لها اسمي مكان ما اسمعتيني هولا قومي ملوك بالنهار رهبان بالليل ثم ان معاوية رحمه الله ارق ذات ليلة فقال لخادمه اذهب فانظر من عند عبدالله بن جعفر واخبره باني قادم عليه فذهب فاخبره فاقام عبدالله كل من كان عنده فلما جا معاوية لم ير في المجلس غير عبدالله فقال مجلس من هذا فقال عبدالله هذا مجلس فلان يا امير المومنين قال مره فليرجع الي مجلسه حتى لم يبق الا مجلس رجل واحد قال مجلس من هذا وكان مجلس فرج المغني فامره عبدالله بن جعفر فرجع الي موضعه فقال له معاوية داوي من عللها قال فتناول العود وغنى

بيت

وَدِّع سعاد فان الركب مرتحل • وهل تطيق وداعا ايها الرجل

قال فحرك عبدالله بن جعفر راسه وقال لا بليت فقال معاوية لم حركت راسك يا ابن جعفر قال ارتجه احذها يا امير المومنين قال لو لقيت لبليت او سيلت لاعطيت وكان معاوية قد خضب فقال ابن صقر لفرج هات غير هذا وكان عند معاوية جارية اعز جواريه عليه وكانت تتولى خضابه تغني تقول

شعر

اليس عندك شكر للذي جعلت • ما ابيض من قادمات الريش كالحمم

وجددت منك ما كان اخلقه • صرف الزمان وطول الدهر والقدم

فطرب معاوية طربا شديدا فجعل يحرك رجله فقال ابن جعفر يا امير المومنين انك سالتني عن تحريك راسي فاخبرتك وانا اسالك عن تحريك رجلك فقال كل كريم طروب ثم قام وقال لا يبرح احد منكم حتى يأتيه اذني فبعث الي ابن جعفر بعشرة آلاف دينار ومائة ثوب من خاصة كسوته والى كل رجل منهم الف دينار وعشرة اثواب وحدث ابن الكلبي والهيثم بن عدي رحمهما الله قالا بينا عبدالله بن جعفر رحمه الله في ازقة المدينة اذ سمع غنا فاصغى اليه فاذا صوت رقيق لقينة تغني تقول

بيت

قل لكرام ببابنا يلجوا • ما في التصابي على الفتى حرج

فنزل عبدالله عن دابته ودخل على القوم بلا اذن فلما راوه قاموا اجلالا له ورفعوا مجلسه فاقبل عليه صاحب المجلس وقال يا ابن عم رسول الله دخلت مجلسنا بلا اذن وليس هذا من شانك فقال عبدالله لم ادخل الا باذن قال ومن اذن لك قال قينتك هذه سمعتها تقول قل لكرام ببابنا يلجوا فولجنا فان كنا كراما فقد اذن لنا وان كنا لئاما اخرجنا مذمومين فقبل صاحب المنزل يده وقال جعلت فداك ما انت الا من اكرم الاكرمين فبعث عبدالله الى جارية من جواريه فحضرت ودعا بثياب وطيب فكسى القوم وطيبهم ووهب الجارية لصاحب المنزل وقال هذه احذق بالغنا من جاريتك وسمع سليمان بن عبدالملك رحمه الله مغنيا في عسكره

فقال اطلبوه فجاوا به فقال اعد علي ما تغنيت به فغنى واحتفل وكان سليمان اغير الناس فقال لاصحابه كانها والله جرجرة الفحل في الشول وما اظن انثى تسمع هذا الا صبت اليه ثم امر به فخصي اصل الغنا معدنه قال ابو المنذر هشام الغنا على ثلثة اوجه النصب والسناد والهزج فاما النصب فغنا الفتيان والركبان واما السناد فالثقيل الترجيع الكثير النغمات واما الهزج فالخفيف كله وهو الذي يثير القلوب ويهيج الحليم وقيل كان اصل الغنا ومعدنه في امهات القرى فاشيا ظاهرا وهي المدينة والطايف وخيبر وفدك ووادي القرى ودومة الجندل واليمامه وهذه القرى مجامع اسواق العرب ويقال ان اول من وضع العود لامك بن قاين بن آدم وبكى به على ولده ويقال ان صانعه بطليموس صاحب الموسيقى وهو كتاب اللحون الثمانية والله اعلم وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

الباب التاسع والثمانون

في ذكر المغنيين واخبارهم وندماء الخلفاء في مجالس الروساء وما اشبه ذلك

قيل اول من غنى في العرب قينتان لعاد يقال لهما الجرادتان ومن غنائهما بيت

الا يا قيل ويحك قم فهيم • لعل الله يصحبنا غماما

وانما غنيا بهذا حين حبس الله عنهم المطر وقيل اول من غنى في الاسلام الغنا السناد الرقيق طويس وهو الذي علم ابن سريج والدلال ونومة الضحى وكان يكنى ابا عبد النعيم ومن غنائه وهو اول غنا صوت به في الاسلام

شعر

وفتيان على شرب جمعنا • ولحت لهم بباطية هدور

فلا تشرب بلا طرب فاني • رايت الخيل تشرب بالصفير

ومنهم حكم الوادي رحمه الله ومن غنائه

شعر

امدح الكاس ومن اعملها • واهج قوما قتلونا بالعطش

انما الكاس ربيع باكر • فاذا لم تذقها الآن لم نعش

وكان لهرون الرشيد رحمه الله جماعة من المغنيين منهم ابراهيم الموصلي وابن جامع السهمي رحمهما الله وغيرهما وكان له زامر يقال له برصوما وكان ابراهيم اشدهم تصوتا وابن جامع احلاهم نغمة فقال الرشيد يوما لبرصوما ما تقول في ابن جامع فقال يا امير المومنين وما اقول في العسل الذي من حيثما ذقته فهو طيب قال فابراهيم الموصلي قال بستان فيه جميع الثمار والرياض وكان ابن محرز رحمه الله يغني كل انسان بما يشتهيه كانه خلق من قلب كل انسان وغنى رجل بحضرة الرشيد رحمه الله هذه الابيات يقول

شعر

وادكروا ايام الحمى ثم انثني * على كبدي من خشية ان تصدعا
فليست عشيات الحمى برواجع * عليك ولكن خل عينيك تدمعا
بكت عيني اليسرى فلما زجرتها * عن الجهل بعد الحلم اسبلتا معا

قال فاستخف الرشيد الطرب وامر له بمائة الف درهم وحدث ابن الكلبي رحمه الله عن ابيه قال كان ابن عافية من احسن الناس غناء واعلمهم فيه وكان من اضيق الناس خلقا اذا قيل له غن قال المثلي يقال له غن علي حتى رقبة ان غنيت يومي هذا فلما كان في بعض الايام سار الى وادي العقيق فلم يبق في المدينة مخباة ولا مخدرة ولا شاب ولا كهل الا خرج ببصره وكان فيمن خرج ابن عافية المغني وهو محتجز بفضل ردائه فنظر اليه الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم وكان فيمن خرج الى وادي العقيق وبين يديه عبدان اسودان كانهما ساريتان يمشيان امام دابته فقال اقسم بالله ان لم تفعلا ما امركما به لانكلن بكما فقالا يا مولانا قل ما تامرنا به فلو امرتنا ان نقتحم البحار فعلنا قال اذهبا الى ذلك الرجل المحتجز بفضل ردائه فامسكاه فان لم يفعل ما امره به والا فاقذفاه في العقيق قال فمضيا والحسن يقفوهما فلم يشعر ابن عافية الا وهما اخذان بمنكبيه فقال من هذا فقال له الحسن انا هذا يا ابن عافية قال لبيك وسعديك وبابي انت وامي قال اسمع مني ما اقول لك واعلم انك ماسور في ايديهما وقد اقسمت ان لم تغن مائة صوت ليطرحاك في العقيق قال فصاح ابن عافية واويلاه واعظم مصيبتاه قال دعنا من صياحك وخذ فيما ينفعنا قال اقترح وافهم عني ثم اقبل يغني فترك الناس العقيق واقبلوا عليه فلما تمت اصواته مائة كبر الناس بلسان واحد تكبيرة ارتجت لها اقطار الارض وقالوا للحسن صلى الله على روحك حيا وميتا فما اجتمع لاهل المدينة سرور قط الا بكم اهل البيت فقال له الحسن انما فعلت هذا بك يا ابن عافية لاخلاقك السيئة فقال ابن عافية والله ما مرت بي شدة اعظم منها لقد بلغت اطراف اعضائي وكان ابن عافية بعد ذلك اذا قيل له ما اشد شيء مر عليك قال يوم العقيق

وحدث ابو جعفر البغدادي قال حدثني عبد الله بن محمد عن ابي عكرمة رحمهم الله قال خرجت يوما الى المسجد الجامع فمررت بباب ابي عيسى بن المتوكل رحمه الله فاذا على بابه المشدود رحمه الله وهو واحد في خلق الله تعالى بالغناء فقال اين تريد يا ابا عكرمة قال اتيت المسجد الجامع لعلي استفيد حكمة اكتبها فقال ادخل بنا الى ابي عيسى قلت مثل ابي عيسى في قدره وجلالته تدخل عليه بلا اذن فقال للحاجب اعلم امير المؤمنين بمكان ابي عكرمة فما لبث الا ساعة حتى خرج الغلمان فحملوني حملا فدخلت الى دار ما رأيت احسن منها بناء ولا اظرف هيئة فلما دخلت ونظرت الى ابي عيسى قال لي يا بغيض متى تحتشم اجلس فجلست فاتينا بطعام كثير فلما انقضى

اتينا بشراب وقامت جارية تسقينا شرابا كالشعاع في زجاجة كانها كوكب دري فقلت اصلح الله الامير وادام عليه نعمه ولا سلبه ما وهبه قال فدعى ابو عيسى بالمشدود والرقيق ودبيس ولم يكن في ذلك الزمان احذق من هذه الثلثة بالغناء فابتدأ المشدود رحمه الله يغني

شعر

لما استقل بارداف تجاذبه * واخضر فوق بياض الدر شاربه
واشرق الورد من نسرين وجنته * واهتز اعلاه وارتجت حقائبه
كلمته بجفون غير ناطقة * فكان من رده ما قال حاجبه

ثم سكت وغنى دبيس رحمه الله يقول

شعر

الحب حلو امرته عواقبه * وصاحب الحب صب القلب ذائبه
استودع الله من بالطرف يمتعني * يوم الفراق ودمع العين ساكبه

ثم سكت وغنى رقيق رحمه الله يقول

شعر

بدر من الانس حفته كواكبه * قد لاح عارضه واخضر شاربه
ان يوعد الوعد يوما فهو يخلفه * او ينطق القول يوما فهو كاذبه
عاطيته كرم الاوداح صافية * فقام يشدو وقد قامت جوانبه

ثم ابتدا المشدود ايضا وغنى

يا دير حنة من ذات الاكيراح * من يصح عنك فاني لست بالصاحي

ثم سكت وغنى دبيس ايضا وقال

شعر

دع البساتين من آس وتفاح * واعدل هديت الى شيخ الاكيراح
واعدل الى فتية ذابت لحومهم * من العبادة الا نضو اشباح
وخمرة عتقت في دنها حقبا * كانها دمعة في جفن سياح

ثم سكت وغنى رقيق ايضا وقال

شعر

لا عطفن بقول اللائم اللاحي * واشرب على الورد من مشمولة الراح
كاسا اذا انحدرت في حلق شاربها * اغناه لألاؤها عن كل مصباح
ما زلت اسقي نديمي ثم الثمه * والليل ملتحف في ثوب امساح
فقام يشدو وقد مالت جوانبه * يا دير حنة من دار الاكيراح

قال ثم اقبل ابو عيسى رحمه الله على المشدود وقال له غن لي شعري فغناه يقول

شعر

يا لجة الدمع هل للغمض مرجوع * ام الكرى من جفون العين ممنوع
ما حيلتي وفؤادي هائم دنف * بعقرب الصدغ من مولاي ملسوع

ولا والذي تلفت نفسي بفرقته • فالقلب من حرق الأحزان مصدوع
ما أرق العين الا حب مبتدع • ثوب الجمال على خديه مخلوع

قال أبو عكرمة رحمه الله فوالله لقد حضرت من المجالس ما لا يحصى ما حضرت مثل ذلك المجلس ولو ان أبو عيسى رحمه الله قطعهم ما انقطعوا وحكي عن الرشيد رحمه الله انه قال يوما للفضل بن الربيع رحمه الله من بالباب من الندما قال جماعة فيهم هاشم بن سليمان مولى بني أمية رحمه الله وأمير المؤمنين يشتهي سماعه قال فأذن له ودخل فقال هات يا هاشم فغناه من شعر جميل يقول

شعر

اذا ما تراحمنا الذي كان بيننا • جرى الدمع من عيني بقتله بالكحل
فيا ويح نفسي حسب نفسي الذي بها • ويا ويح عقلي ما أصيب به أهلي
خليلي فيما عشتما هل رأيتما • قتيلا بكى من حب قاتله مثلي

قال فطرب الرشيد طربا شديدا وقال احسنت لله ابوك ثم قلده عقدا نفيسا فلما رآه هاشم ترقرقت عيناه بالدموع فقال له الرشيد ما يبكيك يا هاشم فقال يا أمير المؤمنين ان لهذا العقد حديثا عجيبا ان أذن لي أمير المؤمنين حدثته به قال قد أذنت لك قال يا أمير المؤمنين قال قدمت يوما على الوليد رحمه الله وهو في بحيرة طبرية ومعه قينتان لم ير مثلهما جمالا وحسنا فلما وقعت عينه علي قال هذا اعرابي قد ظهر من البوادي دعوا به نسخر عليه فدعاني فصرت اليه ولم يعرفني فغنت احدى الجاريتين بصوت هو لي فأخطأت فيه فقلت لها أخطأت يا جارية فضحكت ثم قالت يا أمير المؤمنين أتسمع ما يقول هذا الاعرابي يعيب علينا غناءنا فنظر الي كالمنكر فقلت يا أمير المؤمنين انا أبين لك فلتصلح وتر كذا وتر كذا ففعلت وغنت الصوت فقامت الجارية مكبة علي وقالت استاذي هاشم ورب الكعبة فقال الوليد رحمه الله أهاشم بن سليمان أنت قلت نعم يا أمير المؤمنين وكشفت عن وجهي واقمت معه بقية يومنا فأمر لي بثلثين ألف درهم فقالت الجارية يا أمير المؤمنين أتأذن لي في بر أستاذي فقال ذلك اليك فحلت يا أمير المؤمنين هذا العقد من عنقها ووضعته في عنقي ثم قربوا اليه السفينة ليرجع الى موضعه فركب في السفينة وطلعت معه احدى الجاريتين واتبعتها صاحبتي فأرادت أن ترفع رجلها وتطلع السفينة فسقطت في الما فغرقت لوقتها وطلبت فلم يقدر عليها فاشتد جزع الوليد عليها وبكى بكا شديدا وبكينا نا عليها أيضا بكا شديدا فقال لي يا هاشم ما نرجع عليك بما وهبناه لك ولكن نحب ان يكون هذا العقد عندنا نذكرها به فتحبى اياه فعوضني عنه ثلثين الف درهم فلما وهبني أمير المؤمنين العقد تذكرت قصته وهذا سبب بكائي فقال له الرشيد رحمه الله لا تعجب فان الله كما ورثنا مكانهم ورثنا أموالهم وقال علي بن سليمان النوفلي رحمه الله غنى رحان

الأشقر عند الرشيد رحمهما الله يوما فأنشد يقول

شعر

اذا نحن أدلجنا وانت امامنا • كما المطايا نابر وباك هاديا
ذكرتك بالديرين يوما فأشرقت • بنات الهوى حتى بلغنا التراقيا
اذا ما طوالك الدهر يا أم مالك • فشأن المنايا القاضيات وشانيا

قال فطرب الرشيد طربا شديدا واستعاده منه مرات ثم قال له تمن علي قال المغني والمرى وهما ضيعتان غلتهما أربعون الف دينار في كل سنة فأمر له بهما فقيل له يا أمير المؤمنين ان هذين الضيعتين من جلالتهما لا يحب ان يسمح بمثلهما فقال له الرشيد لا سبيل الى استرداد ما أعطيت ولكن احتالوا في شرائهما منه فسا ونوه فيهما حتى وقفوا معه على مائة الف دينار فرضي بذلك فقال الرشيد ادفعوها له فقالوا يا أمير المؤمنين في اخراج مائة الف دينار من بيت المال طعن ولكن نقطعها له فكان يوصل خمسة الاف وثلثة الاف حتى استوفاها ومن ذلك ما حكي اسحق الموصلي رحمه الله قال كان الواثق بن المعتصم اعلم الناس بالغنا وكان يضع الالحان العجيبة ويغني بها شعره وشعر غيره فقال لي يوما يا أبا محمد لقد فقت اهل العصر في كل شي تغني شعرا ارتاح اليه واطرب عليه يومي هذا فغنيته أقول

شعر

ما كنت اعلم ما في البين من حرق • حتى تنادوا بأن قد جيء بالسفن
قامت تودعني والدمع يغلبها • فجمجمت بعض ما قالت ولم تبن
مالت الي وضمتني لتشغلني • كما يميل نسيم الريح بالغصن
واعرضت ثم قالت وهي باكية • يا ليت معرفتي اياك لم تكن

قال فخلع علي خلعة كانت عليه وأمر لي بمائة الف درهم وغنيته أيضا يوما أقول

شعر

قفي ودعينا يا سعاد بنظرة • فقد حان منا يا سعاد رحيل
فيا حب ذا الدنيا ويا غاية المنا • ويا سول نفسي هل اليك سبيل
وكنت اذا ما جئت يوما لعلة • فأفنيت علاتي فكيف أقول
فما كل يوم لي بأرضك حاجة • ولا كل يوم لي اليك وصول

قال والله لا سمعت غيره والقى علي خلعة من ثيابه وأمر لي بصلة ما أمر لي قبلها بمثلها والسلام

ومن حكايات الخلفا ومكارم أخلاقهم رحمهم الله

ما حكي عن ابراهيم بن المهدي رحمه الله قال قال جعفر بن يحيى رحمه الله يوما لبعض ندمائه اني استأذنت أمير المؤمنين في الخلوة غدا فهل من مساعد فقلت جعلت فداك انا اسعد بمساعدتك

وأُسر بمشاهدتك قال فبكر بكور الغراب قال فأتيته عند الفجر فوجدت الشموع قد
وقدت بين يديه وهو ينتظرني في الميعاد فما زلنا في أطيب عيش إلى وقت الضحى فقدمت
إلينا موائد الأطعمة عليها من أفخر الطعام وأطيبه فأكلنا وغسلنا أيدينا ثم خلعت علينا
ثياب المنادمة وضمخنا بالخلوق وانتقلنا إلى مجلس الطرب ومدت الستائر وغنت القيان
فظللنا بأنعم يوم ثم إنه داخله الطرب فادعى بالحاجب وقال له إذا أتاك أحد يطلبنا
فأذن له ولو كان عبد الملك بن صالح بنفسه فاتفق من الأمر المقدر أن عم الرشيد عبد الملك
بن صالح قدم علينا في ذلك الوقت وكان صاحب جلالة وهيبة ورفعة وعنده من الورع والزهد
والعبادة ما عنه مزيد وكان الرشيد إذا جلس مجلس لهو لا يطلعه على ذلك لشدة ورعه
فلما قدم دخل به الحاجب علينا فلما رأيناه رمينا ما في أيدينا وقمنا إجلالا له نقبل الأرض
وقد أزعجنا لذلك وخجلنا وزاد بنا الحياء فقال لا بأس عليكم كونوا على ما أنتم عليه ثم
صاح بغلام فدفع له ثيابه ثم أقبل علينا وقال اصنعوا بنا ما صنعتم بأنفسكم قال
فما كان بأسرع من أن طرحت عليه ثياب خز معلم وقدمت موائد الطعام فأطعم وشرب
الشراب لساعته ثم قال خففوا عني فإنه شيء والله ما فعلته قط قال فتهلل وجه جعفر
ثم التفت إلى عبد الملك وقال جعلت فداك قد علوت علينا وتفضلت هل من حاجة تبلغها
مقدرتي وتحيط بها نعمتي فأقضيها لك قال بلى إن في قلب أمير المؤمنين علي بعض تغير فتسأله
الرضى عني فقال جعفر قد رضي عنك أمير المؤمنين فقال وعلي عشرة آلاف دينار فقال
جعفر هي لك حاضرة من مالي ولك من مال أمير المؤمنين مثلها قال وأحب أن أشد عضد
ابني إبراهيم بصهارة من ابنى ابراهيم بابنته الغالية وأحب أن تخفق رايات الولاية على رأسه
قال قد فعل أمير المؤمنين ذلك وولى ولدك إبراهيم مصر قال فانصرف عبد الملك بن صالح
وبقيت متعجبا من إقدامه علينا من غير استئذان وقلت عسى أن يجيبه أمير المؤمنين لما سأله
من المال والولاية والرضى عليه قال فلما كان من الغد بكرت إلى باب الرشيد لأنظر ما يكون من
أمرهم قال فدخل جعفر فلم يلبث أن دعي بأبي يوسف القاضي ثم بإبراهيم بن عبد الملك بن صالح
فخرج إبراهيم وقد عقد نكاحه بالغالية بنت الرشيد وعقد له على مصر بالولاية
والرايات تخفق على رأسه وخرج كل من في القصر معه إلى بيت عبد الملك بن صالح قال
ثم بعد ذلك خرج إلينا جعفر وقال أظن أن قلوبكم تعلقت بحديث عبد الملك بن صالح
وأحببتم سماع ذلك قلنا هو كما ظننت قال لما دخلت على أمير المؤمنين ومثلت بين يديه
قال كيف كان يومك يا جعفر بالأمس فقصصت عليه حتى بلغت إلى دخول عبد الملك بن صالح
وكان متكئا فاستوى جالسا وقال لله أبوك ما سألك قلت سألني رضاك يا أمير المؤمنين
قال فبم أجبته قلت قد رضي عنك أمير المؤمنين قال قد رضيت عنه ثم ماذا قلت وذكر

أن

أن عليه عشرة آلاف دينار قال فبم أجبته قلت قد قضاها أمير المؤمنين عنك قال
وقد قضيتها ثم ماذا قلت ورغب أن يشد أمير المؤمنين ظهر ولده إبراهيم بصهارة منه قال
أجبته إلى ذلك ثم ماذا قلت وأحب أن تخفق الألوية على رأسه وبولاية أمير المؤمنين بمصر
قال وقد وليته ثم عجل له جميع ذلك من ساعته قال إبراهيم بن المهدي رحمه الله فوالله ما أدري
أيهما أكرم وأعجب فعلة ما أبداه عبد الملك من المنادمة ولم يكن فعل ذلك قط أم إقدام
جعفر على الرشيد أم إمضاء الرشيد جميع ما حكم به جعفر فهذا يكون مكارم الأخلاق وحكى
أبو العباس عن عمر الرازي رحمه الله قال أقبلت من مكة أريد المدينة فجعلت أسير في حمد
من الأرض فسمعت غناء لم أسمع مثله فقلت والله لأتوصلن إليه فإذا هو عبد أسود فقلت له
أعد علي ما سمعت فقال والله لو كان عندي قرى أقريك ما فعلت ولكني أجعله قراك
فإني والله ربما غنيت هذا الصوت وأنا جائع فأشبع وربما غنيته وأنا كسلان فأنشط
وربما غنيته وأنا عطشان فأروى ثم اندفع يغني يقول

شعر

وكنت إذا ما زرت سعدى بأرضها ... أرى الأرض تطوى لي ويدنو بعيدها
من الخفرات البيض ود جليسها ... إذا ما انقضت أحدوثة لو تعيدها

قال عمر فحفظته عنه ثم تغنيت به على الحالات التي وصفها فإذا هو كما ذكر والله أعلم

الباب السبعون
في ذكر الغناء والأغاني

حكى علي بن الجهم رحمه الله قال لما أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين المتوكل رحمه الله
أهدى إليه عبد الله بن طاهر رحمه الله من خراسان جارية يقال لها محبوبة كانت تشبب
بالطائف فبرعت في الجمال والأدب وأجادت قول الشعر وحذاقة الغناء فشغف بها أمير المؤمنين
المتوكل حتى كانت لا تفارق مجلسه ساعة واحدة ثم إنه حصل منه عليها انحراف لذلك حنقا
فهجرها قال علي بن الجهم فبينما أنا نائم عنده ذات ليلة إذ أيقظني فقال يا علي قلت لبيك
يا أمير المؤمنين قال لقد رأيت الليلة في منامي كأني قد رضيت على محبوبة وصالحتها
فقلت خيرا رأيت يا أمير المؤمنين أقر الله عينك إنما هي جاريتك والرضى والجفا بيدك
فوالله إنا لفي حديثها إذ جاءت وصيفة وقالت يا أمير المؤمنين سمعت صوت عود من حجرة
محبوبة فقال قم بنا يا علي ننظر ما تصنع فنهضنا حتى أتينا حجرتها فإذا هي تضرب بالعود
وتقول

شعر

أدور في القصر لا أرى أحدا ... أشكو إليه ولا يكلمني
كأنني قد أتيت معصية ... وليس لي توبة تخلصني

فهل شفيعا لنا الى ملك • قد زار في الكرا وصالحني
حتى اذا ما الصباح لاح لنا • عاد الى هجره وصارمني

قال فصاح امير المؤمنين فلما سمعته تلعثمت واكببت على رجليه تقبلهم فقال لها ما هذا قالت يا مولاي رايت في منامي هذه الليلة كانك قد رضيت عني فانشدت ما سمعته قال وانا والله قد رايت مثل ذلك ثم قال يا علي هل رايت باعجب من هذا الاتفاق ثم اخذ بيدها ومضى بها الى حجرتها وكان من امرها ما كان • وقيل كان امير المؤمنين الواثق بالله رحمه الله اذا شرب رقد في موضعه الذي شرب فيه ومن كان معه من ندمائه ولم يخرج فشرب يوما وخرج من كان عنده الا مغن واحد اظهر التراقد فتركه وكانت مغنية من حظايا الخليفة نائمة فلما خلا المجلس كتب المغني رقعة ورمى بها اليها واذا فيها

شعر

اني رايتك في المنام ضجيعتي • مستشفيا من ريق فيك البارد
وكان كفك في يدي وكاننا • بتنا جميعا في لحاف واحد
ثم انتبهت ومعصماك كلاهما • في راحتي وتحت خدك ساعدي

فكتبت على ظهرها تقول

شعر

خيرا رايت وكلما املته • ستناله مني برغم الحاسد
وتبيت بين خلاخلي ودمالجي • وتحل بين مراشفي ومجاسدي
ونكون اتم عاشقين تعاطيا • ملح الحديث بلا مخافة راصد

فلما مدت يدها لترمي اليه بالرقعة رفع الواثق راسه فاخذها من يدها وقال ما هذا فحلفا انهما لم يجر بينهما قبل هذا كلام ولا كتاب ولا رسول الا الان المستوخامهما قال فاعتقها من ساعتها وزوجها منه وقال خذها ولا تقربنا بعد اليوم • وكان لاسماء بنت المهدي جارية يقال لها كاعب وكانت ناهدا بكرا بنت ثلثة عشر سنة قال فلاعب عليها ابو نواس رحمه الله فتمنعت فوقع في قلبه منها ما وقع واحبته هي ايضا فجعل ابو نواس هذا جرح الابكار فاتفق انه خرج يوما من القصر وقد رفرف الدجا فوجدها نائمة في سدلة وهي سكرانة لا تفيق فتقرب منها وحل السراويل من وسطها ووقع عليها فاذا هي خالية من البكارة فارتاع وظن ان يكون انا هادم فلم يعد شيا فقام عنها وندم على ما كان منه فانشا يقول

شعر

وناهدة الثديين من خدم القصر • مرقرقة الخدين ليلية الشعر
كلفت بها دهرا على حسن وجهها • طويلا وما حبي لكواعب من امري
فما زلت بالاشعار حتى خدعتها • ورضتها والشعر من خدع السحر

فطالبها

فطالبتها شيئا فقالت بعبره • اموت به ذا ودمعتها تجري
فلما توسطنا وخضنا لجة • غرقت بها يا قوم في لجة البحر
فصحت اغثني يا غلام فجاءني • وقد زلقت رجلي وصرت الى الصدر
ولولا صياحي بالغلام واتيه • تداركني بالحبل صرت الى القعر
فاقسم عمري لا ركبت سفينة • ولا سرت طول الدهر الا على ظهر

ومن ذلك ما حدث الشيباني رحمه الله قال كان عند رجل بالعراق قينة وكان ابو نواس يختلف اليها وكانت تظهر له انها لا تحب غيره وكان كلما دخل اليها وجد عندها شابا يجالسها ويحادثها فقال فيها

شعر

ومظهرة لخلق ودا • وتلقى بالتحية والسلام
اتيت فؤادها اشكو اليه • فلم اخلص اليه من الزحام
فيا من ليس يكفيها خليل • ولا الفي خليل كل عام
اراك بقية من قوم موسى • فهم لا يصبرون على طعام

وقال ابو سويد حدثني ابو زيد الاسدي رحمهما الله قال دخلت على سليمان بن عبد الملك رحمه الله وهو جالس في ايوان مبلط بالرخام الاحمر مفروش بالديباج الاخضر في وسط بستان ملتف قد اثمر واينع وعلى راسه وصايف كل واحدة منهن احسن من صاحبتها وقد غابت الشمس وغنت الاطيار فتجاوبت • وصفقت الرياح على الاشجار فتمايلت • فقلت السلام عليك ايها الامير ورحمة الله وبركاته وكان مطرقا فرفع راسه وقال يا ابا زيد في مثل هذا الحين تصابحنا فقلت اصلح الله الامير اوقامت القيمة بعد قال نعم على اهل المحبة ثم اطرق مليا ورفع راسه وقال يا ابا زيد ما يطيب في يومنا هذا قلت اعز الله الامير قهوة حمرا في زجاجة بيضا تناولها غادة هيفا • مضمومة لا لفها • اشربها من كفها • وامسح فمي بخدها قال فاطرق سليمان مليا لا يرد جوابا • تحدر من عينيه عبرات من غير شهيق • فلما رات الوصايف ذلك تنحين عنه ثم رفع راسه وقال يا ابا زيد حضرت في يوم فيه انقضا اجلك • ومنتهى مدتك وتصرم عمرك • والله لاضربن عنقك او لتخبرني ما اثار هذه الصفة من قلبك قلت نعم اصلح الله الامير كنت جالسا عند باب اخيك سعيد بن عبد الملك فاذا بجارية قد خرجت من باب القصر كانها غزال انفلت من شبكة صياد • عليها قميص سكب اسكندراني • يبين منه بياض بدنها • وتدوير سرتها • ونقش تكتها • وفي رجليها نعلان صراران • قد اشرق بياض قدميها • على حمرة نعليها • بذوابتين تضرب حقويها • لها صدغان كانهما نونان • وحاجبان قد قوسا على محاجر عينيها • وعينان مملوتان سحرا • وانف كانه قصبة بلور وفم كانه جرح يقطر دما • وهي تقول عباد الله من لي بدوا ما لا يشتكى • وعلاج ما لا يسمى •

طال الحجاب • وأبطأ الجواب • والقلب طاير والعقل عازب • والنفس والهة
والفؤاد مختلس • فهل سبيلا • لكان أمرا جميلا • ثم أطرقت طويلا ورفعت رأسها •
فقلت أيتها الجارية • أنسية أنت أم جنية • سماوية أنت أم أرضية • فقد أعجبني ذكا
عقلك • وأذهلني حسن منطقك • فسترت وجهها بكمها كأنها لم ترني ثم قالت أعذر
أيها المتكلم فما أوحش الشفاعة بلا مساعد • والمقاساة لصب معاند • ثم انصرفت
فوالله أصلح الله الأمير ما أكلت طيبا إلا غصصت به لذكرها • وما رأيت حسنا إلا سمج في
عيني لحسنها فقال سليمان أبا زيد كاد الجهل يستفزني والصبا يعاودني والحلم يعزب
عني لشجو ما سمعت • اعلم أبا زيد أن تلك التي رأيتها هي الدلفا التي قيل فيها

إنما الدلفا ياقوتة • أخرجت من كيس دهقان

شراؤها على أخي ألف ألف درهم وهي عاشقة لمن باعها والله إن مات ما يموت إلا بحبها
ولا يدخل القبر إلا بغصتها • وفي الصبر سلوة • وفي توقع الموت نهبة قم أبا زيد في وداع الله
ثم يا غلام تعجل ببدرة فأخذها وانصرف قال فلما أفضت الخلافة إليه صارت الدلفا
إليه فأمر بفسطاط فأخرج على نهر الغوطة • وضرب في روضة خضراء مونقة زهرا ذات
حدايق بهجة تحتها أنواع الزهر من بين أصفر فاقع • وأحمر ساطع • وأبيض ناصع وكان لسليمان
مخنث يقال له سنان به يأنس وإليه يشتكي فأمره أن يضرب فسطاطه بالقرب منه وكانت
الدلفا قد خرجت مع سليمان رحمه الله إلى ذلك المتنزه لم يزل سنان يومه ذلك عند سليمان
في أكمل سرور • وأتم حبور • إلى أن انصرف من الليل إلى فسطاطه • فنزل به جماعة من إخوانه •
فقالوا أبو زيد قرانا أصلحك الله قال وما قراكم قالوا أكل وشرب وسماع قال أما الأكل
والشرب فمباحان لكم • وأما السماع فقد عرفتم شدة غيرة أمير المؤمنين • ونهيه عنه إلا ما كان
في مجلسه قالوا لا حاجة لنا بطعامك وشرابك إن لم تسمعنا قال فاختاروا صوتا واحدا أغنيكموه
قالوا غننا صوت كذا فرفع صوته يتغنى هذه الأبيات يقول

شعر

محجوبة سمعت صوتي فأرقها • من آخر الليل لما نبه السحر
في ليلة البدر ما يدري مضاجعها • أوجهها عنده أبهى أم القمر
لم يحجب الصوت أحراس ولا غلق • فدمعها لطروق الصوت منحدر
لو مكنت لمشت نحوي على قدم • يكاد من لينها للمشي ينفطر

قال فسمعت الدلفا صوت سنان فخرجت إلى صحن الفسطاط تسمع فجعلت لا تسمع شيئا من
حسن خلق ولطافة قد أرادت ذلك كله في نفسها وهيأتها فحرك ذلك ساكنا من قلبها
فهملت عيناها وعلا نحيبها فانتبه سليمان فلم يجدها معه فخرج إلى صحن الفسطاط فرآها

على

على تلك الحال فقال ما هذا يا دلفا فقالت

شعر

ألا رب صوت رائع من مشوه • قبيح المحيا واضع الأب والجد
يروعك منه صوته ولعله • إلى أمة يعزى معا وإلى عبد

فقال سليمان دعيني من هذا فوالله لقد خامر قلبك منه ما خامر يا غلام علي بسنان قال
فدعت الدلفا خادما لها وقالت إن سبقت رسول أمير المؤمنين إلى سليمان فحذره فلك
عشرة آلاف درهم وأنت حر لوجه الله تعالى فخرج الخادم فسبق رسول سليمان فلما أتي به
قال له يا سنان ألم أنهك عن مثل هذا قال يا أمير المؤمنين حملني الثمل وأنا عبد أمير المؤمنين



وغرس نعمته فإن رأى أن يعفو عن عبده فليفعل قال قد عفوت عنك ولكن أما علمت أن
الفرس إذا صهل تودقت له الحجرة وأن الفحل إذا هدر ضبعت له الناقة وأن الرجل إذا
تغنى أصغت له المرأة إياك والعود إلى ما كان منك فيطول غمك وحكي أن الرشيد قصد
يوما فأرسل إليه بعض حظاياه قدح فيه شراب مع وصيفة لها حسنة الوجه وغطته
بمنديل وكتبت على المنديل هذه الأبيات تقول

شعر

تصدت عرقا يبتغي به صحة • ألبسك الله به العافيه
واشرب بهذا الكاس يا سيدي • واقتاره من كف ذي الجاريه
واجعل لمن أنفذه خلوة • تحظى بها في الليلة الآتيه

قال فنظر الرشيد رحمه الله إلى الجارية التي جاءت بالقدح فاستحسنها فافتضها ثم
أرسلها فعلمت مولاتها بذلك فكتبت إليه رقعة وأرسلتها تقول فيها

شعر

بعثت الرسول فأبطا قليلا • على الرغم مني فصبرا جميلا
وكنت الخليل وكان الرسول • فصرت الرسول وصار الخليلا
كذا من يوجه في حاجة • إلى من يحب رسولا جميلا

قال فاستحسن الرشيد ذلك وأرسل إليها أنا عندك الليلة وأهدى داود بن روح المهلبي
إلى المهدي رحمهما الله جارية فحظيت عنده فواعدته المبيت عنده ليلة فمنعها الحيض
فكتب إليها يقول

بيت

لا تهجرن حبيبا خان موعده • وكان منه لصفو العيش تكدير

فأرسلت تجيبه تقول

لا تهجرن حبيبا خان موعده • ولا تذمن وعدا فيه تأخير
ما كان حبسي إلا من حدوث أذى • لا يستطاع له بالقول تعبير

وللمتوكل رحمه الله في قينة

أما رحمها فتغضبُ ثم ترضى • فكل فعالها حسن جميلُ
فان غضبت فاحسن ذي دلال • وان رضيت فليس لها عديل

وقال محمود بن أبي مروان رحمه الله يصف جارية له

بيت

ليست تباع ولو تباع بوزنها • درا بكى أسفا عليها البايع

وحدث عبد الله بن عبد البر رحمه الله قال حدثنا اسحق بن ابراهيم عن الهيثم بن عدي رحمهم الله قال كان بالمدينة رجل من بني هاشم وكان له قينتان تقول لاحدهما ريّا وللأخرى جود وكان بالمدينة رجل مضحك لا يكاد يغيب عن مجالس المستظرفين فأرسل الهاشمي اليه ذات يوم يستخبره فلما أتاه قال له اصلحك الله انك في لذتك ولا لذة لي قال وما لذتك قال تحضر لي نبيذا فانه لا يطيب لي عيش الا به فامر الهاشمي باحضار نبيذ واخوان يطرح فيه سكر العسكر فلما شربه المضحك تحرك عليه بطنه فتنا وم الهاشمي وغمز جواريه عليه فلما ضاق عليه الامر واضطر الى التبرز قال في نفسه ما أظن هاتين المغنيتين الا يمانيتين وأهل اليمن يسمون الكنف المراحيض فقال لهما يا حبيبتي اين المراحيض فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول قالت يقول غنيا لي

بيت

رحضت فؤادي فخليتني • أهيم من الحب في كل واد

فاندفعتا تغنيانه فقال في نفسه ما اظنهما فهمتا عني ما اريد اظنهما مكيتين واهل مكة يسمون الكنف المخارج فقال يا حبيبتي اين المخرج فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول سيدنا قالت يقول غنيا لي

بيت

خرجت بها من بطن مكة بعدما • أقام المنادي بالعشاء فاعتما

فاندفعتا تغنيانه فقال في نفسه لم تفهما عني ما أريد وما أظنهما الا شاميتين واهل الشام يسمون الكنف المذاهب فقال يا حبيبتي اين المذهب فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول حبيبنا قالت يقول غنيا لي

بيت

ذهبت من الهجران في كل مذهب • ولم يك حقا كل هذا التجنب

فغنياه الصوت فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم لم تفهما عني ما أريد وما اظنهما الحجتين الا مدنيتين واهل المدينة يسمون الكنف بيت الخلا فقال يا حبيبتي اين بيت الخلا فقالت احداهما لصاحبتها ما يقول قالت يقول غنيا لي

بيت

خلا عليّ جوى الاحزان اذ ظعنا • من بطن مكة والتسهيد والحزنا

قال فاندفعتا تغنيانه فقال انا لله وانا اليه راجعون ما اظن الفاسقتين الا بصريتين واهل البصرة يسمون الكنف الحشوش فقال يا سيدتاه اين بيت الحش فقالت احداهما

لصاحبتها

لصاحبتها ما تقول قالت يسأل أن تغني

بيت

أوحشوني وعز صبري فيهم • ما احتيالي وما يكون فعالي

قال فغنتاه فقال لهما آراهما الا كوفيتين واهل الكوفة يسمونها الكنيف فقال لهما يا حبيبتي اين الكنيف فقالت احداهما لصاحبتها بعيش سيدنا هل رأيت أكثر اقتراحا من هذا الرجل قالت ما تقول قالت يسأل ان تغني

بيت

تكنفني الهوى طفلا • فشيبني وما اكتهلا

فقال واويلاه واعظم مصيبتاه وهذا والهاشمي يتقطع ضحكا فقال لهما يا زانيتين ان لم تعلماني به أنا اعلمكما ثم رفع ثيابه وسلح عليهما وعلى الفراش فانتبه الهاشمي وقد غشي عليه من شدة الضحك فقال ويلك تسلح على وطاي قال حياة نفسي أعز علي من وطايك وقيل انه قال له ما هذا يا مقال الضحك فانشا يقول

شعر

يكلفني للسلاح السلاح واضجروني • على ما بي بنيات الزواني
فلما قل عن ذاك اصطباري • قذفت به على وجه الغواني

قال وانبسط عليه الهاشمي ودفع له مالا ومضى لسبيله وقال علي بن الجهم رحمه الله قلت لقينة هل تعلمين وراء الحب منزلة تدني اليك فان الحب اقصاني قالت نأتي من باب المذهب وانشدت تقول

بيت

اجعل شفيعك منقوشا تقدمه • فلم يزل مذنبا من ليس بالداني

وكان أشعب رحمه الله يختلف الى قينة بالمدينة فجلس عندها يوما يطارحها الغنا فلما اراد الخروج قال لها ناوليني خاتمك اذكرك به قالت انه ذهب واخاف ان يذهب ولكن خذ هذا العود فلعلك ان تعود وناولته عودا من الارض وكانت بعض القينات من الجمال والحسن بجانب ثم اصابتها علة فتغيرت حالتها وكانت تنشد وتقول

شعر

ولي كبد مقروحة من يبيعني • بها كبدا ليست بذات قروح
ابى علي الناس لا يشترونها • ومن يشتري ذا علة بصحيح

والحكايات عن ذلك كثيرة لو اردت بسطها لاحتجت الى مجلدات ولكن ما قل ودل خير من كثير يمل وفيما ذكرته كفى به والله المسؤل ان يمدني منه باللطف والعناية آمين

الباب الحادي والسبعون في ذكر العشق والافتخار بالعفاف واحاديث من مات بالحب والعشق وفيه فصول

الفصل الأول في وصف العشق قال الجاحظ رحمه الله العشق اسم لما فضل عن المحبة كما ان السرف اسم لما جاوز الجود وقيل اول العشق النظر واول الحريق الشرر وكان العاشق فمن

مضى تشق برقع حبيبته والمرأة تشق برد حبيبها ويقولون انها اذا لم يفعلا ذلك عرض البغض بينهما قال عبد بني الحسحاس رحمه الله

شعر

وكم شققنا من رداء محبر • ومن برقع عن طفلة غير عابس
اذا شق برد شق بالبرد برقع • من الحب حتى كلنا غير لابس

وقيل لاعرابي ما بلغ من حبك لفلانة قال اني لاذكرها وبيني وبينها عقبة الطائف فاجد من ذكرها رائحة المسك وقيل راى شبيب اخو بثينة جميلا عندها فوثب عليه واذاه ثم ان شبيبا اتى مكة وجميل فيها فقيل لجميل دونك وشبيب فخذ بثارك منه فقال

بيت

وقالوا يا جميل اتى اخوها • فقلت اتى الحبيب اخ الحبيب

وانشد الاخفش الحداد رحمه الله

شعر

مطارق الشوق منها في الحشا اثر • يطرق سندال قلب حشوه الفكر
ونار كور الهوى في الجسم موقدة • ومبرد الحب لا يبقي ولا يذر

وقالت ليلى العامرية في قيسها

شعر

لم يكن المجنون في حالة • الا وكنت كما كانا
لكنه باح بسر الهوى • واني قد ذبت كتمانا

وقال احمد بن عثمان الكاتب رحمه الله

بيت

واني ليرضيني المرور ببابها • واقنع منها بالشتيمة والزجر

وقال الفتح بن خاقان صاحب المتوكل رحمهما الله

شعر

ايها العاشق المعذب صابر • فخطايا اخي الهوى مغفورة
زفرة في الهوى احط لذنب • من غزاة وحجة مبرورة

وقال شيبان العدوي رحمه الله

بيت

لو حز بالسيف راسي في محبتها • لطار يسرع نحوها راسي

وقال يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله لو امرني الله تعالى ان اقسم العذاب بين الخلق ما قسمت للعاشقين عذابا والسلام •

الفصل الثاني من هذا الباب فيمن عشق وعف وفي الافتخار بالعفاف

روى عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عشق فعف فمات فهو شهيد وقال صلى الله عليه وسلم عفوا تعف نساكم وقال بعضهم رايت امراة مستقبلة البيت في غاية الضعف والنحافة رافعة يديها تدعو فقلت لها هل من حاجة فقالت حاجتي

بيت

ان ينادي في الموقف بقولي

في

تزوده

تزوده كل الناس زادا يقيهم • وما لي زاد والسلام على نفسي
فاديت كما امرتني واذا بفتى نحيل الجسم قد اقبل فقال انا الزاد فمضيت به اليها فازادت على النظر والبكاء ثم قالت له انصرف بسلام فقلت ما علمت ان لقاكما يقتصر على هذا فقالت امسك يا هذا اما علمت ان ركوب العار ودخول النار شديد وقال ابراهيم بن محمد المهلبي رحمه الله

شعر

كم قد ظفرت بمن اهوى فيمنعني • منه الحياء وخوف الله والحذر
كم قد خلوت بمن اهوى فيقنعني • منه الفكاهة والتانيس والنظر
اهوى الملاح واهوى ان اجالسهم • وليس لي في حرام منهم وطر
كذلك الحب لا اتيان معصية • لا خير في لذة من بعدها سقر

وقال بعض بني كليب رحمه الله

بيت

ان اكن طامح اللحاظ فاني • والذي يملك الفؤاد عفيف

ونحو ذلك قول القائل

شعر

فقالت بحق الله الا اتيتنا • اذا كان لون الليل شبه الطيالس
فجئت وما في القوم يقظان غيرها • وقد نام عنها كل واش وحارس
فبتنا بليل طيب نستلذه • جميعا ولم اقلب لها كف لامس

ونزل رجل على صديق له مستترا خائفا من عدو له فانزله في منزله وتركه فيه وسافر لبعض حوائجه وقال لامراته اوصيك بضيفي هذا خيرا فلما عاد بعد شهر قال لها كيف ضيفنا قالت ما اشغله بالعمى عن كل شيء وكان الضيف اطبق عينيه فلم ينظر الى امراة صاحبه ولا الى منزله الى ان عاد من سفره وكان عمر بن ربيعة رحمه الله عفيفا يصف ويعف ولا يحرم ولا يرد ودخلت بثينة على عبد الملك بن مروان رحمه الله فقال لها يا بثينة ما ارى فيك شيئا مما كان يقوله جميل رحمه الله فقالت يا امير المؤمنين انه كان يرنو الي بعينين ليستا في راسك فقال فكيف رايتيه في عشقه قالت كان كما قال الشاعر •

شعر

لا والذي تسجد الجباه له • ما لي بما تحت ذيلها خبر
ولا بفيها ولا هممت بها • ما كان الا الحديث والنظر

وقد تقدمت هذه الابيات في الجزء الاول فيما جاء في الكناية على سبيل الرمز وعن ابي سهل الساعدي رحمه الله قال دخلت على جميل رحمه الله وبوجهه آثار الموت فقال لي يا ابا سهل ان رجلا يلقى الله ولم يسفك دما ولم يشرب خمرا ولم يات فاحشة اترجو له الجنة قلت اي والله فمن هو فقال اني لارجو ان اكون ذلك فذكرت له بثينة فقال اني لفي اخر يوم من الدنيا

واول يوم من الآخرة أما للنبي شفاعة محمد ان كنت حدثت نفسي بريبة قط والا

قال الشاعر

واحور مخضوب البنان محجب * دعاني فلم اعرف الى ما دعا وجها
خلت بنفسي عن مقام يشينها * ولست مريدا ذاك طوعا ولا كرها

وراود شاب ليلى الاخليلية عن نفسها فاشمأزت وقالت شعر

وذي حاجة قلنا له لا تبح بها * فليس اليها ما حييت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه * وأنت لأخرى صاحب وخليل

وقال آخر

انس حسان ما همت بريبة * كظباء مكة صيدهن حرام
يحسبن من لين الكلام فواسقا * ويصدهن عن الخنا الاسلام

وانشد المبرد رحمه الله

ما ان دعاني الهوى لفاحشة * إلا نهاني الحياء والكرم
فلا الى فاحش مددت يدي * ولا مشت بي لزلة قدم

وقال آخر

يقولون لا تنظر فتلك بلية * بلى كل ذي عينين لا بد ناظر
وهل في اكتحال العين بالعين ريبة * اذا عف فيما بينهن السرائر

وكان بعض الخلفاء رحمه الله قد نذر على نفسه ان لا ينشد شعرا ومتى انشد بيتا من شعر فعليه عتق رقبة فبينما هو في الطواف يوما اذا نظر الى شاب يتحدث مع شابة جميلة الوجه فقال له يا هذا في مثل هذا المكان فقال والله ما ذاك الخنا وانما هي ابنة عمي واعز الناس علي وان اباها منعني من تزويجها لفقري وفاقتي وطلب مني مائة ناقة ومائة أوقية من الذهب ولم اقدر على ذلك قال فطلب الخليفة اباها ودفع اليه ما اشترط على ابن اخيه ولم يقم من مقامه حتى عقد له عليها ثم دخل الخليفة الى بيته وهو يترنم ببيت من الشعر فقالت له جارية من حظاياه اراك اليوم يا مولاي تنشد الشعر أنسيت ما نذرت أم تراك قد هويت فأنشأ يقول

شعر

تقول وليدتي لما رأتني * طربت وكنت قد اسليت حينا
أراك اليوم قد احدثت عهدا * وجدتك الهوى فاذ عسينا
بحقك هل سمعت لها حديثا * فشاقك أو هل رأيت لها خدينا
فقلت شكى الي أخ محب * كمثل زماننا اذ تعلمينا

وذي

وذي الشجو القديم وان تحرى * محب حين يلقى العاشقينا

ثم عد الابيات فاذا هي خمس ابيات فاعتق خمس رقاب ثم قال لله در لك من خمسة عتقت خمسة وجمعت بين راسين في الحلال وروي عن عثمان الضحاك رحمه الله قال خرجت ازيد الحج فنزلت بخيمة بالابواء فاذا انا بجارية جالسة على باب خيمة فاعجبني حسنها فتمثلت بقول نصيب رحمه الله

بيت

بزينب المم قبل ان يرحل الركب * وقل ان تملينا فما ملك الركب

فقالت يا هذا تعرف قائل هذا الشعر قلت بلى هو نصيب قالت فتعرف زينبه قلت لا قالت انا زينب قلت حياك الله وحياك قالت اما والله ان اليوم موعد وعدني العام الاول بالاجتماع في هذا اليوم فلعلك لا تبرح حتى تراه قال فبينما هي تكلمني اذا انا براكب قالت ترى ذلك الراكب قلت نعم قالت لاحسبه اياه فاقبل فاذا هو نصيب فنزل قريبا من الخيمة ثم اقبل فسلم ثم جلس قريبا منها فسألته ان ينشدها فانشدها فقلت في نفسي محبان طال التنائي بينهما لا بد ان يكون لاحدهما الى صاحبه حاجة فقمت الى بعيري لاشد عليه فقال على رسلك فقلت اني معك فجلست حتى نهض معي فسرنا وتسامرنا فقال لي اقلت في نفسك محبان التقيا بعد تنائي فلا بد ان يكون لاحدهما الى صاحبه حاجة قلت نعم قد كان ذلك قال ورب هذا البيت ما جلست منها مجلسا هو اقرب من مجلسي هذا فتعجبت لذلك وقلت والله هذه هي العفة في المحبة وعن محمد بن يحيى المدني رحمه الله قال سمعت بعض المدنيين يقول كان الرجل يحب الفتاة فيطوف حول دارها حولا ويفرح ان رأى من رآها فان ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الاشعار واليوم هذا يشير اليها وتشير اليه ويعدها وتعده فان التقيا لم يتشاكيا حبا ولم يتناشدا شعرا بل يقوم اليها ويجلس بين شعبتيها كانه اشهد على نكاحها ابا هريرة وقال الاصمعي رحمه الله قلت لاعرابية ما تعدون العشق فيكم قالت الضمة والغمزة والقبلة ثم قالت ما الحب الا قبلة وغمز كف وعضد ما الحب الا هكذا ان نكح الحب فسد ثم قالت كيف انتم تعدون العشق فيكم قلت يمسك بقرنيها ويفرق بين رجليها قالت لست بعاشق انت طالب لذة ثم انشأت تقول

شعر

قد فسد العشق وهان الهوى * وصار من يعشق مستعجلا
يريد ان ينكح احبابه * من قبل ان يسهر او ينحلا

وقيل لرجل وقد زفت عشيقته على ابن عم لها أيسرك ان تظفر بها الليلة قال نعم والذي امتعني بحبها واشقاني بطلبها قيل فما كنت صانعا بها قال كنت اطيع الحب في لثمها واعصي الشيطان في اثمها ولا افسد عشق عشرين سنة فيما يبقى ذمه مما اره وتنشر قبيح اخباره

اني اذا اللئيم لم نجد افضل كريم ومن ذلك سير نا عمر رضي الله عنه ليلة في سكك المدينة فسمع امرأة تغني وتقول

شعر

قد طال هذا الليل وازور جانبه • وليس الى جنبي خليل الاعبه

فوالله لولا الله لا رب غيره • لحركت من هذا السرير جوانبه

مخافة ربي والحيا يصدني • واكرم بعلي ان تنال مراتبه

قال فسال عمر رضي الله عنه عنها فقيل له انها امرأة فلان وان بعلها له غائبة اشهر يسافر في الغزاة فامر ان لا يغيب الرجل عن امرأته اكثر من اربعة اشهر ومن ذلك ما ذكره بن الجوزي رحمه الله عن كتاب تلقيح فهوم الاثر عن محمد بن عثمان بن ابي جهمة السلمي رحمه الله عن ابيه عن جده قال بينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطوف ذات ليلة في سكك المدينة اذ سمع امرأة تقول

شعر

هل من سبيل الى خمر فاشربها • ام من سبيل الى نصر بن حجاج

الى فتى ماجد الاعراق مقتبل • سهل المحيا كريم غير ملجاج

نميه اعراق صدق حين تنسبه • اخا وفاء عن المكروه فراج

فقال عمر رضي الله عنه لا ارى معي بالمدينة رجل تهتف به العواتق في خدورهن علي بنصر بن حجاج فلما اصبح اتي به فاذا هو احسن الناس وجها واحسنهم شعرا فقال عمر عزمة من امير المؤمنين لتاخذن من شعرك فاخذ من شعره فخرج وله وجنتان كانهما شقتا قمر فقال اعتم فاعتم فافتتن الناس بعينيه فقال عمر رضي الله عنه والله لا تساكنني في بلدة انا فيها قال يا امير المؤمنين ما ذنبي قال هو ما اقوله لك ثم سيره الى البصرة وخشيت المرأة التي سمع عمر منها ما سمع ان يبدو من عمر رضي الله عنه اليها شي فقدمت المرأة اليه ابياتا تقول

شعر

قل للامام الذي تخشى بوادره • ما لي وللخمر او نصر بن حجاج

لا تجعل الظن حقا ان تبينه • ان السبيل سبيل الخائف الراجي

ان الهوى ذمه التقوى فحبسته • حتى اتوا بالجام والافراج

قال فبكى عمر رضي الله عنه وقال الحمد لله الذي زم الهوى بالتقوى قال وطال مكث نصر بن حجاج بالبصرة فخرجت امه يوما بين الاذان والاقامة متعرضة لعمر رضي الله عنه فاذا هو قد خرج في ازار ورداء وبيده الدرة فقالت يا امير المؤمنين والله لاقفن انا وانت بين يدي الله تعالى وليحاسبنك الله تعالى ليبيتن عبد الله وعاصم الى جنبك وبيني وبين ابني الفيافي والاودية فقال لها ان ابناي لم يهتف بهما العواتق في خدورهن ثم ارسل عمر رضي الله عنه الى البصرة بريدا الى عتبة بن غزوان فاقام ابا ما ثم نادى عتبة رحمه الله

من

من اراد ان يكتب الى امير المؤمنين شيئا فليكتب فان البريد خارج فكتب اليه نصر بن حجاج بسم الله الرحمن الرحيم سلام عليك اما بعد يا امير المؤمنين

شعر

لعمري لئن سيرتني او حرمتني • وما نلت من عرضي عليك حرام

فاصبحت منفيا على غير ريبة • وقد كان لي بالمكتين مقام

ان غنت الدلفا يوما بمنية • وبعض امان في النساء غرام

ظننت بي الظن الذي ليس بعده • بقاء وما لي جرمة فالام

سيمنعني مما تقول تكرمي • واباء صدق سالفون كرام

ويمنعها مما تقول صلاتها • وحال لها في قومها وصيام

فهاتان حالانا فهل انت راجعي • فقد جبت مني كاهل وسنام

قال فلما قرا عمر رضي الله عنه الكتاب اما ولي سلطان فلا فاقطعه دارا بالبصرة ودارا في سوقها فلما مات عمر رضي الله عنه ركب راحلته وتوجه نحو المدينة والله اعلم

الفصل الثالث من هذا الباب

في ذكر من مات بالحب والعشق

حدث ابو القاسم بن اسمعيل بن عبد الله المامون قال حدثني ابي رحمهم الله قال كان بالمدينة قينة من احسن الناس وجها واكملهم عقلا واكثرهم ادبا قد قرات القران وروت الاشعار وتعلمت العربية فوقعت عند يزيد بن عبد الملك رحمه الله فاخذت مجامع قلبه فقال لها ذات يوم ويحك اما لك قرابة ام احد تحبين ان اصطنع واسدي اليه معروفا قالت يا امير المؤمنين اما قرابة فلا ولكن بالمدينة ثلثة نفر كانوا اصدقا لمولاي واحب ان ينالهم من خير ما صرت اليه فكتب الى عامله بالمدينة باحضارهم اليه وان يدفع الى كل واحد منهم عشرة الاف درهم فلما وصلوا الى باب يزيد استوذن لهم عليه فاذن لهم واكرمهم غاية الاكرام وسالهم عن حوائجهم فاما الاثنان فذكرا حوائجهما فقضاها واما الثالث فساله عن حاجته فقال يا امير المؤمنين ما لي حاجة قال ولم الست اقدر على حوائجك قال بلى يا امير المؤمنين ولكن حاجتي ما اظنك تقضيها قال ويحك فسلني فانك لا تسالني حاجة اقدر عليها الا قضيتها قال ولي الامان يا امير المؤمنين قال نعم قال ان رايت يا امير المؤمنين ان تامر جاريتك التي اكرمتنا بسببها ان تغني ثلثة اصوات اشرب عليها ثلثة ارطال قال فتغير وجه يزيد وقام من مجلسه وامر بثلثة كراسي فنصبت فقعد يزيد على احدها والجارية على الاخر والرجل على الثالث ثم ادعى بصنوف الرياحين والطيب ووضعت ثم امر بثلثة ارطال فملئت ثم قال للفتى سل حاجتك فقال يا امير المؤمنين تامرها تغني لا استطيع سلوا عن مودتها • او يصنع الحب فوق الذي صنعا

من ذهب

جملك

فأمرها فغنت وشرب الفتى وشربت الجارية ثم أمر بالأرطال فمليت وقال للفتى سل حاجتك فقال يا أمير المؤمنين تغنى

شعر

منى الوصال ومنكم الهجر ۰ حتى يفرق بيننا الدهر
والله لا أسلوكم أبدا ۰ ما لاح بدر أو بدا فجر

فأمرها فغنت وشرب يزيد وشرب الفتى وشربت الجارية ثم أمر بالأرطال فمليت ثم قال للفتى سل حاجتك فقال يا أمير المؤمنين تأمرها تغنى

شعر

تخيرت من نعمان عود أراكة ۰ لهند ولكن من يبلغه هندا
الا عرجا بي بارك الله فيكما ۰ وان لم تكن هند لأرضكما قصدا

قال فأمرها فغنت فلم تتم الأبيات حتى خر الفتى مغشيا عليه قال يزيد للجارية قومي انظري اليه ما حاله فقامت اليه فحركته فاذا هو ميت فقال لها يزيد ابكيه فقالت يا أمير المؤمنين لا أبكيه وأنت حي قال ابكيه فوالله لو عاش ما انصرف الا بك فبكت الجارية وبكى أمير المؤمنين وأمر بالفتى فجهز ودفن وأما الجارية فلم تمكث بعده الا أياما قلائل وماتت رحمهما الله وقيل ان عبد الله العجلاني الهندي انحدر رأى أثر كف عشيقته في ثوب زوجها فمات رحمه الله وذكر محمد بن واسع العبقي ان عبد الله بن مروان رحمهما الله بعث كتابا الى الحجاج بن يوسف رحمه الله يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الملك بن مروان الى الحجاج بن يوسف اما بعد اذا ورد عليك كتابي هذا وقرأته فسير لي ثلث جوار مولدات ابكار يكون اليهن المنتهى في الجمال واكتب لي بصفة كل واحدة منهن ومبلغ ثمنها من المال فلما ورد الكتاب على الحجاج دعى بالنخاسين ثم أمرهم بما أمره به أمير المؤمنين وأمرهم ان يسيروا الى أقصى البلاد حتى يقفوا بالغرض ثم أعطاهم المال وكتب لهم الكتب الى كل الجهات فساروا يطلبون ما أراد أمير المؤمنين فلم يزالوا من بلد الى بلد ومن اقليم الى اقليم حتى وقفوا بالغرض ورجعوا الى الحجاج بثلث جوار مولدات ابكار ليس لهن مثل قال وكان الحجاج فصيحا فجعل ينظر الى كل واحدة منهن فوجدهن لا نظير لهن بقيمة وان ثمن كل واحدة منهن ثم كتب كتابا الى عبد الملك بن مروان يقول فيه بعد الثنا الجميل وصلني كتاب أمير المؤمنين أمتعني الله ببقائه يذكر فيه ان اشتري ثلث جوار مولدات ابكار وان نكتب له بصفة كل واحدة منهن وثمنها فأما الجارية الأولى أطال الله بقا أمير المؤمنين فانها غيطا السوالف عظيمة الروادف كحلاوة الجنين حلوة الوجنتين قد انهدت نهداها والتفت فخذاها كأنها ذهب شيب بفضة كما قيل

بيت

بيضا فيها اذا استقبلتها دعج ۰ كأنها فضة قد شابها ذهب

وثمنها

وثمنها يا أمير المؤمنين ثلثون الف درهم وأما الجارية الثانية فانها فائقة الجمال معتدلة القد والكمال تشفي السقيم كلامها الرخيم وثمنها يا أمير المؤمنين ثلثون الف درهم وأما الجارية الثالثة فانها فاترة الطرف لطيفة الكف عظيمة الردف شاكرة للقليل مساعدة للخليل بديعة الجمال كأنها حسنا الغزال وثمنها يا أمير المؤمنين ثمانون الف درهم ثم أطنب في الشكر والثنا على أمير المؤمنين وطوى الكتاب وختمه ثم دعى بالنخاسين وقال لهم تجهزوا للسفر بهذا الجوار لأمير المؤمنين فقال أحد النخاسين أيد الله الأمير اني رجل كبير ضعيف عن السفر ولي ولد ينوب عني أفتاذن لي في ذلك قال نعم فتجهزوا وخرجوا ففي بعض مسيرهم نزلوا ليستريحوا في بعض الأماكن فلما نمن الجواري هبت ريح فانكشفت بعضهن وهي الكوفية فبان نور ساطع وكان اسمها مكتوم فنظر اليها ابن النخاس وكان شابا جميلا فافتتن بها لساعته فأتاها على غفلة من أصحابه وجعل يقول

شعر

أمكتوم عيني ما تمل من البكا ۰ وقلبي بأسهام الأسى يترشق
أمكتوم كم من عاشق قتل الهوى ۰ وقلبي رهين كيف لا أتشوق

فأجابته تقول

لو كان حقا ما تقول لزرتنا ۰ ليلا اذا هجعت عيون الحسد

فلما جن الليل انتضى الفتى ابن النخاس سيفه وأتى نحو الجارية فوجدها نائمة تنتظر قدومه فأخذها واراد ان يهرب ففطن به أصحابه فأخذوه وكتفوه وأوثقوه بالحديد ولم يزل مأسورا معهم الى ان قدموا به على عبد الملك بن مروان فلما مثلوا الجواري بين يديه وأخذ الكتاب ففتحه وقرأه فوجد الصفة وافقت اثنين من الجواري ولم توافق الثالثة ورأى بوجهها صفرة وهي الجارية الكوفية فقال للنخاسين ما بال هذه الجارية لم توافق حليتها ما ذكره الحجاج في كتابه وما هذا الاصفرار الذي بها وهذا الانتحال فقالوا يا أمير المؤمنين نقول لك ولنا الأمان قال ان صدقتم أمنتم وان كذبتم هلكتم فخرج أحد النخاسين وأتى بالفتى وهو مصفد بالحديد فلما قدموه بين يدي أمير المؤمنين بكى بكا شديدا وأيقن بالعذاب ثم أنشأ يقول

شعر

أليك أمير المؤمنين أتيت رغما ۰ وقد شدت الى عنقي يديا
مقر بالقبيح وفعل سوء ۰ ولست بما رميت به بريا
فان تقتل ففوق القتل ذنبي ۰ وان تعفو فمن جود عليا

فقال عبد الملك يا فتى ما حملك على ما صنعت استخفافا بنا أم هوى للجارية فقال وحق رأسك يا أمير المؤمنين وعظيم قدرك ما هو الا هوى الجارية فقال هي لك

عما أعد لها فأخذها الغلام وكل ما أعد لها من الحلي والخفيان وسار بها فرحا مسرورا
الى نحو أهله حتى اذا كانا ببعض الطريق نزلا بمرحلة ليلا فتحادثا ونا‌ما فلما أصبح الصباح
وأراد الناس المسير أنبهوهما فوجدوهما ميتين فبكوا عليهما وتعجبوا من حالهما
ومن ذلك ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم أخرج خالد بن الوليد المخزومي رضي الله عنه
الى مشركي خزاعة قال خالد رضي الله عنه فأخرجني رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم في ثلثة
آلاف فارس من أهل النجدة والباس قال فجددنا المسير اليهم فسبق اليهم الخبر فخرجوا
الينا فقاتلناهم قتالا شديدا حتى تعالى النهار وطار الشرار وماجت الفرسان
وتلاحمت الأقران فلولا أن الله تعالى أيدنا بنصره لكادت الدائرة أن تكون علينا ولكن
تداركنا الله برحمة منه فهزمناهم وقتلناهم قتلا ذريعا ولم ندع منهم فارسا الا قتلناه
ثم طلبنا البيوت فنهبنا وسبينا فلما انقضى القتال والنهب أمرت أصحابي بجمع
السبايا لنقدم بهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما حزناهم وأحصيناهم خرج منهم
غلاما لم يراهق الحلم ولم يجري عليه القلم وهو ماسك بشابة جميلة فقلت له يا غلام
انعزل عن النساء فصاح صيحة منزعجة وهجم علينا فوالله لقد قتل منا في بقية نهاره
مائة رجل قال خالد فرأيت أصحابي قد كرهوا قتاله وتأخروا عنه فقلت منهم جوادا
وعلا على ظهره ونادى البراز يا خالد فبرزت اليه بنفسي بعد أن اشتدت شعرا
فوالله لم يمهلني أن أستشعر حتى حمل علي فتطاعنا حتى تكسرت القنا وتضاربنا بالسيوف
حتى تفللت فوالله لقد اقتحمت الأهوال ومارست الأبطال فما رأيت أشد من حملاته
ولا أسرع من هجماته فبينا نحن نعترك اذ كبا به فرسه فصار بين يدي فوثبت اليه
وعلوت على صدره وقلت له افد نفسك بقول أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله
وأنا أردك من حيث جئت فقال يا خالد أما أنصفتني اتركني حتى أجد من نفسي القوة قال
خالد فتركته وقلت لعله يسلم ثم شددته وثاقا وصفدته بالحديد وأنا أبكي أسفا
على حسن شبابه ثم أوثقته على بعير لي فلما علم أن لا خلاص له قال يا خالد سألتك بحق الهك
الا ما رددت ابنة عمي على ناقة أخرى الى جانبي قال خالد فأخذتها وشددتها على ناقة
أخرى الى جانبه ووكلت بهم جماعة من أشداء القوم بالقواضب والرماح وسرنا فلما
استقدمت مطايانا جعل الغلام والجارية ينشدان الشعر ويبكيان الى آخر الليل
فسمعته يذكر قصيدة ينسب فيها الاسلام ويذكر أنه لا يسلم أبدا فأخذت السيف وضربته و
رميت رأسه فصاحت الجارية وأكبت صارخة فحركتها فوجدتها ميتة فأنزلناهما
وحفرنا ودفناهما فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبلنا لنحدثه فتعجب مما
جرى لنا مع الغلام فقال لا تحدثوني شيئا وأنا أحدثكم به فقلنا من أعلمك بذلك يا رسول الله

قال

قال أخبرني به جبريل عليه السلام وتعجب عليه السلام لموافقتهما واقترانهما أجلهما ومن
ذلك ما حكاه الثوري رحمه الله قال حدثني جبلة بن الأسود رضي الله عنه وما رأيت شيخا أصبح
ولا أوضح منه قال خرجت في طلب ابل ضلت فما زلت في طلبها الى أن أظلم الليل وخفيت الطريق
وصرت أطلب الجادة فلا أجدها فبينا أنا كذلك اذ سمعت صوتا وحسا من بعيد وبكا
وتنهيد فشجاني حتى كدت أن أقع عن فرسي فقلت لأطلبن الصوت وان تلفت نفسي فما
زلت أقرب الى أن هبطت واديا فاذا راع قد ضم غنما له تحت شجرة وهو يترنم بأبيات قال
فدنوت منه وسلمت عليه فرد علي السلام وقال من الرجل فقلت منقطع به المسالك أتى اليك
يستجيرك ويستعينك قال مرحبا يا غلام انزل على الرحب والسعة فعندي وطأ وطي
وطعام غير بطي فنزلت فنزع شملته وبسطها تحتي ثم أتاني بتمر وزبد ولبن وخبز ثم قال اعذرني
في هذا الوقت فقلت والله ان هذا الخير كثير ومال الى فرسي فربطه وسقاه وعلق عليه فلما
أكلت توضأت وصليت واتكيت واني لبين النائم واليقظان اذ سمعت حس شيء واذا بجارية
قد أقبلت من كبد الوادي فحيت الشمس حسنا فوثب اليها قائما فما زال يقبل الأرض حتى وصل
اليها وجعلا يتحادثان فقلت هذا رجل عذري ولعلها حرمة له فتناومت ومالي نوم فما زالا
في أحسن حديث والدمع شكوى وزفرات الى أن همهما أحدهما لصاحبه بتنهيد فلما طلع الفجر
عانقها وتنهد الصعدا وبكى وبكت ثم قال لها يا ابنة العم أما علمت اني أنتظر الواشين
والرقبا حتى يناموا ثم ودعته وسارت وكل واحد منهما يلتفت نحو صاحبه ويبكي فبكيت رحمة
لهما وقلت في نفسي والله لا انصرف حتى أستقصيه الليلة وأنظر ما يكون من أمرهما فلما
أصبحنا قلت جعلني الله فداك ان الأعمال بخواتيمها وقد نالني من أمري تعب شديد وأحب
الراحة عندك اليوم فقال على الرحب والسعة لو أقمت عندي بقية عمرك ما وجدتني الا
كما تحب فعمد الى شاة فذبحها وقام الى نار فأججها وشواها وقدمها الي فأكلت وأكل معي
الا أنه أكل من لا يريد الأكل فلم أزل معه نهاري ذلك ولم أر أشفق منه على غنمه ولا ألين جانبا
ولا أحلى كلاما الا أنه كالولهان ولم أعلمه بشيء مما رأيت فلما أقبل الليل وطا وطاي فصليت
وأعلمته أني أريد الهجوع لما مر علي من التعب بالأمس فقال نم هنيئا فأظهرت النوم ولم أنم
فقام ينتظرها الى هنيهة من الليل فأبطأت عليه فلما حان وقت مجيئها قلق قلقا شديدا
وزاد عليه الأمر فبكى ثم جاء فحركني فأوهمته أني كنت نائما فقال يا أخي هل رأيت الجارية التي
كانت تحدثني وجاءتني البارحة قلت رأيتها قال تلك ابنة عمي وأعز الناس علي واني لها محب
وفيها عاشق وهي أيضا محبة لي أكثر من حبي لها وقد منعني أبوها من تزويجها لفقري وفاقتي
وتكبر علي فصرت راع بسببها فكانت تزورني في كل ليلة وقد حان وقتها التي تأتي فيه فاشتغل
قلبي عليها وحدثتني نفسي أن يكون الأسد افترسها ثم أنشأ يقول

[illegible]

شعر

ما بال مية لا تأتي لعادتها • أعاقها طرب أم صدها شغل
نفسي فداؤك قد أحللت بي سقما • تكاد من حره الأعضاء تنفصل

قال ثم انطلق وغاب عني ساعة ثم أتى بشيء وطرحه بين يدي وإذا بالجارية قد قتلها الأسد وأكل أعضاءها وشوه خلقها ثم أخذ السيف وانطلق فأبطأ هنيهة وأتى ومعه رأس الأسد فطرحها ناحية ثم أنشأ يقول

شعر

ألا أيها الليث المدل بنفسه • هلكت لقد جرت يداك الشرا
أخلفتني فردا وقد كنت آنسا • وقد عادت الأيام من بعدها قفرا

قال ثم قال بالله يا أخي إلا قبلت ما أقول لك فأنا أعلم أن المنية قد حضرت لا محالة فإذا أنا قد مت فخذ عباتي هذه فكفني فيها وضم هذا الجسد الذي لها معي وادفنا في قبر واحد وخذ شويهاتي هؤلاء واجعل بشيرا إليهم فسوف تأتيك امرأة عجوز فهي والدتي فأعطها عصاتي هذه وثيابي وشويهاتي وقل لها مات ولدك كمدا بالحب فإنها تموت عند ذلك فادفنها إلى جانب قبرنا وعلى الدنيا منا السلام قال فوالله ما كان إلا قليلا حتى صاح صيحة ووضع يده على صدره فمات من ساعته ففعلت والله ما صنع به ما أوصاني به فغسلته وكفنته في عباته وصليت عليه ودفنته ودفنت إليه بأتي جسدها إلى جانبه وبت بليلة عظيمة باكيا حزينا فلما كان الصباح أقبلت امرأة عجوز وهي كالولهانة فقالت لي هل رأيت شابا يرعى غنما فقلت نعم وجعلت أتلطف بها ثم حدثتها بحديثه وما كان من خبره فأقبلت على البكاء وأنا ألاطفها إلى أن أقبل الليل فشهقت شهقة فارقت الدنيا فغسلتها وصليت عليها ودفنتها إلى جانب قبر ولدها وبت الليلة الرابعة فلما كان الفجر قمت فشددت فرسي وسقت الغنم وجمعتها وإذا بهاتف يقول

شعر

كنا على ظهرها والدهر يجمعنا • والشمل مجتمع والدار والوطن
ففرق الدهر بالتفريق ألفتنا • وصار يجمعنا في بطنها الكفن

قال فسقت الغنم وأتيت إلى الحي لبني عمهم فأعطيتهم الغنم وذكرت لهم القصة فبكوا عليهم أهل الحي بكاء شديدا ثم مضيت إلى أهلي وأنا متعجب مما مر لي في طريقي ومن ذلك ما حكي أن زوج عزة أراد الحج بها فسمع كثير الخبر فقال والله لأحجن لكي أفوز من عزة بنظرة قال فبينما الناس في الطواف إذ بصر كثير عزة قد مضت إلى جمله فحيته ومسحت بين عينيه وقالت له حييت يا جمل فبادر ليلحقها ففاتته فوقف على الجمل وقال

شعر

حينئذ

حينئذ عزة بعد الحج وانصرفت • فحي ويحك من حياك يا جمل
لو كنت حييتها ما زلت ذا شرف • عندي ولا مسك الإدلاج والعمل

قال فسمعه الفرزدق رحمه الله فقال له من تكون يرحمك الله قال أنا كثير عزة فمن أنت يرحمك الله قال أنا الفرزدق بن غالب التميمي قال أنت القائل لهذه الأبيات

شعر

وجدت جما لم يكل أسيلة • تركت فؤادي هائما مخبولا
لو كنت أملكهم إذا لم يرحلوا • حتى أودع قلبي المتبولا
ساروا بقلبي في الحدوج وغادروا • جسمي يعالج زفرة وعويلا

فقال الفرزدق نعم فقال كثير والله لولا أني بالبيت الحرام لأصيحن صيحة أفزع هشام بن عبد الملك على سريره فقال الفرزدق والله لأعرفن بذلك هشاما ثم تواعدوا وافترقا فلما وصل الفرزدق إلى دمشق دخل على هشام رحمه الله فعرفه بما اتفق له مع كثير فقال له أكتب إليه بالحضور إلى عندنا لنطلق عزة من زوجها ونزوجه إياها فكتب إليه بذلك فخرج كثير يريد دمشق فلما خرج من حيه وسار قليلا رأى غرابا على بانة يفلي نفسه وريشه يتساقط فاصفر لونه وارتاع وجد في السير ثم إنه مال ليستقي راحلته في حي بني نهد وهم زجرة الطير فبصر به شيخ من الجماعة فقال له يا ابن أخي أرأيت في طريقك شيئا فراعك قال نعم رأيت غرابا على بانة ينتف ريشه فقال له الشيخ الغراب اغتراب والبانة بين والتفلي فرقة فازداد حزنا على حزنه وجد في السير إلى أن وصل دمشق فدخل من أحد أبوابها فوجد الناس يصلون على جنازة فنزل وصلى معهم فلما انقضت الصلاة صاح صائح لا إله إلا الله ما أغفلك يا كثير عن هذا اليوم فقال ما هذا اليوم يا سيدي إن عزة قد ماتت وهذه جنازتها فخر مغشيا عليه فلما أفاق أنشأ يقول

شعر

ما أعرف النهدي لا در دره • وأزجره للطير لا عز ناصره
رأيت غرابا واقعا فوق بانة • ينتف أعلا ريشه وتطايره
فقال غراب اغتراب من النوى • وبانة بين من حبيب تعاشره

ثم شهق شهقة فمات من ساعته ودفن مع عزة في يوم واحد وحكي عن الأصمعي رحمه الله أنه قال بينما أنا أسير بالبادية إذ مررت بحجر مكتوب عليه هذا البيت

أيا معشر العشاق بالله خبروا • إذا حل عشق بالفتى كيف يصنع

فكتبت تحته أقول

يداوي هواه ثم يكتم سره • ويخشع في كل الأمور ويخضع

ثم عدت في اليوم الثاني فوجدت مكتوبا تحته هذا البيت

فكيف يداوي والهوى قاتل الفتى … وفي كل يوم روحه تتقطع

فكتبت تحته أيضا أقول

إذا لم يجد صبرا لكتمان سره … فليس له شيء سوى الموت أنفع

ثم عدت في اليوم الثالث فوجدت شابا ملقى تحت ذلك الحجر ميتا رحمه الله والحكايات بنحو ذلك كثيرة وقد اقتصرت منها على هذه النبذة اليسيرة والله أعلم

يا عليه سمعنا متنا فهكذا
لازم علي من بالوصال متمتع
وجبت صح

الباب الثاني والسبعون
في دقائق الشعر والزجل والموالي والدوبيت والموشحات والكان وكان والحماق والقومة والألغاز ومدح الأسماء والصفات
وفيه فصول

الفصل الأول في الشعر قد قسم الناس الشعر خمسة أقسام **مرقص** كقول أبي جعفر طلحة وزير سلطان الأندلس رحمه الله **بيت**

والشمس لا تشرب خمر الندى … في الروض إلا بكؤوس الشقيق

ومطرب كقول زهير في المقدمين رحمهم الله **بيت**

تراه إذا ما جئته متهللا … كأنك تعطيه الذي أنت سائله

ومقبول كقول طرفة بن العبد رحمه الله **بيت**

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا … ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ومسموع مما يقام به الوزن دون أن يمجه الطبع كقول ابن المعتز رحمه الله

بيت

سقى الجزيرة ذات الظل والشجر … ودير عبدون هطال من المطر

ومتروك وهو ما كان كلا على السمع والطبع كقول الشاعر **بيت**

تقلقلت بالهم الذي قلقل الحشا … قلاقل هم كلهن قلاقل

وقد قسم الناس فنون الشعر في عشرة أبواب حسبما بوب أبو تمام في الحماسة **وقال** عبد العزيز بن أبي الأصبع الذي وقع لي أن فنون الشعر ثمانية عشر فنا وهي غزل ووصف وفخر ومدح وهجاء وعتاب واعتذار وأدب وزهد وإخوانيات ومراث وبشارة وتهاني ووعيد وتحذير وتحريض وملح وباب مفرد للسؤال والجواب ولنذكر إن شاء الله تعالى من ذلك ما تيسر على سبيل الاختصار ولنبدأ من ذلك بالغزل المذكور فنقول

قال

قال ابن نباتة رحمه الله **شعر**

أغصان بان ما أرى أم شمائل … وأقمار تم ما تضم الغلائل
وبيض رقاق أم جفون فواتر … وسمر رقاق أم قدود دوابل
وتلك نبال أم لحاظ رواشق … لها هدف منا الحشا والمقاتل
بروحي أفدي شادنا قد الفته … غدوت وبي شغل من الوجد شاغل
أمير جمال والملاح جنوده … يجور علينا قده وهو مائل
له حاجب عن مقلتي حجب الكرى … وناظره الفتان في القلب عامل
رفعت إليه قصة الدمع شاكيا … فوقع يجري فهو في الخد سائل
شكوت فما ألوى وقلت فما أصغى … وجد بقلبي حبه وهو هازل
طويل التداني صده متواتر … مديد التجني وافر الحسن كامل
أطارحه بالنحو يوما تعللا … فيبدو والإعراب فيه دلائل
ويرفع وصلي وهو مرفوع في الهوى … وينصب هجري عامدا وهو فاعل
تفقهت في عشقي له مثل ما غدا … خبيرا بأحكام الخلاف يجادل
فيا مالكي ما ضر لو كنت شافعي … بوصلك فافعل بي ما أنت فاعل
فإني حنبلي الهوى متحنبل … بعشقك لا أصغي وإن قال قائل

وقال جمال الدين بن النبيه رحمه الله **شعر**

الله أكبر كل الحسن في العرب … كم تحت لمة ذا التركي من عجب
صبح الجبين بليل الشعر منعقد … والخد يجمع بين الماء واللهب
تنفست عن عبير الراح ريقته … وافتر مبسمه الشهدي عن حبب
لا في العذيب ولا في بارق غزلي … بل في جنى فمه أو ريقه الشنب
كأنه حين يرمي عن حنيته … بدر رمى عن هلال الأفق بالشهب
يا جاذب القوس تقريبا لوجنته … والحاجب الصب منها غير مقترب
[illegible] من نبلها لا يام مخبرها … في وبلها سهم من الخشب
من لي بأغيد قاسي القلب مبتسم … لا عن رضا معرض عني بلا غضب
فكم له في وجود الذنب من سبب … وليس لي في قيام العذر من سبب
عبل أعطافه تيها بطرته … كما تميل رماح الخط بالحرب
أشار نحوي وجنح الليل معتكر … بمعصم لشعاع الكأس مختضب
ذكرتها أنها قبل ما جليت … في جرة الدن أو في قشرة العنب

وقال البهاء زهير رحمه الله **شعر**

يعاهدني لا خانني ثم ينكث * واحلف لا كلمته ثم احنث
وذلك داني لا يزال ودابه * فيا معشر العشاق عنا تحدثوا
اقول له صلني يقول نعم غدا * ويكسر جفنا هازيا بي يعبث
امولاي اني في هواك معذب * وحتى متى ابقى في الغرام وامكث
فخذ مرة روحي ترحني ولا اكن * اموت مرارا في النهار وابعث
واني لهذا الضيم منك لحامل * ومنتظر لطفا من الله يحدث
تردد ظن الناس فيّ واكثروا * احاديث فيها ما يطيب ويخبث
وقد كرمت في الحب مني شمائل * ويسال عني من اراد ويبحث

ولا صح بعض الناس لوكان زارني وكانطو ساعة تحدث

وقال ابو الحسن الجزار رحمه الله شعر

بخل من تعايا اللثم تخميش * وبي لتسويش ذاك الصدغ تشويش
ظبي من الترك اغنته لواحظه * عما حوته من النبل التراكيش
اذا انثنى فقلوب الصب منكسر * وان تبدى فطرف البدر مدهوش
يا عاذلي ان تكن عن حسن صورته * اعمى فاني عما قلت اطروش
كم ليلة بات تسقيني المدام على * روض له ببنات الغيم ترقيش
والغيث كالملك يزجي الجود له * والبرق راياته والرعد جاويش
في مجلس ضحكت ازجاؤه طربا * لانه ببديع الزهر مفروش

وقال عز الدين الموصلي رحمه الله شعر

نفس عن الحب ما آعفت وما غفلت * باي ذنب وفاك الله قد قتلت
دعها ومدمعها الجاري فقد لقيت * ما قدمت من اسى قلبي وما عملت
افديك من ناشط الاجفان في ملق * والسحر يوهم طرفي انها كسلت
وواضح الحسن لو شاءت ذوائبه * في الافق وصل دجا الظلما لاتصلت
معسل نعاس في لواحظه * اما تراها الى كل القلوب حلت
من لي بالحاظ ظبي تدعي كسلا * وكم ثياب ضنا حاكت وكم غزلت
وحمرة فوق خديه ومرشفه * هذي ترق محاسنها وذي ذبلت
اما كفا في تكحيل الجفون اسى * حتى المراشف منه بالظما كحلت
استودع الله اعطافا شوواكبدي * وكلما رمت تخديدا لوصال قلت
ومهجة لي كم القت بمسمعها * الى الملام ولا والله ما قبلت

وقال الفاضل رحمه الله شعر

شرح الشباب بحبكم افنيته * والعمر في كلف بكم قضيته

وانا الذي لو سرني من غوكم * داع وكنت تحضرني لبيته
كيف التعرض للسلو وحبكم * حب بايام الشباب شربته
لله داء في الفؤاد احبه * يزداد نكسا كلما داويته
قالوا حبيبك في التجني مسرف * قاس على العشاق قلت فديته
اادوم من كلفي عليه تخلصا * لا والذي بلحاظه مكة بيته
ولو استطعت بكل اسم في الورى * من لذة الذكرى به سميته

وقال اخر

لو ان قلبك لي يرق ويرحم * ما بت من الم الهوى اتالم
ومن العجائب انني لا سهم لي * من ناظريك وفي فؤادي اسهم
يا جامع الضدين في وجناته * ما ابرق عليه نار تضرم
عجبي لطرفك وهو ماض لم يزل * فعلام يكسر عند ما تتكلم
ومن المروة ان تواصل مدنفا * والدهر سمح والحوادث نوم

وقال اخر

بابي غلام لست عن غلامه * مذ جاد لي بسلامه وكلامه
ذو حاجب ما ان رايت كنونه * ابدا وصدغ ما رايت كلامه

وقال اخر

وغزال كل من شبهه * بهلال او ببدر ظلمه
قال اذ قبلت وهما فمه * قد تعديت واسرفت فمه

وقال ابن صابر رحمه الله شعر

قبلت وجنته فالفت جيده * خجلا ومال بعطفه المياس
فانهل من خديه فوق عذاره * عرقا يحاكي الطل فوق الآس
فكانني استقطرت ورد خدوده * بتصاعد الزفرات من انفاسي

وقال اخر

يا حسنا ما لك لا تحسن * الى قلوب في الهوى متعبه
ومت بالورد وبالسوسن * صفحة خد بالسنا مذهبه
وقد ابى خدك ان اجتني * منه وقد البسني عقرب به
يا حسنه اذ قال ما احسنني * ويا لذاك اللفظ ما اعذبه
قلت له كلك عيدي سنى * وكل الفاظك مستعذبه
تفوق للسهم ولم يخطني * ومذ راني ميتا اعجبه

وقال يحيى بن أكثم رحمه الله ٭ شعر

بأبي غزال غازلته مقلتي ٭ بين العذيب وبين شطي بارق
وسألت منه زيارة تشفي الجوى ٭ فأجابني منها بوعد صادق
بتنا ونحن من الدجى في خيمة ٭ ومن النجوم الزهر تحت سرادق
عاطيته والليل يسحب ذيله ٭ صهباء كالمسك الذكي لناشق
وضممته ضم الكمي لسيفه ٭ وذوائباه حمائل في عاتقي
حتى إذا مالت به سنة الكرى ٭ زحزحته عني وكان معانقي
أبعدته عن أضلع تشتاقه ٭ كيلا ينام على وساد خافق
لما رأيت الليل آخر عمره ٭ قد شاب في لممٍ له ومفارق
ودعت من أهوى وقلت تأسفا ٭ صحبتُ على بان أراك مفارقي

وقال جمال الدين بن مطروح رحمه الله ٭ شعر

ذكر الحمى نصبا وكان فقد أودعني ٭ صب على عرش الغرام قد استوى ارعوى
تجري مدامعه ويخفق قلبه ٭ مهما جرى ذكر العقيق مع اللوى
وإذا انا لق بارق من بارق ٭ فهناك ينشر من هواه ما انطوى
فخذوا أحاديث الهوى من صادق ٭ ما ضل في شرع الغرام وما غوى
وبمهجتي رشا أطالت عذلي ٭ فيه الملام وقد حوى ما قد حوى
قالوا فيه رشاقة قده ٭ وفتور عينيه وهل يوفى سوى سوى
ما أبصرته الشمس إلا واكتست ٭ خجلا ولا غصن النقا إلا التوى
يروي الأراك محاسنا عن ثغره ٭ باطيب ما نقل الأراك وما روى

وقال شهاب الدين بن رفاعة رحمه الله ٭ شعر

وورديُّ خد من جنى لواحظ ٭ مشايخ علم السحر عن علمه رووا
وواوات صدغيه حكين عقاربا ٭ من المسك فوق الجلنار قد التووا
ووجنته الحمراء تلوح كجمرة ٭ عليها قلوب العاشقين قد اكتووا
وودي له باق ولست بسامع ٭ لقول حسود والعواذل ان غووا
ووالله ما أشكو ولو صرت رمة ٭ وكيف وأحشائي على حبه انطووا

وقال ابن نباته رحمه الله ٭ شعر

بدى ورنت لواحظه دلالا ٭ فما أبهى الغزالة والغزالا
وأسفر عن سنى قمر منير ٭ ولكن قد وجدت به الضلالا
صقيل الخد أبصر من رآه ٭ سواد العين فيه فخال خالا

ومصنوع

ومصنوع الوصال إذا تبدى ٭ وجدت له من الألفاظ لالا
عجبت لثغره البسام أبدى ٭ لنا درا وقد سكن الزلالا
شهدت بشهد ريقته كأني ٭ رأيت على سوالفه نمالا
فيا لنعيم حسن قد حواه ٭ وقد أهدى إلى قلبي الوبالا
سأشكو الحسن ما بقيت حياتي ٭ وأشكر من صبا بعد الجمالا

وقال القاضي فخر الدين بن مكانس رحمه الله ٭ شعر

يا غصنا في الرياض مالا ٭ حملتني في هواك ما لا
يا رايحا بعد أن سباني ٭ حسبك رب العالمين تعالى

وله أيضا رحمه الله ٭ شعر

أجارك الله قد رثت لي ٭ مما لاقي عدو وحسد
وعاد لي مذ رأى ضلوعي ٭ تعد سقما بكى وعدد

وله أيضا رحمه الله ٭ شعر

يقولون هل من الحبيب بزورة ٭ وسألكم المطلوب قلنا لهم منا
فقالوا لنا عوضوا على قده وما ٭ يحاكي إذا ما اهتز قلنا لهم غصنا

وقال برهان الدين القيراطي رحمه الله ٭ شعر

شبه السيف والسنان بعيني ٭ من لقتلي بين الأنام استحلا
فأبى السيف والسنان وقالا ٭ حد ناد دون ذاك حاشا وكلا

وله أيضا رحمه الله ٭ شعر

بي أهيف المعاطف لدن ٭ حسد الأسمر المثقف قده
ذو جفون مذ رمتها كلاما ٭ كلمتني بسيوفهن حداه

وقال آخر

تملك رقي شادنا قد هويته ٭ من الهند معسول اللمى أهيف القد
أقول لصحبي حين يرنو بطرفه ٭ خذوا حذركم قد سل صارم الهند

ومما قيل في الغزل المؤنث ٭ قال الشيخ شهاب الدين بن العبدري رحمه الله ٭ شعر

خيال سلمى عن الأجفان لم يغب ٭ وطيفها من عيانى غير محتجب
وذكرها أنس روحي وهي نائية ٭ والقلب ما زال عنها غير منقلب
لم أصغ فيها للاح حين راح يعذلني ٭ ولا لواش خلي بات يلعب بي
عذابها في الهوى عذب ألذ به ٭ ومر هجرانها أحلى من الضرب

فان نات او دنت وجدي كما علمت * تشيب فيه الليالي وهو لم يشب
دعها فامر هوى المحبوب متبع * وغير طاعته في الحب لم يجب

ولد ايضا عفا الله عنه

شعر

سقى طللا خليته سلمى معاهد * وحياه من دمعي مذاب وجامد
فربع به سلمى تصيف ومرتع * وارض نات عنها قفار جلامد
رعا الله دهرا سالمتني صروفه * وظلت لياليه لسلمى تساعد
وقد غفل الواشون عنا ولم ازل * ويقظان طرف البين عني راقد
وايامنا بالقرب بيض ازاهر * وايامنا بالوصل خضر مايد
وارواحنا ممزوجة وقلوبنا * ونحن كانا في الحقيقة واحد
وكم قد مرحنا في مروج صبابة * ولم يطرد فينا من البين طارد
نجر ذيول اللهو في قمص الهوى * يلوح علينا للغرام شواهد
ولم يخطر التفريق منا بخاطر * ولم نحسب الايام فينا تعاند
فهل انت يا سلمى وقد حكم الهوى * كما كنت لي امجاد بالقلب جايد
وهل ودنا باق والا تغيرت * على عاده الايام منك العوايد
وهل محيت آثار رسم حديثنا * وانساك حفظ الود هذا التباعد
وهل تذكرين العهد اذ نحن باللوى * وقولك لا عاش الخؤن المعاهد
فان كنت حبل الود اصرمت طرفه * فودي طريق في هواك وتالد
وان قلت ان الحب غيره النوى * لعمري وجدي بالحشا شد واحد
وان اوردوا يوما صبابة عاشق * فبي يضرب الامثال من هو وارد
ولو رمت اني عن هواك اغتني * لقاد زمامي نحو حبك قايد
بعدت وقلت البين يسلي اخا الهوى * وهل ينتشي الاشجان الا التباعد
وما غير التفريق ما تعهدينه * وشوق شلوي في المحبين كاسد
وحل منائي القرب منك واغا * اذا اعظم المطلوب قل المساعد

ولد ايضا رحمه الله

شعر

تهددني بشرح وبين * وتوعدني بتفريق وصد
وتحلف لي لتلبسني سقاما * فبي جلدي به وتذيب جلدي
وترميني بنبل من جفون * فتصميني وتصبيني وتردي
وتحرقني بنار الصد حتى * تذيب حشاشتي كمدا وكبدي
فقلت لها ودمعي في انسكاب * بفيض دما على صفحات خدي

ومن لي ان يقال قتيل وجد * واذكر في هواك ولو بصدي

وله ايضا عفا الله عنه ورحمه

شعر

قفا نبكيا دارا شط عنا مزارها * واغلنا بعد البعاد ادكارها
وعوجا بأطلال محتها يد النوى * فاطلم بالناي المشتت نغارها
فقدنا بها رئما من الانس اذ رنت * بمقلتها يسبي القلوب احورارها
تصيد قلوب العاشقين انيسة * ويحسن منها صدها ونفارها
ويهزو بالاغصان لين قوامها * اذا مال فوق الدعص منها خمارها
وليس لبدر التم قامة قدها * وما هو الا حجلها وسوارها
منازلها مني الفؤاد وان نأى * عن العين مثواها ففي القلب دارها
يمثلها بالوهم فكري لناظري * واكثر ما يغني النفوس افتكارها
وهيج دمعي جرنار صبابتي * وما خمدت بالدمع مني نارها
وساعدني بالايك ليلا حمايم * لها تغن شجوا لا يقر قرارها
بكين ولم يسفح لهن مدامع * وعيني فاضت بالدموع بحارها

ولمؤلفه رحمه الله وغفر ذنوبه وستر عيوبه امين

وهو قول ضعيف على قدر حاله * لكنه يسال الواقف عليه من افضاله * ستر ما يراه من عيوبه * وان يدعو له بمغفرة ذنوبه قال عفا الله عنه

شعر

نسيم الصبا بلغ سليمى رسالتي * بلطف وقل عن حال صبك سايلي
فقد صار بالاسقام صبا محذبا * قريح جفون من دموع هوامل
صبور على حر الغرام وبرده * حليف ضنا لم يصغ يوما لعاذل
يبيت على مثل القتاد مقلبا * يئن غراما فارحميه وواصلي
ايا سلمى قد اضر بي النوى * وهاجت تباريح الغرام بلابلي
رميت بسهم من لحاظك قاتل * فلم يخط قلبي والحشا ومقاتلي
كتمت غرامي في هواك ولم ابح * بسري فباحت ادمعي بر سايلي
سليمى سلي ما قد جرى لي من النوى * فقد صار لي حال له رق عاذلي
لعل بجودي للكئيب وتسمحي * بوعد وبعد الوعد ان شئت ماطلي
عسى تطفي بالوعد نار صبابتي * فيا سقم اعضاي وهت ومفاصلي
خفيت عن العذال لولا انا وهي * وعظم انيني لم ارى لمسا يلي
فرق فقد رقت اعداي لذلتي * وفاضت على حالي عيون عواذلي

قطعت زماني في عسى ولعلها • وما غرني الايام منك بطايل
فما آن ان ترضي علي وترحمي • ضنا جسدي فالوجد لا شك قاتلي
توسلت بالمختار في جمع شملنا • نبي له فضل على كل فاضل

وقال ايضا سامحه الله وغفر له — شعر

يا ربة الحسن من بالصد اوصاك • حتى قتلتي بفرط الهجر مضناك
ويا فتاة بنبال الغرام سبت • من ذا ترى في الورى بالقتل افتاك
لقد جنيت غراما اذ راى نظري • في النوم طيف خيال من محياك
ومذ رآه جفا طيب المنام وقد • اضحى عليك حزينا لم يزل باكي
ان كنت لم تذكرينا بعد فرقتنا • فالله يعلم انا ما نسيناك
ما آن ان تعطفي جودا علي فقد • اضحى فؤادي اسيرا لحظ عيناك
ما كنت احسب ان الحب فيه ضنى • ولا عذاب نعوس قبل اهواك
حتى تولع قلبي بالغرام فما • امسى اسيرا سوى في لحظ عيناك
رقي لروك جودا واعطفي وزري • ولا يطيلي عتى الله يكفاك
يا هند رفقا بقلب ذاب فيك اسى • ومهجة تلفت يا هند ما اقساك
رق العدو لحالي في الهوى ورثى • وانت يا هند لم ترثي لمضناك
تالله لو مت لم اسلاك يا املي • ولو فنيت غراما لست انساك

وقال البها زهير رحمه الله — شعر

اذا جن ليلي هام قلبي بذكركم • انوح كما ناح الحمام المطوق
وفوقي سحاب يمطر الهم والاسى • وتحتي بحار بالجوى تتدفق
سلوا ام عمرو كيف بات اسيرها • تفك الاسارى دونه وهو موثق
فلا انا مقتول ففي القتل راحة • ولا انا ممنون عليه فاعتق

وقال مجنون ليلى رحمه الله — شعر

وقد خبروني ان تيما منزل • لليلى اذا ما الليل القى المراسيا
فهذي شهور الصيف عنا ستنقضي • فما للنوى ترمي بليلى المراميا
اعد الليالي ليلة بعد ليلة • وقد عشت دهرا لا اعد اللياليا
واخرج من بين البيوت لعلني • احدث عنك النفس بالليل خاليا
الا ايها الركب اليمانون عرجوا • علينا فقد امسى هوانا يمانيا
يمينا اذا كانت يمينا فان تكن • شمالا ينازعني الهوى عن شماليا
اصلي فما ادري اذا ما ذكرتها • اثنتين صليت الضحى ام ثمانيا

خليلي

خليلي لا والله لا املك الذي • قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا
قضاها لغيري وابتلاني بحبها • فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا
ولو ان واش باليمامة داره • وداري باعلى حضرموت اهتدى ليا
وددت على حب الحياة لو انه • يزاد لها في عمرها من حياتيا
على انني راض بان احمل الهوى • واخلص منه لا علي ولا ليا
اذا ما شكوت الحب قالت كذبتني • فما لي ارى الاعضاء منك كواسيا
فما الحب حتى تلصق الجلد بالحشى • وتخرس حتى لا تجيب المناديا

وقال كمال الدين بن النبيه رحمه الله — شعر

اما وبياض مبسمك النقي • وسمرة مسكه اللعس الشهي
ورمان من الكافور يعلو • عليه طوالع الند الندي
وقد كالقضيب اذا تثنى • خشيت عليه من ثقل الحلي
لقد اسقمت بالهجران جسمي • واعطشني وصالك بعد ري
الى كم اكتم البلوى ودمعي • يبوح بمضمر السر الخفي
ولم اشكو للاهية غرامي • فويل للشجي من الخلي

وقال صفي الدين الحلي رحمه الله — شعر

ابت الوصال مخافة الرقباء • واتتك تحت مدارع الظلماء
اصفتك من بعد الصدود مودة • وكذا الدوا يكون بعد الداء
احيت بزورتها النفوس وطالما • ضنت بها فقضت على الاحياء
ابهجت بليل والنجوم كانها • در بساط من خيمة زرقاء
امست تعاطينا المدام وبيننا • عتب غنيت به عن الصهباء
ابكي واشكو ما لقيت فتلتهي • عن در الفاظ بدر بكاء
اومت الى جسمي لتنظر ما انتهت • من بعدها فتزيد للبرحاء
القت به وقع الصفاح قرابها • جزعا وما نظرت جراح حشاي
المصيبة منا نبيل لحاظها • ما اخطاته اسنة الاعداء
اعجبت مما قد رايت وفي الحشا • اضعاف ما عاينت في الاعضاء
انسي ولست بسالم من لحظه • خلا او من مقلة كحلاء

وقال ابو الطيب المتنبي رحمه الله — شعر

ولما التقينا والنوى ورقيبنا • غفولان عنا ظلت ابكي وتبتسم
فلم ار بدرا ضاحكا قبل وجهها • ولم تر قبلي ميتا يتكلم

الشريف الرضي رحمه الله

وغيس بين عز ومعصفر ۰ ومعنبر ومسك ومصندلي
هيفا ان قال الشباب لها انهضي ۰ قالت روادفها اقعدي وتمهلي
واذا سالت الوصل قال جمالها ۰ جودي وقال دلالها لا تفعلي

الوداد الدمشقي رحمه الله

قالت متى البين يا هذا فقلت لها ۰ اما غداً زعموا اولا فبعد غد
فامطرت لؤلؤا من نرجس وسقت ۰ وردا وعضت على العناب بالبرد

وقال اخر

بكت للعراق وقد راعها ۰ بكا المحب لبعد الديار
كان الدموع على خدها ۰ بقية طل على جلنار

وقال اخر

وقالت لطيف خيال زارني ومضى ۰ بالله صفه ولا تنقص ولا تزد
فقال خلفته لو مات من ظما ۰ وقلت قف عن ورود الما لم يرد
قالت صدقت الوفا في الحب شيمته ۰ يا برد ذاك الذي قالت على كبدي

ابن نباتة رحمه الله

عذول لست اسمع منه قولا ۰ على غيد امثل البدر تما
له طرف ضرير عن سناها ۰ ولي اذن عن الفحشا صما

السراج الوراق رحمه الله

يا لايمي في هواها ۰ اسرفت في اللوم جهلا
ما يعلم الشوق الا ۰ ولا الصبابة الا

وقال اخر

ورب ليال في هواها سهرتها ۰ اراعي نجوم الليل منها الى الفجر
حديثي عال في السماع لانني ۰ رويت احاديث السهاد عن الزهري

وقال اخر

وعدت ان تزور ليلا فالوت ۰ وانت في النهار تسحب ذيلا
قلت هلا صدقت في الوعد قالت ۰ كيف صدقت ان ترى الشمس ليلا

عز الدين الموصلي رحمه الله

قد سالونا عن الغزال بخود ۰ ذات وجه بها الجمال تعانق
ورجعنا عن التهتك فيه ۰ ودفعنا بالتي هي احسن

ابن نباته رحمه الله

وملولة في الحب لما ان رات ۰ اثر السقام بجسمي المنهاض
قالت تغيرتنا فقلت لها نعم ۰ انا بالسقام وانت بالاعراض

وقال اخر

قالت وقد نالها سواكا ۰ ساد بفيها على الاراك
سواك ما ذاق طعم ريقي ۰ قلت نعم ذاقه سواكي

ولنذكر ان شا الله تعالى نبذة في هذا الباب من ملح النظم ودقايق الشعر من غير تبويب ولا ترتيب ۰ قال الشيخ شهاب الدين الدميري رحمه الله

شعر

ولما نات سلمى وشط بها النوى ۰ وايقنت اني بالغرام اذوب
علقت باخرى غيرها متلاهيا ۰ ليطفي ضرام في الحشا ولهيب
فكان هيامي في الهوى وصبابتي ۰ لمن هو في الاولى على حبيب

وله في المعنى

تلاهيت عنها في الغرام بغيرها ۰ وقلت لقلبي هذه هي زينب
وقبلت فاها مبردا الصبابتي ۰ فاضرمت نارا في الحشا تتلهب
فكنت كمن امسى غريقا بلجة ۰ تمسك بالموج الذي يتقلب

وله ايضا رحمه الله

سالت القلب هل ميل لليلى ۰ وهل عند الفؤاد لها التفات
فقال الان لا لكن تاني ۰ فقلب الصب فيه تقلبات
وان الحب يهجم بعد باس ۰ ويختار المحب تغيرات
فلا تظهر لها يوما سلوا ۰ فتفضحك التصابي الواردات

للبيطار رحمه الله

يقولون هذي ام عمرو قريبة ۰ دنت بك ارض نحوها وسما
الا انما قرب الحبيب وبعده ۰ اذا هو لم يوصل اليه سوا

وقال اخر

وقالوا بع حبيبك وابغ عنه ۰ حبيبا اخر تحيى سعيدا
اذا كان القديم هو المصافي ۰ وخان فكيف ناتمن الجديدا

وقال اخر

لم انس اذ قلت من وجدي لها غلطا ۰ ووجهها مشرق في حندس الظلم

سلوت عنك فقالت وهي في حنق • لتقرعن على السن من ندم

وقال آخر

أين المروة ان ابيت مسهدا • قلقا ابل ملابسي بدموع

وتبيت ريان من الكرا • وابيت عنك بليلة الملسوع

الجون

وقال آخر

الى الله اشكو أهيف الجور شادن • وقعت فما لي من يديه خلاص

حب

جرحت بعيني خده وهو جارح • بعينيه قلبي والجروح قصاص

وقال آخر

قد كنت اسمع بالهوى فاكذب • واري المحب وما يقول فاعجب

حتى رميت بحلوه وبمره • من كان يتهم الهوى فيجرب

وقال آخر في راعي

افديه من راع كبدر الدجا • قوامه فاق الغصون الرشاق

صيعني بالجدي شادنه • ما القصد يا مولاي الا العناق

القيراطي في مليح طحان

حسن طحان سباني • بلحاظ وبقامه

خاف من واش فاضحى • جعل الخمر علامه

بدر الدين البلقيني في تراب

رب تراب مليح • اورث القلب عذابا

قلت لما ان بدا لي • ليتني كنت ترابا

وله في المعنى

كسر الجرة عمدا • وسقى الارض شرابا

قلت والاسلام ديني • ليتني كنت ترابا

وقال آخر في مليح عوام

يا حسن عوام كغصن النقا • يبخل بالوصل لما هاما

وتقنع العشاق منه بان • يرجمهم الارد افان عاما

ابن نباته في مليح حبشي

بروحي مشروط على الحذ اسمر • دنا ووفا بعد التجنب والسخط

وقال على اللثم اشترطنا فلا تزد • فقبلته الفا على ذلك الشرط

وقال آخر فيمن بوجهه صفره

قالوا

قالوا به صفرة شانت محاسنه • فقلت ما ذاك من عيب به نزلا

عيناه مطلوبة في ثار من قتلت • فلست تلقاه الا خائفا وجلا

لشهاب الدين في مليح اسمه زايد

وزايد قال لي • حتى بظرف شاهد

مدحة فتحلى • تشبها علي بزايد

وقال آخر في مليح ارمد

شكى رمدا فقلت عساه كلت • لواحظه من الفتكات فينا

وقالوا سيف مقلته تصدى • فقلت نعم لقتل العاشقينا

مجد الدين بن مكانس فيه

تورمت مقلة المحبوب من رمد • وبات يشكو لهيب لعلة الالما

وبات يرجى محبيه باسهمه • فيا لدمي حبيب قد شكى ورما

ابن نباته في مليح اعور

ما شان من اهواه عين اصبحت • مقلوعة بمحاسن مترايده

لولا استخفا لعالمين باسرهم • ما بات ينظرهم بعين واحده

وقال آخر في مليح راهب

رأيته يضرب الناقوس قلت له • من علم البدر ضربا بالنواقيس

وقلت للنفس اي الضرب يولمكى • ضرب النواقيس ام ضرب النواقيس

القيراطي في مليح اسمه بدر

سموه بدرا وذاك لما • ان فاق في حسنه وتما

واجمع الناس اذ راوه • بانه اسم على مسما

وقال آخر في مليح اسمه حمزه

متى يبدو لحمزة ما بقلبي • ويرثي لي وينظر في بلاي

واشفي بالمبرد من لماه • واجمع بين حمزة والكسائي

وقال آخر في مليح سروجي

فتنت به سروجيا بديعا • به قد ذبت وجدا من صبحي

اذا جذب الغرام له عناني • يلذ لي الركوب على السروجي

وقال آخر في مليح محموم

قالوا حبيبك محموم فقلت لهم • انا الذي كنت في حمايه السببا

عانقته ولهيب النار في كبدي • فاثرت فيه تلك النار فالتهبا

وقال ابو نواس في مليح ألثغ

ومهفهف دنف الصبا ذي لثغة — تصبو اليه ذوي العقول الرجح

قبلت فاه فقال لي متخوفا — من كاشح متذلل بث اشتحي

وقال آخر في مليح خباز

ان خبازنا المليح المفدى — في حشا الصب من جفاه كلوم

خلت دكانه البديع سما — وهو بدر والخبز فيه نجوم

وقال آخر في مليح حايك

وحايك يا صاح ابصرته — كالبدر في كفيه ماسوره

فلم ارح الا وروحي لما — عاينت في كفيه ماسوره

وقال آخر في مليح لاعب شطرنج

لعبت بالشطرنج مع أهيف — رشاقة الاغصان من قده

احل عقد البند من خصره — والثم الشامات في خده

وقال آخر فيه

تلاعبت بالشطرنج مع من احبه — فنادمني حتى سكرت من الوجد

وانشد في مالي اراك مفكرا — تدور على الشامات وهي على خد

وقال آخر في مليح خياط

خياطنا الفاتن المفدى — بديع حسن فريد شكلي

فصل للجسم ثوب سقم — لما جفاني وكف وصلي

الصفي الحلي في مليح قلع ضرسه

لحا الله الطبيب لقد تعدى — وجا لقلع ضرسك بالمحال

اعاق الظبي في كلتا يديه — وسلط كلبتين على غزال

وقال آخر في مليح سلم عليه

تنبا فيك قلبي فاسترابت — به قوم وعمهم الضلال

وصدقهم الهوى ان تؤمنوا بي — وقالوا ان معجزه محال

فمذ سلمت سلمت البرايا — الي وقيل كلمه الغزال

وقال آخر في مليح يرمي بالسهام

وظبي بتغفر فوق طرف مفوق — بقوس رمي في الليل حتى بانجم

كبدر رنا من فوق برق بكفه — هلال رمى في النقع وحشا باسهم

وقال آخر في مليح يضرب بالعود

فتن

فتن الانام بعوده وبقده — شادٍ تجمعت المحاسن فيه

حتى كأن لسانه بيمينه — وكأن ما بيمينه في فيه

وقال ايضا فيه

واغن ابدى من مواجب عوده — نغما اضح به القلوب وامرضا

بيد اذا سخطت على اوتاره — نال الرفاق بسخطها عين الرضا

وقال آخر في مليح منشد

يا نافخ الصور بل يا باعث الصور — من رقدة السكر أمن ظلمة الحفر

قرنت حسنك بالاحسان فيه لنا — فكان فيك مراد السمع والبصر

ممتن للصحب الاكال السرور كما — هممت نايك ناي الهم والفكر

صوت بسيط به ارواحنا انبسطت — اذ جئت في اللفظ والمعنى على قدر

وقال آخر في مليح ساقي

وساق من بني الاتراك طفل — اتيه به على جمع الرفاق

املكه فيادي وهو رقي — واقديه بعيني وهو ساقي

وقال آخر في رسول اتاه من عنده

من كنت انت رسوله — كان الجواب قبوله

هو طلعة الشمس الذي — جا الصباح دليله

لم يبد وجهه قبله — الا ارتقبت وصوله

فلذاك اذ واجهتني — بل الفؤاد غليله

وقال آخر في مليح قاري

نفسي الفدا لشادن شاهدته — يوم الزيارة قاريا في المصحف

فتن الانام ببهجة وبلهجة — تسبي وتصبي كل صب مدنف

فتلى مليا جل سورة يوسف — وجلى محيا مثل صورة يوسف

وقال آخر في معذر

وكامل العارض قبلته — فصدني وازور من قبلتي

وقال كم اطاك عن مثل ذا — وانت ما تنكر في لحيتي

وقال آخر في مليح حجام

كلفي بحجام تحكم طرفه — فغدا على سفك الدما يتوالى

اضحى كثير الاشتاط ولم يكن — منه اللحاظ كليلة المشراط

فصل في الالغاز — اللغز في غزال

اسم من قد هويته • ظاهر في حروفه
فاذا زال ربعه • زال باقي حروفه

وقال آخر في كوز فقاع

ومحبوس بلا ذنب جناه • له في السجن ثوب من رصاص
اذا اطلقته وثب ارتفاعا • يقبل فاك من فرح الخلاص

وقال آخر في زرموزه

مطية فارسها راجل • تحمله وهو لها حامل
واقفة بالباب مزبولة • لا توكل الدهر ولا توكل

لغز في طاحون

ومسرعة في سيرها طول دهرها • تراها مدى الايام تمشي ولا تتعب
وفي سيرها ما تقطع الا كل ساعة • وتاكل مع طول المدى وهي لا تشرب
وما قطعت في سيرها خمسة اذرع • ولا ملت عن من ذراع ولا اقرب

وقال آخر لغز في الدواة

ومرضعة اولادها بعد ذبحهم • لها لبن ما لذ قط لشارب
وفي بطنها السكين والبدي راسها • واولادها مدخولة للنوائب

وقال آخر لغز في قلم

وأهيف مذبوح على صدر غيره • يترجم عن ذي منطق وهو ابكم
تراه قصيرا كلما طال عمره • ويفصح بليغا وهو لا يتكلم

وفيه ايضا

وذي نحول راكع ساجد • اعمى بصير دمعه جاري
ملازم الخمس لاوقاتها • مجتهد في طاعة الباري

وقال آخر لغز في شبابه

ومسكينة وليس لها بنان • منقبة وليس لها نقاب
يصح لها اذا قبلت فاها • احاديث تلذ وتستطاب
وتعلو المدح والتشبيب منها • وليست لا سعاد ولا الرباب

وفيها ايضا

منقبة خلت مع محبها • يزودها اللثما وينظرها شزرا
وتصحيفها في كف حاملها نقل • اذا شئت في اليمنى وان شئت في اليسرى

وقال آخر لغز في كتاب

وذي اوجه لكنه غير راجع • يسير بذي الوجهين للسر يظهر
يناجيك بالاسرار اسرار وجهه • فتسمعها بالعين ما دمت تبصر

لغز في الشعر

وذي عدد كالرمل سام محله • جميل على كل الملاح له حق
يحاذر من موسى ويرهب باسه • وفي قلبه هرون له الحلق والحق

لغز في اللبن

اي شيء لذ طعما • ناعم اللمس لين
كيف لا يبدو وضوحا • وهو في التصحيف بين

لغز في الموز

ما اسم شيء حسن شكله • تلقاه عند الناس موزونا
تراه محدودا فان زدته • واوا ونونا صار موزونا

وقال اخر في مليح اسمه حمزه

من لي بمعتدل القوام مهفهف • ازرى بغصن البان لينة قده
في فيه تصحيف اسمه وبخده • ويقلب عاشقه لشدة صده

وفيه ايضا

اسم الذي انا اهواه واعشقه • وطول دهري اخشى من تجنبه
تصحيفه في فؤادي دائما ابدا • يبدو وفي خده ايضا وفي فيه

لغز في ساقيه

وجارية لولا الحوافر ما جرت • شاهدتها تجري وليس لها رجل
وترضع اطفالا ولا هي امهم • وليس لها ثدي وليس لها بعل

وفيها ايضا

وباكية تبكي اذا الليل جنها • بلا الم فيها ولا ضرب ضارب
عليها رجال صلبوا بعد حرقهم • وما كان صلب القوم الا بواجب

لغز في زر وعروه

وما اخت بجنب معها اخوها • وليس عليهم فيه جناح
يرى بجوازه الحكام طرا • وفي اعناقهم ذاك النكاح

لغز في شطرنج

يا ذا النهى ما اسم له حالة • يحار فيها الذهن والفكر
له حروف خمسة انما • ثلاثة منها له شطر

قل لي فما شيء يرى ناعما • منتصب القامة طول الزمان
اطول من شبر له حزة • منتفش الراس قوي الجنان
يسمع في النحر له رنة • ويظهر الصفق باعلى مكان

لغز في الخشخاش

وما قبة مبنية فوق شاهق • لها علم يحكي الملاحة بالطرف
واولادها في بطنها في جماعة • يكونون الفا او يزيدون عن الف
وياخذها الطفل الصغير بحمله • يقلبها عسفا على راحة الكف

لغز في داوية

وسودا يشرب من راسها • وان شئت تسقيك من فرديد
ولون لها مثل لون اختها • وتغنيهم واحد في العدد
وتحبل في الوقت هي واختها • وفي ساعة يصحان للولد

وقال اخر في موس ملغزا

وما شيء له حد وخد • يكلم من يلامسه بخفه
وكل حلقة من تحت راس • وهذا الراس صار تحت حلقه

لابن الفارض في حلب

مابلدة بالشام قلب اسمها • تصحيفه اخرى بارض العجم
وثلثه ان زال من قلبه • وجدته طيرا يشجي النغم

وقال اخر ملغزا في سمرقند

وما اسم له سدس اذا ما محنته • تراقبه اخرى بذم ويشكر
له ثلث ياتي بالموت فجاة • وثلث مع الكتاب يطوى وينشر
وثلث رعاك الله يا صاحبي له • على مدد الايام نشر معطر
وفي ثلثه لما تحرك بعضه • حديث شهي في الليالي يذكر
وفي نصفه الثاني اذا ما اعدته • الى النار والتحليل والعقد سكر
فسر لنا ذا اللغز ان كنت داهيا • فليس على ذي العقل لغز امحسر

وقال اخر لغز في الكمون

ايها العطار اعرب لنا • عن اسم شيء قل في سومك
تنظره بالعين في يقظة • كما نرى بالقلب في نومك

لغز في قالب الطوب

وما آكل في قعدة الف لقمة • ولقمته اضعاف اضعاف وزنه

لغز في دواة

وما ام حامحها بنوها • ولبس عليهم تجب الحدود
كانهم اذا ولجوا احشاها • افاعي في اما فيها رقود

لغز في مرملة

محشوة لذوات الهم قد صنعت • حزينة ما تراها قط تبتسم
كانها من صروف الدهر خايفة • تبكي دما على ما سطر القلم

وقال اخر لغز في البصل

ايما اسم تركيبه من ثلث • وهو ذو اربع تعالى الاله
حيوان والقلب منه نبات • لم يكن عند جوعه يرعاه

لغز في البحر

ما طاير في قلبه • يلوح للناس عجب
منقاره كبطنه • والعين منه في الذنب

لغز في الهاون

خبرني اي شيء • اكبر ما فيه فمه
وابنه في بطنه • يرفصه ويلكمه
وقد علا صراخه • ولم يجد من يرحمه

لغز في كوز زير

وذي اذن بلا سمع • وذي قلب بلا لب
اذا استولى على حب • فقل ما شئت في الصب

وقال اخر في مليح اسمه علي

اسم الذي انا اعشقه • اوله ناظره
ان فاتني اوله • يكون لي آخره

لغز في النار

وما اسم ثلاثي به النفع والضرر • له طلعة تغني عن الشمس والقمر
وليس له وجه وليس له قفا • وليس له سمع وليس له بصر
يمد لسانا تختشي الريح باسه • ويهزا يوم الضرب بالصارم الذكر
يموت اذا ما قمت تسقيه عامدا • وياكل ما يلقى من النبت والشجر
فيا قاري الابيات دونك شرحها • والا فنم عنها وايقظ لها عمر

لغز في الهاون

قال

اذا انزل المأكول جنبيه لم يقم ... سوى لحظة او لحظتين بسطنه

لحنز في العين

وباسطة بلا عقب جناحا ... وتسبق ما يطير ولا تطير

اذا القمها الجراح اثبتت ... ويجزع ان يباشرها الحرير

ويكفي من ذلك ما اشرت اليه وما نبهت عليه من هذا الفن وقد مضى القول من الفنون السبعة على الشعر القريض وما فيه من الفنون المتقدم ذكرها ولنذكر ان شاء الله تعالى بقية الفنون السبعة على وجه الاختصار والسبع الفنون المذكورة عند الناس هي الشعر القريض والموشح والدوبيت والزجل والمواليا والكان وكان والقوما ومنهم من جعل الحماق من السبعة وفي ذلك اختلاف وعند جميع المحققين ان هذه الفنون السبعة منها ثلثة معربة لا يغتفر اللحن فيها وهي الشعر القريض والموشح والدوبيت ومنها ثلثة ملحونة ابدا وهي الزجل والكان وكان والقوما ومنها واحد وهو البرزخ بينها يحتمل الاعراب واللحن وهي المواليا وقيل لا يكون البيت منه بعضه معربة وبعضها ملحونة فان هذا من اقبح العيوب الذي لا يجوز وانما يكون المعرب منه نوعا بمفرده ويكون الملحون فيه ملحونا لا يدخله الاعراب وقد اوضح قاعدة الجميع وامثلتها صفي الدين ابو المحاسن الحلي رحمه الله في ديوانه وسماه بالعاطل الحالي والمرخص الغالي ولو بسطت الكلام في ذلك لا يتسع المجال والحمد لله على كل حال

الفن الثاني الموشح ... قال ابن سنا الملك رحمه الله

قد اتخل الجسم اسمر اكحل ... واوجد القلب فيه مدخل

اميل ... له فلا عيل

يحول ... وعنه لا احول

اقول ... زادني النحول

اما حل عقد الصدود يحل ... وارحل عن محيي المرحل

كم انجد ... وكم انثنيت مكمد

ويجل ... بهجره لا اقعد

واجهد ... لا رضا ومرقد

يحل والحاسدون دخل ... يحل والوعد منوا ممحل

متوج ... بالحسن هذا الابلج

مسيج ... عذاره البنفسج

مفلج ... وطرفه ذا الادعج

مكحل

مكحل ... وثغره منحل ... محلحل بعنبر مفعل

برعى ... من سنبل ظلى

وبرمي ... عذبه لسلى

وحسبي ... من التزام سقمي

منحل ... وقد غدا مرحل ... فرحل سفك دمي وماحل

قلاني ... واشتط ذا الغلاني

غزاني ... بطرفه اليماني

براني ... انشد لمن يراني

قد انحل ... الجسم اسمر الكحل ... واوجد القلب فيه مدخل

وله ايضا رحمه الله

كللي ... يا سحب تيجان الربا بالحلى ... واجعلي سوارك المنعطف الجدول

يا سما ... فيك وفي الارض نجوم وما

كلما ... اخفيت نجما ظهرت انجما

وهي ما ... تقطر الا بالطلا والدما

فاهطلي ... على قطوف الكرم كي تمتلي ... وانقلي للدن طعم الشهد والقرنفل

تتقد ... كالكوكب الدري المرتقد

يحتقد ... فيها المجوسي بما يحتقد

فانتقد ... يا ساقي الراح بنا راعتقد

واملا لي ... حتى ترى عندك في معزل ... قللي فالراح كالعشق يزد يقتلي

خذ مني ... واعطني كاسي مثل كاسك هني

واسقني ... على رضابه القطر المحسن

والهني ... ببعض ما ضيع من الالسن

لو تلي ... مدح سناه مع رشا الكحل ... لذ لي على سنى الصهبا والسلسل

ازهرت ... ليلتنا بالوصل مذ اسفرت

اصدرت ... بزورة المحبوب اذ بشرت

اخرت ... فقلت للظلام حين قصرت

طولي ... يا ليلة الوصل ولا تنجلي ... واسبلي سترك على المحبوب في منزلي

من ظلم ... في دولة الحسن اذا ما حكم

والالم ... يحول في باطنه والندم

والعَلَم بكيت فيه عن لسان الأمم
من دلي في دولة الحسن ولا يجزل تحرك الاعيون الرشا الأكحل

وقال ايضا رحمه الله

ترى هل يشتفي منك الخليل ويشتفي من صبابته الخليل
لقد اسرفت في هجرى وصدى
بلا سبب سوى كلفي ووجدي
وماذا في سلوى عنك يجدي
خضاب الوجد ليس له نصول واشياف الهوى فيما نقول
لئن شحيت عني بالسلام
وطيفك قد جفا لجفا المنام
فقد جادت بأدمعه سجام
جفون بالبكا كادت تحول على خد أشف به النحول
لقد ارسلت في طي النسيم
حديث هوى عن الوجد القديم
فعادت وهي ماطرة الشميم
تخبر ان ظعنهم نزول بدار لا يلم لها نزيل
تلقته الموالي والموالي
بالحافظ ودون من نصال
واعطاف وسمر من عوالي
فكم بطل هناك وكم قتيل بسيف من لواحظه قتيل

وله ايضا رحمه الله

حلت ما سارت الحمول وجد امضى الجمر وهو باقي
ساروا وسار الفؤاد لكن
جسمي مقيم على المساكن
وعن الحبيب سار ظاعن
مالي الى وصله وصول لو سرت بالبرق والبراق
وغادة كالقضيب قدا
والورد والياسمين خدا
كأنها الشمس اذا تبدا

وشعرها

وشعرها اسود طويل كأنه ليلة الفراق
وهذا انثنا غصن ميلا
سحابه كالسحابه دليلا
فقلت شمس تزور ليلا
وما دري كاشح عذول هذاك من اعجب اتفاق
وشد قفا ساعدي لسحدى
وبت ارعى رياض وردى
وجز ريق كذوب شهدى
لو ذاقها مدنف عليل لعاش والروح في التراقي
لما رأتني أذوب سقما
ومن برود الرضاب اظما
قالت اكلت الخدود لثما
ما تشتفي منك ذا الخليل بغير نومي وشيل ساقي

الفن الثالث الذوبيت لشرف الدين بن الفارض رحمه الله

اهوى قمرا له المحاني رق من صبح جبينه اضا الشرق
اندر بالله ما يقول البرق ما بين ثناه وبين فرق

وقال ايضا عفا الله عنه

اهوى رشا كل الاسى لي بعثا مذ غاب نصيري ما لبثا
ناديته وقد تفكرت في خلقته سبحانك ما خلقت هذا عبثا

وله ايضا رحمه الله

عرج بطويلع فلي ثم هوى واذكر خبر الغرام واسنده الى
واقصص قصصي عليهم وابك على قد مات ولم يحظ من الوصل بشي

وقال عفا الله عنه

روحي لك يا زائر في الليل فدا يا مؤنس وحشتي اذا الليل هدى
ان كان فراقنا مع الصبح بدا لا أسفر بعد ذاك صبح ابدا

وقال القاضي برهان الدين بن خلكان رحمه الله

يا شمس ضحى جبينه وضاح ساعات رضاك كلها افراح
عشاقك لو شئت ما فعلت بهم ماتوا كمدا وبالهوى ما باحوا

وقال ايضا رحمه الله

شعر

اقواه مهفهفا تقبل المردف ✻ كالبدر يجل حسنه عن وصف
ما احسن واو صدغه حين بدت ✻ يارب عسى تكون واو العطف

وقال السلغري رحمه الله

قلبي ذهبت لبعدكم راحته ✻ ما الصبر على بعادكم عادته
بعدتم فرقي لما به شامته ✻ لا كان فراقكم ولا ساعته

وقال سيف الدين المشد رحمه الله

احبابك طول الدهر لا انساه ✻ لا اذكر بعد خالقي الا هو
ان ابعدك الزمان عني حسدا ✻ مولاي جمعني عليك الله

وقال اخر

ان جئت ذي الحي ولاحت نجد ✻ فاذكر ولهي وما جناه البعد
قد كنت اقاسي الصبر حتى رحلوا ✻ يا ليتهم عادوا وعاد الاصد

اللغز الرابع في الزجل ✻ للغباري رحمه الله

قل لغزلان وادي مصر والشام ✻ بقصر واذا النفار ✻ لهم اجعل حشاشتي مرعى ✻ وفؤادي قفار

مصر والشام فيها ملاح اقمار ✻ بالمحاسن بسود ذا ابيض احمر ✻ وذا مليح اسمر
لو عيون نجل سود ✻ ذا غزال صار يفوق على الغزلان ✻ ويحسد الاسود ✻
ذا غصين بان اهيف قوام قدوا ✻ قد الاغصان جهار ✻ وذا بدر الكمال ظهر ✻ في الليل وذا شمس النهار

قد ربا الله ابتي قالت ملاح الشام ✻ بعد ذاك الصدود ✻ قد سمينا بصحة الابدان
واعتدال القدود ✻ وخضب تفاحنا الاحمر ✻ فوق بياض الخدود ✻
وانتم يا عشاق ✻ لكم قلبنا والجسوم في غير ✻ لكم انتم اللقاح ✻ وما نعتقد ✻ منكم الا الخيار

وملاح مصر قالت ✻ نحن اصحاب الوجوه الملاح ✻ والحلاوه وطيبة الاخلاق ✻
في الخلا بي مباح ✻ احنا الاقمار ✻ احنا بدور الليل ✻ وشموس الصباح ✻
وفي الالفاظ والظرف والمعنى ✻ تيسر لنا حد حار ✻ وورثنا ذا الحسن من يوسف ✻ واكتسينا افتخار

حسن جي الفرارجي فرحه ✻ بدور في السحر لاح ✻ فرخ ناج اخرجن من قشره ✻
فاق ملاح الملاح ✻ كلما اعمل على رمناه يفسد ✻ بجفاه الصلاح

ون

ومن البيضه قد خرج نافر ✻ رد جفني حفار ✻ وخد بياض جسمي ✻ خلقوا بالصغار

وتم الظل خط بالابيض ✻ في اخضرار الطروس ✻ قم يا ساقي على بساط زهري
تحت ظل العروش ✻ ها قد تجلت شمس راح تحول قرقف ✻ بكر عذرا عروس ✻
لها لطف النسيم ✻ وضوء الما وابتهاج النار ✻ قد جلوها في كاس زجاج ابيض ✻ اكتسى باحمرار

خمر فيه سر لو حل في اشياف ✻ رد الاعمى بصير ✻ اقطع القطف اسود كالليل
شفق اخو بصير ✻ يا ترى ذا السر في كرموا ✻ او تحول في العصير ✻
وذاك النور الي شمله يلمح ✻ ذاك من ايش استنار ✻ وذاك الكاس لي حاكي ياسمين ✻ من كساه جلنار

احمد الشرع بين الاسلام ✻ والهدى والظلام ✻ والشرع والباطل والحلال والحرام
نبي من بين اصابعوا تحقيق ✻ نبع الما الزلال ✻
ولوان النبات جميع ✻ اقلام والمداد انهار ✻ والخلايق تكتب مد يحوا ✻ تاه كل عاقل وحار

خلق استاد في اللغز بانطلاق ✻ ذاق غداة المنون ✻ ما تقيسوا بالشكل غير ناقص
عقل زايد جنون ✻ شيخ مصدر اديب لبيب ✻ عاقل في جميع الفنون ✻
بانضاعوا مع الصغار مرفوع ✻ فوق رؤس الكبار ✻ واهل الادب تجري ولا تلحق ✻ للغباري غبار

لناصر الغيطي رحمه الله

كنز روضي طالبو يسعد ✻ با خليج قم في دجى الاسحار ✻ تلتقي والندى يبرهج ✻ فوق فصوص غرايب النوار
كنز طالب نزهة للطالب ✻ جوهر وابن الورق يروج ✻ ولجين الما ينكسر
با خليج هيا تعا اتفرج ✻ بين عنا بر تلتقي الخلج ✻ كل اخذ مع الفؤاد يبدج
واخر في عروس الرياض يرتع ✻ في نجم واغصان وماوا طيار ✻ فوق بساط زمرد ✻ وقضبان كل ورد احلت لنا دينار

وعمل في الروض سماع باكر ✻ بين الاغصان والزهور انغام ✻ شبب الريح والغدير صفق
والخليج من كثر وجدوا هام ✻ والنخل باكمامها ترقص ✻ وافضل الريحان بحال اعجام
رفعوا مكشفين الرؤس ✻ من سحر في وقت الاستغفار ✻ والعصافير شيخهم زيق ✻ لو طويق بين الازاهر طار

وكذا الياسمين بحال فضه • مزبت لاهل النزه صلبان • والشحارير لابسين اسود
بقلوسات كنهم رهبان • وكذا الكتان وهو مصفر بجامع زرق للناس بان
وانجلت بين القسوس في الحاله • وعلينا دارها الخمار • والقطيع الزاهي يحكي
شخص والتتويج عليه زنار
الفراق ناره والوصال جنته • والخلايق بعضهم يعشق • ذا حبيب لهوا عليه غضبان
وذا محبوبوا عليه لشفق • والحبيب الهجر بتوقد • ونعيم وصل الملاح لعشق
والمليح عندي وانا في امان • وسط روضه زهرها معطار • في نعيم بين حور وبين
ولدان • والحسود مسكين صبح في نار
ناصر العيلطي صحب انسان • انكر الصحبا وعاداني • وبغضني حين بغيب مسمي •
والا لله بفضله سماني • في بلاد قبلي وارض الشام • يشكروني سايرا قراني •
والشجيع الشاطر المذكور • في جميع الارض لو مذكار • والبطل يوقع ولو انحلق •
ما يصل مراتب الشطار

وله ايضا رحمه الله وعفى عنه

جار حبيبي فقلت ذا الحجاج • ذا يجوزوا بيزيد • لو عدل كنت عشت به مسرور
ويكون الرشيد
اقلع القلب في هوى العشاق • والدموع في انحدار • وبحور الهوى اذا هاجت
ليس لها من قرار
كنت احسب قلبي معي رايس • غرقوا ذا البحار • صحت لما وصلت يا محبوب •
عشق بحرك مديد • خفت فيه الغرق • فقال افرح من غرق مات شهيد
انا يوم في الخبو قد با تفرج • على شط الغدير • واذا انا بشخص يتفرج • شبه صياد معبر
نظرت مقلتي الى منظر • ما احسنه نظير • قلت يا عين لا غرك الصياد • بالجمال المصيد
يوقعك في فخاخ شباك عشقوا • وكراكي يصيد
من يحبو حديد حبيب قلبي • يوم صد فتو صدف • قلت لي يا قاسي لمن دمعو
سال وحالو وقف • دار وقال لي ما الاسم يا بخيل • قلت اسمي خلف
ما تلين لو يا حديد
لك عوارض في الخد مرقومه • ليس لها من مثال • وجمالك مار حاق • وباب د ملك
كان وكان يا غزال • وانت ذو بيت موشح • الفاما يا عزيز الهلال •
ولك الفاظ صارت مواليا • بالزجل والنشيد • وبشعرك متوج القوما
وانت بيت القصيد

وقال صفي الدين الحلي رحمه الله
تهنية لسلطان ماردين بالصوم
يسمونها نصف خرجه

انت يا قبلة الكرام • زينة الملك والدين • الله يعطيك فوق ذا المقام
ويحمدك على السنين
انت شاما بين الانام • الله يحرس شمايلك • ويؤيدك بالدوام • حتى تعيش في نوالك
وانا يطوي ذكر الكرام • لما ننشر فضايلك • ونهنيك بكل عام •
والخلايق تقول امين
تدعونا بك في امان • الله يعطيك لذة البقا • الله يحييك طول الزمان • في سعادة بلا شقا
انت كسرى في ذا الاوان • صاحب العدل والتقا • قد حويت عز واحتشام •
وسماح وراي ودين
ما راينا تحت ذا الفلك • في الورى من يداك اعم • كل من جا ليسالك • ليس يقول لو سوى نعم
ذا ملك انت او ملك • ضاعف الله لك النعم • انت في الجود كالغمام •
وسماك افق ماردين
نذر اجدك السعيد • وسماجدك المجيد • وعلا قدرك المجيد • فحكيت جدك السعيد
انت منصور فيما تريد • بسداد رايك الرشيد • انت مامول عقد الزمام •
وحماك للورى امين
لا عدمناك في كل صوم • ذا السحور فيك وذا الهنا • كل ليلي وكل يوم • ننشر الشكر والثنا
الله يعيدك من خير قوم • بالغ القصد والمنا • حتى تقضي فرض الصيام •
بين ولدان وحور عين

وقال خلد الرفا [illegible] رحمه الله

خال عبد الرحمن نقطت حبر من عنبر ول و م تغر محشيق انوث و ع و ر سلكين من عقيق
فيهم د ر د و ر ووجهه المنير لما س و ف د ر عن حسنوا العجيم شال السعد فوق راسوا
ع و ل د م ذا الي قدهوا قلبي ص و ب و ى بليح ما رايت مثلو ط و ب و ى ما احلاه عند ما
يلبس ق و ب و ى دبي في النعيم لكنو يطوري قد ر و س و م ذبت من صدو وجبي ع و ص ف
وقلبي الطيرهم يهجى ق و ر ن و ص ولما رايت صبري ا ن ر ق د ن بت في جحيم واصبحت في
دجود فكري ع و د و م قلت يوم لمن كان لي س و ن و د والخزي الوجم ما افلح قط يا ابي من
ط و ل و م

الفن الخامس المواليا

وله وزن واحد واربع قوافي فمن ذلك الاربعة واحلة لصفي الدين الحلي رحمه الله

للحلي مدح

باطاعن الخيل والابطال قد غارت • والخصب لو نح والامواه قد غارت
هواطل السحب من كفيك قد غارت • والشهب مذ شاهدت طلعتك قد غارت

وله ايضا رحمه الله

سل مقلتيك الكحل عن سلاسلها • واسأل مراشفك من يرشف سلاسلها
وعارضيك الذي مدت سلاسلها • كم من اسود ضواري في سلاسلها

وقال اخر

قد اوعدونا الغضايا اننا نخلوا • في ظل بستان حاذق بالثمر نخلوا
والظل من فوقنا قد بلنا نخلوا • ومن كلام الاعادي قط ما نخلوا

وقال اخر

اقسم وحق منشيها وجامعها • ومن امرنا بمسجدها وجامعها
لو حل مع منبتي عابد وجامعها • كان افتتن بمحاسنها وجامعها

وقال اخر اثنين اثنين

قم اسقني ما تبقا من ابا ريقوا • اما ترى الصبح قد لاحت اباريقوا
وشادن كلما دارت سقاريقوا • سقى المدام وان عزت سقاريقوا

وقال اخر مثله

البارحة رايت بحيني في الدجاجين • اثنين مثل البدورا في الدجاجين
يا ديتهم اين كنتوا يا خفاجيين • قالوا لمن قد وعدنا في الخفاجيين

وقال اخر حرف حرف

ق د ز د ت ه ج ر ف ك • ن ل ى ع ف ع ن ص ب ك
خ ل ت ك ت ه ج ر ت ك • د ر ق ل ه م ن ح ب ك

شرح البيتين

قد زدت هجر فكن لي عف عن صبك • خليتك تهجر تكد رقلب من حبك

وقال اخر خمري

كاس الطلا لطلاها طار لما سر • وصار لما جرى خمرا مكلل در
مدام لو طعم حلو ما هو مر • ما حل ملوك الاصار مالك حر

وقال اخر حربي

لك يا امام الوغا في كل موقع حرب • سماع بطرب منوا السامع وينفي الكرب
هذا ولك كلما دارت رحاة الحرب • سيف يغني وكف لا يعل الضرب

دقال

وقال الصفي الحلي رحمه الله

اغنت واقنت كفوفك في الندى والحرب • في القرب والبعد من شرقها والغرب
وفيض جودك وسيفك بالعطا والضرب • ذا للكرب افرج وذا رمى في القلوب الكرب

وله ايضا رحمه الله

من قال جود كفوفك والحيا شيئين • اخطا القياس وفي قولوا جمع ضدين
ما جدت الا وثغرك مبتسم اي بازين • وذاك ما جاد الا وهو باكي العين

وله ايضا في مثل ذلك

لما استغابوا وعابوا مجدك المحسود • قالوا نخوض الردا ونتلف الموجود
فكان ذا الذم عين المدح والمقصود • انك حري في الوغا وشرف في الوجود

وله يهنيه بعيد

اريت ذا العيد اول يوم من عمرك • ورايت ذا اليوم مع ذا الشهر في نفرك
ورايت ذا الشهر مع ذا العام طول امرك • والكل بالكل اول مبتدا امرك

وله يعاتب بعض الولاه

عني تسليت واسياف الجفا سليت • ومذ توليت عن طرق الوفا وليت
لما توليت بالاعمال لي وليت • اذا تخليت تعرف قدر من خليت

وله ايضا رحمه الله

اي قلب ان غدروا فاغدر وان خانوا • فخن وان قسوا فاقس وان لانوا
فلن وان قربوا فاقرب وان بانوا • فبن وكن انت معهم كيف ما كانوا

وله ايضا عفى الله عنه

حلف علي احكارا ان يعاطعني • وصدعني واقسم ما يطا وعني
كم ذا ابيد استرحتوا كم دصدعني • ان كنت هو المطلق لا تراجعني

وله في هجو

قطع قفا ابن اخت خالك وابن اخو عمك • والكلب يصفع ابو بنتك وابن امك
وان تكلمت تصفع حتى يسيل دمك • وان سكت فاير الكلب في فمك

وقال اخر

ان ردت تسلم طوال الدهر ما تبرح • لا تياس ولا تقنط ولا تفرح
واصطبر فقط لا تحزن ولا تفرح • وان ضاق صدرك ضحى اقرا الم نشرح

وقال اخر

ان كنت عاقل وربك بالنقي يسترك • ادفع اذاك وهات خيرك ودع شرك

وان رأيت حسودي بالحسد ضرك • يا ذبه يا ايها الانسان ما غرك •

وقال آخر

يا قلب ان خانك المحبوب لا تدبر • عنوا وقصتك بالسلوان لا تخبر •
واستعمل الصبر دأبي الحد وتقتر • فان والله ما ذاب الذي يصبر •

الفن السادس الكان وكان

وله وزن واحد وقافية واحدة ولكن الشطر الاول من البيت اطول من الشطر الثاني

فمنه من الوعظيات

يا قاسي القلب ما لك تسمع وما عندك خبر • ومن حرارة وعظي قد لانت الاحجار •
افنيت مالك وحالك في كل ما لا ينفعك • لينك على ذا الحانه تقلع عن الاضرار •
تحضر ولكن قلبك غايب وذهنك مشتغل • فكرك بما منعطف تخسر من الحضار •
ويحك تنبه يا فتى واسمع مقالي واستمع • ففي المجالس مجالس تحجب عن الابصار •
تحصي دقايق فعلك وعمر لحظاتك تعمله • وكيف تحرم عنه غوامض الاسرار •
تلائمت قولي ونصحي لمن تدبر واستمع • ما في النصيحة فضيحة كلا ولا انكار •

ومنه ايضا

صرح بذكر المحبة • ما في المحبة فايدة • وقل نعم انا عاشق •
صادق بلا تمويه •
ودع حديث العواذل • ليس الخبر مثل النظر • انا عشقت حبيبا •
كل المعاني فيه •
من اين للبدر حسن • يحكيه او شمس الضحى • حاشا لذاك المنظر •
من مشبه يحكيه •
ان غبت فهو انيسي • وان حضرت منادمي • وان شربت مدامي •
فالكاس هو ساقيه •
فمنه روحي وراحي • اذا تفكرت وراحتي • وفيه عزي وذلي •
بمهجتي افديه •
قولوا لمن قد لحاني • في الحب قصر واعتبر • هذا الذي قد عشقتوا •
حار وصفي فيه •

وقال صفي الدين ابو المحاسن الحلي رحمه الله

شهدت طيرا في ايدي • وتمت حتى انصب شرك • ماكل صيد يحصل • تفرح الصياد
طيري الذي كان الفي • لو ردت مثلو ما حصل • وهو عليا متحود • وانا عليه معتاد

قد كان شرطي وخلقي • لبرح غيري ما عرف • كانما في الصحبه • جبنا على ميعاد •
من قبل ما اصفر لو • يجي ويدخل ممدوي • وانا ازمدو من مطارد • او خاف لابتعاد •

وله ايضا رحمه الله

ما ذقت عمري جرعه • امر من طعم الهوى • الله يعين لقلبي • على الذي يهواه •
الناس تعلم مني • حال الجلاده والقوى • وما اطيق اجلد • عن الم جفاه •
لي حب مثل الخوخه • لو لون وطعم وريحه • ما اكثر محاسن حبيبي • وما اقل وفاه •
انا عرفتو اخطي • الى من احسن لو ليبي • لو كنت اعشق خلا • ما كنت قط اراه •

وله من الغراميات

يا سادة هجروا • وكم تزول بخاطري • لا اوحش الله منكم •
في ساير الاوقات •
اوحشتم العين مني • وانستم في خاطري • فالقلب في النور منكم •
والعين في ظلمات •
قد انتهى الهجر مني • وما بقي رمق • هيهات اني احيا •
من بعدكم هيهات •
لم يبق غير خيالي • يلوح كالشبح الخفي • اعد بين الاحيا •
وانا من الاموات •
ودعتموني وسرتم • والقلب يتبع ركبكم • ايش لو كان جسمي •
من جملة التبعات •
ما مر ما رايت ضدي • يقول لي من فرحته • هون نشق المرابع •
وتسكب العبرات •
لو لم اسل روحي • واروض نفسي بالمنا • لكان قلبي تقطع •
من بعدكم حسرات •
وقفت لما رحلتم • حيران بين اصحابكم • اخفض جناح المذله •
وارفع الاصوات •
طول الليالي اسهر • كي ازيد الكميا • اقطر الدمع مني •
واصعد الزفرات •
ما اطول ليالي جفاكم • ساعاتها مثل السنه • وما اقصر ايام وصلي •
كانها ساعات •
مالي اري حسناتي • بالسيئات ابتدلت • وسيآت الاعادي • تبدلت حسنات •

خالفتموني وعموي • مازلت ابتح امركم • كذا العبيد تتابع • اوامر السادات •
نسكت ونصبر عنكم • ويفعل الله ما يشا • فالدهر من عاداته • تقلب الحالات •

الفن السابع القوما

وقيل اول من اخترعها ابن نقطه برسم الخليفة الناصر رحمه الله وال‍صحيح انه مخترع من قبله
وكان الناصر يطرب له وكان لابن نقطة ولد صغير ما هو في نظم القوما فلما توفي ابوه
اراد ان يعرف الخليفه بموت والده ليجريه على مفروضه فتعذر ذلك عليه فصبر الى دخول
شهر رمضان ثم اخذ اتباع والده من المسحرين ووقف في اول ليلة من الشهر تحت الطيارة
وغنى القومة بصوت رقيق فاصغى الخليفة اليه وطرب له فلما وصل الى القوما كان اول ما قاله

يا سيد السادات • لك بالكرم عادات
انا بني ابن نقطة • تعيش انت ابي مات

فاعجب الخليفة منه هذا الاختصار واستحضره وخلع عليه وفرض له مثل ما كان لابيه رحمهم الله

ومنها لصفي الدين الحلي رحمه الله

من كان يهوى البدور • ووصل بيض الخدود • بالبيض والصفر يسخو • وقد جلس
في الصدور
من حب بيض الخدود • ورام لزوم الصدور • يسخو ولا يبقي • من بينهم مهدور •
كم بين سجف الخدور • من عاشق مصدور • يرعى الكواكب للحلو • يرى جمال البدور •
بين الكلل والخدور • وجوه مثل البدور • اشراقها في المحاجر • وعزها في الصدور
قد كمنت فوق الصدور • بين الظبا والبدور • قد صرت احسد من ابصر • خبا منهم
والخدور
نوايب المقدور • مثل الكواكب تدور • من بعد طيب الخواطر • يفضي بضيق الصدور
غيري يلف الصدور • وانا عليكم ادور • واصلتم الصدود لنا • من بينهم مهدور •

وله ايضا رحمه الله

حال الهوى مخبور • يريد جليد صبور • يصون سره والا • يبقى من اهل القبور
من كان هواه مستور • يحظى برفع الستور • ومن هتك ستر حبه • عمي من الدستور •
ابذل لبيض النحور • اموال مثل البحور • ان ردت تظفر بملك • ولدا بهم والحور
ثم وابذل المدخور • وفي العطا لا تجور • تريد هذه المحبه • قلوب مثل الصخور
كم حول تلك الخدور • من عاشق مهدور • مثل الدوالي بجري • دموعها وتدور •
من يركب المحذور • هو في الهوى معذور • يظهر حبه ويبلغ • قصده وبوفي النذور
كن بالهوى مسرور • ولا تبيت محرور • واجعل تراب عتبتهم لاجفان عينك ذرور

طرق

طرق المحبه وعور • كم بينها مذعور • من فتك بيض السوالف • على سواد الشعور
كم عاشق مرغوم • في حب بيض النحور • يغار قلبي ولكن • مدامعه ما تغور •
كم بينهم بجفور • كالظبا آنس نفور • من اهل بدر فديته • البشر ما عمل يغفور

ومن ذلك ما نظمه يسحر به بعض الملوك في رمضان

لازال سعدك جديد • دايم وجدك سعيد • ولا برحت مهني • بكل صوم وعيد •
في الدهر انت الفريد • وفي صفاتك وحيد • فالخلق شمع منقح • وانت بيت القصيد
يا من حنا بو شديد • ولطف رابو سديد • ومن يلاقي الشدايد • بقلب مثل
الحديد

لازلت في تاييد • في الصوم والتعييد • ولا برحت مهني • بكل عام جديد •
عنا الذكوك نشيد • بقولنا والنشيد • ونبعت اوصافه مدحك • على خيول
البريد

ظلك علينا مديد • ما فوق جودك مزيد • وقد عمرت بفضلك • قريبنا والبعيد
لازلت في كل عيد • تحظى بعمر سعيد • عمرك طويل وقدرك • وافر وظلك مديد
لازال قدرك مجيد • وظل جودك مديد • ولازلت توقى • كما يوقى الوليد •
مازال برك يزيد • على آقل العبيد • ومابرح جود كفك • منا كحبل الوريد •
لازال ظلك مديد • دايم وباسك شديد • ولا عدمنا نوالك • في صوم وفطر وعيد •

ومما قيل من الحماق

انا عبوري الحمام • بجسمي حتى بنضف
الا لدمع جاري • على الما ولا يوقف
ودبك الجاري يجري • ودمعي ينسا بقها
تقول الانا عرح الحمام • لذا احباب وفارقها

ومنه ايضا

نوى كل من نحشقوا • علينا يقيم انفوا
فاسلاه واترك هواه • واشد الطريق خلفوا
وان زاد علينا عشقوا • وزاد في الهوى والذله
نركتو ولوانو يحيى • اهل القبور الكل

وقد انتهى الكلام فيما اشرت اليه من السبع فنون وذكرت منها ما تبتهج به النفوس
وتقر برؤيته العيون • واختصرت ذلك الى الغاية • فجا بحمد الله في الحسن نهايه •
واسال الله التوفيق منه وكرمه • والمزيد من فضله ونعمه • وصلى الله على سيدنا محمد واله وسلم •

الباب الثالث

والثلاثون في ذكر النساء وصفاتهن ونكاحهن وطلاقهن وما يحمد وما يذم من عشرتهن وفيه فصول

الفصل الأول في النكاح وفضله والترغيب فيه قال الله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلث ورباع الآية وقال تعالى وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقال تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء او اكننتم في انفسكم الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء وقال صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوار عندكم وقال صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم سوداء ولود خير من حسناء عقيم وقال صلى الله عليه وسلم اعظم النساء بركة احسنهن وجها وارخصهن مهرا فينبغي للرجل اذا تزوج ان يرغب في الدين وان يختار الشرف والحسب كما حكي ان نوح ابن ابي مريم قاضي مرو رحمه الله اراد ان يزوج ابنته فاستشار جارا له مجوسيا فقال سبحان الله الناس يستفتونك وانت تستفتيني قال لا بد ان تشير علي قال ان رئيسنا كسرى كان يختار المال ورئيس الروم قيصر كان يختار الحسب والنسب ورئيسكم محمد عليه السلام كان يختار الدين فانظر بايهم انت تقتدي وقال رجل للحسن رحمه الله ان لي ابنة فمن ترى ان ازوجها قال زوجها ممن يتقي الله فان احبها اكرمها وان ابغضها لم يظلمها وقيل لرجل من الحكماء فلان يخطب فلانة قال اموسر من عقل ودين قالوا نعم قال فزوجوه ويستحب ان يختار البكر لقوله صلى الله عليه وسلم عليكم بالابكار فانهن اعذب افواها وانتق ارحاما وقالوا في البكر اشهى المطي ما لم تركب كاللآلي ما لم تثقب

وانشد عتيم رحمه الله

شعر

قالوا نكحت صغيرة فاجبتهم … اشهى المطي الي ما لم يركب

كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة … ثقبت وحبة لؤلؤ لم تثقب

فاجابته امراة تقول

ان المطية لا يلذ ركوبها … حتى تذلل بالزمام وتركبا

والحب ليس بنافع اربابه … ما لم يؤلف في النظام ويثقبا

وقال خالد بن صفوان رحمه الله

عليك

عليك اذا ما كنت لا بد ناكحا … ذوات الثنايا بالغر والاعين النجل

وقيل استشار رجل داود عليه السلام في التزويج فقال سل سليمان عليه السلام واخبرني بجوابه فصادفه يلعب مع الصبيان راكب قصبة فقال عليك بالذهب الاحمر والفضة البيضاء واحذر الفرس لا يضربك فلم يفهم الرجل ذلك فقال له داود عليه السلام الذهب الاحمر البكر والفضة البيضاء الثيب الشابة ومن وراءهما كالفرس الجموح وقال صلى الله عليه وسلم تخيروا لنطفكم وقال انظر في اي شيء تضع ولدك فان العرق دساس وقال عليه السلام اياكم وخضراء الدمن قالوا وما خضراء الدمن قال المراة الحسناء في المنبت السوء وانشدوا

بيت

واول خبث الماء خبث ترابه … واول خبث القوم خبث المناكح

وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسترضعوا الحمقاء ولا العمشاء فان اللبن يعدي وقيل ان جعفر بن سليمان بن علي رحمه الله عاب يوما على اولاده وانهم ليسوا كما يجب فقال له ولده احمد بن جعفر انك عمدت الى فاسقات مكة والمدينة واماء الحجاز فاوعيت فيهن نطفك ثم تريد ان ينجبن وانما نحن لصباحات الحجاز هلا فعلت في ولدك ما فعل ابوك فيك حين اختار عقيلة قومها

وانشد في ذلك

صفات من يستحب الشرع خطبتها … جلوتها لاولي الابصار مختصرا

حسيبة ذات دين زانها ادب … بكر ولود حكت في حسنها القمرا

غريبة لم تكن من اهل خاطبها … هذي الصفات التي اجلو لمن نظرا

بها احاديث جاءت وهي ثابتة … احاط علما بها من في العلوم قرا

وقال آخر

مطيات السرور فويق عشر … الى العشرين ثم قف المطايا

فان جاوزت المسير فسر قليلا … وبنت الاربعين من الرزايا

بيت

فاياك اياك العجوز ووطئها … فما هو الا مثل سم الاراقم

واعلم ان العيش كله مقصور على الحليلة الصالحة والبلاء كله موكل بالقرينة السوء التي لا تسكن النفس الى عشرتها ولا تقر العيون برؤيتها وفي حكمة سليمان بن داود عليهما السلام المراة العاقلة تبني بيت زوجها والسفيهة تهدمه وروي انه لما حضر ابو طالب نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة بنت خويلد رضي الله عنها ومعه بنو هاشم ورؤساء مضر قال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسمعيل وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس

ثم ان محمد بن عبد الله بن اخي من لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به برا وفضلا وكرما
ومجدا ونبلا فان كان في المال ظل زايل ورزق حايل وقد خطب خديجة بنت
خويلد وبذل لها من المال ما حله واجله من مالي وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر
جليل ولما خطب عمرو بن حجر الكندي الى عوف بن محلم الشيباني ابنته ام
اياس واجابه الى ذلك اقبلت عليها امها ليلة دخوله بها توصيها فكان مما اوصتها
به ان قالت اي بنية انك فارقت جوك الذي منه خرجت وعشك الذي منه
درجت الى رجل لم تعرفيه وقرين لم تألفيه فكوني له امة يكن لك عبدا واحفظي
له خصالا عشرا يكن لك ذخرا اما الاولى والثانية فالرضى بالقناعة وحسن السمع
له والطاعة واما الثالثة والرابعة فالتفقد لمواضع عينيه وانفه فلا تقع عينه
منك على قبيح ولا يشم انفه منك الا اطيب رائحة واما الخامسة والسادسة فالتفقد
لوقت منامه وطعامه فان شدة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة واما السابعة
والثامنة فالاحتراز لماله والارعاء على حشمه وعياله واما التاسعة والعاشرة
فلا تعصين له امرا ولا تفشين له سرا فانك ان خالفت امره اوغرت صدره وان
افشيت سره لم تأمني غدره ثم اياك والفرح بين يديه ان كان مهتما والكآبة بين
يديه اذا كان فرحا ففعلت وصية امها فانجبت وولدت له الحارث بن عمرو جد
امرئ القيس الشاعر وعن الهيثم بن عدي الطائي عن الشعبي قال لقيني شريح فقال لي
يا شعبي عليك بنساء بني تميم فاني رأيت لهن عقولا قلت وما رأيت من عقولهن قال
اقبلت من جنازة ظهرا فمررت بدورهم فاذا انا بعجوز على باب دار الى جانبها جارية
كاحسن ما رأيت من الجواري فعدلت فاستسقيت وما بي عطش فقالت اي الشراب
احب اليك قلت ما تيسر فقالت ويحك يا جارية ائتيه بلبن فاني اظن الرجل غريبا فقلت
للعجوز من هذه الجارية قالت هي زينب ابنة حرير احدى نساء بني حنظلة قلت
افارغة ام مشغولة قالت فارغة قلت زوجينيها قالت ان كنت لها كفيا ولم تقل
كفوا وهي لغة تميم فتركتها ومضيت الى منزلي لاقيل فيه فامتنعت مني القائلة فلما
صليت الظهر اخذت بايدي اخواني من العرب الاشراف علقمة والاسود والمسيب
ومضيت اريد عمها فاستقبلنا فقال ما شانك يا ابا امية قلت زينب ابنة اخيك
قال ما لها عنك رغبة فزوجنيها فلما صارت في حبالي ندمت وقلت اي شيء
صنعت بنساء بني تميم وذكرت غلظ قلوبهن فقلت اطلقها ثم قلت لا ولكن ادخل بها
فان رأيت ما احب والا كان ذلك فلو شهدتني يا شعبي وقد اقبل نساؤها يهدينها
حتى ادخلت علي فقالت ان من السنة اذا دخلت المرأة على زوجها ان يقوم فيصلي ركعتين

دينار

ويسألا الله تعالى من خيرها ويتعوذ من شرها فصليت ثم سلمت فاذا هي تصلي بصلاتي
فلما قضيت صلاتي اتتني جواريها فاخذن ثيابي والبستني ملحفة قد صبغت بالزعفران
فلما خلا البيت دنوت منها فمددت يدي الى ناصيتها فقالت على رسلك ابا امية ثم قالت
الحمد لله احمده واستعينه واصلي على محمد وآله اما بعد فاني امرأة غريبة لا علم لي باخلاقك
فبين لي ما تحب فآتيه وما تكره فاجتنبه فانه قد كان منكح في قومك ولي في قومي مثل
ذلك ولكن اذا قضى الله امرا كان وقد ملكت فاصنع ما امرك الله اما امساك بمعروف
او تسريح باحسان اقول قولي هذا واستغفر الله لي ولك قال فاحوجتني يا شعبي الى
الخطبة في ذلك الموضع فقلت الحمد لله احمده واستعينه واصلي واسلم على محمد وآله
اما بعد فانك قد قلت كلاما ان تثبتي عليه يكن ذلك حظك وان تدعيه يكن حجة عليك
احب كذا واكره كذا وما رأيت من حسنة فانشريها وما رأيت من سيئة فاستريها قالت
كيف محبتك لزيارة الاهل قلت ما احب ان يملني اصهاري قالت فمن تحب من جارك يدخل دارك
آذن له ومن تكرهه اكرهه قلت بنو فلان قوم صالحون وبنو فلان قوم سوء قال
فبت معها يا شعبي بانعم ليلة ومكثت معي حولا لا ارى الا ما احب فلما كان راس الحول جئت
من مجلس القضاء فاذا انا بعجوز في الدار تأمر وتنهى قلت من هذه قالت فلانة ختنتك
قلت مرحبا واهلا فلما جلست اقبلت العجوز فقالت السلام عليك يا ابا امية فقلت
وعليك السلام واهلا بك ومرحبا قالت كيف رأيت زوجتك قلت خير زوجة فقالت
يا ابا امية ان المرأة لا يرى اسوأ منها في حالتين اذا ولدت غلاما او حظيت عند زوجها
فان رابك مريب فعليك بالسوط فوالله ما حازت الرجال الى بيوتها اشر من الشوهاء
المدللة فقلت والله لقد ادبت فاحسنت الادب وروضت فاحسنت الرياضة قالت
كيف تحب ان تزورك اصهارك قلت ما شاؤوا فكانت تأتيني في راس كل حول فتوصيني بتلك
الوصية فمكثت معي يا شعبي عشرين سنة لم اعب عليها شيئا وكان لي جار من كندة يفزع امرأته
ويضربها فقلت في ذلك

شعر

رأيت رجالا يضربون نساءهم * فشلت يدي يوم اضرب زينبا
ااضربها في غير ذنب اتت به * فما العدل مني ضرب من ليس مذنبا
فزينب شمس والنساء كواكب * اذا طلعت لم يبد منهن كوكبا

وخطب الحجاج بن يوسف الى عبد الله بن جعفر ام كلثوم على الفي الف في السر وخمسمائة في العلانية
فاجابه الى ذلك وحملها الى العراق فاقامت عنده ثمانية اشهر فلما خرج عبد الله بن جعفر الى
عبد الملك بن مروان وافدا نزل بدمشق فاتاه الوليد بن عبد الملك على بغلة ومعه الناس
فاستقبله ابن جعفر بالترحيب فقال له الوليد لكنك انت لا مرحبا بك ولا اهلا قال

مهلا يا ابن اخي فلست اهلا لهذه المقالة منك قال بلى والله ولشر منها قال وفيم ذلك
قال انك عمدت الى عقيلة نسا العرب وسيدة نسا بني عبد مناف فعرشتها عبد ثقيف
يتفخذها قال وفي هذا عتب علي يا ابن اخي قال نعم قال والله ان احق الناس ان لا
يلومني في هذا الا انت وابوك لانه كان من قبلكم من الولاة يصلون رحمي ويعرفون
حقي وانك وأباك منعتماني رفدكما حتى ركبني من الدين ما والله لو ان عبدا حبشيا مجدعا
اعطاني بها ما اعطاني عبد ثقيف لزوجتها منه وانما فديت بها رقبتي فما راجعه كلمة حتى عطف
عنانه ومضى حتى دخل على عبد الملك فقال ما لك يا ابا العباس قال انك سلطت عبد ثقيف
وملكته حتى يتفخذ نسا بني عبد مناف فادركت عبد الملك غيرة فكتب الى الحجاج يعزم عليه
ان لا يضع كتابه من يده حتى يطلقها ففعل ذلك قال ولم يقطع الحجاج عنها رزقا ولا كرامة
يجريها عليها حتى خرجت من الدنيا وما زال واصلا لعبد الله بن جعفر حتى مات ما كان يأتي
حول الا وعنده عير مقبلة من الحجاج عليها اموال وكسوة وتحف وذكروا ان المغيرة
بن شعبة لما ولي الكوفة سار الى دير هند ابنة النعمان وهي فيه عميا مترهبة فاستأذن
عليها فقالت من انت قال المغيرة بن شعبة الثقفي قالت ما حاجتك قال جئت خاطبا قالت
انك لم تكن جئتني لجمال ولا لمال ولكنك اردت ان تتشرف في محافل العرب فتقول
تزوجت ابنة النعمان بن المنذر والا فاي خير في اجتماع عميا واعور وكان عبد الرحمن
بن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما تزوج عاتكة بنت عمرو بن نفيل وكانت من اجمل نسا قريش
وكان عبد الرحمن من احسن الناس وجها وابرهم بوالديه فلما دخل بها غلبته على عقله واحبها
حبا شديدا فثقل ذلك على ابيه فمر به ابو بكر رضي الله عنه يوم جمعة وهو في غرفة له فقال
يا بني اني ارى هذه المراة اذهلت رايك وغلبت على عقلك فطلقها قال لست اقدر على
ذلك فقال له اقسمت عليك الا طلقتها فلم يقدر على مخالفة ابيه فطلقها فجزع عليها
جزعا شديدا وامتنع من الطعام والشراب فقيل لابي بكر اهلكت عبد الرحمن فمر به ابو بكر
يوما وعبد الرحمن يضطجع في الشمس وهو لا يراه وهو يقول

شعر

اعاتك لا انساك ما ذر شارق * وما ناح قمري الحمام المطوق
فلم ار مثلي طلق اليوم مثلها * ولا مثلها في غير شي يطلق
لها خلق عف ودين ومحتد * وخلق سوي في الحيوة ومصدق

فسمعه ابو بكر فرق له وقال راجعها يا بني ففعل ولم تزل عنده حتى قتل عنها يوم الطايف مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم اصابه سهم فقتله فجزعت عليه جزعا شديدا وقالت ترثيه

شعر

فآليت لا تنفك نفسي حزينة * عليك ولا ينفك جلدي اغبرا
فتالله عمري لم ار مثله فتى * اكر واحمى في الهياج واصبرا
اذا اشرعت فيه الاسنة خاضها * الى الموت حتى يترك الموت احمرا

ثم تزوجها بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته ودعا الناس الى وليمته فاتوه فلما فرغ
من الطعام وخرج الناس قال له علي بن ابي طالب رضي الله عنه يا امير المؤمنين ايذن لي في كلام
عاتكة حتى اهنيها وادعو لها بالبركة فقال نعم فذكر عمر رضي الله عنه ذلك لعاتكة فقالت ان ابا
الحسن فيه مزاح فاذن له يا امير المؤمنين فاذن له فرفع جانب الخدر فنظر اليها فاذا ما بدا
من جسدها مضمخ بالخلوق فقال لها يا عاتكة الست القائلة

بيت

فآليت لا ينفك نفسي حزينة * عليك ولا ينفك جلدي اغبرا

ثم ان عمر رضي الله عنه قتل عنها فجزعت عليه جزعا شديدا فتزوجها بعده الزبير بن العوام
رضي الله عنه وكان رجلا غيورا فكانت تخرج الى المسجد كعادتها مع ازواجها فشق ذلك عليه
وكان يكره ان ينهاها عن الخروج للصلوة لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمنعوا
اما الله مساجد الله فعرض لها في ظهر المسجد وهي لا تعرفه فضرب بيده على عجيزتها ثم انصرف
فقعدت بعد ذلك عن الخروج الى المسجد وكان يقول لها يا عاتكة الا تخرجين الى المسجد
فقالت كنا نخرج اذ الناس ناس ثم قتل عنها الزبير رحمه الله قتله عمرو بن جرموز بوادي السباع
وهو نايم ثم تزوجها بعده محمد بن ابي بكر رحمه الله فقتل عنها بمصر فقالت لا اتزوج بعده
احدا اني احسبني اني لو تزوجت جميع اهل الارض لقتلوا عن اخرهم وحكي عن الحارث
بن عوف بن ابي حارثة رحمه الله انه قال لخارجة بن سنان اتراني اخطب الى احد فيردني قال
نعم قال ومن هو قال اوس بن حارثة بن لام الطايي فقال اركب بنا اليه فركبنا حتى اتينا اوس
بن حارثة رحمه الله في بلاده فوجدناه في فنا منزله فلما راى الحارث بن عوف قال له مرحبا
بك يا حارث ما جاء بك قال جئت خاطبا قال لست هناك فانصرف ولم يكلمه قال ان سيد العرب
الحارث بن عوف رحمه الله قالت فما لك لم تستنزله قال انه استحمق قالت وكيف قال جاني
خاطبا قالت افتريد ان تزوج بناتك قال نعم قال فماذا قالت بان تلحقه فترده قال وكيف
وقد فرط مني ما فرط قالت تقول له انك لقيتني وانا مغضب لامر فلك المعذرة فيما فرط مني
فارجع فلك عندي كما احببت فركب في اثرهما قال خارجة بن سنان فوالله انا لنسير فحانت
مني التفاتة فرايته فقلت للحارث وهو ما يكلمني غما هذا اوس في اثرنا قال وما اصنع به فلما
رانا لا نقف نادى يا حارث اربع علي فوقفنا له فكلمه بذلك الكلام فرجع مسرورا قال خارجة
بن سنان فبلغني ان اوسا لما دخل منزله قال لزوجته ادعي فلانة اكبر بناته فاتته فقال
لها يا بنية هذا الحارث بن عوف سيد من سادات العرب قد جاني خاطبا وقد اردت ان ازوجك منه

فما تقولين قال لا تفعل قال ولم قالت اني امرأة في خلقي ردآءة وفي لساني حدة ولست
بابنة عمه فيرعى رحمي ولا هو جار لك في البلد فيستحيي منك ولا آمن ان يرى مني ما يكره
فيطلقني فيكون علي بذلك شنعة قال قومي بارك الله فيك ثم ادعى بابنته الاخرى فقال لها
مثل قوله لاختها فاجابته مثل جوابها فقال لها قومي بارك الله فيك ثم ادعى بهيسة وكانت
اصغرهن سنا فقال لها مثل ما قال لاختيها فقالت له انت وذاك فقال لها اني عرضت ذلك
على اختيك فابتا ولم يذكر لها مقالتهما فقالت له لكني والله الجميلة وجها الرفيعة خلقا
الحسنة رأيا فان طلقني فلا اخلف الله عليه فقال لها بارك الله عليك ثم خرج الينا فقال
زوجتك يا حارث بهيسة قال قد قبلت فامر امها ان تهيئها له وتصلح شانها ثم امر
ببيت فضرب لها وانزله اياه ثم بعثها اليه فلما دخلت عليه لبث هنيهة ثم خرج الي فقلت
له افرغت من شانك قال لا والله قلت وكيف ذاك قال لما مددت يدي اليها قالت مه
اعند ابي واخوتي هذا والله لا يكون ثم امر بالرحلة فارتحلنا بها معنا وسرنا ما شاء الله
ثم قال لي تقدم فتقدمت فعدل بها عن الطريق فما لبث ان لحقني فقلت له افرغت قال لا
قلت ولم ذاك قال قالت اتفعل بي كما تفعل بالامة المسبية الاخيذة لا والله حتى تنحر
الجزور وتذبح الغنم وتدعو العرب وتعمل ما يعمل مثلك لمثلي فقلت والله اني لارى همة وعقلا
وارجو ان تكون المرأة النجيبة ان شاء الله تعالى فرحلنا الى ان جئنا الى بلادنا فاحضر الابل
والغنم ونحر واولم ثم دخل عليها وخرج علي فقلت له افرغت قال لا والله قلت ولم قال دخلت
عليها اريدها فقلت لها قد احضرت من المال ما تريدين فقالت والله لقد ذكرت من الشرف
ما ليس فيك قلت ولم ذلك قالت اتتفرغ لنكاح النساء والعرب يقتل بعضها بعضا وذلك
في ايام حرب عبس وذبيان قلت فما تقولين قالت اخرج الى القوم واصلح بينهم وارجع الى
اهلك فلن يفوتك ما تريد فقلت والله اني لارى عقلا ورايا سديدا قال فخرج بنا
حتى اتينا القوم فمشينا بينهم بالصلح فاصطلحوا على ان يحسبوا القتلى ثم تؤخذ الدية فحملنا
عنهم الديات فكانت ثلثة آلاف بعير فعرفنا باجمل ذكر ثم دخل عليها فقالت له الآن نعم
واقامت معه في الذ عيش واطيبه وولدت له بنين وبنات وكان من امره ما كان

وحكى الفضل بن محمد الضبي رحمه الله قال حدثنا بعض اصحابنا ان رجلا من بني سعد
مرت به جارية لامية بن عبد الله بن خالد بن اسيد ذات ظرف وجمال وكان شجاعا فارسا
فلما رآها قال طوبى لمن كانت له امراة مثلك ثم اتبعها رسولا يسالها الها زوج ويذكره
وكان جميلا فقالت للرسول وما حرفته فابلغه الرسول ذلك فقال ارجع اليها وقل لها
ثم انشا يقول

شعر

وسائلة ما حرفتي قلت حرفتي * مقارعة الابطال في كل شارق

اذا عرضت خيل لخيل رأيتني * امام رعيل الخيل احمي حقائق
واصبر نفسي حين لا حر صابر * على ألم البيض الرقاق البوارق

فلحقها الرسول وانشدها ما قال فقالت له ارجع اليه وقل له انت اسد فاطلب لنفسك
لبوة فاني لست من نسائك وانشدته تقول

شعر

الا انما ابغي جوادا اعاله * كريما محياه كثير الصدائق
فتى همه مذ كان جود خزينة * يعانقها بالليل فوق النمارق
وينشرها من راحتيه مدامة * مدامة فيها كل حر موافق

وحدث يحيى بن عبد العزيز عن محمد بن عبد الحكم عن الشافعي رضي الله عنه قال تزوج
رجل امراة جديدة على امراة له قديمة فكانت جارية الجديدة تمر على باب القديمة فتقول

بيت

وما يستوي الرجلان رجل صحيحة * واخرى رمى فيها الزمان فشلت

ثم تعود فتقول ايضا

بيت

وما يستوي الثوبان ثوب به البلا * وثوب بايدي البائعين جديد

فمرت جارية القديمة يوما على باب الجديدة وقالت

شعر

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول
كم منزل في الارض يألفه الفتى * وحنينه ابدا لاول منزل

وقال عمرو بن العلاء رحمه الله اعلم الناس بالنساء علقمة بن الطبيب حيث يقول

شعر

فان تسالوني في النساء فانني * بصير بادواء النساء طبيب
اذا شاب راس المرء او قل ماله * فليس له في ودهن نصيب

وسئل المغيرة بن شعبة رحمه الله عن صفات النساء فقال بنات العم احسن مواساة والغرائب
انجب وما ضرب رؤوس الاقران مثل ابن السوداء وقال عبد الملك بن مروان رحمه الله من اراد
ان يتخذ جارية للمتعة فليتخذها فارسية ومن اراد ان يتخذها للخدمة فليتخذها رومية وقال
الاصمعي رحمه الله اتاني رجل من قريش يستشيرني في امراة يتزوجها فقلت له يا ابن اخي القصيرة
النسب هي التي اذا ذكرت اباها اكتفت به والطويلة النسب هي التي لا تعرف حتى تطيل في نسبها
فاياك ان تقع في قوم اصابوا كثيرا من الدنيا مع دناءة فيهم فتضع نفسك بهم وخرج رجل من اهل
الكوفة فكسب جارية وفرسا وكان حلف على ابنة عمه فكتب اليها يخبرها يقول

شعر

الا ابلغوا ام البنين باننا * غنينا واغنتنا الغطارفة النجد

بعيد مناط المنكبين اذا جرى • وبيضا كالتمثال زينها العقد
فهذا لايام العدو وهذه • لحاجة نفسي حين ينصرف الجند

قيل ورد عليها كتابه وقرأته قالت يا غلام هات الدواة فكتبت اليه تقول

شعر

الا اقر منا السلام وقل له • غنينا واغنتنا غطارفة المرد
اذا شئت اغناني غلام مرجل • ونازعته من ماء محتصر الورد
وان شاء منهم ناشئ مد كفه • الى كبد ملسا او كبد نهد
فما كنتم تقضون حاجة اهلكم • شهودا فتقضوها على النأي والبعد
فعجل علينا بالسراح فانه • منانا ولا ندعو لك الله بالرد
فلا قفل الجند الذي انت فيهم • وزادك رب الناس بعدا الى بعد

قيل ورد عليه كتابها لم يزد على ان ركب الفرس واردف الجارية خلفه ولحق بابنة عمه فكان اول شيء بدأها به بعد السلام ان قال بالله هل كنت فاعلة فقالت له الله في قلبي اعظم واجل من ان اعصي الله فيك فكيف وقد طعم الخبرة فوهب لها الجارية وانصرف للغزاة

الفصل الثاني في
صفة النساء المحمودة

كتب الحجاج الى الحكم بن ايوب رحمه الله ان يخطب لعبد الملك بن الحجاج امرأة جميلة من بعيد مليحة من قريب • شريفة في قومها • ذليلة في نفسها • مواتية لبعلها • فكتب اليه قد اصبتها لولا عظم ثدييها • فكتب اليه لا يكمل حسن المرأة حتى يعظم ثدياها فتدفئ الضجيع وتروي الرضيع وقال عبد الملك بن مروان رحمه الله لرجل من غطفان صف لي احسن النساء قال خذها يا امير المؤمنين • ملساء القدمين • درماء الكعبين • ناعمة الساقين • جماء الركبتين • لفاء الفخذين • ضخمة الذراعين • رخصة الكفين • ناعمة الثديين • حمراء الخدين • كحلاء العينين • زجاء الحاجبين • لمياء الشفتين • بلجاء الجبين • شماء العرنين • شنباء الثغر • محلولكة الشعر • غيداء العنق • مكسرة البطن • فقال ويحك واين نجد هذه فقال تجدها في خالص العرب او في خالص فارس • وقيل عليك بمن تربت في النعيم ثم اصابتها فاقة فاثر فيها الغنى وادبها الفقر وقال رجل لخاطبة ابغي امرأة لا تؤنس جارا ولا توهل زائرا يعني لا تدخل على الجيران ولا يدخل الجيران اليها وفي مثل هذه يقول الشاعر

شعر

هيفاء اذا استقبلتها نهي صلف • غيطا غامضة الكعبين معطار
خود من الخفرات البيض لم يرها • بساحة الدار لا بعل ولا جار

وقال الاعشى رحمه الله

بيت

لم تمش ميلا ولم تركب على جمل • ولم تر الشمس الا دونها الكلل

قال كانت امرأة عمران بن حطان من احسن الناس وجها وكان هو من اقبح الرجال وجها فقال لها يوما انا واياك في الجنة ان شاء الله تعالى فقالت له وكيف ذلك قال لاني اعطيت مثلك فشكرت واعطيت انت مثلي فصبرت والشاكر والصابر في الجنة وقال بعضهم رأيت في طريق مكة اعرابية ما رأيت احسن منها وجها فتعمدت انظر اليها واتعجب من جمالها فجاء شيخ قصير فاخذ باذنها وسار بها ومضى فقلت لها من هذا الشيخ قالت زوجي فقلت كيف يرضى مثلك بمثله فقالت

شعر

ايا عجبا للخود يجري وشاحها • تزف الى شيخ من القوم بالي
دعاني اليه انه ذو قرابة • يعز علينا ابن العم والخال

وانشد بعضهم لعمرو بن ابي علقمة رحمه الله

شعر

ومن لا يرد مدحي فان مدائحي • توافق عند الاكرمين مرام
يوافق هذا المشتري الحمد بالندا • نفاق بنات الحارث بن هشام

فقال يا ابن اخي ما بلغك من نفاق بنات الحارث قال كانوا من احسن الناس وجها وكان ابوهن اذا زوجهن بسوقهن ومهورهن الى بعولتهن فقال يا ابن اخي لو فعل هذا ابليس ببناته لتنافست فيهن الملائكة المقربون وقال عبد الملك لابن الرقاع رحمهما الله كيف علمك بالنساء قال انا والله اعلم الناس بهن وانشأ يقول

شعر

قضاعية العينين كندية الحشا • خزاعية الاطراف طائية الفم
لها حكم لقمان وصورة يوسف • ومنطق داود وعفة مريم

وقالوا الحسن احمر وقد تضرب فيه الصفرة مع طول المكث في الكن والتضمخ بالطيب قالوا ان الوجه الرقيق البشرة الصافي الادم اذا خجل يحمر واذا فرق يصفر ومنه قولهم ديباج الوجه يريدون تلونه من رقته • قال علي بن زيد رحمه الله يصف تلون الوجه

بيت

حمرة خلط صفرة في بياض • مثل ما حاك حائك ديباجا

وقال ابن عيلع رحمه الله

بيت

بيضا تحمر خداها اذا خجلت • كما جرى ذهب في صفحتي ورق

وقالوا ان الجارية الحسناء تتلون بتلون الشمس فهي بالضحى بيضاء وبالعشي صفراء وفي بعضها قال ذو الرمة رحمه الله

بيت

بيضاء صفراء قد تنازعها • لونان من فضة ومن ذهب

وقالوا ان الجميلة تأخذ بصرك جملة على بعد فاذا دنت منك لم تكن كذلك والمليحة التي كلما كررت بصرك فيها زادتك حسنا وقالوا اذا اردت ان يسلب ولدك فاغضب المرأة ثم قع عليها

قال الشاعر

ممن حملن به وهن عواقد ۔ حبك النطاق فعاش غير مهبل
حملت به في ليلة مزؤودة ۔ كرها وعقد نطاقها لم يحلل

الفصل الثالث من هذا الباب

في المراة السو نعوذ بالله منها

في حكمة داود عليه السلام ان المراة السو مثل شرك الصياد لا ينجو منها الا من رضي الله عنه وقيل المراة السو غل يلقيه الله تعالى في رقبة من يشا • وقيل لاعرابي كان تجربة للنسا صف لنا النسا قال شرهن الخفيفة الجسم القليلة اللحم المحياض الممراض الصفرا المشومة العسرا السليطة النفرة السريعة الوثبة كان لسانها حربة تضحك من غير عجب • وتدعو على زوجها بالحرب • نفس في السما واسنت في الارض حديدة العرقوب • منتفخة الوريد • كلامها وعيد • وصوتها شديد • تدفن الحسنات • وتفشي السيآت • تعين الزمان على بعلها • ولا تعين بعلها على الزمان • ليس في قلبها عليه رأفة • ولا عليها منه مخافة • ان دخل خرجت • وان خرج دخلت • وان ضحك بكت • وان بكى ضحكت • كثيرة الدعا • قليلة الادعا • تاكل لما وتوسع ذما • ضيقة الباع • مهتوكة القناع • صبيها مهزول • وبيتها مزبول • اذا حدثت تشير بالاصابع • وتبكي في الجامع • بادية من حجابها • نياحة على بابها • تبكي وهي ظالمة • وتشهد وهي غائبة • قد دل لسانها بالزور • وسال دمعها بالفجور • فابتلاها الله تعالى بالويل والثبور • وعظائم الامور وتقال ان المراة اذا كانت مبغضة لزوجها فان علامة ذلك ان تكون عند قربه منها مرتدة الطرف عنه كانها تنظر الى انسان غيره وان كانت محبة له لا تقلع عن النظر اليه • وقال بعضهم في زوجة له

شعر

لقد كنت محتاجا الى موت زوجتي ۔ ولكن قرين السو باق معمر
فيا ليتها صارت الى القبر عاجلا ۔ وعذبها فيه نكير ومنكر

وقال زيد بن عمر رحمه الله في امة له

شعر

اعاتبها حتى اذا قلت اقبلت ۔ ابى الله الا خرقها فتعود
فان طمثت قادت وان طهرت زنت ۔ فهاتيك ترني دائما وتقود

وقال داود عليه السلام المراة السو على زوجها كالحمل الثقيل على الشيخ الكبير والمراة الصالحة له كالتاج المرصع بالذهب كلما راها قرت بها عينه والله اعلم بالصواب

الفصل الرابع من هذا الباب في مكر النساء وغدرهن وذمهن ومخالفتهن

في حكمة داود عليه السلام قال وجدت من الرجال واحد في الف ولم اجد واحدة في جميع النسا

وقال بعض الحكما لا تثق بامراة ولا تغتر بمال وان كثر وقالوا النسا حبائل الشيطان

قال الشاعر

تمتع بها ما ساعفتك ولا تكن ۔ جزوعا اذا بانت فليس تبين
وخنها وان كانت تفي لك انها ۔ على قدم الايام سوف تخون
وان هي اعطتك الليان فانها ۔ لغيرك مع طلابها ستلين
وان حلفت ان ليس تنقض عهدها ۔ فليس لمخضوب البنان يمين
وان سكبت يوم الفراق دموعها ۔ فليس لعمر والله ذاك يقين

وقال طاهر بن سبا رانحيلي رحمه الله

شعر

رايت مواعيد النسا كانها ۔ سراب لباد المناهل حافل
ومنتظر الموعود منهن كالذي ۔ يؤمل يوما ان تلين الجنادل

وقالت الحكما لم تنه امراة عن شي قط الا فعلته وقال طفيل الغنوي رحمه الله في المعنى

بيت

ان النسا متى ينهين عن خلق ۔ فانه واقع لا بد مفعول

وقال النخعي رحمه الله ان من اقتراب الساعة طاعة النساء وقيل من اطاع عرسه فقد اطاع نفسه • وقال علي رضي الله عنه اياك ومطاوعة النسا فان رايهن الى افن وعزمهن الى وهن اكفف ابصارهن بالحجاب فان شدة الحجاب خير لهن من الارتياب وليس خروجهن باضر من دخول من لا يوثق به عليهن فان استطعت ان لا يعرفن غيرك فافعل قال ابو القاسم الغساني رحمه الله

شعر

لا تامنن على النساء ولو اخا ۔ ما في الرجال على النسا امين
ان الامين وان تحفظ جهده ۔ لا بد ان بنظرة سيخون

وقال علي رضي الله عنه لا تطيعوا النسا على حال ولا تامنوهن على مال ولا تذروهن لتدبير العيال ان تركن وما يردن اوردن المهالك وازلن الممالك • يلبسن الخير ويحفظن الشر يتهافتن في البهتان ويتمادين في الطغيان وقال ابو بكر رضي الله عنه ذل من اسند امره الى امراة وقيل ان صيادا اتى الى ابرويز بسمكة فاعجبه حسنها وسمنها فاجازه باربعة الاف درهم فخطاته شيرين وقالت له ان جاك فقل له اذكر كانت ام انثى فان قال ذكرا فاطلب منه الانثى وان قال انثى فاطلب منه الذكر فساله فقال كانت انثى فقال ايتني بذكرها فقال عمر والله كانت بكرا لم تتزوج فقال زه وامر له بثمانية الاف درهم وقالوا اكتبوا في الحكمة الغدر ومطاوعة النسا يورثان الغرم الثقيل وقال حكيم رحمه الله اعص النسا وهواك واصنع ما شئت • وقال عمر رضي الله عنه اكثروا لهن من قول لا

قال ثم نعرّضهن على المسئلة وقالوا استعيذوا بالله من شرورهن وكونوا من خيارهن على حذر

ومما قيل في الباه وذكر الجماع

ذكر الجماع عند مالك بن انس رضي الله عنه فقال هو نور وجهك ومخ ساقك فاقلل منه او اكثر وقال معاوية رضي الله عنه ما رايت منهما في النساء الا عرفت ذلك في وجهه وخلا ثمامة رحمه الله بجارية له فعجز عنها فقال ما اوسع حرك فقالت منشدة

بيت

انت الفدا لمن قد كان يملوه • ويشتكي الضيق منه حين يملاه

وقالت اخرى

شفا الحب تقبيل ولمس • وسحب بالبطون على البطون
وهز تذرف العينان منه • واخذ بالمناكب والقرون

وقالت امراة من اهل الكوفه دخلت على عايشة بنت طلحة فسالت عنها فقيل هي مع زوجها في القيطون فسمعت شهيقا ونخيرا لم اسمع مثله ثم خرجت وجبينها يتصبب عرقا فقلت ما ظننت ان حرة تفعل هذا بنفسها فقالت ان الخيل تشرب بالصفير وعاتبت امراة زوجها على قلة اتيانها فقال انا شيخ ولي امراة عجوز تراودني على ما لا يجوز وقالت رق ايرك مذ كبرنا فقلت بلى قد انسح الفقير وكان لرجل امراة تخاصمه فكلما خاصمته قام اليها خوا قعها فقالت له ويحك كلما تخاصمنا تاتيني بشفيع لا اقدر على رده واتى رجل الى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فقال ان لي امراة كلما غشيتها تقول قتلتني فقال علي رضي الله عنه اقتلها بهذه القتلة وعلي اثمها وقالوا من اقل جماعه فهو اصح بدنا وانقى جلدا واطول عمرا ويعتبرون ذلك بذكور الحيوان وذلك انه ليس حيوان اطول اعمارا من البغال ولا اقصر اعمارا من العصافير وهي اكثرها سفادا

الفصل الخامس من هذا الباب

في الطلاق وما جاء فيه

عن عبد الرحمن بن اخي الاصمعي رحمه الله قال عمي الرشيد في بعض حديثه يا امير المومنين بلغني ان رجلا من العرب طلق في يوم خمس نسوة قال وكيف ذلك وانما يجوز للرجل اربعة قال يا امير المومنين كان متزوجا باربعة نسوة فدخل عليهن يوما فوجدهن متنازعات وكان شنظيرا فقال الى متى هذا التنازع ما اظن هذا الامر فيك يا فلانه قل لامراة منهن اذهبي فانت طالق فقالت له صاحبتها عجلت عليها بالطلاق ولو ادبتها بغير ذلك لكان اصلح فقال لها وانت طالق ايضا فقالت له الثالثة قبحك الله فوالله لقد كانتا اليك محسنتين فقال وانت ايتها المعدودة اياديهما طالق ايضا فقالت له

الرابعة وكانت هلالية ضاق صدرك عن ان تودب نساءك الا بالطلاق فقال لها وانت طالق ايضا فسمعته جارة له فاشرفت عليه وقالت والله ما شهدت العرب عليك وعلى قومك بالضعف الا لما بلوه منكم ووجدوه فيهم ابيت الا طلاق نساءك في ساعة واحدة قال وانت ايتها المتكلمة فيما لا يعنيك طالق ان اجاز زوجها هبة فاجازت وطلق رجل امراته فلما ارادت الارتحال قال اسمعي وليسمع من حضر اني والله اعتمدتك برغبة وعاشرتك بمحبة ولم اجد منك زلة ولا يدخلني فيك ملة ولكن القضا كان غالبا فقالت المراة نعم انت من صاحب ومصحوب فما استقللت خيرك ولا شكوت ضيرك ولا تمنيت غيرك ولم اجد لك في الرجال شبها وليس لقضا الله مدفع ولا من حكمه علينا ممتنع وقال رجل لابن عباس رضي الله عنه ما تقول في رجل طلق امراته عدد نجوم السما فقال يكفيه من ذلك عدد كواكب الجوزا والله اعلم

ذكر من طلق امراته فتبعتها نفسه

قال الهيثم بن عدي رحمه الله كانت تحت العريان بن الاسود بنت عم له فطلقها فتبعتها نفسه فكتب اليها يعرّض بالرجوع فكتبت اليه تقول • بيت

ان كنت ذا حاجة فاطلب لها بدلا • ان الغزال الذي ضيعت مشغول

فكتب اليها يقول

شعر

ان كان ذا شغل فالله يكلوه • فقد لهونا به والحبل موصول
وقد قضينا من استطرافه وطرا • وفي الليالي وفي ايامها طول

وطلق الوليد بن يزيد رحمه الله زوجته سعدى فلما تزوجت اشتد ذلك عليه وندم على ما كان منه فقال له يا اشعب هل لك ان تبلغ سعدى عني رسالة ولك عشرة الاف فقال اقبضنيها فامر له بها فلما قبضها قال هات رسالتك فانشده

شعر

اسعدى هل اليك لنا سبيل • ولا حتى القيامة من تلاق
بلى ولعل دهرا ان يواتي • بموت من خليلك او فراق

قال فاتاها اشعب رحمه الله فاستاذن عليها فاذنت له فدخل فقالت له ما بدا لك في زيارتنا فقال يا سيدتي ارسلني اليك الوليد برسالة وانشدها الشعر فقالت لجواريها عليكن بهذا الخبيث قال يا سيدتي انه دفع لي عشرة الاف درهم فقالت والله لاعاقبنك او تبلغ اليه ما اقول لك قال يا سيدتي فاجعلي لي جعلا قالت لك بساطي هذا قال قومي عنه فقامت عنه فالقاه على ظهره وقال هاتي رسالتك فقالت قل له انها تقول

بيت

أتبكي على سعدى وأنت تركتها • فقد ذهبت سعدى فما أنت صانع

قال فلما بلغه الرسالة ضاقت عليه الأرض بما رحبت وأخذته كظمة ثم قال للأشعث اخترني إحدى ثلاث إما أن أقتلك وإما أن أطرحك من هذا القصر وإما أن ألقيك إلى هذه السباع فتحير الأشعث في ذلك وأطرق حينا ثم قال يا سيدي ما كنت لتعذب عينارات الحي سعدي فتبسم وخلى سبيله قال ومن طلق امرأته وتبعتها نفسه الفرزدق قال الشاعر طلق النوار ثم ندم على طلاقها وقال

شعر

ندمت ندامة الكسعي لما • غدت مطلقة مني نوار

فأصبحت الغداة ألوم نفسي • بأمر ليس لي فيه خيار

وكانت جنتي فخرجت منها • كآدم حين أخرجه الغرار

ولو أني ملكت بها عيني • لكنت على للقدر الخيار

ومن طلق امرأته فتبعتها نفسه قيس بن ذريح رحمه الله وكان أبوه أمره بطلاقها فطلقها وندم على ذلك ثم قال

شعر

فني صبري وعاودني وداعي • وكان فراق لبنى كالخداع

تلقتني الوشاة فأزعجوني • فيا للناس للواشي المطاع

فأصبحت الغداة ألوم نفسي • على أمر وليس بمستطاع

كمغبون يعض على يديه • تبين غبنه عند المباع

وحدث العتبي رحمه الله قال جاء رجل بامرأة كأنها برج من فضة إلى عبد الرحمن بن الحكم رحمه الله وهو على الكوفة فقال إن امرأتي هذه شجتني فسألها عبد الرحمن فقالت نعم يا مولاي غير متعمدة لذلك كنت أعالج طيبا فسقط الفهر من يدي على رأسه وليس عندي عقل ولا يقوى بدني على القصاص فقال عبد الرحمن رحمه الله للرجل يا هذا علام تمسكها وقد فعلت بك ما أرى فقال يا مولاي إن صداقها على أربعة آلاف درهم ولا تطيب نفسي بفراقها قال فإن أعطيتك أربعة آلاف درهم تفارقها قال نعم قال فهي لك قال هي إذا طالق فقال عبد الرحمن احبسي علينا نفسك ثم أنشأ يقول

شعر

يا شيخ ويحك من دلاك بالغزل • قد كنت يا شيخ من هذا بمعتزل

رضت الصعاب فلم تحسن رياضتها • فاعمد بنفسك نحو المزح الذلل

وهذا ما قصدت إيراده في هذا الباب والله الموفق للصواب وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الباب الرابع والسبعون

في ذم الخمر وتحريمها والنهي عنها

قد انزل الله تعالى في الخمر ثلاث آيات الأولى قوله تعالى يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما فكان في المسلمين من شارب وتارك إلى أن شربها رجل ودخل في الصلاة فهجر فنزل قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون فشربها من شربها من المسلمين وتركها من تركها حتى شربها عمر رضي الله عنه فأخذ لحي بعير فشج به رأس عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ثم قعد ينوح على قتلى بدر بشعر الأسود بن يعفر رحمه الله يقول

شعر

وكائن بالقليب قليب بدر • من الفتيان والعرب الكرام

أيوعدنا ابن كبشة أن سنحيا • وكيف حياة أصداء وهام

أيعجز أن يرد الموت عني • وينشرني إذا بليت عظامي

ألا من مبلغ الرحمن عني • بأني تارك شهر الصيام

فقل لله يمنعني شرابي • وقل لله يمنعني طعامي

فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج مغضبا يجر رداءه فرفع شيئا كان في يده ليضربه فقال أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله فأنزل الله تعالى إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا انتهينا ومن الأخبار المتفق عليها في تحريمها قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة مدمن خمر وقوله صلى الله عليه وسلم أول ما نهاني ربي عن عبادة الأوثان عن شرب الخمر وملاحاة الرجال ومن تركها في الجاهلية ترفعا عنها عبد الله بن جدعان وكان جوادا من سادات قريش وذلك أنه شرب مع أمية بن أبي الصلت الثقفي فضربه على عينه فأصبحت عين أمية مخضرة يخاف عليها الذهاب فقال له عبد الله ما بال عينك فسكت فألح عليه فقال ألست ضاربها بالأمس فقال أوبلغ مني الشراب ما بلغ معه إلى هذا لا أشربها أبدا بعد اليوم ثم دفع له عشرة آلاف درهم وقال الخمر علي حرام أن أذوقها بعد اليوم ومن حرمها في الجاهلية أيضا قيس بن عاصم وذلك أنه سكر ذات ليلة فقام لابنته أو لأخته فهربت منه فلما أصبح سأل عنها فقيل له أوما علمت ما صنعت البارحة وأخبر بالقصة فحرم الخمر على نفسه ومن حرمها في الجاهلية أيضا العباس بن مرداس وقيس بن عاصم وذلك أن قيسا شرب ذات ليلة فجعل يتناول القمر ويقول والله لا أبرح حتى أنزله ثم وثب لوثبة بعد الوثبة ويقع على وجهه فلما أصبح وأفاق قال ما لي هكذا فأخبروه بالقصة فقال والله لا أشربها أبدا وقيل للعباس بن مرداس لم تركت الشراب وهو يزيد في سماحتك فقال أكره أن أصبح سيد قومي

وأُنبي سفيههم ودخل نصيب على عبد الملك بن مروان فأنشده فأعجبه انشاده وشعره
ووصله وقال الوليد بن عبد الملك للحجاج في وفدة وفدها عليه هل لك في الشراب
فقال يا أمير المؤمنين لا خلاف لما أمرت ولكن أنا أمنع أهل عملي منه وأكره أن أمنعهم من
شيء ولا أمتنع منه وقد قال الله تعالى وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه وقال
تعالى أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقيل لأعرابي لم لا تشرب النبيذ فقال
لا أشرب ما يشرب عقلي وقال الضحاك بن مزاحم رحمه الله لرجل ما تصنع بشرب النبيذ
قال يهضم طعامي قال أما أنه يهضم من دينك وعقلك أكثر وقال ابن أبي أوفى رحمه الله
لقومه حين نهوا عن الخمر

شعر

ألا يا قوم ليس في الخمر رفعة • فلا تقربوا منها فلست بفاعل
فإني رأيت الخمر شينا ولم يزل • أخو الخمر حلالا لأشرار المنازل

وقال الحسن رحمه الله لو كان العقل يشترى لتغالى الناس في ثمنه فالعجب ممن يشترى بماله
ما يفسد عقله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بات سكرانا بات للشيطان
عروسا وقال عيسى عليه السلام حب الدنيا رأس كل خطيئة والنساء حبائل الشيطان
والخمر داعية كل شر وقال بعضهم

شعر

بلوة النبيذ بين في كل بلدة • فليس لإخوان النبيذ حفاظ
إذا أدارت الأرطال أرضوك بالمنى • وإن فقدوها فالوجوه غلاظ

وقال حكيم رحمه الله إياك وإخوان النبيذ فبينما أنت متوجه عندهم مخدوم
مكرم معظم إذ زلت بك القدم فجروك على شوك السلم فاحفظ قول القائل

شعر

وكل أناس يحفظون حريمهم • وليس لأصحاب النبيذ حريم
لئن قلت هذا لم أقل عن جهالة • ولكنني بالفاسقين عليم

وللأعرج الطائي رحمه الله

شعر

تركت الشعر واستبدلت منه • إذا داعي صلوة الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك • وودعت المدامة والنداما

نكتة اجتمع محدث ونصراني في سفينة فصب النصراني خمرا من زق كان معه في شربة
وشرب ثم صب فيها وعرضها على المحدث فتناولها من غير تفكر ولا مبالاة فقال
النصراني جعلت فداك إنما هي خمر فقال من أين علمت أنها خمر قال اشتراها غلامي من يهودي
وحلف أنها خمر فشربها المحدث على عجل وقال للنصراني يا أحمق نحن أصحاب الحديث
نضعف سفين بن عيينة ويزيد بن هرون أفنصدق نصرانيا عن غلامه عن يهودي والله

ما شربتها إلا لضعف الإسناد ومن المجون في ذلك ما حكي أن سكرانا استدعى في طريق
فإذا كلب فلحس شفته فقال خدموك بنوك ولا عدموك ثم بال على وجهه فقال وماء حار
أيضا بارك الله عليك وقيل السكارى ثلثة فرد حرك رأسه فرقص وكلب هارش ونبح
وحية زويت فنامت ومر عقال الناسك بمرداس بن جدام الأسدي رحمه الله فاستسقاه
لبنا فصب له خمرا وعلاه بلبن فشربه فسكر ولم يتحرك ثلثة أيام فقال

شعر

سقيت عقالا بالعشية شربة • فمالت بعقل الكاهلي عقال
فرعت بأم الخل حبة قلبه • فلم ينتعش منها ثلث ليال

ويقال الخمر مصباح السرور ولكنها مفتاح الشرور اللهم تب علينا وعلى العصاة والمذنبين
برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وسلم تسليما كثيرا

الباب الخامس والسبعون
في المزاح والنهي عنه وما جاء في الترخيص فيه
والبسط والنعم وفيه فصول

الفصل الأول في النهي عن المزاح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المزاح
استدراج من الشيطان واختداع من الهوى وعن علي رضي الله عنه ما مزح امرؤ مزحة
الا مج من عقله مجة وعنه أيضا إياك أن تذكر من الكلام ما يكون مضحكا وإن حكيت ذلك عن
غيرك وكتب عمر رضي الله عنه الى عماله امنعوا الناس من المزاح فإنه يذهب المروة ويوغر
الصدر وقال بعض الحكماء تجنب شوم الهزل ونكد المزاح فإنهما بابان إذا فتحا لم يغلقا
إلا بعد عسر وقال آخر لكل شيء بدو وبدو العداوة المزاح وعن محمد بن المنكدر رحمه الله
قال قالت لي أمي لا تمازح الصبيان فتهون عليهم وخرج أعرابي بالليل فإذا هو بجارية
جميلة فراودها فقالت يا هذا أما لك زاجر من عقلك إذا لم يكن لك واعظ من دينك
فقال والله ما يرانا إلا الكواكب فقالت يا هذا فأين مكوكبها فأخجله كلامها فقال إنما
كنت مازحا فقالت

شعر

فإياك إياك المزاح فإنه • يجري عليك الطفل والدنس النذلا
ويذهب ماء الوجه بعد احتقاره • ويورث بعد العز صاحبه ذلا

وقال الأحنف رحمه الله كثرة الضحك تذهب الهيبة وكثرة المزاح تذهب المروة ومن لزم
شيئا عرف به ومما روي عن الصحابة رضي الله عنهم أنهم كانوا يتمادحون ويتناشدون
الأشعار فإذا جاء ذكر الله حلقهم كأنهم لم يعرفوا أحدا والله تعالى أعلم بالصواب

الفصل الثاني فيما جاء في الترخيص في المزاح والبسط والنعم ونحو ذلك

لا باس بالمزاح ما لم يكن سنها والله تعالى قد وعد في اللمم بالتجاوز والعفو فقال تعالى
والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم • وقيل ان يحيى بن زكريا لقي عيسى عليهم السلام
فقال له ما لي اراك لاهيا كانك امن فقال عيسى ما لي اراك عابسا كانك ايس فقالا لا نبرح
حتى ينزل علينا الوحي فاوحى الله تعالى اليهما ان احبكما الي احسنكما ظنا بي وروي ان احبكما الي
الطلق البسام وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجارية خلقني خالق الخير وخلقك خالق الشر
فبكت فقال لا عليك ان الله تعالى خالق الخير وخالق الشر وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمزح ولا يقول الا حقا فمن مزحه عليه السلام انه جاءه رجل فقال يا رسول الله احملني على
جمل فقال عليه السلام لا احملك الا على ولد الناقة قال لا يطيقني فقال له الناس
ويحك وهل الجمل الا ولد الناقة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لامراة من الانصار
الحقي زوجك ففي عينيه بياض فسعت المراة نحو زوجها مرعوبة فقال لها ما دهاك
فقالت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ان في عينيك بياضا فقال نعم والله وسواد
واتته عليه السلام ايضا عجوز انصارية فقالت يا رسول الله ادع الله ان يدخلني الجنة
فقال عليه السلام يا ام فلان ان الجنة لا يدخلها عجوز فولت المراة وهي تبكي فتبسم النبي
صلى الله عليه وسلم وقال ما قرات قوله تعالى انا انشاناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا
اترابا وقالت عائشة رضي الله عنها سابقت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما
كثر لحمي سابقته فسبقني فضرب بكتفي وقال هذه بتلك • وعنها رضي الله عنها قالت كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل وانا العب مع صويحباتي فاذا راين رسول الله صلى الله عليه
وسلم سجن فيقول عليه السلام كما انتن ولا يعيب علي وسئل النخعي رحمه الله هل
كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحكون قال نعم والايمان في قلوبهم مثل الجبال
الرواسي • وكان نعيم الصحابي رضي الله عنه من اولع الناس بالمزاح وكان بدريا قيل
انه ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم انه يكثر المزاح والضحك فقال عليه السلام يدخل
الجنة وهو يضحك فمن مزح نعيم رضي الله عنه انه مر يوما بمخرمة بن نوفل الزهري
وهو ضرير فقال له قدني حتى ابول فاخذ بيده حتى اتى به الى المسجد فاجلسه في
مؤخر المسجد فصاح به الناس انك في المسجد فقال من قادني قالوا نعيم قال لله
علي ان اضربه بعصاي هذه ان وجدته فبلغ ذلك نعيما فجاء اليه وقال يا ابا المسور
هل لك في نعيمان قال نعم قال ها هو قائم يصلي فاخذ بيده وجاء به الى عثمان بن عفان رضي
الله عنه وهو يصلي فقال هذا نعيمان فعلاه بعصاه فصاح الناس امير المؤمنين
فقال من قادني قالوا نعيمان فقال والله لا تعرضت اليه بسوء بعدها وقال
عطا بن السائب كان سعيد بن جبير رضي الله عنهما يقص علينا حتى يبكينا وربما

لم يقم حتى يضحكنا وكان رجل يسمى تاج الواعظ رحمه الله يعظ الناس ويقص عليهم
حتى يبكيهم ثم لم يقم حتى يضحكهم ويبسط امالهم فمن لطائفه انه حكى يوما بعد ما
فرغ من ميعاده قال سمعت الناس يتكلمون في التصحيف وكنت لا اعرف فوقع في قلبي
ان اتعلمه فدخلت سوق الكتبيين واشتريت كتابا في التصحيف فاول ما تصفحته
وجدت فيه سحاج تصحيفه ثاج فرميت الكتاب من يدي وحلفت ان لا اشتغل
به ابدا فضحك الناس من قوله حتى غشي عليهم • ودخل عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان
رحمهم الله فوجده يتأوه فقال يا امير المؤمنين لو ادخلت عليك من يؤنسك باحاديث
العرب ويباسطك انشرحت فقال لست بصاحب لهو فقال ما الذي تشكوه
يا امير المؤمنين فقال هاج بي عرق النسا في ليلتي هذه فبلغ مني ما ترى فقال ان
بديحا مولاي ارقا الخلق منه فوجه اليه فلما مثل بين يديه قال له عبد الملك
يا بديح ارق رجلي فقال يا مولاي انا ارقى الناس لها فوضع يده عليها وجعل يقول
ما لا يسمع قال عبد الملك فوجدت راحة فقال هذه الرقوة ابن فلانة ايتوني بها نكتب
هذه الرقوة لئلا يهيج الوجع في الليل فقال بديح الطلاق يلزمه ما تكتبها حتى تحمل
جائزته الى بيته فقال تحمل فحملت فقال يا امير المؤمنين الطلاق يلزمه ثلثا ما رقيت
رجلك الا مباسطة بقول نصيب رحمه الله • بيت •

الا ان ليلى العامرية اصبحت • على البعد مني ذنب غيري تنقم

فقال ويلك ما تقول قال الطلاق يلزمه ثلثا ما رقيتك الا بها فقال اكتمها علي قال
وكيف وقد سارت بها الركبان الى اخيك بمصر فضحك منه حتى فحص برجله واعجبه
هذا البسط وروي ان ابن سيرين رحمه الله كان ينشد ويقول • بيت •

نبئت ان فتاة كنت اخطبها • عرقوبها مثل شهر الصوم في الطول

ثم يضحك حتى يسيل لعابه • وهنا في الشطرنج واللعب والنهي عنه
والترخص فيه اما النهي عنه فقد قيل ان عليا كرم الله وجهه مر بقوم يلعبون بالشطرنج
فقال ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون • وكان ابو القاسم الكسروي رحمه الله
يقول لا ترى شطرنجيا غنيا الا بخيلا ولا فقيرا الا طفيليا ولا تسمع نادرة باردة الا من
الشطرنج واخص شطرنجي فكان يقول شاه مات مكان الشهادة • واما الترخص فيه
فقد سئل الشعبي رحمه الله عن اللعب بالشطرنج فقال لا باس به اذا لم يكن هناك تعاسر
وتبادل • وقال بعضهم كنا في السجن مع ابن سيرين رحمه الله فكان يمر بنا ونحن نلعب بالشطرنج
فيقوم قائما ويقول ارفع الفرس ارفع كذا افعل كذا ولا يعيب علينا ذلك • وعن سعيد
بن المسيب رضي الله عنه قال كنت العب بالشطرنج مع صديقي في بيته حين خفت الحجاج

وقال علي بن الجهم رحمه الله في الشطرنج يصفه بقول

شعر

أرض مربعة حمراء من أدم * ما بين خرين معروفين بالكرم
تذاكرا الحرب فاحتالا لها فطنا * من غير أن يأثما فيه بسفك دم
هذا يغير على هذا وذاك على * هذا وعين الحرب لم تنم
فانظر الى همم جاشت بمعركة * في عسكرين بلا طبل ولا علم

وقيل الهالمامون وقالوا ان سبب وضع الشطرنج ان ملوك الهند ما كانوا يرون القتال فاذا تنازع فريقان في كورة او مملكة تلاعبا بالشطرنج فياخذها الغالب من غير قتال. وقيل انه كان لبعض ملوك الفرس شطرنج من ياقوت احمر اصغر قطعة منه بثلاثة آلاف دينار. ومما جاء في لعب الاطفال

ما حكي ان غلمانا من اهل البحرين خرجوا يلعبون بالصوالجة واسقف البحرين قاعد فصكت الكرة صدره فأخذها فجعلوا يطلبونها منه فيأبى فقال غلام منهم سألتك بحق محمد صلى الله عليه وسلم الا رددتها علينا فأبى لعنه الله وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقبلوا عليه بصوالجهم فما زالوا يخبطونه بها حتى مات فرفع ذلك لعمر رضي الله عنه فوالله ما فرح بفتح ولا غنيمة كفرحه بقتل الغلمان ذلك الاسقف وقال الآن عز الاسلام ان اطفالا صغارا سمعوا شتم نبيهم فغضبوا من اجله وانتصروا له واهدر دم ذلك الاسقف لعنه الله وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الباب السادس والسبعون في النوادر وفيه فصول

الفصل الأول في نوادر العرب

خرج المهدي رحمه الله يتصيد يوما فغار به فرسه حتى دفع الى خباء اعرابي فقال يا اعرابي هل من قرى قال نعم واخرج له قرص شعير فأكله ثم اخرج له فضلة من لبن فسقاه ثم أتاه بنبيذ في ركوة فسقاه قعبا فلما شرب المهدي ذلك قال يا اخا العرب اتدري من انا قال لا والله قال انا من خدام امير المؤمنين الخاصة قال بارك الله لك في موضعك ثم سقاه قعبا آخر فشربه وقال يا اعرابي اتدري من انا قال زعمت انك من خدام امير المؤمنين الخاصة قال لا بل انا من قواد امير المؤمنين قال رحبت بلادك وطاب مرادك ثم سقاه ثالثا فلما فرغ منه قال يا اعرابي اتدري من انا قال زعمت انك من قواد امير المؤمنين قال لا ولكني امير المؤمنين فاخذ الاعرابي الركوة فاوكاها وقال والله لو شربت الرابع لادعيت انك رسول الله فضحك المهدي حتى غشي عليه ثم احاطت به الخيل ونزلت

اليه الملوك والاشراف فطار قلب الاعرابي فقال له لا بأس عليك ولا خوف ثم امر بكسوة ومال جزيل للاعرابي. ورئي اعرابي يأكل ويبول ويغطي ثوبه فقيل له في ذلك فقال اخرج عتيقا وادخل جديدا او اقتل عدوا. وقيل لبعض الاعراب ان شهر رمضان قد جاء فقال والله لابددن شمله بالاسفار. وسمع اعرابي قارئا يقرأ الاعراب اشد كفرا ونفاقا فقال لقد هجانا ثم سمعه بعد ذلك يقرأ ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر فقال لا بأس هجا ومدح هذا كما قال شاعرنا

بيت

هجوت زهيرا ثم اني مدحته * وما زالت الاشراف تهجى وتمدح

وحضر اعرابي على مائدة يزيد بن مزيد رحمه الله فقال لاصحابه افرجوا لأخيكم فقال الاعرابي لا حاجة الى افراجكم ان اطنابي طوال يعني سواعده فلما مد يده ضرط فضحك يزيد وقال يا اخا العرب اظن ان طنبا من اطنابك قد انقطع. ورئي اعرابي يغطس في البحر وبيده خيط كلما غطس غطسة عقد عقدة فقيل له ما هذا فقال جنابات الشتاء اقضيها في الصيف. وسرق اعرابي غاشية من على سرج ثم دخل المسجد يصلي فقرأ الامام هل اتاك حديث الغاشية فقال يا فقيه لا تدخل في الفضول فلما قرأ وجوه يومئذ خاشعة قال خذ غاشيتكم ولا تخشع وجهي لا بارك الله لكم فيها ثم رماها من يده وخرج. وحضر اعرابي مجلس قوم فتذاكروا قيام الليل فقالوا له يا ابا امامة اتقوم الليل قال نعم قالوا ما تصنع قال ابول وارجع انام. ودخل اعرابي الى سوق الجوار يشتري جارية فاشترى جارية فلما اراد الانصراف بها قال له الدلال ان فيها ثلاث خصال ان رضيت بهن والا فدعها قال وما الخصال قال انها ربما غابت اياما ثم تعود اذا اطلبت قال كأنك تعني انها تأبق قال نعم قال اني والله اعلم الناس بأثر الذر على الصفا فلتأخذ اي طريق شاءت فانا اردها وما الثانية قال ربما نامت فقطرت منها قطرات قال كأنك تقول انها تبول في الفراش قال نعم قال والله ما تجد عندي فراشا وانما تتوسد التراب فلتبل كيف شاءت وما الثالثة قال ربما عبثت بالشيء قال لعلك تقول انها سارق قال نعم قال والله انها لا تجد عندي ما تعبث به فكيف ما تسرقه ثم اخذ بيدها وانصرف. وحضر اعرابي عند الحجاج رحمه الله فقدم الطعام فاكل الناس ثم قدمت الحلوى فترك الحجاج الاعرابي حتى اكل لقمة ثم قال من اكل من هذا شيئا ضربت عنقه فامتنع الناس كلهم وبقي الاعرابي ينظر الى الحجاج مرة والى الحلوى مرة ثم قال ايها الامير اوصيك باولادي خيرا ثم اندفع يأكل فضحك الحجاج حتى استلقى وامر له بصلة. وسلم اعرابي ابنه الى المعلم فغاب مدة ثم قال له في اي سورة انت فقال في يا ايها الكافرون فقال بئس عصابة انت فيهم ثم تركه مدة وقال في اي سورة انت اليوم فقال اذا جاءك المنافقون فقال والله ما سلمك الا على اوثان الكفر عليك بغيرها فارعها. وقال الاصمعي رحمه الله كنت

وان انا لم افعل فانت محكم • بما شئت من صفعي ومن نتف لحيتي •

قال فعجبت من فصاحته وضحكت منه وتركته وانصرفت • وصلى اعرابي مع قوم يصلون فقرا الامام فانكحوا ما طاب لكم من النسآ وجعل يرددها فجعلت الاعرابية تحذر وهي هاربة حتى جات الى اختها فقالت يا اختاه ما زال الامام آن ينكحونا حتى خشيت انهم يقعوا علينا • وصلى اعرابي خلف امام فقرا الامام الم نهلك الاولين وكان الاعرابي في الصف الاول فتاخر الى الصف الاخر فقرا الامام ثم نتبعهم الآخرين فتاخر فقرا كذلك نفعل بالمجرمين وكان اسم البدوي مجرم فاخذ كساه وخرج هاربا وهو يقول والله ما المطلوب غيري فوجده بعض العرب فقال ما لك يا مجرم فقال ان الامام اهلك الاولين والآخرين واراد ان يهلكني في جملة القوم والله لا رايته بعد اليوم • وجلس بعض الاعراب يشرب مع ندمائه فاحتاج الى بيت الخلاء فدلوه عليه فلما دخل جعل يضرط ضراطا شنيعا فضحكوا عليه فانشد يقول •

شعر

اذا ما خلا الانسان في بيت غائط • تراخت بلا شك مساريح فقحته •
فمن كان ذا عقل فيجعله رضا رطا • ومن كان ذا جهل ففي وسط لحيته •

وحكي ان عجوزا من الاعراب جلست في طريق مكة الى فتيان يشربون نبيذا فسقوها قدحا فطابت نفسها وتبسمت ثم سقوها ثانيا فاحمر وجهها وضحكت فسقوها ثالثا فقالت خبروني عن نسائكم بالعراق ايشربن النبيذ فقالوا نعم قالت زنين ورب الكعبة والله ان صدقتم لما فيكم من يعرف ابوه • وصلى اعرابي خلف امام فقرا انا ارسلنا نوحا الى قومه ثم وقف وجعل يرددها فقال الاعرابي ارسل غيره يرحمك الله وارحنا وارح نفسك • وصلى اخر خلف امام فقرا فلن ابرح الارض حتى ياذن لي ابي فوقف وجعل يرددها فقال الاعرابي يا فقيه اذا لم ياذن لك ابوك نظل وقوفا الى الاصباح فتركه وانصرف • وانفرد الرشيد رحمه الله يوما عن عسكره ومعه الفضل بن يحيى رحمه الله فاذا هو بشيخ من الاعراب على حمار وهو رطب العينين فقال له الفضل هل اذلك على دوا لعينيك قال ما احوجني الى ذلك قال خذ عيدان الهوى وغبار الما فصيره في قشر بيض الذر واكتحل به ينفعك فاتكى الشيخ وضرط ضرطة قوية وقال هذه لك اجرة وصفته ولو زادنا لزدناه فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهر دابته • وخرج معن بن زايدة رحمه الله في جماعة من خواصه يتصيدون فاعترضهم قطيع ظباء فتفرقوا في طلبه وانفرد معن خلف ظبي حتى انقطع عن اصحابه فلما ظفر به نزل فذبحه فراى شخصا مقبلا من البرية على حمار فركب فرسه واستقبله فسلم وقال من اين والى اين قال اتيت من ارض لي لها عدة سنين مجدبة وقد اخصبت في هذه السنة فزرعتها مقثاة وطرحت في غير وقتها فجمعت منها ما استحسنته وقصدت به محل معن بن زايدة

بالبادية فرايت اعرابية تبكي على قبر وتقول •

شعر

فمن للسؤال ومن للنوال • ومن للمعالي ومن للخطب •
ومن للحماة ومن للكماة • اذا ما جثوا للركب •
اذا قيل مات ابو مالك • فتى المكرمات جريد العرب •

فقلت لها من هذا الذي مات هولا كلهم موته فبكت وقالت هذا ابو مالك الحجام ختن ابي منصور الحايك فقلت وعليه لعنة الله والله ما ظننت الا انه سيد من سادات العرب • وسرق اعرابي صرة فيها دراهم ثم دخل المسجد يصلي وكان اسمه موسى فقرا الامام وما تلك بيمينك يا موسى فقال والله انك لساحر ثم رمى بالصرة وخرج • ودخل اعرابي يصلي في المسجد وكان اسمه موسى ايضا فقرا الامام يا موسى ان الملا ياتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فترك الصلوة وفر هاربا فجلس على باب المسجد وبيده عصاه فقرا الامام وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي يا فقيه ان خرجت الي عندي عملت لك فرا على باب المسجد • وحكي الاصمعي رحمه الله قال ضلت لي ابل فخرجت في طلبها وكان البرد شديدا فادركني المطر فالتجات الى حي من احيا العرب واذا الجماعة يصلون الظهر ولقربهم شيخ ملتف بكسا وهو يرتعد من شدة البرد وينشد ويقول •

شعر

يا رب ان البرد اصبح كالحا • وانت بحالي عالم لا تعلم •
فان كنت يوما في جهنم مدخلي • ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم •

قال الاصمعي فعجبت من فصاحته وقلت يا شيخ ما تستحي ان تقطع الصلوة وانت شيخ كبير فانشا يقول •

شعر

ايطمع ربي ان اصلي عاريا • ويكسو غيري كسوة البرد والحر •
فوالله لا صليت ما عشت عاريا • عشاء ولا وقت المغيب ولا الوتر •
ولا الصبح الا يوم شمس دفية • وان غيمت فالويل للظهر والعصر •
وان يكسني ربي قميصا وجبة • اصلي له مهما اعيش من العمر •

قال فاعجبني شعره وفصاحته فنزعت من على بدني قميصا وجبة ووهبتهما له وقلت له البسهما وقم فصل فاستقبل القبلة وصلى جالسا بلا وضوء فقلت له تصلي وانت جالس بلا وضوء فانشا يقول •

شعر

اليك اعتذاري من صلاتي جالسا • على غير طهر موميا نحو قبلة •
فما لي ببرد الماء يا رب طاقة • ورجلاي لا تقوى على ثني ركبتي •
ولكنني استغفر الله شاتيا • واقضيكها يا رب في وجه صيفتي •

لكرمه المشكور وفضله المشهور ومعروفه المأثور واحسانه المذكور قال وكم
أملت منه قال الف دينار قال كثير قال خمسماية قال كثير قال مايتين قال كثير قال ماية
قال كثير قال خمسون دينارا قال كثير قال أفلا أقل من الثلثين قال فان قال لك كثير
قال أدخل أربع قوايم حماري في حرامه وأرجع الى أهلي خايبا فضحك معن منه وسار حتى
لحق عسكره ونزل في منزله وقال لحاجبه اذا اتاك شيخ على حمار نقشا فادخل به علي فاتى بعد
ساعة فلما دخل على معن لم يعرفه لهيبته وجلالته وكثرة حشمه وخدمه وهو متصدر
في دسته والجند قيام عن يمينه وعن شماله وبين يديه فلما سلم عليه قال له ما الذي
أتى بك يا أخا العرب قال أملت الأمير وأتيته نقشا في عنراوانه قال فكم أملت منه قال
الف دينار قال كثير قال خمسماية قال كثير قال ثلثماية قال كثير قال مايتين قال كثير
قال ماية قال كثير قال والله لقد كان ذلك الرجل علي مشوما ثم قال خمسون دينارا
قال كثير قال أفلا أقل من ثلثين دينارا فضحك معن فعلم الاعرابي أنه صاحبه فقال يا
سيدي ان لم تجبني للثلثين فالحمار مربوط بالباب وها معن جالس فضحك معن حتى استلقى
على فراشه ثم دعى بوكيله فقال اعطه الف دينار وخمسماية دينار وثلثماية دينار
ومايتا دينار ومائة دينار وخمسون دينارا وثلثون دينارا ودع الحمار مكانه
فبهت الاعرابي وتسلم الفي دينار ومائة وثمانون دينارا والله أعلم **الفصل الثاني**

في نوادر الفقهاء والقراء

مر بعضهم بقاري يقرأ الم غلبت الترك في أدنى الأرض فقال له الروم فقال كلهم
أعداؤنا قاتلهم الله وجاء رجل الى فقيه فقال أفطرت يوما في رمضان فقال اقض يوما مكانه
قال قضيت وأتيت أهلي وقد عملوا مامونية فسبقتني يدي اليها فاكلت منها فقال
اقض يوما آخر مكانه قال قضيت وأتيت أهلي وقد عملوا هريسة فسبقتني يدي اليها
فاكلت منها فقال أرى أن لا تصوم الا ويدك مغلولة الى عنقك وجاء رجل الى بعض الفقهاء
فقال اني رجل حنبلي توضات وصليت على مذهب بن حنبل فبينما انا في الصلوة اذ احسست
ببلل في سراويلي بتلوق فشممته فاذا رايحته كريهة خبيثة فقال الفقيه عافاك الله
خريت باجماع ساير المذاهب وجاء رجل الى فقيه فقال انا رجل افسو في ثيابي حتى يفوح
روايحي فهل يجوز لي ان اصلي في ثيابي قال نعم لكن لا كثر الله في المسلمين مثلك ووقع
بين الأعمش وبين امرأته وحشة فسال بعض أصحابه الفقهاء أن يرضيها ويصلح بينهما فدخل
اليها فقال ان ابا محمد شيخا كبيرا أفلا يزهدك فيه عمش عينيه ودقة ساقيه وضعف
ركبتيه ونتن ابطيه وبخر فمه وجمود كفيه فقال الأعمش قم قبحك الله فقد عرفتها من عيوبي
ما لم تكن تعرفه وسكن بعض الفقهاء في بيت سقفه يتقرقع في كل وقت فجاء صاحب البيت

وطلب الأجرة فقال له اصلح السقف فانه يتقرقع قال لا تخف فانه يسبح قال
أخشى أن تدركه رقة فيسجد والله أعلم **الفصل الثالث في نوادر القضاة**
كان لبعض القضاة بغلة يقرا يوما في المصحف وما من دابة في الأرض الا على الله رزقها
فقال لغلامه اطلق البغلة فان رزقها على الله فصارت البغلة تدور في الاسواق والازقة
تاكل قشور البطيخ والباذنجان وقمامات الطريق فماتت فامر القاضي الغلام باحضار
المشاعلية ليجروها لظاهر المدينة فاحضرهم فطلبوا من القاضي عشرة دراهم اجرة حملها
وقالوا يا مولانا قاضي القضاة ليس لنا شي نرتزق منه الا من مثل هذا وسيدنا رجل غني وله
اشيا كثيرة منها العدالة والتزويج والعقود والوراقة والسجن والاطلاق وجامكية
الحكم واجرة اليمين والتدريس والاوقاف فقال لهم القاضي المثلي فقال له هذا وانتم
لكم اثنى عشر بابا من المنافع منها الزفر والوسخ والمطلع والولع وبيت المنبل وشركة
النفوس وجباية الفلت وجباية الاسواق وحرق النار وسلب الشطار ولكم المصباح
وصلب الاصلاح وما تروحوا من هذه البغلة بلا شي جلدها للدباغين ودهنها للخرابليين ومقرها
للشعادين وتطبيقها للبيطار قال فتقدم احدهم اليه وقال يا سيدنا نحن من يأب عليك
ورد عاقبتك الى خير واراحك من هذا المعاش تصدق علينا بشي ولا تدعنا نروح بلا شي
تفسير هذه الالفاظ الزفر النسا الزواني والوسخ المراحيض والمطلع صبابة الاسواق
والولع القمار وبيت المنبل مقيل المزر وشركة النفوس كل من حمل ميتة والخفوة قبل
ان تخرج من باب المدينة كانوا شركاؤ وسلب الشطار كل من يشنقوه سلبه لهم
وولى يحيى بن أكثم رحمه الله قاضيا على أهل جبل فبلغه ان الرشيد انحدر الى البصرة فقال
لاهل جبل اذا اجاز الرشيد فاشكروني عنده فتوعدوه بذلك فلما جاز الرشيد تقاعدوا
عنه فسرح القاضي لحيته وكبر عمته وخرج فرآه الرشيد في الحراقة ومعه ابو يوسف
القاضي رحمه الله فقال يا أمير المؤمنين نعم القاضي قاضي جبل عدل فينا وفعل كذا وفعل كذا
وجعل يثني على نفسه فلما رآه أبو يوسف رحمه الله عرفه فضحك فقال له الرشيد مم
تضحك فقال يا أمير المؤمنين المثني على القاضي هو القاضي فضحك الرشيد رحمه الله حتى فحص
برجليه ثم أمر بعزله فعزل وأحضر رجل ولده الى القاضي فقال يا مولانا القاضي ان ولدي
هذا يشرب الخمر ولا يصلي فانكر ولده ذلك فقال أبوه يا سيدي صلوة تكون بغير قراءة
فقال الولد اني أقرأ القرآن وأعرف القرآن فقال له القاضي اقرا حتى اسمع فقال
علق القلب ربابا بعدما شابت وشابا ان دين الله حق لا ارى فيه ارتيابا فقال
الله لم يتعلم هذا الا البارحة سرق مصحف الجيران وحفظ هذا منه فقال القاضي قاتلكم
الله يتعلم أحدكم القرآن ولا يعمل به وتقدم اثنان الى القاضي أبي ضمضم فادعى احدهما

على الآخر طنبورا فانكر فقال للمدعي ألك بينة فاحضر رجلان شهدا له فقال
المدعى عليه سلهما عن صناعتهما يا سيدي فأخبر احدهما انه نباذ وقال الآخر انه
قراد فالتفت القاضي الى المدعى عليه وقال أريد على الطنبور اعدل من هذين الشاهدين
ادفع اليه طنبوره او اخرج في رضاه * وجاء بعض المجان الى بعض القضاة فقال يا سيدي
امرأتي قحبا انا قال عشقنا قال قوادا * ورفعت امرأة زوجها الى القاضي تبغي الفرقة
وادعت انه يبول في الفراش كل ليلة فقال الرجل للقاضي يا سيدي لا تعجل علي حتى اقص
عليك قصتي اني رأيت في المنام كأني في جزيرة في البحر وفيها قصر عال وفوق القصر قبة عالية
وفوق القبة جمل وانا على ظهر الجمل وان الجمل يطاطي رأسه ليشرب من البحر فلما رأيت ذلك بلت من
شدة الخوف فلما سمع القاضي ذلك بال في ثيابه فقال يا هذا انا قد اخذني البول من هول حديثك
فكيف من رأى الامر عيانا * وحكي ان تاجرا عبر الى حمص فسمع مؤذنا يقول اشهد
ان لا اله الا الله واهل حمص يشهدون ان محمدا رسول الله فقال والله لامضين الى الخطيب
واسأله فجاء اليه فوجده قد اقام الصلوة وهو يصلي على فرد رجل ورجله الاخرى ملوثة بالعذرة
فمضى الى المحتسب ليخبره الخبر فسأل عنه فقيل له هو في الجامع الفلاني يبيع الخمر فمضى اليه فوجده
وبين يديه باطية مملوءة من الخمر وفي حجره مصحف وهو يحلف للناس بحق المصحف انه خمر صرف
ليس فيه ما وقد ازدحمت الناس عليه وهو يبيع فقال والله لامضين الى القاضي واخبره فجاء
الى القاضي فدفع الباب فانفتح فوجد القاضي نائم وعلى ظهره غلام يفعل به فقال التاجر قلب
الله حمص فقال له القاضي لم تقول هذا فاخبره بجميع ما رأى فقال يا جاهل اما مؤذننا
فمرض فاستأجر يهوديا يؤذن لنا مكانه فهو يقول ما سمعت واما الخطيب فانهم لما
اقاموا الصلوة خرج مسرعا فتلوثت رجله بالعذرة وضاق الوقت فاخرجها من الصلوة
واعتمد على رجله الاخرى ولما فرغ غسلها واما المحتسب فان ذلك الجامع ليس له وقف الا
الكرم وعنبه ما يؤكل فهو يعصره ويبيعه خمرا ويحلف عليه ويصرف ثمنه في مصالح الجامع
واما انا فان هذا الغلام قد مات ابوه وخلف له مالا كثيرا وهو تحت الحجر وقد كبر
وجاء جماعة شهد وادعوا انه بلغ فانا امتحنه فخرج التاجر من البلد وحلف ان لا يعود
اليها *

فصل في نوادر النحاة

وقف نحوي على بياع عنده ارز بعسل وبقل بخل فقال بكم الارز بالعسل والخل بالبقل
فقال بالصفع في الرؤس والاضرط في الاذقن * ووقع نحوي في كنيف فجاء كناس
ليخرجه فصاح به الكناس ليعلم أهو حي ام لا فقال له النحوي اطلب لي حبلا دقيقا
وشد لي شدا وثيقا واجذبني جذبا رفيقا فقال الكناس امرأته طالق ان شالك منه فتركه
وانصرف وكان لبعضهم ولد نحوي يتقعر في كلامه فاعتل ابوه علة شديدة اشرف منها

على الموت فاجتمع اليه اولاده وقالوا له ندعو اليك اخانا فلان فقال لا ان جاءني قتلني فقالوا
نحن نوصيه ان لا يتكلم فدعوه فلما دخل قال يا ابت قل لا اله الا الله تدخل بها الجنة وتفوز
من النار يا ابت والله ما شغلني عنك الا فلان فانه دعاني بالامس فاهرس واعدس واستكبج
وسكبج وطهيج وافرخ ودجج وابصل وامضر ولوذج وافلوذج فصاح ابوه غمضوني فقد
سبق ابن الزانية ملك الموت * وجاء نحوي ليعود مريضا وطرق بابه فخرج له ولده فقال
كيف حال ابيك فقال يا عم ورمت رجليه قال لا تلحن قل رجلاه ثم ماذا قال يا عم
وصل الورم الى ركبتاه قال لا تلحن قل ركبتيه ثم ماذا قال مات وادخله الله تعالى في ا
نظر عيالك وعيال سيبويه ونفطويه وحنشويه * وعاد بعضهم نحويا فقال له ما الذي
تشكوه قال حمى جاسية نارها حامية منها الاعضاء واهية والعظام بالية فقال له
لا شفاه الله بعافية يا ليتها كانت القاضية * وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

فصل في نوادر المعلمين

قال الجاحظ رحمه الله مررت بمعلم وعنده عصاة طويلة وعصاة قصيرة وصولجان
وكرة وطبل وبوق فقلت ما هذه الحلق فقال عندي صغار اوباش فاقول لاحدهم اقرا
لوحك فيصفر لي فاضربه بالعصا القصيرة فيتأخر فاضربه بالعصا الطويلة
فيفر من بين يدي فاضع الكرة في الصولجان واضربه فاشجه فيقوم الي الصغار كلهم
بالالواح فاعلق الطبل في عنقي والبوق في فمي فاضرب الطبل وانفخ في البوق فيسمع اهل
الدرب ذلك فيسارعوا الي ويخلصوني منهم * وحكي الجاحظ ايضا رحمه الله قال
مررت بخربة فاذا فيها معلم ينبح نبيح الكلاب فوقفت انظر اليه واذا صبي قد خرج من
باب دار فمسكه المعلم فقلت له عرفني خبره فقال هذا صبي يكره التعلم ويهرب فيدخل
الى داخل الدار ولا يخرج وله كلب يلعب به فاذا سمع صوتي ظن انه صوت الكلب فيخرج فامسكه
وجاءت الى معلم والدة صبي تشكوه فقال لها متى لم تثنه والا فعلت بامك فقالت له يا معلم هذا
صبي ما ينفع فيه الكلام فافعل ما اردت لعله ينظر بعينه ويتوب * وقال بعضهم رأيت معلما
وهو يصلي العصر فلما ركع ادخل رأسه من بين رجليه ونظر الى الصغار وهم يلعبون وقال
يا ابن البقال رأيت الذي عملت وسوف اكافيك اذا فرغت * وحكي عن الجاحظ رحمه الله
انه قال الفت كتابا في نوادر المعلمين وما هم عليه من التغفل ثم رجعت عن ذلك وعزمت على
تقطيع ذلك الكتاب فدخلت يوما الى مدينة فوجدت فيها معلما في هيئة حسنة فسلمت عليه فرد
السلام احسن رد ورحب بي فجلست عنده وباحثته في القرآن فاذا هو فيه ماهر ثم فاتحته
في الفقه والنحو وعلم المعقول واشعار العرب فاذا هو مكمل الادوات فقلت هذا والله
مما يقوي عزمي على تقطيع الكتاب قال فكنت اختلف اليه وازوره فجئت يوما لزيارته

فإذا بالكتاب معلق ولم أجد أحداً فسألت عنه فقال مات له بيت فحزن عليه فجئت إلى
بيته وطرقته فخرجت لي جارية وقالت لي ما تريد فقلت أريد فلان فدخلت وخرجت
فقالت بسم الله فدخلت إليه فإذا به جالس وحده فقلت أعظم الله أجرك لقد كان لكم في رسول الله
أسوة حسنة كل نفس ذائقة الموت فعليك بالصبر ثم قلت هذا الذي توفي ولدك قال لا قلت
فوالدك قال لا قلت فأخوك قال لا قلت فما هو منك قال حبيبتي فقلت في نفسي هذه أول
المناحس فقلت يا سبحان الله النساء كثيرة وتجد غيرها فقال أتظن أني رأيتها فقلت وهذه منحسة
ثانية فقلت فكيف عشقت من لم ترها فقال اعلم أني كنت جالساً في هذا المكان وأنا أنظر
من الطاق إذ رأيت رجلاً عليه برد وهو يقول

شعر

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة * ردي علي فؤادي أينما كانا
لا تأخذن فؤادي تلعبين به * فكيف يلعب بالإنسان إنسانا

فقلت في نفسي إن هذه أم عمرو ما في الدنيا أحسن منها قيل فيها ما قيل فعشقتها فلما كان من بعد يوم
مر ذلك الرجل بعينه وهو يقول

بيت

لقد ذهب الحمار بأم عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار

فعلمت أنها ماتت فجزعت عليها وجلست في التراب فقال لقد كنت عزمت على تقطيع كتابي
والآن قويت عزيمتي على إبقائه وأول ما أبدأ بك في أول الكتاب والله أعلم بالصواب

فصل في نوادر المتنبئين

ادعى رجل النبوة في أيام الرشيد رحمه الله فلما مثل بين يديه قال ما الذي يقال عنك قال
إني نبي كريم قال فأي شيء من دلائلك قال سل عما شئت قال أريد أن تجعل هذه المماليك
المرد ملتحين فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال كيف يحل أن أجعل هذه المرد ملتحين وأغير هذه الصورة
الحسنة أجعل هؤلاء أصحاب اللحى مرداً في لحظة واحدة فضحك منه الرشيد وعفا عنه وتنبأ
إنسان في زمن المأمون رحمه الله فطالبوه بمعجزة فقال أطرح لكم حصاة في الماء فتذوب قالوا نعم
فأخرج حصاة كانت معه وطرحها في الماء فذابت فقالوا هذه حيلة ولكن نعطيك حصاة ودعها
تذوب فقال لستم أجل من فرعون ولا أنا أعظم حكمة من موسى عليه السلام ولم يقل فرعون لموسى
أرضى بما تفعل بعصاك حتى أعطيك عصى من عندي تجعلها ثعباناً فضحك المأمون وأجازه وتنبأ
رجل في أيام المأمون أيضاً وادعى أنه إبراهيم الخليل عليه السلام كانت له معجزة وبراهين قال
وما براهينه قال أضرمت له نار وألقي فيها فصارت عليه برداً وسلاماً ونحن نوقد ناراً ونطرحك
فيها فإن كانت عليك كما كانت عليه آمنا بك قال أريد واحدة أخف من هذه قال فبراهين موسى عليه
السلام ألقى عصاه فإذا هي حية تسعى وضرب بها البحر فانفلق وأدخل يده في جيبه فأخرجها
فإذا هي بيضاء قال وهذه علي أصعب من الأولى قال فبراهين عيسى عليه السلام قال وما هي

قالوا

قالوا إحياء الميت قال مكانك وصلت أنا أضرب رقبة القاضي يحيى بن أكثم وأحييه لكم
فقال يحيى رحمه الله أما أنا فأول من آمن بك وصدق فضحك المأمون وعفا عنه وأمر له بصلة
وتنبأ رجل في أيام المعتصم رحمه الله فلما حضر بين يديه قال له أنت نبي قال نعم قال وإلى من بعثت
قال إليك قال أشهد أنك لسفيه أحمق قال إنما بعثت إلى قوم مثلك فضحك المعتصم وأمر
له بصلة وتنبأ آخر في زمن المأمون رحمه الله فقال له أريد منك بطيخاً في هذه الساعة قال
أمهلني ثلاثة أيام قال ما أريده إلا الساعة قال ما أنصفتني يا أمير المؤمنين إذا كان الله سبحانه
وتعالى الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ما يخرجه إلا في ثلاثة شهور وما تصبر علي ثلاثة
أيام فضحك منه ووصله وتنبأ آخر في زمن المأمون أيضاً فلما مثل بين يديه قال له من أنت قال
أنا أحمد النبي قال لقد ادعيت زوراً فلما رأى الأعوان قد أحاطت به وهو ذاهب قال يا أمير المؤمنين
أنا أحمد النبي تذمه أنت فضحك المأمون منه وخلى سبيله وتنبأ آخر في زمن المتوكل رحمه الله
فلما مثل بين يديه قال له أنت نبي قال نعم قال فما الدليل على صحة نبوتك قال القرآن العزيز
يشهد بنبوتي في قوله تعالى إذا جاء نصر الله والفتح وأنا اسمي نصر الله قال فما معجزتك قال ائتوني
بامرأة عاقر أنكحها تحمل بولد يتكلم في ساعة ويؤمن بي فقال المتوكل للوزير ابن الحسن بن علي رحمه الله
أعطه زوجتك حتى تبصر كرامته فقال الوزير أما أنا فأشهد أنه نبي وإنما يعطيه زوجته من لا
يؤمن به فضحك المتوكل وأطلقه وادعى رجل النبوة في زمن خالد بن عبد الله القسري رحمه الله وعارض
القرآن فأتي به إلى خالد فقال له ما تقول قال عارضت القرآن قال بماذا قال الله تعالى إنا
أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر وقلت أنا إنا أعطيناك الجماهر فصل لربك
وجاهر ولا تطع كل ساحر فأمر به خالد فضربت رقبته وصلب فمر به خلف بن خليفة الشاعر
فضرب بيده على الخشبة وقال إنا أعطيناك العمود فصل لربك من قعود وأنا ضامن أن لا تعود
وتنبأت امرأة في زمن المتوكل رحمه الله فلما حضرت بين يديه قال لها أنت نبية قالت نعم قال
أتؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم قالت نعم قال فإنه صلى الله عليه وسلم قال لا نبي بعدي قالت فهل
قال لا نبية بعدي فضحك المتوكل وأطلقها وتنبأ رجل وتسمى نوحاً وكان له صديق ينهاه ولا
يقبل فأمر السلطان بقتله فقتل وصلب فمر به صديقه فقال يا نوح ما حصل لك من السفينة
إلا على الصاري

فصل في نوادر السؤال

وقف أعرابي بباب يسأل فقيل له صخر من باب الدار بورك فيك فقال قبح الله هذا الفم
لقد علمت الشر صغيراً ووقف سائل على باب فقال يا أصحاب المنزل فبادر صاحب الدار
قبل أن يتم السائل كلامه فقال فتح الله عليك فقال السائل يا قرنان كنت تصبر لعلي جئت أدعوك
إلى وليمة ووقف سائل على باب فقالوا يفتح الله لك فقال كسرة فقالوا ما نقدر عليها قال فقليل
من بر أو فول أو شعير قالوا ولا نقدر عليه قال فقطعة دهن أو قليل زيت أو لبن قالوا

ولا نقدر عليه، قال فشربة ماء قالوا وليس عندنا ماء قال فما جلوسكم هاهنا قوموا فاسألوا
فأنتم أحق مني بالسؤال والله أعلم.

فصل في نوادر المؤذنين

قيل لمؤذن ما نسمع أذانك فلو رفعت صوتك فقال إني لأسمع صوتي من مسيرة ميل وقال
بعضهم رأيت مؤذنا أذن وجعل يجري فقلت إلى أين فقال أحب أن أسمع أذاني من بعيد واختصم
رجلان في جارية فأودعاها عند مؤذن فلما أصبح وفرغ من الأذان قال لا إله إلا الله
ذهبت الأمانة من الناس فقيل له كيف ذهبت قال إن هذه الجارية التي وضعت عندي
قيل إنها بكر فلما أتيتها وجدتها ثيبا. وشوهد مؤذن يؤذن من رقعة فقيل له ما تحفظ الأذان
قال اسألوا القاضي فأتوه فقال سلام عليكم فأخرج رقعة وتصفحها وقال وعليكم السلام
فعذروا المؤذن.

فصل في نوادر النواتية

حكي أن بعض النواتية تولى أحد الكراسي الطابية لما ساعده الزمان الخبيث فبينما
في بعض الأيام جالس في داره إذ سمع صوتا برى الباب فقال لزوجته أري عنا عني البد
حلي قلوعي واعلي اسعو بني على جاسوري وقدمي لي اسقالة الرجل وقمني بمدره.
فامتثلت كلامه فنزل وجلس على مصطبة وقد علت مرتبته فوقفت المقدمين بين
يديه والجبلية حواليه وإذا الشيخ قد أقبل ينادي أنا بالله وبالوالي فقال له تعال
يا شيخ ما لي أرى أرمولك في مطلقك وشابورتك مكسورة وأنت تنزلع الماء
المتحير ونعم الملاح في الساحل دخل عليك شرد غربي وإلا دخلت على بواجي فقال له
يا شيخ بعض نواتية البحر عمل بي هذا فقال يا دبابا دجبوا غريم هذا الرجل وإن شمر عليكم
وما عمر البر فخنسوا عدته وقشطوا كل شيء على ظهره وجروه على مقدمه حتى يجبر فامتثلوا
كلام الأمير وجاؤوا بالغريم فلما مثل بين يديه قال له والك أنت يا تعوس مسعر البحر
أنت الذي قطعت لك العلت وخرجت في الشحن حتى لقيت هذا الرجل نطحت بخطمته وكسرت
اسقالته لو انصلح ما كنت عملتك في بدراوه وعلقتك في شمال الصاري فلما سمع الرجل
كلام الوالي علم أنه من أولاد المحبشة فقال له بعمر النواتية والله يا خوند هو كان زرني
في محاشي اجمطن على لوحل وأنا عايم في الليل وإذا البشر جاني من الشرق مكابسه هند
الطراف وكسر شازي وقطع لباني وها هو يحمد الله على بر السلامة وإن كان انصلح فيه شيء
أنا بمرسوم الأمير لجيب له قلفاط أسد فتحته وأعمل له وسقه واخليه يخرج يروح في
طريقه فقال له الوالي أراك تتقدف في وجهي وتطرح تقاديفك حتى تعبر على الحجر يا رجاله
الصاري سللوا اطرافه وعروا مقاديفه وبلوا شبير لبانه وانزلوا عليه واوسقوه
واوسقوه حتى يلحبط لما على بر وقد بطومته هيا فواضعه زواياه جنب برا جنب جوا
خن قدام خن ورا الصاري العروس أكل علقة من كعبه إلى أذنه فقالت النواتيه

باخوند هو دس خفست عليه اللطمة البحرية فقال مد رايتين نقند فلي قاموه باس يد
الأمير وقال يا خوند وقال سألتك بهبوب الرياح وطيب النسيم برب لا سليك بحر اللبان
في الخلا وأنت حافي في الصيافي برب لا سليك بالعطش في الأرحانية قال فرق له الأمير
ثم قال وأنا الآخر أقسم بمن ضرب القلع باللبان الخلفا عند خشية الريح وفروغ الزاد
وعياط الركاب وقيام الموجه وبعدا لبر في أيام النيل لولا شفاعة الركاب لا مدك
اسقاله وأقعد في زوايدك وأخلي ظهرك جيفة فقال والله يا خوند ما بقي في جنبي تحمل لهذا
الوسق العظيم ولكن إن عدت من اليوم اغير لهذا الوجه اخسف بين اضلاعي لوح وعرقني
بالعايم فقال الحمد لله على سلامتك اخرج في هذه الطيابة وكتب له مرسوم وعلم عليه علامة
النواتية الله لك الله لي يا حملات على ابوس. وقيل لعثمان بن دراج الطفيلي رحمه الله يوما
كان يصنع بالقوس إذا لم يدخلك أصحابه قال أنوح على أبو الهم فيتطيرون من ذلك فيدخلوني
وقيل له أتعرف بستان فلان قال أي والله وإنه الجنة الحاضرة في الدنيا فقيل لم لا تدخل
إليه وتأكل من ثماره تحت أشجاره وتسبح في أنهاره قال لأن فيه كلبا لا يتمضمض إلا بدما
عراقيب الرجال. وقيل له ما هذه الصفرة في لونك قال من الفترة بين القصعتين. وقال
مررت بجنازة ومعي ابني ومع الجنازة امرأة تبكي وتقول يذهبون بك إلى بيت لا فراش
فيه ولا وطا ولا غطا ولا خبز ولا ما فقال ابني يا أبت إلى بيتنا يذهبون. والله أعلم.

فصل نوادر جامعة

قال سمعت امرأة الحديث صوم يوم عرفة كفارة سنة فصامت إلى الظهر ثم أفطرت وقالت
يكفيني كفارة ستة أشهر. وأسلم مجوسي فثقل عليه الصوم فنزل إلى سرداب وقعد يأكل
فسمع ابنه حسه فقال من هذا فقال أبوك الشقي يأكل خبز نفسه ويفزع من الناس. وبنى
بعض المغفلين نصف دار وبنى رجل النصف الآخر فقال المغفل يوما قد عزمت على بيع النصف
الذي لي واشتري به النصف الآخر ليكمل لي جميع الدار. وسئل جامع الصيدلاني رحمه الله عن
عمر ابنته فقال لا أدري إلا أنها ولدتها في أيام البراغيث. وقيل لطفيلي أي سورة تعجبك
في القرآن قال سورة المائدة قيل فأي آية فيها قال ذرهم يأكلوا ويتمتعوا قيل ثم ماذا
قال آتنا غداءنا قيل ثم ماذا قال ادخلوها بسلام آمنين قيل ثم ماذا قال وما هم منها
بمخرجين. وحكي عن الرشيد رحمه الله أنه أرق ذات ليلة أرقا شديدا فقال لوزيره
جعفر بن يحيى البرمكي رحمه الله إني أرقت في هذه الليلة وضاق صدري ولم أعرف ما أصنع
وكان خادمه مسرور واقفا أمامه فضحك فقال له مم تضحك استهزاء بي أم استخفافا فقال
لا وقرابتك من سيد المرسلين ما فعلت ذلك عمدا ولكن خرجت بالأمس أتمشى بظاهر القصر
إلى أن جئت إلى جانب الدجلة فوجدت الناس مجتمعين فوقفت فرأيت رجلا واقفا يضحك الناس

فقال له ابن المغازلي تفكرت الآن في شيء من كلامه فضحكت والعفو يا أمير المؤمنين
فقال له الخليفة ايتني به الساعة فخرج مسرور مسرعًا الى ان جاء الى ابن المغازلي فقال
له أجب أمير المؤمنين فقال له سمعًا وطاعة فقال له بشرط انك اذا دخلت اليه وأنعم
عليك بشيء يكون لك منه الربع والبقية لي من انعامه فقال لا بل اجعل لي النصف ولك
النصف فأبى فقال لي الثلث ولك الثلثان فأجابه الى ذلك بعد جهد عظيم فلما دخل على
أمير المؤمنين سلم فأبلغ وترجم فأحسن ووقف بين يديه فقال له أمير المؤمنين ان انت
أضحكتني أعطيتك خمسمائة دينار وان لم تضحكني ضربتك بهذا الجراب ثلث ضربات فقال
ابن المغازلي في نفسه وما عسى أن تكون ثلث ضربات بهذا الجراب وظن في نفسه انه
فارغ فوقف وتكلم وتمسخر وفعل فعالا تضحك الجلمود فلم يضحك أمير المؤمنين ولم يتبسم
فتعجب ابن المغازلي وضجر وخاف فقال له أمير المؤمنين الآن استحققت الضرب
ثم انه أخذ الجراب ولفه وكان فيه أربع زلطات كل واحدة وزنها رطلين فضربه ضربة
فلما وقعت الضربة في رقبته صرخ صرخة عظيمة وافتكر الشرط الذي شرطه عليه
مسرور فقال العفو يا أمير المؤمنين اسمع مني كلمتين فقال قل ما بدا لك قال يا أمير المؤمنين
ان مسرورا الطواشي شرط علي شرطا واتفقت انا واياه على مصلحة وهو ان ما حصل
لي من صدقات أمير المؤمنين يكون له فيه الثلثان ولي الثلث وما اجابني الى ذلك الا بعد
جهد عظيم والآن لم يحصل لي غير الضرب وقد شرطت علي يا أمير المؤمنين ثلث ضربات
فنصيبي منهم واحدة ونصيبه اثنين وقد أخذت نصيبي وها هو واقف فادفع له نصيبه
يا أمير المؤمنين فقال فعند ذلك ضحك أمير المؤمنين وأعجبه ودعى بمسرور فضربه
ضربة فصاح وقال يا أمير المؤمنين قد وهبت له ما بقي فضحك وأمر لهما بألف دينار
لكل واحد خمسمائة والله أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الباب السابع
والستون في الدعا وآدابه وشروطه
وفيه فصول

الفصل الأول في الدعا وآدابه قال الله تعالى واذا سألك عبادي عني فاني قريب
أجيب دعوة الداعي اذا دعان اختلف المفسرون في سبب نزولها فقال مقاتل ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنهما واقع امرأته بعدما صلى العشاء في رمضان فندم على ذلك وبكى وجاء الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك ورجع مغتمًا وكان ذلك قبل الرخصة فنزلت هذه
الآية وروى الكلبي عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهم قال قالت اليهود كيف يسمع
ربنا دعانا وانت تزعم ان بيننا وبين السما خمسمائة عام وغلظ كل سما خمسمائة عام فنزلت

فنزلت

فنزلت هذه الآية وقال الحسن رضي الله عنه ان قوما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم
أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت هذه الآية قوله تعالى أجيب دعوة الداعي
اذا دعان أي أقبل عبادة من عبدني فالدعا بمعنى العبادة والاجابة بمعنى القبول
قال قوم ان الله تعالى يجيب كل الدعا فاما ان تظهر الاجابة في الدنيا واما ان يكفر عن الداعي
واما ان تدخر له في الآخرة لما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها اثم ولا قطيعة رحم الا اعطاه الله تعالى
بها احدى ثلث اما ان يعجل له دعوته واما ان تدخر له في الآخرة واما ان يكفر عنه من السو
مثلها وروى انه اذا كان يوم القيمة واستقر أهل الجنة في الجنة فبينما العبد المؤمن
في قصره واذا ملك من عند ربه يأتونه بتحية من عند ربه فيقول ما هذا البر الله
قد انعم علي واكرمني فيقولون الست كنت تدعو الله في الدنيا هذا دعاؤك الذي كنت
تدعو ادخر لك واعلم ان اجابة الدعا لا بد لها من شروط فشرط الداعي ان يكون
عالما بان لا قادر الا الله تعالى وان الوسائط في قبضته ومسخرة بتسخيره وان يدعو
بنية صادقة وحضور قلب فان الله تعالى لا يستجيب دعا من قلب لاه وان يكون متجنبا
لأكل الحرام وان لا يمل الدعا ومن شرط المدعو فيه ان يكون من الامور الجائزة الطلب
والفعل شرعا كما قال ما لم يدع باثم او قطيعة رحم فيدخل في الاثم كل ما يأثم به من الذنوب
ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم وقال ابن عطا رحمه الله ان للدعا اركانا
واجنحة واسبابا واوقاتا فان وافق اركانه قوي وان وافق اجنحته طار في السما
وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه نجح فأركانه حضور القلب والخشوع واجنحته
الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وقيل شرط
الدعا ان يكون سليما من اللحن كما قال بعضهم ينادي ربه باللحن ليث كذاك اذا دعاه لا يجيب
وقيل ان الله تعالى لا يستجيب دعا عريفا ولا شرطيا ولا جابيا ولا عشارا ولا صاحب عرطبة
وهي الطنبور ولا صاحب كوبة وهي الطبل الكبير الصغير الوسط ومن آداب الدعا
ان يدعو الداعي مستقبل القبلة ويرفع يديه لما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان ربكم حي كريم يستحيي من عبده اذا رفع اليه يديه ان يردهما صفرا وان يمسح بهما وجهه
بعد الدعا لما روي عن عمر رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد
يديه في الدعا لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وان لا يرفع بصره الى السما لقوله صلى الله
عليه وسلم لينتهين اقوام عن رفع ابصارهم الى السما عند الدعا او لتخطفن ابصارهم
وان يخفض الداعي صوته لقوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية وينبغي للداعي ان لا يتكلف
ويأتي بالكلام المطبوع غير المسجوع لقوله عليه السلام اياكم والسجع في الدعا حسب

احدكم ان يقول اللهم انى اسالك الجنة وما قرب اليها من قول ومن عمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وقيل ادعو بلسان الذلة والاحتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق وكانوا لا يزيدون فى الدعا على سبع كلمات فما دونها كما ترى فى اخر سورة البقرة وعن سفين بن عيينة رضى الله عنه لا يمنعن احدكم من الدعا ما يعلم من نفسه فان الله تعالى اجاب دعا اشر الخلق ابليس اذ قال انظرنى الى يوم يبعثون وعن النبى صلى الله عليه وسلم اذا سال احدكم مسلة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ومن ابطا عليه من ذلك شى فليقل الحمد لله على كل حال وعن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعا الا قال سبحان ربى الاعلى الوهاب وعن ابى سليمان الدارانى رحمه الله من اراد ان يسال الله تعالى حاجة فليبدا بالصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يسال حاجته ثم يختم بالصلوة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وينبغى للمومن ان يجتهد فى الدعا وان يكون على رجا من الاجابة وان لا يقنط من رحمه الله تعالى لانه يدعو كريما وللدعا اوقات واحوال يكون الغالب فيها الاجابة وذلك وقت السحر ووقت الفطر وما بين الاذان والاقامة وعند جلسة الخطيب بين الخطبتين الى ان يسلم من الصلوة وعند نزول الغيث وعند لقا الجيش فى الجهاد فى سبيل الله تعالى وفى الثلث الاخير من الليل لما جا فى الحديث فى الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسال الله تعالى شيا الا اعطاه وفى حالة السجود لقوله صلى الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه فى السجود فاكثروا فيه الدعا وما بين الظهر والعصر فى يوم الاربعا واوقات الاضطرار وحالة السفر والمرض كل هذا جات به الاثار قال جابر بن عبد الله رضى الله عنه دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد الفتح ثلثا يوم الاثنين ويوم الثلثا فاستجيب له يوم الاربعا بين الصلاتين فعرفت السرور فى وجهه قال جابر وما نزل بى امر مهم غليظ الا توخيت تلك الساعة فادعو فيها فاعرف الاجابة وفى بعض الكتب المنزلة يا عبدى اذا سالتنى فاسالنى فانى غنى واذا طلبت النصرة فاطلبها منى فانى قوى واذا افشيت سرك فافشه الى فانى وفى واذا اقرضت فاقرضنى فانى ملى واذا دعوت فادعنى فانى حى وعن ابى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ينزل ربنا كل ليلة الى سما الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسالنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له وكان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول من اقر لله باسانه جاد الله عليه بمغفرته ومن لم يمن على الله بطاعته اوصله الى جنته ومن اخلص لله فى دعوته من الله عليه باجابته وقال على رضى الله عنه ادفعوا امواج البلا بالدعا وعن انس يرفعه لا تعجزوا عن الدعا

فانه لن يهلك احد مع الدعا

فصل فى الادعية وما جا فيها

كان من دعا شريح رحمه الله اللهم انى اسالك الجنة بلا عمل عملته واعوذ بك من النار بلا ذنب تركته ودعت اعرابية عند البيت وقالت الهى لك اذل وعليك ادل وكان من دعا عمر بن ذر رحمه الله اللهم ان كنا عصيناك فقد تركنا من معاصيك ابغضها اليك وهو الاشراك وان كنا قصرنا عن بعض طاعتك فقد تمسكنا منها باحبها اليك وهو اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وان رسلك جات بالحق من عندك ومن دعا سلام بن مطيع رحمه الله اللهم ان كنت بلغت احدا من عبادك الصالحين من عبادك فبلغنيها بالعافية وقيل لفتح الموصلى رحمه الله ادع الله لنا فقال اللهم هب لنا عطاك ولا تكشف عنا غطاك وكان من دعا بعض السلف رحمهم الله اللهم لا تحرمنى خير ما عندك لشر ما عندى فان لم تقبل تعبى ونصبى فلا تحرمنى اجر المصاب على مصيبته اللهم لا تكلنا الى انفسنا فنعجز ولا الى الناس فنضيع وقال الحسن رحمه الله من دخل المقابر فقال اللهم رب الارواح الفانية والاجساد البالية والعظام النخرة التى خرجت من الدنيا وهى بك مومنة ادخل عليهم روحا منك وسلاما منى كتب الله له بعدد من مات من لدن ادم الى ان تقوم الساعة حسنات وحكى معروف الكرخى رحمه الله ان العجم كانوا يجتهدون فى الدعا بعرفات وكان فيهم رجل من التراكمة ساكت لا يحسن ان يدعو فخشع قلبه ووقع عليه البكا فقال بلغته اللهم انك تعلم انى لا احسن شيا من دعوا القوم فاسالك ما يطلبون منك عاد دعوا فراى بعض الصالحين فى منامه ان الله تعالى قبل حج الناس بدعوة التركمانى لما نظر الى نفسه بالعجز والفاقة وقال الاصمعى رحمه الله حضرت عبد الملك رحمه الله على كلمة تكلم بها عند الموت وهى اللهم ان ذنوبى كثرت وجلت عن الصفة وانها لصغيرة فى جنب عفوك فاعف عنى وقال الثورى رحمه الله كان من دعا السلف رحمهم الله اللهم زهدنا فى الدنيا ووسع علينا فيها ولا تزوها عنا ولا ترغبنا فيها وركب ابراهيم بن ادهم رحمه الله فى سفينة فهاجت الريح وبكى الناس وايقنوا بالهلاك وكان ابراهيم نايما فى كسا فاستوى جالسا وقال اريتنا قدرتك فارنا عفوك فهدت الريح وسكن البحر وقيل ما قرع باب السما بمثل مفاتيح الدعا وكان بعض الاعراب اذا اوى الى فراشه قال اللهم انى اكفر بكل ما كفر به محمد صلى الله عليه وسلم وامن بكل ما امن به ثم يضع راسه وسمعت بدوية تقول فى دعايها يا صباح يا فتاح يا مطعم يا عريض الجفنة يا ابا المكارم فزجرها رجل فقالت دعنى ادعو ربى واتجدا بما تستعمله العرب قال الزمخشرى رحمه الله فى كتابه ربيع الابرار سمعت من العرب من يدعو عند الركن الشريف يا ابا المكارم يا ابيض الوجه وهذا ونحوه منهم انما يقصدون به الثنا على الله تعالى بالكرم

والنزاهة عن القبيح على طريق الاستعارة فانه لا فرق عندهم بين الكريم وابا المكارم
ولا بين الجواد والعريض الجفنة ولا بين المنزه والابيض ودعى اعرابى فقال اللهم انك
اعطيتنا الاسلام من غير ان نسالك فلا تحرمنا الجنة ونحن نسالك ❊ وذكر عند سلام
بن ابي مطيع رحمه الله ان الرجل تصيبه البلوى فيدعو فتبطئ عنه الاجابة فقال بلغني ان
الله تعالى يقول كيف ارحمه من شيء به ارحمه وقال طاوس رحمه الله انى لفى الحجر ليلة
اذ دخل على بن الحسين فقلت رجل صالح من اهل بيت الخير لاسمعن دعاءه فسمعته يقول
عبيدك بفنائك مسكينك بفنائك فقيرك بفنائك فما دعوت بهن في كرب الا فرج عني
وقال ابن المسيب رحمه الله سمعت من يدعو بين القبر والمنبر اللهم اني اسالك
عملا بارا ❊ ورزقا دارا ❊ وعيشا قارا ❊ فدعوت به فلم ار الا خيرا ودعت اعرابية
بالموقف فقالت اسالك بسترك الذي لا تزيله الرياح ولا تخرقه الرماح وقال
سفين الثوري رحمه الله سمعت اعرابيا يقول اللهم ان كان رزقي في السماء فانزله
وان كان رزقي في الارض فاخرجه وان كان نائيا فقربه وان كان قريبا فيسره وان
كان قليلا فكثره وان كان كثيرا فبارك فيه ❊ وقال ابو نواس رحمه الله ❊

شعر

❊ احببت من شعر بشار لكلمته ❊ بيتا لهجت به من شعر بشار ❊
❊ يا رحمة الله حلي في منازلنا ❊ وجاورينا فدتك النفس من جار ❊

رحمة الله جارية بصرية كان بشار يتغزل فيها وانما كنناه على رحمة الله التي وسعت كل
شيء وقد لهج بها ابن هانى رحمه الله بحبيبة له اسمها رحمة وكل يتاول على حسب همته وتحت
تاويلنا الحسن وقال موسى عليه السلام يا رب انك لتعطي اكثر من املي فقال لكثرة
قولك ما شاء الله لا قوة الا بالله ❊ وسمع بعض الصالحين يقول يا محسن قد جاءك المسيء فتجاوز
عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك وسمع علي رضي الله عنه رجلا يقول وهو متعلق باستار
الكعبة يا من لا يشغله سمع عن سمع ولا تغلطه المسائل ولا يبرمه الحاح الملحين اذقني برد
عفوك وحلاوة مغفرتك فقال علي رضي الله عنه والذي نفسي بيده لو قلتها وعليك مثل
السموات والارض من الذنوب لغفر لك وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال ما انتهيت الى الركن اليماني قط الا وجدت جبريل عليه السلام قد
سبقني اليه يقول قل يا محمد اللهم اني اعوذ بك من الكفر والفقر والفاقة ومن مواقف
الخزي ❊ وهبط جبريل على يعقوب عليهما السلام فقال يا يعقوب ان الله تعالى يقول لك
قل يا كثير الخير يا دايم المعروف رد على ابني فقالها فاوحى الله اليه وعزتي لو كانا ميتين
لنشرتهما لك ❊ وكان مسلم الخراساني رحمه الله اذا دهمه امر قال يا مالك يوم الدين اياك

نعبد واياك نستعين وقال محمد بن جعفر رحمه الله ما المبتلى الذي اشتد بلاؤه
باحق بالدعاء من المعافى الذي لا يامن البلاء وكان الزهري رضي الله عنه يدعو بدعاء
الحديث به دعاء جامع يقول اللهم اني اسالك من كل خير احاط به علمك في الدنيا والاخرة
وعن عقبة بن عبد الغافر رحمه الله دعوة في السر افضل من سبعين دعوة في العلانية
واعلم ان التوحيد في الدعاء عند الملمات هو سفينة النجاة من الحوادث المهلكات
وعن ابي الدرداء رضي الله عنه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم العصر فمر بنا
كلب فما بلغت يده رجله حتى وقع ميتا فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
من داعى على الكلب آنفا فقال رجل من القوم انا يا رسول الله قال لقد دعوت الله
باسمه الذي اذا دعي به اجاب واذا سئل به اعطى كيف دعوت الله قال قلت اللهم اني
اسالك بان لك الحمد لا اله الا انت المنان بديع السموات والارض يا ذا الجلال
والاكرام ❊ وقيل انه دخلت اذن رجل من اهل البصرة حصاة فعالجها الاطباء فلم يقدروا عليها
حتى وصلت الى صماخه فاتى الى رجل من اصحاب الحسن رحمه الله فشكى له ما اصابه من الحصاة
فدعا له بدعاء العلاء بن الحضرمي رحمه الله وهو يا علي يا عظيم ❊ يا حليم ❊ يا عليم ❊ قال
الراوي فما برحنا حتى خرجت الحصاة من اذنه ولها طنين حتى ضربت الحائط وقال
انس رضي الله عنه اذا قال العبد يا رب يا رب يقول الله عز وجل لبيك عبدي ❊
وعنه قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل وهو يقول يا ارحم الراحمين فقال
له رسول الله صلى الله عليه وسلم سل فقد نظر الله اليك وروي عن علي بن زفر رحمه
الله عن اخ له وكان فاضلا صالحا قال دعوت الله تعالى ان يريني الاسم الاعظم الذي
اذا دعي به اجاب فقمت ليلة اصلي فسمعت قعقعة في سقف البيت ثم هبط نور حتى
صار تلقاء وجهي واذا هو مكتوب بالنور فقراته يا الله يا رحمن يا ذا الجلال والاكرام
ومن دعاء الكرب ما روي عن وهب بن عباس رحمهما الله قال هل تجد فيما تقرا
من الكتب دعاء تدعو به عند الكرب قال نعم اللهم اني اسالك يا مبرم لك حوائج السائلين
ويعلم ضمير الصامتين فان لكل مسالة منك سمعا حاضرا وجوابا عتيدا ولكل صامت منك
علما باطنا محيطا اسالك بمواعيدك الصادقة واياديك الفاضلة ورحمتك الواسعة
ان تصلي كذا وكذا فقال ابن عباس هذا دعاء علمته في الليل ما كنت ارى ان احدا
يحسنه وعن معروف الكرخي رحمه الله قال اجتمعت اليهود اخزاهم الله على قتل عيسى
عليه السلام بزعمهم فاهبط الله عليه جبريل عليه السلام وفي باطن جناحه مكتوب اللهم اني اعوذ
باسمك الاجل الاعز وادعوك اللهم باسمك الاحد الصمد وادعوك اللهم باسمك
العظيم الوتر وادعوك باسمك الكبير المتعال الذي ملا الاركان كلها ان تكشف عني

فيما أصبحت وأمسيت فيه فأوحى الله عز وجل إلى جبريل عليه السلام أن ارفع
عبدي إلي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه عليكم بهذا الدعاء ولا
تستبطئوا الإجابة فإن ما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون
إسناد هذا متصل إلى معروف الكرخي رحمه الله وهو منقطع لو لم يكن فيه من
البركة إلا رواية معروف لكان كافيا في قبوله والعمل به والله أعلم بالصواب

حديث عبد الله بن أبان الثقفي رحمه الله

قال وجهني الحجاج بن يوسف في طلب أنس بن مالك رضي الله عنه فظننت
أنه يتوارى مني فأتيته بخيلي ورجلي فإذا هو جالس على باب داره ممدودة رجلاه
فقلت له أجب الأمير فقال لي أي الأمراء فقلت أبا محمد الحجاج فقال غير مكترث به قد أذله الله
ما أرى أعز لأن العزيز من اعتز بطاعة الله عز وجل والذليل من ذل بمعصية الله وصاحبك
قد بغى وطغى واعتدى وخالف كتاب الله تعالى والسنة والله لينتقمن الله منه فقلت له اقصر
عن الكلام وأجب الأمير فقام معنا حتى أحضرناه بين يديه فقال له أنت أنس بن مالك
قال نعم قال أنت الذي تدعو علينا وتسبنا قال نعم قال وممن ذلك قال لأنك عاص لربك
مخالف لسنة نبيك تعز أعداء الله وتذل أولياء الله فقال له أتدري ما أريد أن أفعل بك
قال لا قال أريد أن أقتلك شر قتلة قال لو علمت أن ذلك بيدك لعبدتك من دون الله تعالى
فقال له الحجاج ولم ذلك قال لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم علمني دعاء وقال من دعا به في صباح
لم يكن لأحد عليه سبيل وقد دعوت به في صباحي هذا فقال له الحجاج علمنيه فقال معاذ الله
أن أعلمه أحدا ما بقيت أنت في الحياة فقال الحجاج خلوا سبيله فقال له الحاجب أيها الأمير
لنا في طلبه كذا وكذا يوما حتى أخذناه فكيف تخلي سبيله فقال رأيت على عاتقيه أسدين عظيمين
فاتحين أفواههما ثم إن أنسا رضي الله عنه لما حضرته الوفاة علم الدعاء لإخوانه وهو هذا
بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله خير الأسماء بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء بسم الله الكافي
بسم الله المعافي بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم
بسم الله على نفسي وديني بسم الله على أهلي ومالي بسم الله على كل شيء أعطاني ربي الله أكبر
الله أكبر الله أكبر أعوذ بالله مما أخاف وأحذر الله ربي لا أشرك به شيئا عز جارك
وجل ثناؤك وتقدست أسماؤك ولا إله غيرك اللهم إني أعوذ بك من كل جبار عنيد
وشيطان مريد ومن شر قضاء السوء ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربي على
صراط مستقيم اللهم بما لطفت في عظمتك دون اللطفاء وعلوت بعظمتك على العظماء
وعلمت ما هو تحت أرضك كعلمك بما فوق عرشك وكانت وساوس الصدور كالعلانية
عندك وعلانية القول كالسر في علمك وانقاد كل شيء لعظمتك وخضع كل ذي سلطان

لسلطانك

لسلطانك وصار أمر الدنيا والآخرة بيدك اجعل لي من كل هم وغم أصبحت وأمسيت فيه
فرجا ومخرجا اللهم إن عفوك عن ذنوبي وتجاوزك عن خطيئتي وسترك على قبيح عملي أطمعني
فيك أن أسألك ما لا أستوجبه وما قصرت عنه أدعوك آمنا وأسألك مستأنسا وإنك
المحسن إلي وأنا المسيء إلى نفسي فيما بيني وبينك تتودد إلي بالنعم وأتبغض إليك بالمعاصي
فأنت مولى كريم عطفت على عبد لئيم مثلي ولكن الثقة بك حملتني على الجرأة عليك فأسألك
بجودك وكرمك وإحسانك وطولك أن تصلي على محمد وآله وأن تفتح لي باب الفرج بطولك
وتغلق عني باب الهم بعد ذلك ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين فأعجز ولا إلى الناس فأضيع برحمتك
يا أرحم الراحمين وروى الحافظ النسفي رحمه الله بإسناده عن ابن شهاب عن الزهري عن أبي
سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنهم قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجل ساجد وهو
يقول في سجوده اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك من مظالم كثيرة لعبادك قبلي فأيما عبد
من عبادك أو أمة من إمائك كانت له قبلي مظلمة ظلمتها إياه في ماله أو بدنه أو عرضه علمتها
أو لم أعلمها ولا أستطيع أن أتحللها فأسألك أن ترضيه عني بما شئت وكيف شئت ثم تهبها لي
من لدنك إنك واسع المغفرة ولديك الخير كله يا رب ما تصنع بعذابي ورحمتك وسعت كل
شيء فليسعني رحمتك فأي شيء وما عليك يا رب أن تكرمني برحمتك ولا تفضحني بذنوبي يا رب
وما عليك أن تعطيني الذي سألتك يا الله يا رب فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارفع رأسك فقد غفر الله لك إن هذا دعاء أخي شعيب عليه السلام وقال صالح المدني رحمه الله
قال لي قائل في منامي إن أحببت أن يستجاب لك فقل اللهم إني أسألك باسمك المخزون المكنون
المبارك الطيب الطاهر المطهر المقدس فما دعوت بها في شيء إلا تعرفت الإجابة وقيل
إن هذا الدعاء فيه الاسم الأعظم وهو هذا بسم الله الرحمن الرحيم اللهم إني أسألك بالعزة
التي لا ترام وبالملك الذي لا يضام وبالعين التي لا تنام وبالنور الذي لا يطفى وبالوجه
الذي لا يبلى وبالحياة التي لا تموت وبالديمومة التي لا تفنى وبالصمدية التي لا تقهر وبالربوبية
التي لا تستذل أن تجعل لنا من أمرنا فرجا ومخرجا حتى لا نرجو غيرك يا أرحم الراحمين وقال
سعيد بن المسيب رحمه الله دخلت المسجد في ليلة مقمرة وأظن أني قد أصبحت وإذا الليل
على حاله فقمت أصلي وجلست أدعو فإذا هاتف يهتف من خلفي يا عبد الله قل قلت ما أقول قال
قل اللهم إني أسألك بأنك مالك وأنك على كل شيء قدير وما تشاء من أمر يكون قال سعيد رحمه الله
فما دعوت بها قط في شيء إلا رأيت نجحه وعن الشيخ كمال الدين الدميري رحمه الله قال روينا
عن قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز بن جماعة قال أنبأنا الشيخ الإمام العالم شرف الدين
أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن سباع الفزاري خطيب دمشق قال أنبأنا الإمام زين الدين
أبو البقاء خالد بن يوسف النابلسي بقراءتي عليه قال أنبأنا الإمام العالم الحافظ تاج الدين

ناصر السنة محمد بن الامام ابو محمد القاسم بن الحافظ ابي القاسم علي بن الحسين بن عبد الله
بن عساكر قراءة عليه وانا اسمع قال رويت بالاسناد وذكر اسناده الى الامام الحجة
التابعي الجليل محمد بن سيرين رحمهم الله قال نزلنا بنهر تيرا فاتانا اهل ذلك المنزل
فقالوا ارحلوا فانه لن ينزل هذا المنزل احد الا اخذ متاعه فرحل اصحابي وتخلفت عنهم
فلما امسينا لم انم حتى رايت قوما قد جاوا الي جميعا اكثر من ثلثين مرة وقد جردوا اسيوفهم
فلم يصلوا الي فلما اصبحت رحلت فلقيني شيخ على فرس ومعه فرس عربية فقال لي يا هذا
انسي انت ام جني فقلت بل من بني آدم فقال فما بالك لقد اتيناك في هذه الليلة اكثر
من سبعين مرة وكل ذلك يحال بيننا وبينك بسور من حديد قلت حدثني ابن عمر رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قرا في ليلة ثلثا وثلثين آية لم يضره في تلك
الليلة لص طاري ولا سبع ضاري وعوفي في نفسه وماله حتى يصبح قال فنزل عن فرسه
وكسر قوسه واعطى الله عز وجل عهدا ان لا يعود لهذا الامر **وهذه اول الآيات**
بعد قراءة الفاتحة الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الى قوله واولئك هم المفلحون
وآية الكرسي الى قوله هم فيها خالدون وآمن الرسول الى آخر السورة وان ربكم الله الذي
خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش الى قوله ان رحمة الله قريب من
المحسنين قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن الى آخر السورة والصافات صفا الى قوله
من طين لازب يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا الى قوله فلا تنتصران لو انزلنا
هذا القرآن على جبل الى آخر السورة وانه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولدا الى قوله
شططا قال محمد بن سيرين رحمه الله فذكرت هذا الحديث لشعيب بن حرب رضي الله عنه
فقال كنا نسميها آيات الحرز ويقال ان فيها شفا من مائة داء فعد علي رحمه الله الجذام
والبرص وغير ذلك قال محمد بن علي رحمه الله فقراتها على شيخ لنا قد فلج فاذهب الله عنه ذلك
وقال البوني رحمه الله هذه الآيات شرفها مشهور وفضلها مذكور ولا ينكرها الا غبي
او غوي وقد جربها المشايخ رحمهم الله وعرفها من له في العلم القدم الراسخ والقدر الشامخ
وهي على ما رويناه بل على ما رايناه اولها الفاتحة ثم اول سورة البقرة الى آخر الآيات **وقال**
الشيخ ابو العباس احمد بن القسطلاني سمعت الشيخ ابا عبد الله القرشي رحمهم الله يقول سمعت
ابا زيد القرطبي رحمه الله يقول في بعض الآثار ان من قال لا اله الا الله سبعين الف مرة كانت
فداه من النار فعملت ذلك رجاء بركة الوعد فعملت منها لاهلي وعملت اعمالا منها ادخرتها لنفسي وكان
اذ ذاك يبيت معنا شاب كان يقال انه يكاشف بالجنة والنار وكانت الجماعة ترى له
فضلا على صغر سنه وكان في قلبي منه شيء فاتفق ان استدعانا بعض الاخوان الى منزله فنحن نتناول
الطعام والشاب معنا اذ صاح صيحة منكرة واجتمع في نفسه وهو يقول يا عم هذه امي

في النار وهو يصيح بصياح عظيم لا يشك من سمعه انه عن امر فلما رايت ما به من الانزعاج
قلت في نفسي اليوم اجرب صدقه فالهمني الله عز وجل السبعين الف ولم يطلع على ذلك احد
الا الله تعالى فقلت في نفسي الاثر حق والذي رووه لنا صادقون اللهم ان هذه السبعين الف
فداء ام هذا الشاب من النار فما استتمت الخاطر في نفسي الحال قال يا عم هذه امي اخرجت من
النار والحمد لله فحصل عندي فائدتان ايماني بصدق الاثر وسلامتي من الشاب وعلمي بصدقه **ومن**
خاف انسانا فليصل ركعتين بعد ركعتين بعد صلوة المغرب ثم يضع جبهته على التراب ويقول
يا شديد القوى يا شديد المحال يا عزيزا اذليت بعزتك جميع من خلقت صل على محمد وعلى آل محمد
واكفني فلانا بما شئت **وروى** النسفي باسناده الى محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم انه كان
يقول لولده يا بني من اصابته مصيبة من الدنيا او نزلت به فاقة فليتوضا وليحسن الوضوء
وليصل اربع ركعات او ركعتين فاذا انصرف من صلوته يقول يا موضع كل شكوى يا سامع كل نجوى
ويا شاهد كل ملا ويا عالم كل خفية ويا كاشف ما شا من كل بلية ويا منجي موسى والمصطفى محمد
والخليل ابراهيم ادعوك دعاء من اشتدت فاقته وضعفت قوته وقلت حيلته دعاء الغريب
الغريق الفقير الذي لا يجد لكشف ما هو فيه الا انت يا ارحم الراحمين لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين قال بن الحسين رحمه الله لا يدعو به مبتلى الا فرج الله عنه **ونقل**
للاسم الاعظم بسم الله الرحمن الرحيم اللهم اني اسالك يا مونس كل وحيد يا قريبا غير بعيد يا
شاهدا غير غائب يا غالبا غير مغلوب يا حي يا قيوم يا بديع السموات والارض يا ذا الجلال
والاكرام اسالك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم واسالك
باسمك بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم الذي عنت له الوجوه وخشعت له الاصوات
ووجلت القلوب من خشيته ان تصلي على محمد وعلى آل محمد وان تعطي كذا وكذا وهذه الابيات
لابن حمرطاش رحمه الله قيل ان فيها اسم الله الاعظم **وهي هذه**

اني ارجو عطفة الله ولا ... اقول ان قيل متى ذاك متى
لا بد ان يبشر ما كان طوى ... جودا وان عطر ما كان حوى
وربما يسر ما كان زوي ... وربما قدر ما كان لوى
وكل شيء ينتهي الى مدى ... والشيء يرجى كشفه اذا انتهى
لطائف الله وان طال المدا ... كلمحة الطرف اذا الطرف رنا
كم فرج بعد اياس قد اتى ... وكم سرور قد اتى بعد الاسى
من حسن الظن بذي العرش جنى ... حلو الجنا الرائق من شوك السفا
من لاذ بالله نجى فيمن نجا ... من كل ما يخشى ونال ما رجا
سبحان من يعفو ونهفو دائما ... ولم يزل مهما هفى العبد عفا

يعطي الذي يخطي ولا يمنعه * جلاله الذي العطا من الخطا

ومن المنظوم في ذلك ايضا

يا من يرى ما في الضمير ويسمع * انت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدايد كلها * يا من اليه المشتكى والمفزع
يا من خزاين رزقه في قول كن * امنن فان الخير عندك اجمع
ما لي سوى فقري اليك وسيلة * وبالافتقار اليك فقري ادفع
ما لي سوى قرعي لبابك حيلة * فلئن رددت فاي باب اقرع
ومن الذي ادعو واهتف باسمه * ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لمجدك ان تقنط عاصيا * الفضل اجزل والمواهب اوسع

ومما قيل في المعنى ايضا

يا خالق الخلق ورب العباد ومن * قال في محكم التنزيل ادعوني
اني دعوتك مضطرا فخذ بيدي * يا جامع الامر بين الكاف والنون
نجيت ايوب من بلواه حين دعا * بصبر ايوب يا ذا اللطف نجيني
واطلق سراحي وامنن بالخلاص كما * نجيت من ظلمات البحر ذا النون

قال تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين * وانشد بعضهم يقول

شعر

سيلطف بعبد يذكره * حل النوايب والشدايد
يا من اليه المشتكى * واليه امر الخلق عائد
يا حي يا قيوم يا * صمد تنزه عن مضادد
انت الرقيب على العباد * وانت في الملكوت واحد
انت المعز لمن اطاعك * والمذل لكل حاسد
ان الهموم جيوشها * قلبي ابدا تعاند
فافرج بحولك كربتي * يا من له حسن العوايد
فخفي لطفك يستجار * على الزمن المعاند
انت الميسر والمسبب * والمسهل والمساعد
سبب لنا فرجا قريبا * يا الهي لا تباعد
كن راحمي فلقد ايست من * الاقارب والاباعد
ثم الصلوة على النبي واله * ما خر للرحمن ساجد

دعا عظيم مبارك ماثور وهو اللهم اني اشكو اليك ضعف قوتي * وقلة حيلتي وهواني على الناس انت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني او الى قريب ملكته امري ان لم يكن بك غضب علي فلا ابالي ولكن عافيتك اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذي اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والاخرة الى من ان تحل بي غضبك او تنزل بي سخطك فلك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة لنا الا بك يا رب العالمين والله اعلم *

ومما جاء في ادعية الناس بعضهم لبعض

دعى رجل لاخر فقال سرك الله فيما ساك ولا ساك فيما سرك ودعى رجل لاخر فقال لا اخلاك الله من شاكر صادق باق ودعا صالح واق * ودعى اعرابي لرجل فقال رحب واديك وعز ناديك ولا الم بك الم ولا طاف بك عدم سلمك الله ولا اسلمك وسمعت انا بعض العرب يدعو لرجل سلمك الله من الرهق والوهق وعافاك من الوجل والزجل سلمك الله من الشاردات والواردات سلمك الله من الاعنة والاسنة * ودعى اعرابي لعبد الله بن جعفر فقال لا ابتلاك الله ببلاء يعجز عنه صبرك وانعم عليك نعمة يعجز عنها شكرك وابقاك ما تعاقب الليل والنهار وتناسخت الظلم والانوار * ودعى بعضهم لاخر فقال زودك الله في سيرك والسعد في مصيرك ولا اخلاك من شهر تستجده * وخرج الله يستمل وعزى شبيب بن شيبة يهوديا فقال اعطاك الله على مصيبتك افضل ما اعطى احدا من اهل ملتك *

ومما جاء في الدعاء على الاعدا والظلمة ونحوهم

دعى اعرابي على ظالم فقال لا ترك الله له شفرا ولا ظفرا اي عينا ولا يدا ومن دعا العرب فته الله فتا وحته حتا وجعل امره شتا وخرج اعرابي الى سفر وكانت له امراة تكرهه فاتبعته نواة وقالت شط نواك وناى سفرك ثم اتبعته روثة وقالت رثت اهلك ورات خيرك ثم اتبعته حصاة وقالت حاص رزقك وحص اثرك * ودعى اعرابي على اخر فقال اطفى الله ناره وخلع نعليه اي جعله اعمى مقعدا ودعى اخر على اخر فقال سقاه الله دم جوفه اي قتل ابنه فاخذ ديته فشرب لبنها * ودعى اعرابي على اخر فقال نحت الله عليه سنة فاسوله تحلقه كما يحلق الشعر بالنورة * ودعى رجل على اخر فقال اراك الله ولدك سربلحا فقد يعلله على عنق الليالي * وقالت امراة من بني ضبة في زوجها

شعر

وما دعوت عليه حين اغضبني * الا واخر يتلوني بامين
فليته كان ارض الروم منزله * وليتني قبله صيرت للصين

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته يوم الاحزاب اللهم كل سلاحهم واضرب وجوههم وزعهم في البلاد تمزيق الريح للجراد * ودعى رجل فقال اللهم اكفنا اعدانا ومن اراد بنا سوا فلفظه به ذلك السو كاحاطة القلايد بترايب الولايد ثم ارسخه على هامته كرسوخ

السبيل على هام اصحاب الفيل وحسبنا الله ونعم الوكيل ولنختم هذا الباب بهذا الدعاء المبارك • اللهم انك عرفتنا بربوبيتك • وغرقتنا في بحار نعمتك • ودعوتنا الى دار قدسك • ونعمتنا بذكرك وانسك • الهي ان ظلمة ظلمنا لنفوسنا قد عمت • وبحار الغفلة على قلوبنا قد طمت • فالعجز شامل • والحصر حاصل • والتسليم اسلم • وانت بالحال اعلم الهي ما عصيناك جهلا بعقابك • ولا تعرضا لعذابك • ولكن سولت لنا نفوسنا • واعانتها شقوتنا • وغرنا سترك علينا • واطمعنا في عفوك برك بنا • فالآن من عذابك من يستنقذنا وبحبل من نعتصم ان قطعت حبلك عنا • واخجلتنا من الوقوف غدا بين يديك • وافضيحتنا اذا عرضت افعالنا القبيحة عليك • اللهم اغفر ما علمت • ولا تهتك ما سترت • الهي ان كنا عصيناك بجهل فقد دعوناك بعقل حيث علمنا ان لنا ربا يغفر ولا يبالي • الهي تحرق بالنار وجها كان لك مصليا • ولسانا كان لك ذاكرا وداعيا • لا بالذي دلنا عليك • ورغبنا فيما لديك • وامرنا بالخضوع بين يديك • وهو محمد صلى الله عليه وسلم خاتم انبيائك • وسيد اصفيائك • فان حقه علينا اعظم الحقوق • بعد حقك • كما ان منزلته لديك اشرف منازل خلقك • صل على محمد وعلى آله • وارحم عبادا اغرهم طول امهالك • واطمعهم فيك كثرة افضالك • وذلوا لعزك وجلالك • ومدوا اكفهم لطلب نوالك • ولولا هدايتك لم يصلوا الى ذلك • اللهم اغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين اجمعين آمين • وصلى الله على محمد وآله •

الباب الثامن
والسعون في القضا والقدر
واحكامهما والتوكل على الله عز وجل

اعلم ان كل ما يجري في العالم من حركة وسكون وخير وشر ونفع وضر وايمان وكفر وطاعة ومعصية فكل بقضاء الله وقدره وكذلك فلا طائر يطير بجناحيه ولا حيوان يدب على بطنه ورجليه ولا يطرف بعوضه ولا تسقط من ورقة الا بقضائه وقدره وارادته ومشيئته فما لا يجري شيء من ذلك الا وقد سبق علمه به واعلم ان كل ما قضاه الله وقدره فهو كائن لا محالة كما ان ما في علم الله تعالى انه يكون فهو كائن ورب امر قدره الله ووصوله اليك بغير طلب فهو واصل ورب امر قدره الله ووصوله اليك بعد الطلب فهو لا يصل الا بالطلب والطلب ايضا من القدر فان تعسر شيء فبتقديره وان اتفق شيء فبتيسيره فمن رام امرا من الامور فليس الطريق في تحصيله ان يغلق بابه عليه ويفوض امره الى ربه وينتظر حصول ذلك الامر بل الطريق ان يشرع في طلبه على الوجه الذي شرعه الله له فيه وقد ظاهر النبي صلى الله عليه وسلم فيه بين درعين واتخذ خندقا حول المدينة يحترس به من العدو واقام الرماة يوم احد ليحفظوه من خالد بن الوليد وكان يلبس لامة الحرب ويعبي الجيوش ويامرهم

ونهاهم عما فيه مصالحهم واسترقى وامر بالاسترقا وتداوى وامر بالمداواة وقال عليه السلام انزل الدا الذي انزل الدوا • فان قيل فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من استرقى او اكتوى فقد برئ من التوكل قلنا البر قد قال عليه السلام اعقلها وتوكل فان قيل فما الجمع بين ذلك قلنا معناه من استرقى او اكتوى متوكلا على الرقية والكي وان البرء من قبلهما خاصة فهذا يخرجه من التوكل وانما يفعله كافر يضيف الحوادث الى غير الله تعالى وقد امرنا بالكسب والتسبب الا ترى ان الله تعالى قال لمريم عليها السلام وهزي اليك بجذع النخلة فهلا امرها بالسكون ثم حمل الرطب الى فيها • وانشدوا في ذلك

شعر

الم تر ان الله قال لمريم • وهزي اليك الجذع يساقط الرطب •
ولو شاء ان تجنيه من غير هزها • جنته ولكن كل شيء له سبب

وقد تقدم هذا الشعر في باب الكسب والتسبب ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتعود بطانا فلم تحمل ارزاقها اليها في اوكارها بل الهمها طلبه بالغدو والرواح وقد جمعوا بين القدر والطلب وقالوا انهما كالعدلين على ظهر الدابة ان حمل في واحد منهما ارجح مما في الآخر سقط حمله وتعب ظهره وثقل عليه سفره وان عادل بينهما سلم ظهره ونجح سفره وتمت نعمته وضربوا فيه مثلا عجيبا فقالوا لو ان اعمى ومقعدا كانا في قرية بفقر وضر لا قائد للاعمى ولا حامل للمقعد وكان في القرية رجل يطعمهما كل يوم قوتهما احتسابا بالله تعالى فلم يزل الامر الى ان هلك ذلك الرجل فلبثا بعده اياما فاشتد جوعهما وبلغ الضر منهما جهده فاجمع رايهما على ان يحمل الاعمى المقعد فيدله على الطريق ببصره فاستقل الاعمى بحمل المقعد ويدوربه وهو يرشده الى الطريق واهل القرية يتصدقون عليهما فنجح امرهما ولولا فعلا ذلك لهلكا فكذلك القدر سببه الطلب والطلب سببه القدر وكل واحد منهما معين لصاحبه الا ترى ان من طلب الرزق والولد ثم قعد في بيته ولم يطا زوجته ولا بذر ارضه معتمدا في ذلك على الله تعالى واثقا به ان تلد امراته من غير مواقعة وتنبت ارضه الزرع من غير بذر كان عن المعقول خارجا ولامر الله تاركا • وقال الشيخ ابو حامد الغزالي رحمه الله اما العبد فلا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبرا لضعفهم وتسكينا لقلوبهم وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لعياله قوت سنة ونهى ام ايمن وغيرها ان تدخر شيئا وقال عليه السلام انفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا • وقال عبد الله بن الفرج رحمه الله اطلعت على ابراهيم بن ادهم رحمه الله وهو في بستان بالشام مستلقيا على قفاه واذا حية في فمها باقة نرجس فما زالت تذب عنه حتى انتبه فحسبك توكل يؤدي

يؤدي الى هذا ٭ وعن ابي عبد الله الهروي رحمه الله قال كنا مع الفضيل بن عياض رحمه الله
على جبل ابي قبيس فقال لو ان رجلا صدق في توكله على الله تعالى ثم قال لهذا الجبل
اهتز لاهتز قال فوالله لقد رأيت الجبل اهتز فقال له الفضيل لم اعنك برحمك الله فسكن
وفي الاسرائيليات ان رجلا احتاج الى ان يستقرض شيئا يساوي الف دينار فجا الى رجل
من المتمولين فسأله في ذلك وقال تحمل على بدينك الى البلد الفلاني فان لي فيه ما لا
آتيك به واوفيك منه وتكون مدة الاجل بيني وبينك كذا وكذا فقال له هذا غرر وانا
ما اعطيك مالي الا ان يحمل لي به كفيلا ان لم تحضر طلبته منه فقال له الرجل الله كفيل
بمالك وشاهد علي اني لا اغفل عن وفايك فان رضيت فافعل فداخل الرجل خشية الله
تعالى وحمله التوكل الى ان دفع المال للرجل فاخذه ومضى الى البلد الذي ذكره الرجل فلما
قرب الاجل الذي بينه وبين صاحب المال جمع المال وقصد السفر في البحر فعسر عليه
وجود مركب ومضت المدة وبعدها ايام وهو لا يجد مركبا فاغتم لذلك واخذ الالف
دينار وجعلها في خشبة وسمرها عليها ثم قال اللهم اني جعلتك كفيلا بايصال هذه الى
صاحبها وقد تعذر علي وجود مركب وقد جعلتك كفيلا وعزمت على طرحها في البحر
وتوكلت عليك في ايصالها اليه ثم نقش على الخشبة رسالة الى صاحبها بصورة الحال
وطرحها في البحر واقام في البلد مدة بعد ذلك الى ان جا مركب فسافر فيها الى صاحب المال
فابتداه وقال له انت سيرت الي الالف دينار في خشبة صفتها كيت وكيت وعليها
منقوش كذا وكذا قال نعم قال قد اوصلها الله تعالى الي وانه نعم الكفيل فقال له كيف
وصلت اليك قال لما مضى الاجل المقرر بيني وبينك بقيت اتردد الى البحر لاجلك اواجد
من يخبرني عنك فوقفت ذات يوم على الشط واذا بالخشبة قد استندت الي عندي ولم ار
لها طالبا فاخذها الغلام ليجعلها حطبا فلما كسرها وجد ما فيها فاخبرني بذلك فقرأت
ما عليها فعلمت ان الله تعالى قد حقق املك لما توكلت عليه حق التوكل ٭ وقيل ان بداية
امر ذي النون المصري رحمه الله انه رأى في سواد مصر طايرا اعمى بعيدا عن الما والمرعى
فبينما هو متفكر في امر ذلك الطاير واذا بسكرجتين برزتا من الارض وصارتا عنده
منقارا احدهما ذهب والاخرى فضة هذه فيها ما وهذه فيها قمح فلقط القمح وعب الما
وغابتا بعد ذلك وذهل ذا النون المصري وانقطع الى الله تعالى من ذلك الوقت وحكي
ان رجلا من ابنا الناس كانت له يد في صناعة الصياغة وكان اوحد اهل زمانه فيها
فساحاله وافتقر بعد غناه فكره الاقامة في بلده فانتقل منه الى بلد اخر ودخل
الى سوق الصياغة فوجد كاتما المعلم السلطنة وتحت يده صناع كثيرون يعملون
اشغال السلطنة وله سعادة ظاهرة ما بين مماليك وخدم وقماش وغير ذلك

فتوصل

فتوصل الصايغ الغريب الى ان بقي من احد الصناع الذي في دكان هذا المعلم واقام
يعمل عنده مدة وكلما فرغ النهار دفع له درهمين فضة ويكون اجرة العمل الذي عمله عشرة
دراهم فيكسب عليه ثمانية دراهم كل يوم فاتفق ان الملك طلب المعلم فناوله فردة سوار
ذهب مرصعة بفصوص ثمينة في الحسن قد عملت في غير بلده كانت في يد احد محاظيه فانكسرت
فقال له اجبرها فاخذها المعلم وقد اضطرب قلبه من الخوف لانه ما يقدر على عملها ولا احدا
عنده فلما اخذها اوراها للصناع الذي عنده وعند غيره فما قال له احد انه يقدر على
عملها ولا رأى مثلها فازداد غمه ومضت مدة وهي عنده لا يعلم ما يصنع فاشتد الملك
على احضارها وقال هذا المعلم نال من جهتنا هذه النعمة العظيمة ولا يحسن يلحم سوارة
فلما رأى الصايغ الغريب شدة ما نال المعلم قال في نفسه هذا وقت المروة اعملها ولا
اواخذه ببخله علي وعدم انصافه ولعله يحسن الي بعد ذلك فخطر في درج المعلم واخذها
وفك جوهرها وسبكها ثم صاغها كما كانت ونظم عليها جوهرها فعادت احسن ما كانت فلما
راها المعلم فرح فرحا شديدا ثم مضى بها الى الملك فلما راها استحسنها وادعى المعلم
انه صنعها فاخلع عليه خلعة نفيسة ثم جا وجلس مكانه فبقي الصايغ يرجو منه مكافاته
عما عامله به فما التفت اليه المعلم ولما كان النهار ما زاد على الدرهمين شيا فمضت له
ايام قليلة واذا بالملك اختار ان يعمل زوجين اساور على تلك الصورة فطلب المعلم ورسم
له بكل ما يحتاج اليه واكد عليه في تحسين الصنعة وسرعة العمل فجا الى الصايغ واخبره بما
قال له الملك فامتثل مرسومه ولم يزل منتصبا الى ان كمل الزوجين وهو لا يزيده شيا على
الدرهمين في كل يوم ولا يشكره ولا يعلمه بخير ولا يتجمل معه فرأى من المصلحة ان ينقش على زوج
منها ابياتا تشرح حاله ليقف عليه الملك فنقش في باطن احدهما هذه الابيات يقول

شعر

مصايب الدهر كفي ٭ ان لم تكفي فخفي
خرجت اطلب رزقي ٭ وجدت رزقي توفي
فلا برزقي احظى ٭ ولا بصنعة كفي
كم جاهل في الثريا ٭ وعالم مستخفي

وعزم الصايغ على انه ان طر المعلم شرح له ما عنده وان تم على المعلم وكان ذلك سبب توصله
الى الملك ثم لفهما في قطن وناولهما للمعلم فرأى ظاهرهما ولم ير باطنهما لجهله بالصنعة ولما
سبق له في القضا فاخذهما المعلم ومضى بهما فرحا الى الملك فقدمهما فما شك الملك الا انهما صنعته
فاخلع عليه وشكره ثم جا فجلس مكانه ولم يلتفت الى الصايغ وما زاده في اخر النهار شيا على
الدرهمين فلما كان اليوم الثاني خلا خاطر الملك فاستحضر المحظية التي عمل لها السوارين تحضر

وهما في يديه فقلعهما ليجيد نظره في حسن صنعتهما فقرا الابيات فتعجب وقال هذا شرح حال صانعهما والمعلم يكذب فغضب عند ذلك وامر باحضار المعلم فلما حضر قال له من عمل هو قال انا ايها الملك قال فما سبب هذه الابيات قال لم يكن عليها ابيات قال كذبت ثم وراه النقش وقال لئن لم تصدقني لاضربن عنقك فصدقه الحق فامر باحضار الصانع فلما حضر سأله عن امره فحكى له عن قصته وما جرى له مع المعلم فرسم الملك بعزل المعلم وان تسلب نعمته وتعطى للصانع وان يكون عوضا عنه في الخدمة واخلع عليه خلعة سنية وصار مقدما سعيدا فلما نال هذه الدرجة وتمكن عند الملك تلطف به حتى رضي عن المعلم الاول فصار اشريكين في العمل الى آخر العمر والله اعلم بالصواب

قال الشاعر

اذا كان سعد المرء في الشيء مقبلا • تاتت له الاشيا من كل جانب

وقال آخر

ما سلم الله هو السالم • ليس كما يزعمه الزاعم

تجري المقادير التي قدرت • وانف من لا يرتضي راغم

وقال كعب رحمه الله

لو كنت اعجب من شيء لاعجبني • سعي الفتى وهو مخبوء له القدر

يسعى الفتى لامور ليس يدركها • والنفس واحدة والهم منتشر

والمرء ما عاش ممدود له امل • لا تنتهي ذاك حتى ينتهي العمر

وروي في الاسرائيليات ان نبيا من الانبيا مر بفخ منصوب واذا بطائر قريب منه فقال له الطائر يا نبي الله هل رايت اقل عقلا ممن نصب هذا الفخ ليصيدني به وانا انظر اليه فذهب النبي ثم رجع واذا بالطائر في الفخ فقال له عجبا لك اولست القائل انك كذا وكذا فقال يا نبي الله اذا جا الحين لم تبق اذن ولا عين ويروى ان رجلا قال لاخر تعال نتناظر في القدر قال رايت ظاهرا استدللت به على الباطن ورايت جاهلا مرزوقا وعاقلا محروما فعلمت ان التدبير ليس الى العباد ولما قدم موسى بن نصير رحمه الله بعد فتح الاندلس على سليمان بن عبد الملك قال له يزيد بن المهلب انت ادهى الناس واعلمهم فكيف طرحت نفسك في يدي سليمان فقال ان الهدهد ينظر الى الما في الارض على الف قامة ويبصر القريب منه من البعيد على بعده في النجوم ثم ينصب له الصبي الفخ بالدودة والحبة فلا يبصره حتى يقع فيه وانشدوا في ذلك

بيت

واذا خشيت من الامور مقدرا • وفررت منه فنحوه تتوجه

وانشد بعضهم ايضا

شعر

اقام على المسير وقد انيخت • مطاياه وغرد حاديها

وقال اخاف عادية الليالي • على نفسي وان القى رداها

ومن كتبت منيته بارض • فليس يموت في ارض سواها

ولما قتل كسرى بزرجمهر وجد في منطقته كتابا فيه اذا كان القدر حقا فالحرص باطل واذا كان الغدر في الناس طباعا فالثقة بكل احد عجز واذا كان الموت بكل احد نازلا فالطمانينة الى الدنيا حمق وقال ابن عباس وجعفر بن محمد رضي الله عنهم في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما انما كان الكنز لوحا من ذهب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يوقن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بالرزق كيف ينصب وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يوقن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وحكى الطرطوشي رحمه الله في كتابه سراج الملوك قال من عجيب ما اتفق للاسكندر رحمه الله ان رجلا من خدم نائب سكندرية غاب عن خدمته اياما ففي بعض الايام قبض عليه صاحب الشرطة وحمله الى دار النائب فانفلت منه في بعض الطريق وترامى في بئر والمدينة اذ ذاك مسربة بسرداب يمشي الماشي فيه قائما فما زال الرجل يمشي الى ان لاح له بئر مضيئة فطلع منها فاذا البئر في دار النائب فلما طلع الرجل مسكه النائب فاذبه فكان فيه المثل السائر الفار من القضا الغالب كالمتقلب في يد الطالب وانشدوا في ذلك

شعر

قالوا تقيم وقد احاط • بك العدو ولا تفر

لا نلت خيرا ان بقيت • ولا عداني الدهر شر

ان كنت اعلم ان غير الله • ينفع او يضر

الباب التاسع والسبعون

في التوبة والندم والاستغفار

قد تظاهرت دلايل الكتاب والسنة واجماع الامة على وجوب التوبة وامر الله تعالى بها فقال تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المومنون ووعد القبول فقال تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وفتح باب الرجا فقال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وروي في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا ايها الناس توبوا الى الله فاني اتوب الى الله في اليوم ماية مرة وروى احمد بن عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال اجتمع اربعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال احدهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يقبل التوبة عن عبده قبل ان يموت بيوم فقال الثاني انت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال نعم قال وانا سمعته يقول ان الله يقبل توبة العبد قبل ان يموت بنصف يوم فقال
الثالث انت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وانا سمعته
يقول ان الله يقبل توبة العبد قبل ان يموت بضحوة فقال الرابع انت سمعت هذا من
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وانا سمعته يقول ان الله يقبل توبة العبد
ما لم يغرغر وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لله افرح بتوبة عبده من رجل نزل بارض دوية مهلكة معه راحلته
فنام واستيقظ وقد ذهبت راحلته فطلبها حتى اذا ادركه الموت قال ارجع الى
مكاني الذي اضللتها فيه واموت فيه فاتى مكانه فغلبته عينه فاستيقظ واذا راحلته
عند راسه فيها طعامه وشرابه وزاده وما يصلحه فلله اشد فرحا بتوبة عبده المؤمن
من هذا براحلته وزاده وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول والله اني لاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين مرة
رواه البخاري وعن ابي موسى عبد الله بن قيس الاشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال ان الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار
ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها رواه مسلم وعن ابي سعيد الخدري رضي الله
عنه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا
فسال عن اعلم اهل الارض فدل على راهب فاتاه فقال انه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له
من توبة فقال لا فقتله وكمل به مائة ثم سال عن اعلم اهل الارض فدل على رجل عالم فقال
انه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق الى ارض كذا
وكذا فان بها اناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء
فانطلق حتى اذا كان نصف الطريق اتاه ملك الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة
العذاب فقالت ملائكة الرحمة جاء تائبا مقبلا بقلبه الى الله تعالى وقالت ملائكة العذاب
انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم فقال قيسوا ما بين الارضين
فالى ايتهما كان ادنى فهو له فقاسوه فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد فقبضته ملائكة
الرحمة متفق عليه وفي الصحيحين فكان الى القرية الصالحة اقرب بشبر فجعل من اهلها وعن
ابي نجيد بضم النون وفتح الجيم عمران بن الحصين الخزاعي رضي الله عنه ان امراة من جهينة اتت رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهي حبلى من الزنا فقالت يا رسول الله اصبت حدا فاقمه علي فدعا نبي الله
صلى الله عليه وسلم فشدت عليها ثيابها ثم امر بها فرجمت ثم صلى عليها فقال له عمر رضي الله عنه
يا رسول الله تصلي عليها وقد زنت فقال عليه السلام لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من
اهل المدينة لوسعتهم وهل وجدت افضل من ان جادت بنفسها لله عز وجل رواه مسلم وعن

ابي نضرة

ابي نضرة رضي الله عنه قال لقيت مولى لابي بكر رضي الله عنه فقلت له اسمعت من ابي بكر
شيئا قال نعم سمعته يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر ولو عاد في
اليوم سبعين مرة وعن اسماء بن الحكم الفزاري رضي الله عنه قال سمعت عليا رضي الله عنه يقول
اني كنت رجلا اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعني الله منه بما شاء ان
ينفعني واذا حدثني احد من اصحابه استحلفته فاذا حلف لي صدقته وانه حدثني ابو بكر رضي الله
عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم
فيصلي ثم يستغفر الله الا غفر له وروي في الصحيح عن ابي هريرة رضي الله عنه سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ان عبدا اذنب ذنبا فقال اذنبت ذنبا فاغفر لي فقال له
ربه علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به فمكث ما شاء ثم اذنب ذنبا آخر فقال اذنبت
ذنبا فاغفر لي فقال تعالى له ربه علم عبدي ان له ربا يغفر الذنب ويأخذ به قد غفرت
لعبدي فليفعل ما شاء وكان قتادة رضي الله عنه يقول القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم
اما داؤكم فالذنوب واما دواؤكم فالاستغفار وكان علي بن ابي طالب رضي الله عنه
يقول العجب ممن يهلك ومعه كلمة النجاة قيل وما هي قال الاستغفار وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من قال عشر مرات حين يصبح وعشر مرات حين يمسي استغفر الله الذي لا اله الا هو
الحي القيوم واتوب اليه غفرت له ذنوبه وان كانت مثل عالج ومن قال سبحانك ظلمت نفسي
وعملت سوءا فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت غفرت له ذنوبه وان كانت مثل دبيب النمل
وقال ابو عبد الله الوراق رحمه الله لو كان عليك من الذنوب مثل عدد القطر وزبد البحر
محيت عنك اذا استغفرت بهذا الاستغفار وهو اللهم اني استغفرك من كل ذنب تبت اليك
منه ثم عدت فيه واستغفرك من كل ما وعدتك من نفسي ثم لم اوف لك به واستغفرك من كل
عمل اردت به وجهك فخالطه غيرك واستغفرك من كل نعمة انعمت بها علي فاستعنت بها
على معصيتك يقول الله عز وجل للملائكة ويحي ابن آدم يذنب الذنب فيستغفرني فاغفر له ثم
يذنب الذنب فيستغفرني فاغفر له ويحه لا هو يترك الذنب من مخافتي ولا هو ييأس مني اشهدكم
يا ملائكتي اني قد غفرت له وقال بشر بن الحارث رحمه الله بلغني ان العبد اذا عمل الخطيئة اوحى
الله تعالى الى الملائكة الموكلين به ترقبوا سبع ساعات فان استغفرني فلا تكتبوها حكاية
انقطع الغيث عن بني اسرائيل في زمن موسى عليه السلام حتى احترق النبات وهلك الحيوان فخرج
موسى عليه السلام في بني اسرائيل وكانوا سبعين رجلا من نسل الانبياء مستغيثين الى الله عز وجل
قد بسطوا ايدي صدقهم وخضوعهم وقربوا قربان تذللهم ودموعهم ثلثة ايام فلم يمطروا
فقال موسى عليه السلام اللهم انت القائل ادعوني استجب لكم وقد دعوناك وعبادك على ما
تعلم من الفاقة والحاجة والذلة فاوحى الله اليه يا موسى ان فيهم من غذاؤه حرام وفيهم من يبسط

لسانه بالغيبة والنميمة يا موسى هؤلاء انزل عليهم غضبي وانت تطلب مني الرحمة لهم
كيف يجتمع موضع الرحمة وموضع العذاب فقال موسى عليه السلام ومن هم يا رب
حتى نخرجهم من بيننا فقال له الله تبارك وتعالى يا موسى لست بهتاك ولا نمام ولكن
يا موسى توبوا الي كلكم بقلوب خالصة فعسى ان يتوبون معكم فاجود بانعامي
فنادى منادي موسى عليه السلام في بني اسرائيل ان اجتمعوا فاجتمعوا فاعلمهم موسى
عليه السلام بما اوحى الله عز وجل اليه والعصاة يسمعون فذرفت اعينهم ورفع
بنو اسرائيل ايديهم الى الله تعالى وقالوا الهنا جئناك تائبين جئناك من اوزارنا
هاربين رجعنا الى بابك يا ارحم الراحمين فما زالوا على ذلك حتى سقوا بتوبتهم
الى الله تعالى اللهم تب علينا برحمتك يا ارحم الراحمين، واوحى الله تبارك وتعالى
الى داود عليه السلام يا داود لو يعلم المدبرون عني كيف انتظاري لهم ورفقي بهم
وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت اوصالهم من محبتي يا داود
هذه ارادتي في المدبرين عني فكيف بالمقبلين علي • وقد قيل في ذلك •

شعر

انى فيجرى بالاساءة اتصالا • وأعصي فيوليني إلهي إجمالا
فحتى متى اجفوه وهو يبرني • وأبعد عنه وهو يبذل ايصالا
وكم مرة قد زلت عن نهج طاعة • وما حال عن ستر القبيح ولا زالا

اللهم تب علينا بكرمك يا ارحم الراحمين ووفقنا لطاعتك واغفر لنا ولوالدينا ولكل
المسلمين اجمعين آمين • وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم •

الباب الثمانون في
ذكر الامراض والعلل والطب والدواء
والعيادة وما اشبه ذلك وفيه فصول

الفصل الاول في الامراض والعلل وما جاء في ذلك من الاجر والثواب
عن عبد الله بن انيس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ايكم يحب ان يصح جسمه
فلا يسقم قالوا كلنا يا رسول الله قال اتحبون ان تكونوا كالحمير الضالة الا تحبون
ان تكونوا اصحاب بلايا واصحاب كفارات والذي نفسي بالحق ان الرجل لتكون له الدرجة
في الجنة فلا يبلغها بشيء من عمل فيبتليه الله ليبلغ درجة لا يبلغها بعمل، وقال صلى الله
عليه وسلم ما من مسلم يمرض مرضا الا حط الله به خطاياه كما تحط الشجرة ورقها وكان
يقال ما تزال الاوصاب والمصائب بالعبد حتى تتركه كالفضة المصفاة وقيل ان الناس
حموا عند خيبر فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ايها الناس ان الحمى

رائد الموت وسجن الله في الارض وقطعة من النار فاذا وجدتم من ذلك شيئا فبردوا
لها الماء في الشنان ثم صبوا عليكم فيما بين المغرب والعشاء ففعلوا ذلك فذهبت عنهم
وعن انس رضي الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على شاب وهو في الموت
فقال كيف تجدك قال ارجو الله واخاف من ذنوبي فقال عليه السلام ما اجتمعان
في قلب عبد في هذا الموطن الا اعطاه الله ما يرجو وامنه مما يخاف • وعن عفيرة
بنت ابي الوليد البصرية العابدة انها سمعت رجلا يقول ما اشد العمى على من كان بصيرا فقالت
يا عبد الله عمى القلب عن الله اشد من عمى العين عن الدنيا والله لوددت ان الله وهب
لي كنه معرفته ولم يبق مني جارحة الا اخذها • وكتب مبارك اخو سفيان الثوري رحمه الله
اليه يشكو اليه ذهاب بصره فكتب اليه اما بعد فقد فهمت كتابك فيه شكاية ربك
واذكر الموت يهن عليك ذهاب بصرك • وقيل لعطاء في مرضه ما تشتهي قال ما ترك
خوف جهنم في قلبي موضعا للشهوة واصاب ابراهيم بن ادهم رحمه الله بطن فتوضأ في ليلة
ستين مرة • وقيل لاعرابي ما تشتكي قال ذنوبي قيل فما تشتهي قال الجنة قيل افلا
ندعو لك طبيبا قال هو الذي امرضني •

الفصل الثاني في ذكر العلل
كالبخر والعرج والصمم والعمى والرمد والفلج وغير ذلك نسأل الله العفو والعافية
والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والاخرة بمحمد وآله سار اعرابي اصم فقال قد فهمت
فلما ولى سئل الاصم عما قال له فقال والله لا ادري ولكنه فسى في اذني • وكان عبد الملك بن
مروان رحمه الله ابخر فقيل انه عض على تفاحة ثم رمى بها الى امرأته فدعت بسكين فقال
ما تصنعين بها قالت اميط بها الاذى فشق ذلك عليه وطلقها • وسار ابو الاسود الدؤلي
سليمان بن عبد الملك رحمهم الله وكان ابو الاسود ابخر فستر سليمان انفه بكمه فسنره ابو
الاسود وقال لا يصلح للخلافة من لا يصبر على مناجاة الشيوخ البخر • وقيل طول انطباق
الفم يورث الخلوف وكل طيب لفم سائل اللعاب سالم منه وقيل ان الريح اطيب الناس
افواها والسباع موصوفة بالبخر والمثل مضروب بالاسد والصقر في البخر والكلب من
بينها طيب الفم وليس في البهائم اطيب فوها من الظباء وتزوج ابخر بامرأة فلما اصابت خمته
عافته وتولت عنه وقالت •

شعر

يا حب والرحمان ان فاكا • اهلكني قولي فعاكا
اذا اعذوت فانجذ مسواكا • من عرفة ان لم تجد اراكا
لا تقربني بالذي سراكا • اني اراك ما ضفا خراكا

وفي ديوان المنثور كم اعرج في درج المعالي اعوج وكم من صحيح قدم ليس في الخير قدم
وقيل ان من الصمم من يسمع السرار فاذا رفعت له الصوت لم يسمعه ورأينا في الحشر لا

يثبت صوت الانسان من قرب ويقرأ الخط الدقيق في حواشي الكتب ومدح طريف بن سوال عمرو بن هداب وكان ابرص فلما انتهى الى قوله ابرص فياض اليدين اكلف صاح به الناس وقالوا قطع الله لسانك فقال عمرو ان البرص من تفاخر العرب اما سمعتم قول ابن سمسم رحمه الله

بيت

ايشتمني زيد بان كنت ابرصا • وكل كريم يا آبا لك ابرص

وقال خالد بن يزيد الجهضمي رحمه الله في الصمم

شعر

كفى حزنا اني اجالس معشرا • يخوضون في بعض الحديث وامسك
وماذا الى من عي ولا من جهالة • ولكنه ما فيه للصوت مسلك
فان سد مني السمع فالله قادر • على فتحه فالله بالعبد املك

وهنا في العمى

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من عد احدى كريمته ضمنت له على الله الجنة وكان المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام يطعم الطعام وكان اعور فجعل اعرابي يطيل النظر اليه جالسا نفسه عن طعامه فكلم المغيرة في ذلك فقال انه ليعجبني طعامك وتريبني عينك فقال وما يريبك من عيني قال اراك اعور وتطعم الطعام وهذه صفة الدجال وكانت عينه اصيبت في قتال الروم فقال له ان الدجال لا تصاب عينه في سبيل الله • وعن انس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم من قاد اعمى اربعين خطوة لم تمسه النار وقال علي رضي الله عنه ربما اخطا البصير قصده واصاب الاعمى رشده وقال ابو علي البصير الانباري رحمه الله

شعر

لو كان يهديني الغلام لوجهتي • ويقتادني في السير اذ انا راكب
ولكن يستضيء القوم في وجوههم • ويخفو عليا العين والراي ثاقب

وقال ايضا

اذا ما غدت طلابة العلم ما لها • من العلم الا ما يخلد في الكتب
غدوت بتشمير وجد عليهم • ومحبرتي سمعي ودفتره قلبي

وله ايضا رحمه الله

ان يأخذ الله من عيني نورهما • ففي لساني وسمعي منهما نور
فهمي ذكي وقلبي غير ذي دخل • وفي فمي صارم كالسيف مشهور

وقال رجل من بني قريع في رجل نزل بجنبه ما

شعر

يقولون ما طيب خان عينه • وما ما عين خان عينا بطيب

وقال صالح بن عبد القدوس رحمه الله

شعر

عزاؤك ايها العين السكوب • ودمعك انها نوب تنوب

وكنت كريمتي وسراج وجهي • وكانت لي بك الدنيا تطيب
على الدنيا السلام فما لشيخ • ضرير العين في الدنيا نصيب
يموت المرء وهو يعد حيا • ويخلف امله الظن الكذوب
يمنيني الطبيب شفاء عيني • وما غير الا له لها طبيب
اذا ما مات بعضك فابك بعضا • فان البعض من بعض قريب

ورمد ربيعة الرفا رحمه الله فارسل الى امراة يحبها يقول

شعر

عينا ربيعة رمدا وان فاحتسبي • بكحلة منك تشفيه من الرمد
ان يكتحل منك عيناه فلا رمد • على ربيعة يخشى آخر الابد

وعن عبد الواحد بن قيس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دا الانبيا الفلج واللقوة قال الجاحظ رحمه الله ومن المفاليج سيدنا ادريس عليه السلام واكثر ما يعتري المتوسطين من الناس لان الشاب كثير الحرارة والشيخ كثير اليبس وممن فلج من الكبرا ابان بن عثمان رحمه الله كانوا يقولون لا رماه الله بفالج ابان ولقوة معاوية وبخر عبد الملك وعمى حسان وصمم بن سيرين رحمهم الله وممن فلج احمد بن ابي داود رحمه الله قاضي قضاة المعتصم وكان من الشرف والكرم بمنزلة وقيل لابي هفان رحمه الله في رجل ضرب غلامه

اتضرب مثله بالسوط عشرا • ضربت بفالج بن ابي دواد

وشجة عبد الحميد رحمه الله مثل في الحسن وهو عبد الحميد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب كان من اجمل اهل زمانه فاصابته شجة فزادته زينة وجمالا حتى ان النسا كانوا يخططن في وجوههن شجة عبد الحميد وكان يقال لعمر بن عبد العزيز رحمه الله اشج بني امية وكان عمر رضي الله عنه يقول ان من ولدي رجل به اثر في وجهه فلما صبغ رحمه الله الله اكبر هذا اشج بني امية يملؤ الارض عدلا • وقال اعور لابي الاسود الدؤلي رحمه الله ما الشي ونصف الشي ولا شي قال اما الشي فالبصير مثلي انا واما نصف الشي فانت يا اعور واما لا شي فالاعمى

الفصل الثالث في الطب والتداوي

من السنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تداووا فان الذي انزل الدا انزل الدوا • وقال صلى الله عليه وسلم ما انزل الله من دا الا وله دوا عرفه من عرفه وجهله من جهله • وسئل صلى الله عليه وسلم عن الدوا والرقا هل يرد ان شيا من قدر الله تعالى قال عليه السلام هما من قدر الله • وقال عبد الله بن شبرمة رحمه الله عجبت لمن يحتمي عن الطعام مخافة الدا كيف لا يحتمي من الذنوب مخافة النار • وقيل للربيع بن خثيم رحمه الله الا ندعو لك الطبيب قال الطبيب امرضني • ثم انشا يقول

بيت

اصبحت لا ادعو طبيبا لطبه • ولكنني ادعوك يا منزل القطر

وعاد الفرزدق رحمه الله مريضا فقال

شعر

يا طالب الطب من داء تخوفه • ان الطبيب الذي ابلاك بالداء

هو الطبيب الذي يرجى لعافيته • لا من يذوب لك الترياق بالماء

ولما بشر الحافي رحمه الله قيل له الا ندعو لك الطبيب فقال انا بعين الطبيب يفعل بي ما اريد فالح عليه اهله وقالوا لا بد وان نرين ماك للطبيب فقال لاخته ارفعي اليهم الماء في قارورة وكان بالقرب طبيب نصراني فلما راى الماء قال حركوه فحركوه ثم قال ضعوه ثم قال ارفعوه فقالوا ما بهذا وصفت لنا قال وبم وصفت لكم قالوا بالحذق والمعرفة قال هو كما تقولون غير ان هذا الماء ان ما نصراني فهو راهب قد قتلت الخوف كبده وان كان ما مسلم فهو لبشر الحافي فانه اخوف اهل زمانه فقال لهم ما بشر فاسلم النصراني وقطع زناره فلما دخلوا على بشر رحمه الله قال اسلم الطبيب قالوا ومن اعلمك بذلك قال لما خرجتم من عندي هتف بي هاتف يا بشر ببركة ماك اسلم الطبيب وفلج الربيع بن خثيم رحمه الله فقيل له لو تداويت فقال عرفت ان الدوا حق ولكن عادا وثمودا وقرونا بين ذلك كثيرا كانت فيهم الاوجاع وكانت فيهم الاطبا فما بقي المداوي ولا المداوي

قال الشاعر

هلك المداوي والمداوى والذي • جلب الدواء وباعه ومن اشترى

قيل لجالينوس رحمه الله حين تمكنت العلة انما تعالج قال اذا كان الدا من السما بطل الدوا واذا انزل قدر الرب بطل حذر المربوب • ومر قوم بعما من مياه العرب فوصف لهم ثلث بنات متطببات والصغرى من اجمل النسا فاحبوا ان يروهن فحكوا ساق احدهم حتى ادموه ثم قصدوهن فقالوا هذا جريح مريض فهل من طبيب فخرجت اصغرهن وهي كانها الشمس الطالعة فقالت ليس هو مريض ولكن خدشه عود بال عليه حية فاذا طلعت الشمس مات فكان الامر كما قالت • ويقال داووا كل مريض بعقاقير ارضه فان الطبيعة تتطلع لهوايها • وقالوا من قدم ارضا غير ارضه واخذ من ترابها فجعله في مايها وشربه عوفي من وبايها وقيل الحمية طالع الصحة فانك ان اكلت ما تشتهي صيرك الى ما لا تشتهي • واحتمى احمد بن المعدل رحمه الله لعلة به فبرئت فقال الحمية صالحة لاهل الدنيا تبريهم من المرض ولاهل الاخرة تبريهم من النار وقيل الابدان المعتادة بالحمية افتها التخليط والمعتادة بالتخليط افتها الحمية وعودوا كل جسد بما يعتاد وكان انوشروان رحمه الله عسك عما يميل شهوته به اليه من الطعام ويقول تركنا ما نحبه عن التعالج بما نكرهه وقيل ان العضو اذا المرضه الم تداعي له الجسد كله وقال لقمان عليه السلام

لا تطيلوا

لا تطيلوا الجلوس على الخلا فانه يورث الباسور وكانت حكمة مكتوبة على ابواب الحوش وقيل كفى بالمرء عارا ان يكون صريع ما اكله وقتيل انامله فكم اكلة منعت اكلات دهرا • ويقال من غرس الطعام ثمرة السقام • وعن بعض اهل البيت عليهم السلام كان اذا اصابته علة جمع بين ما زمزم وما السما والعسل واستوهب من مهر اهله شيا وكان يقول قال الله تعالى وانزلنا من السما ما مباركا وقال تعالى فيه شفا للناس وقال عليه السلام ما زمزم لما شرب له وقال تعالى فان طبن لكم عن شي منه نفسا فكلوه هنيا مريئا فجمع بين ما بورك فيه وبين ما فيه شفا وبين الهنى المري يوشك ان يلقى العافية وقيل خمسة يهدكن الجماع على البطنة وكذا دخول الحمام على البطنة ايضا واكل القديد اليابس وشرب الماء البارد على الريق ومجامعة العجوز وقالوا لا تنكح العجوز ولا تخرج الدم وانت مستغن عن اخراجه • ومما يورث الهزال النوم على غير وطاء وكثرة الكلام برفع الصوت وقال النظام ثلثة تخلق العقل طول النظر في المراة والاستغراق في الضحك ودوام النظر في البحر • وفي الحديث احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم في ام مغيث وهي وسط الراس وكان عليه السلام يحتجم في الاخدعين ونهى عن الحجامة في نقرة القفا فانها تورث النسيان وامر صلى الله عليه وسلم ان يستنجى بالما البارد فانه صحة من الباسور وخطب المامون رحمه الله بمرو فسعل الناس فنادى فيهم الا من كان به سعال فليعتاد بشرب خل الخمر ففعلوا فانقطع عنهم السعال • وقال حكيم رحمه الله اياك ان تحك بثرة وان زعزعتك واحفظ اسنانك من شرب القار بعد الحار وبالعكس واياك ان تطيل النظر في عين ارمد واحذر السجود على حصيرة جديدة حتى تغسلها بيدك فرب شظية حقيرة فقات عينا خطيرة • وقيل كانت الادوية تنبت في محراب سليمان عليه السلام فيقول يا نبي الله اناد وا لكذا وكذا • وقال جالينوس رحمه الله البطنة تقتل الرجال ومنها يكون الفالج والبطن الذريع والاقعاد وصنف من الجذام يقال له الفهد لا يسمع صاحبه ولا يبصر ولا ينطق نسال الله تعالى العفو والعافية وقيل البطنة تورث الصداع والكمد في العينان والضربان في الاذنين والقولنج فعليك بالطريقة الوسطى واتق الثقل وطعامه وشرابه جهدك وقال جالينوس رحمه الله الغم المفرط يميت القلب ويجمد الدم في العروق فيقتل صاحبه والسرور المفرط يلهب حرارة الدم حتى تغلب الحرارة الغريزية فيهلك وقيل انه وضع على مائدة المامون رحمه الله في يوم عيد اكثر من ثلثماية لون فكان يذكر منفعة كل لون ومضرته وما يختص به فقال له يحيى بن اكثم رحمه الله يا امير المومنين ان خضنا في الطب فانت جالينوس في معرفته او في النحو فانت هرمس في صناعته او في الفقه فانت علي بن ابي طالب رضي الله عنه في علمه او في السخا فانت حاتم في كرمه او في صدقه

الجرب فانت ابوذر في صدق لهجته او في الوفا فانت السموال بن عاديا في وفائه فسر بكلامه وقال يا ابا محمد انما فضل الانسان على غيره بعقله ولولا ذلك لكان الناس والبهايم سوا • وقال طبيب الهند منفعة الحقنة كمنفعة الما للشجرة اذا اصلها • وقال سفين بن عيينة رحمه الله اجتمع اطبا فارس على ان الدا ادخال الطعام على الطعام وقالوا ادخال اللحم على اللحم بالليل يقتل السباع في البر وقيل الشرب في الانية الرصاص امان من القولنج • وعرض رجل على ايوب الطبيب رحمه الله قارورته فقال ما في قارورتك لانه ما ميت وانت حي تكلمني فما فرغ من كلامه حتى خر الرجل ميتا • وصدع ملك فامر ان يضع قدميه في الما الحار فقال لحضي عنده واين القدم من الراس وان وجعك من بعضك نزعنا فذهبت لحينك • وصدع المامون بطرطوس فلم ينجح علاج فوجه اليه قيصر قلنسوة وكتب اليه بلغني صداعك فضعها على راسك يسكن فخاف ان يكون مسمومة فوضعها على راس حاملها فلم تضره ثم وضعت على راس مصدع فسكن صداعه فتعجب المامون رحمه الله ثم امر بها ففتقت فاذا فيها بسم الله الرحمن الرحيم كم نعمة من الله في عرق ساكن حمعسق لا يصدعون عنها ولا ينزفون من كلام الرحمن خمدت النيران ولا حول ولا قوة الا بالله • وقال علي رضي الله عنه ادهنوا بالبنفسج فانه بارد في الصيف حار في الشتا • وعنه عليه السلام عليكم بالزيت فانه يذهب البلغم ويشد العصب ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب الهم • وعنه ايضا ان لم يكن في شي شفا ففي شرطة حجام او شربة من عسل • وقال الحجاج لطبيبه اخبرني بجوامع الطب قال لا تنكح من النسا الا فتاة ولا تاكل من اللحم الا فتيا واذا تغديت فاستلق واذا تعشيت فامش ولو على الشوك ولا تدخل بطنك طعاما حتى تستمري ما فيه ولا تاوي الى فراشك حتى تدخل الخلا وكل الفاكهة في اقبالها ودعها في ادبارها • واوصى حكيم خليفة بوصية وعلم انه اذا لازمها لم يمرض الا مرض موته قال له لا تاكل طعاما وفي معدتك طعام ولا تعش حتى تعي ولا تجامع امراة كهلة ولا تدخل الحمام على الشبع واذا جامعت فكن على حال وسط من الغذا وعليك في كل اسبوع بقية ولا تاكل الفاكهة الا في اوان نضجها ولا تاكل القديد اليابس واذا تغديت فنم نومة واذا تعشيت فامش اربعين خطوة ونم على يسارك ليقع الكبد على المعدة فينهضم ما فيها ويستريح الكبد من حرارة البدن ولا تنم على عينك فان ذلك يبطي هضم المحل ولا تاكل لشهوة عينك على الشبع ولا تنم ليلة حتى تعرض نفسك على الخلا ان احتجت الى ذلك او لم تحتج واقعد على الطعام وانت تشتهيه وقم عنه وانت تشتهيه قال بعضهم في الشره

شعر

شره النفوس على النفوس بلية • فتعودوا من كل نفس تشره

مامن

ما من فتى شرهت له نفس وان • نال الغنا الا اتى ما يكره

وقال ابو الفيض رحمه الله في الفصل وقد انشد

شعر

ارقت دما لو شكت المزن مثله • لاصبح وجه الارض اخضر زاهيا
وما طيبا لو مطلق المزن شربه • لكان من الاسقام للناس شافيا

الفصل الثالث فيما جا في العيادة وفضلها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة في ظل العرش عايد المريض ومشيع الموتى ومعزي الثكلا ومن السنة تخفيف الوطاة في العيادة • مرض بكر بن عبد الله المزني رحمه الله فعاده اصحابه فاكثروا عنده الجلوس فقال المريض تعاد والصحيح يزار قال الشاعر

يحدث مريضا هو يجوز داه • الا انما يعفو لعوائد دائما

وقيل اذا دخل العواد على الملك فحقهم ان لا يسلموا عليه فيحوجوه الى الرد فاذا علوا انه لا يخطبهم دعوا له دعا يسيرا وخرجوا • ومرض انسان فكتب بعض اصدقائه كشف الله ما بك من السقم وطهرك بالعلة من الخطايا ومتعك بانس العافية واعقبك دوام الصحة ومرض بعضهم فكتب اليه صديقه يقول

شعر

يا خوانك الادنين لا بك كلما • شكوت الي اليوم من الم الورد
فكل امري منهم بقدر احتماله • فان عجزوا عنه تحملته وحدي

وقال اخر

في السوء والمكروه لا بك كلما • اراداك كانا بي وكان لك الاجر

وقال عبد الله بن صهيب رحمه الله

ما لي مرضت فلم يعدني عائد • منكم ويمرض كلبكم فاعود

فسمي عائد الكلاب • وقال اخر

بيت

اذا امرضتم اتيناكم نعودكم • وتذنبون فناتيكم فنعتذر

وعاد مالك بن انس رضي الله عنه بعضهم فقال

بيت

عادني مالك فلست ابالي • بعد من عادني ومن لم يعدني

وقال علي بن الجهم رحمه الله

شعر

ارقد الليل مسرورا وعدمت اذا • عليت واحد يرعى ليله وصبا
الله يعلم اني قد نذرت له • صيام شهر اذا ما احمد ركبا

وقيل حق العيادة يوم بعد يومين • وجلسة مثل خلس اللحظ بالعين

قال الشاعر

لا تبرمن عليلا في مسايلة • يكفيك من ذاك تسال بحرفين

العيادة فلله فراق المناذ

وقال العباس بن الأحنف رحمه الله شعر

قالت مرضت فعدتها فتبرمت • وهي الصحيحة والمريض العائد
والله لو ان القلوب كقلبها • ما رق للولد الضعيف الوالد

وفضل العيادة مشهور وشرفها مذكور * وبها تعظم الاجور * وصلى الله على سيدنا محمد وآله •

الباب الحادي والثمانون في ذكر الموت وما يتصل به من القبر ونحوه

روى عن ابن عباس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات احدكم الميت فحسنوا كفنه وعجلوا انجاز وصيته واعمقوا له في قبره وجنبوه الجار السو قيل يا رسول الله وهل ينفع الجار الصالح في الآخره قال وهل ينفع في الدنيا قالوا نعم قال وكذلك ينفع في الآخره * وفي وصيه علي لابي ذر رضي الله عنهما زر القبور تذكر بها الآخره ولا تزرها بالليل * واغسل الموتى يتحرك قلبك وصل على الجنائز لعل ذلك يحزنك فان الحزين في ظل الله * ونظر فيلسوف رحمه الله الى ميت يحمل الى القبر فقال حبيب ينقله احبابه الى حبس الابد * ويقال جزعك في مصيبة صديقك احسن من صبرك وصبرك في مصيبتك احسن من جزعك * ودخل عمرو بن العاص على معاويه رضي الله عنهما في مرضه فقال اعايد حبيب ام شامتا فقال لعمرو كم يقول هذا والله ما كلفتني رهقا ولا اصدعتني زلفا ولا جرحتني علقا فلم استثقل حياتك واستبطي وفاتك فقال معاويه رحمه الله بيت

فهل من خالد اذ ما هلكنا • وهل بالموت بالناس عار

ولما مرض مرضه الذي مات فيه اتت اليه وفود الناس يعودونه فقال لاهله مهدوا الى فراشي واسندوني وادهنوا راسي دهنا وكحلوا عيناي بالاثمد ثم ائذنوا للناس ان يسلموا علي قياما ولا يجلس عندي احد منهم ففعلوا ذلك فلما خرجوا قال معاويه رحمه الله شعر

وتجلدي للشامتين اريهم • اني لريب الدهر لا اتضعضع
واذا المنية انشبت اظفارها • الفيت كل تميمة لا تنفع

فلما دنا منه الموت تمثل بهذا البيت فقال

هو الموت لا منجا من الموت والذي • نحاذر بعد الموت ادهى وافظع

ثم قال اللهم اقل العثرة واعف عن الزلة وعد بحلمك على من لم يرج غيرك ولا يثق الا بك فانك واسع المغفره * وليس لذي خطيئة مهرب منك * ومات رحمه الله

ددد

وذكر ابو العباس الشيباني رحمه الله قال وفد على ابو دلف عشرة من اولاد علي بن ابي طالب رضي الله عنهم في العلة التي مات فيها فاقاموا ببابه شهرا لا يؤذن لهم لشغل العلة فلما افاق قال لخادمه نبئ قلبي يحدثني ان بالباب قوما لهم الينا حوائج فافتح الباب ولا تمنع احدا قال فاول من دخل علينا آل علي فسلموا عليه ثم ابتدا الكلام منهم رجل من ولد جعفر الطيار فقال له اصلحك الله انا من اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وفينا من ولده وقد حطمتنا المصايب واجحفت بنا النوايب فان رايت ان تجبر كسيرا وتغني فقيرا لا يملك قطميرا فافعل فقال للخادم خذ بيدي واجلسني ثم اقبل معتذرا اليهم ودعا بدواة وقرطاس وقال ليكتب كل واحد منكم انه قبض مني الف دينار قال ففعلنا والله متحيرين فلما ان كتبنا وضعنا الرقاع بين يديه وقال لخادمه علي بالمامون فوزن لكل واحد منا الف دينار ثم قال لخادمه يا بشر اذا انا مت فادرج هذه الرقاع في كفني فاذا لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم في القيمه كانت حجة لي اني قد اغنيت عشرة من ولده يا غلام ادفع لكل واحد منهم الف درهم ينفقها في طريقه حتى لا ينفق مما اعطيناه شيا حتى يصل الى موضعه قال فاخذناها ودعونا له وانصرفنا ثم مات رحمه الله * وقيل لما دفن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه نزل عند دفنه رق من السما مكتوب فيه بالنور بسم الله الرحمن الرحيم امان لعمر بن عبد العزيز من النار وقيل لاعرابي انك تموت فقال والى اين يذهب بي قالوا الى الله تعالى قال ما اكره ان اذهب الى من لا ارى الخير الا منه وبكى الحولاني رحمه الله عند موته وقيل له ما يبكيك قال ابكي لطول السفر وقلة الزاد وقد سلكت عقبة فلا ادري الى اين يهبط بي والى اي المكان اسقط ودخل ملك الموت على داود عليه السلام فقال له من انت قال انا الذي لا يهاب الملوك ولا يمنع منه القصور ولا يقبل الرشا قال فانت اذا ملك الموت ولم استعد بعد قال يا داود اين فلان جارك اين فلان قريبك قال مات قال اما كان في هولا عبرة تستعد * وفي الخبر من حديث حميد الطويل عن انس بن مالك رضي الله عنهم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الملائكة تكتنف العبد وتحبسه ولولا ذلك كان يعدو في الصحاري والبراري من شدة سكرات الموت وقد اجمعت الامة على ان الموت ليس له زمن معلوم ولا مرض معلوم فليكن المرء على اهبة من ذلك وقيل بينما حسان رحمه الله جالس وفي حجره صبي يطعمه الزبد بالعسل اذ شرق الصبي بها فمات فقال شعر

اتعد وانت صحيح مطلق فرح • ما دمت وبحلك يا مغرور في مهل
ترجو الحياة صحيحا ربما كمنت • لك المنية بين الزبد والعسل

ودخل على المامون في مرض موته فاذا هو قد فرش له جل دابته وبسط عليه الرماد وهو يتمرغ عليه ويقول يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه * ولما احتضر عمرو بن العاص رحمه الله

وعلى بغل وقيد فلبسهما ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان التوبة
مبسوطة ما لم يغرغر ابن آدم بنفسه ثم استقبل القبلة فقال اللهم امرتنا فعصيناك
ونهيتنا فارتكبنا وهذا مقام العائذ بك فان تعف فاهل العفو انت وان تعاقب فبما
قدمت يداي لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين فمات رضي الله عنه وهو مقيد
مغلول فبلغ ذلك الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال استسلم الشيخ ولعلها نفعته ولما
احتضر المعتصم رحمه الله جعلوا يعودون عليه فقال على النطارم ماعمر بظهر الجلود
وسمع ابو الدرداء رضي الله عنه في جنازة يقول من هذا فقال انت فان كرهت فانا
وقيل مات عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهم وكثير عزة في يوم واحد فقال رجل اللهم
كما جمعتنا في زيارة القبور فلا تفرق بينهما يوم النشور فما بقي في المدينة احد الا
استحسن كلامه ولما احتضر ابراهيم الخليل عليه السلام قال هل رايت خليلا يقبض
روح خليله فاوحى الله تعالى اليه هل رايت خليلا يكره لقا خليله قال فاقبض روحي الساعة
وقيل اذا قضى الله لرجل ان يموت بارض جعل له اليها حاجة وانشدوا في ذلك

بيت

اذا ما حمام المرء كان ببلدة * دعته اليها حاجة فيطير

وقال محمد بن الحسن الشيباني صاحب ابي حنيفة رحمهما الله * بيت *

ومنتجب الروح مرتاح الى بلد * والموت يطلبه في ذلك البلد

ويقال ان الانسان يحصل له عند الموت قوة وحركة نحو ما يحصل للسراج عند انطفائه
من حركة سريعة وضياء ساطع وتسميها الاطباء النعشة الاخيرة وقيل ان الرشيد مات
له خطية فجزع عليها جزعا شديدا فقال له مضحك كان يحضره ما هذا الجزع الشديد فقال
انا نرى ما ابتليت به ما احببت احدا الا ماتت فقال له يا امير المؤمنين احببني حتى
اموت فقال له ويحك ان الحب ليس شيء يصنع وانما هو شيء يقع وتسوقه الاسباب قال
قل انا احبك فقال له ذلك قال فحم ذلك المضحك ومات من ساعته وعن عقبة بن عامر
رضي الله عنه لان اطأ جمرة حتى تبرد وسيفا حتى ينقطع رجلي احب الي من ان امشي على
قبر رجل مسلم وفي الحديث المرفوع كسر عظم المؤمن بعد موته ككسره في حياته
وقال زيد بن اسلم رضي الله عنه لقد كان يمضي في الزمن الاول اربعمائة سنة وما تسمع بجنازة
وعن ميمون بن مهران رضي الله عنه قال شهدت جنازة ابن عباس بالطائف فلما وضع
ليصلى عليه جاء طائر ابيض حتى وقع على اكفانه ثم دخل فيها فالتمس فلم يوجد فلما سوي عليه
التراب سمعنا من نسمع صوته ولا نرى شخصه يقول يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي
الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وقال ابن عباس رضي الله عنه

ان قبر آدم عليه السلام بمسجد الخيف بمنى وقال عطا رضي الله عنه بلغني ان قبره تحت
المنارة التي تحت مسجد الخيف وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه اذا وقف على قبر بكى
ما لا يبكي عند ذكر الجنة والنار فقيل له في ذلك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول القبر اول منازل الآخرة فان نجا منه فما بعده ايسر منه وعن معاذ بن رفاعة
الزرقي رضي الله عنه قال اخبرني رجل من رجال قومي ان جبريل عليه السلام اتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم في جوف الليل معتجرا بعمامة من استبرق فقال يا محمد من هذا
الميت الذي فتحت له ابواب السماء واهتز له العرش فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يجر
ثوبه مبادرا الى سعد بن معاذ رحمه الله فوجده قد قبض وقال الحسن بن علي رضي الله عنهما
ما من يوم الا يصيح ملك الموت وينظر فيه خمس مرات فمن رآه على لهو ولعب او معصية او رآه
ضاحكا حرك راسه وقال مسكين هذا العبد ما اغفله عما يراد به ثم قال اعمل ما شئت فان
لي فيك غمزة اقطع فيها وتينك وقال عمر بن عبد العزيز لرجاء بن حيوة رضي الله عنهما يا
رجاء اذا وضعت في لحدي فاكشف الثوب عن وجهي فان رايت خيرا فاحمد الله تعالى وان رايت
غير ذلك فاعلم انه قد هلك عمر قال فلما دفناه كشفت عن وجهه فرايت نورا ساطعا فحمدت
الله تعالى وعلمت انه قد صار الى خير وعنه ايضا قال دخلت على عمر رضي الله عنه حين
احتضر فقال يا رجاء اني ارى وجوها كراما ليست بوجوه انس ولا جان وهو يقلب
طرفه يمينا وشمالا ثم رفع يديه وقال اللهم انت امرتني فقصرت ونهيتني فعصيت فان عفوت
فقد مننت وان عاقبت فقد ظلمت الا اني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك لك
وان محمدا عبدك المصطفى ونبيك المرتضى بلغ الرسالة وادى الامانة ونصح الامة فعليه
السلام والرحمة ثم قضى نحبه فمات رحمه الله وعن اسماء بنت عميس رضي الله عنها انا لعند
امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه بعدما ضربه ابن ملجم اذ شهق شهقة فاغمي
عليه ثم افاق فقال مرحبا مرحبا الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الجنة فقيل له ما
ترى قال هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم واخي جعفر وعمي حمزة وابواب السماء مفتحة
والملائكة ينزلون ويسلمون علي يبشروني وهذه فاطمة قد احاطت بها وصايفها من الحور وهذه
منازلي في الجنة لمثل هذا فليعمل العاملون ولما احتضر عبد الملك بن مروان قال
لابنه الوليد رحمهما الله اذا انا مت اياك ان تجلس وتعصر عينيك كالمراة الوكعاء لكن
ائتزر وشمر والبس جلد النمر وضعني في حفرتي وخلني وشاني وعليك وشانك وادع الناس
الى بيعتك فمن قال براسه هكذا فقل بسيفك هكذا ثم بعث الى محمد وخالد ابني يزيد بن
معاوية فقال هل بكما من ندامة على بيعة الوليد قالا ما نعرف احق منه بالخلافة قال اما
انكما لو قلتما غير هذا لضربت الذي فيه اعينكما ثم دفع عن فراشه فاذا السيف مجرد وروحه

تتردد في حنجرته فقال الحمد لله الذي لا يبالي أصغيرا اخذ ام كبيرا حتى فاضت نفسه ودخل عليه الوليد ومعه بناته يبكين فتمثل بقوله • بيت •

ومستخبر عنا يريد بنا الردا • ومستخبرات والعيون سواجم

وقال محمد بن هرون رحمه الله • شعر •

كأني باخواني على حافتي قبري • يهيلونه فوقي واذ معهم تجري
فيا ايها المذري على دموعه • ستعرض في يوم علي وعن ذكري
عفا الله عن يوم أترك ثاويا • أزار فلا ادري واخفى فلا أدري

وكان يزيد الرقاشي رحمه الله يقول اخواني من كان الموت موعده والقبر بيته والثرى مسكنه والدود أنيسه وهو مع ذلك ينتظر الفزع الاكبر كيف تكون حالته ثم يبكي حتى يغشى عليه فعلى العاقل ان يحاسب نفسه على ما فرط من عمره ويستعد لعاقبة أمره بصالح العمل ولا يغتر بالاجل فان من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت نسأل الله تعالى أن يلهمنا رشدنا ويوفقنا باتباع أوامره واجتناب نواهيه وأن يجعل الموت خير غائب ننتظره وأن يختم لنا بخير وأن يتغمدنا برحمته انه على ما يشاء قدير وبالاجابة جدير وبعباده لطيف خبير وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم •

الباب الثاني والثمانون في الصبر والتأسي والتعازي والمراثي وفيه فصول

الفصل الأول في الصبر والتأسي قال الله تعالى الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من مسلم يصاب بمصيبة وان قدم عهدها فاحدث لها استرجاعا الا احدث الله له مثله واعطاه الله مثل اجر ذلك يوم اصيب بها وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصبح حزينا على الدنيا اصبح ساخطا على ربه ومن اصبح يشكو مصيبة نزلت به فانما يشكو الله تعالى ومن تضعضع لغني ليصيب مما في يديه احبط الله ثلثي عمله ومن اعطي القرآن فلم يعمل به وتهاون فيه حتى دخل النار فابعده الله من رحمته لانه هو الذي فعل ذلك بنفسه حيث لم يعرف حرمة القرآن وروى ابو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من مات له ثلث من الولد لم يلج النار الا تحلة القسم يعني قول الله تعالى وان منكم الا واردها وعن ام سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اصيب بمصيبة فقال كما امر الله تعالى انا لله وانا اليه راجعون اللهم اجرني في مصيبتي واعقبني خيرا

منها الا فعل الله ذلك به وروى انه لما مات ابراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذرفت عيناه فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يا رسول الله تبكي او لم تنه عن البكاء قال لا ولكن نهيت عن النوح والغناء الصوتين الاحمقين الفاجرين عن صوت الغناء فانه لعب ولهو ومزامير الشيطان ولكن هذه رحمة جعلها الله تعالى في قلوب الرحماء ومن لا يرحم لا يرحم ثم قال عليه السلام القلب يحزن والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا بك يا ابراهيم لمحزونون وقال ابن عباس رضي الله عنه اول شيء كتبه الله في اللوح المحفوظ انني انا الله لا اله الا انا ومحمد رسولي من استسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليتخذ ربا سوائي وقال ابن المبارك رحمه الله المصيبة واحدة فاذا جزع صاحبها فهي اثنتان يعني المصيبة بعينها والثانية ذهاب اجر المصيبة وهي اعظم من المصيبة وعن العلاء بن عبد الرحمن رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم لما حضرته الوفاة بكت فاطمة رضي الله عنها فقال عليه السلام لا تبكي يا بنتاه قولي اذا مت انا لله وانا اليه راجعون فان كل انسان بها من كل مصيبة معوضة قالت ومنك يا رسول الله قال ومني وعن عطا بن ابي رباح رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصابته مصيبة فليذكر مصيبته بي فانها من اعظم المصائب وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال من اخذت حبيبتاه يعني عينيه فصبر واحتسب ادخله الله الجنة وقيل ان امراة ايوب عليه السلام قالت له لو دعوت الله تعالى ان يشفيك فقال ويحك كنا في النعماء سبعين عاما فلنصبر على الضراء مثلها فلم يلبث الا يسيرا ان عوفي وقيل الصبر مفتاح الفرج والتوكل على الله رسول النجاح وقيل ان معاوية رحمه الله خرج بسير ومعه عبد العزيز بن زرارة الكلابي وكان ذا منصب وشرف وعقل وادب فقال له معاوية يا عبد العزيز اتانا نعي سيد شباب العرب فقال ابني ام ابنك قال بل ابنك قال الموت ما تلد الوالدة وقال من لم يتوق نوائب الدهر بالصبر طال عتبه عليه وقالوا صبر الحكيم من لا يجد معولا الا عليه ولا مفزعا الا اليه وقال سويد السدوسي رحمه الله • شعر •

فاوصيكما يا ابني سدوس كلاكما • بتقوى الذي اعطاكما وبراكما
فشكرا اذا ما الله احدث نعمة • وصبرا لامر الله فيما ابتلاكما

وما احسن ما قيل شعر

الا يا صاحبي ان رمت تكسب للعلا • وترقى الى العليا بغير مزاحم
عليك بحسن الصبر في كل حالة • فما صابر فيما يروم بنادم

هو الدهر قد جربته وبلوته فصبرا على مكروهه وتجلدا

وحدث الزبير قال قامت عايشة بعد ما دفن ابوها ابو بكر رضي الله عنهم فقالت
نضر الله وجهك وشكر صالح سعيك فقد كنت للدنيا مذلا تاركا لها وللآخرة
معزا با قبالك عليها ولئن كان اعظم المصايب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
موتك واكبر الاحداث بعده فقدك ان كتاب الله ليعدنا بالصبر عنك حسن العوض منك
وانا منتجزة موعود الله بالصبر عنك ومستقضية بكثرة الاستغفار لك فسلام الله
عليك توديع غير قالية لحياتك ولا زارية على القضا فيك ولما مات ذر الهمداني
رحمه الله وكان موته فجأة جاء ابوه فوجد اهل بيته يبكون حوله فقال ما لكم فوالله
ما ظلمناه ولا قهرناه ولا ذهب لنا حق ولا اصابنا فيه ما اخطا من كان قبلنا في مثله
فلما وضعه في حفرته قال رحمك الله يا بني وجعل اجري فيك لك فوالله ما بكيت
عليك وانما بكيت لك فوالله لقد كنت بي بارا وقد كنت لك محبا وما بي اليك من
وحشة وما بي الى احد غير الله من فاقة وما ذهبت لنا بعزة وما ابقيت لنا من ذل
ولقد شغلني الحزن لك عن الحزن عليك يا ذر ولولا هول المطلع لتمنيت ما صرت
اليه فليت شعري ماذا قلت وماذا قيل لك ثم رفع راسه الى السما وقال اللهم
انك وعدت الصابرين على المصيبة ثوابك ورحمتك اللهم قد وهبت ما جعلت
لي من اجر على ذر له صلة مني له فلا تعرفه قبيحا وتجاوز عنه فانك رحيم بي وبه اللهم انك
قد جعلت لك على ذر حقا وجعلت لي عليه حقا قرنته بحقك فقلت اشكر لي ولوالديك
الي المصير اللهم اني قد غفرت لذر ما قصر فيه من حقي فاغفر له ما قصر فيه من حقك
فانك اولى بالجود والكرم فلما اراد الانصراف قال يا ذر قد انصرفنا وتركناك
ولو اقمنا ما نفعناك وقيل اذا مات ولد العبد يقول الله عز وجل ما قال عبدي
عند قبض روح ولده وثمرة فؤاده فيقولون الله حمدك واسترجع فيقول الله تعالى
فاني اشهدكم يا ملائكتي اني بنيت له بيتا في الجنة وسميته بيت الحمد وعن عبد الله
بن عمر رضي الله عنهما انه دفن ابنا له وضحك عند قبره فقيل له اتضحك عند القبر قال
اردت ان ارغم انف الشيطان فينبغي للعاقل ان يتفكر في ثواب المصيبة لتسهل عليه
فاذا احسن منه لصبر استقبله يوم القيمة ثوابها حتى يود ان يكون جميع اقاربه
واولاده ماتوا قبله لينال ثواب المصيبة وقد وعد الله تعالى في المصيبة ثوابا عظيما
اذا صبر صاحبها واحتسب وهو قوله تعالى ولنبلونكم بشي من الخوف والجوع ونقص من
الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الآية اللهم رضنا بقضائك وصبرنا على

بلائك

بلائك واغفر لنا ولوالدينا ولكل المسلمين امين وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم

الفصل الثاني في التعازي والتاسي

روي في كتاب الترمذي والسنن الكبير للبيهقي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال من عزى مصابا فله مثل اجره وروينا في كتاب الترمذي ايضا
بسند متصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من عزى ثكلى كسي بردا في الجنة وروينا
في سنن ابن ماجة والبيهقي باسناد حسن عن عمرو بن حزم رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما من مومن يعزي اخاه بمصيبته الا كساه الله تعالى من حلل الكرامة يوم القيمة اعلم
ان التعزية هي التصبر وذكر ما يسلي صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته وهي مستحبة
فانها مشتملة على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي ايضا داخلة في قوله تعالى وتعاونوا
على البر والتقوى وهذا وهو من احسن ما يستدل به في التعزية وثبت في الصحيح ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال والله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه واعلم ان التعزية
سنة قبل الدفن وبعده قيل ونكره التعزية بعد ثلثة ايام لان التعزية لتسكين قلب
المصاب والغالب سكونه بعد الثلثة فلا يجدد الحزن هكذا قاله الجماهير من اصحاب الشافعي
رضي الله عنه وقيل انها لا تفعل بعد ثلثة ايام الا في صورتين وهما اذا كان المعزي او
صاحب المصيبة غايبا حال الدفن واتفق رجوعه بعد ثلثة والتعزية بعد الدفن افضل
منها قبله لان اهل البيت مشغولون بتجهيزه ولان وحشتهم بعده بعد فراقه هذا اذا لم ير
منهم جزعا شديدا فان راه قدم التعزية ليسليهم والله اعلم واما لفظ التعزية فلا حجر
فيه فباي لفظ عزاه حصلت فاستحب اصحاب الشافعي رضي الله عنه ان يقول في تعزية المسلم
بالمسلم اعظم الله اجرك واحسن عزاك وغفر لميتك وفي الكافر بالمسلم اعظم الله اجرك
واحسن عزاك وفي الكافر بالكافر اخلف الله عليك ولا نقص عددك وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقد بعض اصحابه فسال عنه فقالوا يا رسول الله ابنه الذي رايته هلك
فلقيه النبي صلى الله عليه وسلم فسال عن ابنه فاخبره انه هلك فعزاه عليه ثم قال يا فلان
ايما كان احب اليك ان تمتع به عمرك او لا تاتي غدا بابا من ابواب الجنة الا وجدته قد سبقك
اليه يفتحه لك قال يا نبي الله بل يسبقني الى الجنة فيفتحها لي لهو احب الي قال فذلك لك وروى
البيهقي باسناده في مناقب الشافعي رضي الله عنه ان الشافعي بلغه ان عبد الرحمن بن مهدي
رحمه الله مات له ولد فجزع عليه جزعا شديدا فبعث اليه الشافعي رضي الله عنه يا اخي عز نفسك
بما تعزي به غيرك واستقبح لنفسك ما تستقبحه من غيرك واعلم ان امض المصايب فقد سرور
وحرمان اجر فكيف اذا اجتمعا مع اكتساب وزر الهاك الله عند المصايب صبرا واحرز لنا
ولك بالصبر اجرا وروي عن ابن المبارك رضي الله عنه قال مات لي ابن فعزاني مجوسي فقال لي

وقال ينبغي للعاقل ان يفعل اليوم ما يفعله الجاهل بعد خمسة ايام فقلت اكتبوه بمائه
وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال مات لي ابن فكتب الي رسول الله صلى الله عليه وسلم من
محمد رسول الله الى معاذ بن جبل سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله الا هو اما بعد
فعظم الله لك الاجر والهمك الصبر ورزقنا واياك الشكر ثم ان انفسنا واموالنا واهلنا
واولادنا من مواهب الله سبحانه الهنيه وعواريه المستودعه متعنا بها الى اجل معدود
ويقبضها لوقت معلوم ثم افترض الله تعالى علينا الشكر اذا اعطى والصبر اذا ابتلى وكان ابنك
من مواهب الله الهنية وعواريه المستودعة متعك به في غبطة وسرور وقبضه باجر كبير
ان صبرت واحتسبت واعلم ان الجزع لا يرد ميتا ولا يرد حزنا وروي ان ابا بكر الصديق رضي
الله عنه كان اذا عزى مرزأ قال ليس مع العزا مصيبة ولا مع الجزع فايدة والموت اشد ما
قبله واهون ما بعده فاذكروا مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم تهن عليكم مصيبتكم صلى
الله على محمد واعظم اجركم وكتب بعضهم الى اخ له يعزيه انت يا اخي اعزك الله عالم بالدنيا
وما خلقت له من الفنا وانها لم تعط الا اخذت ولم تسر الا احزنت وان الموت سبيل المحتوم
على الاولين والاخرين لا دافع عنه ولا مؤخر لما قضى الله عز وجل منه وانا اليه راجعون
وعزى الامام الشافعي رضي الله عنه بهذين البيتين يقول شعر

انا نعزيك لا انا على ثقة ۝ من الحيوة ولكن سنة الدين
فلا المعزى بباق بعد ميته ۝ ولا المعزي وان عاشا الى حين

وعزا رجل بعض الخلفا بولد له وكتب اليه يقول شعر

تعزا امير المومنين فانه ۝ لما قد يرى يغذو الصغير ويولد
هل ابنك الا من سلالة ادم ۝ وكل على حوض المنية مورد

وكتب بعضهم الى صديقه يعزيه وقد ماتت ابنته يقول شعر

الموت اخفى ستره البنات ۝ ودفنها يروى من المكرمات
اما رايت الله سبحانه ۝ قد وضع النعش بجنب البنات

وكتب بعضهم الى صديقه يعزيه باخيه ويسليه ما تصنع يا اخي والقضا نازل
والموت حكم شامل وان لم تلذ بالصبر فقد اعترضنا على مالك الامر وانت تعلم ان نوايب
الدهر لا تدفع الا بعزايم الصبر فاجعل بين هذه اللوعة الغالبه والدمعة الساكبه حاجبا
من فضلك وحاجزا من عقلك ودافعا من دينك ومانعا من يقينك فان المحن اذا لم تعالج
بالصبر كانت كالمنح اذا لم تقابل بالشكر فصبرا صبرا ففحول الرجال لا تستفزها الايام
بخطوبها كما ان متون الجبال لا يهزها العواصف بهبوبها فعزيز علي ان اخاطب مولاي بحرف
ذاكانه مسليا عن كبير او صغير ممن يتعلق بخدمته او ينتمي الى جملته فكيف بالصنو الاكرم

والرجز

والرجز الاعظم والركن الاشد والسهم الاسد والشهاب الاسطع والحسام الاقطع
لكن التعزيه سنة سايره وسنة ماضية غابره وقدر الله هو المقدر واجل الله اذا جا
لا يوخر ولولا ان الذكرى تنفع والتعزية يستوي فيها الاشرف والاوضع لاجللت مولاي ان
افاتحه معزيا واخاطبه مسليا ولكن تجدد الله العالم لا يعلم والسابق لا يتقدم فمولاي يعتقد
بالصبر على النوايب وبنوره يهتدي في مشكلات المذاهب وكل ما كان من الرزء اوجع
كان الاجر عليه اوسع جعل الله مولاي من الصابرين على المصيبه واعظم اجره وجعل الجنة
نصيبه وعزى رجل فتى عن ابيه فلم يجد كما احب فقال يا بني سوء الخلف اضر علينا من فقد
السلف ومات لبعض ملوك كنده ابنة فوضع بين يديه بدرة وقال من ابلغ في التعزيه
فهي له فدخل اعرابي فقال عظم الله اجر الملك كفيت المؤنه وسترت العوره ونعم الصهر
القبر فقال ابلغت واوجزت واعطاه البدره وعزت اعرابية قوما فقالت جافى الله عن
ميتكم الثرى واعانه على طول البلا واجركم ورحمه وكان لعلي بن الحسين رضي الله عنهما جليس
مات له ابن فجزع عليه جزعا شديدا فعزاه الحسين ووعظه فقال يا ابن رسول الله انه
كان من المسرفين على نفسه فقال لا تجزع ان من ورا ابنك ثلث خلال فاولهن شهادة ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله والثانية شفاعة جدي عليه السلام والثالثة رحمة الله التي وسعت كل شي
فاين يخرج ابنك عن واحدة من هذه الخلال وقال سليمان بن عبد الملك عند موت ابنه لعمر بن
عبد العزيز ورجا بن حيوة رحمهم الله ان في كبدي جمرة لا يطفيها الا عبره فقال عمر رحمه الله اذكر
الله يا امير المومنين وعليك بالصبر فنظر الى رجا كالمستريح الى مشورته فقال رجا افضها
يا امير المومنين فما بذلك من باس لقد دمعت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه ابرهيم
وقال ان العين لتدمع والقلب ليخشع ولا نقول ما يسخط الرب وانا بك لمحزونون يا ابرهيم
فارسل سليمان عليه السلام عينيه وبكى حتى قضى اربه ثم اقبل عليهما وقال لو لم انزف هذه
العبرة لتصدعت كبدي ثم لم يبك بعدها وكتب الاسكندر رحمه الله الى امه قبل وفاته
بقليل اذا وصل اليك كتابي هذا فاجمعي اهل بلدك واعدي لهم طعاما ووكلي بالابواب من يمنع
من اصابته مصيبة في اب او ام او اخ او اخت او ولد ففعلت فلم يدخل اليها احد فعلمت ان
الاسكندر عزاها في نفسه ولما قتل الفضل بن سهل دخل المامون على امه يعزيها فيه فقال
يا امه لا تحزني على الفضل فاني خلف فقالت وكيف لا احزن على ولد عوضني خليفة مثلك
فتعجب المامون من جوابها وكان يقول ما سمعت قط جوابا احسن منه ولا اجلب للقلوب
وممن جزع على ولده ابو جعفر رحمه الله لما قتل ابنه جعفر الحارثي قام نسا الحي يبكين عليه
وقام ابوه الى كل شاة وناقة فنحر اولادها والقاها بين ايديهم وقال ابكين معنا على جعفر
قال فما زالت النوق ترغو والشياه تثغو والنسا يصرخن ويبكين وهو يبكي معهم فما رؤي

يوماً كان اوجع من يومه وقال يحيى بن خالد رحمه الله التعزية بعد ثلث تجديد للمصيبة والتهنية بعد ثلث استخفاف بالمودة • ومما قيل في التاسّي والتسلي بالخلف عن السلف • عزى بعض الشعرا يزيد بن معاوية بوالده رحمهم الله فقال

شعر

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة • واشكر الهك من بالملك حاباكا
لا رزا من اصبح في الايام نعرفه • كما رزيت ولا عقبى كعقباكا

بيت

لا بد من فقد ومن فاقد • هيهات ما في الناس من خالد

بيت

تفكرت هل للبكا رد هالكا • على احد فاجهد بكاك على عمرو

وكتب بعضهم الى ابنا صديقه يعزيهم ويسليهم فكان مما قال هذه الابيات

شعر

فلو كان فيض الدمع ينفع باكيا • لعلمت غرب الدمع كيف يسيل
فان غاب بدر فالنجوم طوالع • ثوابت لا يقضى لهن افول
تغاث بها في ظلمة الليل حاير • ويسري عليها بالرفاق دليل

ودخل عبد الملك بن صالح على الرشيد رحمه الله وقد مات له ابن وولد له في تلك الليلة ابن فقال سرك الله يا امير المؤمنين فيما ساك ولا ساك فيما سرك وجمع لك بين اجر الصابر وثواب الشاكر •

شعر

اليس الى ذا صار آخر امرنا • فلا كانت الدنيا القليل سرورها
فلا تجعي يا نفس مما تريبه • فكل امور الناس هذا مصيرها

وقالت الخنسا في اخيها صخر رحمه الله •

شعر

يذكرني طلوع الشمس صخرا • واندبه لكل غروب شمس
الا يا صخر لا انساك حتى • افارق عيشتي وازور رمسي
ولولا كثرة الباكين حولي • على اخوانهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل اخي ولكن • اسلي النفس عنهم بالتاسي

وقال آخر •

بيت

ولولا الاسى ما عشت في الناس لحظة • ولكن اذا ما شئت ساعدني مثلي

وقال آخر •

بيت

وهون وجدي عن خليلي انني • اذا شئت لاقيت الذي مات صاحبه

وقال آخر •

بيت

ومما بوادني الى الصبر والعزا • تردد فكري في عموم المصايب

الفصل الثالث في المراثي

لما توفي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم رثاه جماعة من الآل والاصحاب بمراث كثيرة منها ما روي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه • وهو قوله رضي الله عنه •

شعر

لما رايت نبينا متجدلا • ضاقت علي بعرضهن الدور
فارتاع قلبي عند ذاك لهلكه • والعظم مني ما حييت كسير
اعتيق ويحك ان حبك قد ثوى • فالصبر عندك ما بقيت يسير
يا ليتني من قبل مهلك صاحبي • غيبت في لحد علي صخور
فليحدثن بدايع من بعده • يغنى بهن جوانح وصدور

ورثته عمته صفية رضي الله عنها بمراث كثيرة منها قولها رضي الله عنها •

شعر

فقدت ارضنا هناك نبيا • كان يروى به النبات زكيا
خلقا عاليا ودينا كريما • وصراطا يهدي الانام سويا
وسراجا يجلو الظلام منيرا • ونبيا مسوددا عربيا
حازما عازما حليما كريما • عايدا بالنوال برا تقيا
ان يوما اتى عليك كيوم • كورت شمسه وكان جليا
فعليك السلام منا جميعا • دايم الدهر بكرة وعشيا

ورثاه ابو سفين بن الحارث رضي الله عنه فقال •

شعر

ارقت فبات ليلي لا يزول • وليل اخي المصيبة فيه طول
واسعدني البكا وذاك فيما • اصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت • عشية قيل قد قبض الرسول
واضحت ارضنا مما عراها • تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا • يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك احق ما سالت عليه • نفوس الناس او كادت تسيل
نبي كان يجلو الشك عنا • بما يوحي اليه وبما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالا • علينا والرسول لنا دليل

أفاطم إن جزعت فذاك عذر * وإن لم تجزعي فهو السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر * وفيه سيد الناس الرسول

ولما مات أبو بكر الصديق رثاه عمر بن الخطاب رضي الله عنهما بهذه الأبيات حين رجع من دفنه يقول

شعر

ذهب الذين أحبهم * فعليك يا دنيا السلام
لا تذكرن العيش لي * فالعيش بعدهم حرام
إني رضيع والمعا لهم * والطفل يولد للفطام

ورثى بعضهم محمد بن يحيى رحمه الله بعد موته فقال

شعر

سألت الندى والجود ما لي أراكما * تبدلتما عزا بذل مؤبد
وما بال ركن المجد أمسى مهدما * فقالا أصبنا بابن يحيى محمد
فقلت فهلا متما بعد موته * وقد كنتما عبديه في كل مشهد
فقالا أقمنا كي نعزى بفقده * مسافة يوم ثم نتلوه في غد

وقال آخر

كنت السواد لمقلتي * فبكى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت * فعليك كنت أحاذر

صح

آخر لبعضهم فقال

ألا فليمت من شاء بعدك إنما * عليك من الأقدار كان حذاريا

بيت

ولا أرتجي في الموت بعدك طائلا * ولا أتقي للدهر بعدك من خطب

وقال آخر في المعنى

لقد أمنت نفسي المصائب بعده * فأصبحت منها آمنا أن أروعا
فما أتقي للدهر بعدك نكبة * ولا أرتجي للعيش بعدك مرتعا

وقال أشجع السلمي يرثي عبد الله بن سعيد رحمهم الله. شعر

مضى ابن سعيد حين لم يبق مشرق * ولا مغرب إلا له فيه مادح
وما كنت أدري ما فواضل كفه * على الناس حتى غيبته الصفائح
سأبكيك ما فاضت دموعي فإن تغض * فحسبك مني ما تجن الجوانح
فأصبح في لحد من الأرض ميتا * وكانت به حيا تضيق الصحاصح
وما أنا من رزء وإن جل جازع * ولا بسرور بعد موتك فارح

لئن

لئن حسنت فيك المراثي وذكرها * لقد حسنت من قبل فيك المدائح

شعر

إلى الله أشكو لا إلى الناس إنني * أرى الأرض تبقى والأخلاء تذهب
أخلاي لو غير الحمام أصابكم * عتبت ولكن ما على الدهر معتب

وقال العباس بن الأحنف رحمه الله

شعر

إذا ما دعوت الصبر بعدك والبكا * أجاب البكا طوعا ولم يجب الصبر
فإن ينقطع منك الرجاء فإنه * سيبقى عليك الحزن ما بقي الدهر

وقال آخر

خليلي ما ازداد إلا صبابة * إليك وما تزداد إلا تنائيا
خليلي نفسي لو فدت نفس ميت * فدتك مسرورا بنفسي وماليا
وقد كنت أرجو أن تعيش وأن أمت * فحال قضاء الله دون رجائيا

وقال آخر يرثي أولاده

وقاسمني دهري بني مشاطرا * فلما تقضى شطره عاد في شطري
ألا ليت أمي لم تلدني وليتني * سبقتك إذ كنا إلى غاية تجري
وقد كنت ذا ناب وظفر على العدا * فأصبحت لا يخشون نابي ولا ظفري

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للخنساء أخبريني ما أفضل بيت قلت في أخيك فقالت

بيت

وكنت أعير الدمع قبلك من بكى * فأنت على من مات بعدك شاغل

وقال آخر

وقبرت وجهك وانصرفت مودعا * بأبي وجهك المقبور
وأرى ديارك قفرة مهجورة * والقبر منك مشيد معمور
فالناس مأتمهم لرزئك واحد * في كل بيت رنة وزفير
عجبا لأربع أذرع في خمسة * في جوفها جبل أشم كبير

وقال محاسن رحمه الله في صديق له سقط الثلج بعد موته. شعر

لم أنسه وبنو الملوك أمامه * يدنون للاسبوع الا غضابها
والثلج قد غطى الربا فكأنها * من حزنها عليه لبست بياضا

وقال آخر

وليس صريرا لنعش ما تسمعونه * ولكنه أصلاب قوم تقصف
وليس نسيم المسك ريا حنوطه * ولكنه ذاك الثناء المخلف

وقال مقاتل بن عطية يرثي الوزير نظام الملك رحمه الله بابيات

شعر

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة … يتيمة صاغها الرحمن من شرف
عزت ولم تعرف الأيام قيمتها … فردها غيرة منه الى الصدف

ولبعضهم يرثي ولدا له مات يوم عيد واسمه ابو الحسين رحمه الله يقول

شعر

لبس الرجال جديدهم في عيدهم … ولبست حزن ابي الحسين جديدا
اسرني عيد ولم ار وجهه … فيه الا بعدا لذلك عيدا
لي رقته وبقيت اخلد بعده … لا كان ذاك بقا ولا تخليدا
من لم يمت حزنا لفقد حبيبه … فهو الخؤون مودة وعهودا
مت مع حبيبك ان قدرت ولا تعش … من بعده ذا الوعد مكمودا
ما ام خشف قد ملا احشاها … حذرا عليه وجفنها تسهيدا
ان نام لم تهجع وطافت حوله … فبيت مكلوا بها مرصودا
مني باوجع اذ رايت نوايحا … لابي الحسين فد لطمن خدودا
ابي الحسين وما رايت جلادتي … الا غداة رأيتك المفقودا
كنت الجليد على الرزايا كلها … وعلى فراقك ما خلقت جليدا
ولقد بقيت ولقد هلكت فانني … اخلا وان لم الحد ملحودا
لاموت لي الا اذا الاجل انقضى … فهناك لا اتجاوز المحدودا
ومع البقا فانني بك لاحق … ما عن قريب الا اراه بعيدا
حزني عليك بقدر حبك لا ارى … يوما على هذا وذاك مزيدا
ماهدني مر السنين وانما … اشبيت بعدك بالاسى مهدودا
يا ليت اني لم اك لك والدا … وكذاك انت فلم تكن مولودا
ولقد شقيت وربما شقي الفتى … بفراق من يهوى وكان سعيدا
من ذم جفنا باخلا بدموعه … فعليك جفني لم يزل محمودا
فلا نظمن مراثيا مشهورة … تنسي الانام متمما ولبيدا
وجميع من نظم القريض مفارقا … ولدا له وصاحبا مردودا

وقال الفقيه منصور بن اسمعيل المصري يرثي بعض الكرما

سالت رسوم القبر عمن ثوى به … لا علم ما لاقى فقالت جوانبه
اتسال عمن عاش بعد وفاته … بمعروفه اخوانه واقاربه

وللامام السبكي رحمه الله يرثي ابن فضل الله رحمه الله يقول

شعر

مصاب ليس يشبهه مصاب … لدى الاداب اذ فقد الشهاب
إمام قد حوى من كل علم … كنوزا ذو نهاها يرجى المركاب
يبكي كل ذي علم عليه … فكم علم له صم التراب
وكم كلم بوابغ قد ابته … بل بها وهي عاصية صعاب
فسلطان البلاغة غير شك … شهاب الدين ما فيه ارتياب
سقى الله الكريم ثراه صوبا … له من كل رضوان رضاب

وللعلا الصفدي رحمه الله يقول

شعر

يا غايبا في الثرى عني محاسنه … الله يوليك غفرانا واحسانا
ان كنت جرعت كاس الموت واحدة … فكل يوم اذوق الموت الوانا

وله ايضا رحمه الله قال

الا انما الدنيا غرور وباطل … فطوبى لمن كفاه منها تفرغا
وما عجبي الا لمن مات وانقا … بايام دهر ما رعى حق بليغا

وقال العتبي رحمه الله يرثي ابنا له

اضحى بخدي للدموع رسوم … اسفا عليك وفي الفؤاد كلوم
والصبر يحمد في المواطن كلها … الا عليك فانه مذموم

وكتب احمد بن يوسف الكاتب الى عمرو بن مسعدة رحمهم الله يرثي بنتا له ماتت يقول

شعر

عجبا للمنون كيف اتتها … وتخطت عبد الحميد اخاكا
شملتنا المصيبتان جميعا … فقدناهذه ورؤية ذاكا

بيت

الى الله اشكو ان في كل قبيلة … من الناس قدا في الحمام خيارها

وقال اخر

تدبتك لم اصبر ولي فيك حيلة … ولكن دعاني الياس منك الى الصبر
تصبرت مضطرا وان كنت كارها … كما صبر العطشان في البلد القفر

وقالت زبطة بنت عامر رحمه الله

شعر

وقفت فابكتني بدار عشيرتي … على رزئهن الباكيات الحواسر
غدو كسيف الهند وارد حومة … من الموت اعيى وردهن المصادر

فوارس حاموا عن حريمي وحافظوا • بدار المنايا والقنا متشاجر
ولو ان سلمى نالها مثل رزئنا • لهدت ولكن تحمل الرزء عامر

ولما قتل ابراهيم بن عبد الله بن الحسين وحمل راسه الى المنصور انفذه المنصور مع الربيع الى ابيه وعميه ادريس ومحمد وكانوا في حبسه فوضع الراس بينهم وكان ابوه قايما يصلي فقال له محمد اوجز فاوجز وسلم ووضع الراس في حجره وقالوا اهلا وسهلا يا ابا القسم تالله لقد كنت من الذين قال الله فيهم الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ثم قبله وانشد يقول

بيت

فتى كان يحميه من الذل سيفه • ويكفيه سوآت الامور اجتنابها

ثم قال للربيع قل لصاحبك قد مضى من بوسنا ايام ومن نعمتك ايام والملتقى بين يدي الله تعالى في غد قيل فما راى المنصور انكسارا مثل ذلك اليوم وقيل لحسان رضي الله عنه ما بالك لم ترث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لم ارثيا الا رايته يقصر عنه عليه السلام

الباب الثالث والثمانون
في ذكر الدنيا واحوالها وتقلبها والزهد فيها

قال الله تعالى قل متاع الدنيا قليل فوصف سبحانه جميع الدنيا بانها متاع قليل وانت يا ايها الانسان تعلم انك ما اوتيت من ذلك القليل الا قليلا ثم ذلك القليل ان يمتعت به فهو لعب ولهو فقد قال الله تعالى اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وقال تعالى وان الاخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون فلا تنس انما العاقل لعبا قليلا لا يبقى الدّارَ
عباة الابد حياة لا تفنى وشباب لا يبلى كما قال الفضيل بن عياض رحمه الله لو كانت الدنيا ذهبا يفنى وكانت الاخرة خزفا يبقى لوجب علينا ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا يفنى على ذهب يبقى تامل بعقلك هل اتى الله مثل ما اتى سليمان بن داود عليه السلام حيث اتاه ملك جميع الدنيا والجن والانس والطير والوحوش والريح تجري بامره ثم زاده الله تعالى ما هو اعظم منها فقال له هذا عطاونا فامنن او امسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها ولا حسبها رفعة ومنزلة كما حسبتموها بل قال عند ذلك هذا من فضل ربي ليبلوني ا اشكر ام اكفر وهذا فصل الخطاب لمن تدبر فخاف سليمان عليه السلام ان يكون ذلك استدراجا من حيث لا يعلم هذا وقد قال لك ولساير اهل الدنيا فوربك لنسالنهم اجمعين عما كانوا يعملون وقال تعالى وان كان مثقال حبة من خردل اتينا بها وكفى بنا حاسبين وتامل بعقلك

ما روي

ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم الا اريك الدنيا جميعا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فاخذ بيدي واتى بي الى واد من اودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤس الناس وعذرات وخرق بالية وعظام البهايم ثم قال يا ابا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص حرصكم وتامل املكم ثم هي اليوم تساقط عظاما بلا جلد ثم هي صايرة رمادا رميما وهذه العذرات الوان اطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها فقذفوها في بطونهم فاصبحت والناس يتحامونها وهذه الخرق البالية رياشهم ثم اصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم الذي كانوا ينتجعون عليها اطراف البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك قال فما برحنا حتى اشتد بكاؤنا وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على سرير قد اثر الشريط بجنبه فبكى عمر رضي الله عنه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك يا عمر قال ذكرت كسرى وقيصر وما كانا فيه من الدنيا وانت رسول رب العالمين وقد اثر بجنبك الشريط فقال صلى الله عليه وسلم اوليك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا ونحن قوم اخرت لنا طيباتنا في الاخرة وروي عن الضحاك رضي الله عنه قال لما اهبط الله تعالى ادم وحوى عليهما السلام الى الارض وجدا ريح الدنيا وفقدا ريح الجنة غشي عليهما اربعين صباحا من نتن الدنيا وعن يحيى بن معاذ رضي الله عنه قال الحكمة تهوي من السماء الى القلوب فلا تسكن في قلب فيه اربع خصال الركون الى الدنيا والغم والحسد وحب الشرف وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعلي يا علي اربع خصال من الشقاء جمود العين وقساوة القلب وبعد الامل وحب الدنيا وروي عن ابن عباس رضي الله عنه يؤتى بالدنيا يوم القيمة على صورة عجوز شمطا زرقا انيابها بادية مشوهة الخلق لا يراها احد الا كرهها فتشرف على الخلايق اجمعين فيقال لهم اتعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا التي تفاخرتم فيها وتقاتلتم عليها وعن الفضيل بن عياض رضي الله عنه قال جعل الشر كله في بيت واحد وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت واحد وجعل مفتاحه الزهد فيها وقيل مثل الدنيا مثل ظل الانسان ان طلبته هرب منه وان تولى عنه تبعه وانشدوا في ذلك

شعر

مثل الرزق الذي تطلبه • مثل الظل الذي يمشي معك
انت لا تدركه متبعا • واذا وليت عنه تبعك

وشبهوا الدنيا ايضا بخيال الظل والى هذا اشار بعضهم اليها بقوله

شعر

رأيت خيال الظل اكبر عبرة • لمن كان في علم الحقائق راقي
شخوص واصوات تخالف بعضها • لبعض واشكال بغير وفاق
تجيء وتمضي بابة بعد بابة • وتفنى جميعا والمحرك باقي

وما احسن ما قال الضحاك بن سليمان رحمه الله **شعر**

ما انعم الله على عبده • بنعمة اوفى من العافيه
وكل من عوفي في جسمه • فانه في عيشة راضيه
والمال حلو حسن • على الفتى لكنه عاريه
واسعد العالم بالمال من • اداه للآخرة الباقيه
ما احسن الدنيا ولكنها • مع حسنها غدارة فانيه

وتوفي رجل من بلدة فكتب على قبره يقول **شعر**

يا واقفين الم تكونوا تعلموا • ان الحمام بكم علينا قادم
لا تستغروا بالحيوة فانكم • تبنون والموت المفرق هادم
لو تنزلون بشعبنا لعرفتم • ان المفرط في التزود نادم
ساوي الردا ما بيننا فاحلنا • حيث المخدوم واحد والخادم

وما احسن ما قال عبد الله بن طاهر رحمه الله **شعر**

اليس الى ذا صار آخر امرنا • فلا كانت الدنيا القليل سرورها
فلا تعجبي يا نفس مما ترينه • فكل انوا الناس هذا مصيرها

وقال شرف الدين بن اسعد رحمه الله **شعر**

يا من تملك ملكا لا بقاء له • حملت نفسك آثاما واوزارا
هل الحيوة بذي الدنيا وان عذبت • الا كطيف خيال في الكرى زارا

وله ايضا رحمه الله

عن قليل اصير كوم تراب • ويقول الرفاق هذا فلان
صار تحت التراب عظاما رميما • وجفاه الاحباب والخلان

وقال ايضا

وغاية هذي الدار لذة ساعة • ويعقبها الاحزان والهم والندم
وهاتيك دار الامن والعز والبقا • ورحمة رب الناس والجود والكرم

وانشدوا في ذلك

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت • ولم تخف سوء ما ياتي به القدر

وسالمتك الليالي فاغتررت بها • وعند صفو الليالي يحدث الكدر

بيت

فان كنت لا تدري متى الموت فاعلمن • بانك لا تبقى الى آخر الدهر

اين آدم ابو الاولين والآخرين • اين نوح شيخ الآخرين • اين ادريس رفيع رب العالمين • اين ابراهيم خليل الرحمن • اين موسى الكليم من بين سائر المتقين • اين عيسى روح الله وكلمته راس الزاهدين وامام السائحين • اين محمد خاتم النبيين • اين اصحابه الابرار • اين الامم الماضيه • اين الملوك السالفه • اين القرون الخاليه • اين الذين نصبت على مفارقهم التيجان • اين الذين كانوا قهروا الابطال والشجعان • اين الذين دانت لهم المشارق والمغارب • اين الذين تمتعوا باللذات والمشارب • اين الذين تاهوا بين الخلق كبرا وعتيا • اين الذين راحوا في الحلل بكرة وعشيا • اين الذين اعتزوا بالاجناد والسلطان • اين اصحاب السطوة والاعوان • اين اصحاب الامرة والولايات • اين الذين خفقت على رؤسهم الالوية والرايات • اين الذين قادوا الجيوش والعساكر • اين الذين عمروا القصور والمساكن • اين الذين اعطوا النصر في مواطن الحروب والمواقف • اين الذين امنوا بسطوتهم كل خائف • اين الذين ملوا ما بين الخافقين فخرا وعزا • اين الذين • اين الذين فرشوا القصور حريرا وقزا • اين الذين تضعضعت بهم الارض هيبة وعزا • اين الذين استذلوا العباد قهرا وعزا • هل تحس منهم من احد او تسمع لهم ركزا • افناهم والله مفني الامم • وابادهم مبيد الرمم • واخرجهم من سعة القصور • واسكنهم ضيق القبور تحت الجنادل والصخور • فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم • لم ينفعهم ما جمعوا • ولا اغنى عنهم ما اكتسبوا • اسلمهم الاحبة والاوليا • وهجرهم الاخوان والاصفيا • ونسيهم القربا والبعدا • فانسوا وابعدوا • ولو نطقوا لانشدوا **شعر**

مقيم بالحجون رهين رمس • واهلي راحلون بكل واد
كاني لم اكن لهم حبيبا • ولا كانوا الاحبة في السواد
فعوجوا بالسلام فان ابيتم • فاوموا بالسلام على البعاد
فان طال المدا وصفا خليل • سوانا فاذكروا صفو الوداد

وقل لا فخر فيما يزول • ولا غنى فيما لا يبقى • وهل اهل الدنيا الا كما قالت الاول قدرا بعلي • وكنيف بمثلي **قال الشاعر**

ولقد سالت الدار عن اخبارهم • فتبسمت عجبا ولم تبدي
حتى مررت على الكنيف فقال لي • اموالهم ونوالهم عندي

ولقد اصاب ابن السماك رحمه الله لما قال له الرشيد عظني وبيده شربة من ماء فقال

يا أمير المؤمنين أرأيت لو حُبست عنك هذه الشربة أكنت تفديها بملكك
قال نعم يا أمير المؤمنين لو حبس عنك اخراجها كنت تفديه بملكك قال نعم قال لاخير
في ملك لا يساوي شربة ولا بوله • وقال ابن شبرمة رحمه الله اذا كان البدن سقيما لم ينفعه
الطعام واذا كان القلب مغرما بحب الدنيا لم تنفعه الموعظة • ويروى ان أبا العتاهية
رحمه الله مر بدكان وراق فاذا كتاب فيه بيت من الشعر • يقول •

لم ترجع الأنفس عن غيها • ما لم يكن منها لها زاجر

فقال لمن هذا البيت فقيل لأبي نواس رحمه الله قال وددت انه لي بنصف شعري ومما
استبصر من ابناء الملوك فرأى عيب الدنيا وفنائها وتنغيصها وزوالها ابراهيم بن ادهم
بن منصور رحمه الله من ابناء ملوك خراسان من كورة بلخ ولما زهد في الدنيا زهد
في ثمانين سريرا قال ابراهيم بن بشار سالت ابراهيم بن ادهم رحمهم الله كيف كان
بدو أمرك حتى صرت الى هذا فقال كان ابي من ملوك خراسان وكان قد حبب الي
الصيد فبينا انا راكب فرسا وكلبي معي اذ رأيت ثعلبا او ارنبا فحركت فرسي نحوه
فسمعت نداء من ورائي يا ابراهيم ليس لهذا خلقت ولا بهذا أمرت فوقفت انظر
يمنة ويسرة فلم ار احدا فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت فرسي فسمعت نداء
أعلى من الاول وهو يقول يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا امرت فوقفت انظر يمنة
ويسرة فلم ار احدا فقلت لعن الله الشيطان ثم حركت فرسي فسمعت النداء من
قربوس فرسي يا ابراهيم ما لهذا خلقت ولا بهذا امرت فوقفت وقلت هيهات
جاءني الحق النذير من رب العالمين والله لا عصيت ربي ما عصمني بعد يومي هذا
ثم توجهت الى اهلي وخلعت فرسي وجئت الى بعض رعاة ابي فاخذت جبته وكساءه
والقيت اليه ثيابي فلم ازل ارض تقلني وارض تضعني حتى صرت الى العراق فاقمت
بها اياما فلم يصف لي شيء من الحلال فسالت بعض المشايخ عن الحلال فقال عليك
بالشام قال فانصرفت الى بلدة يقال لها المنصورية فاقمت بها اياما فلم يصف لي
شيء من الحلال فسالت بعض المشايخ فقال ان اردت الحلال فعليك بطرطوس فان المباحات
بها والعمل كثير فيها قال فبينا انا قاعد على باب البحر اذ جاءني رجل فاكترى اني انطر له فتوجهت
معه فاقمت في البستان اياما كثيرة فاذا خادم قد اقبل ومعه اصحاب له ولو علمت
ان البستان للخادم ما نطرته فقعد في مجلسه ثم قال يا ناطورنا اذهب فاتنا باكبر
رمان تقدر عليه واطيبه فاتيته برمان فكسر الخادم واحدة فوجدها حامضة
فقال يا ناطور انت منذ كذا وكذا في بستاننا تاكل من فاكهتنا ورماننا ولا تعرف
الحلو من الحامض فقلت والله ما اكلت من فاكهتكم شيئا ولا اعرف الحلو من الحامض

قال

قالت فغمز الخادم اصحابه وقال الا تعجبون من هذا ثم قال لي لو كنت ابراهيم بن
ادهم ما كنت بهذه الصفة فلما كان من الغد تحدث الناس في المسجد بالصفة فجاء الناس
الى البستان فلما رايت كثرة الناس اختفيت والناس داخلون وانا هارب منهم وكان
ابراهيم بن ادهم يأكل من كسب يده مثل الحصاد وحفظ البساتين والعمل في الطين
وكان يوما يحفظ كرما فمر به جندي فقال اعطنا من هذا الكرم العنب فقال ما امرني صاحبه
فاخذ يضربه بالسوط فطاطا راسه وقال اضرب راسا طالما عصى الله عز وجل
فاستحى الرجل ومضى • وروي ان داود عليه السلام بينما هو يسبح في الجبال اذ وافى
على غار واذا فيه رجل عظيم الخلقة من بني آدم ملقى وعند راسه حجر مكتوب فيه
يقول انا داود سيم الملك ملكت الف عام وفتحت الف مدينة وهزمت الف جيش وافتضضت
الف بكر من بنات الملوك ثم صرت الى ما ترى فصار التراب فراشي والحجارة وسادي
فمن رآني فلا تغره الدنيا كما غرتني • وقال وهب بن منبه رضي الله عنه خرج عيسى عليه
السلام ذات يوم مع جماعة من اصحابه فلما ارتفع النهار مروا بزرع قد امكن من
الفرك فقالوا يا نبي الله انا جياع فاوحى الله تعالى اليه ان ائذن لهم في قوتهم فاذن
لهم فتفرقوا في الزرع يفركون وياكلون فبينما هم كذلك اذ جاء صاحب الزرع وهو يقول
زرعي وارضي ورثتها عن ابائي باذن من تاكلون يا هؤلاء • قال فدعا عيسى عليه السلام
ربه عز وجل فبعث الله تعالى من ملك تلك الارض من لدن آدم الى ساعته فاذا عند كل
سنبلة او ما شاء الله رجل او امراة كلهم ينادون زرعي وارضي ورثته عن ابائي ففزع
الرجل منهم وكان قد بلغه امر عيسى عليه السلام وهو لا يعرفه فلما عرفه قال معذرة اليك
يا نبي الله اني لم اعرفك زرعي ومالي لك فبكى عيسى عليه السلام وقال ويحك هؤلاء
كلهم ورثوا هذه الارض وعمروها ثم ارتحلوا عنها وانت مرتحل عنها ولاحق بهم ليس لك
ارض ولا مال • ولما مات الاسكندر رحمه الله قال ارسطاطاليس الحكيم ايها الملك لقد
حركتنا بسكونك • وقال بعض الحكماء من اصحابه لقد كان الملك امس انطق منه اليوم
وهو اليوم اوعظ منه امس ونظمه ابن العتاهية رحمه الله فقال

شعر

كفى حزنا بدفنك ثم اني • نفضت تراب كفك من يديا
وكانت في حياتك لي عظات • وانت اليوم اوعظ منك حيا

وقال عبد الله بن المعتز رحمه الله شعر

نسير الى الآجال في كل ساعة • وايامنا تطوى وهن رواحل
ولم ار مثل الموت حقا كانه • اذا ما تخطته الاماني باطل

وما أقبح التفريط في زمن الصبا • فكيف به والشيب في الرأس شاعل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى • فعمرك أيام تعد قلائل

وقال عبد الله بن المعلم رحمه الله خرجنا من المدينة حجاجاً وإذا أنا برجل من بني هاشم من بني العباس بن عبد المطلب رحمه الله قد رفض الدنيا وأقبل على الآخرة فصحبني وإياه الطريق فأنست به وقلت له هل لك أن تعادلني فإن معي فضلاً من راحلتي فجزاني خيراً وقال لو أردت هذا لكان لي معداً ثم أنس إلي فجعل يحدثني فقال أنا رجل من بني العباس كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد ونعمة طائلة وخدم فأمرت يوماً خادماً لي أن يحشو لي فراشاً من حرير ومخدة بورد نثير ففعل فإني لنائم وإذا بقمع وردة قد نسيها الخادم فقمت إليه فأوجعته ضرباً ثم عدت إلى المضجع بعد إخراج القمع من المخدة فأتاني آت في منامي في صورة فظيعة فهزني وقال أفق من غشيتك وانتبه من رقدتك ثم أنشأ يقول

شعر

يا خل إنك إن توسدت ليناً • وسدت بعد الموت صم الجنادل
فامهد لنفسك صالحاً تسعد به • فلتندمن غداً إذا لم تفعل

فانتبهت مرعوباً وخرجت من ساعتي هارباً إلى ربي كما تراني وأنشد بعضهم

يقول

من كان يعلم أن الموت يدركه • والقبر مسكنه والبعث مخرجه
وأنه بين جنات مزخرفة • يوم القيامة أو نار ستنضجه
فكل شيء سوى التقوى به سمج • وما أقام عليه منه أسمجه
ترى الذي اتخذ الدنيا له وطناً • لم يدر أن المنايا سوف تزعجه

وقال وهب بن منبه رضي الله عنه أصبت على غمدان وهو قصر سيف ذي يزن ملك صنعاء اليمن وكان من الملوك الأجلة مكتوباً بالقلم المسند فقرئ بالعربي فإذا هي أبيات جليلة وموعظة عظيمة وهي هذه الأبيات يقول

شعر

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم • غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا من أعالي عز معقلهم • فأسكنوا حفرة يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا • أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت محجبة • من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم • تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طال ما أكلوا دهراً وما شربوا • فأصبحوا بعد ذاك الأكل قد أكلوا

ويروى

ويروى أن عيسى بن مريم عليهما السلام كان معه صاحب له يسيحان في الأرض فأصابهما الجوع وقد انتهيا إلى قرية فقال عيسى لصاحبه انطلق فاطلب لنا طعاماً من هذه القرية وقام عيسى عليه السلام يصلي فجاء الرجل بثلاثة أرغفة فأبطأ عليه انتظار عيسى وهو يصلي فأكل رغيفاً فانصرف عيسى عليه السلام من صلاته فقال أين الرغيف الثالث فقال ما كان إلا رغيفين قال فمرا على وجوههما حتى مرا بظباء ترعى فدعا عيسى عليه السلام ظبياً منها فذكوه وأكلوا منه ثم قال عيسى عليه السلام قم بإذن الله تعالى فإذا هو قائم يمشي فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه السلام بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف فقال ما كانا إلا رغيفين فخرجا حتى أتيا قرية عظيمة خربة وإذا قريب منها ثلاث لبنات من ذهب فقال الرجل هذا المال لنا فقال عيسى عليه السلام نعم واحدة لي وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف فقال الرجل أنا صاحب الرغيف فقال عيسى عليه السلام هي لك كلها ثم فارقه عيسى وأقام هو عليها ليس معه ما يحملها فمر به ثلاثة نفر فقتلوه وأخذوا اللبن فقال اثنان منهم لواحد انطلق إلى القرية فأتنا بطعام فذهب فقال أحد الباقيين للآخر تعال نقتل هذا إذا جاءنا ونأخذ المال نقسمه بيننا فقال الآخر نعم وقال الذي ذهب يشتري الطعام أنا أجعل في الطعام سماً فأقتلهما وآخذ المال لنفسي ففعل فلما جاء قتلاه وأكلا الطعام الذي جاء به فماتا فمر بهم عيسى عليه السلام وهم حولها مصرعون فقال هكذا تفعل الدنيا بأهلها

وقال الهيثم بن عدي رحمه الله وجدوا غاراً في جبل لبنان زمان الوليد بن عبد الملك وفيه رجل مسجى على سرير من ذهب وعند رأسه لوح من ذهب مكتوب عليه بالرومية أنا سبا بن نواس خدمت عيص بن إسحق بن إبراهيم خليل الرب الأكبر وعشت بعده دهراً طويلاً ورأيت عجباً كثيراً ولم أر فيما رأيت أعجب من غافل عن الموت وهو يرى مصارع آبائه ويقف على قبور أحبابه ويعلم أنه صائر إليهم ثم لا يتوب وقد علمت أن الأجلاف الجفاة ستنزلوني عن سريري ويتولوا ذلك حين تغير الزمان وتنزل الصبيان ويكثر الهديان فمن أدرك هذا الزمان عاش قليلاً ومات ذليلاً وعن عمرو بن ميمون رضي الله عنه قال افتتحنا مدينة بفارس فدللنا على مغارة فيها بيت فيه سرير من ذهب عليه رجل عند رأسه لوح مكتوب فيه أنا بهرام ملك فارس كنت أعتاهم بطشاً وأقساهم قلباً وأطولهم أملاً وأحرصهم على الدنيا قد ملكت البلاد وقتلت الملوك وهزمت الجيوش وأذللت الجبابرة وجمعت في الدنيا ما لا يجمعه أحد قبلي ولم أستطع أن أفتدي به من الموت إذ أنزل بي ويروى في الإسرائيليات أن عيسى عليه السلام بينما هو في سياحته إذ مر بجمجمة نخرة فأمرها أن تتكلم فقالت يا روح الله أنا بلوان بن حفص ملك اليمن عشت ألف سنة وولد لي ألف ذكر وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف عسكر وقتلت ألف جبار وفتحت ألف مدينة فمن رآني فلا يغتر بالدنيا فما

كانت الا كحلم النائم فبكى عيسى عليه السلام بكاءً شديدا ووجد مكتوب على قصر قد باد أهله وأقفرت ساحته هذه الابيات

شعر

هذى منازل أقوام عهدتهم ۝ يوفون بالعهد مذ كانوا وبالذمم
تبكي عليهم ديار كان يطربها ۝ ترنم المجد بين الحلم والكرم

ورُوي أن المهدي رحمه الله نام يوما فانشد فى منامه هذه الابيات

شعر

كأني بهذا القصر قد باد أهله ۝ وأوحش منه أهله ومنازله
وصار عميد القصر من بعد بهجة ۝ الى تربة تسحى عليه جنادله
فلم يبق الا ذكره وحديثه ۝ تنادى بليل معولات ثواكله

فما فات عليه غير عشرة حتى مات رحمه الله وانشد القاضي ابو العباس الجرجاني رحمه الله

شعر

بالله ربك كم قصر مررت به ۝ قد كان يعمر باللذات والطرب
طارت عقاب المنايا فى جوانبه ۝ فصاح من بعده بالويل والحرب

وله ايضا رحمه الله

أيها الرافع البناء رُويدا ۝ لم تدري المنون عنك المبانى
ان هذا البناء يبقى ويفنى ۝ كل شيء أبقى من الانسان

ويُروى أن رجلين تنازعا فى أرض فانطق الله عز وجل لبنة من جدار تلك الأرض فقالت لم انى كنت من الملوك ملكت الدنيا الف سنة ثم مت وصرت رميما الف سنة فاخذني خزاف فاتخذني خزفا ثم اخذني فصيرني لبنا وانا فى هذا الجدار منذ كذا وكذا سنة فلم تتنازعان فى هذه الارض ورُوي ان ملكا من الملوك بنى قصرا وقال انظروا من عاب منه شيئا فاصلحوه واعطوه درهمين فاتاه رجل فقال ان فى هذا القصر عيبين قال ما هما قال يموت الملك ويخرب القصر قال صدقت ثم اقبل على خلاص نفسه وترك القصر والدنيا وقيل سُئل الخضر عليه السلام عن اعجب شيء رآه فى الدنيا مع طول سياحته وقطع القفار والفلوات فقال اعجب شيء رايت انى مررت بمدينة لم ار على وجه الارض احسن منها فسالت بعض اهلها متى بنيت هذه المدينة فقال سبحان الله ما يذكر اباؤنا ولا اجدادنا متى بنيت وما زالت كذلك من عهد الطوفان ثم غبت عنها خمسمائة عام وعبرت عليها بعد ذلك فاذا هي خاوية على عروشها ولم ار احدا اسأله واذا رعاة غنم فدنوت منهم وقلت اين المدينة التي كانت ههنا فقالوا سبحان الله ما يذكر اباؤنا ولا اجدادنا ان ههنا مدينة قط فغبت نحو من خمسمائة عام اخرى وجئت فاذا موضع تلك المدينة بحرا واذا غواصون يخرجون منه

الخضر عليه السلام

شبه الحلية فقلت للغواصين منذ كم هذا البحر ههنا فقالوا سبحان الله ما يذكر اباؤنا ولا اجدادنا الا ان هذا البحر منذ بعث الله الطوفان فغبت نحو من خمسمائة عام وجئت فاذا ذلك البحر قد غاض ماؤه واذا مكانه غيضة ملتفة بالقصب والسباع فيها واذا صيادون يصيدون السمك فيها فى زوارق صغار فقلت لبعضهم اين البحر الذي كان ههنا فقالوا سبحان الله ما يذكر اباؤنا ولا اجدادنا انه كان ههنا بحر قط فغبت منها نحوا من خمسمائة عام ثم اتيت الى ذلك الموضع فاذا هو مدينة على الحالة الاولى والحصون والقصور والاسواق قائمة فقلت لبعضهم اين الغيضة التي كانت ههنا ومتى بنيت هذه المدينة فقالوا سبحان الله ما يذكر اباؤنا ولا اجدادنا الا ان هذه المدينة على حالها منذ بعث الله تعالى الطوفان فغبت عنها نحو من خمسمائة عام ثم اتيت اليها فاذا عاليها سافلها وهي تدخن بدخان شديد فلم ار احدا اسأله ثم اتيت راعيا فسألته اين المدينة فقال سبحان الله ما يذكر اباؤنا ولا اجدادنا الا ان هذا هكذا منذ كان فهذا اعجب شيء رايته فى سياحتي فسبحان مبيد العباد ومفنى البلاد ووارث الارض ومن عليها وباعث من خلق منها اليها وانشد بعضهم يقول

شعر

قف بالديار فهذه آثارهم ۝ تبكي الاحبة حسرة وتشوقا
كم قد وقفت بها اسائل اهلها ۝ عن اهلها او مرحما او مشفقا
فاجابني داعي الهوى فى رسمها ۝ فارقت من تهوى فعز الملتقى

وقال اخر

أيها الربع الذي قد دثرا ۝ كان عينا ثم اضحى خبرا
اين سكانك ماذا فعلوا ۝ خبر عنهم سقيت المطرا
ولقد نادى منادى دارهم ۝ رحلوا واستودعوني عبرا

وقال عيسى عليه السلام اوحى الله تعالى الى الدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه يا دنيا مري على اوليائي لا تحلي بابدانهم فتفتنيهم وقال بعض الحكماء الدنيا كالماء الملح كلما ازداد صاحبه شربا ازداد عطشا وكالكاس من العسل فى اسفله سم فللذائق منه حلاوة عاجلة وله فى اسفله الموت وكاحلام النائم الذى فرحته فى منامه فاذا استيقظ انقطع الفرح وكالبرق الذي يضيء قليلا ويذهب وشيكا ويبقى راجيه فى الظلام مقيما ولما بنى المأمون بن ذي النون رحمه الله قصره الذي ضرب به المثل بعد بنائه نام فيه ليلة فبينما هو نائم اذ سمع منشدا ينشد هذين البيتين يقول

ابنى بناء الخالدين وانما ۝ بناؤك فيها لو عقلت قليل
لقد كان فى ظل الاراك كفاية ۝ لمن كان يوم يقتضيه رحيل

فلم يلبث بعدها الا يسيرا حتى انقضى نحبه ووجد مكتوب على قصر قد باد اهله هذين البيتين

يقول

هذا منازل اقوام عهدتهم • في خفض عيش نفيس ما له خطر

صاحت بهم نايبات الدهر فانقلبوا • الى القبور فلا عين ولا اثر

وما قيل للدنيا صفة نفسك ما عدت هذا البيت

ومن يأمن الدنيا يكن مثل قابض • على الماء خانته فروج الاصابع

وما وصفها احد مثل قول ابي نواس رحمه الله حيث يقول

شعر

الا كل حي هالك وابن هالك • وذو نسب في الهالكين عريق

اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت • له عن عدو في ثياب صديق

وروى عن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه انه لما رجع من صفين ودخل اوايل الكوفة رائى قبرا فقال قبر من هذا قالوا قبر خباب بن الارت رحمه الله فوقف عليه وقال رحم الله خبابا • اسلم راغبا • وهاجر طايعا • وعاش مجاهدا • وابلى في جسمه اخرا • الا ولن يضيع الله اجر من احسن عملا ثم مضى فاذا هو بقبور فجا حتى وقف عليها فقال السلام عليكم اهل الديار الموحشة • والمحال المقفرة • انتم لنا سلف ونحن لكم تبع وبكم عما قليل لاحقون • اللهم اغفر لنا ولهم • وتجاوز عنا وعنهم • طوبى لمن ذكر المعاد • وعمل للحساب • وقنع بالكفاف • ورضي عن الله تعالى يا اهل القبور اما الازواج فقد نكحت • واما الديار فقد سكنت • واما الاموال فقد قسمت • وهذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم • ثم التفت الى اصحابه فقال اما انهم لو تكلموا لقالوا وجدنا خير الزاد التقوى والله اعلم بالصواب

الباب الرابع

والثلاثون في فضل الصلوة على رسول الله عليه السلام وهو اخر الابواب

وبه نختم الكتاب تبركا

ولنذكر ان شا الله تعالى اربعين حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضل الصلوة عليه صلوات الله وسلامه عليه • الحديث الاول عن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي صلت عليه الملايكة ومن صلت عليه الملايكة صلى عليه الله ومن صلى الله عليه لم يبق في السموات والارض شي الا وصلى عليه • الحديث الثاني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي صلوة واحدة امر الله حافظاه ان لا يكتبا عليه ذنبا ثلثة ايام • الحديث الثالث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

من صلى

من صلى علي مرة واحدة خلق الله من قوله ملكا له جناحان جناح بالمشرق وجناح بالمغرب رأسه وعنقه تحت العرش وهو يقول اللهم صل على عبدك ما دام يصلي على نبيك • الحديث الرابع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي مرة صلى الله عليه بها عشرا ومن صلى علي عشرا صلى الله عليه مائة ومن صلى علي مائة صلى الله عليه الفا ومن صلى علي الفا لا يعذبه الله بالنار • الحديث الخامس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي مرة كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات ورفعت له عشر درجات • الحديث السادس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل يوما فقال يا محمد جيتك ببشارة لم آت بها احدا قبلك وهي ان الله تعالى يقول لك من صلى علي من امتك ثلث مرات غفر له ان كان قايما قبل ان يقعد وان كان قاعدا قبل ان يقوم فحمدها خر ساجدا شكرا لله • الحديث السابع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كل صباح عشر مرات محيت عنه ذنوب اربعين سنة • الحديث الثامن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي ليلة الجمعة او يوم الجمعة مائة مرة غفر الله له خطيئة ثمانين سنة • الحديث التاسع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي يوم الجمعة او ليلة الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة ووكل به ملكا حين يدخل في قبره يبشره كما يدخل على احدكم بالهدايا • الحديث العاشر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في يوم مائة مرة قضيت له ذلك اليوم مائة حاجة • الحديث الحادي عشر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقربكم مني مجلسا اكثركم علي صلوة • الحديث الثاني عشر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي الف مرة بشر بالجنة قبل موته • الحديث الثالث عشر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاني جبريل عليه السلام وقال يا رسول الله لا يصلي عليك احد الا ويصلي عليه سبعون الفا من الملايكة • الحديث الرابع عشر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدعا بعد الصلوة علي لا يرد • الحديث الخامس عشر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلوة علي نور على الصراط وقال صلى الله عليه وسلم لا يلج النار من صلى علي • الحديث السادس عشر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جعل جميع عبادته الصلوة علي قضى الله له حوايج الدنيا والاخرة • الحديث السابع عشر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي الصلوة علي اخطا طريق الجنة • الحديث الثامن عشر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملايكة في الهوى بايديهم قراطيس من نور واقلام من نور لا يكتبون الا الصلوة علي وعلى اهل بيتي • الحديث التاسع عشر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اولى الناس بي اكثرهم صلوة علي • الحديث العشرون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان عبدا جا يوم القيمة بحسنات اهل الدنيا ولم يكن معها الصلوة علي ردت على صاحبها ولم تقبل منه • الحديث الحادي

والعشرون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملئكة تصلي عليه
ما دام اسمي في ذلك الكتاب ۞ الحديث الثاني والعشرون قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان لله ملئكة سياحون في الارض يبلغوني الصلوة على من امتي فاستغفر لهم ۞ الحديث
الثالث والعشرون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى علي كنت شفيعه يوم القيمة
ومن لم يصل علي فاني برئ منه ۞ الحديث الرابع والعشرون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يؤمر بقوم الى الجنة فيخطئون الطريق قيل يا رسول الله ولم ذلك قال سمعوا اسمي فلم يصلوا علي
الحديث الخامس والعشرون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤمر برجل الى النار فاقول
ردوه الى الميزان فاضع له شيا كالانملة في ميزانه وهو الصلوة علي فترجح ميزانه ويقال سعد
فلان ۞ الحديث السادس والعشرون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اجتمع قوم في مجلس
ولم يصلوا علي الا تفرقوا كقوم تفرقوا عن ميت ولم يغسلوه ۞ الحديث السابع
والعشرون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى وكل بقبري ملكا واعطاه اسما
الخلايق كلها فلا يصلي علي احد الى يوم القيمة الا بلغني اسمه وقال يا رسول الله هذا فلان
بن فلان قد صلى عليك ۞ الحديث الثامن والعشرون عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه
قال الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم امحق من الماء لسواد اللوح ۞ الحديث التاسع
والعشرون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى اوحى الى موسى عليه السلام ان اردت
ان اكون اقرب اليك من كلامك الى لسانك ومن روحك الى جسدك فاكثر الصلوة على النبي الامي
الحديث الثلثون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ملكا من الملئكة امره الله تعالى ان
باقتلاع مدينة غضب على اهلها فرحمهم ذلك الملك ولم يبادر الى اقتلاعها فغضب الله عليه وكسر
اجنحته فمر به جبريل عليه السلام فشكى اليه فسال الله تعالى فيه فامره ان يصلي على النبي محمد صلى
الله عليه وسلم فصلى عليه فغفر له ورد عليه اجنحته ببركة الصلوة على رسول الله صلى الله
عليه وسلم ۞ الحديث الحادي والثلثون عن عايشة رضي الله عنها قالت من صلى على رسول الله
صلى الله عليه وسلم عشر مرات وصلى ركعتين ودعا الله تعالى يقبل صلوته ودعاه وقضى
حوايجه ۞ الحديث الثاني والثلثون عن زيد بن حارثة رضي الله عنه قال سالت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصلوة عليه فقال صلى الله عليه وسلم صلوا علي واجتهدوا
في الدعا وقولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ۞ الحديث الثالث والثلثون عن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا علي فان صلاتكم زكوة لكم وسلوا
الله لي الوسيلة ۞ الحديث الرابع والثلثون عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه
ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لا صلوة لمن لم يصل على نبيه صلى الله عليه وسلم ۞
الحديث الخامس والثلثون عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

رغم

رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي ۞ الحديث السادس والثلثون عن ابن عباس
رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال جزى الله عنا محمدا خيرا وجزى الله عنا
محمدا ما هو اهله فقد اتعب كاتبيه ۞ الحديث السابع والثلثون عن ابي هريرة رضي
الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تجعلوا بيوتكم قبورا وصلوا علي فان
صلاتكم تبلغني حيثما كنتم ۞ الحديث الثامن والثلثون عن ابي هريرة رضي الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه ۞
الحديث التاسع والثلثون قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اقربكم مني منزلا
اكثركم علي صلوة الحديث الاربعون نقل الشيخ كمال الدين الدميري رحمه الله عن شيخ
الصدر ولابن منيع رحمه الله ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من سره ان يلقى الله تعالى وهو
عنه راض فليكثر من الصلوة علي فان من صلى علي في كل يوم خمسماية مرة لم يفتقر ابدا
وهدمت ذنوبه ومحيت خطاياه ودام سروره واستجيب دعاؤه واعطي امله واعين
على عدوه وعلى اسباب الخير وكان ممن يرافق نبيه في الجنان اللهم صل على
سيد المرسلين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين الذي انزل عليه في
محكم القرآن العزيز تعظيما له وتوقيرا يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ۞ فهذا خطاب خاص الخاص ولم
يخاطب الله تعالى احدا من الرسل ولا من الانبيا بالنبوة والرسالة الا سيد
خلقه محمد صلى الله عليه وسلم لكنه ناداهم بالرسالة جميعا بقوله تعالى يا ايها
الرسل كلوا من الطيبات الا انه سبحانه وتعالى نادى نبيا او رسولا ۞
بالنبوة والرسالة في القرآن غير سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم لا يوجد في
ظاهر آي القرآن فان الله تعالى لما نادى ابا البشر آدم عليه السلام قال
يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وقال يا ابراهيم اعرض عن هذا وقال يا نوح
اهبط بسلام منا وقال يا داود انا جعلناك خليفة في الارض وقال يا عيسى ابن
مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يا ايها الرسول
بلغ ما انزل اليك من ربك وقال يا ايها الرسول لا يحزنك وقال يا ايها النبي
حسبك الله وقال يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال وقال يا ايها النبي جاهد
الكفار والمنافقين وقال يا ايها النبي لم تحرم وقال يا ايها النبي اذا طلقتم النسا
وقال يا ايها النبي اتق الله وقال يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فما ناداه باسمه كغيره يا محمد لانه سبحانه
وتعالى ذكره باسم محمد في اربع مواضع اقتضت الحكمة ان تذكره هناك باسم محمد

الأول قوله عز وجل وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل لأن سبب
انزالها أن الشيطان صاح يوم أحد قد قتل محمد وكان ما كان فأنزل الله عز وجل هذه
الآية الكريمة لأنه لو قال وما رسول لقال الأعداء ليس هو محمد فعرفه باسمه لأنهم
ما كانوا ينكرون أن اسمه محمد صلى الله عليه وسلم الثاني قوله عز وجل ما كان محمد
أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين الثالث قوله عز وجل الذين
كفروا وصدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم والذين آمنوا وعملوا الصالحات
وآمنوا بما نزل على محمد فلو قال وآمنوا بما نزل على رسولي لقال الأعداء ليس هو
أنت فعرفه باسم محمد عليه السلام الرابع قوله عز وجل محمد رسول الله الحكمة في
ذكره ههنا باسمه لأنه سبحانه وتعالى قال قبلها هو الذي أرسل رسوله بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله وكان من الأعداء من يقول هو رسوله الذي أرسله
فعرفه باسمه فقال محمد رسول الله وسماه تعالى باسمه أحمد في موضع واحد
وله حكمة وهو أن الله تعالى لما أرسل عيسى عليه السلام قال المقصود من بني إسرائيل
يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة التي أنزلت
على موسى عليه السلام ومبشرا برسول يأتي من بعدي قالوا ما اسمه قال اسمه أحمد
لأنهم كانوا يعرفون اسمه في التوراة أحمد فما ناداه سبحانه وتعالى باسمه أحمد
ولا بمحمد وإنما ذلك إعلاما به وتعريفا وما ناداه إلا بالرسالة والنبوة فقال
يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا شاهدا بالإيمان للمؤمنين
ومبشرا لأهل اليقين ونذيرا للمشركين وقيل شاهدا لأهل التوحيد ومبشرا
لأهل التمجيد ونذيرا لأهل التجحيد وقيل شاهدا لأهل القرآن ومبشرا
لهم بالغفران ونذيرا لأهل الطغيان وقيل شاهدا للأمة ومبشرا بالشفاعة
ونذيرا على مخالفتك وقيل شاهدا بالمنة ومبشرا بالجنة ونذيرا من المحنة
وداعيا إلى الله بإذنه أي تدعو الناس بأمر الله إلى لا إله إلا الله قال تعالى
وأنه لما قام عبد الله يدعوه وسمى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه فقال
وأنا الداعي إلى الله عز وجل قوله وسراجا منيرا فإن قلت ما الحكمة في قوله
وسراجا منيرا ولم يقل قمرا منيرا فالجواب عن ذلك أن السراج أعم من القمر
السراج المراد به الشمس قال تعالى وجعل الشمس سراجا أي السراج الذي يقتبس منه
لأن القمر لا تصل إليه الأيدي ليقتبسون منه والسراج إذا كان في بلد ملأ تلك
البلدة نورا ومن جاء تقتبس منه تقتبس والقمر ليس كذلك ولهذا كانت الدنيا قبل
ولادته صلى الله عليه وسلم خالية منه فلما ظهر سراج دينه بمكة فأتى الناس من كل فج

فاقتبسوا

فاقتبسوا فكان أول من اقتبس من الرجال أبو بكر رضي الله عنه ومن النساء خديجة
رضي الله عنها ومن الشباب علي رضي الله عنه ومن الموالي زيد رضي الله عنه ومن العبيد
بلال رضي الله عنه وجاء سلمان رضي الله عنه من أرض فارس فاقتبس وصهيب رضي
الله عنه من الروم وبلال من الحبشة ووفدا لوفود فاقتبسوا وأبو لهب إلى جانب
البيت لم يقتبس فاقتبس الناس من مشارق الأرض ومغاربها حتى امتلأت الأرض
من نور سراجه صلى الله عليه وسلم فهو صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم
أعظم الأنبياء وأكرم المرسلين وسيد الخلق أجمعين ولم يخلق الله عز وجل أحسن
ولا أجمل ولا أفضل ولا أكمل ولا أرجح ولا أسمح ولا أصبح ولا أجل ولا أعظم ولا
أسخى ولا أكرم ولا أبهى ولا أنصف ولا أعدل منه صلى الله عليه وسلم فوالله
لو أن البحار مدادا والنبات أقلاما وجميع الخلائق يكتبون معجزاته عليه السلام
لعجزوا عن وصف نورا لنور من معجزاته صلى الله عليه وسلم اللهم اجعلنا من أمته
واحشرنا في زمرته وأمتنا على محبته واحشرنا في زمرته ولا تخالف بنا
عن ملته وشريعته ولا عما جاء به برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين تم الكتاب المبارك

بحمد الله وعونه وحسن توفيقه في
صبيحة يوم الثلاثاء المبارك
تاسع عشر شهر ربيع
الأول المشرف
سنه ١٧
على يد العبد الحقير المعترف بالعجز والتقصير الراجي العفو
من ربه القدير فقير رحمة ربه المتعالي
محمد بن محمد الدسباوي غفر الله
له ولوالديه وللمؤلف
وللمشايخ ولمن
قرأه أو طالعه
أو نظر فيه

ولكل المسلمين أجمعين آمين وأنت حسبنا بالغنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم
النصير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والصلوة والتسليم على أشرف
المرسلين سيدنا محمد خاتم النبيين اللهم فصلي وسلم عليه وعلى آله وأصحابه والحمد لله رب العالمين

عبد الله بن

حديث البخاري الشريف

حدثنا اسمعيل قال حدثنا مالك عن نافع عن زيد بن عبد الله عن عبد الرحمن بن ابي بكر الصد[يق]
عن ام سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قال الذي يشرب في اناء الفضة انما يجرجر في
بطنه نار جهنم صح